

مركز القانون العربي والإسلامي
Centre de droit arabe et musulman
Zentrum für arabisches und islamisches Recht
Centro di diritto arabo e musulmano
Centre of Arab and Islamic Law

الحجاب في الإسلام

تفسير آيات الحجاب خلال العصور

الدكتور سامي عوض الذيب أبو ساحلية
مدير مركز القانون العربي والإسلامي

www.amazon.com
2016

الدكتور سامي عوض الذيب أبو ساحلية

مسيحي من أصل فلسطيني. مواطن سويسري. دكتور في القانون من جامعة فريبورغ. مؤهل لإدارة الأبحاث من جامعة بوردو. أستاذ جامعات (الاستشارية القومية للجامعات – فرنسا). مسؤول عن القانون العربي والشرعية الإسلامية في المعهد السويسري للقانون المقارن من عام 1980 إلى عام 2009. مدير مركز القانون العربي والإسلامي. علم الشريعة الإسلامية والقانون العربي في عدة جامعات سويسرية وفرنسية وإيطالية. ترجم الدستور السويسري إلى العربية، كما أعد طبعة عربية للقرآن وترجمة بالتسلسل التاريخي إلى الفرنسية والإنكليزية والإيطالية.

الناشر

مركز القانون العربي والإسلامي

Centre de droit arabe et musulman

Ochettaz 17, Ch-1025 St-Sulpice

Tél. fixe: 0041 [0]21 6916585 Tél. portable: 0041 [0]78 9246196

Site: www.sami-aldeeb.com - Email: sami.aldeeb@yahoo.fr

© Tous droits réservés

Ce livre est disponible en français auprès d'Amazon

هذا الكتاب متوفر في اللغة الفرنسية من مواقع أمازون

Le voile dans l'islam

الفهرس

5	المقدمة
7	القسم الأول - استعراض احكام آيات الحجاب في القرآن
7	(1) آيات الحجاب
7	(أ) الآيات
7	(ب) المصطلحات
8	(ج) أسباب نزول آيات الحجاب
8	أسباب نزول الآية هـ 33\90: 53
8	منع دخول بيوت النبي دون استئذان
8	سؤال نساء النبي من وراء حجاب
9	منع نكاح زوجات النبي
9	أسباب نزول الآية هـ 33\90: 59
9	أسباب نزول الآية هـ 24\102: 31
9	(2) معنى هذه الآيات
9	(أ) تعاليم الهية أم تعاليم عمر؟
10	(ب) لبس الحجاب إجباري أم اختياري؟
11	(ج) من هو المقصود من آيات الحجاب؟
12	(د) اختلاف الأحكام وفقاً للجنس
13	(هـ) الاختلاف بين المرأة الحرة والأمة
14	(و) ماذا يجب تغطيته وأمام من؟
14	تحديد العورة بين الزوجين
15	تحديد العورة بين المرأة وأقربائها وتابعيها
16	تحديد العورة بين المرأة والغريب
20	تحديد العورة بين المرأة وغيرها من النساء
20	النساء القواعد
21	تحديد العورة عند الرجال
21	أحكام أخرى تتعلق بالعورة
22	(ز) تحديد عورة المرأة في الصلاة والحج
22	(ح) تحديد عورة المرأة في العلاج والتجميل
26	(ط) العورة والحكم الأخلاقي
26	منع التشبه بالكفار
26	وصم المرأة غير المحجبة بالرديلة
26	الحذر من النساء
27	الحجاب والنفاق
27	(1) تصرفات شاذة نتيجة الحجاب
27	(أ) منع الزواج من نساء محمد
28	(ب) رضاعة الكبير

28	ج) زواج المتعة
29	د) رجال يلبسون الحجاب تضامناً مع النساء
29	هـ) تفسير صوفي لآيات الحجاب
30	4) الحجاب بين الليبراليين والمحافظين
30	أ) التيار الليبرالي والحجاب
30	نوال السعداوي
31	آمنة نصير
32	سيد القمني
49	مصطفى راشد
51	أحمد عبده ماهر
53	محمود محمد طه
54	ب) دار الافتاء المصرية: الرد على من أنكر فرضية الحجاب
62	5) الحجاب في الأشرطة
64	6) صور بألف خطاب
75	الخاتمة
77	القسم الثاني - المفسرون وفقاً للتسلسل التاريخي
311	ملحق - آيات الحجاب وفقاً للتسلسل التاريخي

المقدمة

يحكي الرئيس جمال عبد الناصر في خطاب فكاوي <https://goo.gl/tvZgON> ما دار بينه وبين مرشد الإخوان المسلمين في أول لقاء لهما بعد ثورة 1952:

في سنة 1953 كنا نريد فعلا مخلصين انّا نتعاون مع الإخوان المسلمين على أن يسيروا في الطريق الصحيح والطريق السليم. وقابلت المرشد العام للإخوان المسلمين. وقعد وطلب مطالب. طلب إيه؟ أول حاجة قال لي يجب ان تقيم الحجاب في مصر. وأخلي كل واحدة تمشي في الشارع تلبس طرحة. كل واحدة تمشي. وأنا قلت له يعني اذا واحد قال هذا الكلام يقولون ارجعنا لأيام الحاكم بأمر الله [985-1021] اللي كان يخلي الناس ما تمشيش في النهار ويمشوا بالليل. وأنا في رأيي كل واحد في بيته هو اللي ينفذ هذا الكلام. فقال لي لا، انت باعتبارك الحاكم المسؤول. قلت له يا أستاذ انت الك بنت في كلية الطب مش لابسه طرحة ولا حاجة. ما لبستهاش طرحة ليه؟ إذا كنت انت مش قادر تلبس بنت واحدة اللي هي بنتك طرحة عايزني انا انزل البس عشر مليون طرح في البلد بنفسي؟

هناك من يعتقد ان مقتل الرئيس المصري أنور السادات كان بسبب معاهدة السلام التي ابرمها مع إسرائيل. ولكن قاتله، خالد الإسلامبولي، برر أمام المحكمة ما قام به باستهزاء السادات بالحجاب بوصفه بالخيمة في إحدى خطبه¹.

واليوم، في مصر كما في دول عربية وإسلامية أخرى، بدأ الحجاب، حتى في شكله المتطرف المتمثل بالنقاب، بغزو الشوارع والمدارس والجامعات والإدارات العامة والشركات، ممتداً أيضاً إلى الدول الغربية. ولا يمر يوماً دون ان يثير جدلاً في فرنسا وغيرها، وذلك رغم تعبير بعض الدول عن رغبتها الصريحة في منعه في شكله المتطرف المتمثل بالنقاب الذي يغطي الوجه. ويخلق هذا توتراً مع المسلمين، مدعومين في بعض الأحيان من قبل يساريين وحركات حقوق الإنسان على أساس ان الحجاب هو جزء من تعاليم الإسلام، وعليه فإن منعه يعني خرق للحرية الفردية.

إلا انه إذا كان من الضروري تطبيق التعاليم الإسلامية، فيجب أيضاً السماح بالرجم وقطع يد السارق وقتل المرتد كجزء من هذه التعاليم.

من جهة أخرى، من يدعي بأن منع الحجاب يخرق الحرية الفردية يجهل أن الشريعة الإسلامية لا تعترف بالخيار الفردي في هذا المجال، وتعطي الحق للزوج أو للولي في فرض الحجاب على النساء وضربهن إذا لم يرضخن لمطلبه. لا بل أن كل مسلم غيور على دينه يعتبر نفسه مضطراً إلى فرض الحجاب على النساء بناء على مبدأ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر الذي ينص عليه القرآن (31\57؛ 17؛ 3\89؛ 104 و110 و114). والسماح بلبس الحجاب يعني إعطاء الإذن للمسلمين لكي يفرضوه على النساء والعائلات، وملاحقة كل من لا تلبسه، مهما كانت ديانته. وفرض الحجاب وسيلة بين الوسائل لأسلمة المجتمع الغربي، بحجة الحرية الفردية التي يعيث بها المسلمون. واليوم فإن النساء المسلمات اللاتي يرفضن لبس الحجاب لا يتجرأن السير في بعض الحارات حيث يقوم المسلمون بفرض الشريعة في باريس ذاتها، وتتفادى الشرطة عمل محضر ضد من تلبس الحجاب الكامل الذي يغطي الوجه مخالفة القانون الفرنسي، وذلك لتفادي الاضطرابات. وهناك انتشار متزايد لمناطق خارجة عن تطبيق القانون في مدن كثيرة في أوروبا الغربية حيث يتم خرق الحرية الفردية، مما يعرض الأمن للخطر في تلك الدول. وهذا ليس المجال الوحيد الذي يخلق توتراً. فمثلاً يحاول مسلمون فرض احترام الصيام حتى على غير المسلمين، كما لو كانوا في السعودية أو في المغرب، ويمنعون التجول في الشوارع وتحويلها لأماكن صلاة.

والحجاب، من جهة أخرى، هو تعبير عن النظرة الدونية للمرأة. فالتعاليم الإسلامية تهدف إلى بناء حاجز بين الرجال والنساء، باعتبار انهن يحتشن على الانحلال الخلقي. ويقول محمد في هذا المجال: ما تركت بعدي فتنة

¹ <https://goo.gl/NvtPTn>; <http://goo.gl/I9CzhM>

هي أضر على الرجال من النساء¹. ويمتد هذا الحاجز إلى ما بعد الموت إذ انه لا يسمح دفن امرأة مع زوجها في نفس القبر. وفي حالة الضرورة يجب وضع حاجز مادي بينهما، إذ ان الزوجة تصبح غريبة بالنسبة لزوجها بعد وفاتها. وهناك عدة فتاوى في هذا المعنى². وتشير الدكتورة نوال السعداوي إلى أنه إذا كانت النساء تثير شهوة الرجال، فالرجال أيضا يثيرون شهوة المرأة. لماذا إذن لا يتحجب الرجال أيضًا؟ وسوف نعود لموقف هذه السيدة المصرية الشهيرة المدافعة عن حقوق النساء.

من المعروف أن الحجاب بأشكاله المختلفة تم لباسه وما زال يُلبس من قبل يهود ومسيحيين ومسلمين. وهو معروف أيضًا في الثقافة الإغريقية الرومانية والفارسية على سبيل المثال. إلا ان كتابنا هذا يقتصر على الحجاب الإسلامي الذي يستحوذ على جدل واسع في المجتمع العربي والإسلامي والغربي. وهذا الكتاب هو جزء من سلسلة كتب تتعرض لتفسير بعض الآيات القرآنية التي تطرح إشكالية عبر العصور. وهذه الكتب متوفرة مجانًا بصورة PDF كما يمكن طلبها ورقياً من أمازون، كما هو الأمر مع كتبي الأخرى³.

وينقسم هذا الكتاب إلى جزئين:

- الجزء الأول يستعرض الآيات التي تتكلم عن الحجاب وما يشابهه، وأسباب نزولها، ومعناها عند المفسرين، وما تؤدي له هذه الآيات من تصرفات غريبة.
- الجزء الثاني يتضمن نصوص المفسرين منذ بداية الإسلام حتى يومنا هذا.

¹ <https://goo.gl/LDTNpl>

² <https://goo.gl/o2dy4Q>; <https://goo.gl/5KIg5a>; <https://goo.gl/GE4UUK>; <https://goo.gl/FaZASz>

³ Voir la liste de ces livres dans <http://goo.gl/RyX0a5>

القسم الأول استعراض احكام آيات الحجاب في القرآن

(1) آيات الحجاب أ) الآيات

هناك آيات كثيرة تتكلم عن الملابس بصورة مباشرة أو غير مباشرة. وقد ذكرناها بالتسلسل التاريخي في الملحق في آخر الكتاب. وحتى لا ننقل على القارئ نكتفي في القسم الثاني من هذا الكتاب بتفسير الآيات الثلاث الرئيسية التي يعتمد عليها مؤيدو ومعارضو الحجاب والتي نذكرها هنا:

هـ33\90: 53 - يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا! لَا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ، إِلَّا أَنْ يُؤْذَنَ لَكُمْ إِلَى طَعَامٍ، غَيْرَ نَظَرٍ إِنَّهُ وَلَكِنْ، إِذَا دُعِيتُمْ، فَأَدْخُلُوا. فَإِذَا طَعِمْتُمْ، فَأَنْتَشِرُوا وَلَا مُسْتَسِينَ لِحَدِيثٍ. إِنَّ ذَلِكُمْ كَانَ يُؤْذِي النَّبِيَّ فَيَسْتَحْيِ مِنْكُمْ، وَاللَّهُ لَا يَسْتَحْيِ مِنَ الْحَقِّ. وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعًا، فَسْأَلُوهُنَّ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ. ذَلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ. وَمَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُؤْذُوا رَسُولَ اللَّهِ، وَلَا أَنْ تُتَكَخَوْا أَرْوَاجَهُ مِنْ بَعْدِهِ أَبَدًا. إِنَّ ذَلِكُمْ كَانَ، عِنْدَ اللَّهِ، عَظِيمًا.

هـ33\90: 59 - يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ! قُلْ لَأَرْوِجَكْ، وَبَنَاتِكَ، وَنِسَاءَ الْمُؤْمِنِينَ، يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِنْ جَلِيبِهِنَّ. ذَلِكَ أَذْنَى أَنْ يُعْرِقْنَ، فَلَا يُؤْذِينَ. وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا، رَحِيمًا.

هـ102\24: 31 وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَرِهِنَّ، وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ، وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ، إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا. وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَى جُيُوبِهِنَّ. وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ، أَوْ ءَابَائِهِنَّ، أَوْ أَبْنَاءِهِنَّ، أَوْ إِخْوَانِهِنَّ، أَوْ بَنِي إِخْوَانِهِنَّ، أَوْ أَخَوَاتِهِنَّ، أَوْ نِسَائِهِنَّ، أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ، أَوِ الْبُيُوتِ غَيْرِ أُولَى الْأَرْزَاقِ مِنَ الرِّجَالِ، أَوْ الْوَلَدِ الَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا عَلَى عَوْرَتِ النِّسَاءِ. وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِنْ زِينَتِهِنَّ. وَتَوْبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا، أَيُّهُ الْمُؤْمِنُونَ! لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ!

ب) المصطلحات

يستعمل القرآن ثلاث كلمات تتعلق ببحثنا المذكورة في الآيات السابقة:

- (1) الحجاب: تتكرر هذه الكلمة سبع مرات في القرآن¹ وهي 38\32 و39\7: 46 و44\19: 17 و50\17: 45 و61\41: 5 و62\42: 51 و90\33: 53 (انظر هذه الآيات في الملحق في آخر الكتاب). وجاءت بصيغة "المحجوبون" في الآية 86\83: 15. وكلمة الحجاب هي الأكثر استعمالاً اليوم للإشارة إلى ما ترتديه المرأة لتغطية رأسها. إلا أن هذه الكلمة في القرآن تعني خاصة الستار أو الحاجز. وقد أكد الطبراني على هذا معنى: قَوْلُهُ تَعَالَى: وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعًا فَاسْأَلُوهُنَّ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ، أَي إِذَا سَأَلْتُمْ أَزْوَاجَ النَّبِيِّ مِنْ مَتَاعِ الْبَيْتِ، فَخَاطَبُوهُمْ مِنْ وَرَاءِ الْبَابِ وَالسُّتْرِ.
- (2) الخُمُر، جمع خمار. وهذه الكلمة مذكورة فقط في الآية 102\24: 31. ومن جذر هذه الكلمة أتت كلمة الخمر التي يستعملها القرآن للدلالة على المشروب الذي يحجب العقل ويمنعه من التفكير السليم.
- (3) الجلابيب، جمع جلباب.. وهذه الكلمة مذكورة فقط في الآية 90\33: 59. وقد دخلت هذه الكلمة في اللغة الفرنسية وتشير إلى الثوب الطويل الواسع مع قلنسوة يلبسه الرجال والنساء على السواء خاصة في دول المغرب.

ومعنى هذه الكلمات غامض، أدّى إلى أشكال مختلفة من الملابس حسب المناطق، كما أدى إلى مواقف متضاربة لدى المسلمين سنتكلم عنها لاحقاً.

وبالإضافة إلى المصطلحات السابقة نجد في وسائل الإعلام كلمات أخرى، أهمها:

¹ <https://goo.gl/ePxXfD>

- النقاب: هو زي فضفاض غالباً ما يكون أسود اللون، يخفي معالم جسد المرأة بالكامل عدا العينين. وهو منتشر في الأقطار ذات الأغلبية المسلمة، خاصة في دول الشرق الأوسط وجنوب آسيا وشبه القارة الهندية، إضافة لليهود الحريديم في القدس (وفقاً لتعريف موسوعة ويكيبيديا).
- الشادور: هو لباس خارجي تلبسه النساء في إيران، وهو جلباب أو معطف فضفاض غالباً لونه أسود. يكون على شكل نصف دائرة ومفتوح من الأمام، وليس به فتحات للذراعين أو أزرار (وفقاً لتعريف موسوعة ويكيبيديا).
- البرقع: هو قماش مخصص لتغطية النساء وجوههن. اختلفت أشكال وألوان البراقع حيث أكثرهم يغطي الوجه كامل ما عدا العيون، وآخر يغطي فقط الأنف وفوق الحاجب قليلاً، وآخر يغطي كافة الرأس ما عدا العين، وآخر يغطي الرأس وصولاً إلى السرة، والعين لا تكشف ويكون شفافاً قليلاً حتى يتسنى للمرأة الرؤية منه (وفقاً لتعريف موسوعة ويكيبيديا).
- بوركيني: هو نوع من ملابس السباحة تغطي كامل الجسم ما عدا الوجه واليدين والقدمين، وهي مطاطية بما يكفي للمساعدة في السباحة، وقد لاقت رواجاً كبيراً لدى مسلمات أوروبا (وفقاً لتعريف موسوعة ويكيبيديا).

ج) أسباب نزول آيات الحجاب

أسباب نزول الآية هـ 33\90: 53

تتضمن هذه الآية ثلاثة تعاليم لكل منها سبب نزول خاص

منع دخول بيوت النبي دون استئذان

تبدأ هذه الآية بما يلي: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا! لَا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ، إِلَّا أَنْ يُؤْذَنَ لَكُمْ إِلَى طَعَامٍ، غَيْرَ نَظْرِينَ إِنَّهُ وَلَكِنْ، إِذَا دُعِيتُمْ، فَادْخُلُوا. فَإِذَا طَعِمْتُمْ، فَأَنْتَشِرُوا وَلَا مُسْتَسِينَ لِحَدِيثٍ. إِنَّ ذَلِكُمْ كَانَ يُؤْذِي النَّبِيَّ فَيَسْتَحْيِي مِنْكُمْ، وَاللَّهُ لَا يَسْتَحْيِي مِنَ الْحَقِّ.

عن عمرو بن سعد، عن أنس، قال: وكنت مع النبي، وكان يمرّ على نسائه، قال: فأتى بامرأة عروس، ثم جاء وعندها قوم، فانطلق فقضى حاجته، واحتبس وعاد وقد خرجوا قال: فدخل فأرعى بيني وبينه سترًا، قال: فحدثت أبا طلحة، فقال: إن كان كما تقول: لينزلن في هذا شيء، قال: ونزلت آية الحجاب.

عن أنس بن مالك أنه كان ابن عشر سنين مقدم رسول الله إلى المدينة، فكنت أعلم الناس بشأن الحجاب حين أنزل في مبيتي رسول الله بزينب بنت جحش أصبح رسول الله بها عروساً، فدعا القوم فأصابوا من الطعام حتى خرجوا، وبقي منهم رهط عند رسول الله فأطالوا المكث، فقام رسول الله وخرج، وخرجت معه لكي يخرجوا، فمشى رسول الله ومشيت معه، حتى جاء عتبة حجرة عائشة زوج النبي، ثم ظن رسول الله أنهم قد خرجوا، فرجع ورجعت معه، حتى دخل على زينب، فإذا هم جلوس لم يقوموا، فرجع رسول الله ورجعت معه، فإذا هم قد خرجوا، فضررب بيني وبينه سترًا، وأنزل الحجاب.

وقال أنس: كُنْتُ أَدْخُلُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ بَعِيرٍ إِذْ، فَجِئْتُ يَوْمًا لَأَدْخُلَ فَقَالَ: مَكَانَكَ يَا بُنَيَّ، قَدْ حَدَثَ بَعْدُ أَنْ لَا يُدْخَلَ عَلَيْنَا إِلَّا بِإِذْنٍ.

ويلاحظ هنا أن عبارة غَيْرَ نَظْرِينَ إِنَاءً تطرح مشكلة فهم. وقد يكون هنا خطأ إملائي ويقترح ليكسنبيرج قراءة (غَيْرَ نَظْرِينَ إِنَاءً)، بدلاً من (غَيْرَ نَظْرِينَ إِنَاءً) (Luxenberg ص 246). ويبرر هذا التصحيح العبارة اللاحقة: وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعًا فَاسْأَلُوهُنَّ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ. وإن كانت العبارة صحيحة، فيفهمها المفسرون بمعنى غير ناظرين وقت نضجه وأكله. وقد فسر ها المنتخب: غير منتظرين وقت إدراكه.

سؤال نساء النبي من وراء حجاب

تطلب الآية من المؤمنين: وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعًا، فَسْأَلُوهُنَّ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ. ذَلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ.

ويربط المفسرون بين هذه الفقرة والفقرة السابقة ويقولون بأن النبي اسدل الحجاب بين الضيوف ونسائه. وهناك من يذكر أن محمد كان يطعم ومعه بعض أصحابه فأصابته يد رجل منهم يد عائشة وكانت معهم، فكره النبي ذلك، فنزلت آية الحجاب.

وهناك من يربط هذه الفقرة بعمر. وعن أنس قال: قَالَ عُمَرُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّهُ يَدْخُلُ عَلَيْكَ الْبَرُّ وَالْفَاجِرُ، فَلَوْ أَمَرْتَ أُمَّهَاتِ الْمُؤْمِنِينَ بِالْحِجَابِ، فَتَزَلَّتْ آيَةُ الْحِجَابِ. وعن عائشة قالت: كَانَ عُمَرُ يَقُولُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَحْجِبْ نِسَاءَكَ، فَلَمْ يَفْعَلْ حَتَّى نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ.

ويربط الطبري نزول هذه الآية بخروج نساء النبي للتبرز. عن عائشة قالت: إن أزواج النبي كنَّ يخرجن بالليل إذا تبرزن إلى المناسع وهو صعيد أفيح، وكان عمر يقول: يا رسول الله، احجب نساءك، فلم يكن رسول الله يفعل، فخرجت سودة بنت زمعة، زوج النبي، وكانت امرأة طويلة، فناداها عمر بصوته الأعلى: قد عرفناك يا سودة، حرصاً أن ينزل الحجاب، قال: فأنزل الله الحجاب.

منع نكاح زوجات النبي

تقول هذه الآية: وَمَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُؤْذُوا رَسُولَ اللَّهِ، وَلَا أَنْ تُنْكِحُوا زُجُجَهُ مِنْ بَعْدِهِ أَبَدًا. إِنَّ ذَلِكَ كَانَ، عِنْدَ اللَّهِ، عَظِيمًا.

أخرج ابن أبي حاتم عن السدي قال: بلغنا أن طلحة بن عبيد الله قال: أychبنا محمد عن بنات عمنا، ويتزوج نساءنا من بعدنا، لنن حدث به حدث لنتزوجن نساءه من بعده. فأخبر الله تعالى أن ذلك محرم، وقال: إن ذلكم أي: الإيذاء بالنكاح وغيره كان عند الله أي: القادر على كل شيء عظيماً أي: ذنباً عظيماً.

أسباب نزول الآية هـ 33\90: 59

تقول هذه الآية: يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ! قُلْ لِّأَزْوَاجِكُمْ، وَبَنَاتِكُمْ، وَنِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ، يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِنْ جَلْبِيبِهِنَّ. ذَلِكَ أَذْنَى أَنْ يُعْرِفْنَ، فَلَا يُؤْذِينَ. وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا، رَحِيمًا.

يذكر المفسرون أن المهاجرين قدموا المدينة ومعهم نسائهم، فنزلوا مع الأنصار في ديارهم فضاقت الدور عنهم، وكان النساء يخرجن بالليل إلى النخيل فيقضين حوائجهن، يعني البراز، فكان المريب يرصد النساء بالليل، فيأتيها فيعرض عليها ويغمرها، فإن هويت الجماع أعطاها أجرها، وقضى حاجته، وإن كانت عفيفة صاحت فتركها، وإنما كانوا يطلبون الولائد، فلم تعرف الأمة في الحرة بالليل، فذكر نساء المؤمنين ذلك لأزواجهن، وما يلقين بالليل من الزناة، فذكروا ذلك للنبي، فأنز الله عز وجل: يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ! قُلْ لِّأَزْوَاجِكُمْ وَبَنَاتِكُمْ وَنِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِنْ جَلْبِيبِهِنَّ يعني القناع فوق الخمار ذلك أَذْنَى يعني أجدر أن يُعْرِفْنَ في زيهن أنهن لسن بمربيات، وأنهن عفاف، فلا يطمع فيهن أحد فلا يُؤْذِينَ بالليل.

ولا يذكر المفسرون الشيعة قصة خروج النساء للتبرز ولكن أن النساء كنَّ يخرجن إلى المسجد ويصلين خلف رسول الله فإذا كان بالليل وخرجن إلى صلاة المغرب والعشاء الآخرة والغداة يقعد الشباب لهنَّ في طريقهنَّ فيؤذونهنَّ ويتعرضون لهنَّ فأنزل الله يا أَيُّهَا النَّبِيُّ الآية.

ويذكر أن الناس كانوا يمازحون الإمام ولا يمازحون الحرانز، وكان المنافقون يمازحون الحرانز، فإذا قيل لهم في ذلك، قالوا: حسينا أنهن إماء. فأمر الله الحرانز بهذا النوع من الستر قطعاً لأعداء المنافقين.

ويذكر المفسرون عن أم سلمة، زَوْجِ النَّبِيِّ قَالَتْ: لَمَّا نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِنْ جَلْبِيبِهِنَّ الْأَحْزَابِ: 59 خَرَجَ نِسَاءُ الْأَنْصَارِ كَأَنَّ عَلَى رُؤُوسِهِنَّ الْعُرْبَانُ مِنَ السَّكِينَةِ وَعَلَيْهِنَّ أَكْسِيَّةٌ سَوْدٌ يَلْبَسْنَهَا.

ويذكرون أن عمر كان يضرب الإمام ويقول: اكشفن رُؤُوسَكُنَّ وَلَا تَتَشَبَّهْنَ بِالْحَرَائِرِ. ومَرَّتْ جَارِيَةٌ بِعُمَرِ مُتَقَنَّةً، فَعَلَاهَا بِالِدَّرَةِ وَقَالَ: يَا لَكَأَغْ، أَتَتَشَبَّهِينَ بِالْحَرَائِرِ، أَلْقِي الْقَنَاعَ.

أسباب نزول الآية هـ 102\24: 31

يقول المفسرون أن هذه الآية والتي بعدها نزلت في أسماء بنت مرشد كان لها في بني حارثة نخل يسمى الوعل، فجعلت النساء يدخلنه غير متواريات، يظهرن ما على صدورهن وأرجلهن وأشعارهن، فقالت أسماء: ما أفيح هذا. فأنزل الله هذه الآية.

(2) معنى هذه الآيات

أ) تعاليم الهية أم تعاليم عمر؟

يشير كل المفسرين الذين يذكرون أسباب النزول إلى دور عمر في نزول آيات الحجاب. فقد كان يعرف عنه صرامته مع النساء إلى درجة اغاظة محمد وزوجاته وبناته. ويذكر الطبراني في هذا الخصوص أنه أمر نساء

النَّبِيِّ بِالْحَجَابِ، فَقَالَتْ رَبِّيبُ ابْنَةِ مُحَمَّدٍ: يَا ابْنَ الْخَطَّابِ إِنَّكَ لَتَغَارُ عَلَيْنَا وَالْوَحْيُ يَنْزِلُ فِي بُيُوتِنَا؟! وَفَقًّا للمصادر الإسلامية كان عمر سبب نزول بعض الآيات ومنها:

4/92: 65: فَلَا، وَرَبِّكَ! لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ، ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ، وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا

63\104: 6: سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ أَمْ لَمْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ. لَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ. إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ
5\112: 91: إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدُوَّةَ وَالْبَغْضَاءَ، فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ، وَيَصْنَدَكُمُ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلَاةِ. فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْتَهُونَ.

9\113: 84: وَلَا تُصَلِّ عَلَى أَحَدٍ مِّنْهُمْ مَاتَ أَبَدًا، وَلَا تَقُمْ عَلَى قَبْرِهِ. إِنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ، وَمَاتُوا وَهُمْ فَسِقُونَ

وعمر هو سبب الرجم في الشريعة الإسلامية. نقرأ في فتح الباري:

لما صدر عمر من الحج وقدم المدينة خطب الناس فقال: أيها الناس قد سنت لكم السنن وفرضت لكم الفرائض وتركتكم على الواضحة - ثم قال: إياكم أن تهلكوا عن آية الرجم أن يقول قاتل لا نجد حدين في كتاب الله، فقد رجم رسول الله ورجمنا، والذي نفسي بيده لولا أن يقول الناس زاد عمر في كتاب الله لكتبتهما بيدي: الشيخ والشيخة إذا زنيا فارجموهما البتة².

وهذه الآية التي اختفت من القرآن تنسخ آية الجلد 102\24: 2 التي تقول: الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي: فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ. وَلَا تَأْخُذْكُمْ بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ، إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ. وَلَيْشَهَدَ عَدَاؤُهُمَا طَائِفَةٌ مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ.

ورغم اقرارهم بأن هذه الآيات مرتبطة بعمر، فإن المسلمين يعتقدون بأنها أوامر الهيية، وما زالوا يرحمون على أساس هذه الآية التي اختفت من القرآن.

(ب) لبس الحجاب إجباري أم اختياري؟

ليس للأحكام الإسلامية نفس القوة. فاعتمادًا على مصادر الشريعة الإسلامية، يقسم الفقهاء الأحكام إلى خمس فئات:

(1) واجب أو فرض

وهو ما طلب المشرع فعله على وجه اللزوم، بحيث يائثم تاركه. ومن ينكر وجوبه يصبح كافرًا ومن يتركه كسلاً يعتبر فاسقاً. ويمكن ان نمثل عليه بما يلي:

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا! كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ. لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ! أَيَّامًا مَّعْدُودَاتٍ (2\183-184).

وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ، وَآتُوا الزَّكَاةَ (2\87: 43)

(2) مستحب، مندوب أو سنة

وهو ما طلب المشرع فعله طلباً غير لازم، يمدح فاعله ويجزى في الآخرة ولا يلام تاركه ولا يعاقب عليه. ومثال على ذلك:

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا! إِذَا تَدَايَنْتُمْ بِدِينٍ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى، فَاكْتُبُوهُ... وَإِنْ كُنْتُمْ عَلَى سَفَرٍ وَلَمْ تَجِدُوا كَاتِبًا، فَرِهْنِ مَّقْبُوضَةً. فَإِنْ أَصَابَكُمْ بَعْضُهَا، فَلْيُوفُوا بِذَلِكَ الَّذِي أَوْثَقْتُمْ بِأَمْنَتِهِ، وَلْيَتَّقِ اللَّهَ، رَبَّهُ (2\282-283).

(3) حرام أو محذور

وهو ما طلب المشرع الكف عن فعله على وجه الحتم واللزوم فيعاقب فاعله في الأرض وفي الآخرة. ومثال على ذلك:

حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتُكُمْ، وَبَنَاتُكُمْ، وَأَخَوَاتُكُمْ، وَعُمَّاتُكُمْ، وَخَالَاتُكُمْ، وَبَنَاتُ الْأَخِ، وَبَنَاتُ الْأَخْتِ، وَأُمَّهَاتُ الْأَخِي
أَرْضَعْتُمْ، وَأَخَوَاتُكُمْ مِّنَ الرُّضْعَةِ، وَأُمَّهُنَّ نِسَائِكُمْ (4\92: 23).

1 انظر هذه الفتوى حول الآيات التي نزلت تلبية لرغبة عمر: <http://goo.gl/UpMpCJ>

2 <https://goo.gl/XQovRU>

إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَى ظُلْمًا، إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا. وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا (هـ92\4:10).

(4) مكروه

وهو ما طلب المشرع الكف عنه طلباً غير ملزم بأن كان منهياً عنه واقتصر فقط النهي بما يدل على أنه لم يقصد به التحريم. فلا يعاقب فاعله ويمدح ويجازى فاعله. ومثال على ذلك:

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا! إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ، مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ، فَاسْعَوْا إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ، وَذَرُوا الْبَيْعَ. ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ. إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ (هـ110\62:9).

(5) مباح، حلال أو جائز

وهو ما خير الشارع المكلف فيه بين الفعل والترك، فلا عقاب على تاركه ولا جزاء لفاعله كالأكل والشرب واللهو البريء. ومثال على ذلك:

الْيَوْمَ، أَجَلٌ لَكُمْ الطَّيِّبُثَّ. وَطَعَامُ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَلٌّ لَكُمْ (هـ112\5:5).

ويدخل المفسرون والفقهاء والسلطات الدينية ارتداء الحجاب في حكم الواجب، بينما يدخله المعارضون في حكم المباح. ولكنهم غير متفقين على شكل الحجاب. وسوف نعود إلى ذلك لاحقاً.

(ج) من هو المقصود من آيات الحجاب؟

تقول الآية هـ90\33: 53: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا! لَا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ، إِلَّا أَنْ يُؤْذَنَ لَكُمْ إِلَى طَعَامٍ، غَيْرَ نَظَرِينَ إِنَّهُ ... وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعًا، فَسْأَلُوهُنَّ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ.

يلاحظ من هذه الآية انها تتضمن حكماً موجهاً للرجال وليس للنساء، وأنها تخص نساء النبي بالتحديد. وكلمة حجاب هنا تعني الستار الذي يفصل ما بين الرجال والنساء، وليس ما ترتديه النساء. وهذا ما يشدد عليه معارضو الحجاب. ولكن بعض مفسرين ومؤيدي الحجاب يقولون بأن هذا الحكم يشمل اللباس كما يشمل جميع النساء مستدلين بالعبارة ذَلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ. فالطهارة مطلوبة من كل امرأة.

وأما الآية هـ90\33: 59 فهي أكثر وضوحاً إذ تتكلم عن أزواج وبنات النبي ونساء المؤمنين، كما أن الآية هـ102\24: 31 تتكلم عن المؤمنات.. فكل امرأة بلغت المحيض ملزمة بوضع الحجاب. ومن لا تلتزم به بمحض إرادتها، يحق فرضه عليها من قِبَل من لهم سلطة عليها مثل الزوج والولي مستعملين العنف بناء على الآية هـ92\4:34:

الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ، وَبِمَا أَنْفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ. فَالصَّالِحَاتُ قَانِتَاتٌ، حَافِظَاتٌ لِّلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ اللَّهُ. وَالَّتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ، فَعِظُوهُنَّ، وَأَهْجُرُوهُنَّ فِي الْمَضَاجِعِ، وَأَصْرَبُوهُنَّ. فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ، فَلَا تَبْغُوا عَلَيْهِنَّ سَبِيلًا. إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيماً، كَبِيرًا.

فالمفسرون متفقون على أن نشوز المرأة يشير إلى رفضها إتمام واجباتها نحو زوجها ونحو الله مثل الصلاة والصوم ولبس الحجاب¹. وتقول فتوى²: والزواج مأمور بحفظ أهله وحجزهم عن الحرام، ولهذا ينبغي أن يسعى في إقناع زوجته بستر الوجه، فإن أبت ألزمها بالستر ووجب عليها طاعته؛ لأنه يأمرها بما هو مباح عندها، وله تعلق بحقه في أن يصاب عرضة ولا ترى حرمة. ويقول حديث: مروا أولادكم بالصلاة وهم أبناء سبع سنين واضربوهم عليها وهم أبناء عشر سنين³.

لا يل أن كل مسلم قد يرى أن من واجبه فرض الحجاب على النساء اعتماداً على الآية هـ89\3: 104: وَلَتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ، وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ، وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ. وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ، وعلى الحديث من رأى منكم منكراً فليغيره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه، وذلك أضعف الإيمان⁴.

ويقول الصابوني، وهو مفسر سوري ما زال حياً:

1 لمزيد من التفاصيل انظر كتابي بالفرنسية: 92/4:34 Frappez les femmes: interprétation du verset coranique à travers les siècles, notamment p. 20

2 <https://islamqa.info/ar/117894>

3 <https://goo.gl/k69I2I>

4 <https://goo.gl/a5LBOE>

الحجاب عبادة لما فيه من امتثال أمر الله عز وجل، فهو بالنسبة للمسلمة كفرية الصلاة والصيام، فإذا تركته المسلمة جحوداً فهي كافرة مرتدة عن الإسلام، وإذا تركته - تقليداً للمجتمع الفاسد - مع اعتقادها بفرضيته فهي عاصية مخالفة لتعاليم القرآن: وَلَا تَبْرَحْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى الْأَحْزَاب: 33. ... يطلب من المسلم أن يعود بناته منذ سن العاشرة على ارتداء الحجاب الشرعي حتى لا يصعب عليهن بعد ارتداده، وإن لم يكن الأمر على وجه التكليف وإنما هو على وجه التأديب قياساً على أمر الصلاة مروا أولادكم بالصلاة وهم أبناء سبع، واضربوهم عليها وهم أبناء عشر، وفرقوا بينهم في المضاجع¹.

ويفرض القانون الإيراني الحجاب على جميع النساء الإيرانيات، لكن أغلبهن يلتزم فقط بارتداء غطاء رأس قصير يظهر الوجه والرقبة ويغطي الشعر جزئياً، بينما ترتدي الفتيات والمراهقات ملابس ضيقة وأكثر تحرراً من الشادور أو المعطف الطويل الفضفاض، الأمر الذي يثير غضب المتشددین الذين يعتبرون هذا الأمر غزواً ثقافياً غربياً ينتهك التقاليد والأعراف. وذكرت وكالة أنباء إيسنا الطلابية عن المتحدث باسم الحكومة محمد باقر نوبخت قوله، إن الدوائر الحكومية بدأت بتنفيذ قرار الحكومة منع ارتداء بنطلون الجينز بالنسبة للرجال والنساء، مشيراً إلى أن من يخالف هذا القرار سوف يغرم مبلغ 100 دولار في كل مرة. ويمنع المنشور ارتداء ملابس ضيقة لكلا الجنسين، من شأنها أن تظهر تفاصيل الجسم، ويوصي بارتداء الطلاب لملابس فضفاضة لا تخط بالأرض. وقدم عدد من أعضاء البرلمان التابعين للرئيس الإيراني المحافظ السابق محمود أحمدی نجاد، نهاية العام الماضي مقترح لرئاسة البرلمان يقضي بخصم رواتب الموظفين غير الملتزمات بالحجاب وفق الشريعة الإسلامية. ودعا رجل الدين الإيراني المتشدد خطيب جمعة مدينة مشهد شمال شرقي إيران وعضو مجلس خبراء القيادة، أحمد علم الهدی، إلى قطع رؤوس النساء غير المحجبات وليس فقط قص شعورهن².

وقد رأينا في المقدمة بأن مرشد الإخوان المسلمين طالب الرئيس جمال عبد الناصر فرض الحجاب على كل النساء ولكن هذا الأخير رفض طلبه.

(د) اختلاف الأحكام وفقاً للجنس

لكل ثقافة أحكامها فيما يخص الحشمة. وهذه الأحكام لا تخضع النساء والرجال لنفس القواعد، إلا أن الفروقات بينهما تتجه نحو التقارب. وفي بعض الثقافات، خاصة الاستوائية، يسير الرجال والنساء عراة أو شبه عراة. وفي غيرها من الثقافات يرتدي كل من الرجال والنساء غطاءً للرأس يحميهم من الشمس والرمال. وهناك ثقافات تفرض على النساء تغطية كل أجسامهن من أعلى الرأس إلى أخمص القدم، بينما الرجال يسرون بملابس لا تغطي إلا أجسادهم. وسوف نرى هنا ما هي القواعد التي يتضمنها القرآن والسنة وكتابات الفقهاء فيما يخص الرجال والنساء.

وبداية نضع في عمودين متوازيين الآيتين هـ/102: 24 و هـ/102: 24، 31، الأولى تخص الرجال والثانية تخص النساء، حتى بيان الفرق بين مضمونهما:

هـ/102: 24، 31 قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّونَ مِنْ أَبْصَرِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ. ذَلِكَ أَرَاكَ لَهُمْ. إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ.

هـ/102: 24، 31 قُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَرِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ، وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ، إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا. وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَى خُيُوبِهِنَّ. وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ، أَوْ آبَائِهِنَّ، أَوْ أَبْنَائِهِنَّ، أَوْ إِخْوَانِهِنَّ، أَوْ بَنِي إِخْوَانِهِنَّ، أَوْ نِسَائِهِنَّ، أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ، أَوِ التَّابِعِينَ غَيْرِ أُولِي الْإِرْبَةِ مِنَ الرِّجَالِ، أَوِ الطِّفْلِ الَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا عَلَى عَوْرَتِ النِّسَاءِ. وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِنْ زِينَتِهِنَّ. وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا، أَيُّهُ الْمُؤْمِنُونَ! لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ!

¹ <http://goo.gl/a9yA80>

² <https://goo.gl/MOGOe1>

ويسمي الفقهاء المسلمون الجزء الذي لا يحق كشفه بالعورة. وقد جاء ذكر لهذه الكلمة مرتين في القرآن بصيغة الجمع (في الأيتين 102\24: 31 و58) ومرتين بصيغة المفرد (90\33: 13). ويستعمل القرآن كلمة سوء في ست آيات (7\39: 20 و22 و26-27 و45\20: 121 و112\5: 31). وكما يلاحظ من الأيتين المذكورتين فإن النساء يخضعن لأحكام أكثر صرامة مقارنة بأحكام الرجال. كما يلاحظ اتجاه نحو التزمت في المجتمع العربي والإسلامي. ولكن هناك اختلافات أخرى سوف نتكلم عنها في النقاط التالية.

هـ) الاختلاف بين المرأة الحرة والأمة

كما هو الأمر مع كل الثقافات القديمة، اقر الإسلام بوجود الرقيق من الجنسين، يباعون ويشترى بالأسواق كالبهائم. والنساء بين الرقيق يطلق عليهن الإماء، وهو جمع أمة. ويرى المفسرون أن للمرأة الحرة أحكام تختلف عن أحكام الأمة التي يطلق عليها القرآن لقب ما ملكت أيمانكم، وهذه العبارة وما يشابهها من عبارات جاءت 15 مرة في القرآن. ويلاحظ هنا أن القرآن يستعمل ضمير غير العاقل ما بدلا من من، معتبرا أن هذه الفئة من الناس تحسب في عداد الأشياء التي تباع وتشترى كالبهائم ويمكن استعمالها لممارسة الجنس خارج العدد المسموح به من النساء. وهذا ما قامت به داعش مع النساء اليزيديات. ونشير هنا إلى أن القرآن يسمح للمسلمين بممارسة الجنس مع السبايا حتى المتزوجات منهن كما تقول الآيتان هـ 492: 23-24، باتفاق المفسرين¹:

حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ ... وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ النِّسَاءِ، إِلَّا مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ. كَتَبَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ. وَأَجَلَ لَكُمْ مَا وَرَاءَ ذَلِكَ، أَنْ تَبْتَغُوا بِأَمْوَالِكُمْ، مُحْصِنِينَ غَيْرَ مُسْفَحِينَ. فَمَا اسْتَمْتَعْتُمْ بِهِ مِنْهُنَّ، فَاتَوْهُنَّ أَجُورَهُنَّ، فَرِيضَةً. وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا تَرْضَيْنَهُنَّ، مِنْ بَعْدِ الْفَرِيضَةِ. إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا، حَكِيمًا.

وقد فرق المفسرون بين المرأة الحرة والأمة في الملبس حتى تعرف الحرة من الأمة. فعورة الأمة من السرة إلى الركبة. ويذكرون أن عمر كان يضرب الإماء التي كانت تتحجب، وهو من نزلت آيات الحجاب بسببه. وذكر عن أنس بن مالك قوله: كُنْ جَوَارِي عَمْرٍ يَخْدُمُنَا كَاشِفَاتِ رُؤُوسِهِنَّ تَضْطَرِبُ ثِيَابُهُنَّ. وهناك رسومات وصور من القرن الماضي لإماء تباع في الأسواق عاريات مثل البهائم.

ويذكر استاذ سعودي معاصر بخصوص الأمة:

الأمة إذا كانت جميلة فإنه يخشى منها الفتنة فوجب ستر الفتنة، والغالب أن الإماء لا تفتن، ولهذا جاء في بعض الآثار: أن إحدى الإماء لما سترت وجهها، ضربها عمر وقال: تنتشبهين بالحران؟! والمعروف أن الأمة تباع وتشترى وينظر إليها سيدها ليشتريها، ولكن إذا خيف الفتنة وجب سترها دفعا للفتنة، وإلا فالأصل أنها ليست كالحرّة؛ لأن الحرّة لها شأن، وهذه كالممتاع تباع وتشترى والحرّة لها أحكام الخاصة. والدليل من السنة أن النبي لم يكن يأمر الأمة بالحجاب؛ لأنها تباع وتشترى. وبعض الناس اليوم يجعل الخادمت مثل الإماء، وليس كذلك؛ لأن الخادمت الآن حرائر، ولا يجوز للإنسان أن يخلو بها، ولا يجوز لها أن تكشف أمامه، والإماء إنما يوجدن إذا كان هناك عبيد، ووجودهن يدل على قوة الإسلام، فإذا وجد الجهاد في سبيل الله وجاهدنا الكفار، وغنمنا نساءهم وأموالهم فقد صارت نساءهم إماء لنا، ورجالهم أرقاء، ثم يتناسلون، ويكون أولادهم أرقاء، لكن الآن لا يوجد جهاد².

وقد حاولت فتوى بتاريخ 3 نوفمبر 2008 التخفيف من هذه الأحكام التي تمتهن الإماء. فهي تقول: ولما كانت الإماء تكثرُ إليهن الحاجة في الاستخدام وأمور المهنة، وكُنَّ مبتذلاتٍ بكثرة الذهاب والمجيء، وكان فرضُ الحجاب عليهن مما يشقُّ مشقةً بالغة، كان من رحمة الله بعباده أنه لم يفرض عليهن الحجاب كما فرضه على الحران³. ونجد مثل هذا القول في تفسير الصابوني وطنطاوي وهما يريان الأخذ بقول أبو حيان الذي يفرض الجلباب على الحرّة والأمة على السواء، خاصة أن هذه الأخيرة أكثر سبب للفتنة لأن الحرّة يجب أن تبقى في البيت وفقاً للآية هـ 33: 33: وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ، وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ. وهما يريان أن هذا أولى بالقبول من غيره، لتمشيه مع شريعة الإسلام التي تدعو جميع النساء إلى التستر والعفاف (وفقاً لطنطاوي) وبحق غرض الإسلام في التستر والصيانة (وفقاً للصابوني).

1 أنظر في هذا الخصوص تفسير الأثر <http://goo.gl/lhYZDX>

2 <https://goo.gl/vTgKNZ>

3 <https://goo.gl/kdS9cn>

(و) ماذا يجب تغطيته وأمام من؟

لا يتضمن القرآن جواباً واضحاً على هذا السؤال. وقد سئل القرضاوي حول موقفه من الحجاب والنقاب، فأجاب: سيظل الاختلاف قائماً ما دامت النصوص نفسها التي تستنبط منها الأحكام قابلة للاختلاف في ثبوتها ودلائلها، وما دامت أفهام البشر متفاوتة في القدرة على الاستنباط، ومدى الأخذ بظاهر النص، أو بفحواه، بالرخصة أو بالعزيمة. بالأحوط أم بالأيسر. والقرضاوي يرى أنه أفضل للمسلمة المشتغلة بالدعوة: ألا تنتقّب؛ حتى لا تضع حاجزاً بينها وبين سائر المسلمين، ومصلحة الدعوة هنا أهم من الأخذ بما تراه أحوطاً.

والواضح أن هناك تقسيم للأفراد إلى فئات تخضع كل منها إلى قواعد مختلفة فيما يخص الجزء الذي يمكن كشفه (العورة) وفقاً لدرجة القرابة والنسب. وقد تمت صياغة هذه الأحكام بناء على آيات قرآنية وأحاديث تم تفصيلها في فتاوى معاصرة. وسوف نتكلم عن أهم هذه الفئات.

تحديد العورة بين الزوجين

تقول الآية هـ 102/24: 31:

وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَعْضَضْنَ مَنْ أَبْصَرْنَ هُنَّ، وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ، وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ، إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا. وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَى خُبُوبِهِنَّ. وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ، أَوْ آبَائِهِنَّ، أَوْ أَبْنَائِهِنَّ، أَوْ أَبْنَاءَ بُعُولَتِهِنَّ، أَوْ إِخْوَانِهِنَّ، أَوْ بَنِي إِخْوَانِهِنَّ، أَوْ نِسَائِهِنَّ، أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ، أَوْ التَّبَاعِينَ غَيْرِ أُولِي الْإِرْبَةِ مِنَ الرِّجَالِ، أَوِ الطِّفْلِ الَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا عَلَى عَوْرَتِ النِّسَاءِ. وَلَا يَضْرِبْنَ بَأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِنْ زِينَتِهِنَّ. وَتَوْبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا، أَيُّهُ الْمُؤْمِنُونَ! لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ!

تجمع هذه الآية بين الأزواج والآباء وغيرهم كأن هؤلاء يخضعون لنفس القاعدة. ولكن من الواضح أن ما يمكن كشفه بين الزوجين يختلف عما يمكن كشفه أمام غيرهما. وهذا ما تنبّه له المفسرون. ويشيرون عامة إلى أن للزوجين أن يكشفوا عن كل جسمهما بينهما، بما فيه أعضائهما الجنسية. ولكن هناك أحاديث نبوية وأقوال بعض الصحابة متناقضة تذكرها فتاوى حديثة في هذا الخصوص:

إذا جامع أحدكم زوجته أو جاريته فلا ينظر إلى فرجها، فإن ذلك يورث العمی

إذا أتى أحدكم أهله فليستتر، ولا يتجرّدا تجرد العیرین

إذا أتى أحدكم أهله فليستتر، فإنه إذا لم يستتر استحيت الملائكة فخرجت، فإذا كان بينهما ولد كان للشيطان فيه نصيب

إذا أتى أحدكم أهله فليستتر عليه وعلى أهله، ولا يتعريان تعري الحمير

إياكم والتعري، فإن معكم من لا يفارقكم، إلا عند الغائط، وحين يفضي الرجل إلى أهله، فاستحيوهم وأكروهم

قول عائشة: لم ير رسول الله مني، ولم أر منه.

ولكن هذه الفتاوى تصنيف: أنه لم يصح حديث في النهي عن التعري والتجرد من الثياب حال جماع الزوجين، وأن الأصل هو الحل، وقد ثبت ما يؤيد هذا الأصل وأن الزواج شرع للتحصين والمتعة، فإذا منع الزوج أو الزوجة من النظر إلى العورة، فكيف تحصل المتعة والتحصين. وكان ابن عمر يقول: الأولى أن ينظر ليكون أبلغ في تحصيل معنى اللذة. وهناك حديث مخالف يقول: احفظ عورتك إلا من زوجتك، أو ما ملكت يمينك. والقرآن يقول: وَالَّذِينَ هُمْ لِأَفْوَاجِهِمْ حَفَظُونَ، إِلَّا عَلَىٰ أَزْوَاجِهِمْ، أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ، فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ (23/74: 5-6).

وغم ضعف هذه الأحاديث، فما زال بعض الشيوخ يفتون بمنع تعري المرأة أمام زوجها. فقد جاء في خبر من العربية ما يلي:

جدل كبير بشأن فتوى تبطل الزواج إذا تجرد الزوجان كلياً من الملابس

1 <http://fatwa.islamonline.net/216>

2 أنظر هذه الفتاوى <https://goo.gl/MJ9Iz5> و <https://goo.gl/0si5tU>

هـ٩٠\٣٣: ٥٥ - لَا جُنَاحَ عَلَيْهِنَّ

هـ١٠٢\٢٤: ٣١ - وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ ... وَلَا يَبْدِينَ زِينَتَهُنَّ

إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ

أَوْ آبَائِهِنَّ

أَوْ آبَاءَ بُعُولَتِهِنَّ

أَوْ أَبْنَائِهِنَّ

أَوْ أَبْنَاءَ بُعُولَتِهِنَّ

أَوْ إِخْوَانَهُنَّ

أَوْ بَنِي إِخْوَانَهُنَّ

أَوْ بَنِي أَخَوَاتِهِنَّ

أَوْ نِسَائِهِنَّ

أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ

أَوْ اللَّتَّاعِينَ غَيْرِ أُولِي الْأَرْبَةِ مِنَ الرِّجَالِ

أَوْ الطِّفْلَ الَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا عَلَى عَوْرَتِ النِّسَاءِ

فِي عَابَاتِهِنَّ

وَلَا أَبْنَائِهِنَّ

وَلَا إِخْوَانَهُنَّ

وَلَا أَبْنَاءَ إِخْوَانَهُنَّ

وَلَا أَبْنَاءَ أَخَوَاتِهِنَّ

وَلَا نِسَائِهِنَّ

وَلَا مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ

وكما ذكرنا سابقاً، صياغة الآية هـ١٠٢\٢٤: ٣١ معيبة. فبإضافتها زوج المرأة إلى غيره من الأشخاص توحى بأن هؤلاء لهم الحق في رؤية ما يمكن أن يراه الزوج من المرأة. مما اضطر المفسرون بتصحيح هذا الخطأ محددين بأن الأب لا يمكنه أن ينظر من بنته إلا إلى يديها واذنيها مع القرب وذراعيها وخلاخل رجليها. وهذه الأمور لا يمكن أن يري بعضها من هو ليس بمحرم. ويضيفون بأن هذه الآية لا تذكر أحوال المرأة واعمائها إما اختصاراً أو لأن أبنائهم يمكنهم أن يتزوجوا منها وهناك تخوف أن يوصفوا المرأة لهم أو يشتهوها فتصبح محرمة عليهم إذ إنه محرم على الأبناء الزواج من امرأة دخل فيها والدهم.

تحديد العورة بين المرأة والغريب

الأحكام الأكثر صرامة تخص علاقة المرأة بالغريب الذي لا صلة قرابة لها به. تقول الآية هـ٩٠\٣٣: ٥٣: وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعًا، فَسَلُّوهُنَّ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ. وكما ذكرنا سابقاً فإن كلمة حجاب تشير إلى الستار، حتى وإن قام بعض المفسرين بمعنى الغطاء الضي تلبسه المرأة على رأسها. وتقول الآية هـ٩٠\٣٣: ٥٩: يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ! قُلْ لَأَزْوَجِكَ، وَبَنَاتِكَ، وَنِسَاءَ الْمُؤْمِنِينَ، يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِنْ جَلِيبِهِنَّ. وتقول الآية هـ١٠٢\٢٤: ٣١: وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَرِهِنَّ، وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ، وَلَا يَبْدِينَ زِينَتَهُنَّ، إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا. وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَى خُيُوبِهِنَّ. ... وَلَا يَضْرِبْنَ بَأَرْجُلِهِنَّ، لِيُعْلَمَ مَا يَخْفَى مِنْ زِينَتِهِنَّ. وقد اختلف المفسرون بفهم عبارة وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَى خُيُوبِهِنَّ. يذكر الطبري:

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد: يا أيها النبي قل لأزواجك وبناتك ونساء المؤمنين، لا يتشبهن بالأماء في لباسهن إذا هن خرجن من بيوتهن لحاجتهن، فكشفن شعورهن ووجوههن، ولكن ليدنين عليهن من جلابيبهن، لنلا يعرض لهن فاسق، إذا علم أنهم حرائر بأذى من قول. ثم اختلف أهل التأويل في صفة الإدناء الذي أمرهن الله به، فقال بعضهم: هو أن يغطين وجوههن ورؤوسهن، فلا يبدين منهن إلا عينا واحدة.

والهدف من إبداء عين هو التعرف على الطريق. ونجد فكرة اظهار عين واحدة عند كثير من المفسرين القدامى والمعاصرين. ولكن عبد القادر الجزائري يقول: وجوب تغطية المؤمنة وجهها إذا خرجت لحاجتها إلا ما كان من عين ترى بها الطريق، واليوم بوجود الأقمشة الرقيقة لا حاجة إلى إبداء العين إذ تسبل قماشاً على وجهها فيستر وجهها وترى معه الطريق واضحاً والحمد لله.

ويرى الأستاذ الأزهرى سعد الدين الهلالي بأن هناك ثلاثة مواقف عند الفقهاء المسلمين القدامى:

- 75 إلى 80% من الفقهاء يقولون بأن النقاب عادة وليس عبادة. ومن ترتدي النقاب تفعله التي تريد ذلك. وعند تيار الأغلبية هذا لا يفرض الإسلام إلا لبس الحجاب الذي يظهر الوجه والكفين.
- 12 إلى 15% من الفقهاء يقولون بأن النقاب واجب ديني.
- 5 إلى 7% من الفقهاء يعتبرون أن النقاب مكروه والمرأة التي تلبس النقاب أتت بشيء مكروه يكرهه الإسلام. ومن ترتدي النقاب فقد تزيد في دينها عن غيرها وتشدت، وليس في الإسلام تشدد. وهذه وجهة نظر المالكية¹.

وتقول الأستاذة الأزهرية والبرلمانية آمنة نصير بأن النقاب عادة يهودية، معتمدة على التوراة والتلمود وموسى بن ميمون، وتعتبره مخالفة للإسلام لأن فيه الريبة وتهديد للأمن. لأن كانت المرأة حرة في ارتداء النقاب، فالشخص الآخر له أيضاً الحق في التعرف على مع من يتعامل. وتؤيد ذلك الدكتورة نوال السعداوي مضيفة بأنه كمل لا يحق للمرأة السير عارية بحجة الحرية الفردية، فإنه لا يحق لها التذرع بالحرية الفردية لكي تغطي وجهها أمام المخاطب. وهي تشدد على مبدأ المساواة بين الرجال والنساء في مجال الثياب، بما في ذلك الحجاب. فالرجال لا يلبسون الحجاب ويفرضونه على النساء التي تمثل العنصر الأضعف في المجتمع. وكل من السيدتين المذكورتين ترى في النقاب شعاراً سياسياً وسيلة للتخفي لارتكاب الجرائم والرذائل. وتشير هنا إلى أن فتوى أعلى سلطة دينية إسلامية والتي نقلها كاملة لاحقاً لا تتعرض لهذه النقطة، ربما لكي لا تغيظ دول الخليج حيث يسيطر النقاب.

هذا ويتفق المفسرون بأن الآية هـ 24\102: 31 نزلت بخصوص خروج المرأة للتبرز في الخلاء، ولكنهم يعتقدون أنها تنطبق على خروج المرأة لأي سبب كان. أما المعارضون فيرون أن وجود مراحيض في البيوت ابطال مفعول هذه الآية.

ومن جهة أخرى هناك من يرى أن المرأة كلها عورة معتمدين على الحديث: إن المرأة عورة فإذا خرجت استشرفها الشيطان وأقرب ما تكون من وجه ربها وهي في قعر بيتها².

ومن يسمحون للمرأة اظهار وجهها وكفيها يفرضون على الرجل أن لا ينظر لها بشهوة، معتمدين على الحديث: أول نظرة لك والثانية عليك، مما يعني أنك إذا نظرت لها مرة ثانية فإنك قد اشتبهت بها. ولكنهم يضيفون: وأفضل لها أن تستر وجهها ويديها عن الرجال ليس لأن ذلك حرام وإلها معصية، ولكن لما يخاف في ذلك من حدوث الشهوة، ووقوع الفتنة بها، فإذا لم يكن للنظر في ذلك شهوة بأن كان شيئاً كبيراً، أو كانت المرأة دميمة، أو عجوزاً فإنه لا يحظر النظر إلى وجوه أمثالهن، ولا ينظر إلى ما سوى ذلك (نقلا عن تفسير المتردي). ويشار هنا إلى أن محمد يسمح لمن يتزوج امرأة أن ينظر إلى وجهها³.

ويطرح المفسرون موضوع صوت المرأة الذي يعتبره البعض عورة أو يضعون الشروط الصارمة بخصوصه. يقول الرازي: وفي صوتها وجهان أحدهما أنه ليس بعورة، لأن نساء النبي كن يروين الأخبار للرجال ويضيف مفسراً عبارة الآية هـ 24\102: 31: وَلَا يَضْرِبَنَّ بِالْأُظْهُنَّ، لِيُعْلَمَ مَا يُخْفَيْنَ مِنْ زِينَتِهِنَّ: فقال ابن عباس وقتادة كانت المرأة تمر بالناس وتضرب برجلها ليسمع قعقة خلخالها، ومعلوم أن الرجل الذي يغلب عليه شهوة النساء إذا سمع صوت الخلخال يصير ذلك داعية له زائدة في مشاهدتهن، وقد علل تعالى ذلك بأن قال: لِيُعْلَمَ مَا يُخْفَيْنَ مِنْ زِينَتِهِنَّ فنبه به على أن الذي لأجله نهى عنه أن يعلم زينتهن من الحلى وغيره وفي الآية فوائد: الفائدة الأولى: لما نهى عن استماع الصوت الدال على وجود الزينة فلأن يدل على المنع من إظهار الزينة أولى الثانية: أن المرأة منهية عن رفع صوتها بالكلام بحيث يسمع ذلك الأجانب إذ كان صوتها أقرب إلى الفتنة من صوت خلخالها، ولذلك كرهوا أذان النساء لأنه يحتاج فيه إلى رفع الصوت والمرأة منهية عن ذلك.

وتقول فتوى:

صوت المرأة ليس بعورة لقوله تعالى: (وإذا سألتهم متاعاً فاسألوهن من وراء حجاب). [الأحزاب: 53]، فلم يأت النهي عن الحديث وإنما جاء الأمر بعدم الخضوع بالقول وهو ترخيم الصوت وترقيقه، قال تعالى: (فلا تخضعن بالقول فيطمع الذي في قلبه مرض وقلن قولاً معروفاً). [الأحزاب: 32]. وإن

1 أنظر هذا الشريط بداية من الدقيقة 33 <https://goo.gl/VugQko>

2 أنظر حول هذا الحديث <https://goo.gl/D6cx17>

3 أنظر هذه الفتوى مع الأحاديث <https://islamqa.info/ar/2198>

كان صوت المرأة يتلذذ به السامع أو يخاف على نفسه الفتنة فحرام عليه استماعه، وإن كان غير ذلك فلا يحرم، لأنه ليس بعورة¹!

وتقول فتوى أخرى:

لا بأس للمرأة أن تخاطب الرجال فيما تدعو الحاجة إليه بكلام طبيعي ليس فيه فتنة ولا ريبة كالتسوق والخصومة والشهادة والاستفتاء والتشكي وغير ذلك.

وقد نهى الله المرأة عن الخضوع في القول فقال سبحانه (يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِنَ النِّسَاءِ إِنَّ اتَّقِيْنَ فَلَ تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلًا مَعْرُوفًا) فيحرم على المرأة أن تلين كلامها وترققه وتمططه مما يكون فيه فتنة للرجل أو يدعو إلى الريبة بها، وعلى هذه الصفة يكون صوت المرأة عورة.

وينبغي على المرأة إذا تكلمت مع الرجال الأجانب أن يكون حديثها على قدر الحاجة وأن لا تخوض في التفاصيل أو تتكلم في الأمور الجانبية إلا إذا تطلب الأمر ذلك.

والحاصل أن لصوت المرأة الجائز ضوابط:

(1) أن يكون فيما تدعو الحاجة إليه وعلى قدر الحاجة.

(2) أن يخلو من الخضوع في القول.

(3) أن لا يكون فيه فتنة ولا ريبة تؤدي إلى الفساد.

ولهذا نهى الإمام أحمد عن إلقاء السلام على المرأة الشابة ورخص في المرأة الكبيرة.

والقول أن صوت المرأة ليس بعورة لا يعني بحال تساهل النساء في مخاطبة الرجال وتوسعهن بلا ضوابط، بل الواجب عليهن التزام الشرع والتقيّد بقيوده.

وقد فرط كثير من النساء في هذا العصر فصرن يتحدثن مع الرجال الأجانب كما يتحدثن مع محارمهن من خضوع في القول وإطالة في الكلام وإخبار بالأمور الخاصة وضحك ونحوه، وإذا أنكر على إحداهن قالت صوت المرأة ليس بعورة وهذه مغالطة كبيرة وتتصل عن الشرع ومخالفة لحكمه ولا يسوغ ذلك للمرأة نشأتها في مجتمع منفتح ومتساهل والله يوفق من كان صادقا ومعظما لشرعه.

وكذلك عمل المرأة في مجال الإعلام وتقديم البرامج الإذاعية والتلفزيونية لا يجوز لها المشاركة في ذلك لأن هذه المهنة تتطلب تحسين الصوت وترقيق الكلام وإظهار الابتسامة وغير ذلك من المفاصل كالترج والاختلاط من الأمور التي لا يقرها الشرع وتباه الفطر السليمة ولا يلتفت إلى من شذ ورخص في ذلك من المتساهلين في الفتوى.

وقد حرص الشارع الحكيم على ستر صوت المرأة وإخفاءه في كثير من الأحوال، فأباح لها التصفيق فقط في الصلاة لتنبيه الإمام على خطأه، وأسقط عنها الأذان والإقامة، وأمرها بالإسراع بالتلبية في المناسك، ومنعها من الإمامة بالرجال في الصلاة، وجعل الولاية والرئاسة الكبرى من خصائص الرجل لا تليها المرأة، وغير ذلك مما يدل على أن الأصل في المرأة أن تخفي صوتها وتستتره عن الرجال إلا إذا كانت المصلحة راجحة في إظهاره².

ويمنع طنطاوي مصافحة الرجال الغرباء للنساء: لا يجوز للرجل الأجنبي أن يصافح امرأة أجنبية عنه. ولا يجوز له أن يمس شيء من بدنه شيئا من بدنها. والدليل على ذلك أن النبي قال: إني لا أصافح النساء والله - تعالى - يقول: لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ. فيلزمنا أن لا نصافح النساء الأجنبية اقتداء به (تفسير طنطاوي).

وهناك حديث نبوي يقول: لا يحل لامرأة تؤمن بالله واليوم الآخر أن تبيت في مكان تسمع فيه نفس رجل ليس بمحرم، ولا يحل لأمري يؤمن بالله واليوم الآخر أن يبيت في مكان يسمع فيه نفس امرأة ليست له بمحرم (ذكره تفسير المتردي).

ما معنى عبارة: وليضربن بِخُمْرِهِنَّ على جُيُوبِهِنَّ؟

¹ <https://goo.gl/Ihk7Sh> أنظر أيضا <https://goo.gl/ejrUZf>

² <https://goo.gl/5km23n>

نجد الكلمة الجيب بالمفرد بخصوص يوسف في الآيتين 27\48: 12: وأدخل يدك في جيبك، تَخْرُجَ بَيْضَاءَ و 28\49: 32: أَتَلَّكَ يَدُكَ فِي جَيْبِكَ، تَخْرُجَ بَيْضَاءَ. وتذكر الآية 12\53: 10 أن اخوة يوسف رموه في الجب: قَالَ قَائِلٌ مِنْهُمْ: لَا تَقْتُلُوا يُوسُفَ، وَالْقُوَّةَ فِي غَيْبَتِ الْجَبِّ. من جهة أخرى تقول الآية 66\107: 12: وَمَرْيَمَ، ابْنَتَ عِمْرَانَ، الَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا. فَنَفَخْنَا فِيهِ مِنْ رُوحِنَا، وَلَكِنْ قَرَأَةً مُخْتَلَفَةً تقول: وَمَرْيَمَ، ابْنَتَ عِمْرَانَ، الَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا. فَنَفَخْنَا فِي جَيْبِهَا مِنْ رُوحِنَا. فتكون كلمة جيب بمعنى الفرج. فيكون معنى الآية وَلْيَضْرِبَنَّ بِخُمْرِهِنَّ عَلَى فُرُوجِهِنَّ. ويمكن تبرير هذا المعنى أسباب نزول الآية المرتبط بخروج النساء للتبرز في الخلاء، أو لأن النساء لم تكن تلبس ملابس داخلية، علما بأن النساء كانت تطوف حول الكعبة عاريات ويحكن فروجهن بالحجر الأسود. وقد فسر المفسرون كلمة جيوب بمعنى الصدر أو النحر أو فتحة الثوب التي تدخل المرأة رأسها منه ويظهر منه الصدر أو النحر. مما يعني أن على المرأة تغطية الثديين، وبصورة أولى الفرج.

ماذا تعني عبارة: وَلَا يُبَيِّنُ زِينَتَهُنَّ، إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا؟

يقول بعض المفسرين بأن على المرأة أن تخفي كل شيء إلا الوجه، أو الخدود واليدين والعينين والمعصم. ويذكرون حديثاً لمحمد يقول فيه لأسماء بنت أبي بكر: إذا بلغت المرأة المحيض لا يظهر منها إلا هذا وهذا، وأشار إلى كفيه ووجهه. وهو ما يناقض ما قلناه سابقاً بتغطية الوجه عدى عينا واحدة. ومنهم من يقول بأنه لا يحق للمرأة أن تظهر إلا الثياب، اعتماداً على الآية 7\39: 31: يَا بَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ. فقد فهمت كلمة زينتك بمعنى الثياب. وهناك من فرق بين نوعين من الزينة:

- الزينة الظاهرة: وتتضمن الثياب، الكحل والخاتم، ويضيف إليها البعض الوجه والكفين. وهذه يمكن رويتها من الغريب الذي لا علاقة قرابة له مع المرأة.
- الزينة الباطنة: وتتضمن موضع القرطين والقلاند والسوارين والخلخالين.

هذا ويمنع القرآن التبرج أمام الغريب بناء على الآيتين:

33\90: 33 - وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ، وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى. وَأَقِمْنَ الصَّلَاةَ، وَءَاتِينَ الزَّكَاةَ، وَأَطِعْنَ اللَّهَ، وَرَسُولَهُ. إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ! وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا.

24\102: 60 - وَالْقَوَاعِدُ مِنَ النِّسَاءِ الَّتِي لَا يَرْجُونَ نِكَاحًا، فَلَيْسَ عَلَيْهِنَّ جُنَاحٌ أَنْ يَضَعْنَ ثِيَابَهُنَّ، غَيْرَ مُتَبَرِّجَاتٍ بِزِينَةٍ. وَأَنْ يَسْتَغْفِنَ خَيْرٌ لَّهُنَّ. وَاللَّهُ سَمِيعٌ، عَلِيمٌ.

والآية الأولى تخص نساء محمد، والثانية تخص القواعد، أي اللاتي وصلن سن اليأس. إلا أن المفسرين يرون أن حكم منع التبرج عام على جميع النساء.

ويتبع هذا المنع حكم الآية 24\192: 31 التي تقول: وَلَا يَضْرِبَنَّ بِأَرْجُلِهِنَّ، لِيُعْلَمَ مَا يَخْفَيْنَ مِنْ زِينَتِهِنَّ. وهذا يشير إلى الخلخال الذي تضعه المرأة في رجلها ويسمع صوته إذا حركتها.

وواجب تغطية الرأس يؤدي إلى تصرفات غريبة. فاحدى معارفي تقول لي بأن المرأة المسلمة تخون زوجها مع عشيقها ولكنها تحرص على إبقاء حجابها على رأسها. وتحكي وفاء سلطان هذه القصة:

كنا نعيش في بناية يقطنها عدة عائلات. وكنت في أحد الأيام راجعة مع زوجي في ساعة متأخرة إلى البيت. وإذ بنا نتفاجأ بجارتنا المحببة وهي خارج البيت لتلقي بكيس القمامة. لم تكن لحظتها محببة إذ لم تكن تتوقع رؤية رجل في هذه الساعة المتأخرة من الليل. فما كان منها إلا أن رفعت ثوبها وغطت به رأسها. كشفت عن مؤخرتها وساقها في محاولة لتغطية شعرها ورأسها. وعندما سألتها لاحقاً عن أخلاقية تصرفها، ردت بطريقة مبرمة للغاية: ساقاي ومؤخرتي لا يدلان على هويتي، وحده رأسي يحدد هويتي. الأمر الذي يقود بعض النساء المسلمات وخصوصاً من يعيشن منهن في الغرب إلى سلوكيات في غاية من الضحالة والفاق. تغطي رأسها وشعرها وتلبس الجينس الذي يظهر تضاريسها كما تظهر الخارطة تضاريس بلد. تغطي رأسها وشعرها بينما مكياجها يفضح معالم وجهها بطريقة مبالغ فيها إلى حد القرف. هذه التصرفات ما هي إلا ردة فعل طبيعية لفعل غير طبيعي. عندما تقع الطبيعة البشرية ستجد تلك الطبيعة مخرجاً غير طبيعي لتعبر به عن نفسها!

ونرى هنا أثر الحكم الإسلامي الذي يهدف إلى تخفية شخصية المرأة حتى لا تعرف. وقد كتب لي جزائري يعيش في فرنسا لا يتفق مع انتقاداتي للإسلام:

1 أنظر هذا الشريط بداية من الدقيقة 22 <https://goo.gl/aJFY5s>

حتى وإن لا نتقاسم نفس الأفكار، أعلم بأن انحرافات المتزمتين تغيظني. وللنكتة، فإني أعمل في مكتب بريد. وقد جاءت امامي امرأة ترتدي نقاباً (الحجاب الكامل). لم أكن أرى وجهها. فقلت لها: سيدتي، يجب أن لا تبالغين. إن هذا ممنوع في القانون. أنا مسلم ولكنني أرفض سخافات الناس. أنا مع الانسجام مع المجتمع ومع الحفاظ على تراثنا. إنه أمر حزين، فنحن نشهد انحطاط العالم العربي.

تحديد العورة بين المرأة وغيرها من النساء

يجمع المفسرون بصورة عامة على أن العورة لدى المرأة مع غيرها من النساء تمتد من السرة إلى الركبة. ولكن تقول فتوى أن هذه العورة مثل عورتها مع أقاربها بناءً على الآية 102\24: 31 التي تقارن بين النساء والأقرباء. وفي القول بعكس ذلك تشبهها بالكافرات والباغيات والماجنات في لباسهن، وقد ثبت عن النبي أنه قال: مَنْ تَشَبَّهَ بِقَوْمٍ فَهُوَ مِنْهُمْ¹.

ويقول المفسرون بأنه يجب أن لا تظهر المرأة المسلمة زينتها لغير المسلمة أو تتجرد أمامها أو أن تدخل الحمام معها خوفاً من أن تصفها للرجال، ما لم تكن أمة للمسلمة.

يقول الطبراني:

ولا ينبغي للمرأة الصالحة أن تنتظر إلى المرأة الفاجرة؛ لأنّها تُصَفُّها عند الرجل، ولا تضع جلبابها ولا خمارها عندها، ولا يحلّ لامرأة مؤمنة أن تنكشف أيضاً عند مشركة أو كتابية إلا أن تكون أمة لها، فذلك قوله تعالى: أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ؛ وَرُوي أَنَّ عُمَرَ كَتَبَ إِلَى أَبِي عُبَيْدَةَ: أَمَا بَعْدُ: فَقَدْ بَلَغَنِي أَنَّ نِسَاءَكُمْ يَدْخُلْنَ الْحَمَامَاتِ مَعَهُنَّ نِسَاءَ أَهْلِ الْكِتَابِ، فَاْمْنَعُ مِنْ ذَلِكَ.

ويقول الثعلبي:

لا يحلّ لامرأة مسلمة أن تتجرد بين يدي امرأة مشركة إلا أن تكون أمة لها فذلك قوله سبحانه أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ. عن ابن جريج: روى هشام بن الغار عن عباد بن نسي أنه كره أن تقبل النصرانية المسلمة أو ترى عورتها ويتأول أو نساها. وقال عباد: كتب عمر بن الخطاب إلى أبي عبيدة بن الجراح: أما بعد فقد بلغني أن نساء يدخلن الحمامات معهن نساء أهل الكتاب فامنع ذلك وحلّ دونه.

ويقول ابن عاشور، وهو مفسر حديث توفي عام 1973:

اختلف الفقهاء في جواز نظر النساء المشركات والكتابيات إلى ما يجوز للمرأة المسلمة إظهاره للأجنبي من جسدها. وكلام المفسرين من المالكية وكلام فقهاءهم في هذا غير مضبوط. والذي يستخلص من كلامهم قول خليل في التوضيح عند قول ابن الحاجب: وعورة الحرة ما عدا الوجه والكفين. ومقتضى كلام سيدي أبي عبد الله بن الحاج: أما الكافرة فكالأجنبية مع الرجال اتفاقاً¹ هـ.

وفي مذهب الشافعي قولان: أحدهما: أن غير المسلمة لا ترى من المرأة المسلمة إلا الوجه والكفين ورجله البغوي وصاحب المنهاج البيضاوي واختاره الفخر في التفسير. ونقل مثل هذا عن عمر بن الخطاب وابن عباس، وعلله ابن عباس بأن غير المسلمة لا تتورع عن أن تصف لزوجه المسلمة. وكتب عمر بن الخطاب إلى أبي عبيدة بن الجراح: أنه بلغني أن نساء أهل الذمة يدخلن الحمامات مع نساء المسلمين فامنع من ذلك وحلّ دونه فإنه لا يجوز أن ترى الذمية عريّة المسلمة.

القول الثاني: أن المرأة غير المسلمة كالمسلمة ورجله الغزالي.

ومذهب أبي حنيفة كذلك فيه قولان: أصحهما أن المرأة غير المسلمة كالرجل الأجنبي فلا ترى من المرأة المسلمة إلا الوجه والكفين والقامين، وقيل: هي كالمرأة المسلمة.

النساء القواعد

تقول الآية 102\24: 60: وَالْقَوَاعِدُ مِنَ النِّسَاءِ الَّتِي لَا يَرْجُونَ نِكَاحًا، فَلَيْسَ عَلَيْهِنَّ جُنَاحٌ أَنْ يَضَعْنَ ثِيَابَهُنَّ، غَيْرَ مُتَبَرِّجَاتٍ بِزِينَةٍ. وَأَنْ يَسْتَغْفِقْنَ خَيْرٌ لَّهُنَّ. وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ.

يعني بالقواعد من وصلت سن اليأس وتقع في بيتها. يحق لهن أن لا يلبسن الجلباب، وهو وفقاً للمفسرين الرداء تَقَعُ به وتغطّي به شقّ وجهها الأيمن، تغطّي عينها اليمنى وأنفها، وهو ثوب تلبسه المرأة فوق ثيابها إذا خرجت لحاجة. ولكن يجب أن لا يفعلن ذلك للتبرج. ومن المفضل أن تلتزم ملابس المرأة الحرة.

¹ أنظر هذه الفتوى <https://goo.gl/j1Cerd>

تحديد العورة عند الرجال

كل ما يطلب القرآن من الرجال هو وفقاً للآية 102\24: 30 أن يُعْضُوا مِنْ أَبْصَرِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ. ويقول المفسرون بأن عورة الرجل من السرة إلى الركبة.

يقول النيسابوري:

عورة الرجل مع الرجل، وعورة المرأة مع المرأة، وعورة المرأة مع الرجل، وبالعكس. أما الرجل مع الرجل فيجوز أن ينظر إلى جميع بدنه إلا إلى عورته، وعورته ما بين السرة والركبة، والسرة والركبة ليستا بعورة. وعند أبي حنيفة: الركبة عورة. قال مالك: الفخذ ليست بعورة وهو خلاف ما روي أنه قال لعلي: لا تبرز فخذك ولا تنظر إلى فخذ حي وميت. فإن كان في نظره إلى وجه الرجل أو سائر بدنه شهوة أو خوف فتنة بأن كان أمرد لا يحل النظر إليه. ولا يجوز للرجل مضاجعة الرجل وإن كان واحد منهما في جانب الفراش لرواية أبي سعيد الخدري أنه قال: لا يفضي الرجل إلى الرجل في ثوب واحد، ولا تفضي المرأة إلى المرأة في الثوب الواحد ويكره المعانقة وتقبيل الوجه. إلا لولده شفقة. وتستحب المصافحة.

ويضيف فيما يخص عورة الرجل مع المرأة:

إن كان أجنبياً منها فعورته معها ما بين السرة والركبة. وقيل: جميع بدنه إلا الوجه والكفين وهي معه. والأصح هو الأول لأن بدن المرأة في نفسه عورة بدليل أنه لا يصح صلاتها مكشوفة البدن، وبدن الرجل بخلافه. ولا يجوز لها قصد النظر عند خوف الفتنة ولا تكرير النظر إلى وجهه لما روي عن أم سلمة أنها كانت عند رسول الله وميمونه إذ أقبل ابن أم مكتوم فدخل فقال: احتجبا منه. فقالت: يا رسول الله أليس هو أعمى لا يبصرنا؟ فقال: أعمياوان أنتما التمتا تبصرانه؟ وإن كان محرماً لها فعورته معها ما بين السرة والركبة، وإن كان زوجها أو سيدها الذي يحل له وطؤها فلها أن تنظر إلى جميع بدنه غير أنه يكره النظر إلى الفرج وهو معها. ولا يجوز للرجل أن يجلس عارياً في بيت خال وله ما يستتر عورته لأنه سئل عن ذلك فقال: الله أحق أن يستحي منه. وعنه إياكم والتعري فإن معكم من لا يفارحكم إلا عند الغائط وحين يفضي الرجل إلى أهله.

ويقول الصابوني:

عورة الرجل مع الرجل: فهي من السرة إلى الركبة فلا يحل للرجل أن ينظر إلى عورة الرجل فيما بين السرة والركبة وما عدا ذلك فيجوز له النظر إليه. وقد قال النبي لا ينظر الرجل إلى عورة الرجل ولا تنظر المرأة إلى عورة المرأة. وجمهور الفقهاء على أن عورة الرجل ما بين السرة إلى الركبة كما صح في الأحاديث الكثيرة، وقال مالك رحمه الله: الفخذ ليس بعورة: ومما يدل لقول الجمهور ما روي عن جرهذ الأسلمي وهو من أصحاب الصفة أنه قال: جلس رسول الله عندنا وفخذي منكشفة فقال: أما علمت أن الفخذ عورة ..

وأما عورة الرجل بالنسبة للمرأة: ففيه تفصيل فإن كان من المحارم كالأب والأخ والعم والخال فعورته من السرة إلى الركبة. وإن كان أجنبياً فكذلك عورته من السرة إلى الركبة. وقيل جميع بدن الرجل عورة فلا يجوز أن تنظر إليه المرأة وكما يحرم نظره إليها يحرم نظرها إليه والأول أصح، وأما إذا كان زوجاً فليس هناك عورة مطلقاً لقوله تعالى: إِلَّا عَلَىٰ أَرْوَاحِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ الْمُؤْمِنُونَ: 6.

أحكام أخرى تتعلق بالعورة

تعطي فتوى¹ المعطيات التالية لتتيمم ما سبق:

- كل ما لا يجوز النظر إليه من العورات لا يحل مسّه ولو من وراء حائل وقد قال النبي: (إني لا أصافح النساء) رواه مالك وأحمد وهو حديث صحيح، وقال: (لأن يطعن في رأس أحدكم بمخيط من حديد خير له من أن يمسن امرأة لا تحل له).
- الصغير دون سبع سنين لا حكم لعورته، والصغير المميز - من السابعة إلى العاشرة - عورته الفرجان،
- الصغيرة المميزة عورتها من السرة إلى الركبة، (وكل ذلك عند أمن الفتنة)

¹ <https://islamqa.info/ar/5693>

- عورة الميت كعورة الحي
- الأحوط لإحقاق الخنثى بالمرأة في العورة لاحتمال كونه امرأة.

(ز) تحديد عورة المرأة في الصلاة والحج

هناك أحكام خاصة بالصلاة. تقول فتوى أن المرأة الحرة تظهر وجهها وكفيها في الصلاة ولا يمكنها القيام بالصلاة مع النقاب، بينما الأمة فإنها تصلي مكشوفة الرأس. وقد اختلف الفقهاء فيما يخص رجلي المرأة، فبعضهم يرون أن عليها تغطيتهما. وعدم الالتزام بهذه الأحكام يبطل الصلاة. وفيما يخص الرجل، فعورته في الصلاة بين السرة والركبة¹.

وفيما يخص الحج، فإن للمرأة الحرة والأمة كشف وجههما ولا يحق لهما ارتداء النقاب، إلا أنه في إمكانهما تغطية وجههما بالجلباب. ولا يحق لهما تغطية الكفين، ولكن عليهما تغطية أرجلهما². ويلبس الرجال والنساء ملابس خاصة بالحج. ولا يحق للرجال لبس ملابس مخاطة، مما يطرح مشكلة الملابس الداخلية، خاصة للمصاب بمرض السيلان.

(ح) تحديد عورة المرأة في العلاج والتجميل

يعفى المسلم في حالات الضرورة من بعض الواجبات الدينية نص عليها القرآن مثلاً في الآيتين التاليتين:
فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ، فَلْيُصِمْهُ. وَمَنْ كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ، فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ. يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ، وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ (هـ/2: 184).
إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ، وَالدَّمَ وَلَحْمَ الْخَنزِيرِ، وَمَا أَهْلُ بِهِ لغيرِ اللَّهِ. فَمَنْ اضْطَرَّ، غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ، فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ. إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ، رَّحِيمٌ (هـ/2: 173).

وإذا أدى تطبيق حكم إلى الموت فإنه من الواجب التخفيف منه بسبب الآيتين التاليتين لأن التزمت في تطبيق الحكم بحذايره لا يأتي بفائدة لا للإسلام ولا للأمة الإسلامية:

وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ (هـ/2: 195)

وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ. إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا (هـ/4: 29).

وقد صاغ الفقهاء عدة قواعد تتعلق بالضرورة تنص عليها مجلة الأحكام العدلية العثمانية التي قننت الفقه الحنفي:

مادة 21 - الضروريات تبيح المحذورات

مادة 22 - ما أبيح للضرورة يتقدر بقدرها

مادة 23 - ما جاز لعذر بطل بزواله

مادة 24 - إذا زال المانع عاد الممنوع

من جهة أخرى يعتبر الفقهاء أن الشريعة تهدف إلى حماية خمس مصالح رئيسية مرتبة كما يلي: الدين، والنفس، والعقل، والنسل، والمال. فمثلاً يجب احترام أحكام العورة التي تتعلق بحماية النسل. ولكن يجب ترك هذه الأحكام لحماية مصلحة أعلى وهي حماية النفس. ولذلك يحق كشف العورة للطبيب من أجل المداواة ولكن بحدود ما هو ضروري. وإن كان من المفضل أن تعالج طبيبة المرأة، فإن لم يكن هناك طبيبة، يحق للجوء لطبيب للعلاج. ونعطي هنا فتويين في هذا الخصوص:

الضوابط في مسألة النظر للعورة في العلاج³

السؤال:

أرجو أن توضح لي أمر اختيار الطبيب، فقد قالت مدرستي بأن المرأة المريضة يجب أن تختار طبيبة مسلمة ثم الطبيبة الكافرة ثم الطبيب المسلم ثم الطبيب الكافر، ولا نذهب لطبيب إلا إذا عدم وجود طبيبة ونحتاج لمختص. قالت صديقتي بأن مدرستها قالت بأن الخيار الأول أن يكون مسلماً سواء طبيب أو طبيبة، ثم يأتي الكافر طبيب أو طبيبة. أنا محتارة، فأنا أفهم أن الأطباء المسلمون عندهم أمانة أكثر من غير المسلمين ولكن ألا

¹ انظر هذه الفتاوى <http://goo.gl/PeDKPL>; <http://goo.gl/yICmPA>

² <https://goo.gl/rsQkxg>

³ <https://islamqa.info/ar/5693>

تأتي مسألة العورة أكثر أهمية ثم تجنب الفتنة ؟ بعض أصدقائي النساء يفضلون الذهاب لطبيب مسلم في مراجعتهم فترة الحمل وكذلك حين الوضع بينما يوجد الكثير من القابلات مسلمات وغير مسلمات. أرجو أن تتصحن يا أستاذ جزاك الله خيرا

تم النشر بتاريخ: 23-09-1999

الجواب:

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين: نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين وبعد:

ففيما يلي ذُكر لبعض القواعد والضوابط في مسألة النظر للعلاج.

أولا: عورة الرجل ما بين السرة والركبة لقوله: (ما بين السرة والركبة عورة) حديث حسن رواه أحمد وأبو داود والدارقطني. وهذا قول جمهور أهل العلم.

ثانيا: المرأة كلها عورة أمام الأجنبي لقوله تعالى: وإذا سألتهم عن متاعا فاسألوهن من وراء حجاب ولقوله: (المرأة عورة) رواه الترمذي بسند صحيح وهذا القول هو الصحيح من المذهب عند الحنابلة وإحدى الروايتين عند المالكية وأحد القولين عند الشافعية.

ثالثا: تعمّد النظر إلى العورات من المحرمات الشديدة ويجب غضّ البصر عنها لقوله تعالى: قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم ويحفظوا فروجهم ذلك أزكى لهم إن الله خبير بما يصنعون. وقل للمؤمنات يغضضن من أبصارهن ويحفظن فروجهن. الآية وقال النبي: (لا ينظر الرجل إلى عورة الرجل، ولا المرأة إلى عورة المرأة ..) رواه مسلم وقال لعلي: (لا تنظر إلى فخذ حي ولا ميت) رواه أبو داود وهو حديث صحيح

رابعا: كلّ ما لا يجوز النظر إليه من العورات لا يحلّ مسّه ولو من وراء حائل وقد قال النبي: (إني لا أصافح النساء) رواه مالك وأحمد وهو حديث صحيح، وقال: (لأن يطعن في رأس أحدكم بمخيط من حديد خير له من أن يمس امرأة لا تحلّ له) رواه الطبراني وهو حديث صحيح. قال النووي رحمه الله: وحيث حرّم النظر حرّم المس بطريق الأولى، لأنه أبلغ لذّة.

خامسا: العورات أنواع ودرجات فمنها العورة المغلطة (السواتان: القُبُل والدُّبُر) والعورة المخففة كفخذَي الرجل أمام الرجل.

والصغير دون سبع سنين لا حكم لعورته، والصغير المميّز - من السابعة إلى العاشرة - عورته الفرجان، والصغيرة المميّزة عورتها من السرة إلى الركبة، (وكُلّ ذلك عند أمن الفتنة) وعورة الميّت كعورة الحي، والأحوط إلحاق الخنثى بالمرأة في العورة لاحتمال كونه امرأة.

سادسا: الضرورات تبيح المحظورات، ولا خلاف بين العلماء في جواز نظر الطبيب إلى موضع المرض من المرأة عند الحاجة ضمن الضوابط الشرعية، وكذلك القول في نظر الطبيب إلى عورة الرجل المريض، فيباح له النظر إلى موضع العلة بقدر الحاجة، والمرأة الطيبة في الحكم كالطبيب الرجل. وهذا الحكم مبني على ترجيح مصلحة حفظ النفس على مصلحة ستر العورة عند التعارض.

سابعا: الضرورة تُقدّر بقدرها : فإذا جاز النظر والكشف واللمس وغيرها من دواعي العلاج لدفع الضرورة والحاجة القويّة فإنه لا يجوز بحال من الأحوال التعدي وترك مراعاة الضوابط الشرعية ومن هذه الضوابط ما يلي:

1- يقدّم في علاج الرجال الرجال وفي علاج النساء النساء وعند الكشف على المريضة تُقدّم الطيبة المسلمة صاحبة الكفاية ثم الطيبة الكافرة ثم الطبيب المسلم ثم الطبيب الكافر، وكذلك إذا كانت تكفي الطيبة العامة فلا يكشف الطبيب ولو كان مختصا، وإذا احتيج إلى مختصة من النساء فلم توجد جاز الكشف عند الطبيب المختص، وإذا كانت المختصة لا تكفي للعلاج وكانت الحالة تستدعي تدخّل الطبيب الحاذق الماهر الخبير جاز ذلك، وعند وجود طبيب مختص يتفوّق على الطيبة في المهارة والخبرة فلا يلجأ إليه إلا إذا كانت الحالة تستلزم هذا القدر الزائد من الخبرة والمهارة. وكذلك يشترط في معالجة المرأة للرجل أن لا يكون هناك رجل يستطيع أن يقوم بالمعالجة.

2- لا يجوز تجاوز الموضوع اللازم للكشف فيقتصر على الموضوع الذي تدعو الحاجة إلى النظر إليه فقط، ويجتهد مع ذلك في غضّ بصره ما أمكن، وعليه أن يشعر أنه يفعل شيئاً هو في الأصل محرم وأن يستغفر الله عما يمكن أن يكون حصل من التجاوز.

3- إذا كان وصف المرض كافياً فلا يجوز الكشف وإذا أمكن معاينة موضع المرض بالنظر فقط فلا يجوز اللمس وإذا كان يكفي اللمس بحائل فلا يجوز اللمس بغير حائل وهكذا.

4- يُشترط لمعالجة الطبيب المرأة أن لا يكون ذلك بخلو فلا بدّ أن يكون مع المرأة زوجها أو محرماً أو امرأة أخرى من النقات.

5- أن يكون الطبيب أميناً غير متهم في خلقه ودينه وبكفي في ذلك حمل الناس على ظاهريهم.

6- كلما غلّطت العورة كان التشديد أكثر قال صاحب كفاية الأخيار: واعلم أن أصل الحاجة كان في النظر إلى الوجه واليدين، وفي النظر إلى بقية الأعضاء يُعتبر تأكيد الحاجة، وفي النظر إلى السواتين يُعتبر مزيد تأكيد الحاجة. ولذلك لا بدّ من التشديد البالغ في مثل حالات التوليد وختان الإناث اليافعات.

7- أن تكون الحاجة إلى العلاج ماسة كمرض أو وجع لا يُحتمل أو هُزال يُخشى منه ونحو ذلك أما إذا لم يكن مرض أو ضرورة فلا يجوز الكشف عن العورات كما في حالات التوهّم والأمور التحسينية.

8- كلّ ما تقدّم مُقيّد بأمن الفتنة وثوران الشهوة من كلّ من طرفي عملية المعالجة.

وختاماً فإنه لا بدّ من تقوى الله في هذه المسألة العظيمة التي احتاطت لها الشريعة وجعلت لها أحكاماً واضحة وحازمة. وإن مما عمّت به البلوى في هذا الزمان التساهل في مسائل الكشف عن العورات في العيادات والمستشفيات وكان الطبيب يجوز له كلّ شيء ويحلّ عنده كلّ محظور. وكذلك ما وقع في البرامج التعليمية المأخوذة نسخة طبق الأصل مما هو موجود في بلاد الكفار تشبهاً بهم من التساهل في عدد من حالات التعليم والتدريب والاختبار.

وواجب على المسلمين الاعتناء بتخريج النساء من أهل الكفاية في التخصصات المختلفة للقيام بالواجب، وحسن إعداد جداول المناوبات في المستوصفات والمستشفيات لنلا تقع نساء المسلمين في الحرج، وأن لا تُهمَل المريضة أو يتبرّم منها الطبيب إذا طلبت طبية لعلاجها.

والله المسؤول أن يفقهنا في الدين وأن يعيننا على القيام بأحكام الشريعة ورعاية حقوق المسلمين.

وهو الموفق والهادي إلى سواء السبيل.

هل تستعين في العناية ببشرتها بأخصائية نصرانية؟¹

السؤال: ما حكم الذهاب إلى أخصائية بالبشرة، وتقوم بكل ما يخص المرأة من عناية شخصيه، ولكنها نصرانية، وأخص أنني معتادة للذهاب إليها منذ ثلاث سنوات، مرة كل شهر فقط، للعناية ببشرتي، وأخشى الذهاب إلى غيرها، وأضيف أنها ذات خلق رفيف، ولكن بعد التزامي أصبحت أخشى الذهاب قبل معرفة الحكم في ذلك. وأخص أنني أخشى الذهاب إلى غيرها لأن غالب من يعمل في هذا المجال نصرانيات، ومن أعرف من مسلمات خبرتهن ليست عالية. جزاكم الله خيراً.

تم النشر بتاريخ: 24-04-2010

الجواب:

الحمد لله:

أولاً:

لا يجوز للمرأة أن تمكن أحداً من النظر إلى عورتها المغلظة، رجلاً كان الناظر أو امرأة، مسلمة أو كافرة، إلا ما يكون بين الزوجين من ذلك، ولا يستثنى من ذلك إلا ما يحتاج إليه من النظر للتداوي والعلاج.

وعلى ذلك: فإذا كان هذه العناية بالبشرة، تتطلب الكشف عن العورة المغلظة للمرأة، كان عليها أن تعتني هي بنفسها، ولا تمكن أحداً من النظر إليها، ولو كانت امرأة مسلمة، والكافرة من باب أولى.

ثانياً:

¹ <https://islamqa.info/ar/146575>

إذا احتاجت المرأة إلى كشف عورتها المغلظة في العلاج، كما يكون في حال الولادة، فالأصل أن يلي ذلك المرأة المسلمة ؛ فلا تمكن من النظر إليها رجالاً أجنبياً، ولا امرأة غير مسلمة، إذا وجد من يقوم بذلك من نساء المسلمين.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله:

وَقَوْلُهُ: أَوْ نِسَائِهِنَّ قَالَ: اخْتِرَارٌ عَنِ النِّسَاءِ الْمُشْرَكَاتِ. فَلَا تَكُونُ الْمُشْرِكَةُ قَابِلَةً لِلْمُسْلِمَةِ، وَلَا تَدْخُلُ مَعَهُنَّ الْحَمَامُ، لَكِنْ قَدْ كُنَّ النِّسْوَةُ الْيَهُودِيَّاتُ يَدْخُلْنَ عَلَى عَائِشَةَ وَغَيْرِهَا قَبِيرَيْنَ وَجْهَهَا وَيَدْيُهَا بِخِلَافِ الرِّجَالِ، فَيَكُونُ هَذَا فِي الزَّيْنَةِ الظَّاهِرَةِ فِي حَقِّ النِّسَاءِ الذِّمِّيَّاتِ، وَلَيْسَ لِلذِّمِّيَّاتِ أَنْ يَطْلُعْنَ عَلَى الزَّيْنَةِ الْبَاطِنَةِ، وَيَكُونُ الظُّهُورُ وَالْبُطُونُ بِحَسَبِ مَا يَجُوزُ لَهَا إِظْهَارُهُ ؛ وَلِهَذَا كَانَ أَقَارِبُهَا يُبَدِّي لَهَا الْبَاطِنَةَ، وَلِلزَّوْجِ خَاصَّةً لَيْسَتْ لِأَقَارِبٍ

مجموع الفتاوى 112/22

ثالثاً:

إذا لم تجد امرأة مسلمة لعلاجها، أو حاجتها التي تتطلب كشف عورتها، أو شيئا من زينتها الباطنة، ودار الأمر بين أن يقوم بذلك امرأة كافرة، أو رجل مسلم، فالأولى أن يتولى ذلك المرأة الكافرة، لأن الفتنة بها أبعد، ولأنها من جنسها، فيبعد أيضاً وقوع النظر أو اللمس بشهوة.

قال الشيخ ابن عثيمين رحمه الله:

والطبيبة النصرانية المأمونة أولى في علاج المرأة من الرجل المسلم، لأنها من جنسها بخلاف الرجل.

فتاوى ابن عثيمين 218/12

رابعاً:

إذا كان الأمر فيما لا يتطلب كشف العورة المغلظة، أو الزينة الباطنة، جاز للمرأة أن تستعين بامرأة مسلمة في بعض حاجتها، وما يتعلق بعنايتها الشخصية.

وهل يجوز أن تستعين في هذه الحالة بامرأة كافرة، كما هو الوارد في السؤال ؟

هذا ينبني على الخلاف في عورة المرأة المسلمة أمام الكافرة، هل هي كعورتها أمام الرجل، أو كعورتها أمام المرأة المسلمة ؟

جاء في الموسوعة الفقهية:

اختلف الفقهاء في حكم تمكين المسلمة المرأة الكافرة من النظر إليها على أقوال:

الأول: أن المرأة الكافرة في نظرها إلى المرأة المسلمة كالرجل الأجنبي، فلا يحل للمسلمة أن تمكنها من النظر إلى شيء من بدنها سوى ما يحل للرجل الأجنبي أن ينظر إليه منها، وهذا قول الحنفية في الأصح والمالكية، وهو قول عند الشافعية اعتبره البعوي والبلقيني والنووي والقاضي وغيرهم هو الأصح، والحنابلة في رواية.

القول الثاني: أن نظر المرأة الكافرة إلى المسلمة كنظر المسلمة إلى المسلمة، ولا فرق بينهما، وهو مقابل الأصح عند الحنفية... وهو وجه عند الشافعية اعتبره الغزالي هو الأصح، وهو الصحيح عند الحنابلة.

القول الثالث: أنه يجوز للمسلمة أن تمكن الكافرة من النظر إلى ما ينظر إليه محارمها، وهو قول بعض المالكية، وقول عند الشافعية وصفه النووي بالاشبه والرملي والخطيب الشيرازي بالمعتمد، وهو رواية عند الحنابلة.

ينظر: الموسوعة الفقهية (360/40-362)، وأيضاً: تفسير القرطبي 233/22

واختار غير واحد من أهل العلم القول الثاني، أنه لا فرق في النظر بين المرأة المسلمة أو المرأة الكافرة، إذا كانت مأمونة على مثل ذلك.

جاء في فتاوى اللجنة الدائمة:

هل يجب الحجاب عن المرأة الكافرة أو تعامل كما تعامل المرأة المسلمة ؟

فيه قولان لأهل العلم، والأرجح عدم الوجوب ؛ لأن ذلك لم ينقل عن أزواج النبي -صلى الله عليه وسلم- ولا عن غيرهن من الصحابيات حين اجتماعهن بنساء اليهود في المدينة، والنساء الوثنيات، ولو كان واقعا لنقل كما نقل ما هو أقل منه. انتهى.

فتاوى اللجنة 287/17

وقال الشيخ ابن عثيمين رحمه الله:

عورة المرأة مع المرأة كعورة الرجل مع الرجل، سواءً من أهل البيت، أو من نساء خارجيات، أو من مؤمنة أو من كافرة، لا فرق انتهى من الباب المفتوح 13/85

وينظر: جواب السؤال رقم 82994 و2198 و6596 و21953.

وعلى ذلك: فإذا احتجت إلى معاونة امرأة نصرانية مأمونة، في العناية ببشرتك: جاز لك ذلك، إذا لم يكن في العورة المغلظة، وإن كان الاستعانة بالمسلمة في ذلك أولى، لقوة الخلاف في المسألة، ومنع كثير من أهل العلم من مثل ذلك؛ بل الأصل أن تقوم المرأة لنفسها بذلك، ما دام ممكناً لها، وألا تتألف في مثل ذلك الأمر، كما يفعله من لا شغل لهن من النساء.

والله أعلم.

ط) العورة والحكم الأخلاقي

بالإضافة إلى هدف حماية المرأة الحرة بتفريقها عن الأمة، تخضع احكام الملابس في الإسلام إلى اعتبارات دينية ثلاثة:

منع التشبه بالكفار

منع التشبه بالكفار يعتمد على حديث يقول: مَنْ تَشَبَّهَ بِقَوْمٍ فَهُوَ مِنْهُمْ¹ كما على الآيتين التاليتين:
وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا، فَاتَّبِعُوهُ. وَلَا تَتَّبِعُوا السَّبِيلَ، فَتَفْزُقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ. ذَلِكَمْ وَصَلَكُمْ بِهِ. لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ! (هـ: 155: 6: 153).

وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ، فَأَنْسَاهُمْ أَنْفُسَهُمْ. أُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ (هـ: 101: 59: 19).

وهناك فقهاء يرون تطبيق حد القتل على من يتشبه بالكفار ويرفض الرجوع عن موقفه².

وصم المرأة غير المحببة بالرديلة

يرى التيار الإسلامي بأن زي المرأة المسلمة تعبير عن العفة والحشمة، ولا يتردد في وصف من ترتدي الزي الغربي ولا تتحجب بالعهر. ومن هنا الشعار: حجابي عفتي، نقابي عفتي.

وقد ذكرت نوال السعداوي: لما كنا في التحرير قاعدين، المنقيات يتوعد السلفيين ويتوعد الإخوان قالوا عن البنات القاعدين انهن مومسات، قالوا عليهن عاهرات ... دول مش منا. عملوا مظاهرة وقالوا دول مش منا³.

وقد ذكر هاني رمضان، إمام جامع جنيف، في محاضرة أمام طلبة مدارس: المرأة هي مثل لؤلؤة في صدفة. إذا تم عرضها تخلق غيرة. وهنا المرأة من دون حجاب مثل عملة اثنتين يورو، ظاهرة للجميع، تنتقل من يد إلى أخرى⁴.

الحذر من النساء

ينظر الإسلام للمرأة بأنها المصدر الرئيسي للفتنة، ولذلك يتضمن احكاماً أكثر صرامة تجاههن. يقول محمد في هذا الخصوص: ما تركت بعدي في الناس فتنة أضرب على الرجال من النساء⁵. ويختلف تطبيق احكام الملابس من دولة إلى أخرى. وفي الحالات القصوى، تغطي المرأة نفسها من الرأس إلى اخمص القدم، فلا يرى منها لا كفيها ولا وجهها ولا عينيها. ولا يتم تقديمها للضيوف الذكور، ويتناول الرجال الغذاء دون حضور النساء. وعندما تسافر في وسائل النقل العامة يوضعن في آخر الباص في قسم مع شبابيك مغطاة بستار أسود ويفصلن عن الرجال بستار أسود آخر. وهذا هو الوضع خاصة في السعودية ودول الخليج. وفي هذه الدول يرفض الرجال مصافحة النساء كما ترفض النساء مصافحة الرجال. وفي السعودية تمنع المرأة من سواقة السيارة لأن

¹ <https://goo.gl/sqG3sf>

² أنظر اللويحق: التشبه المنهى عنه في الفقه الإسلامي، دار الأندلس، جدة، 1999، ص 124-127

³ <https://goo.gl/MzuAoO> أنظر هذا الشريط بداية من الدقيقة 38

⁴ <https://goo.gl/4JkP74>

⁵ نقرأ هذا الحديث في كتاب يدرس في المدارس المصرية: الصنهاوي، محمد احمد فرج: الأسرة في التشريع الإسلامي، وزارة التربية والتعليم، القاهرة، 1987، ص 203. وأنظر هذا الحيت هنا <https://goo.gl/XQY5gQ>

ذلك يؤدي إلى كشف وجهها أو جزء من وجهها ولأن الاختلاط مع الرجال يؤدي إلى الفتنة ويحضر على الرذيلة¹.

الحجاب والنفاق

يقود الحجاب، وخاصة النقاب، إلى حياة مزدوجة. وهذا هو ما تلام عليه النساء التي تنزمت في الدين. ففي دول مثل اليمن، يقوم الرجال بلبس النقاب لكي يتمكنوا من زيارة النساء. وفي مصر تخرج النساء من بيوتهن لتتردد على دور الدعارة. ويذكر أن رجلاً زار امرأة متزوجة، وعندما حضر زوجها ارتدى النقاب وقدم القهوة له. وهناك نساء تحكي ما يدور خلف النقاب. فمنهن من تتزوج وتطلق مراراً وتكراراً دون الخوف من أن تعرف من زوجها السابق بينما تتمكن من رؤيتهم من خلف النقاب². وهناك رجال يتخفون بالنقاب ويضربون على أبواب المنازل. وعندما تفتح النساء لهم يقومون باغتصابهن. وبفعلهم هذا يتظاهرون بالنقوى لاقتراف الجرائم ويستنهضون بالله الذي يمنع النفاق:

يُخَدَعُونَ اللَّهَ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا، وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ. وَمَا يَشْعُرُونَ (هـ-2\87: 9).

يَسْتَخْفُونَ مِنَ النَّاسِ، وَلَا يَسْتَخْفُونَ مِنَ اللَّهِ، وَهُوَ مَعَهُمْ إِذْ يُبَيِّتُونَ مَا لَا يَرَى صَاحِبُ الْقَوْلِ. وَكَانَ اللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطاً (هـ-4\92: 108).

وتقول الأستاذة الأزهرية بأنه إذا تحجبت امرأة بالحرية الفردية لارتداء الحجاب، فالشخص الموجود أمامها يحق له أيضاً أن يرى وجهها لكي يعرف مع من يتعامل. فإذا قامت امرأة بعمل حادث سيارة أو سرق حقيقتة اليد، لا يمكن التعرف على السارقة. وتقوم محلات البيع بإرسال موظفة مع المنقبة حتى لا تخفي في ملابسها حاجات تسرقها من المحل دون التمكن من تفتيشها، وتلك النساء لا يمكن لكاميرات المراقبة التعرف عليها. وهذه التصرفات تثير الريبة التي تخالف الإسلام.

وهناك مقالات كثيرة تبين أن اعمالاً ارهابية يقوم بها رجال متخفون بالنقاب. ورغم تبنيتها احكاماً صارمة فيما يخص لباس النساء، قامت الدولة الإسلامية (داعش) بمنع من يرتدين النقاب من دخول بناياتها خوفاً من القيام بأعمال تخل بالأمن³. وفي تونس يتصدى البوليس للمنقبات خوفاً من الأعمال الإرهابية⁴.

1) تصرفات شاذة نتيجة الحجاب

يقول الفيلسوف الفرنسي بليز باسكال (Blaise Pascal): الإنسان ليس ملاكاً ولا حيواناً. وللأسف فإن من يريد أن يتصرف مثل الملاك يصبح حيواناً. وكل تصرف ضد الطبيعة يؤدي إلى ردات فعل غير طبيعية. وسوف نذكر بعضها هنا.

أ) منع الزواج من نساء محمد

لقد رافق سعي القرآن لحجم النساء على مستوى الثياب منع الزواج من نساء محمد من بعده. تقول الآية هـ-33\90: 53: وَمَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُؤْذُوا رَسُولَ اللَّهِ، وَلَا أَنْ تُنْكِحُوا زُجُجَهُ مِنْ بَعْدِهِ أَبَدًا. إِنَّ ذَلِكَ كَانَ، عِنْدَ اللَّهِ، عَظِيمًا. وقد ربط المفسرون هذه الآية بالآية التالية هـ-33\90: 54: إِنْ تُبْدُوا شَيْئًا أَوْ تُخْفُوهُ، فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا. وهذا يعني في نظرهم انه لا يحق مجرد التفكير في ذلك لأن الله يعلم ما يخفي في القلب. كما يربطوها بالآية هـ-33\90: 6: أَلَنْبِيَّ أُولِي بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ، وَأَزْوَجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ. يجعل نساء محمد امهاتاً للمسلمين حرم عليهم الزواج منهن إذ لا يحق الزواج من الأم وفقاً للآية هـ-4\92: 23: حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتُكُمْ. وقد علل الشيرازي هذا المنع قائلاً:

كيف حرم الله نساء النبي من اتخاذ زوج لهن بعد وفاة النبي، وقد كان بعضهن شبابات تقريباً؟

وجواب هذا السؤال يتضح بملاحظة الغاية من هذا التحريم، وذلك لأنه:

أولاً: كما علمنا من سبب النزول، فإن البعض صمم على هذا العمل كانتقام من النبي وإهانة لقدسيته، وكانوا يريدون أن ينزلوا ضربة بكيانه عن هذا الطريق.

1 مجلة البحوث الإسلامية، رقم 24، 1989، ص 75، ورقم 30، 1990-1991، ص 297-298.

2 انظر مثلاً هذا الشريط <https://goo.gl/Ct4hQS>

3 <https://goo.gl/hfW1Hc>

4 <https://goo.gl/3EF7YP>

ثانياً: لو كانت هذه المسألة جائزة، فإن جماعة كانوا سيأخذون زوجان النبي أزواجاً لهم من بعده، وكان من الممكن أن يستغلوا هذا الزواج لتحقيق مآربهم والوصول إلى مكانة اجتماعية مرموقة.
أو أنهم يبدون بتحريف الإسلام على أساس أنهم يمتلكون معلومات خاصة صادرة من داخل بيت النبي، وأهل البيت أدري بالذي فيه، أو أن يبيث المنافقون بين الناس مطالب عن هذا الطريق تخالف مقام النبوة!

ب) رضاعة الكبير

ما سبق ذكره من منع يعني أن نساء محمد كان عليهن أن يبقين دون زواج بعد وفاة محمد. وعائشة، زوجة محمد المفضلة، التي تزوجها بعمر ست أو سبع سنين، كان عمرها 18 سنة عند وفاته. وعلماً بأنها توفت عام 678، فهذا يعني أنها بقيت أرملة 46 سنة، دون أولاد. وبسبب حرمانها من الرجال والبنين، كان عليها أن تلجأ لحيلة للتخلص من وحدتها، وذلك من خلال نسبتها حديثاً لمحمد. فقد ذكر عن عائشة، أن أبا أبي العُيس، استأذن على عائشة بعد آية الحجاب فأبى أن تأذن له فذكر ذلك للنبي فقال انذني له فإنه عمك. فقلت إنما أرضعتني المرأة ولم يرُضعتني الرجل. فقال إنه عمك فليج عليك². وفي حديث آخر، جاءت سهلة بنت سهيل وهي امرأة أبي حذيفة وهي من بني عامر بن لؤي إلى رسول الله فقالت يا رسول الله كُنَّا نَرَى سَالِمًا وَلَدًا وَكَانَ يَدْخُلُ عَلَيَّ وَأَنَا فَضْلٌ وَلَيْسَ لَنَا إِلَّا بَيْتٌ وَاحِدٌ فَمَاذَا تَرَى فِي شَأْنِهِ فَقَالَ لَهَا رَسُولُ اللَّهِ أَرْضِعِيهِ خَمْسَ رَضَعَاتٍ فَيُخْرِمُ بِلَبَنِهَا. وكانت تراه ابناً من الرضاعة فأخذت بذلك عائشة أم المؤمنين فيمن كانت تحب أن يدخل عليها من الرجال فكانت تأمر أختها أم كلثوم بنت أبي بكر الصديق وبنات أخيها أن يرضعن من أحببت أن يدخل عليها من الرجال³. وقد ادعت بعد ذلك أن القرآن كان يتضمن آية تقول بأن عشر رضعات تخلق علاقة قرابة، ومن ثم نسخ هذه الآية بآية أخرى تنص على خمس رضعات، مضيفة أن هذه الآية الأخيرة كانت في صحيفة تحت سريرها وجاءت داجنة واكتلتها. وما زال هذا الحكم مطبقاً حتى يومنا هذا⁴. والعالم العربي والإسلامي يدفع غالباً هذا الحكم. فلو أن عائشة تزوجت، لما قامت بإشعال حروب ضد علي ما زال لها عواقب بين الشيعة والسنة.

وقد أثار حديث رضاعة الكبير جدلاً كبيراً في العالم العربي والإسلامي بعدما اقترح استاذ از هري بأن ترضع الموظفات زملائهن في العمل لحل مشكلة الاختلاط في مصر، إذ أن الرضاعة تخلق علاقة بنوة بين الموظفة وزميلها تسمح لهما بالاختلاط⁵.

ونشير هنا إلى أن الرضاعة تحرم الزواج بين الرجل ومن أرضعته وبينه وبين اخته في الرضاعة وذلك بحكم الآية 4: 23: 492 هـ: حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتُكُمْ، وَبَنَاتُكُمْ، وَأَخُوتُكُمْ، وَعَمَّاتُكُمْ، وَخَالَاتُكُمْ، وَبَنَاتُ الْأَخِ، وَبَنَاتُ الْأَخْتِ، وَأُمَّهَاتُكُمُ اللَّاتِي أَرْضَعْنَكُمْ، وَأَخَوَاتُكُمْ مِنَ الرُّضْعَةِ.

ج) زواج المتعة

تقول الآية 4: 24: 492 هـ: وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ النِّسَاءِ، إِلَّا مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ. كَتَبَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ. وَأَجَلَ لَكُمْ مَا وَرَاءَ ذَلِكَ، أَنْ تَبْتَغُوا بِأَمْوَالِكُمْ، مُحْصِنِينَ غَيْرَ مُسْفِحِينَ. فَمَا اسْتَمْتَعْتُمْ بِهِ مِنْهُنَّ، فَاتَوْهُنَّ أَجُورَهُنَّ، فَرِيضَةً. وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا تَرْضَيْتُمْ بِهِ، مِنْ بَعْدِ الْفَرِيضَةِ.

تبرر هذه الآية في نظر الشيعة زواج المتعة الذي يدوم المدة التي يتفق عليها الزوجان مقابل مبلغ من المال. إلا أن السنة يعتبرونها منسوخة بالآيات 23\74: 5-7: وَالَّذِينَ هُمْ لِأُزُوجِهِمْ حَفِظُونَ، إِلَّا عَلَى أَزْوَاجِهِمْ، أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ، فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ. فَمَنْ أَتَّبَعَى وَرَاءَ ذَلِكَ، فَأُولَئِكَ هُمُ الْعَادُونَ.

وبين أهداف هذا الزواج التحايل على أحكام الملابس والاختلاط لأنه يخلق علاقة قرابة. فتقوم عائلة بتزويج بنتها لرجل، وهكذا يمكن الاختلاط بين الرجال والنساء من العائلتين، بالإضافة إلى العلاقات الجنسية بين الزوجين.

1 <https://goo.gl/sEZpQW>

2 <http://sunnah.com/nasai/26/120>; <http://sunnah.com/nasai/26/122>;

<http://sunnah.com/abudawud/12/12>; <http://sunnah.com/bukhari/67/172>;

3 <http://sunnah.com/urn/512860> أنظر هذه الفتوى <https://islamqa.info/ar/85115>

4 أنظر النقاش حول هاتين الآيتين <https://goo.gl/XJqkXF>; <https://goo.gl/YJZ0tA>

5 أنظر هذين المقالين <https://goo.gl/7LL6MB>; <http://goo.gl/JUqtdC>; ويمكن البحث في الأنتيرنيت حول رضاع الكبير.

د) رجال يلبسون الحجاب تضامناً مع النساء

هناك أخبار عن قيام رجال في إيران بارتداء الحجاب تضامناً مع النساء. ونكتفي هنا بنقل مقال في هذا الخصوص.

قرّر عدد من الإيرانيين ارتداء الحجاب تضامناً مع النساء المرغعات على ارتدائه، حيث تجبر شرطة الآداب النساء على ارتداء الحجاب منذ الثورة الإسلامية عام 1979 في إيران، إذ إنّ النساء اللواتي يرتدين الحجاب بطريقة تظهر خصلاً من شعرهنّ أو حتى لا يرتدينه على الإطلاق تواجهن عقوبات بدءاً بالغرامة وصولاً إلى السجن، بالإضافة إلى أن تصرّف هؤلاء النساء يعتبر مخزٍ ومعييب ويعرضهنّ لتحرّش الرجال.

واستجاب الإيرانيين لحملة بدأتها الناشطة الإيرانية والصحفية مسيح على نجاد المقيمة في نيويورك، وحثت الرجال على مشاركة صورهم بالحجاب على هاشتاج #meninhijabs، وتلفت بالفعل 30 صورة لرجال يرتدون الحجاب منذ انطلاّق حملتها يوم الجمعة الماضية، وقالت إن معظم الرجال يعيشون داخل إيران وشاركوا في الحملة بعد مشاهدة معاناة أقربائهم على يد الشرطة.

كما أُنشِرت عدة مواقع بأن الحملة جاءت ردّاً على وصف المجلة الأسبوعية يا لثارات الفنانين الإيرانيين بالديانة، وذلك لعدم ارتداء زوجاتهم الحجاب الشرعي في أحد الاحتفالات في طهران، حيث ارتدى بعض الرجال في أنحاء البلاد وخارجها الحجاب والنقطة صوراً بجانب زوجاتهم، بناتهم وصديقاتهم اللواتي ظهرن بدون حجاب.

يشار إلى أن الكثير من النساء تنظم مسيرات احتجاجية لرفض إجبارهنّ على ارتداء الحجاب حتّى أن بعضهنّ حلقن شعرهنّ كي لا يضطررن للتحجّب نهائياً!

هـ) تفسير صوفي لآيات الحجاب

بين المفسرين الذين نقلنا نصوصهم في القسم الثاني هناك سبعة مفسرين ينتمون للتيار الصوفي الذين يعطون الأفضلية في بعض الأحيان للتفسير الروحي للحجاب. ونحن نختصر هنا موقفهم:

- مكي بن أبي طالب، توفي عام 1045: لا يختلف هذا المفسر الصوفي عن المفسرين التقليديين الآخرين.
- عبد الكريم القشيري، توفي عام 1072: يتبنّى هذا المفسر الصوفي الموقف التقليدي ولكنه يضيف فيما يخص الآية هـ 31: 24\102: ما فيه زينة العبد لا يجوز إظهاره؛ فكما أنّ للنساء عورةً ولا يجوز لهن إبداء زينتهنّ فكذلك من أظهر للخلق ما هو زينة سرانه من صفاء أحواله، وزكاه أعماله انقلب رِيثُهُ شَيْئاً، إلا إذا ظهر على أحد شيء - لا بتعمله ولا بتكلفه - فذلك مستثنى لأنه غير مؤاخَذ بما لم يكن بتصرفه وتكلفه، فذوات المحارم على تفصيل بيان الشريعة يُسْتَثْنَى حُكْمُهُنَّ عن الحَظَر.
- عبد القادر الجيلاني، توفي عام 1166: لا يختلف هذا المفسر الصوفي عن المفسرين التقليديين الآخرين.
- البقلي، توفي عام 1209: لم يتعرض هذا المفسر الصوفي إلا للآية هـ 31: 24\102 فقط بالمعنى الروحي. فهو يقول فيما يقول: لأهل المعرفة أن من أظهر شيئاً من أفعاله إلا ما ظهر عليه من غير قصد له فقد سقط به عن رؤية الحق.
- أحمد بن عمر نجم الدين كبرى، توفي عام 1220: يتبنّى هذا المفسر الصوفي الموقف التقليدي ولكنه يضيف فيما يخص الآية هـ 31: 24\102: وَلْيُضْرَبْ بِخُمْرٍ عَلَى جُيُوبِ النور: 31 جُيُوب قلوبهنّ وَلَا يُبْدَيْنَ زِينَتَهُنَّ النور: 31 أي: يخفون الأحوال إلا لبُعُولَتِهِنَّ أَوْ آبَائِهِنَّ أَوْ أَبْنَاءَهُنَّ أَوْ أَبْنَاءَ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي إِخْوَانِهِنَّ أَوْ نَسَائِهِنَّ النور: 31 يُشِيرُ بِهِ إِلَى الشيوخ المتصرفين فيهم والأحوال المعاونين لهم والمريدين من المتمسكين بهم أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ النور: 31 يعني: من تملكوا على نفوسهم بحسن الإرادة. أَوْ التَّابِعِينَ غَيْرِ أُولِي الْأَرْزَةِ مِنَ الرِّجَالِ النور: 31 أي: لأتباعهم الذين لبسوا من أهل الدنيا أرباب المناصب، فيكون للنفس في إظهار الأحوال والأسرار ثم إلى طلب الجاه عندهم والرئاسة على غيرهم.
- اسماعيل حقي، توفي عام 1715: يتبنّى هذا المفسر الصوفي الموقف التقليدي ولكنه يضيف فيما يخص الآية هـ 31: 24\102 قولاً للبقلي ذكرناه اعلاه: لأهل المعرفة أن من أظهر شيئاً من أفعاله إلا ما ظهر عليه من غير قصد له فقد سقط به عن رؤية الحق.

- ابن عجيبة، توفي عام 1808: لا يختلف هذا المفسر الصوفي عن المفسرين التقليديين الآخرين.

4) الحجاب بين الليبراليين والمحافظين

ليس لنا نية هنا في عرض الجدل حول الحجاب عبر التاريخ. ونكتفي هنا بتقديم موقف امرأتين وثلاثة رجال معارضين للحجاب أو للنقاب، وفتوى من أعلى سلطة دينية إسلامية مصرية التي تعتبر الحجاب واجباً، دون التعرض للنقاب. هذه المواقف الإسلامية سنية من مصر. واختيارنا هذا يركز على كون مصر هي بلد الأزهر، المؤسسة الدينية الرئيسية في العالم السني، وفي هذا البلد يلاحظ تزايد مطرد لعدد النساء التي ترتدي النقاب، حتى بين طالبات الجامعات كما يلاحظ من الصور التي أخذت في الستينات من القرن الماضي. ونبدأ بالتأثير الليبرالي. وقد أضفنا لهذه الآراء موقف المفكر السوداني المرحوم محمود محمد طه الذي تم شنقه في 18 يناير 1985 بتحريض من الأزهر ورابطة العالم الإسلامي.

أ) التيار الليبرالي والحجاب

نوال السعداوي

الطبيبة نوال السعداوي، المولودة عام 1931، كاتبة مصرية من أشهر المدافعات عن حقوق المرأة في العالم العربي. ترفض حجاب المرأة، وليس فقط النقاب. تم سجنها في زمن السادات ورفعت عليها عدة دعاوى بازدرار الإسلام. وقد منع في مصر العديد من كتبها، ومن ضمنها سيرتها الذاتية. ونركز هنا على مقابلات لها لعرض موقفها من الحجاب.

ترى السعداوي أن للملابس دور وظيفي لا عاقلة له بالفضيلة. ففي المناطق الحارة الأفريقية يسير الرجال والنساء عراة دون الشعور بالحياء. وتعارض على تغطية النساء دون الرجال. كما ترى أن الحجاب ضد الأخلاق:

طب أنا أستسهل. عايزة أبقي بنت شريفة. اشتري حجاب بخمسين قرش ولا بخمسين جنيه. يعني ادخل الجنة بخمسين جنيه أو خمسين قرش. لا، أنا عايزة ادخل الجنة بسلوكي وأخلاق. مش اشتري قماش واغطي رأسي. وبعبدين لماذا المرأة تتحجب؟ ... يقولوا لك على شأن الرجل عينه شهوانية فيبص لها فتنفس الأخلاق. طب الرجل اللي عينه شهوانية هو اللي يُحجب. يعني دا اللي عينه تحجب. المفروض. أو تتخلع وتتقلع عينه. الرجل الذي ينظر للمرأة بشهوة في الشارع دا لازم يا أما نغطي عينه يا نخلعها لأنها فاسدة. هل المرأة بتبص للرجل في الشارع؟ طيب الرجل له شهوة. صبح. كل واحد له شهوة. المرأة لها شهوة أيضاً للرجل. نغطي بقى الرجل. لأن المرأة تشتتني الرجل نغطي الرجل أيضاً. ولا المرأة أقوى من الرجل بحيث أنها تتحكم في شهوتها أكثر من الرجل؟ هذا هو التناقض اللي عمرنا ما بنفكر فيه. نحن نرى التناقضات كل يوم لكن عينا عميت. ولذلك أنا أقول الإبداع هو القدرة على رؤية التناقضات اللي ما حدش بشوفها... فلو انه المرأة المحجبة تسأل نفسها هذا السؤال تقلع الحجاب!.

تعليقاً على منع الدكتور جابر نصار، رئيس جامعة القاهرة، من دخول الجامعة للمدرسات والموظفات المحجبات، ترى أن هذا المنع شكلي ومحدود، وتطالب الحكومة بمنع النقاب في كل مصر. ولو كانت رئيسة الجامعة لمنعت دخول أي أحد بالنقاب. فالنقاب ضد الأخلاق. فهناك رجال ونساء يتخفون وراء النقاب لارتكاب الجرائم ويخونون أزواجهم. والنقاب ضد الأمن لأن الأمن مبني على أساس أن وجه الإنسان بيان. وكما أنه لا يحق لك المشي في الشارع عارياً كذلك لا يحق لك أنك تتغطي.

ولكن ماذا عن الحرية الفردية؟ ألا يحق لكل شخص أن يلبس ما يريد؟ تجيب السعداوي بأن البنات الصغيرات في المدارس الابتدائية لم يخترن الحجاب، فالوزارة هي التي حجبتهن. أوقف أمام مدرسة ابتدائية، ترى أن كل البنات لابسات حجاب في سن العشر سنين. هل البنات في عمر عشر سنين اختارت الحجاب؟ الوزارة هي التي فرضت الحجاب. وتم تعويدهن على لبس الحجاب، وعندما تكبر يستمرن في لبسه. كما أن الإعلام والدولة وكلهم يتكلمون عن أن الحجاب هو شريعة، فطبيعي أنها تلبسه. فهل هذه حرية شخصية؟ فالحرية تتطلب أن يتم عرض الأحكام القرآنية المؤيدة والمعارضة للحجاب وأنا من يختار. وقطعاً المرأة التي عندها عقل سليم لن

تختار لا النقاب ولا الحجاب. وللنقاب والحجاب مخاطر طبية ونفسية. لأن الشعر يجب أن يتعرض للهواء والشمس. فلا أحد يختار العبودية إلا إذا تم استعباده¹.

وترفض السعداوي كل من التعري والحجاب، كما أنها ضد استعمال المكياج (فهي لا تستعمل المكياج). ففي الحالتين تتحول المرأة إلى بضاعة. والحجاب ليس موضوع حرية ولكن شعار سياسي خطير يعتبر عن استعباد المرأة. فهو يعني أن المرأة جسم بلا رأس. فلماذا يتم تغطية رأس المرأة؟ فرأس المرأة شرفها. وترى أن لا علاقة للحجاب بالديانات السماوية الثلاث لأنه سابق لها. فهو نظام عبودي، طبقي، وأبوي، بهدف اضطهاد المرأة. وتريد السعداوي أن يخضع كل من الرجال والنساء لنفس قواعد الزي. هذا ما يمكن تسميته الحرية. أما تحجيب المرأة وعدم تحجيب الرجال فليس من الحرية، بل تعبير عن الهيمنة والعبودية².

وترى السعداوي أن الوجه هو الكرامة. فكيف يمكن التكلم مع شخص لا وجه له؟ وعلى الدولة أن تمنع النقاب. فأنا عندما أرى امرأة مثل الخيمة، لا أجد لها كرامة. ولا يمكن القول بأن الحجاب مقبول من المجتمع. فجدتها الفلاحية لم تكن تتحجب ولكنها كانت تلبس طرحة ومنديل لتحمي رأسها من الشمس والتراب، لأسباب عملية، دون صلة بالدين. وقد تم فرض الحجاب. لقد جلب السادات الإخوان المسلمين والمساعدات الأمريكية والحجاب. ولا علاقة للحجاب بالدين. كل ما يطلبه الدين هو اللبس المحتشم. والحجاب ليس من عادات مصر، بل عادة دخيلة كما هو الأمر مع حركة الإخوان المسلمين³.

ونشير هنا إلى أن السعداوي مناهضة لختان الذكور وختان الإناث على السواء، وقد كتبت مقدمة كتابي بالعربية عن الختان المتوفر أيضا بالفرنسية والإنكليزية.

أمنة نصير

أمنة نصير هي استاذ الفلسفة الإسلامية والعقيدة بجامعة الأزهر، وعضو المجلس الأعلى للشئون الإسلامية وعضو في البرلمان المصري. اشتركت في عدة حوارات تلفزيونية عن الحجاب. لم نجد لها نصًا عن هذا الموضوع ولذلك نركز على مقابلات لها لعرض موقفها من الحجاب⁴. ونشير هنا إلى أنها تلبس الحجاب الذي يغطي شعرها وعنقها، مظهره فقط وجهها ويديها. وهي تعتبر الحجاب فريضة دينية ينص عليها القرآن، وتستشهد بالعدراء مريم التي تلبس الحجاب. إلا أنها معارضة للنقاب الذي تعتبره عادة يهودية كانت القبائل اليهودية ترتديه وأخذته عنها القبائل العربية التي اختلطت بها. وتذكر أن النقاب تنص عليه التوراة والتلمود وكتابات موسى ابن ميمون الذي يعتبر خروج المرأة من بيتها دون نقاب خروج من الشريعة اليهودية. فالنقاب فرض على المرأة اليهودية عقابًا لها على اللعنات التي أصابتها، وليس لتكريمها كما يُردده البعض. وما زال بعض اليهود في إسرائيل يلبسون النقاب⁵.

وقد رد عليها مؤيدو النقاب بأن سن الشريعة اليهودية عليه وعدم منعه من القرآن يعني أنه يسري على المسلمين وفقًا للمبدأ القائل: شرع من قبلنا شرع لنا ما لم يكن في شرعنا ما يخالفه. فأجابتهم بأن النقاب مخالف للآيتين 102\24: 31-32 اللتين تطلبان من المؤمنين والمؤمنات غض النظر. فإذا ورد النقاب في الإسلام فلماذا أمرت الشريعة الإسلامية بغض النظر؟ فكيف يمكن للمرأة أن تغض النظر إذا كانت مغطيتها نفسها من أعلى رأسها إلى اخمص قدميها؟ وتذكر في هذا المجال القاضي عياض الذي يقول بأن الله لم يأمر المرأة بتغطية وجهها ولكن أمر الرجال بغض نظرهم.

وترى أمنة نصير بأن لبس النقاب تم جلبه لمصر من قبل المصريين الذين عملوا في السعودية ودول الخليج. فترك الدول تركيز على المظهر وليس على الجوهر. وبما أنه يأتي من بلد النبي محمد، تأثر به المصريون، وتم الدعاية له بقوة في قنوات التلفزيون الإسلامية التي انتشرت في مصر. وقد صاحب مجيء هذا الزي موجة التحرش بالنساء، بما فيها تلك اللاتي تلبس النقاب. وهذه النساء لا تلبسه عن ورع ولكن للمظهر. وهناك رجال

1 <https://goo.gl/6agKr8> بداية من الدقيقة 55

2 <https://goo.gl/gBMQVM> بداية من الدقيقة 39

3 <https://goo.gl/MzuAoO> بداية من الدقيقة 39

4 نعلم على الأشرطة التالية: <https://goo.gl/dYCXVS>; <https://goo.gl/hYRWM2>; <https://goo.gl/Bu6Sqy>

<https://goo.gl/LzgIKR>; <https://goo.gl/CJEkCh>; <https://goo.gl/yoKIP0>

5 حول لبس النقاب عند اليهود أنظر هذا المقال: <https://goo.gl/oIFSYj>

يلبسون النقاب للتخفي وارتكاب الجرائم والإرهاب والعاهرة. والنقاب يثير الريبة في المجتمع، مما يجعله مخالف للإسلام.

وتقول بأنها عندما تسير بجانب امرأة تلبس النقاب، أو تركب التوكسي، أو تأخذ المصعد أو الأوتوبيس لا تعرف إن كانت بجانب امرأة أو رجل أو عدو. وإن سرقت منقبة حقيبتني أو احدثت ضرراً لسيارتي لن أتمكن من التعرف عليها. وللمرضى الحق برؤية الطبيبة التي تعالجهم كما يحق للطلبة رؤية وجه مدرستهم. وترى أمانة نصير بأن الإسلام وجد هذه العادة فأمر بغض البصر، واشترط في الملابس أن لا تشف ولا تصف ولا تلفت النظر. وترى أنه إذا كانت المرأة دكتورة في الجامعة أو طبيبة، وارتضت أن تمارس هذه الأعمال المسامية فلا بد أن يكون عنوانها واضح أمام الطالب والمريض، ويرى صحته على وجهها، لأن ظهور الوجه في هذه المهن أمر ضروري. ووجهت رسالة إلى من يرفضون خلع النقاب قائلة لهم : عودوا الى بيتكم تحمدوا، لا ترفضوا أمراً ليس في صحيح الدين. وترى أنه لا يمكن التذرع بحرية المرأة بلبس النقاب واهمال حق آلاف الطلبة وحقي في معرفة مع من تعامل.

وقد طالبتها الأوساط الدينية بترك المرأة حرة في ارتداء النقاب من عدمه وأن تتركس وقتها لمحاربة التعري والعرضات التي ترتدي ملابس غير محتشمة والتي تثير شهوة الشباب. وترد عليهم بأنه يجب اتخاذ موقف وسط، مستشهدة بالآية: وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا، لَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ، وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا. كما انها ترفض موقف المعارضين للحجاب أمثال نوال السعداوي، معتبرة أن الحجاب فريضة دينية. وترفض حملة الصحفي والكاتب المصري شريف الشوباشي الذي نصح النساء بخلع الحجاب. فهي ترى أن هذه الدعوى متطرفة كدعوى من يطالب بفرض النقاب على النساء.

ويرد عليها شريف الشوباشي بأن مصر تواجه أيديولوجية إرهابية التي لا يمكن مكافحتها فقط بالسلاح أو بحل المنظمات الإرهابية. فيجب شن معركة على المدى الطويل على المستوى الإيديولوجي والثقافي والاجتماعي بضرب عصب الإرهاب. فمنذ 40 سنة تتعرض مصر لإرهاب أخلاقي مع تهديدات خطيرة، ولا يستطيع أحد أن يفتح فمه. ويضيف بأنه ليس مع التعري، وأن الحجاب ليس في القرآن بصورة واضحة، وأن النساء قبل خمسين سنة لم تكن ترتدي الحجاب. ورغم ذلك لم تكن أقل إسلاماً ولا أقل عفة، ولم يكن التحرش الحالي معروفاً. ويشير إلى أن 90% من العاهرات في مصر محجبات، مما يعني أن ارتداء الحجاب ليس ضمان للعفة كما يدعي التيار الديني الذي يرفع شعار الحجاب عفتي والنقاب عفتي. ويعتبر أن 70% من النساء اللاتي ترتدي الحجاب يفعلنه مكرهات، بينما هو لا يكره النساء على خلع الحجاب. وعلى العكس من ذلك، هناك معلمون يضربون بالعصا بصورة متواترة رأس البنات لإجبارهن على لبس الحجاب. إلا أن أمانة نصير لا ترد على هذا الاعتراض وتستمر في موقفها بأن الحجاب فريضة دينية. وبما أن الحجاب فريضة دينية، فسوف يكون هناك من يريد إكراه النساء على ارتدائه.

وتشير هنا إلى أن هذه الأزهرية تدين جرائم داعش والحركات الإرهابية الأخرى ضد النساء التي يتم سبيهن وبيعهن كالبهائم في أسواق النخاسة. وترى أن هذا التصرف لا يمثل الإسلام، رغم أن ما تقوم به هذه الحركات تم تفصيله في كتاب ابن رشد بداية المجتهد ونهاية المقتصد ويتم تعليمه في مناهج الأزهر، كما بينه المثقفون والصحفيون المصريون مراراً وتكراراً²¹.

سيد القمني

ملاحظة أولية

هذا المفكر المصري يعرف نفسه بالعلماني. وهو مؤلف لعدد من الكتب، وحاصل على جائزة الدولة المصرية التقديرية في العلوم الاجتماعية. شارك في العديد من النقاشات التلفزيونية مع رجال دين مسلمين مناهضين له، وتم تهديده بالقتل وأقيمت ضده عدة دعاوى بازدرأ الأديان. يعتبر نفسه مسلماً، إلا أن معارضيه لا يتقون بهذه المقولة ويعتبرونه ملحدًا. ننشر له هنا المقال التالي:

مكانة الحجاب بين فضائل العرب³

1 <https://goo.gl/1yR2Kv>

2 <https://goo.gl/iKwdvO>; <https://goo.gl/jof0QS>; <https://goo.gl/odFSQI>; <https://goo.gl/RfXwtK>

3 <https://goo.gl/DOkBix>

لن أنشغل في هذا المدخل بموضوع الحجاب بالذات، بقدر ما سأهمد لمناقشة الموضوع بتحديد المعاني والمفاهيم، مع فرش الأرضية التاريخية تمهيداً وتأسيساً حتى نستطيع أن نميز في التعامل مع قضية الحجاب بين الخطين الأبيض والأسود. ولنتفق بداية حول معاني ما يطرح من ألفاظ حول هذه القضية، ولنبدأ بمعنى الفضيلة كقيمة معيارية لسلوك المسلم الأخلاقي، إذ يضع مشايخنا الحجاب كفرض ديني، والفرض حسب الفهم الإسلامي يقف علي الدرجات العليا علي سلم القيم والسلوكيات التي تميز المسلم بالفضيلة والشرف، وهي التي تميزه عن بقية بني الإنسان من مختلف الملل والنحل ؛ في كافة أنحاء المعمورة.

إذن لنتفق مبدئياً حول معنى الفضيلة كقيمة أخلاقية معيارية لقياس السلوك، فالمعلوم في الفرع الفلسفي المعروف بعلم الأخلاق، أنه ليس لفرد أن يحدد السلوك الفاضل ليفرزه عن السلوك الرذيل غير الفاضل والشريير بالضرورة، مهما بلغت مكانة هذا الفرد. إنما المجتمع هو الذي يضع التعريفات والمواصفات والتفاصيل ويفرز بين نوعي السلوك، لأنه لو كان ذلك بيد الفرد، فإن الفرد لا يريد أي قيود علي سلوكه، ولا يشتتهي سوى انطلاق رغباته وشهواته التي تحقق سعادته الشخصية بإشباع هذه الرغبات، بغض النظر عن غيره من أفراد جماعته أو مجتمعه، ومدى ما يحصل لهم من ضرر إزاء تحصيله لأغراضه وحده دون عنهم. لذلك فإن الجماعة هي التي تبحث عن تحديدات السلوك بغرض النفع العام للجماعة كلها ودون أن تصاب بالضرر ومع ما يتفق وظروفها وبيئتها وجغرافيتها، بغرض أساسي، هو البقاء وعدم الفناء، أو عدم الذوبان في جماعات أخرى لها نظم وتعريفات أخرى مختلفة لقيمتي الفضيلة والرذيلة.

و عندما تضع الجماعة فضائلها المرغوبة لديها، فإنها تلزم الفرد بالتنازل عن بعض رغباته مقابل قبول الجماعة لعضويته فيها ورضاها عنه.

و من هنا فإن الفرد الذي يريد رضا جماعته، عليه أن يشتري ودها بالتنازل عن بعض رغباته وأن يلتزم بتعريف الجماعة للفضيلة وتوصيفها للسلوك الفاضل، وذلك مقابل نياشين شرف تضعها الجماعة علي صدره، فيقال عن فلان رجل أمين أو رجل صادق، وعن فلانة بانها امرأة طيبة أو زوجة صالحة. والفرد بذلك لا يتقاضى عما تنازل عنه وخسره مالا أو عقاراً لأن الفضيلة شأن معنوي لذلك يكون مقابلها بالضرورة شأناً معنوياً غير مادي، فتعطي الفرد السمعة الحسنة والتي قدرتها الجماعة منازل ومراتب اجتماعية لإشباع غوره ومن ثم شعوره بالسعادة، وعليه ترتقي مراتب الفرد الاجتماعية بمدى التزامه بفضائل مجتمعه وتزفحه عن الصغائر المردولة.

وباختلاف ظروف الجغرافيا بين بلاد الوفرة الخصيبة وبلاد الندرة الجافة الفقيرة، وبين بلاد السواحل وبلاد العمق القاري، يختلف أيضاً التاريخ، فتختلف المصالح المرجوة بين بيئة وأخرى وقدرها وزخمها، كما تختلف المعاني الإنسانية للشهامة والمروءة والفضيلة والرذيلة والخير والشر باختلاف تلك الظروف المجتمعية الاقتصادية الجغرافية، ومن ثم يتم تعريف أي قيم وكل القيم بأنها معيارية أي أداة قياس للسلوك تختلف من مواطن لآخر ومن زمن لآخر، وإن صلح بعضها في مكان أو زمان بعينه، فإنه يكون خراباً عاجلاً في زمان ومكان آخرين.

نضرب لذلك مثلاً من المجتمع العربي في جزيرة العرب إبان العصرين الجاهلي الأول والجاهلي الثاني أو الآخر، قبل الإسلام. فنجد العربي في جاهليته الثانية وقد دارت محاور حياته كلها حول التجارة، حتي قيل في المثل السائر في الدنيا (أن كل عربي تاجر). وكانت التجارة في جزيرة العرب بداية لتحول عظيم بالمجتمع عن سابق نمطه الجاهلي الأول نمط القبيلة المتنقلة وراء الكلا وعيون الماء، التي كانت تعيش عالة علي الطبيعة لا تنتج إنما تسعي وراء منتج الطبيعة النادر والشحيح في الصحارى، لتشرب مائه وتتغذي علي عطائه نباتاً أو بروتيناً حيوانياً يأتيها ناتجاً طبيعياً من تلاقح قطعانها. وفي مثل هذه البيئة حيث النادر الشحيح من الخيرات الطبيعية، عاش المجتمع العربي في جاهليته الأولى صراعاً قليباً دانبا لا يهدأ ولا يتوقف علي الخيرات الضئيلة، حتى كان العربي يذبح العربي من أجل حفنة تمرات أو إزار أو درع أو سيف أو سكين أو قوس، أو من أجل حيازة موطن الماء.

كان الصراع الاجتماعي إذاك صراع حياة أو موت، فهو صراع صفري يفوز أحدها ويخسر الآخر حياته وممتلكاته لصالح المنتصر، وفي مجتمع كهذا لا يكون ثمة معنى للحديث عن الفضائل كالأمانة والنخوة والمروءة والشرف، لأن مثل هذه المعاني لابد أن تقضي بصاحبها إلي الفناء جوعاً وعطشاً بالضرورة، أو التحول إلي العبودية لقبائل أخرى منتصرة.

أما كيف انتقل هذا المجتمع البدائي الهمجي من جاهليته الأولى إلى جاهليته الثانية أو الأخيرة، فهو ما يمكن قراءته من قراءة تاريخ العالم في ذلك الزمان، وما كان من تأثير لأحداث العالم علي جزيرة العرب، حتى نقلتها من عصر إلى عصر ومن توحش إلى بشرية ومن زمن السعي وراء الثمار والماء والصيد إلى زمن الاستقرار وإنشاء المدن والعمل بالتجارة، بل والقيام بعبء تجارة عالم ذلك الزمان، حتى أصبح العرب بفضل تلك الأحداث الدولية هم وسطاء ثم أصحاب تجارة العالم القديم كله شرقاً وغرباً، شمالاً وجنوباً.

خلال القرن الخامس الميلادي كانت تجرى تحولات هائلة عالمياً ومحلياً، فقد دخلت إمبراطوريتا الفرس والروم حرباً طالمت في زمناً حتى أصبحت سبعينية، وطاردت كلاهما الأخرى في مستعمرات كل منها وفي كل خرم في العالم القديم، حتى قطعاً مسار طرق التجارة بين كليهما قطعاً تاماً، مما أدى إلي كارثة اقتصادية عالمية ناتجة عن خنق طرق تجارة العالم.

و لعل أهم السلع التي عز شأنها سلعة كانت مطلباً للقتال العسكري، هي طيوب الهند وأفريقيا التي كانت هي مصادر علم الصيدلة، والعلاج للجرحى وغيرهم من مصابين بالأمراض. ولم يبق أمناً من بين طرق التجارة الدولية غير طريق الصحارى الكبرى بجزيرة العرب وهو المار بمكة، وهو الطريق الوحيد الذي لم يرغب فيه لا الفرس ولا الروم، وتصادف أن أهم البضائع التي كانت ترد لهذا الطريق هو الطيوب الهندية التي كانت تصل من الهند وأفريقيا إلى موانئ اليمن.

و من ثم تهيأت الفرصة السياسية الدولية والاقتصادية لتحول مجتمعي عظيم في جزيرة العرب، التي تحول عربها عن أكل بعضهم بعضاً للقيام في البداية بالتجارات الصغيرة التي جعلت عرب الجزيرة يقومون من بعد بعبء تجارة العالم مع نمو الثروات الخيالي الذي وصلنا بعض من خبره مع أسماء تجار بلغت ثرواتهم ثروات الأكاسرة والأباطرة، كما كان مثلاً شأن أبي أحيجة الأموي. وحمل العرب بضائع الصين والهند وأفريقيا من شواطئ اليمن إلى بلاد الإمبراطوريات في رحلة الصيف، وحملوا بضائع الإمبراطوريات عوداً إلى موانئ اليمن في رحلة الشتاء.

و قاد هذا التحول المجتمعي العظيم المتسارع مع تسارع الأحداث العالمية الضخمة والهائلة، قبيلة قريش التي سكنت على منتصف الطريق التجاري المار بمكة، واستقرت فيها وتحولت بها من مجرد استراحة جرداء إلى مدينة عامرة كبيرة، تتيخ بها القوافل التجارية للراحة بضعة أيام قبل أن تتابع رحلتها الشمالية الشامية. حيث كان التجار يجدون كل مطالبهم من خيام فندقية إلى ملاء ليلية ومراقص وخمارات، إضافة إلى ما يلزم من أرباب قبائل جزيرة العرب كلهم، استضافت لهم نماذج منحوتة في فناء كعبتها حتى بلغ عددها بعدد أيام السنة، فيأتي العربي التاجر ليلهو ويعبد ويستريح أياماً جميلة يستمتع فيها إلى شعر عكاظ ويبيع فيها ويشترى من سوق بدر، ثم يضع أسهمه في القافلة الكبرى السنوية في رحلة الشتاء والصيف، بينما يتم حفظ التجارة في رعاية الرب الأكبر للتجار، رب السماء، الأمين الحافظ للتجارات، الكريم مع عباده، فكانوا يودعونها الكعبة كمخزن في حراسة الله وهو الإله الأعظم من كل الأرباب صاحبة التماثيل، لأن تلك إنما كانت شفاء لهم عند رب السماء كي يستجيب لهم ويبارك لهم في تجاراتهم، ومن ثم أصبحت مكة حينذاك مثل لاس فيجاس وسان فرانسيسكو اليوم، مرتعاً لكل التجارات والنزوات التي تمثلت أول تجارات في العالم، التجارة بالجنس والعبيد ما بين صويحات الرايات الحمر إلى أسواق العبيد الكبرى.

و حتى تشتري قريش أمن تجارتها الدولية، فقد أشركت القبائل العربية الأخرى في تجارتها بنسب تعود علي أصحابها بقدر ما دفعوا في قوافلها. ومنحت آخرين جعالات لوقوفهم علي الطريق التجاري الطويل، لتجعلهم حراساً للقوافل بدلاً من نهيبها، حرصاً علي استمرار سيولة الطريق كضامن لحياة عربية أفضل، وإدراك من العربي ثاقب، بعد تجارب أكتشف معها أنها أفضل طريقة للحفاظ علي أمن هذا الطريق من كل سوء. لأنه الطريق العالمي الوحيد ؛ وان استمرار سيولة وأمن هذا الطريق سيكون ضامناً لعدم احتلاله من قبل إحدى الإمبراطوريتين، لأن الملوك إذا دخلوا قرية أفسدوا فيها وسلبوا التجار مكاسبهم وفرضوا عليهم الضرائب الباهظة، وجعلوهم أذلة، وكان العرب في غنى عن كل هذا، وأكثر غنى بما حققوا من مكاسب قامت كلها على معاني وكلمة وفضيلة (الأمانة)، فكان كل تاجر حريصاً علي أن يعرفه الآخر بأنه (الصادق الأمين)، وثابروا في هذا الشأن، لأن الصادق الأمين كان الناس يسلّمونه تجاراتهم فيأخذ نسباً أعظم من قرنائه نظير الإشراف علي قوافل التجارات و ثمناً لو عثاء الطريق ومشقته. وهكذا كان للمتغير الدولي دوره في ظهور فضائل محلية من نوع جديد لم تكن معروفة ولا حتى مفهومة من قبل زمن الجاهلية الأولى، كالوفاء بالعهد، لأن التجارات عهود شفاهية أو مكتوبة، يكفي نقض بعضها حتى لا يثق الناس في موثوقيتها كلها، فتحسر وتبور، لذلك كان

عربي العصر الجاهلي الثاني حريصاً علي الوفاء بالعهد الذي كان تطبيقه والالتزام به، حافظاً للمال المتداول بين أيدي كثيرة وقبائل عديدة، وضماناً لحقوق المساهمين قبائل وأفراد وحراس في قوافل التجارة الدولية. وهي فضائل لم يعرفها العصر الجاهلي الأول، هذا ناهيك عن فضائل متلازمة مثل كرم الضيافة حتى لا يهلك حاملو التجارات في فيافي الصحارى، لطوارئ الرياح ومشاكل المرض سواء للبشر أو للجمال فيجدوا في القبائل المتبدية مراكز للراحة والاستشفاء، ولأن العائد يعود بفوائده علي الكل، فكان للكرم علي الطريق أعطيات تقتطع من عائد القافلة كلها بعد عودتها سالمة آمنة، رداً للكرم بكرم أعظم يحقق لصاحبه العائد المادي والتكريم المعنوي لفضله وكرمه، ورد من الجماعة للجانب المادي بالمادي مع تكريم صاحبه وإشهار شأنه بفضيلة الكرم، وبلغنا من بينهم حاتم الطائي بكرمه الأسطوري وهاشم جد النبي الذي كان يهشم الثريد لقومه أزمان المجاعات لذلك لقبه العرب هاشماً بينما أسمه الأصلي هو عمرو.

وقد كان النبي يذكر قريشاً مقرونة بالأمانة دوماً، ومن حديثه لأبي قتادة إبان حرب النبي مع قريش قوله: يا أبا قتادة إن قريشاً أهل أمانة من بغاهم أكبه الله على فيه. السيرة الحلبية ج 2 ص 525.

المهم مع هذه التحولات في الجزيرة بدء ظهور الشعور القومي نتيجة التقاء العرب في الأسواق، ثم تقارب لغاتهم المختلفة للتفاهم، حتى صاروا يتفاهمون بلغة العاصمة التجارية مكة لغة قريش، فكان إن بزغ شعور قومي يدفع العرب لاختيار أنفسهم شعباً واحداً له لغة واحدة وأب واحد هو يعرب بن عدنان، الذي يعود لإسماعيل بن إبراهيم الخليل، تقارباً مع التوراة وتأثراً بيهود الجزيرة وأساطيرهم عن آباء البشر الأولين. وهنا بدأ حلم العرب في توحيد قبائلهم في دولة. بعد أن شعرت بالتأزر بعد أن كانت تاكل بعضها بعضاً في معادلة صفرية مستمرة. ومن كان يكسر هذه الفضائل المستحدثة كانت قبائلهم ترفضهم وتلفظهم خارجها بلا حماية ولا رعاية في مجتمع بلا شرطة ولا قانون، والنسب للقبيلة هو دعامته للفرد في مواجهة غوائل المجتمع البدوي، وقد شكل هؤلاء الملفوظون من قبائلهم من اشتهروا بلقب الذؤبان وأحياناً الصعاليك، وهم من مرق علي قيم مجتمعهم غير معترف بها ولا بفضائل جماعته، وعادة ما شكل هؤلاء خطراً مستمراً على التجارات جاءت به حكايات القوافل، كفرز موضوعي ضروري بحسبانه تمرداً يتبنى مبادئ مخالفة، وما خالف فضيلة المجتمع فهو رذيلة، مقابل الفرز الأعظم للفضائل الكبرى الخادمة لمصالح الجماعة وكبار التجار وذوي الوجاهة مثل الوفاء بالعهد والأمانة والكرم.

عندما ظهر الإسلام عاد بالعرب إلى زمن الغزو والأسر والسبي، والسلب والنهب (من قتل قتيلاً فله سلبه، ومن أسر أسيراً فهو له / حديث نبوي ضمن شريعة الحرب)، وهو أخشى ما كان يخشونه العرب على تجارتهم، خاصة عندما هاجر النبي وأصحابه إلى يثرب حيث عنق الطريق التجاري الدولي، وأخذوا يقطعون الطريق علي قوافل قريش التجارية في حصار اقتصادي يطلب تركيبها للنظام الجديد والدولة الجديدة الطالعة علي صفحة الزمان في جزيرة العرب. وهو ما جاء أول ما جاء علي لسان النبي ينادي اتباعه قبل الغزوات والسرايا والفتوح، وقد تم تجنيدهم وتجهيزهم وتدريبهم شهوراً سابقة في يثرب للقيام بمهامهم التي ألغاها التاريخ علي عاتقهم، فقاموا يغيرون تاريخ العالم. يقول النبي: أحلت لنا الغنائم ولم تحل لأحد من قبلنا، وذلك أن الله رأى عجزنا وضعفنا فوهبها لنا، التبلي / العرائس / المكتبة الثقافية / بيروت، ص 249. مصحوباً بالآيات القرآنية تضع قواعد ن

توزيع الغنيمة بعد انتصار الغزو واعلموا إنما غنمتم من شيء فإن لله خمسُه وللرسول ولذوي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل إن كنتم آمنتم بالله وما أنزلنا علي عبدنا يوم التقى الجمعان والله على كل شيء قدير، فكلوا مما غنمتم طيباً حلال واتقوا الله إن الله غفور رحيم، 41، 66 / الأنفال.

بمقاييس فضائلنا المعاصرة لن يكون مفهوماً كيف يكون القتل والغنم حلالاً طيباً ؟ وقد يقف العقل حائراً يحاول أن يفهم ولإيمانه تثبيتاً. وبمقاييس مواد معاهدة جينيف لا بد أن تجفو الروح السلب والقتل والغنائم، لكن الإسلام كان يعلم ما هو فاعل، كان هو الأعلَم بزمانه وظروفه، وإن العربي لا يخضع لعربي إلا إذا كان ذا شأن عظيم كالنبوة المصحوبة بالقوة، فهذه القبائل لا توحيدها وتضمها تحت سلطان دولة يثرب المدينة إلا القوة القاهرة لأنفة البدوي التي تجعله يرفض الخضوع لسلطان من غير سلطان قبيلته.

و هذا بالتحديد ما جعل قريشاً سيدة عالم التجارة تجزع علي تجارتها التي ستؤدي إلى خراب الجزيرة كلها، فكان قطع المسلمين لطريق التجارات والاستيلاء علي ما فيها وقتل حراسها ومرشديها يعني كساد التجارة وبوارها. وهو ما يمثلته قولهم: لنقطع عنا الأسواق فتهلك التجارة، وليذهب ما كنا نصيب فيها من المرافق /

سيرة ابن هشام في الروض الأنف للسيهيلي 4 / 186. أو ما عبر عنه لسان صفوان بن أمية يردد لسان حال قريش وهي تقول: إن محمداً وأصحابه قد عوروا علينا متجرنا، فما ندري ماذا نصنع بأصحابه وهم لا يبرحون الساحل؟ وأهل الساحل قد وادعوا محمداً (أي دخلوا في حلفه وسلطانه)، وإن أقمنا في دارنا هذه أكلنا رؤوس أموال، فلم يكن لنا من بقاء، وإنما حياتنا على التجارة إلى الشام في الصيف، وإلى اليمن في الشتاء / أباكر السقاف / نحو آفاق أوسع / الأنجلو / القاهرة، ج2، 1458.

لذلك طمأنهم الإسلام وأعطاهم برهاناً على مكاسبهم المقبلة، بما كسبه جنوده من الغزو والسلب والنهب الحلال، أحل من لين الأم وبرضي ومباركة ومشاركة سماوية بالملأ الأعلى الذين نزلوا يحاربون مع المسلمين لتأكيد هذه الحلالية، مع برهان آخر بعدة غزوات علي بلاد الروم كراً وقرأ واستقطاع أرض بقبائلها من الرومان لتخضع لسلطة يثرب مثل وادي القرى وتيماء، موجهاً نظر العرب إلى حيث كنوز العالم، فكان البديل بالغزو الخارجي هو الأعلى والأكثر عاندية، ناهيك عن كون المحارب لو مات لدخل جنة عرضها السماوات والأرض. كان البديل للتجارة هو فتح الباب لغزو دول الحضارات المحيطة حيث الثروات الهائلة وكنوز الأباطرة والأكاسرة والأمراء الدوليين وسادة العالم القديم. وتطميناً بعبارات مباشرة يقول القرآن مخاطباً قريشا والعرب: وإن خفتم عيلة فسوف يغنيكم الله من فضله إن شاء الله والله عليم حكيم / 28 / التوبة. ويشرح ابن هشام مصدر هذا الفضل الذي سيغنيهم بقوله: يغنيكم الله من فضله أي من وجه غير ذلك. قاتلوا الذين لا يؤمنون بالكتاب واليوم الآخر من الذين أوتوا الكتاب حتى يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون، أي ففي هذا عوض عما تخوفتم من قطع الأسواق، فعوضهم الله بما قطع عنهم بأعناق أهل الكتاب من الجزية / المسعودي / مروج الذهب 2 / 57.

عاد المجتمع العربي في جزيرته إلى فضائله القديمة التي كانت قد أصبحت في العهد الجاهلي الأخير رذائل منبوذة من المجتمع، نتيجة الطارئ الجديد الإسلامي، ولكنها لبست ثوباً جديداً أكثر تماسكاً وقوة، ثوب الدين الواحد الجامع، في شكل أوامر ونواه وحدود وجزاء وعقاب دنيوي وآخروي، وهو ما مهد فيما بعد لاكتشاف التشريع القانوني الذي لم يعرفه العرب من قبل، إلا في شكل مواضع اجتماعية فاضلة وغير فاضلة.

و المعنى في كل ما سلف أن الفضيلة معنى يتطور ويتغير بتطور الزمن وتغير ظروف المجتمع محلياً نتيجة ارتباطه بالمجتمع الإنساني وما يحدث علي سطحه من أحداث تاريخية. ولا توجد فضيلة ثابتة تناسب كل المجتمعات، فما هو فضيلة في زمن، قد يكون أشر الرذائل في زمن آخر داخل نفس المجتمع، وما هو رذيلة في مجتمع قد يكون فضيلة كبرى في مجتمع آخر، كذلك تتغير دلالات الفضيلة بتغير الزمن ومتطلباته.

أضرب هنا مثلاً آخر من تاريخنا العربي: عن زياد بن جزء الزبيدي قال في فتوح مصر: لما فتحنا باب اليون (بابلون) تدينا قرى الريف فيما بيننا وبين الإسكندرية قرية قرية، حتى وصلنا إلي بلهيب، قرية من قرى الريف يقال لها الريش وقد بلغت سبايانا المدينة ومكة واليمن. أرسل صاحب الإسكندرية إلى عمرو بن العاص: إني كنت أدفع الجزية إلى من هو أبغض إلى منكم معشر العرب، للفرس والروم. فإن إحببت أن أعطيك الجزية علي أن ترد علينا ما أصبتم من سبايا أرضي فعلت. فكتب عمرو بن العاص بذلك إلى عمر بن الخطاب فأجابته: أما بعد، فإني قد جاني كتابك تذكر أن صاحب الإسكندرية عرض أن يعطيك الجزية علي أن نرد عليه ما أصبتم من سبايا أرضيه، ولعمري لجزية قائمة لنا، ولمن بعدنا من المسلمين أحب إلي. أما من تفرق من سبيهم بأرض العرب فبلغ مكة واليمن، فإننا لا نقدر علي ردهم، ولا نحب أن نصالحه علي أمر لا نفي له به / الطبري / ج 2 / أحداث سنة 20 / دار الكتب العلمية / ص 512، 522.

هنا لابد أن نلاحظ بشدة استمرار فضيلة الوفاء بالعهد والحرص عليها في الزمن الإسلامي، متوارثة من زمن الجاهلية الثاني الذي تنتسب إليه أعظم مكارم العرب وفضائلهم في الأمثال والقصص التي وصلتنا عنهم. وقد حرص الخليفة عمر علي العمل بهذه الفضيلة وخشي معاهدة صاحب الإسكندرية علي شرط وعهد أن يعيد إليه بموجبه نساء وحريم بلاده المسييات، فهو مما لا سبيل إليه، فلن يعيد أحد في مكة أو المدينة أو اليمن ما وصله من حريم مصر وأخذة نصيباً وفيما حسبما كان يوزع عمر الفداء والجزية علي العرب، كل حسب رتبته الاجتماعية ونسبه بين العرب، ففرض أولاً لهاشم، ثم لأصحاب بدر، ثم للسابقين، ثم للمهاجرين، ثم للانتصار، ثم لباقي قبائل العرب.

رفض الخليفة هذا الشرط المعاهد للصالح لأن استعادة النساء اللاتي تم توزيعهن متعة للعرب مسألة شديدة الصعوبة، وهو ما يعني مخالفة الوفاء بالعهد كفضيلة راسخة منذ العصر الجاهلي الثاني صانع المكرمات، بينما لم يلحظ الخليفة بالمرّة أن سبي النساء يخالف فضيلة اجتماعية متفق عليها بين دول العالم القديم اسمها الحفاظ

علي العرض من الهتك. والأمر ببساطة دون محاولة تغليف أو تجميل للتاريخ، أن هتك عرض العدو لم يكن رذيلة في القانون الأخلاقي الإسلامي، وإذا كان الزمن قد تغير وأصبحت مشاعرنا اليوم لا تقبل سبي النساء ونكاحهن، فإن زمنهم كان سبي وهتك العرض علامة رجولة وفحولة وقوة وبطولة، ناهيك عن كون ركوب السبايا كان إعلان نصر وفوز لله وجنوده المسلمين. فكان كل قائد فاتح يتغنى بعدد ما سبي من نساء بلاد الحضارات ليوزعوا علي عرب الجزيرة ويباع الفائض في أسواق النخاسة. كان ذلك علامة نصر بغض النظر عن الوسائل وعلاقتها بسلم القيم. كان السبي هو ضريبة الهزيمة على من لا يستجيب لأحد المطالب الثلاثة: الإسلام، أو الجزية، أو الحرب، وما يتبع الحرب للمهزوم من تحوله من إنسان حر إلى عبد مملوك هو وما يملك من مال أو عقار أو بهائم أو نساء، حسب قانون الحرب الإسلامي. كانت تلك هي ضريبة المعادلة الصفرية، وقد أدت شريعة الحرب الإسلامية إلى تحقيق مرادها، فكثيراً ما دفعت إلى استسلام بلاد عظمى للإمبراطورية الطالعة دون استمرار المقاومة، لما شهده يحدث لبلادهم ونساءهم وأطفالهم، وعندما اكتشفوا أن عند العرب قانون يقول إن ما أخذه العرب عنوة هو ملك لمن أخذه، وهو غير ما يؤخذ بالاستسلام بعهود تعفي المهزوم من العبودية المباشرة ليدفع ضريبة الروس جزية وهو صاغر. ما يذكرنا بما حدث منذ قريب في هجرة فلسطينية واسعة إلى خارج فلسطين بعد عدة غزوات قامت بها العصابات الإسرائيلية الأورجون واشتيرن وغيرها على دير ياسين وقيية وكفر قاسم فكان أن ترك الناس كل ما يملكون وهربوا بجلودهم.

و ما بين اليوم والأمس أربعة عشر قرون، ومع ذلك سمح الظرف العالمي باستعادة مبدأ كان مطلوباً في زمنه وانتهى زمنه وأصبح قيمة مرفوضة، استعادة الظرف العالمي من مكنه في سلة مهملات وقمامة التاريخ، ليقوم الإسرائيليون لهم دولة بغض النظر عن الوسائل بمقاييس اليوم، لأن الرذيلة لا بد في السياق الموضوعي للأحداث أن تتحول إلى فضيلة يتم تغليفها بكونها استعادة لأرضهم من العربي المحتل، وإنها حالة دفاع وطني مستمر ضد محيط متوحش يتنمر لها حسيما يقولون إن صدقا أو كذبا.

المعادلة الصفرية كانت تحافظ علي حياة البعض بعد أن يتم القتل البعض ويأخذوا ما لديهم لاستمرار المحافظة علي حياة البعض، وقد استدعى ظرف العالم وتكوين إسرائيل استدعاء تلك الفضيلة القديمة بمبرر إقامة دولة إسرائيل المباركة من الرب وحتمية قيامها حتى يصدق الواقع مع نبوءات الكتاب المقدس. لتكتسب المعادلة الصفرية قداسة ورعاية إلهية مباشرة لتصبح أعلى من الفضيلة، لكونها مقدسة.

هنا لابد أن يطرح سؤال يطرح نفسه بلا تردد: إذا كان الإسلام قد أجاز وطء المسبيات ونكاحهن بلا عدد، وشراء الإماء لنكاحهن بلا عدد، وأعطى الزوج بالإضافة إلى حريمه أربع زوجات حرائر، وكلهن (إماء وزوجات) حلال أحل من لبن الأم، والزوجات هن من ينجبن الأبناء الصرحاء الأحرار بالدم، أما لو أنجبت الجارية فيتم إعطائها لقب فيه شبه اعتراف وعدم اعتراف هو (أم ولد) فتقف في مرتبة بين الأمة وبين الحرية. فإذا كان للرجل كل هذا الحشد من النساء في آن واحد، فما هو المقصود بالزني كـرذيلة في الإسلام؟ وما معنى هتك العرض؟ وهل يمكن تصور كل هذه الأجساد في حضن رجل فرد ويفكر في الزني؟ ولماذا؟ وهو لابد أن يستدعي السؤال بالنتيجة: وهل كان ذلك متوفراً لكل إنسان في دولة الإسلام منذ زمن النبي وحتى انتهاء دولة الخلافة العثمانية؟ هذا ما يحاول أن يوعز لنا به أنصار الدولة الإسلامية من الإخوان وأنصارهم، فيحكون لنا عن ازدهار زمن الخلافة الراشدة لأنها كانت تطبق الشريعة حتى كانوا يشترون الجارية بوزنها ذهباً، دون أن يشعروا بأي مشكلة مع كون هذه الجارية كانت حرة في بلادها قبل أن تخطف لتباع، وأن نهر الأموال الذي فاض علي العرب لم يكن لتمسكهم بتطبيق الشريعة، ولكن لأنهم سلبوا البلاد المفتوحة وهتكوا عرضها وسلبوها كنوزها وخيرها وحلبوها حلباً.

لدينا في كتب الفقه الإسلامي تفاصيل طويلة تجعل من عارفها يعرف كيف كان الرجل يفضل أن يشتري جارية لو كان له مال، علي أن يتزوج لما في الزواج من أعباء، ويقول الفخر الرازي بشأن اقتناء الإماء ولعمري أنهم أقل تبعه، وأخف مونة من المهنات (أي الحائز المدفوع لهن المهر)، لا عليك أكثر منهن أم أقلت، عدلت بينهم في القسم أم لم تعدل، عزلت عنهم أم لم تعزل.

و بهذه الكتب تفاصيل لنكاح السراري والإماء في أبواب طوال تحدد الفارق بين نكاح الحرية ونكاح الأمة، ومكان الحرية القانوني ومكان الأمة وتراتبهما الطبقي وما يترتب علي ذلك في الواقع من حيث الحق والواجب، وأبحاث حول جواز نكاح الابن لجارية / أمة أبيه من دمه، وحد الزنى العقابي علي الحرية الذي يختلف عن عقاب الأمة الزانية، فالأمة الزانية عقابها التقريع والتخويف وربما الضرب وإن كررت فعلها يبيعها صاحبها

في السوق ولو بخردلة. أما الحرة فعقابها القتل رجماً للثيب والجلد للبكر. كذلك هناك بحوث حول ملابس الحرة وملابس الأمة، إذ لم يكن الرجل يعتبر أن الأمة ذات شرف فهي أقل من كونها شيء، لذلك كانت الإماء تنبترجن وتنزبن، وفي الجاهلية الثانية كانوا يتاجرون بالإماء دعارة مقابل المال في مكة حتى جاء الإسلام وأنكر هذا الفعل وحرمه وجرمه. أما الحرة فلا بد لها من ملابس خاصة واضحة تميزها بشكل قاطع بعلامات تقول أنها حرة، وأن يكون ذلك الملبس بقصد الإعلان، لذلك كان الرجل العادي في السوق يستطيع أن يميز بين الأمة وبين الحرة، وأنه ربما حاول التحرش بالأمة، لكنه أبداً لا يتحرش بالحرة، لذلك ازداد الإسلام تمييزاً لنسائه الأحرار عن نسائه الإماء بالخمير، فأمر بقوله: وليضربن بخمورهن علي جيوبهن 31 / النور ويشرح الشيخ يوسف قرضاوي معنى الآية بقوله: إن أوامر الإسلام كانت بمخالفة المشركين والمجوس كأوامر للنبي، وأن القرطبي فسر فقال: إن النساء زمن النبي كن يغطين رؤوسهن بالأخمرة ويسدلن علي الظهر فيبقى النحر مكشوفاً، فأمر بإسدال الخمر علي الجيب أي الصدر، وكان غطاء رأس كالجبال، كجزء من طبيعة البيئة لاتقاء الشمس الحارقة: قل يا أيها النبي لأزواجك وبناتك ونساء المؤمنين يدين عليهن من جلابيبهن ذلك أدنى أن يعرفن فلا يؤذين / 59 / الأحزاب، وسبب نزولها أن عادة الأعراب التبرز في الصحراء وليس داخل البيوت، فكان بعض الفجار يتعرض للمؤمنات مظنة أنهن جوارى غير عفيفات، فجأت الآية لتمييز لباساً للحرائر المؤمنات، وكان عمر يضرب الجارية إذا تحجبت محافظةً علي تميز الحرة بزيها، وفي زمننا لا توجد جوارى، والكف داخل البيوت، وانتقي شرط إدناء الجلابيب للتمييز بين الحرة والأمة / حلقة الظاهريون الجدد / قناة الجزيرة.

مما سبق عرضه نفهم أن ملابس نساء الجاهلية كانت شديدة البساطة، فهي قطعة قماش تشق من وسطها بفتحة مناسبة تسمح بدخول الرأس ثم تخاط من الجانبين، فيظل الشق مفتوحاً لعدم معرفتهم بعد بنظام السوستة، أو الأزرار التي ما كانت تجمع شقاً بحجم الرأس فوق الثديين علي بعضه البعض، وما كان لديهم معرفة بشأن الحياكة الأكثر تعقيداً وتخصصاً في بلدان الحضارات وأزيائها، لذلك يقول القرضاوي: كانت المرأة في الجاهلية تمر بين الرجال مسفحة بصدورها لا يواريه شيء / نفس الحلقة. وكانت الحرة تلبس خماراً علي رأسها وهو من تخمر الرأس أي تغطيتها حماية للشعر من أتربة الصحاري وحرها ومنعاً لإصابته أيضاً بالحشرات لنذرة الماء، لذلك تسمى المشروبات الكحولية خمراً لأنها تخمر العقل أي تغطيه فلا يعود يميز، وكان للخمار طرفان يلتقيان خلف الرأس فيغطيان الفتحة الموجودة بالقفا أعلى الظهر، فطلبت الآيات منهن جعل طرف من طرفي الخمار يغطي فوق الثديين في الجلباب المفتوح وهي المنطقة التي كان العرب يعرفونها باسم الجيب، ويغطي الطرف الآخر القفا. وأن يصبح الخمار دالاً علي الحرة المسلمة ومميزاً لها عن الإماء حتى أن عمر بن الخطاب ضرب أمة تداري ثدييها بالخمير فأمرها بخلعه وتعريه ثدييها علي الفور.

لم ينسأنا السؤال إبان الشرح فهو مازال يلح طالباً إجابة: إذا كان للرجل أربع نسوة وعشرات أو مئات الجوارى فلماذا يزني؟ ولا يني المنطق يشعرا بمدى حيرته إزاء هذا التساهل الشديد في حشد هائل للنسوة في بيت واحد لرجل واحد، مع تشديد عقوبة الزنى وتغليظها علي الزناة، فهي أشد الحدود وأقطعها للحس الإنساني وأشد حدود الإسلام غلظة وفظاظة، فهي تحمل إلى جوار العقوبة هدف إطالة زمن معاناة الجاني وعذابه، كانت الرجم حياً حتى الموت، مع إشراك المجتمع في تطبيق العقوبة العلنية في حالة تنفيس بدائي من ذوي الخطايا، ليرموا علي المحكوم خطاياهم مع كل حجر راجم.

و كان ذو المجاسد عامر بن جشم قبل الإسلام، وغيره من كبار القوم وعليتهم، قد شرعوا للعرب ما أخذ به الإسلام من بعد، وذلك مثل حد الزنى الذي أخذه ذو المجاسد نقلاً عن حدود توراة يهود الجزيرة، ومثل تجريمه وأد القبائل الفقيرة للأطفال وبخاصة البنات، فأسماه العرب: محيي الموءودات.

إن تفحص تلك الخريطة المجتمعية يعني أن نتذكر أن مجتمع بدو الجزيرة، كان مجتمع ندرة شحيح، يستولي فيه القادرون علي الخيرات بالغزو والسبي والشراء، وأن المرأة كانت سلعة ضمن تلك الخيرات، فتكون النتيجة مع قدرة حيازة نساء أربع ومالاً عدد له من إماء، أنه لن يتبقى لبقية الرجال فائض من النساء، وهؤلاء عادة هم غير القادرين والفقراء المعوزين.

و للحفاظ علي ثروة الأغنياء من الحريم تم اشتراع هذا الحد القاسي منتقلاً من اليهودية إلى عرب الجاهليتين ثم إلى الإسلام، لأن رذيلة الزنى كان احتمال وقوعها أكثر من بقية الرذائل كالسرقة مثلاً، فالشيء المسروق لا إرادة له، أما المرأة فإنها عندما تريد الزنى فإنها تتحرك وتسعى وتفكر وتحيك ظروف الواقع لتصل إلى سارقها أو بالأحرى إلى سارق مالكلها. ومع حيازة قلة من الرجال لمعظم النساء لجأ العرب الفقراء إلى المثلية وإتيان

الحيوانات الأليفة، بل وتألّف حيوانات كالقردة وتدجينها لما في العلاقة الجنسية معها بما يشبه حال الإنسان. كتعويض للفقراء عن نساء لا يحصلون عليهم إزاء مزايدة الأغنياء عليهم في المهور والقدرة الشرائية.

وظل هذا النوع من الجنس غير السوي مستمراً حتى زمن ظهور الإسلام بل وحتى زمن وضع علوم الأصول والفقه، وقال الفقه قوله فيه، بل تطرق إلى تفاصيله وما يترتب عليه كشأن اعتيادي معلوم وعلاقته ببقية الفروض الإسلامية، فتحدث مثلاً عن جماع القردة والحيوانات كمفسدات للصوم: ولو أدخل حشفته أو قدرها من مقطوعها في فرج ولو أولج حيوان فرد أو غيره في آدمي ولا حشفة له فهو يعتبر إيلاج لكل الذكر / أنظر كتاب الإقناع المقرر علي طلبه الأزهر ص 90 ج 1.

وقد استثمر الإسلام هذا الوضع الاجتماعي فأقر العود لنظام الغزو والغنم والسبي الذي كان قائماً في الجاهلية الأولى، كمحفز لغير القادرين للدخول في الإسلام والانخراط في جبهته للحصول على الغنائم والسبايا والحصول على الإشباع الجنسي، وكان هذا الدافع الجنسي المتغول لدى الفقراء المغتلمين حافزاً يفسر بشديد الوضوح سر الاستماتة البطولية لجيوش المسلمين في القتال وانتصارهم رغم قلة عددها قياساً على العدو، في كثير من معارك التاريخ الفاصلة. ومن ثم كان تشريع السبي ونكاح السبايا ضرورة عسكرية موضوعية لتحقيق الانتصارات والفتوحات الإسلامية. كان تشريعاً يليق بزمانه، لكنه أبداً لا يليق بزماننا، فليس صحيحاً بالمطلق أن شريعتنا صالحة لكل زمان ومكان، فهو وهم يجب أن نتخلص منه حتى نستطيع ابتداء ما يصلحنا مع زماننا، زماننا الذي ألغى كل هذه الألوان من الجنس الاغتصابي واعتبرها جرائم عظمى، ولم يبق سوى علي العلاقة القائمة على القبول والتراضي بين الطرفين كسبيل وحيد لمشروعية العلاقة. وكانت البداية من زمن الخديوي إسماعيل في معاهدة مع إنجلترا علي منع بيع وشراء الرقيق السوداني، وإبراهام لنكولن الذي أصر علي تحرير الرقيق حتى دخلت الولايات المتحدة أفضع حرب في تاريخها (الأهلية الأمريكية) وبعدها تم اعتبار الرق وصمة عار في تاريخ البشرية الشرير.

واستمر الفقه الإسلامي في تحريم الزنى حتى لو تمت العلاقة بالتراضي والقبول من الطرفين، لأنه اعتداء على فرج يملكه آخر، هو اعتداء علي الملكية، فالمرأة لا تملك نفسها ومن ثم لا تملك جسدها لتمنحه أو تمنعه، فالمرأة لا بد أن تكون مملوكة لرجل، لأبيها أو لزوجها أو لأخيها أو حتى لابنها. وذلك حفاظاً على حقوق المالكين الذين كانوا في زمن الفتوحات هم العرب وحدهم فلا أحد يملك شيئاً ولا حتى نفسه إذا كان ضمن المفتوحين، مما أنشأ أزمات جنسية في معظم الإمبراطورية العربية، كذلك استمر حد الزنى قائماً ومستمراً للترويع والتخويف والترهيب، بينما استشرت ألوان الجنس اللاسوي كالمثلية والجماع مع البهائم والحيوانات المستأنسة لتفريغ طاقاتهم الجنسية، وهي أنواع من الجنس لم تضع له علوم الفقه حدوداً مقررّة واضحة متفق عليها بل هي تكاد تكون بلا حدود، كلون من السماح الغير معلن.

ورغم كل متغيرات العالم الحديث والمعاصر الذي جرم الرق والسبي أو اعتبار المرأة من الأشياء المملوكة، وألغى التعدد وجرم هناك العرض وصفه ضمن أشنع الجرائم (الاغتصاب). فإن فقهاء الإسلام عند موقفهم لا يرمون حراً ولا تغييراً ولا تبديلاً، رغم أن الفضيلة والزينة بنت زمانها وظروفها ومجتمعها الذي أفرزها وتوافق عليها، والزمن كله غير الزمن والناس غير الناس، مما يلزم معه التواضع على دلالات جديدة لمعنى الزنى عندما يكون جريمة وفق مقتضيات عصرنا، وهو ما يعني التخلي عن فضائل الأمس التي هي بلا منازع رذائل اليوم، فلا شيء صالح لكل زمان ومكان. ففي زماننا وفي بلادنا ونتيجة ضيق ذات اليد لملايين المسلمين أفرز الواقع زواج الميسار والعرفي والمؤقت والمتعة والوهبة والغفلة، تحايلاً علي تشريع جمده الفقهاء عند القرن الرابع الهجري، حتى قالوا: لم يترك السلف شيئاً للخلف ليجتهدوا فيه !! ولا تجد البنت أو الشاب حرجاً علي أنفسهم أو علي إسلامهم ويقينهم بدينهم وهما يمارسون تلك الزيجات، إن المجتمع يجد حله رغم أنف أفراد من الفقهاء يريدون تثبيت الزمان.

وضمن هذا الثبات عند عشرة قرون مضت اضطّر الفقهاء للسكوت وليس التنازل عن حق ملكية الرقبة ومعاشره الإمام نتيجة التوافق الدولي علي تجريم الرق والاغتصاب، فحرمته السعودية في الستينات بعد طول امتناع وتبعها موريتانيا في الثمانينات، يقفون عند زمن المسلمة الحرة الشريفة الملزمة بلباس يناسب ظروف بيئتها يخمر فجوة الثديين، ليجعلوا منه ما أسموه حجاباً لأن المقصود لم يكن تغطية الرأس، لأن غطاء الرأس كان قائماً بالفعل حرصاً على الدماغ من الحرارة والآفات والقذارة. واليوم عندنا السوستة والحمد لله، ومع إلغاء الرق تحولت الصفات التي كانت للجواري إلى بنات غير المسلمين باطلاق فهن كالجواري لا يلزمهن حجاب لأنهن لسن من الأحرار، لأنهن سيكونن يوماً جواري للمسلمين لأن فريضة الجهاد لا تتوقف مادام هناك فرد

واحد في العالم لم يسلم بعد، رتبهم هي رتبة الإمام فغير المسلمة غير حرة وبالتالي غير شريفة بالضرورة حسب الموروث العربي، وهي تحت طائلة السبي في أي وقت يتمكن فيه المسلمون من إخضاع الأرض كلها لدين الله الذي لا يقبل بغيره ديناً: الإسلام. لذلك لابد أن تتميز الحرة اليوم (وهي المسلمة وحدها) كما كانت تتميز زمن الدعوة، بضرب الخمر لكنهم يأخذون الخمر كله، ما علي الجيب وما علي الرأس ويخترعون له اسماً جديداً هو الحجاب، وهو شأن لم يفرضه القرآن علي نساء المسلمين ولا أشار إليه ولا شرعه ولا قننه، وحتى لو كان فرضاً كما يقولون فهو لتغطية الجيب ولم يتحدث عن الرأس، فالخمر كان علي الرأس كعادة بيئية صحراوية من الأصل.

و العادة قد نأخذ بها أو لا نأخذ بها، ولا ترقى مطلقاً لدرجة الفرض. لقد اخترع الإسلاميون لمسلمات زمننا شيئاً ليس في دينهم اسمه الحجاب، فقط من أجل إثبات وجودهم مع الإصرار على طاعة المسلمين لأوامرهم بحسبانهم ممثلي الله في الأرض، لتأكيد السيادة والسيطرة على المجتمع، ومن أجل تمييز المسلمة وفرزها عن غير المسلمة حتى (يعرفن فلا يؤذين). والمعنى أنه يتم التسليم بأن غير المتحجبة هي العرضة للأذى دون وضع قانون يمنع عنها هذا الأذى فهي غير حرة. لذلك وحسب الخبرة المصرية اليوم فإن غير المحجبة في شوارع القاهرة القرن الحادي والعشرين هي الأكثر تعرضاً للأذى من مسلمي الوطن الملتزمين بالتدين.

و قد اخترعوا الحجاب تأسيساً على حديث النبي خالفهم ما استطعتم فإذا تميزوا هم بإطلاق الشعور بخالفهم بالحجاب، وإذا التزموا هم بالتقدم تميزنا نحن بالتخلف، وإذا تميزوا هم بالعلم تميزنا نحن بالجهل، وإذا تميزوا بالقوة تميزنا بالضعف، وإذا تميزوا باللطف والوداعة تميزنا بالصرامة والجهامة، وإذا تميزوا بالجمال تميزنا بالقبح، والله في خلقه شؤون.

كان الحجاب شأنًا خاصاً بنساء النبي وهو غير الخمار الذي يغطي الثديين، وتحجيب المرأة بالمعنى والصورة التي نراها متفشية اليوم، هو أحد أساليب عزلها عن الرجال، في مجتمع أصبح فيه مستحيلاً الفصل بين الرجال والناس ورغم ذلك فإن بعضهم يصير على تفعيل هذا الفصل، ويجدون من يستمع لهذا القرار المشيخي وينفذه، كالحال في قاعات الدراسة الجامعية وكثير من وظائف القطاعين العام والخاص.

نستمع هنا إلي مرجعية الإخوان المسلمين وكل التيارات الإسلامية حتى الإرهابية منها، الدكتور يوسف قرضاوي، وما قال بهذا الشأن. يقول قرضاوي: فكانت النساء يحضرن دروس العلم مع الرجال عند النبي، ويسألن عن أمور دينهن، مما قد يستحي منه الكثيرون اليوم، حتى أثنت عائشة على نساء الأنصار، أنهن لم يمنعن الحياء من أن يتفقن في الدين، فطالما سألن عن الجناية والاحتلام والغتسل والحيض والاستحاضة ونحوها، ولم يشبع ذلك نهمهن لمزاحمة الرجال / مكتبة وهبة / القاهرة / 2001 ص 370.

إن قرضاوي لا يجد بأساً في الاختلاط بين الذكر والأنثى، لكن فقط مع الشيخ، الذي هو وارث الفتيا، والحال محل الرسول لتفقيه المسلمين في شؤون دينهم، لذلك يشجع قرضاوي المسلمات علي سؤال المشايخ دون حياء في الجناية والاحتلام والغتسل والحيض والاستحاضة، لكنه يمنع الاختلاط البريء بين أبناء الجامعة الواحدة والصف الواحد وتحديثهم في جدول مندليف أو نسبية آينشتاين وليس في الاحتلام والاستحاضة، دون أن يعمم ذلك المنع على الاختلاط الذي كان حادثاً زمن النبي، والذي كان حالة عامة وليس حالة خاصة تسأل فيها نساؤنا المشايخ عن الاستمناء والاستحلام، عن شؤون الفرج والنكاح فقط.

لم يكن اختلاطاً فقط بل اختلاط لمبتربات مع رجال غرباء، كانت سبيعة بنت حارث الأسلمية زوجة لسعد بن خولة العامري، وكان ممن شهد موقعة بدر وغفر الله له ولأصحابه من أهل بدر ما تقدم من ذنبهم وما تأخر، وتوفى عنها زوجها في حجة الوداع، فما أن طهرت من نفاسها حتى بادرت بالتبرج والتجمل والتزين وخرجت تمشي بين الرجال طلباً للزواج، فنقدم لها أبو السنابل بن يعك، وكهل، وشاب، فاخترت الشاب / رواه البخاري ومسلم.

و كانت النساء محل تطلع من الرجال لمعرفة جمالهن وكان جمال نساء القبيلة محل تفاخر بين قبائل العرب، من رواية عن يحيى بن عبد الله بن الحارث قال: لما دخل رسول الله مكة يوم الفتح، قال سعد بن عباد: ما رأينا من نساء قريش ما يذكر عنهن من جمال؟! فقال النبي: هل رأيت بنات أبي أمية بن المغيرة؟ هل رأيت تربة؟ هل رأيت هنداً؟ إنك رأيتهن وقد أصبن بأبائهن. أي أنك رأيتهن وهن غير متجملات ولا مبتربات حيث كن في حال حداد على آبائهن الذين قتلهم جيش النبي. لذلك لم ترهن في وضع يبرز مواطن جمال بنات قريش. مع

الملاحظة أن هنذا إحدى اللاني ضرب بهن النبي المثل لجمال القرشيات، هي هند بنت أمية زوج النبي نفسه والمعروفة بأم سلمة.

كان التبرج لإظهار الجمال ليس هو المفهوم من تبرج الجاهلية الأولى المنصوح بعدم لجوء المرأة المؤمنة إليه، كان التبرج المسموح، كن يضعن الحمره بسحق الأحجار الحمراء وعملها كمسحوق يشبه بودرة تجميل اليوم، وقد جملت أم السيدة عائشة بنتها بهذه الحمره ليلة دخل بها الرسول.

المسألة كانت تغطية الثديين ليس إلا، لكن أن تلبس المرأة اللافت للنظر والمبرز للجمال فلم يكن شيئاً محرماً، لأن هذه هي طبيعة المرأة التي فطرها الله عليها، ولن تر لخلقة الله تبديلاً. كانت الأقرط الكبيرة والطويلة المطعمة من إكسسوارات التجميل اللافقة للنظر من زينة الصحابيات، وهو ما يأتينا ذكره في خبر أم هانئ بنت عم النبي التي تبرجت بمثل هذا القرط وقامت تسير بين الرجال مستعرضة جمالها، فتحركت غيرة عمر فقال لها: إن محمدا لا يغني عنك شيئاً. فغضب النبي ليس لتبرج أم هانئ مطلقاً، ولا حتى أشار حتى إليه، كل ما أغضبه أن يقول عمر أن شفاعه محمد لا تلحق أهل بيته. رواه الطبراني.

مرة أخرى نؤكد أنه لم يكن زمن النبي شيء اسمه الحجاب كما هو مقرر اليوم، ولم يكن هناك فصل بين الرجال والنساء، وحديث ما اجتمع رجل وامرأة إلا وكان الشيطان ثالثهما لا يلتقي بالمرء مع واقع المجتمع في الزمن النبوي، مما يشير إلي تهافته، وإنه من الموضوعات بعد ذلك بزمان طويل، أما واقع زمان الدعوة يحكيه لنا الجاحظ فيقول: فلم يزل الرجال يتحدثون إلي النساء في الجاهلية والإسلام، حتى ضرب الحجاب علي نساء النبي خاصة، ثم كانت الشراف (أي الشريقات بمعنى طبق) من النساء يقعدن للرجال للحديث، ولم يكن النظر من بعضهم إلى بعض عاراً في الجاهلية ولا حراماً في الإسلام.

و عن خوات بن جبير قال: خرجت مع النبي في غزوة فخرجت من خبائي فإذا بنسوة حولي، فلبست حله ثم انتهيت فجعلت أتحدث معهن، فجاء النبي فقال: يا جبير ما يجلسك هنا ؟ قلت: يا رسول الله بعيري قد شرد، فكان رسول الله يمازحه كلما التقاه ما فعل بعيرك يا خوات!؟.

و مثل أم هانئ من بين الشراف (اسى الشريقات أي من عليه المجتمع) كانت الصحابية عائشة بنت طلحة، التي دافعت عن حقوقها، ورفضت أن يفرض عليها أحد أمراً لم يفرضه القرآن، ومن ذلك رفضها أي لون من الحجب والتجيب، وكانت شئونها الجنسية تحكي وتذاع علي الملأ في نوادر وطرائف يسمر عليها المسلمون في سهرهم المتوادم والمتراحم، دون أن تشعر بنت طلحة بأي تحرج بل كانت تفخر به. فقد كان لديها يوماً صحابية تزورها، وإذ بزواج عائشة يدخل متعجلاً فتنهض إليه عائشة وتدخل معه داخلاً، وتسمع الضيفة أصوات المتعة الجنسية لعائشة بنت طلحة، حتى خرجت إليها ترفض عرقاً، فسألتها الضيفة مستنكرة: أو تفعل الحرة ذلك ؟ فردت عليها: إن الخيل العتاق تشرب بالصفير، فشبهت نفسها بالخيل الأصلية التي تصدر مثل هذه الأصوات صفيراً في مثل هذا الموقف، كانت عائشة تعلن فخرها بمتعته، دونما أن ينزعج أحد من الصحابة. ومن حكايات بنت طلحة المشهورة أنها مرة كانت تحت زوجها في السرير فنحرت نخرة تفرقت منها مائة من أبل الصدقة هلعاً ولم تجتمع مندها حتي اليوم. وعندما أراد زوجها أبو مصعب عتابها علي تبرجها الشديد قالت له: أن الله سبحانه وتعالى وسمني بمسيم الجمال فأحببت أن يراه الناس، فيعرفوا فضلي عليهم، فما كنت لأستره / الأغاني ج 9 38.

أن زمن النبي ليس بالصورة التي يفهمها المسلمون البسطاء مأخوذة من فيلم ظهور الإسلام وفجر الإسلام والشيء، ويدعما مشايخنا في وعظهم وفتاواهم، وهم من أشرف على وضع اللمسات النهائية لصورة المجتمع الإسلامي الأول في تلك الأفلام. لم يكن مجتمع زمن الدعوة كما يقدمونه للمسلمين جيلاً من الملائكة، بل كان مجتمعاً طبيعياً يعيش فيه الصحابة كما يعيش البشر، ويعرف ان للمرأة أن تتجمل فقد خلقت بذلك غريزياً، ولم يكن امرأ ممنوجاً ولا محرماً. كذلك لم يمنع أو يحرم لقاء الرجال بالنساء، بل هو لم يحرم الغزل بينهما لأنه الرسالة الأولى للتواصل الإنساني بينهما، يروي البخاري عن عبد الله بن عباس أن أخية الفضل كان رديف رسول الله فجاءته امرأة من خثعم تستفتيه، فجعل الفضل بن العباس ينظر إليها وتنتظر إليه، فجعل رسول الله يصرف وجه الفضل إلى الشق الآخر. ولنلاحظ أن هذا الغزل بين صحابي وصحابية كان في حضرة سيد الخلق الذي أينما كان حاضراً كانت السماء حاضرة، وفي أقدم الأماكن وأقدس الأزمان، في حجة الوداع.

ولم ينزعج رسول الله، ولم ينهرهما، بل كان فقط يصرف وجه ابن عمه الفضل بأنامله الشريفة ليناً ولطفاً وتقديراً منه لفطرة الله التي خلقنا عليها، ولم يصرف وجه الخثعمية عن التملّي من الفضل. وإما لم تكن هذه الخثعمية لا مخمرة ولا منقبة ولا محجبة حتى بدت مفاتها للشباب، أو كانت مخمرة ومحجبة ومع ذلك فإن

الخمار لم يستطع أن يمنع نداء الطبيعة ولم يردع الفضل عن الغزل في حضور رسول السماء والزمن القدسي كله.

و لم يمنع الحجاب (إن كان قد حدث وهو غير صحيح) المرأة من التطلع والمغازلة، فإن لها عيون ترى وأذان تسمع، وفي زمن الخليفة عمر اشتهر نصر بن الحجاج السلمي بجماله الأخاذ حتى فتن نساء المدينة، وأصبح مثل كازانوفاً تطلبه النساء ويقلن فيه الشعر الماجن، الذي نختصره هنا في معناه لشدة مجونه، فهذه صحابية تدعو ربها أن يصلها بنصر بن الحجاج ليطفئ نارها وشوقها ولوعتها، وأخرى تنادي: من لي بابن الحجاج ولو ليلة واحدة، وهو ما أضطر الخليفة عمر رافة بالأزواج من الصحابة إلى إبعاد نصر إلى بلاد الشام.

يقولون اليوم أن اختراعهم المسمى الحجاب هو عفة وطهارة، وحتى تعرف المسلمة فلا تؤذى، أي يحميها من التحرش أو ربما الاغتصاب، هذا رغم أن كل الميزات التي ميزت بها حرائر الزمن النبوي أنفسهم بإدناء الجلابيب وتخميم الثدي إضافة لعادة تخمير الرأس، فإن ذلك لم يمنع تعرضهن ليس فقط للإيذاء، بل للاغتصاب. عن أسباط بن نصر عن سماك بن وائل عن أبيه، زعم أن امرأة وقع عليها رجل في سواد الصبح وهي تعمد إلى المسجد، فاستغاثت برجل مر عليها وفر صاحبها (أي الذي وقع عليها) فأدركوا الذي استغاثت به. وهو يقول لها: أنا الذي أغتثك... إلخ / أورده البيهقي في السنن الصغرى. وفي خلافة عمر حدثنا الحسين بن عبد الملك بن مسيرة عن النزال بن سيدة قال: بينما نحن بمنى مع عمر إذ امرأة ضخمة على حمار تبيكي كاد الناس يقتلونها من الزحمة عليها وهم يقولون لها: زنيت.. زنيت، فلما انتهوا إلى عمر قال ما شأنك؟ فقالت كنت امرأة ثقيلة الرأس وكان الله يرزقني من صلاة الليل، فصليت ثم نمت، والله ما أيقظني إلا رجل قد ركبنى ثم نظرت إليه معقبا ما أدري من هو من خلق الله. (كتاب الخراج أبو يوسف 165 المطبعة السلفية / مصر).

بل وكان في الزمن النبوي من الصحابيات من هي متزوجة لكنها عاشقة رجال عن عكرمة عن بن عباس قال: جاء رجل إلى النبي فقال: أن امرأتي لا تمنع يد لأمس، قال: غريبها، قال: أخاف أن تتبعها نفسي (أي أنه يحبها بشدة)، فقال له النبي: فاستمتع بها.

المشكلة في مثل هذه الشهادات التي نقدمها هنا لنعلم هل كان هناك حجاب؟ وهل منع الحجاب نداء الطبيعة؟ زمن وجود النبي بنفسه بين المسلمين وفي حضرة أبواب السماء المفتوحة وفي أقدس الأماكن؟

المشكلة أن مسلم اليوم لا تقبل نفسه وروحه وربما عقله بمثل هذه الشهادات لأن وعظما صوروا له الزمن النبوي كما لو كان زمناً ملانكياً روحياً لا مجال فيه للخطأ، كي يلقوا فيه بكل جديد اليوم ويستمدوا منه ما يدعم مخترعاتهم اليوم كالحجاب ليلبس قدسية ذلك الزمان، لأنهم لا يتلقون وحياً لكنهم يريدون لكلامهم القدسية وهم يستمدونه من زمن الدعوة، لذلك جرى تقديس ذلك الزمن ليعطي فتاوي مشايخنا وقولهم قدسية الوحي ولا يعرجوا أبداً لمثل هذه الأحداث بل ويخفونها عن المسلمين عمداً وقصداً ورغبة منهم عن سبق إصرار وترصد، كي يصنعوا المسلم الذي يريدون: الممتثل المطيع الذي لا يعرف سوى قول أمين.

و ربما يأتي مسلم اليوم وهو يقرأ هذه الشهادات ليلقي بنفوره على كاتب هذه الدراسة هنا وليس على من دون الحدث ولا على من صنع الحدث ولا على المجتمع الذي حدث فيه الحدث، لأن مشايخنا يصوغون له إسلاماً غير ما كان في زمن النبوة الشريفة، حتى يلتقي مع ما يريدون الوصول إليه، وهو الإمساك بدماع المجتمع كله وإجباره على الطاعة والتسليم بفروض لم تكن موجودة كالحجاب، وهو ما يعني أنهم جعلوا المسلمين أكثر طاعة لهم من الطاعة لدينهم ولزمنه القدسي، حتى فرضوا على أنفسهم بأوامر مشايخ آخر الزمان ما لم يفرضه الزمن القدسي.

و بإيعاز مستمر من فقهاء زماننا، تصور المسلمون أن ما يسمى بالحجاب فريضة إسلامية من الفرائض العظمى، حتى أنهم يخرجون في المظاهرات الصاخبة للاحتجاج على أي حديث معن لا يقول بأن الحجاب فريضة، كما لو أن هؤلاء المتظاهرين جميعاً قد درسوا الأمر وعابنوه في مصادره الإسلامية المعانية الناقية للجهالة، واقتنعوا بأن الحجاب فرض، فقاموا يرجمون من قال بغير ذلك. المسلم لا يعلم من شئون دينه ما يجعله يفرز الأحاديث الضعاف من الصحاح المسندات من الأحاد، ويسلم فوراً بالحديث المنسوب لنبينا أنه قال لأسماء بنت أبي بكر: إذا بلغت المرأة المحيض لا يظهر منها إلا هذا وهذا، وأشار إلى كفيه وجهه. بينما لا تجد في القرآن ولا في تاريخ الراشدين الذين عملوا بسنة رسول الله وبالقرآن وشريعته، ولا في واقعهم العلمي، ما يشير إلى هذا المعنى الفاصل القاطع، ولم يكن معروفاً لديهم ولا معمولاً به عند السلف، بل ستجد ما هو عكس هذا الفرض الوهمي الذي يقصد إقصاء المرأة وترصدها.

بل ويبالغ المسلمون اليوم في عزل المرأة عن المجتمع، فقاموا يخترعون إضافة إلى اختراع (الحجاب) اختراعاً آخر يزري بمخترعه هو (النقاب).

الذي يغطي كل الوجه ولا يترك سوى العينين، أو ثقباً واحداً لعين واحدة، وهو النقاب الذي كانت ترتديه المعلمة المسلمة الفرنسية وصاحبة القضية المشهورة التي رفعتها كي تدخل علي تلاميذها الصغار بنقاب له عين واحدة، مما قد يربح هؤلاء الأطفال. ثم هناك نقاب لا يسمح حتى بثقوب ولا للعين الواحدة، وهو ما أوجز الشيخ الدكتور أحمد صبحي منصور بشأنه، فاعتبره نوعاً من الاستعلاء علي المسلمين، وأنه إعلان تميز، بل هو استعلاء على شرع الله ومزايدة علي الله نفسه، وإن النقاب إذ يعطي المرأة فرصة التطلع إلي الآخرين وفرزهم واقتحامهم بعيونهم، فإنها بنقابها تمنع عنهم ذات الحق.

و هو ذات الحق الذي تم إعطاؤه للمصليات في المسجد خلف الرجال، لهذا رفض الشيخ يوسف قرضاوي إمامة المرأة للصلاة بقوله معللاً: لأن الرجل المصلي قد يسرح فكره. ما أجمل قوامها. ما أجمل جسدها. فالإسلام دين واقعي ينظر للإنسان كإنسان تحركه غرائزه، لذلك منع الإسلام أن تؤم المرأة الرجال، فهي ستسجد امام الرجل بجسمها / حلقة الأهلية السياسية للمرأة / الجزيرة.

و يستطرد الشيخ شارحاً في مسجد النبي كان النساء خلف الرجال ولم يكن بينهم أي حاجز، (اليوم يقيمون الحواجز في المساجد مزيدة علي النبي). وكان معروفاً أن العرب يلبسون إزاراً ورداء وكثير منهم لا يلبس السراويل، ولذلك قال النبي للنساء: لا تعجلن برفع رؤوسكن / نفس الحلقة.

والإزار أو الرداء هو قطعة قماش تلف علي الوسط الأسفل للرجل، وكانوا لا يلبسون السراويل، وهو ما يعني بروز الأعضاء التناسلية للخلف عند السجود مما يسمح للنساء بالتطلع إليها، لذلك أمرهن النبي ألا يعجلن برفع رؤوسهن، وينتظرن الرجال حتى يقومون من السجدة فيقمن بعدهم. قال الواقدي عن ثعلبة بن أبي مالك قال: تزوج رسول الله امرأة من بني عامر، فكان إذا خرج اطلعت علي أهل المسجد، فأخبرته زوجته بذلك، فقال: إنكن تبغين عليها، فقلن: نريكها وهي تتطلع، فلما رآها فارقتها، قال الكلبي: كانت عند رسول الله العالية بنت زبليان بن عمر بن عوف بن كلاب، فمكثت عنده ما شاء الله ثم فارقتها بسبب التطلع.

المقصود أنه أي كان الوضع، حجاباً أم خماراً أم نقاباً، أو أن يكون أمام أو خلف في الصلاة التي هي وقت القداسة، أو في المسجد الذي هو قدس أقداس الإسلام، أو في حضور النبي بشخصه وكرامته، ومع كل الحرص علي عدم التطلع فقد حدث التطلع ومن زوجة سيد المرسلين نفسه، ولم يعاقبها بشيء عظيم، فقط فارقتها، لأنه يعلم أنه مع كل الحرص فإن نداء الطبيعة عند البعض أكثر استصراخاً، وأنه شأن غريزي لا يمكن اقتلاعه.

في بلاد المسلمين، وفي الأسواق وفي الحروب بل وفي الحكم كانت المرأة حاضرة إلى جوار الرجل في حوار خلاق مستمر، وعندما أقعدها الفقهاء في البيت مع بدء عصورنا المظلمة وتخليها عن أنوارنا بل وقبرنا لها مع من قبرنا من معتزلة وجهمية ومرجئة ومتصوفة ومتشيعية ... إلخ. كان الواقع ينطق بموقف القرآن الذي كان حاسماً قاطعاً بصمته في مناطق كثيرة تركها ولم يتدخل فيها، لنضع نحن لأنفسنا ما يناسبنا من قواعد ونظم وقوانين، فسطا عليها الفقهاء وصادروا مناطقنا التي تركها الله لنا حرة مباحة، ليطلقوا من خلالها علي المؤمنين فتاواهم وفروض مزعومة علي المسلمين والمسلمات لم تكن في أصل المراد الإلهي القرآني ولا بالإشارة ولا التلميح. وكم سطا مشايخنا علي مساحاتنا الحرة التي تركها لنا رب السماء ليحاصروها بحديث مخترع هنا وسنة تنسخ القرآن هناك، فيرتكبون وهم يفعلون عظام الكبائر في حق ديننا ودياننا، ويستمر المسلمون يسمعون لهم ويتبعونهم إلى حتفهم بظلفهم، بدلاً من أن يحاكمونهم بعدالة صادقة شفافه عما ارتكبوه في حقنا حتى بقينا هنا في قاع الأمم المتخلفة، بينما أهل الطاغوت هناك، حيث الصحة والسعادة والمرح والإنتاج والإنجاز والإبداع والنظافة والفن والجمال والابتكار والاكتشاف، مما يدفع إلي التساؤل عن حقيقة علاقتنا بالرب وهل نحن بالفعل خير أمة أخرجت للناس؟ وهل يري الرب أمته التي اختارها؟ الواقع يقول العكس، إنه يري شعوباً أخرى لا تدين بالإسلام ولا تعرفه، وكشف لهم عن كنوز علمه دون المسلمين، فلا بد أن يكون السؤال هو: لماذا؟ .. لماذا ... هو السؤال الذي يجب أن يطرحه المسلم على نفسه وليس على ربه!!

وقد أعفانا الشيخ قرضاوي من مهمة مدى وجوب بقية الزي العربي للمرأة اليوم، وشرح الشيخ أن المؤمنات كن يذهبن إلى التبرز في الصحراء لأنهم لم يعرفوا الكنف / دورات المياه. وكان يتبع النساء الشباب الذي لا يجد نساء لعله يصيب من إحداهن وطره، لذلك تم نصح المسلمات بإطالة الجلباب حتى إذا ذهبت تتبرز تفرشه

حولها دون الحاجة إلى رفعه فلا يظهر منها شيء حتى تقضي حاجتها، وبعضهن كن يتسروطن، لذلك كان النبي يقول: اللهم اغفر للمتسرولات من أمتي / الشيخ خليل عبد الكريم / الشدو 399 / 400.

و أفاد الشيخ قرصاوي في تفسيره أن تلك ملابس كانت تناسب زمانها لا زماننا حيث لم يعد عندنا جوارى، وأصبحت الكنف داخل البيوت، فانتفى شرط إنداء الجاليل للتمييز بين الحرة والأمة، كذلك أكد على الظرفية البيئية للخمار وهى غير موجودة اليوم. إذن عندما تغيرت الظروف فإن مجتمع العرب تغير متحرراً وأنشأ فضائله التي تلائم مطالبه فتغير من جاهلية أولى بدائية وحشية إلى قمة الفضائل في الجاهلية الثانية، لكن لتفرض ظروف الواقع متطلباتها فتتم العودة من الزمن الإسلامي إلى فضائل الجاهلية الأولى، ورغم ذلك يعجز المسلمون المعاصرون عن إنتاج فضائل جديدة تناسبهم للتعامل مع عصرهم وتنهض بمجتمعاتهم كما فعل هؤلاء الأسلاف على ثلاث مراحل سريعة التتابع

مفضلين الاستمرار تحت مظلة فضائل القرن السابع الميلادي وما قبله في الجاهلية الأولى، فتضيع منهم البوصلة فيتجهوا بعكس اتجاه التاريخ، ويرددون فضائل قديمة انتهى مفعولها وزمن العمل بها، فتأخذهم معها إلى مرحلة أدنى مما حققه الإنسان اليوم، وبدلاً من أن ينشئوا فضائل تناسبهم يستوردون فضائلهم من زمن الجاهلية الأولى ومن القرن السابع الميلادي. فيفجرون ويقتلون ويذبحون ويهزوا العالم بغزوتي واشنطن ونيويورك المباركتين. كان الغزو زمن الدعوة رغم عودته لقيم عصر أسبق، قيمة وفضيلة ضرورية لتوحيد العرب ليشكلوا قوة قوية ضاربة، كي يخرجوا من جزيرتهم ليملؤوا الفراغ العالمي الناشئ عن تهوي قوة الفرس والروم

بعد حربهم السبعينية، وليستعمروا البلاد المحيطة بجزيرتهم بالقوة المسلحة، حتى أنشأوا إمبراطورية عظمى. لكن أن يتمسك مسلمو اليوم بفضيلة الجهاد فهو الأمر غير المفهوم مع معادلة القوة والضعف حيث نحن فيها الطرف الأضعف. حتى أن استعادة مفهوم الجهاد اليوم هو أبلغ تعبير عن هذا الضعف، إذ أصبح إرهاباً، والإرهاب عبر التاريخ هو سلاح الطرف الضعيف دوماً.

لأننا نتصور القوة كما تصورها بدو الجزيرة زمن الفتوحات، هي قوة القهر والغلبة لأخذ ما بيد الغير وفرض سيادتنا عليه، بينما القوة في زماننا تلازمها مجموعة محبوكه من العناصر الاقتصادية والسياسية والمجتمعية ترفع هذه القوة لتعبر عنها، لذلك فالتصور بأنه بالإرهاب سنحتل العالم كما حدث زمن الفتوح، لهو تصور شديد البدائية والساذجة والسطحية.

المسلمون يتمسكون بفضائل انقضى زمنها ولم تعد ذات معنى حتى أنها أصبحت تضر ولا تنفع، ويلبس عليهم مشايخهم تلك الفضائل كما في القول بفرض جديد هو الحجاب، الذى اخترعوه اختراعاً بعد المزج بين نصين قرآنيين، واحد يتكلم عن تخمير الصدر ويخص كل المسلمات، وآخر يتكلم فقط عن زوجات النبي وحدهن فيخصهن بساتر يحجبهن إذا تحدثوا مع الصحابة لأنهن لسن كغيرهن من النساء. ويصرون علي اختراعهم وهذا ويعلمونه كفضيلة تصل إلى درجة الفرض.

هذا علماً أن الخمار نفسه كان فيه شيء من المغالاة، لأن الثنيتين في جزيرة العرب لم يكونا محل اشتها، بقدر ما كانا شيئاً وظيفياً مهمته الإرضاع، بدليل حديث السيدة عائشة الذي تمسكت به حول رضاع الكبير عشرأ، وكانت تطلب من قريباتها إرضاع من أراد استفتائها في شأن دينه من الرجال. لكننا نسلم بالخمار كتوجيه سماوي لا يمكن الاعتراض عليه.

و لتمييز المسلمة عن غير المسلمة نسمع أن الحجاب هو مقابل العري والتهتك في بلاد الغرب لتمييز المسلمة عن غير المسلمة، لذلك تم الربط بين عدم التحجب إن أرادته مسلمة وبين العري والتهتك، لذلك كان شعار (الحجاب عفة وطهارة). لكن ما يرد هذا المعنى ويطله بالمرّة هو أن العري الكامل والتام زمن الصحابة الراشدين لم يكن يستدعي أية عقوبة، وهو ما توضحه حادثة المغيرة بن شعبه مع أم جميل، والتي شهدها أربعة عدول من الصحابة شهادة واضحة، وأن كلاهما كان عرياناً كما ولدته أمه، وقد شهد ثلاثة منهم أمام الخليفة عمر أنهم رأوا الفعل كاملاً بفخذى أم جميل مرفوعين كأذني حمار وأن المغيرة كان يستبطنها (أي بطنه فوق بطنها)، وأن خصيتيه كانتا تتأرجحان جينة وذهاباً بين فخذى أم جميل، بما لازم ذلك من شهق وزفر، ورفع وخفض، بل أنهم راوه يدخل عضوه فيها ويخرجه كما الميل في المكحلة. لكن الشهادة لم تكتمل لأن الشاهد الرابع زياد بن أبيه أقر بكل تلك التفاصيل لكنه لم يتمكن من رؤية عملية الإدخال والإخراج كالميل في المكحلة، فحكم الخليفة عمر ببطلان الدعوى وأقام حد القذف على الشهود الثلاثة، بينما لم يتم استدعاء أم جميل بالمرّة كطرف في الجريمة، ولم تتم عقوبة المغيرة ولا أم جميل بسبب عريهما ووجودهما على سرير واحد في خلوة بيت مغلق عليهما مع شهق وزفر ورفع وخفض وساقين كأذني حمار وخصيتين تتأرجحان لكن دون دخول

الميل إلى المكحلة. ولا نفهم هنا سر انزعاج مشايخنا من ملابس نساء الغرب حتى دمجوهن بالعري والفساد والتهاون دون أن يتيقنوا من دخول الميل في المكحلة هناك، أليس دمجهم بالعري هو ضرب من قذف المحصنات يستحق الحد الذي أقامه عمر على الشهود الثلاثة بالجلد ؟.

يصر سادتنا الكهنة على اختراعهم العجيب (الحجاب) ويصرّون على فضيلة تحجيب المرأة دون أن يطلبوا معها بقية فضائل العرب الرواسخ، فهم لم يطلبوا حتى الآن فضيلة إعادة العرض للمسيبات، ولا فضيلة نكاح الإماء بعد شرانهن من الأسواق، بل ولا حتى طلبوا إقامة أسواق البيع الحلال للرقائق أبيضاً وسودانياً (زنجياً) بحسبانهم البنية التحتية لإقامة تلك الفضائل في المجتمع. ولا حتى احتجوا على إلغاء العقوبات البدنية كالجلد والقطع والرجم، وهو ما يعني أنهم ينتفون من دينهم (لو كان الحجاب ديناً وهو غير ذلك)، فيختارون ما يريدون من هذا الدين دون فضائل أخرى !! وكأنهم يدينون فضيلة هتك العرض أو كأنهم يستحون منها أو كأنهم قد اختاروا اختيار عالماً المعاصر فتركوا الرق والسبي وهتك العرض والعقوبات البدنية لزمانهم وذوق زمانهم وظروف زمانهم. وإلا فعليهم مواجهة تهمة تحمل كل مسوغاتها القانونية التشريعية هي مخالفة بمعلوم من الدين بالضرورة، أما إن اردوا الانتقاء والاختيار والفرز من هذا التراث، فعليهم إسقاط ما يسمونه عقوبة مخالفة معلوم من الدين بالضرورة، وإعطاء حق الانتقاء لغيرهم أيضاً.

إن حد الزنا قد وضعت له شروطه الصعبة التي وضعت له خصيصاً دون بقية الحدود، وهو وجود أربعة شهود عدول يروونه كالميل في المكحلة، بحسب تفاسير الكبار من لواعم الفقه، لأنه أشد الحدود وأكثرها قسوة وفضاظة، كما لو كان يريد أن يجعل إثبات واقعة الزنا أمراً مستحيلًا.

و قد أفزعت هذه الشروط صحابة النبي وخاصة الغيورين منهم، لذين إن وجدوا رجالاً يعتلون نسائهم وذهبوا يبحثون عن شهود عدول، يكون الجاني والجانية قد قضيا وطرهما واستمتعا بالحرام ثم فلتنا من العقوبة. فإذا رماهما الزوج بالزنى دون تلك البيئة المستحيلة أقيم عليه حد عقابي هو حد قذف المحصنات. وقد أرقّت تلك المشكلة كبار الصحابة، يقول سعد بن عباد الأنصاري: والله يا رسول الله إني أعلم أنها (الآية) حق وأنها من عند الله، لكنني تعجبت لو وجدت لكاعاً (زوجته) قد تفخذها رجل. لم يكن لي أن أهيجها ولا أحرکه حتى أتى بأربعة شهداء، فوالله إني لا أتى بهم حتى يقضي حاجته، فما لبثوا يسيراً حتى جاء هلال بن أمية من أرضه عشياً فوجد عند أهله رجلاً، فرأى بعينه وسمع بأذنه فلم يهيجه حتى أصبح فغدا على رسول الله فقال: إني جئت أصلي عشياً فوجدت عندها رجلاً فرأيت بعيني وسمعت بأذني، فكره رسول ما جاء به واشتد عليه (أسباب النزول للواحد ص 212 و 213 وأورده بن عبد البر في الاستيعاب مجلد 4 ص 1042).

أنصاري آخر هو عويم بن أبيض العجلاني دخل بيته فوجد رجلاً ممطياً زوجته، وبقية الخبرين أن الزنى قد تأكد ليس بأربعة شهود حسب كتاب الله، ولكن الزانيتين انجبتا ولدين كل منهما هو الأشبه بالمتهم بالزنى. ولم يكن ذلك دليلاً فهو ليس بأحد القرآن والشروط الواردة لإقامة حد الزنى. هو ما يعني أنه رغم أنهم صحابة وصويحبات رسول الله وأنهم عاشوا الزمن القدسي وفي أظهر البقع على الأرض، ورغم أن الشريعة قائمة ومطبقة بتمامها وكمالها تطبيقاً ليس له شبيه قبله ولا بعده، ومع ذلك ورغم كل ذلك، فإن هذا لم يمنع من الفعل الذي يخشاه مشايخ أيماننا ويطلبون له الحجاب كما لو كان الحجاب أكرم من وجود سيد المرسلين بنفسه أو كما لو أن الحجاب سيمنع ما لم يتمكن نبي الأمة من منعه زمن تطبيق الشريعة.

بل أن مدينة رسول الله كانت تعاني من مشكلة جنسية مستفحلة زمن النبي، عندما كان ينتهز الرجال القاعدون بالمدينة فرصة خروج الأزواج في جيش النبي للغزو، ليعتلوا نساءهم في حالة مستحرة منتشرة، مما كان يهدد الجيش الغازي بتقاعس الرجال عن الخروج، والبقاء حماية لمملكاتهم من فروج النساء، ولم يجد النبي حلاً للمشكلتين يمكن أن يرضي الناس، فوضع للمشكلة الأولى حلاً هو الملاعة، أي أن من يرى زوجته مركوبة لرجل فعليهما أن يتلاعنا، وسيصيب الله الجاني من بعد ذلك بلعنته، وكان التلاعن يتم في حضرة النبي كأفضل شاهد عدل (أخرجه البخاري ومسلم في الصحيحين ومالك في الموطأ). أما حل المشكلة الثانية التي عرفها التاريخ الإسلامي بمشكلة (المغيبات) أي من غاب عنها زوجها، فقد لعن الرسول بنفسه من يفعلها ودعى عليه دعاء حارقاً مع التهديد بأن من سيقع بيده من (نبيب التيس)، وهي الصفة التي أطلقها علي من يزني بالمغيبات، فإنه سينكل به نيابة عن الزوج المثلوم في شرفه. فهل ما يقوله لنا مشايخنا عن الحجاب، سيحجب عن بلادنا وبنات المسلمين فعل الطبيعة ونداء الغريزة، بما لم يحدث ولا حتى زمن النبي ذاته وبمعرفة وبمحضوره وبمحضور السماء والوحي والصحابة وأمّهات المؤمنين والملائكة بعد ذلك ظهيراً؟!.

و إذا كان التزين (التبرج) أو العري عندهم مصيبة أخلاقية تستحق العقوبة، فماذا عن كل تلك الأحداث الجسام زمن الدعوة ؟ وإذا كان العري محرماً فهل كان يجزئ الخليفة عمر بن الخطاب على كشف ملابس أم كلثوم بنت الإمام على ابن عم النبي وبنت فاطمة بنت النبي وشقيقة الحسن والحسين ليرى مدى حسن ساقها عندما أراد خطبتها ؟ ولشدة ما أعجبته أمهرها أربعين ألف درهم (المعني لابن قدامة مج 8 ص 63) في الوقت الذي كان الخليفة نفسه يشجب ظاهرة المغالة في المهور، ولم يكن عمر قد تزوجها بعد عندما وضع يده على ساقها إنما هو كان بعد يخطبها، فلا عقد قد تم عقدة، ولا شاهدان، ولا إشهار، فقد أرسلها الإمام علي إليه ليراها الخليفة عن كئيب وهو يخطبها (رواه أيضاً ابن عساكر عن عمر وكذلك الطبراني)، فهل يجوز أن نطرح السؤال الذي طرحه الشيخ خليل عبد الكريم رحمة الله ونور له قبره في هذا الموضوع: هل يجوز للخاطب اليوم حسب الشرع الذي حملة محمد إلي الناس أن يكشف ساقه مخطوبته ويعاينهما ؟ وهل يمكن لأى خاطب أن يقتدي بعمر في ذلك باعتباره من النجوم الذين إذا اقتدى بهم المسلم اهتدى ؟ / كتابه مجتمع يثرب ص 60: 64.

لم يبق من مسألة الحجاب سوى كونه تمييزاً للمسلمين عن غيرهم، وحتى هذه الحجة الواهنة أعفانا من مناقشتها مرجعيتهم الشيخ قرضاوي بقوله: إن الإسلام يريد للمسلم أن يكون متميزاً في مظهره. إنما المخالفة في المظهر، ليست من أساسيات الدين / الجزيرة / حلقة الظاهريون الجدد.

و إعمالاً لذلك فإن الدافع النفسي لتنفيذ الأمر بالمخالفة في المظهر، هو مخالفة عن الدول المتقدمة لإبراز وجودنا بغض النظر عن تقدمنا من تخلفنا، والإصرار على هذا الشيء المسمى بالحجاب هو فقط للإعلان بالتميز، هو أداة إعلان تؤكد للعالم وجود المسلمين في الدنيا، في عالم لا يرى وجوداً لغير المنتجين المنجزين المكتشفين المخترعين، لذلك نعلم أنه لا يرانا لأننا لا في العير ولا في النفير، لذلك نقحم على عيونهم رؤية حجابنا وتميزنا بمظهرنا بالحي والجلابيب القصار، نريده أن يرانا بتميز مظهري ليس من أساس الدين كما قال شيخهم. ورغم ذلك ذهب شيخهم هذا إلي حد رفع دعوى ضد حكومة فرنسا لمنعها الحجاب في مدارسها. المهم أننا لا نعلم أننا لا نوجد إلا بالقدر الذي يسمح به المتفوق لنا فيه بالوجود وبالظهور فهم من يمتلكون أدوات واليات وأجهزة الظهور والوجود.

إذن لم يكن هناك حجاب بالمعنى المفهوم اليوم، وكان ضرب الخمار على الجيب وإطالة الثوب لدواعي أمنية فرضتها ظروف هذا المجتمع حيث لا شرطة ولا قانون، وعندما تتجول اليوم داخل جامعة القاهرة، أو داخل المترو اليوم ستجد أكثر الإعلانات وضوحاً وتكراراً وهو أن الحجاب عفة وطهارة، وهو إعلان بغض النظر عن عمدة لإهانة غير المحجبات واتهامهن بعدم العفة والطهارة، فإنه إعلان يؤدي الإسلام نفسه في أمهات المؤمنين، لأنهن وحدهن من ضرب عليهن الحجاب دون نساء العالمين وهن بنص الآيات لسن كغيرهن من النساء، فهل كان ضرب الحجاب عليهن لأنهن كن غير عفيفات ولا طاهرات وهن سيدات الدنيا والآخرة ؟ إنهم وهم بسبيل حجب العقل في بلادنا لا يتورعون عن التماذي بعد اختراع ما يسمى بالحجاب، إلى إهانة أمهات المؤمنين بشعارهم الإعلاني الذي هو بكل المقاييس خطيئة حقيقية من العيار الثقيل. ولا حل معها سوى الاعتراف أن الحجاب لم يقصد به حماية الأخلاق ولا طلب الفضيلة، فلا يعقل أن تكون نساء النبي أمهات المؤمنين غير فاضلات حتى يجبرهن النص القرآني على التزام الفضيلة بالحجاب، وهن الفاضلات القانتات العابدات المؤمنات أمهات كل المسلمين بما في الأمومة من كل معاني الطهارة والسمو. فإذا انتهينا إلى أن الحجاب كما هو معلن عنه اليوم لم يكن شيئاً معلوماً في ديننا ولا في تاريخ الدعوة والراشدين، وإذا كان المطلوب من المرأة تخمير صدرها فالسوستة والأزار تقوم مقام ذلك اليوم، ولم يكن المطلوب تخمير الرأس بحسبانها عادة قديمة لم يقل فيها الإسلام رأيه، وكما أن الزمن قد جعل المسلم يتخلى عن العمامة وكانت العمامة هي تيجان العرب، كعادة لم تعد مطلوبة، فهو ذاته ما ينطبق على تخمير الشعر والرأس بالنسبة للمرأة كعادة انتهت زمنها وبيئتها، ناهيك عن كون الحجاب والحية لا يغيران القلب ولا يطهران الروح، فإذا كان الدين غايتهم فليحذثونا عما يطرُق الروح ويلمس القلب ويظهر النفس وبأخذ بيد المسلمين نحو الحضارة بدلاً مما يزرعون تحتهم تخلف مقبوت.

إن مشايخ اليوم يفرضون على المسلمات شيئاً مزروراً اسمه الحجاب ويضعونه ضمن فروض الدين وهي الزيادة في الدين التي يتم بها تعريف البدعة المكروهة. وحتى لو ذهبنا مذهب مشايخنا بالفرض الجدلي، نجد أنهم يفرضون على مجتمعنا فضيلة. (إن كانت كذلك) تم وضعها لزمن غير زماننا ولبشر يختلفون عنا ولمجتمع مباين بالمرءة لمجتمعنا بالكلية، وفي ظروف غير ظروفنا، ومكان لا علاقة لنا به في عاداته وتقاليده ونظمه من قريب أو بعيد، إلا في كونه مكاناً توجد فيه مقدساتنا الجغرافية ليس أكثر.

إذن، وإعمالاً لما سلف، تصبح المهمة الأهم هي تحصين ديننا عن الانتهازية لكل من أراد مصلحة أو صراعاً سياسياً، ليستخدّم ديننا في تحقيق مآربه التي عادة ما تكون بعيدة عن الدين وأغراضه ومراميه، بل ربما تكون ضد مصالح بني الله في الأرض من مواطنين بسطاء ويتم تجبيشهم ضد مصالحهم بل وضد مقاصد دينهم بدينهم نفسه. عن طريق المحترفين والوسطاء الانتهازيين الذين لا يراعون لديننا حقه من احترام وتوقير.

و من أوليات هذا التحصين لديننا من اللعب به، إبعاده عن مزلق الصراع السياسي وآلياته التي لا تحترم أي فضائل، إنما فقط تحترم المصالح التي هي محل الصراع الحقيقي، وضمن هذا التحصين يجب أن نعتز جميعاً أن الفضائل هي منتج الجماعة، وأنها منتج بشري متطورة متغيرة بتطور الزمان وتغير المكان، وأنها منتج بشري وليست منتجاً إلهياً، لأنها لو كانت ذات منشأ إلهي، لمنحها الله لعباده كجزء من خلقهم الغريزية، وإما أن الله قد أهمل خليفته فخلقها منزعة الفضائل لئلا يكونوا ويختبرنا، وفي هذه الحال لن يبقى معنى لتعبير القرآن (ولقد كرّمنا بني آدم)، كذلك لا يمكن تصور أن الله خلق بني آدم ونسى مسألة الفضائل ولم يتذكرها إلا عند إرساله آخر أنبيائه، (وما كان ربك نسياً).

هذا بينما الفضيلة منتج اجتماعي ينشأ في المجتمع كنتيجة لقصور هيمنة السلطات على كامل سلوك الأفراد سرّاً وعلانية، خفاء وجهرًا. فإن أمكنها السيطرة على السلوك غير المرغوب العلني وردعه وعقابه بقوانين الجماعة، فإن ما يتم فعله في الخفاء هو الأكثر وقوعاً والأكثر ضرراً لسريته، ومع ذلك لا يستتبع ذلك العقوبة المادية القانونية لعدم توفر الأدلة. لهذا قامت الجماعة تصنع لها رادع يتم تكوينه في الطفولة مع الأسرة، حيث يبدأ الضمير في التكوين والتشكل وفق ما تراه الجماعة سلوكاً فاضلاً أو رذيلًا ويصبح الضمير المتشكل وفق رغبات الجماعة هو سلطة ردع داخلي معنوية تسير جنباً إلى جنب مع سلطة الردع السلطوي المادي.

و هذا الرادع المعنوي سيقوم من بعد بتمييز الفضائل وفرزها عن الرذائل حسبما عرفها المجتمع ووضع لها مواصفاتها، ويصبح الضمير هو سلطة الجماعة الداخلية كضابط لسلوك الأفراد بما يوافق مطالب المجتمع، ليصبح (ملتزماً) أدبياً ومعنوياً بدستور خفي ينبو عن المجتمع يتم زرع في الطفل منذ مولده لصالح المجموع. و يترتب على هذا أن نفهم أن القواعد الأخلاقية التي تميز الفضيلة عن الرذيلة كانت سابقة للدين في الوجود، لأنها نشأت مع أول تشكيلات اجتماعية بشرية في أبسط صورها. وإذا كانت الشرطة هي من يقوم بمراقبة السلوك العلني للأفراد، فإن من سيقوم بمراقبة الضمير لضمان عدم انحرافه لابد أن يكون بدوره شيئاً خفياً كالضمير ومن نوعه اللاحسي. ومن ثم قامت الجماعات تنسب ما تواضعت عليه من أخلاقيات تحقق مصالحها، إلى أربابها الخفية والتي أهم ما بها هو حماية المجتمع بحماية الفضيلة. فراعى الأخلاق يجب أن يكون من غير طينة المادة، يجب ألا يكون ملموساً محسوساً، يجب أن يكون بغير شبيه أو مثيل، ليقوم الخيال البشري بمحاولة تصوره كقوة عظمى يمكنها معرفة ما بداخل الصدور ولا يمكن لأى صورة لهذه القوة أن تتطابق مع صورتها المتخيلة لدى فرد آخر، لعدم وجود أي معطيات مادية تساعد على تكوين الصورة المتخيلة، لهذا تكون هذه القوة الخفية هي المجهول، ولذلك كان مذهب الفيلسوف عمانوئيل كانط أن وجود الله كفرض نسلم به كضرورة، لأن الله هو الضامن للنظام الأخلاقي، وهذا النظام الأخلاقي هو الدال عليه. هذا بينما بشرت السنوات الأخيرة في عمر الإنسانية بظهور فضائل إنسانية عامة لا تشغل بثواب أو عقاب، إنما هي فضائل نفعلها لذاتها ولجمالها ولخيريتها مع أي إنسان بغض النظر عن لونه أو دينه أو جنسه، فضائل لا تريد مقابل سوى وجه الإنسان الكريم. كنتاج ضروري لتواصل العالم حتي أصبح قرية واحدة فاحتاجت عقداً أخلاقياً جديداً يتناسب مع ما وصلت إليه مادياً وعلمياً.

زمان عندما كنا نحن السادة، كنا نفرض على غير المسلمين الغيار والمخالفة في الملبس كي نفرزهم عن المسلمين، وعندما سقطت سيادتنا ولم يعد بيدنا قدرة إلباس العالم كله ملابس نميزه بها عن المسلمين، فقد قررنا من جانبنا التمييز بملبس خاص بنا استدعينا من عمق الماضي لا هو حجاب كحجاب نساء النبي ولا هو خمار كخمار الصحابيات، هو شيء اخترعناه بخلطة هجينة بين شائين لا يلتقان، نحن نريد المخالفة في المظهر لإثبات أننا موجودون وأننا متميزون ليس بقدر مساهمتنا في حضارة الإنسان ولكن بالحجاب. هذا ناهيك عن الجانب النفسي الذي يشعر بالفراغ واليتم العالمي، بحيث يشعرون عندما يرون زيهم المتشابه أنهم قوة وهم كثر وأنهم ليسوا وحدهم، وكرمز لكل الفضائل العربية المتعلقة بالشرف والظاهرة السلوكية، بغض النظر عن الواقع العملي لهذا الشرف وتلك الطهارة.

إن مشايخنا ودكاترة أزهنا وجامعاتنا تركوا تفسير الطبري والنسفي وابن كثير والرازي والزمخشري وغيرهم من أعمدة التاريخ الإسلامي بعد ظهور العلم الحديث، واضطروا إلى محاولة إعادة تفسير نصوص الدين بما يلائم المكتشفات الجديدة، مما يعني أن القديم قد أثبت فشله اليوم، فلماذا يصرون على قديم الخمار الذي كان مجرد زي له ظرفه البيني، ولا يبحثون عن جديد يتناسب مع وضع المرأة في عالم اليوم حتى يجعلوا من الإسلام ديناً عالمياً حقاً يقبله الجميع ويناسب الجميع.

سألوا الشاعر الحطينة وهو في نزع الموت في العقد الثاني للهجرة: ما تقول في مالك؟ قال: للأنتى من ولدى مثل حظ الذكر. قالوا له: ليس هكذا قضى الله، فقال: ولكني هكذا قضيت. أن حكومتنا بجلال قدرها ومجلس شعبها الموقر لم يستطيعوا أن يقولوا ولو مرة واحدة يتيمة في وجه سلطان المشايخ والاخوان ولكني هكذا قضيت كما قال الحطينة. وفي شأن أهون بكثير من الميراث، هو في شأن قطعة قماش مخترعة ولا أصل لها في دين المسلمين.

الإسماعيليون والموحدون والقرامطة رفضوا تعدد الزوجات وجعلوا الزواج الأحادي هو الشرع الإسلامي السليم، ونحن نضرب بموقف وزير الثقافة حائط الحريات، ونفتي جميعاً بالحجاب كفر، فنكذب على الله وعلى أنفسنا وعلى المسلمين البسطاء الطيبين، في تجارة سياسية منكرة كثيراً ما افترت على ديننا الجميل الواقعي الأكثر اعترافاً بحاجة الإنسان، الذي هو يسر وليس عسراً.

عندما تتحول فضائلنا وقيم ديننا إلى مظهر مادي يتمثل في لحية أو جلباب قصير أو حجاب أو خمار أو نقاب، يكون المسلم قد تحول عن الإيمان الصادق إلى الإعلان المنافق، الإعلان عن نفسه أو عن نفسها كآرقى من بقية المجتمع، طالبة من المجتمع الاعتراف بطهارتها ونقاوتها وعفتها وشرفها بسبب هذه القطعة من القماش. وهو حسبما يرى علم النفس لون من الآليات الدفاعية عندما تكون الحقيقة الباطنة غير الإعلان، فلا أحد يدفع عن نفسه جريمة طوال الوقت دون أن يسأله أحد عن جريمة، فإن فعل فسيكون مرتكباً للجريمة أو مشتبهاً لها لدرجة تحققها الداخلي.

عندما تتحول الفضيلة عن جانبها الداخلي المعنوي السري اللاحسي لتلبس الأزياء وموضات وإعلانات محال الأزياء المحببة، عندما تصبح الفضيلة مظهراً دون مخبر، كما حدث في بلادنا مع عودة القادمين من بلاد بن عبد الوهاب. أصبح المعلن فضيلة محببة وملتحية وأصبح السر هو مساحة كل مباح، وتمت إباحة الجرم مادام يحدث في الخفاء عملاً بالأحاديث: إذا بليتيم فاستتروا، لا تجهروا بمعصية من ستر مؤمناً في الدنيا ستره الله يوم القيامة.

و لأن العمود الأساسي في المبدأ السني الحنبلي هو أنه لا يدخل ابن آدم الجنة بعمله إنما يدخلها بأداء الطقوس والالتزام بالمظاهر التعبدية وبرحمة ربك، في حديث منسوب لنبي الإسلام؟! أي بأداء المظهر بغض النظر عن عفن المخبر، والكل يعلم بما يحدث في السر، والكل يتجاهل أنه يعلم، المهم أن تمارس لعبة الإخفاء فلا تقع في جرم مشهود، فيذبحك الآخرون ممن اتقنوا فنون لعبة الخفاء.

و عندما يصبح الالتزام الأخلاقي في بلاد المسلمين وسيلة تجارة وكسب مادي بأن تشتري لسيارتك من قطع غيار الإسلام وتأكّل في مطعم الرحمن وتنتمي إلى حزب الله وتشرب مكة كولا ملتزماً بإعلانات لا تستحي لا من الدين ولا حتى من رب الدين. وعندما يصبح الدين في السياسة أو في التجارة، فإن الفضيلة تكون قد ماتت وتعفنت ويكون الضمير قد أصبح جيفة، ويكون رب الدين نفسه كحامي للأخلاق ودال عليها، قد سئم ما وصلت إليه أحوال عبادته، فتركهم حتى يلقوا مصير أمم سادت ثم بادت.

إن مشايخنا وإخواننا الاخوان وأذرعهم الضاربة وهم يمارسون السياسة ويضعون الكرسي الأعظم في الوطن كهدف استراتيجي، يلعبون بديننا، ويضيفون إلى دين الله ما لم يكن فيه فيبتدعون بدعاً هي المكروهة بنص الحديث، لأن البدعة المكروهة هي الإضافة إلى الدين والزيادة فيه، ويفرضونها فرضاً على المسلمين لإثبات أن المسلمين قد أصبحوا أكثر طاعة للمشايخ من طاعتهم لله، إنهم كما طالبوا محاكمة المفكرين بتهمة ازدراء الأديان، فإننا نطالب السادة الكبار في هذا الوطن بإعلان بقرار بتنفيذ فوري يلغي الحجاب، ويحكم من ابتدعه في ديننا بتهمة ازدراء الإسلام، وإن أردنا حقاً صيانة ديننا وديننا فيجب عدم أخذ هذه الدعوة باستخفاف، بل ربما أرجو أن تؤخذ مأخذ الجد، وساعتها يمكن لنا أن نأمل بأننا سوف نخرج من الثقب الأسود الذي التهمنا، وأننا سوف نتمكن من اللحاق بأخر قافلة مغادرة نحو

النور .

الشيخ مصطفى راشد معروف بفتاويه المخالفة للتيار العام. فهو يقول بأن الخمر غير محرم في الإسلام، وأن جبل سيناء أقدس من مكة، وأن رفع الأذان بمكبرات الصوت مخالف للإسلام، وأن الحجاب ليس فريضة. وفي إحدى حواراته مع المحامي نبيه الوحش قام هذا الأخير بضربه بالحذاء أمام المشاهدين¹.

ويعرف مصطفى راشد، نفسه على صفحته في الحوار المتمدن كما يلي²:

عالم أز هري ومفتي استراليا وأستاذ للشريعة الإسلامية ومقارنة الأديان - مصري الجنسية، سفير السلام العالمي للأمم المتحدة وعضو اتحاد الكتاب الأفريقي الآسيوي، والمنظمة العربية لحقوق الإنسان، والاتحاد العالمي للصحفيين، والاتحاد الدولي للمحامين، وله من المؤلفات 28 كتاب وديوانين للشعر، وهو رئيس منظمة الضمير العالمي لحقوق الإنسان ومركزها الرئيس بسيدني استراليا وأيضا عضو اللجنة الأكاديمية الدولية للمنظمة، ورئيس الاتحاد الدولي لعلماء الإسلام من أجل السلام ورفض العنف التابع للأمم المتحدة. وقد شارك كمتحدث في العديد من المؤتمرات حول العالم عن كيفية التعايش السلمي بين الأديان، والقي كلمة نيابة عن العالم الإسلامي أمام البرلمان الأوروبي في نوفمبر 2015، وهو المولود في 28.12.1971 بمدينة رشيد محافظة البحيرة، ثم انتقل للعيش بالإسكندرية، وقد تلقى تعليمه بالأزهر حتى حصل على العالمية في الشريعة والقانون عام 1987 من كلية الشريعة والقانون فرع دمهور-- ثم حصل على الدكتوراه عن موضوع مقارنة الأديان.

وقد ثارت بعض الأخبار التي نشرتها العديد من المواقع الإخبارية وبعض الصحف العربية والأجنبية حول حصول الشيخ الأز هري مصطفى راشد على درجة الدكتوراه من الأزهر في موضوع الحجاب عادة وليست فريضة إسلامية جدلاً كثيراً. وتم تكذيب هذا النبأ من قبل الأزهر والشيخ مصطفى راشد ذاته في مقابلة نشرتها صحيفة الوفد في 30 يوليو 2016³. إلا أنه أصدر فتوى في كتاب عنوانه الرد على الفتاوى الوهابية والفكر المتطرف الإرهابي. وهذه المقابلة تكرر بعض ما جاء في المقال الذي ننشره هنا والذي صدر في الحوار المتمدن في 3 يوليو 2016 رداً على فتوى أصدرها مفتي مصر شوقي علام يشدد فيها بأن الحجاب فريضة إسلامية. وقد تناقشت هذا الخبر بصورة واسعة الصحف المصرية ولكننا لم نعثر على النص الكامل. وهذا المقال يكرر ما جاء في مقال سابق في نفس الموقع في 20 يناير 2016⁴.

الرد على أخي مفتي مصر الحجاب ليس فريضة إسلامية⁵

الحوار المتمدن-العدد: 5212 - 3 / 7 / 2016

المحور: العلمانية، الدين السياسي ونقد الفكر الديني

بمناسبة تصريح أخي فضيلة الدكتور - شوقي علام مفتي جمهورية مصر أمس بأن الحجاب فريضة إسلامية دون أن يقول لنا ما لأدلة التي استند إليها في هذا الرأي، وللرد على هذا الرأي نقول ؟

بداية بتوفيق من الله وإرشاده وسعياً للحق ورضوانه وطلباً للدعم من رسله وأحبابه نصلي ونسلم على كليم الله موسى عليه السلام، وكل المحبة والسلام لكلمة الله المسيح له المجد في الأعالي، وكل السلام والتسليم على نبي الإسلام محمد ابن عبد الله كما نصلي ونسلم على سائر أنبياء الله لا نفرق بين أحداً منهم أما بعد.

فبخصوص ما يسمى بالحجاب الإسلامي، والذي صحته غطاء الرأس الذي لم يذكر لفظه في القرآن الكريم على الإطلاق (أي غطاء الرأس).

ولأن مسألة الحجاب باتت تفرض نفسها على العقل الإسلامي وغير الإسلامي، لدرجة أن يخرج علينا أخي المحترم دكتور شوقي علام لقول بفرضية الحجاب دون أن يسوق لنا الدليل الصحيح على ذلك، ولأن الحجاب

¹ <https://goo.gl/l5mKL5>

² أنظر صفحته في الفيسبوك <https://goo.gl/8wWcYQ> وصفحته في الحوار المتمدن <https://goo.gl/OySMXa> :

³ <http://goo.gl/cbhnDg>

⁴ <https://goo.gl/QGGcsN>

⁵ <https://goo.gl/Opvzmb>

أصبح مقياساً وتحديداً لمعنى ومقصد وطبيعة الإسلام، في نظر غير المسلمين، مما حدا ببعض الدول غير الإسلامية، إلى القول بأن الحجاب الإسلامي هو شعار سياسي، يؤدي إلى التفرقة بين المواطنين، والتمييز بينهم. مما أدى لحدوث مصادمات وفصل من الوظائف في هذه الدول بسبب تمسك المسلمة بما يسمى الحجاب، لذا تصدينا لهذا الموضوع الهام بالبحث والتنقيب والاستدلال لنعرف.

ما هي حقيقة الحجاب وما المقصود به، وما الأدلة الدينية التي استند إليها ما يدعون أنه فريضة إسلامية، لذلك يجب أن نناقش أدلتهم بالعقل والمنطق والحجة، حتى لا نحمل الإسلام بما لم يأت به، فقد جاءت أدلة من يدعون بفرضية الحجاب متخبطة غير مرتبطة، فجاءت مرة بمعنى الحجاب، ومرة بمعنى الخمار، ومرة بمعنى الجلابيب، وهو ما يوضح ابتعادهم عن المعنى الصحيح الذي يقصدونه، وهو غطاء الرأس، وهو ما يعنى أنهم يريدون إنزال الحكم بأي شكل لهوى وضعف نفسى عندهم.

وابتداء نعرف الحجاب فهو لغة بمعنى الساتر أو الحائط أو الحاجز وحجب الشيء أي ستره، والآيات القرآنية التي وردت في القرآن الكريم عن الحجاب 4 آيات وهي قوله تعالى في سورة الإسراء آية 45 (وَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَجَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ حِجَابًا مَسْتُورًا). وسورة فصلت آية 5 (وَقَالُوا قُلُوبُنَا فِي أَكِنَّةٍ مِمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ وَفِي آذَانِنَا وَقْرٌ وَمِنْ بَيْنِنَا وَبَيْنَكَ حِجَابٌ فَاغْمِلْ لَنَا عَامِلُونَ). وفي سورة الشورى آية 51 (وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَكْلِمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ أَوْ يَرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بآيَاتِهِ إِنَّهُ عَلِيُّ حَكِيمٍ). وهذه الآيات الثلاث توضح أن الحجاب هو ساتر أو حائط أو حاجز للرؤية الكلية دون لبس أو تورية، ولا صلة لها بغطاء الرأس أو الشعر.

والآية الرابعة تتعلق بزوجات النبي وحدهن، وتعنى وضع ساتر أو سور أو حاجز بينهن وبين الرجال من الصحابة، ولا خلاف بين كل الفقهاء والمشايع في ذلك المعنى مطلقاً، وهي الآية رقم 53 في سورة الأحزاب تقول يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوت النبي إلا أن يؤذن لكم إلى طعام غير ناظرين إناه ولكن إذا دُعِيتُمْ فادخلوا فإذا طعمتم فانتشروا ولا مستأنسين لحديث إن ذلكم كان يؤذي النبي فيستحي منكم والله لا يستحي من الحق وإذا سألتموهن متاعاً فسنلوهن من وراء حجاب ذلكم أطهر لقلوبكم وقلوبهن وما كان لكم أن تؤذوا رسول الله ولا أن تنكحوا أزواجه من بعده أبداً إن ذلكم كان عند الله عظيماً.

ثم نأتي لاستدلال البعض بآية الخمار على فرضية الحجاب أي غطاء الرأس التي وردت بالآية 31 من سورة النور والتي تقول: وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَى جُيُوبِهِنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ آبَائِهِنَّ أَوْ آبَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي أَخَوَاتِهِنَّ أَوْ نِسَائِهِنَّ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ أَوِ التَّابِعِينَ غَيْرَ أُولَى الْإِرَةِ مِنَ الرِّجَالِ أَوْ الْطِفْلَ الَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا عَلَى عَوْرَاتِ النِّسَاءِ وَلَا يُضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِنْ زِينَتِهِنَّ وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ. وسبب نزول هذه الآية أن النساء في زمن النبي وما قبله كن يرتدين الأخمرة ويسدلنها من وراء الظهر، فيبقى النحر، أي أعلى الصدر والعنق وجزء من التهدين لا ساتر لهما، وفي رأى آخر أن الخمار عبارة عن عباية--، وهنا طلبت الآية من المؤمنات إسدال الخمار على الجيوب (أي فتحة الصدر) ولم تقل الآية وليضربن على رؤوسهن لو كانت للشعر، وعلّة الحكم في هذه الآية هي تعديل عرف كان قائماً وقت نزولها، ولأن ظهورهن بصدر بارز عار هو صورة يرفضها الإسلام، ومن ثم قصدت الآية تغطية الصدر دون أن تقصد وضع زى بعينه أو تنص على فرضية الحجاب أو غطاء الرأس والشعر فلم يكن وارداً وقتها، وكان الهدف والعلّة من ذلك هو التمييز بين المسلمات وغير المسلمات والحرائر والأماء اللاتي كن يكشفن عن صدورهن وكل الجوارى عند الصحابة كن غير محجبات ويخرجن بصدر عارية فلو كان حجاب الشعر أي غطاء الرأس فرض لوجب على الأماء والحرائر دون فرق لأن جميعهم نساء والفتنة قد تكون من الإماء أكثر من الحرائر لو كانت أكثر جمالاً.

خامساً- استدلال البعض بفرضية الحجاب بآية الجلابيب من سورة الأحزاب رقم 59 والتي تقول: يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِنْ جَلَابِيبِهِنَّ ذَلِكَ أَدْنَى أَنْ يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذِينَ ص ق، وسبب نزول هذه الآية أن عادة النساء وقت النزول كن يكشفن وجوههن مثل الإماء الجوارى عند التبرز والتبول في الخلاء لأنه لم تكن عندهم دورات مياه في البيوت، وقد كان بعض الفجار - من الرجال - يتلصص النظر على النساء أثناء قضاء حاجتهن، وقد وصل الأمر إلى الرسول بعد قول عمر بن الخطاب لسودة زوجة النبي لقد عرفناك بعد تبرزها وهو الحديث الذي ورد في صحيح البخاري في باب خروج النساء للتبرز حيث قال حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ بُكَيْرٍ قَالَ حَدَّثَنَا اللَّيْثُ قَالَ حَدَّثَنِي عُقَيْلٌ عَنْ ابْنِ شِهَابٍ عَنْ عُرْوَةَ عَنْ عَائِشَةَ أَنَّ أَرْوَاجَ النَّبِيِّ كُنَّ

يَخْرُجْنَ بِاللَّيْلِ إِذَا تَنَزَّزْنَ إِلَى الْمَنَاصِعِ - وَهُوَ صَعِيدٌ أَفِيحٌ - فَكَانَ عُمَرُ يَقُولُ لِلنَّبِيِّ احْبُثْ نِسَاءَكَ. فَلَمْ يَكُنْ رَسُولُ اللَّهِ يَفْعَلْ، فَخَرَجَتْ سُودَةُ بِنْتُ زَوْجِ النَّبِيِّ لَيْلَةً مِنَ اللَّيَالِي عِشَاءً، وَكَانَتْ امْرَأَةً طَوِيلَةً، فَنَادَاهَا عُمَرُ أَلَا قَدْ عَرَفْنَاكَ يَا سُودَةُ. فَنَزَلَتْ فِي الْيَوْمِ التَّالِيِ الْآيَةِ 59 مِنْ سُورَةِ الْأَحْزَابِ لِتَصْنَعَ فَارِقًا وَتُمَيِّزًا بَيْنَ الْحَرَارِ وَالْإِمَاءِ الْجَوَارِي مِنَ الْمُؤْمِنَاتِ حَتَّى لَا تَتَّذَى الْحَرَةُ الْعَقِيقَةُ، وَكَانَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ إِذَا رَأَى أُمَّةً جَارِيَةً قَدْ تَقَنَعَتْ أَيْ تَغَطَّتْ أَوْ دَانَتْ جَلْبَابَهَا عَلَيْهَا، ضَرْبَهَا بِالْدَرَّةِ مُحَافِظًا عَلَى زِيِّ الْحَرَارِ وَرَدَّ هَذَا عَنْ ابْنِ تَيْمِيَّةٍ - فِي كِتَابِ حِجَابِ الْمَرْأَةِ وَلِبَاسِهَا فِي الصَّلَاةِ - وَهُوَ مِنْ تَحْقِيقِ مُحَمَّدٍ نَاصِرِ الدِّينِ الْأَلْبَانِيِّ - الْمَكْتَبِ الْإِسْلَامِيِّ - ص 37.

سادسا: - استنادهم إلى حديث منسوب للرسول عن أبي داود عن عائشة أن أسماء بنت أبي بكر دخلت على رسول الله فقال لها: يا أسماء إن المرأة إذا بلغت المحيض لم يصلح أن يرى فيها إلا هذا وأشار إلى وجهه وكفيه. والرد على من يستدل بهذا الحديث على فرضية الحجاب غطاء الرأس نقول إن هذا الحديث من أحاديث الأحاد أي ليس من الأحاديث المتواترة الصحيحة السند غير المنقطعة المجمع عليها، ولكنه حديث آحاد مقطوع السند لأن أبي داود الذي روى عن السيدة عائشة لم يعش في زمانها ولم يقابلها، فلا يكون إلا للاستشاد والاستئناس، لكنه لا ينشئ ولا يلغى حكما شرعيا فكيف نجعله سندا لفرض إسلامي، والفرض الإسلامي هو أعلى درجات الإلزام الشرعية ويأتي بعده الواجب والمندوب والمستحب إلى آخره. والفرض لا يبنى على الظن أو التفسير الضمني أو استخلاص المعنى بجهد بشري متأرجح ولكن يُبنى الفرض على الأدلة القطعية الثبوت الواضحة الدلالة. لذا نرى ونفتي بكل ثقة واطمئنان كامل بأن الحجاب ليس فريضة إسلامية، والقائل بفرضيته يحتاج للمراجعة والمناظرة وحتى لا يسيء للإسلام دون قصد ويتهم الفكر الإلهي بالسطحية (حاشا لله) لتوقفه عند خصائص شعر رغم أن العيون والحدود والشفاف أكثر فتنة وتأثيراً.

سامحك الله أخي المحترم دكتور شوقي ونحن نعلم أنكم على قدر من العلم والتواضع الذي يجعلكم تتراجعون عن الرأي إذا تأكدتم من أنه قد جانبه الصواب لعدم وضع شرع على شرع الله.

هذا وعلى الله قصد السبيل وابتغاء رضاه

الشيخ د مصطفى راشد عالم أزهري رئيس الاتحاد العالمي لعلماء الإسلام من أجل السلام ورفض العنف

أحمد عبده ماهر

ملاحظة أولية

ننشر هنا مقال للمحامي احمد عبده ماهر، جنرال مصري سابق ومحامي بمحكمة النقض المصرية. وهو من معارضي التيار الديني وله حوارات حادة مع ممثلين من الأزهر حول برامجه التعليمية المخالفة لحقوق الإنسان وحسب رأيه مخالفة للقرآن، وهو من منتقدي كتب الحديث.

الحجاب فريضة أم غير فريضة¹

مصر المدنية، 30 ابريل 2013

كثيرا من يسألونني هذا السؤال، ورأيت كيف ترنح الأمر بين أقوال الفقهاء والمفكرين بهذا الشأن، فهذا يقول بأنه فرض وذاك يقول بأنه ليس مفروضا، فما هي حقيقة الأمر؟.

أدون لكم هذا وفق ما تدبرته من فقه القرآن، وبغير ميل لهذا أو تصادم مع ذاك، وأبدأ بأن آيات الحجاب الواردة بسورة الأحزاب عن أمهات المؤمنين هي أمر يخص أمهات المؤمنين فقط، وهو أمر للرجال وليس أمرا للنساء، فقد كانت لنساء النبي خصوصيات، منها أنه من يأت منهن بفاحشة يضاعف لها العذاب ضعفين، وأن من تقنت منهن لله ورسوله فلها ضعف الثواب، ولا يحق للمسلمين التزوج منهن بعد رسول الله.

وعودة لآيات الحجاب بسورة الأحزاب التي تقرر: وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعًا فَاسْأَلُوهُنَّ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ ذَلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ وَمَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُؤْذُوا رَسُولَ اللَّهِ وَلَا أَنْ تُنكِحُوا أَزْوَاجَهُ مِنْ بَغْدِهِ أَبَدًا إِنَّ ذَلِكُمْ كَانَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمًا الْأَحْزَابُ 53؛

فالمندبر الواجب يجد أنها أوامر للصحابة وليست أوامر لنساء النبي.

والاختلاط بين الذكر والأنثى ورؤية كل منهما للآخر أمر وضع الله أساساته في قوله تعالى: يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ الْحَجَرَاتُ 13.

¹ <https://goo.gl/seKyiy>

فالتعارف بين الذكر والأنثى أمر من دواعي الفطرة لكن لا بد أن تظللهما التقوى، وهنا يجب العمل على تربية النفس لتتمكن من التمسك بالتقوى إبان هذا التعارف أذى صرح الله به.

يبقى أمر النظر والبصر ونظرة كل من الذكر والأنثى للآخر، فهذه لابد أن تتوافق مع شريعة الاستقامة وهي لا تكون إلا إذا تم نزع الشهوة الحيوانية من النفوس، وهو أمر يختلف من بيئة لأخرى ومن شخص لآخر.

فغض البصر ليس غض لكل البصر إنما هو غض للبصر المدرك للشهوة، فليس كل البصر من طرف لآخر أمر منهى عنه، لكن نظرة الشهوة التي يدركها البصر هي المنهي عنها، وتدبر قوله تعالى في آخر ما نزل من القرآن: قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَلِكَ أَزْكَى لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ النور 30؛ فتعبير [يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ] لا يعني غض كل البصر إنما بعض البصر، وهو يحمل بين طياته أن وجه المرأة يمكن النظر إليه.

فهل لاحظت بأول الآية كلمة [فروجهن] إنها تعني أماكن العفة والسواة، فللرجل فرجين هما القبل والدبر، وللمرأة ثلاثة فروج، هم القبل والدبر والثديين، لذلك قال الله تعالى كلمة [فروجهن]. وضرب الخمار على الجيب ليس أمراً بارتداء ما يسمونه [الخمار] ولا بارتداء ما يسمونه [الحجاب]، لكنه لباس تلبسه المرأة بحيث لا تنكشف عورة الثديين.

لذلك لا تجد بالقرآن الحجاب بمفهومه الفقهي المتداول بين أهل الشرق.... لكن تجده بمفهومه العام، فليس في اللباس حرام إلا ما أرادت به المرأة الفتنة.

كالمياووه [لباس البحر] وبدلة الرقص، واللباس الملاصق للجسم بالعمد بحيث يكشف عن المفاتن ويثير الغرائز، لذلك نقول بأن تحديد المرأة لقوامها منهى عنه لأن قوامها من الزينة التي يجب عدم إبدائها للجميع.

واختلاط الرجال مع النساء كان هو الأمر الثابت أيام الصحابة، واشتركه في القتال أمر بنبي عن هذا، وقوله تعالى أيضاً: لَا يَحِلُّ لَكَ الْبَسَاءُ مِنْ بَعْدِ وَلَا أَنْ تَبَدَّلَ بِهِ مِنْ أَزْوَاجٍ وَلَوْ أَعْبَجَكَ حُسْنُهُنَّ إِلَّا مَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ رَقِيبًا الْأَحْزَابُ 52. فكان إدراك حسن المرأة لا شيء فيه إنما المنهي عنه هو نظرة الشهوة.

وهنا ندلف إلى مسألة زينة المرأة التي حدد الله المصرح لهم بروبيتها، لكن لا بد أن نعرف ما هي الزينة؟.

ففي شأن الزينة يقول تعالى: وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَنْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَى جُيُوبِهِنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ آبَائِهِنَّ أَوْ أَبْنَائِهِنَّ أَوْ إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي أَخَوَاتِهِنَّ أَوْ نِسَائِهِنَّ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ أَوْ التَّالِبِينَ غَيْرَ أُولِي الإِزْمَةِ مِنَ الرِّجَالِ أَوْ الطِّفْلَ الَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا عَلَى عَوْرَاتِ النِّسَاءِ وَلَا يُضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُظْهِرَ مَا خِثْيُنَ مِنْ زِينَتِهِنَّ وَثَوْبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا إِلَيْهَا الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تَفْلَحُونَ النور 31.

فالزينة هي العناصر والأمور المضافة للمرأة، فليس من بينها شعر المرأة ولا صدرها ولا وجهها، فأمر اختفاء الزينة يظهر أكثر في قوله تعالى [لِيُغْلَمَ مَا يُخْفَيْنَ مِنْ زِينَتِهِنَّ]؛ فهذا يعني ألا يعرف الرجل ما تحت ثوب المرأة فيعني هذا تحريم لبس الرقائق من الثياب، وما يظهر من الزينة فمغفوق عنه.

والضرب بالرجل تعني عدم تعمد المرأة إثارة الانتباه إليها حتى ينظر الرجال إلى زينتها التي قد تكون خافية عليهم، وفي هذا إشارة إلى كراهية خروج المرأة بكعب عال للتسكع

وشعر المرأة ليس من زينتها وحتى إن كان من الزينة [وهذا تجاوز] فيكون واقعا تحت طائلة الاستثناء من قوله تعالى [إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا]، ولقد أمر الله المرأة بالترزين عند الذهاب للمسجد، ولم يمنعها التزين، وهو الأمر الذي يثبت أن الزينة هي أمر خارج جسد المرأة، مما تضعه المرأة أو الرجل، وذلك من قوله تعالى: يَا بَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ (31) الأعراف.

وزينة المرأة لها مقاصدها الشرعية وهي ألا تكون بهدف الفتنة ولا تحدثها، فالزينة هي مما يجلب الراحة للمرأة دون العدوان على مشاعر الرجال أو إثارتها، لذلك فالزينة قد يكون منها ما هو محرم ومنها ما هو غير محرم، وقد يكون من الزينة ما يحرم في مكان ولا يحرم في آخر، وتدبر قوله تعالى: قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ (32) الأعراف.

لذلك فإن أعراف المجتمعات إنما هي من بين الشريعة التي حض عليها القرآن، وذلك من قوله تعالى: خُذِ الْعُقُوفَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ الأعراف 199؛ فالأمر بالعرف من بين ما يجب تحسنه والعمل عليه،

فمن غير المقبول عرفاً ولا تتطلبه الشريعة أن تقوم امرأة بلباس النقاب وهي تقطن ببلدة على خط الاستواء، أو ترتدي القصير من الثياب في واجب العزاء... وهكذا.

وفي شأن الجلابب يقول تعالى: يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِّأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِنْ جَلَابِيبِهِنَّ ذَلِكَ أَدْنَى أَنْ يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَ وَكَانَ اللَّهُ غَفُوراً رَحِيماً الأحزاب: 59.

فإدناء الجلابب كان مما تتطلبه أعراف الحياة بالمدينة المنورة التي كانت تحوي الإماء والحرائر فكان يجب التمييز بينهما بأن تدني الحرائر من جلابيهن، وهنا يتدخل العرف ليثبت الطول المتعارف عليه أنه لا يسبب الفتنة بالمجتمع، سواء أكانت فتنة إعاقاة الحركة، أو فتنة النساء للرجال.

لذلك فإن الجلابب من الزينة الحلال لكن لها ضوابطها التي تحددها أعراف المجتمعات وليس لها شكل محدد يكون غيرها حراماً.

وضرب الخمار على الجيوب لا ينحصر بفتحة الصدر فقط، فقد يكون باطن الذراع [تحت الإبط] من الجيوب التي لا يجب إظهارها، وقد يكون غير ذلك مما يكون فتنة، لذلك أيضاً فليس هناك شكل لباس محدد لتغطية الجيوب، فقد جعلها الله مطلقة وغير محددة، وذلك من قوله تعالى: وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَى جُيُوبِهِنَّ ... النور 31؛ فهي مطلقة وغير محددة.

لذلك فإن سؤال [هل الحجاب شريعة مفروضة] إنما هو سؤال حق قد يراد به باطل، فتتبرج النساء ويضعن ثيابهن بغير ضابط، وإن قلنا بأنه شريعة نكون قد افترينا على الله ما لم يحدده بحدود، لكن يجب على المرأة ألا تقفن ولا تقفن ولا يكون لباسها مثار فتنة وأن تتق الله وأن يتق الرجال في تعاملهم معها وأن يتق الاثنان نظرة لا تحمل التقوى

محمود محمد طه

ملاحظة أولية

يمكن اعتبار السوداني محمود محمد طه، الملقب بغاندي أفريقيا، أكبر مفكر مسلم في العصر الحديث. ولد عام 1909 (؟) وتم شنقه في 18 يناير 1985 بتحريض من الأزهر ورابطة العالم الإسلامي¹. كان يطالب باحترام حقوق الإنسان وتطوير الإسلام بحيث يتفق مع هذه الحقوق بالرجوع إلى إسلام مكة وقرآن مكة، وترك إسلام المدينة وقرآن المدينة الذي يسن على الرق والسبي وملك اليمين والغزو والجزية والتمييز بين الناس على أساس الدين وعلى أساس الجنس، ويسن على عقوبات وحشية من ضمنها رجم الزاني وقطع يد السارق وقتل المرتد. وقد عرض أفكاره خاصة في كتابه الشهير المعنون "الرسالة الثانية من الإسلام" والذي ما زال ممنوعاً في جميع الدول العربية والإسلامية، ولكن يمكن تحميله من هذا الموقع <https://goo.gl/uuQD38>. وننقل هنا فقرات من كتابه هذا حول الحجاب والاختلاط بين الرجال والنساء²:

الحجاب ليس أصلاً في الإسلام

الأصل في الإسلام السفور. لأن مراد الإسلام العفة. وهو يريد عفة تقوم في صدور النساء والرجال، لا عفة مضروبة بالباب المقفول، والثوب المسدول. ولكن ليس إلى هذه العفة الغالية من سبيل إلا عن طريق التربية والتقويم. وهذه تحتاج إلى فترة انتقال لا تتحقق أثناءها العفة إلا عن طريق الحجاب، وكذلك شرع الحجاب. فكان الأصل ما كان عليه آدم وحواء قبل أن يزلا:

م7/39: 19 - وَيَأْتَاكَ الْجَنَّةُ، فَكُلَا مِنْ حَيْثُ شِئْتُمَا. وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ، فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ.

م7/39: 20 - فَوَسَّوَسَ لَهُمَا الشَّيْطَانُ لِيُبْدِيَ لَهُمَا مَا وُورِيَ عَنْهُمَا مِنْ سَوْءَاتِهِمَا. وَقَالَ: مَا نَهَاكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَذِهِ الشَّجَرَةِ إِلَّا أَنْ تَكُونَا مَلَكَتَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ الْخَالِدِينَ.

م7/39: 21 - وَقَاسَمَهُمَا: إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ النَّاصِحِينَ.

م7/39: 22 - فَدَلَّاهُمَا بِغُرُورٍ. فَلَمَّا ذَاقَا الشَّجَرَةَ، بَدَتْ لَهُمَا سَوْءَاتُهُمَا. وَطَفَعَا خِصْفَانِ عَلَيْهِمَا مِنْ وَرَقِ الْجَنَّةِ. وَنَادَاهُمَا رَبُّهُمَا: أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَنْ تِلْكَ الشَّجَرَةِ، وَأَقُلْتُ لَكُمَا إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُبِينٌ؟

1 أنظر مقالتي: تورط الأزهر في شنق محمود محمد طه: <https://goo.gl/AFULt3>

2 <https://goo.gl/j1tEb8>

39/7: 23 - قَالَ: رَبَّنَا! ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا. وَإِنْ لَمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا، لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ.
 39/7: 24 - قَالَ: أَهْبِطُوا، بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ. وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتْعٌ إِلَى حِينٍ.
 39/7: 25 - قَالَ: فِيهَا تَخْيُونَ، وَفِيهَا تَمُوتُونَ، وَمِنْهَا تُخْرَجُونَ.
 39/7: 26 - يُبْنِي آدَمُ! قَدْ أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ لِبَاسًا يُورِي سَوْءَ عِلْمِكُمْ وَرِيشًا. وَلِبَاسُ النُّفُوسِ ذَلِكَ خَيْرٌ. ذَلِكَ مِنْ عَائِيتِ اللَّهِ. لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ!

39/7: 27 - يُبْنِي آدَمُ! لَا يَفْتَنَنَّكُمُ الشَّيْطَانُ، كَمَا أَخْرَجَ أَبَوَيْكُمُ مِنَ الْجَنَّةِ، يَنْزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوْءَ عِلْمِهِمَا. إِنَّهُ يَرِيكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ. إِنَّا جَعَلْنَا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ.

قوله (ليبيدي لهما) يعني ليظهر لهما. قوله (ما ووري عنهما) يعني ما غطي عنهما بلباس النور.. (من سواتهما) من عوراتهما. قوله (فدلاهما بغرور) نصحهما بباطل، وكذب، حتى تورطا في الخطيئة، فلما سقطا (بدت لهما سواتهما، وطفقا يخصفان عليهما من ورق الجنة) فأخذا يستران عوراتهما بورق التين، ومن يومئذ بدأ الحجاب . فهو نتيجة الخطيئة، وسبلازما لها حتى يزول بزوالها، إن شاء الله . وفي ذلك قوله تعالى (يا بني آدم قد أنزلنا عليك لباسا يوراري سواتكم)، وهو يعني قد خلقنا لكم، وفرضنا عليكم لبس ثياب القطن والصوف وغيرهما مما يوراري عوراتكم. وقوله (ولباس النقي) يعني لباس التوحيد، والعفة، والعصمة المودعة في قلوبكم، قوله (ذلك) يعني لباس العفة (خير) من لباس القطن. (ذلك) يعني لباس القطن. (من آيات الله) من حكمته في تشريع. وكل المعنى في قوله تعالى (لعلهم يذكر) ويعني لعل الناس يذكرون حالة الطهر، والبراءة والعفة، التي كان عليها أمرهم قبل الخطيئة، فتكون منهم الرجعى.

والآية الأخيرة واضحة الدلالة على ما ذهبا إليه في أمر الحجاب. والسفور في الإسلام اصل لأنه حرية. وقد أسلفنا القول بأنه، في الإسلام، الأصل في كل إنسان أنه حر، إلى أن يسئ التصرف في الحرية، فتصادر حريته بقانون دستوري. وقد سلفت الإشارة إلى القانون الدستوري. اقرأ في حكمة الحجاب قوله تعالى هـ 4: 15: (وَالَّذِي يَأْتِيَنَّكَ الْفَحْشَاءُ مِنْ نِسَائِكَ، فَأَسْتَشْهِدُوا عَلَيْهِنَّ أَرْبَعَةٌ مِّنْكُمْ، فَإِنْ شَهِدُوا، فَأَمْسِكُوهُنَّ فِي الْبُيُوتِ حَتَّى يَتَوَقَّعَهُنَّ الْمَوْتُ، أَوْ يَجْعَلَ اللَّهُ لَهُنَّ سَبِيلًا) إذا توفرت الأدلة على اعوجاج سلوكها بما لا يرقى إلى الحد تصادر حريتها بحرمانها من حقها في حرية السفور، وتحبس في المنزل (حَتَّى يَتَوَقَّعَهُنَّ الْمَوْتُ) إن لم يبد من احداهن أنها قد انتفعت بالقوية، وأنها استقامت، مما يجعلها مرجوة لحسن التصرف في السفور.

فالحجاب عقوبة حكيمة على سوء التصرف في حرية السفور . هذا في الأصل الإسلامي . ولكنه، في التشريع الحاضر، يمثل مصادرة مستمرة لحرية السفور، لأن الشارع أراد به الى سد الذريعة، حماية للقصر من مسئولية باهظة، وثقيلة، لا ينهض بها المؤمنون، وإنما ينهض بها المسلمون، وما لهؤلاء شرع.

المجتمع المنعزل رجاله عن نساؤه ليس أصلا في الإسلام

وما يقال عن السفور يقال عن الاختلاط، فإن الأصل في الإسلام المجتمع المختلط، بين الرجال والنساء، ثم هو مجتمع سليم من عيوب السلوك التي إيفت بها المجتمعات المختلطة الحاضرة.

هذه جميعها مجرد أمثلة سبقت على سبيل إظهار الفرق بين الأصل والفرع، وللتدليل على أن الرسالة الأولى، إنما هي تنزل عن الرسالة الثانية، لتناسب الوقت، ولتستوعب حاجة مجتمعه، ولتلتطف بالضعف البشري يومئذ، وفيها في ذلك غناء.

(ب) دار الافتاء المصرية: الرد على من أنكر فرضية الحجاب

ملاحظة أولية

هذه الفتوى ترد على من ينكر فرضية الحجاب بصورة خاصة، وعلى ما تناقلته الصحف عن حصول الشيخ مصطفى راشد على دكتوراه من الأزهر في موضوع الحجاب عادة وليست فريضة إسلامية. وقد اتهمت الشيخ المذكور بتزوير شهادته.

دار الافتاء المصرية: الرد على من أنكر فرضية الحجاب بتاريخ 29 سبتمبر 2012¹
اطلعنا على الطلب المقيد برقم 374 لسنة 2012م المتضمن:

اطلعت مؤخرًا على خبر إعداد رسالة للدكتوراه في كلية الشريعة وأصول الدين بجامعة الأزهر بالمنصورة عنوانها: (الحجاب ليس فريضة في الإسلام)، وأنها قد أجازت ومنحت درجة الدكتوراه بامتياز، ومنذ أسبوع قرأت في إحدى الصحف اليومية خبرًا ينفي صدور هذه الرسالة من جامعة الأزهر، ويؤكد أن معظم علمائها مجمعون على فرضية الحجاب للمرأة المسلمة.

ولم يظهر حتى اليوم ما يؤيد حكم الرسالة أو إنكار ما ورد بها من قبل أي من علماء الأزهر الشريف أو من هيئة كبار علمائه. وأعلم أن فضيلتكم خير من يهديننا سواء السبيل ويبين موقف شريعتنا السمحاء في هذا الخلاف، وبخاصة ونحن نجتهد لنشق طريقنا في بناء مجتمع تقوم دعائمه على الحرية والعدالة وكرامة الإنسان ذكرًا وأنثى؛ مصداقًا لحديث خاتم الأنبياء صلى الله عليه وآله وسلم: **إِنَّمَا النِّسَاءُ شِقَائِقُ الرِّجَالِ**.

ولعله من الضروري هنا أن أشير باختصار شديد إلى ما استند إليه صاحب الرسالة (الدكتور مصطفى محمد راشد) من الأدلة والبراهين في حكم أصحاب الرأي القائل بفرضية الحجاب إلى أنهم يفسرون الآيات القرآنية وأحاديث الرسول صلى الله عليه وآله وسلم بمعزل عن ظروفها التاريخية وأسباب نزولها، أو المناسبات المحددة لمقولة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم لها.

ومما استرعى اهتمامي من حجية صاحب رسالة الدكتوراه أن كلمة الحجاب -بمعنى غطاء الرأس- ليس لها ذكر على الإطلاق في القرآن الكريم، وأن كلمة الحجاب وردت فيه لتشمل معاني متعددة غير غطاء الرأس. ويفند وجوب تغطية الرأس بالحجاب استنادًا إلى ما هو شأنه من حديث الرسول صلى الله عليه وآله وسلم مع أسماء بنت أبي بكر ما عندما أمرها بأن لا تكشف وجهها وكفيها، وهو -في رأيه- استدلال لا يعتد به؛ لأنه من أحاديث الأحاد التي وردت روايتها من سند واحد مرة واحدة.

تلك أهم الاجتهادات التي أوردها الباحث، وأعلم أن لدى فضيلتكم الكثير مما يمكن أن يقال بصدد حكم الفرضية أو عدمها في هذا الصدد.

والخلاصة يا صاحب الفضيلة: أرجو منكم هدايتي فيما يلي:

أولاً: هل واقعة رسالة الدكتوراه قد حدثت فعلاً في كلية أصول الدين بفرع جامعة الأزهر بالمنصورة؟

ثانياً: وإذا كان ذلك كذلك فما موقفكم فيما انتهى إليه الأمر في مسألة فرضية الحجاب من عدمها؟

ثالثاً: هل من رأي قاطع لبعض علمائنا المجتهدين حول فرض الحجاب على المرأة المسلمة دون استثناء، أم أن لدى بعضهم ما لا يلزمها به؟

رابعاً: في حالة فرضية الحجاب هل من المصلحة التزام المسلمات أثناء وجودهن في ثقافة وأعراف دول أو مناسبات عالمية كشرائط الألعاب الأولمبية مما لا تسمح به، وذلك أثناء إقامتهن وعملهن في تلك الأقطار الأجنبية؟

وأخيراً يا فضيلة المفتي هادينا: أرجو أن تجد هذه المشكلة فسحة من وقتكم المزدحم بقضايا الإفتاء المتعددة ومسؤولياتكم الوطنية والإنسانية.. وتقبل مني خالص التقدير والاحترام والإعزاز.

الجواب

من المقرر في علم الأصول أن مسائل الشرع الشريف وأحكامه على قسمين:

- قسم انعقد الإجماع عليه وأصبح معلوماً من الدين بالضرورة -سواء أكان مستنده قطعي الدلالة في الأصل أم صار كذلك بإجماع الأمة على حكمه- وهذا القسم لا تجوز مخالفته؛ لأنه يشكل هوية الإسلام، والقدح فيه قدح في الثوابت الدينية المستقرة.

¹ https://goo.gl/Pu2pRI; https://goo.gl/bhHOF3; https://goo.gl/6Xha4P; في أرشيف الأنترنت https://goo.gl/39FfTN وقد اختفى النص الأصلي وموجود

- والقسم الثاني: هو تلك المسائل التي اختلف المجتهدون من أهل العلم في حكمها ولم ينعقد عليها الإجماع؛ فالأمر فيها واسع، واختلافهم فيها رحمة، ويجوز للمسلم أن يأخذ بالفتوى على أي الأقوال فيها من غير حرج يلحقه في ذلك.

فالإجماع ضابط لهوية دين الإسلام، وحافظ لما استقر من أحكامه؛ حيث يحول الدليل الظني في ثبوته أو دلالاته إلى قطعي، فيخرج بذلك من مجال الاجتهاد، ويحافظ على ما اتفق عليه المسلمون من الثوابت التي لا تختلف باختلاف الزمان أو المكان أو الأشخاص أو الأحوال، وتخطي الإجماع يؤدي إلى هدم أحكام الدين والقدح في ثوابته ومُسَلَّماته.

وقد يكون الدليل ظنيًا محتملاً لأكثر من وجه، فيأتي إجماع المسلمين على أحد أوجهه قاطعاً لهذه الظنية وذلك الاحتمال، فيصبح الدليل قطعياً مانعاً من أي نظر أو اجتهاد آخر يخالف ذلك الإجماع حتى ولو كان اللفظ محتملاً له:

فقد أجمع المسلمون على أن الوضوء سابق على الصلاة؛ مع أن قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ﴾ [المائدة: 6] يحتمل أن يكون الوضوء لاحقاً للصلاة أيضاً لتعقيبه بعدها بالفاء، لكنهم لمَّا أجمعوا على أسبقية الوضوء وجب حمل القيام في الآية على المعنى المجازي وهو إرادة القيام.

وأجمعوا أيضاً على أن الخمر حرام لا يجوز شربها، مع أن النص القرآني لم يرد بلفظ التحريم، بل ورد بالاجتناب، فقال تعالى: ﴿فاجْتَنِبُوا﴾ [المائدة: 90]، ومع أن الأمر الشرعي يحتمل أن يكون للنبد كما يحتمل الإيجاب، لكن لما حصل الإجماع تعين الحمل على الإيجاب وتحريم التناول.

ومن المقرر شرعاً بإجماع الأولين والآخرين من علماء الأمة الإسلامية ومجتهديهما، وأئمتها وفقهائها ومُحَدِّثيها: أنَّ حجاب المرأة المسلمة فرضٌ على كلِّ مَنْ بلغت سن التكليف، وهو السن الذي ترى فيه الأنثى الحيض وتبلغ فيه مبلغ النساء؛ فعليها أن تستر جسمها ما عدا الوجه والكفين، وزاد جماعة من العلماء القدمين في جواز إظهارهما، وزاد بعضهم أيضاً ما تدعو الحاجة لإظهاره كموضع السوار وما قد يظهر من الذراعين عند التعامل، وأما وجوب ستر ما عدا ذلك فلم يخالف فيه أحد من المسلمين عبر القرون سلفاً ولا خلفاً؛ إذ هو حكمٌ منصوبٌ عليه في صريح الوحيين: الكتاب والسنة، وقد انعقد عليه إجماع الأمة، وبذلك تواترَ عملُ المسلمين كافة على مر العصور وكر الدهور من لَدُنْ عهد سيدنا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وأجمعوا على أن المرأة إذا كشفت ما وجب عليها ستره فقد ارتكبت مُحرَّماً يجب عليها التوبة إلى الله تعالى منه، فصار حكم فرضية الحجاب بهذا المعنى من المعلوم من الدين بالضرورة، ومن الأحكام القطعية التي تشكل هوية الإسلام وثوابته التي لا تتغير عبر العصور.

وتفصيل أدلة فرضية الحجاب على الوجه الذي ذكرناه ما يلي:

فأما دليل الكتاب: فقول الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِّأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِنْ جَلَابِيبِهِنَّ ذَلِكَ أَدْنَى أَنْ يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَ﴾ [الأحزاب: 59].

والمناسبة التي نزلت فيها هذه الآية هي أن النساء كن يُظهرن شعورهن وأعناقهن وشيئاً من صدورهن فنهأهن الله عز وجل عن ذلك، وأمرهن بإدناء الجلابيب على تلك المواضع التي يكشفنها؛ حتى ينكف عنهن الفساق إذا رأوا حشمتهن وتسترهن، وأكد على شمول الحكم فيها لكل أفراد النساء بقوله تعالى: ﴿وَنِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ﴾.

قال مقاتل بن سليمان في تفسيره (508/3، ط. دار إحياء التراث): [يعنى: أجدر أن يُعْرَفْنَ في زيهن أنهم لسن بمُربيات وأنهن عفاف فلا يطمع فيهن أحد] اهـ.

وقال العلامة المراغي في تفسيره (38/22، ط. مصطفى الحلبي): [أي ذلك التستر أقرب لمعرفتهن بالعفة فلا يتعرّض لهن، ولا يلقين مكروها من أهل الريبة؛ احتراماً لهن منهم؛ فإن المتبرجة مطموع فيها، منظور إليها نظرة سخرية واستهزاء، كما هو مشاهد في كل عصر ومصر، ولا سيما في هذا العصر الذي انتشرت فيه الخلاعة، وكثر الفسق والفجور] اهـ.

وقوله سبحانه وتعالى: ﴿وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَى خُيُوبِهِنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ آبَائِهِنَّ أَوْ آبَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ أَبْنَائِهِنَّ أَوْ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي إِخْوَانِهِنَّ أَوْ نِسَائِهِنَّ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ أَوْ التَّابِعِينَ غَيْرِ أُولِي الْإِرْبَةِ مِنَ الرِّجَالِ أَوِ الطِّفْلِ الَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا عَلَى عَوْرَاتِ النِّسَاءِ وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِنْ زِينَتِهِنَّ وَثُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهُ الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [النور: 31].

فنهت الآية الكريمة المؤمنات عن إبداء زينتهن، واستثنت الزينة الظاهرة، وقد فسر السلف الصالح -من الصحابة والتابعين ومن بعدهم من الأئمة المجتهدين والفقهاء المتبوعين- الزينة الظاهرة التي يجوز للمرأة إبدائها بالوجه والكفين، وزاد بعض السلف كالسيدة عائشة -القدمين، وهو مذهب الإمام أبي حنيفة والثوري والمزني من الشافعية واختيار ابن تيمية من الحنابلة، وبعضهم زاد موضع السوار. وفسرها بعض السلف بالثياب، أما غير ذلك فلم يختلف أحد من السلف ولا الخلف في عده من الزينة الواجب سترها، أي إن ما عدا هذه الزينة الظاهرة لا يجوز للمرأة إظهاره باتفاق العلماء، وليس هو محلاً للخلاف أصلاً على اختلاف أقوالهم في تفاصيل الزينة الظاهرة.

وجاء الأمر الإلهي في الآية للنساء المؤمنات بضرب الخُمُر على الجيوب، والخُمُر: جمع خُمَار، وخمار المرأة في لغة العرب هو ما يُغطّي رأسها، قال العلامة الفيومي في المصباح المنير (مادة: خ م ر): [الخمار: ثوب تغطي به المرأة رأسها، والجمع خُمُر] اهـ، والجُيُوب: جمع جَيْب، وهو الصدر. فجاء على غاية ما يكون وضوحاً في بيان المقصود؛ فإن التعبير بضرب الخمار على الجيب: يقتضي ستر الشعر والعنق والنحر، والعدول عن التعبير بضربه على الوجه إلى الضرب على الجيب يقتضي في الوقت نفسه كشف الوجه، وهذا من أبلغ الكلام وأفصحه، وأبينه وأوضحه.

قال الإمام الطبري في جامع البيان (159/19): [يقول تعالى ذكره: وليلقين خُمُرهن، وهي جمع خمار، على جيوبهن، ليسترن بذلك شعورهن وأعناقهن وقُرطُهن] اهـ.

وقال الإمام أبو محمد بن حزم في المحلّى (247/2، ط. دار الفكر): [فأمرهن الله تعالى بالضرب بالخمار على الجيوب، وهذا نص على ستر العورة، والعنق، والصدر. وفيه نص على إباحة كشف الوجه؛ لا يمكن غير ذلك أصلاً] اهـ.

وقال الإمام القرطبي في الهداية إلى بلوغ النهاية (5071/8، ط. مجموعة بحوث الكتاب والسنة): [أي: وليلقين خمرهن، وهو جمع خمار على جيوبهن، ليسترن شعورهن وأعناقهن] اهـ.

وقال الإمام السمرقندي في بحر العلوم (508/2): [قوله تعالى: (وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ) يعني: ليرخين بخُمُرهن على جُيُوبهن، يعني: على الصدر والنحر. قال ابن عباس: وكُنَّ النساء قبل هذه الآية يبيدين خمرهن من ورائهن، كما يصنع النبط، فلما نزلت هذه الآية، سدلن الخمر على الصدر والنحر. ثم قال: وَلَا يُبَيِّنُ زِينَتَهُنَّ، يعني: لا يظهرن مواضع زينتهن، وهو الصدر والساق والساعد والراس، لأن الصدر موضع الوشاح، والساق موضع الخلخال، والساعد موضع السوار، والراس موضع الإكليل، فقد ذكر الزينة وأراد بها موضع الزينة] اهـ.

وقال الإمام أبو الوليد الباجي في المنتقى شرح الموطأ (251/1، ط. مطبعة السعادة): [ويستر الخمار عنقها وقصتها ودلايلها، ولا يظهر منها غير دور وجهها] اهـ.

وقال الإمام ابن كثير في تفسيره (42/6، ط. دار الكتب العلمية): [ضاربات على صدورهن لتواري ما تحتها من صدرها وتراثيها؛ ليخالفن شعار نساء أهل الجاهلية؛ فإنهن لم يكن يفعلن ذلك، بل كانت المرأة منهن تمر بين الرجال مسفحة بصدرها لا يواريه شيء، وربما أظهرت عنقها وذوائب شعرها وأقرطة أذانها، فأمر الله المؤمنات أن يستترن في هيناتهن وأحوالهن] اهـ.

وأما الحديث: فأخرج أبو داود في سننه -واللفظ له-، والطبراني في مسند الشاميين، وابن عدي في الكامل، والبيهقي في السنن الكبرى والآداب وشُعَبُ الإيمان: عن عائشة، أَنَّ أسماء بنت أَبِي بكر الصِّدِّيقِ ما دخلَتْ على رسول الله وسلَّم وعليها ثِيَابٌ رَقَاقٌ، فَأَعْرَضَ عَنْهَا رَسُولُ اللَّهِ وَسَلَّمَ، وَقَالَ: يَا أَسْمَاءُ، إِنَّ الْمَرْأَةَ إِذَا بَلَغَتِ الْمَحِيضَ لَمْ يَصْلَحْ أَنْ يَرَى مِنْهَا إِلَّا هَذَا وَهَذَا، وَأَشَارَ إِلَى وَجْهِهِ وَكَفِّهِ.

وتضعف هذا الحديث بسعيد بن بشير، وخالد بن دريك: غير سديد؛ فقد وثق سعيداً جماعةً من الأئمة، وصح حديثه الحاكم في المستدرک وقال: [وسعيد بن بشير: إمام أهل الشام في عصره إلا أن الشيخين لم يخرجاه بما وصفه أبو مسهر من سوء حفظه، ومثله لا ينزل بهذا القدر]، ووافقه الحافظ الذهبي، وأما خالد بن دريك فقد وثقه النسائي وغير واحد.

وقد علَّل هذا الحديث أيضاً بالإرسال بين خالد بن دُرَيْكٍ وأم المؤمنين عائشة، وهذا التعليل متعقَّب من وجهين: الأول: أن المرسل مقبول إذا عضَّده قول صحابي أو فعله، كما هو مذهب الإمام الشافعي والمحققين من الأصوليين، قال البيهقي في السنن الكبرى (319/2، ط. دار الكتب العلمية): [مع هذا المرسل قول من مضى من الصحابة رضي الله تعالى عنهم في بيان ما أباح الله من الزينة الظاهرة، فصار القول بذلك قوياً] اهـ.

الثاني: أنه منجبر بالطرق الأخرى للحديث؛ حيث ورد من أكثر من طريق:
فأخرج أبو داود في المراسيل عن قتادة مرسلًا: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ وَسَلَّمَ قَالَ: إِنَّ الْجَارِيَةَ إِذَا حَاصَتْ لَمْ يَصْلُحْ أَنْ يُرَى مِنْهَا إِلَّا وَجْهَهَا وَيَدَاهَا إِلَى الْمُفْصِلِ، وهو مرسل صحيح.

وأخرج الطبراني في معجميه: الكبير والأوسط، والبيهقي في السنن الكبرى عن أسماء بنت عميس، أنها قالت: دخل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم على عائشة بنت أبي بكر، وعندها أختها أسماء بنت أبي بكر، وعليها ثياب شامية واسعة الأكمام، فلما نظر إليها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قام فخرج، فقالت لها عائشة تنحني؛ فقد رأى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أمرًا كرهه، فتنحنت، فدخل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، فسألته عائشة: لم قام؟ قال: أولم تزي إلى هينتها، إنه ليس للمرأة المسلمة أن يَبْدُوَ مِنْهَا إِلَّا هَكَذَا وأخذ بكفيه، فغطى بهما ظهر كفيه حتى لم يبد من كفيه إلا أصابعه، ثم نصب كفيه على صدغيه حتى لم يَبْدُ إِلَّا وَجْهه.
قال الحافظ الهيثمي في مجمع الزوائد (137/5، ط. مكتبة القدسي): [فيه ابن لهيعة، وحديثه حسن، وبقيته رجاله رجال الصحيح] اهـ.

وقد تقرر عند أهل الحديث أن المرسل إذا تعددت مخارجُه فهو في محل القبول؛ قال الإمام الشافعي: [يُقبَلُ إن اعتُضِدَ بمجيبه من وجه آخر يُبَيِّنُ الطريقَ الأولى، مسندًا أو مرسلًا، ليزجح احتمال كون المحدث ثقة في نفس الأمر] اهـ نقلًا عن نزهة النظر للحافظ ابن حجر (ص: 101-102، ط. مطبعة سفير).

وقال الحافظ ابن حجر العسقلاني في فتح الباري (439/8، ط. دار المعرفة): [الطرق إذا كثرت وتباينت مخارجُها دل ذلك على أن لها أصلًا] اهـ، وقال في القول المُستَدُّ في الذب عن مسند أحمد (ص: 38، ط. مكتبة ابن تيمية): [كثرة الطرق إذا اختلفت المخارج تزيد المتن قوة] اهـ.

وأخرج أبو داود والترمذي في السنن عن نَبْهَانَ، مَوْلَى أُمِّ سَلَمَةَ، أَنَّهُ حَدَّثَهُ أَنَّ أُمَّ سَلَمَةَ، حَدَّثَتْهُ أَنَّهَا كَانَتْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ وَسَلَّمَ وَمِيمُونَةَ. قَالَتْ: فَبَيْنَا نَحْنُ عِنْدَهُ أَقْبَلْ ائِنَّ أُمِّ مَكْنُومٍ فَدَخَلَ عَلَيْهِ وَذَلِكَ بَعْدَ مَا أَمَرْنَا بِالْحِجَابِ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ وَسَلَّمَ: احْتَجِبَا مِنْهُ، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَلَيْسَ هُوَ أَعْمَى لَا يُبْصِرُنَا وَلَا يَعْرِفُنَا؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ وَسَلَّمَ: أَفَعَمِيَاوَانِ أَنْتُمَا السُّنْمَا تُبْصِرَانِي. قَالَ الترمذي: هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ.

وأخرج أبو داود والترمذي وابن ماجه في السنن عن أُمِّ سَلَمَةَ قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ وَسَلَّمَ: إِذَا كَانَ عِنْدَ مَكَاتِبِ إِحْدَاكُم مَّا يُؤَدِّي فَاتَّخِذْ مِنْهُ. قَالَ الترمذي: هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ.

وفي هذا الحديث دليل على وجوب احتجاب المرأة عن الرجل ما لم يكن مملوكًا لها، وأنها إنما أمرت بالاحتجاب منه هنا إذا ملك ما يؤدي به وإن لم يوده حقيقة؛ تورعًا، قال الترمذي: ومعنى هذا الحديث عند أهل العلم على التورع، وقالوا: لا يعتق المكاتب وإن كان عنده ما يؤدي- حتى يؤدي.

وأخرج أبو داود في السنن عن أَنَسِ، أَنَّ النَّبِيَّ وَسَلَّمَ أَتَى فَاطِمَةَ بَعْدَ كَانَ قَدْ وَهَبَهُ لَهَا، قَالَ: وَعَلَى فَاطِمَةَ تَوْبٌ، إِذَا قَنَعَتْ بِهِ رَأْسَهَا لَمْ يَبْلُغْ رِجْلَيْهَا، وَإِذَا غَطَّتْ بِهِ رِجْلَيْهَا لَمْ يَبْلُغْ رَأْسَهَا، فَلَمَّا رَأَى النَّبِيُّ وَسَلَّمَ مَا تَلَقَّى قَالَ: إِنَّهُ لَيْسَ عَلَيْكَ بَأْسٌ، إِنَّمَا هُوَ أَبُوكَ وَغُلَامُكَ.

قال الحافظ ابن الملقن في البدر المنير (510/7، ط. دار الهجرة): [هذا إسناده جيد، وسالم وثقه يحيى بن معين، ولقبه أبو زرعة، وقد تابعه سلام بن أبي الصهباء، عن ثابت لا جرم، قال الحافظ ضياء الدين في أحكامه: لا أعلم بإسناده بأسا. وقال ابن القطان في كتابه أحكام النظر: لا يبالى بقول أبي زرعة يعني: السالف- فإن العدول متفاوتون في الحفظ بعد تحصيل رتبة العدالة، والحديث صحيح] اهـ.

وهذا الحديث صريح في وجوب تغطية الرأس؛ لتحرج السيدة فاطمة من كشف رأسها حتى تغطي رجلها، ولو كان أحد الموضعين أوجب من الآخر في التغطية، أو كانت تغطية أحدهما واجبة وتغطية الآخر سنة لقدّمت الواجب بلا حرج.

وأخرج الترمذي والنسائي في السنن عن ابْنِ عَمَرَ مَا قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ وَسَلَّمَ: مَنْ جَرَّ ثَوْبَهُ خِيَلَاءَ لَمْ يَنْظُرِ اللَّهُ إِلَيْهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَقَالَتْ أُمُّ سَلَمَةَ: فَكَيْفَ يَصْنَعْنَ النِّسَاءُ بِذِيُولِهِنَّ؟ قَالَ: يُرْخِيْنَ شِبْرًا، فَقَالَتْ: إِذَا تَنَكَّشِفَ أَقْدَامُهُنَّ، قَالَ: فَيُرْخِيْنَ ذِرَاعًا، لَا يَزِدْنَ عَلَيْهِ، قَالَ الترمذي: هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ.

قال المباركفوري في تحفة الأحوذى (332/5، ط. دار الكتب العلمية): [قوله (يرخين) -بضم أوله- من الإرخاء وهو الإرسال، أي: يرسلن من ثيابهن (شبرا) أي من نصف الساقين] اهـ.

وأخرج الإمام أحمد في مسنده عن مُحَمَّدِ بْنِ أَسَمَةَ بْنِ زَيْدٍ، عَنْ أَبِيهِ، قَالَ: كَسَانِي رَسُولُ اللَّهِ وَسَلَّمَ قُبْطِيَّةً كَثِيفَةً مِمَّا أَهْذَاهَا لَهُ دِحْيَةُ الْكَلْبِيِّ، فَكَسَوْتُهَا أَمْرَاتِي فَقَالَ: مَا لَكَ لَمْ تَلْبَسِ الْقُبْطِيَّةَ؟ قُلْتُ: كَسَوْتُهَا أَمْرَاتِي. فَقَالَ: مُرْهَا فَلْتَجْعَلَ تَحْتَهَا غِلَافَةً، فَإِنِّي أَخَافُ أَنْ تَصِفَ عِظَامَهَا. قال الحافظ ضياء الدين المقدسي في الأحاديث المختارة (149/4، ط. دار خضر): [إسناده حسن]، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (136/5، ط. مكتبة القدسي): [رواه أحمد، والطبراني، وفيه عبد الله بن محمد بن عقيل، وحديثه حسن وفيه ضعف، وبقيّة رجاله ثقات] اهـ.

وأخرج أبو داود في سننه عن دِحْيَةَ بْنِ خَلِيفَةَ الْكَلْبِيِّ، أَنَّهُ قَالَ: أَتَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ وَسَلَّمَ بِقُبْطِيٍّ، فَأَعْطَانِي مِنْهَا قُبْطِيَّةً، فَقَالَ: اصْدَعْهَا صَدْعَيْنِ، فَاقْطَعْ أَحَدَهُمَا قَمِيصًا، وَأَعْطِ الْآخَرَ أَمْرَاتِكَ تَحْتَمِرُ بِهِ، فَلَمَّا أَذْبَرَ، قَالَ: وَأَمْرُ أَمْرَاتِكَ أَنْ تَجْعَلَ تَحْتَهُ ثَوْبًا لَا يَصِفُهَا.

وأخرج ابن أبي شيبة في مصنفه عن أم المؤمنين عائشة، قَالَتْ: دَخَلَ عَلَيَّ رَسُولُ اللَّهِ وَسَلَّمَ وَعِنْدِي قَتَادَةٌ، فَأَلْقَى إِلَيَّ حَقْوُهُ، فَقَالَ: شَقِيه بَيْنَ هَذِهِ الْقَتَادَةِ وَبَيْنَ اللَّيِّ عِنْدَ أُمِّ سَلَمَةَ، فَإِنِّي لَا أَرَاهُمَا إِلَّا قَدْ حَاصَتَا.

وأخرج ابن ماجه في سننه، وابن أبي شيبة في مصنفه عن أم المؤمنين عائشة أَنَّ النَّبِيَّ وَسَلَّمَ دَخَلَ عَلَيْهَا، فَاحْتَبَأَتْ مَوْلَاةً لَهَا، فَقَالَ النَّبِيُّ وَسَلَّمَ: حَاصَتْ؟ قَالَتْ: نَعَمْ، فَشَقَّ لَهَا مِنْ عِمَامَتِهِ، فَقَالَ اخْتَمِرِي بِهِذَا.

وأخرج الإمام أحمد والرويان في مسنديهما عن عُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ أَنَّ أُخْتَهُ نَذَرَتْ أَنْ تَمْشِيَ حَافِيَةً غَيْرَ مُحْتَمِرَةٍ، فَسَأَلَ النَّبِيَّ وَسَلَّمَ: إِنَّ اللَّهَ لَا يَصْنَعُ بِشَقَاءِ أُخْتِكَ شَيْئًا، مُرْهَا فَلْتَحْتَمِرْ، وَلْتَرْكَبْ، وَلْتَصُمْ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ.

وفي رواية الرويان: أَنَّهُ قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّ أُخْتِي نَذَرَتْ أَنْ تُحْجَّ مَاشِيَةً وَتَنْشُرَ شَعْرَهَا؟ فَقَالَ النَّبِيُّ وَسَلَّمَ: إِنَّ اللَّهَ لَغَضِي عَنْ نَذْرِ أُخْتِكَ، مُرْهَا فَلْتَرْكَبْ، وَلْتَهْدِ هَذِيحًا - وَأَحْسَبُهُ قَالَ: وَتُغْطِي شَعْرَهَا. قال الحافظ البوصيري في مصباح الزجاجة (83/1، ط. دار العربية): [هذا إسناد فيه عبد الكريم، وهو ابن أبي المخارق، ضعفه أحمد وغيره، بل قال ابن عبد البر: مجمع على ضعفه. انتهى. رواه محمد بن عمر في مسنده عن سفيان بالإسناد والمتن، إلا أنه قال: (من ثوبه) بدل (عمامته)] اهـ.

قال الإمام الطحاوي في شرح مشكل الآثار (398/5، 399، ط. مؤسسة الرسالة): [فكان فيما رويناه أمر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عقبة أن يأمر أخته بالكفارة فيما كان منها من المعصية، وتترك تلك المعصية، إذ كانت الشريعة تمنعها منها.. وكانت في نذرها بمعنى الحالفة لكشفها شعرها في مشيها، فلم يكن منها ما حلفت عليه؛ لمنع الشريعة إياها عنه، فأمرت بالكفارة عنه كما يؤمر الحالف بالكفارة عن يمينه إذا حنت فيها] اهـ.

وقد بلغ من أهمية حجاب المسلمة أن ارتبط في الشريعة ارتباطاً وثيقاً بالصلاة؛ بحيث إنها لا تقبل بدونه، أي إنه فرض ديني إسلامي، وليس رمزاً طائفيّاً.

فأخرج الخمسة إلا النسائي من حديث عائشة عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: لَا يَقْبَلُ اللَّهُ صَلَاةَ حَائِضٍ - مِنْ بَلَغَتْ سِنَ الْمَحِيضِ - إِلَّا بِخِمَارٍ.

قال الصنعاني في سبل السلام (198/1، ط. دار الحديث): [وفي قوله إِلَّا بِخِمَارٍ ما يدل على أنه يجب على المرأة ستر رأسها وعنفها ونحوه، مما يقع عليه الخمار] اهـ.

وقال الشيخ أبو الحسن المباركفوري في مرعاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح (478/2، ط. الجامعة السلفية): [والحديث يدل على أن رأس المرأة عورة، وأنه يجب عليها ستر رأسها وعنفها حال الصلاة] اهـ.

وأخرج أبو داود في سننه والحاكم في المستدرک عن أُمِّ سَلَمَةَ، أَنَّهَا سَأَلَتِ النَّبِيَّ وَسَلَّمَ: أَتُصَلِّي الْمَرْأَةُ فِي دِرْعٍ وَخِمَارٍ لَيْسَ عَلَيْهَا إِزَارٌ؟ قَالَ: إِذَا كَانَ الدِّرْعُ سَابِعًا يُغْطِي ظَهْرَ قَدَمَيْهَا. قال الحاكم: هذا حديث صحيح على شرط البخاري ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي.

قال الملا علي القاري في مرقاة المفاتيح (634/2، ط. دار الفكر): [قال الشافعي: لو انكشف شيء مما سوى الوجه واليدين، فعليها الإعادة - نَقْلُهُ الطَّبْيِي] اهـ.

وأخرج الطبراني في معجمه الأوسط والصغير عن عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي قَتَادَةَ، عَنْ أَبِيهِ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ وَسَلَّمَ: لَا يَقْبَلُ اللَّهُ مِنْ امْرَأَةٍ صَلَاةً حَتَّى تُوَارِيَ زِينَتَهَا، وَلَا مِنْ جَارِيَةٍ بَلَغَتْ الْمَحِيضَ حَتَّى تَحْتَمِرَ.

وأخرج أبو داود في المراسيل عن يَحْيَى بْنِ جَابِرٍ، أَنَّ النَّبِيَّ وَسَلَّمَ قَالَ: ثَلَاثَةٌ لَا تُجَاوِرُ صَلَاتَهُمْ رُؤُوسَهُمْ، فَذَكَرَ الْحَدِيثَ قَالَ: وَامْرَأَةٌ قَامَتْ إِلَى الصَّلَاةِ وَأَدْنَاهَا بَادِيَةٌ.

وهذه الأحاديث توضح بجلاء ارتباط الحجاب بالدين؛ حتى إن الصلاة - التي هي من أركان الدين - لا تقبل بدونه، أي إنه فرض ديني إسلامي وليس رمزاً طائفيّاً.

وأما الإجماع: فقد أجمعت الأمة الإسلامية -سلفًا وخلفًا- على وجوب الحجاب، وهذا من المعلوم من الدين بالضرورة. ومما نُقِلَ من إجماع الأمة في ذلك:

قال الإمام أبو محمد بن حزم في كتابه مراتب الإجماع (ص: 29، ط. دار الكتب العلمية): [وَاتَّفَقُوا عَلَى أَنَّ شَعْرَ الْخُرَّةِ وَجِسْمَهَا -حَاشَا وَجْهَهَا وَيَدَهَا- عَوْرَةٌ، وَاخْتَلَفُوا فِي الْوَجْهِ وَالْيَدَيْنِ حَتَّى أَظْفَارُهُمَا عَوْرَةٌ هِيَ أَمْ لَا؟] اهـ، وأقره على ذلك الشيخ ابن تيمية الحنبلي؛ فلم يتعقبه في كتابه نقد مراتب الإجماع.

وقال الحافظ أبو عمر بن عبد البر المالكي في التمهيد (108/15، ط. وزارة الأوقاف المغربية): [أَجْمَعُوا أَنْ إِحْرَامَهَا فِي وَجْهَهَا دُونَ رَأْسِهَا، وَأَنَّهَا تَخْمُرُ رَأْسَهَا وَتَسْتُرُ شَعْرَهَا وَهِيَ مُحْرَمَةٌ] اهـ، وقال أيضًا (364/6): [كلها عورة إلا الوجه والكفين، على هذا أكثر أهل العلم. وقد أجمعوا على أن المرأة تكشف وجهها في الصلاة والإحرام. وقال مالك وأبو حنيفة والشافعي وأصحابهم وهو قول الأوزاعي وأبي ثور: على المرأة أن تغطي منها ما سوى وجهها وكفيها، وقال أبو بكر بن عبد الرحمن بن الحارث: كل شيء من المرأة عورة حتى ظفرها] اهـ.

وهذا صريح في أن المختلفين في الوجه والكفين ونحوهما؛ كالقدمين، وموضع السوار من الذراعين، قد انعقد بينهم الإجماع على وجوب تغطية ما سوى ذلك، ولا يوجد عند المسلمين أي قول بجواز كشف ما عدا ذلك من جسد المرأة.

وقال الحافظ ابن عبد البر أيضًا في كتابه الحافل الاستذكار، الجامع لمذاهب فقهاء الأمصار وعلماء الأقطار، فيما تضمنه الموطأ من معاني الرأي والآثار، وشرح ذلك كله بالإيجاز والاختصار (196/2، ط. دار الكتب العلمية): [أَجْمَعَ الْعُلَمَاءُ عَلَى أَنَّ سِتْرَ الْعَوْرَةِ فَرْضٌ وَاجِبٌ بِالْجُمْلَةِ عَلَى الْأَدَمِيِّينَ] اهـ، ثم قال (201/2): [الذي عليه فقهاء الأمصار بالحجاز والعراق أن على المرأة الحرة أن تغطي جسمها كله بدرع صفيق سابغ وتخمر رأسها؛ فإنها كلها عورة إلا وجهها وكفيها، وأن عليها ستر ما عدا وجهها وكفيها] اهـ.

وقال الإمام أبو المظفر السمعاني الحنفي ثم الشافعي في قواطع الأدلة في الأصول (82/2، ط. دار الكتب العلمية): [الأصل أن بدن المرأة كله عورة، وأن عليها الستر وترك التبرج، إلا أن موضع الوجه منها موضع الحاجة والضرورة؛ لأن إثبات عينها والمعرفة بها عند المعاملات لا يقع إلا بروية الوجه، وأيضاً فإن مصلحتها في أسباب معاملتها لا يكمل إلا بذلك، وأما الشعر فلا ضرورة في إبرازه بحال، فصار كسائر بدنهما] اهـ.

وقال الإمام القرطبي المالكي في تفسيره (237/12، ط. دار الكتب المصرية): [أَجْمَعَ الْمُسْلِمُونَ عَلَى أَنَّ السَّوَاتِينَ عَوْرَةٌ مِنَ الرَّجُلِ وَالْمَرْأَةِ، وَأَنَّ الْمَرْأَةَ كُلَّهَا عَوْرَةٌ، إِلَّا وَجْهَهَا وَيَدَيْهَا؛ فَإِنَّهُمْ اخْتَلَفُوا فِيهِمَا] اهـ.

وعلى ذلك فوجب ستر المرأة جسدها ما عدا وجهها وكفيها وقدميها وبعض ذراعيها. هو من الأحكام الشرعية القطعية التي أجمع عليها المسلمون عبر العصور على اختلاف مذاهبهم الفقهية ومشاربهم الفكرية، ولم يشذ عن ذلك أحد من علماء المسلمين سلفًا ولا خلفًا، والقول بجواز إظهار شيء غير ذلك من جسدها -لغير ضرورة أو حاجة تُنَزِّلُ منزلتها- هو كلام مخالف لما عُلم بالضرورة من دين المسلمين، وهو قولٌ مبتدعٌ منحرفٌ لم يُسبقْ صاحبه إليه، ولا يجوز نسبة هذا القول الباطل للإسلام بحال من الأحوال.

وبناء على ما سبق: فإن موقف الشريعة الإسلامية بمصادر تشريعها كافة من فرضية الحجاب -منذ فرضه الله تعالى في كتابه وعلى لسان رسوله صلى الله عليه وآله وسلم وأجمع عليه المسلمون سلفًا وخلفًا منذ عصر النبوة وحتى عصرنا الحاضر- هو موقفٌ واضحٌ قاطعٌ حاسمٌ لم يَجْرُ فيه الخلافُ قط بين علماء المسلمين، ولم يقل بنفيه أحدٌ من المسلمين على مر العصور وتتابع الأجيال، ولا هو في أصله مما هو قابلٌ لأن يجري فيه الخلاف، ولا هو مما يتغير بتغير الأعراف والعوائد والبلدان؛ فلم يكن أبدًا من قبيل العادات، بل هو من صميم الدين وتكاليف الشريعة التي حملها الله الإنسان دون سائر الكائنات، وهو سائله عنها يوم القيامة.

أما عن واقعة رسالة الدكتوراه المزعومة التي نُشِرَ في بعض وسائل الإعلام أنه قد تقدّم بها باحث يدعى مصطفى محمد راشد إلى كلية الشريعة فرع دمنهور بجامعة الأزهر، وأن هذه الرسالة قد نفت فرضية الحجاب، وأن الكلية قد منحتة تقدير امتياز عليها: فهذا كله من الكذب الصُّرَّاح الذي تناقله من تناقله من المواقع الإلكترونية من غير تثبت أو تمحيص أو توثيق، وهو افتراء غير مقبول على الأزهر الشريف شكلاً ومضموناً؛ لكونه مخالفاً لما عليه الواقع الفعلي، فالأزهر الشريف هو منارة العلم والدين عبر التاريخ الإسلامي، وقد كوّن هذا الصرخُ الشامخُ أعظم حوزة علمية عرفتها الأمة بعد القرون الأولى المُفَضَّلَة، وحفظ الله تعالى به دينه ضد كل مُعانَدٍ ومارِقٍ ومُشَكِّكٍ، وصدق فيه خبر النبي صلى الله عليه وآله وسلم عن مصر وأهلها أنهم وأزواجهم في

رباط إلى يوم القيامة، فأصبح أزهرها صرخاً راسخاً قوياً متماسكاً للدين الصحيح بمصادره الأصلية المُسنَّدة الموثقة، المبنية أحكامه على الفهم الصحيح لسياقات الأدلة ومقاصدها ومآلات الأحكام، ولم يحدث عبر العصور أن أصدر الأزهر الشريف حكماً مخالفاً لإجماع شرعي؛ فالخائض فيه على خطر عظيم، ويخشى أن يكون من الخوارج والمرجيين الذين قال الله تعالى فيهم: (لَنْ يَنْتَهِيَ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ وَالْمُرْجِفُونَ فِي الْمَدِينَةِ لَنُغْرِيَنَّكَ بِهِمْ ثُمَّ لَا يُجَاوِرُونَكَ فِيهَا إِلَّا قَلِيلًا).

وقد خاطبت دار الإفتاء المصرية كلية الشريعة والقانون بجامعة الأزهر فرع دمنهور، التي يدعى أن الرسالة المزعومة ممنوحة منها؛ وذلك لطلب تجلية الحقيقة حول هذه القضية، وجاء الرد الرسمي من فضيلة عميد الكلية الأستاذ الدكتور/ إسماعيل عبد الرحمن، قاطعاً باختلاق هذه الرسالة الموهومة، وتزوير شهادتها المزعومة المنشورة على الشبكة العنكبوتية (الإنترنت)، وفيما يلي نص الخطاب الوارد من فضيلته إلى فضيلة مفتي الديار المصرية:

فضيلة الأستاذ الدكتور/ علي جمعة، مفتي جمهورية مصر العربية حفظه الله.

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته وبعد.. فيشرفني إحاطة سيادتكم علماً بأن المدعو/ مصطفى محمد راشد، ليس حاصلاً على درجة العالمية (الدكتوراه) من كلية الشريعة والقانون بدمنهور، وأن ما نُشر على الإنترنت من أنه حصل على درجة العالمية (الدكتوراه) في الشريعة والقانون في موضوع الحجاب ليس فريضة إسلامية إنما هو تزوير محض قام به المذكور، وذلك من خلال صورة شهادة الإجازة العالية (الليسانس) التي حصل عليها من كلية الشريعة والقانون بدمنهور؛ حيث قام بتزويرها كما يلي:

1) استبدال جملة الإجازة العالية (الليسانس) وجعلها الإجازة العالمية (الدكتوراه)؛ بوضع ميم للعالية، وكتابة الدكتوراه بطريقة إملائية خاطئة.

2) استبدال دور سبتمبر وجعله دور مايو.

3) استبدال سنة التخرج لتكون 1997م بدلاً من 1987م.

4) استبدال التقدير العام وجعله امتياز بدلاً من جيد.

وخلاصة الأمر: أن المذكور/ مصطفى محمد راشد، إنما هو خريج الكلية، شعبة الشريعة والقانون، عام 1987م، دور سبتمبر، بتقدير جيد، ولم يلتحق بالدراسات العليا بالكلية، ولم يحصل على الدكتوراه منها، وعنوان الرسالة المذكور إنما هو وهم وخيال، ولم تمنحه الكلية لأي أحد. وتفضلوا بقبول وافر التحية وعظيم التقدير، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

انتهى ما جاء في خطاب فضيلته.

كما أصدر الأزهر الشريف بياناً يوم الثلاثاء 2012/7/31م، وقد نشرته الصحف والمواقع الإخبارية، وجاء نصه في مجلة الأزهر في عددها الصادر في شهر شوال 1433هـ الموافق لشهر سبتمبر 2012م، كما يلي: [ينفي الأزهر الشريف ما تردد في بعض وسائل الإعلام عن اعتماد كلية الشريعة فرع دمنهور بجامعة الأزهر لرسالة دكتوراه تؤكد عدم فرضية الحجاب في الإسلام. وكانت بعض المواقع قد نشرت مؤخراً خبراً يدعي أن رسالة دكتوراه قد تقدم بها باحث يدعى مصطفى محمد راشد، وأن هذه الرسالة قد نفت فرضية الحجاب، وأن الكلية قد منحت تقدير امتياز؛ مما أثار جدلاً بين الأوساط الإسلامية. وجامعة الأزهر تنفي نفياً قاطعاً أن يكون المذكور قد تقدم برسالة علمية عما يدعيه من موضوعات، وسيقاضيه الأزهر عما أحدثه من بلبلة في أذهان بعض الناس، والأزهر يؤكد دوماً أنه المرجعية الأولى للإسلام والمسلمين، التي تحافظ على ثوابت الأمة الإسلامية، وأنه لم ولن يسمح بنشر الأفكار المنحرفة التي تنتكس عن طريق الحق والشرع. ويهيب الأزهر الشريف بوسائل الإعلام تحري الحق والصواب والتثبت في نقل الأخبار قبل نشرها وإذاعتها؛ وأدأ للفتنة والبلبلة بين الناس]. انتهى ما جاء في بيان الأزهر الشريف.

أما عن التزام المسلمات بالحجاب أثناء وجودهن في دول أخرى لها ثقافات وأعراف تختلف عن الثقافات الإسلامية: فالحجاب كما قلنا فريضة إسلامية، والزام المرأة المسلمة به في ظل الأعراف الدولية هو كالتزامها بصلاتها وصيامها وتعظيمها لشعائر دينها واعتزازها بها بلا غضاضة في ظل تلك الأعراف التي لا تدين بالإسلام، فالحجاب لا يُعد من قبيل العلامات أو أشكال التمييز التي تميز المسلمين عن غيرهم، بل هو من قبيل الفرض اللازم الذي هو جزء من الدين.

وإنما تتأتى الرخصة التي تبيح للمرأة المسلمة خلع حجابها أو شيء منه عند وجود الضرورة -أو الحاجة التي تُنزّل منزلتها- عامة كانت أو خاصة التي تُلجئها إلى ذلك، والضرورة هي: ما يؤدي لبس المرأة الحجاب فيها إلى الهلاك أو ما يقاربه، والحاجة هي: ما يؤدي لبسها إياه إلى الحرج والمشقة اللذين يلحقانها في دينها أو دنياها؛ كمن خافت على نفسها أو من هو منها بسبب، أو عملها الذي لا مورد لها سواه، أو مصالحها التي لا قوام لها غيرها، أو مسيرتها التعليمية التي يختل نظام حياتها بتركها؛ ارتكاباً لأخف الضررين، ودرءاً لأشدّ المفسدتين؛ أخذاً في الاعتبار أن الضرورة والحاجة تقدّران بقدرهما، وأن ما جاز كشفه للضرورة أو الحاجة مكاناً أو زماناً أو حالاً: لا يُتعدّى به محله ولا يتجاوز به مقداره، فلا تكشف من حجابها في كل ذلك إلا بقدر ما يندفع به الضرر، ويزول به المخوف، وتُسند به الحاجة، فإن زال الضرر والتهديد وحصل الأمن واندفعت الحاجة: عادت لحجابها، والتزمت فريضتها، وأطاعت ربها.

والله سبحانه وتعالى أعلم

(5) الحجاب في الأشرطة

في كل الثقافات، وخاصة الثقافات التي لا تعبر كثير اهتمام للكتاب كمصدر للمعرفة، يلعب التلفزيون والراديو ووسائل التواصل الاجتماعي دوراً هاماً. وإن كان القرآن يوجد في كل بيت مسلم، أمياً كان أو متقناً، فإن البرامج الدينية التي تتعلق بالأحكام الإسلامية تستحوذ على نصيب الأسد في الدول الإسلامية. وفي هذا المجال يحاول رجال الدين فرض سيطرتهم حتى لا يقوم الآخرون بسحب البساط من تحت أقدامهم أو التأثير على أتباعهم مما قد يقلل من سلطتهم وهيباتهم. وكثيراً ما تحاول المؤسسات الدينية بتهديد من يخالفهم بإقامة دعاوى عليهم حتى يلجموهم، ناهيك عن تأليب الشارع عليهم من خلال نعتهم بالكفر والإلحاد. وهناك من فقدوا حياتهم أو تم سجنهم بسبب معاداة رجال الدين لهم. وهذا الأمر يجعل من الصعب معرفة حقيقة مواقف المتقنين المخالفين لرجال الدين. فهم يتوخون الحذر في كلامهم.

وفيما يخص مصر تقول المادة السابعة من الدستور:

الأزهر الشريف هيئة إسلامية علمية مستقلة، يختص دون غيره بالقيام علي كافة شؤونه، وهو المرجع الأساسي في العلوم الدينية والشئون الإسلامية، ويتولى مسئولية الدعوة ونشر علوم الدين واللغة العربية في مصر والعالم.

وتلتزم الدولة بتوفير الاعتمادات المالية الكافية لتحقيق أغراضه.

وشيخ الأزهر مستقل غير قابل للعزل، وينظم القانون طريقة اختياره من بين أعضاء هيئة كبار العلماء. ولهذا السبب كثيراً ما نجد ممثلين عنه في الصفوف الأولى، أو على الأقل يتم الرجوع له في مجالات تتعلق بالإسلام، ومن بينها موضوع الحجاب. ونعطي هنا عدد من الأشرطة حول هذا الموضوع:

- نقاش بين الشيخ المصري مصطفى راشد والمحامي المصري نبية الوحش انتهى بالضرب بالأحذية:

<https://goo.gl/y9DVZs>

- الشيخ المصري مصطفى راشد يشرح بأن الحجاب غير موجود في الإسلام:

<https://goo.gl/6mns27>

- نقاش بين الشيخ المصري مصطفى راشد والشيخ اللبناني هشام خليفة حول الحجاب:

<https://goo.gl/eeCXyv>

- نقاش حول الحجاب مع المصرية اقبال برقة التي تقول بأن الحجاب عادة وليس واجب ديني:

<https://goo.gl/vN5GQP>

- نقاش حول الحجاب مع المصرية اقبال برقة والمصرية صباح السقري: <https://goo.gl/mGB0Yp>

- نقاش حول الحجاب مع المصري جمال البناء، الأخ الأصغر لحسن البناء: <https://goo.gl/Tu1kDP>

- نقاش حول الحجاب مع المصري جمال البناء، الأخ الأصغر لحسن البناء: <https://goo.gl/t1eQPN>

- نقاش حول الحجاب مع المصري جمال البناء، الأخ الأصغر لحسن البناء: <https://goo.gl/0yROAQ>

و <https://goo.gl/DXtxFY>

- الشيخ المصري عبدالله ناصر حول الحجاب بداية من الدقيقة 17: <https://goo.gl/JyZhSF>

- <https://goo.gl/MXR6U0> الفلسطينى عدنان إبراهيم عن الحجاب:
- <https://goo.gl/blu9j8> السوري أحمد شحرور والحجاب:
- <https://goo.gl/auDc7a> العراقي سمير اسلامبولي والحجاب:
- نقاش حول الحجاب بين الشيخ المصري مصطفى راشد والشيخ المصري محمد عبد العاطي:
<https://goo.gl/n38FdH>
- أول مظاهرة مصرية تطالب بخلع الحجاب: <https://goo.gl/L3e6zk>
- المصري سعد الدين الهلالي حول العورة: <https://goo.gl/5F4eiU>
- المصري سعد الدين الهلالي حول العورة: <https://goo.gl/XJd2mK>
- نقاش بين المصري سعد الدين الهلالي والشيخ محمد شعبان حول أمر الرجل المرأة التي ترفض لبس الحجاب: <https://goo.gl/XbhIzM>
- المصري سعد الدين الهلالي ينكر أن الحجاب فريضة، تاركا للمرأة القرار، من الدقيقة 1 إلى 17:
<https://goo.gl/0bamfw>
- الشيخ المصري عبد المنعم فواد ينتقد أقوال المصري سعد الدين الهلالي:
<https://goo.gl/EJmxOD>
- الشيخ احمد صبحي منصور عن الحجاب: <https://goo.gl/AsNTJn>
- الشيخ احمد صبحي منصور عن الحجاب: <https://goo.gl/RqYkPS>
- الصحفي المصرى إبراهيم عيسى عن الحجاب: <https://goo.gl/WSocfO>
- المصري أحمد عبده ماهر عن الحجاب والنقاب: <https://goo.gl/j3MfUc>
- نوال السعداوي عن الحجاب والنقاب، بداية من الدقيقة 41: <https://goo.gl/eBHDkZ>
- نوال السعداوي عن الحجاب والنقاب، بداية من الدقيقة 55: <https://goo.gl/6agKr8>
- نوال السعداوي عن الحجاب والنقاب، بداية من الدقيقة 39: <https://goo.gl/gBMQVM>
- نوال السعداوي عن الحجاب والنقاب، بداية من الدقيقة 39: <https://goo.gl/MzuAoO>
- زوجات شيوخ الأزهر دون حجاب أو نقاب: <https://goo.gl/w9AjVK>
- دعاة الخلافة الإسلامية والنساء المستعبدات العاريات: <https://goo.gl/9NVtKD>
- المصرية أمنة نصير والحجاب والنقاب: <https://goo.gl/q3KkOs>
- المصرية أمنة نصير والحجاب والنقاب: <https://goo.gl/VRXWp9>
- المصرية أمنة نصير والحجاب والنقاب بداية من الدقيقة 53: <https://goo.gl/MGajVK> والرد عليها: <https://goo.gl/iBZ5VL>
- نقاش بين أمنة نصير والمصري شريف الشوباشي حول الحجاب والنقاب: <https://goo.gl/G7pytj>
- المصري شريف الشوباشي عن الحجاب بداية من الدقيقة 47: <https://goo.gl/ehxHvX>
- المصري أمنة نصير حول الحجاب والنقاب: <https://goo.gl/8AZv4E>
- نقاش بين المصرية فريدة الشوباشي وأحمد الصباغ حول الحجاب: <https://goo.gl/2FujSq>
- فتوى شيخ الأزهر محمد سيد الطنطاوي أمام الفرنسي سركوزي حول الحجاب في فرنسا:
<https://goo.gl/Fq0SG3>

(6) صور بألف خطاب

هذه الصور المأخوذة من الأنترنت لا تحتاج لتعليق. وبالإضافة إلى هذه الصور، ندعو القارئ لرؤية صور زوجات شيوخ الأزهر دون حجاب أو نقاب، قبل انتشار التطرف الديني في مصر، في هذا الشريط: <https://goo.gl/w9AjVK>

صور أمام المركز الثقافي الفرنسي غزة





نساء غير محجبات لرؤساء عرب مسلمين



العائلة المالكة الأردنية



العائلة المالكة المغربية



الأميرة للا سلمى ملكة المغرب في قطر



الأستاذة شيخة الجاسم زوجة أمير الكويت



عائلة الرئيس المصري أنور السادات



الأميرة ريم بنت الأمير الوليد بن طلال



عبر وزير السياحة لحسن حداد عن سخطه من سلوك شباب قاموا بنصب لافتة سوداء بأكادير كتب عليها باللغة الانجليزية (احترم رمضان، لا للبكيني) قائلا: لا أحد لديه الحق في تنفيذ القانون بدلا من السلطات. يجب ان لا نسمح أبدا يمثل هذه السلوكيات غير المقبولة من أناس يعتبرون أنفسهم حراس الأخلاق والفضيلة



التناقض بين الزي الإسلامي (يسار) والملابس التقليدية (يمين) في نفس البلاد



على اليسار امرأة من شمال أفريقيا في الزي الأمازيغي وفي الوسط نحت مصري فرعوني، وعلى اليمين نساء بحجاب كامل على الأرجح في فرنسا



على اليسار أطفال أمازيغ على الأرجح في الجزائر، وعلى اليمين امرأة وفتاة بالحجاب ربما في فرنسا





نساء في افغانستان



على اليسار نساء ربما من دول الخليج، وعلى اليمين نساء أمازيغية من الجزائر



في فرنسا



الجزائري رشيد نكاز يدفع غرامات النساء المنقبات في فرنسا



رجال يلبسون الحجاب تضامنا مع النساء



يهوديات في تل أبيب

الخاتمة

أفضل تلخيص لموقف القرآن من الحجاب ما قاله القرصاوي: "سيظل الاختلاف قائماً ما دامت النصوص نفسها التي تستنبط منها الأحكام قابلة للاختلاف في ثبوتها ودلائلها". فلا يمكن للمسلم معرفة حكم القرآن في الحجاب بصورة قطعية. وأقصى ما يمكن قوله أن القرآن يطالب المرأة بغض النظر وتغطية الثديين وحفظ فرجها. فلا يفرض القرآن تغطية الرأس أو الشعر أو الوجه أو الكفين.

وإذا رجعنا لكتب المفسرين الذين استشهدوا بالأحاديث النبوية، نرى أن موقفهم مضطرب جداً: فمنهم من يسمح للمرأة إظهار وجهها وكفيها. ولكن أكثرهم يفرضون عليها تغطية كل جسمها من رأسها إلى أخمص قدميها وعدم إظهار إلا عين واحدة للاستدلال على الطريق. لا بل هناك من يرى أن "اليوم بوجود الأقمشة الرقيقة لا حاجة لها إلى إبداء العين إذ تسيل قماشاً على وجهها فيستر وجهها وترى معه الطريق واضحاً". ومهما يكن شكل الزي الذي يقترحه الفقهاء، فإنهم يرون أن انكار فرضية الحجاب يخرج المرأة من الإسلام، فتعتبر مرتدة يحق قتلها.

وفيما يخص الليبراليين، فمنهم من ينكر فرضية النقاب ويبقى متمسكاً بالحجاب الذي لا يُظهر إلا الوجه والكفين، ومنهم من يرفض كل من النقاب والحجاب معتبراً أنه عادة وليس فريضة دينية، لا بل هناك من يرى فيه شعاراً سياسياً ونظاماً عبودياً وطبقياً بهدف اضطهاد المرأة (وفقاً لرأي نوال السعداوي). ويرى محمود محمد طه أن "الأصل في الإسلام السفور. لأن مراد الإسلام العفة. وهو يريد بها عفة تقوم في صدور النساء والرجال، لا عفة مضروبة بالباب المقفول، والثوب المسدول. ولكن ليس إلى هذه العفة الغالية من سبيل إلا عن طريق التربية والتقويم. وهذه تحتاج إلى فترة انتقال لا تتحقق أثناءها العفة إلا عن طريق الحجاب، وكذلك شرع الحجاب. فكان الأصل ما كان عليه آدم وحواء قبل أن يزلّا"، مستشهداً بالآيات المكية، وخاصة الآية 39/7: 26 "يُنَبِّئِي عَادَمَ! قَدْ أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ لِبَاسًا يُؤْوِي سَوْءَ تَعْتَمِكُمْ وَرِيشًا. وَلِبَاسُ الْتَقْوَى ذَلِكَ خَيْرٌ".

أما الواقع المعاش فإنه يبين تغلغل التيار المتزمت في المجتمع العربي والإسلامي وبين المسلمين في الغرب مما يهدد التعايش بين المسلمين وغير المسلمين. وعلى الدول الغربية اتخاذ إجراءات صارمة ضد هذا التيار إذا لا تريد أن تعرض أمن بلادها للخطر كما هو الأمر في الدول الإسلامية. نشرت صحيفة الصوت الأخرى 1 الجزائرية في 5 سبتمبر 2016 مقالاً يقول:

ثانوية 1600 مسكن بالسبالة تمنع التلميذات غير المحجبات من الدراسة!

تفاجأت التلميذات المزاولات لدراستهن بثانوية 1600 مسكن بالسبالة الكائن مقرها على مستوى بلدية درارية، من منع حارس الثانوية للفتيات غير المحجبات من دخول المؤسسة وذلك عشية الدخول المدرسي الجديد.

وطالب الحارس الفتيات بضرورة وضع الوشاح على رؤوسهن حتى يتمكن من الدخول للثانوية، حيث كانت الفتيات بصدد الدخول لأجل إجراء عملية التسجيلات المدرسية مثلما جرت به العادة كل سنة.

وقد خلفت الحادثة ضجة وغضباً واسعاً من طرف أولياء الأمور الذين نددوا بالتعليمية والخرجة الأخيرة التي خرجت بها إدارة المؤسسة مطالبين مصالح وزارة التربية بضرورة التدخل لفتح تحقيق في القضية.

عاش تلاميذ ثانوية 1600 مسكن بالسبالة يوماً غير عادي عشية الدخول المدرسي الجديد بسبب التعليمات الأخيرة التي خرجت بها الإدارة، إذ تم منع الفتيات غير المحجبات من دخول الثانوية أو حتى التسجيل للسنة الدراسية الجديدة، حيث كانت التلميذات المتوجهات لأجل إجراء عملية التسجيل في طريقهن إلى الثانوية وأثناء شروعهن في الدخول من الباب تفاجأن بالحارس الذي منعهن من الدخول مطالباً إياهن بضرورة وضع الوشاح أو ارتداء الحجاب لأجل الدخول وإلا فلن يتمكن من دخول المؤسسة.

وقد انفجرت التلميذات غير المحجبات غضباً من هذه الخرجة الأخيرة التي تزامنت والدخول المدرسي الجديد، في حين اضطرت بعض الفتيات للرجوع إلى بيوتهن وانتعال وشاح على رأسهن حتى يتمكن من

إجراء عملية التسجيل في حين رفضت أخريات وقاطعت عملية التسجيل، هذه الوضعية أثارت حالة استنكار واسعة وسط أولياء الأمور الذين اصطحبوا بناتهم، حيث تم منعهن من الدخول بحجة عدم ارتداء التلميذات للحجاب.

وصب هؤلاء جام غضبهم على مديرة المدرسة مستكرين تصرفات الحارس كون هذا الأخير مجرد عبد مأمور من طرف إدارة المدرسة، وطالب أولياء التلاميذ بضرورة لقاء مديرة المدرسة قصد وضع النقاط على الحروف خاصة أن قضية الحجاب تعتبر حرية شخصية ولا يحق لأحد فرضها على الفتيات خاصة في المؤسسات التربوية، داعين كلا من مديرية التربية ووزارة التربية إلى فتح تحقيق في القضية ووضع حد لمثل هذه الممارسات التي وصفوها بالتعسفية.

وقد أرسلت لي متفقة جزائرية أمازيغية ملحة تعليقاً على هذا الخبر:

مع الإسلام، علينا أن نتذكر هذه المعادلة: مفاجأة، قبول، تعميم، الزام وموت.

كل ما يجلبونه لك ويفاجئك اليوم، سوف يقتلونك بسببه بعد عشر سنين.

في البداية، يأتونك بشيء صادم أو مفاجئ. ويطلبون منك تقبله باسم مبادئ الحرية التي هي لديك. ثم يقومون بتعميمه. وفي السنوات التالية، فإن هذا الشيء الذي كان يظهر لك شاذاً جداً يصبح الوضع الطبيعي الجديد. يصبح معياراً ثم إلزامياً لآخر جيوب المقاومة. ومن تبقى من المقاومين يتم قتلهم.

وها هي في عام 2016 مدرسة ثانوية عامة جزائرية تمنع دخول الفتيات اللواتي لا يرتدين الحجاب. وعندما يأتي أولياء أمورهن للشكوى، يقوم حراس أغبياء وفسادون بتلقيحهم بالأخلاق.

أتذكر المرة الأولى التي رأيت فيها وصول هذا الكيس البشع إلى الجزائر. لقد كان صدمة. واليوم، بعدما تم تعميمه، أصبح إلزامياً.

لقد ورثنا هذه الثقافة عن الخليفة عمر بن الخطاب الذي كان نصف إله، ونصف نبي، يكره النساء ويقضي حياته في ضربهن في كل مناسبة. نحن نعبده في الجزائر. ونحن نتشبه بأمرائنا.

الأحكام الإسلامية الخاصة بالحجاب تخرق مبدئين:

- مبدأ الحرية الدينية إذ أن النساء مجبرات على الرضوخ لها تحت طائلة الضرب أو القتل كمرتدات إذا لم يقبلن بها.
- ومبدأ المساواة بين الرجل والمرأة بحجة أن النساء تفتن الرجال. ولكن يمكن للرجال أيضاً أن يفتنوا النساء. لماذا إذن لا يتم فرض الحجاب عليهم أيضاً؟

من جهة أخرى، تحويل المرأة إلى خيمة متنقلة، كما كان يقول الرئيس أنور السادات، مخالف للمنطق السليم والتقدم الاجتماعي. فهو عائق للحصول على العمل والاندماج والمنافسة الاجتماعية. إن الشركات تصرف مبالغ طائلة لتزيين مكاتبها بالورود واللوحات الجميلة. ويمكنكم رؤية هذا الشريط لنساء يتناولن المعكرونة: <http://goo.gl/3RtLlx> لكي تتصوروا إلى أي مدى وصلت إليه الأمور.

سوف ننقل الآن إلى القسم الثاني الذي يتضمن نصوص المفسرين خلال العصور الخاصة بالآيات القرآنية الثلاث الرئيسية عن الحجاب.

القسم الثاني المفسرون وفقاً للتسلسل التاريخي

بعد استعراض أحكام آيات الحجاب في القرآن والمواقف المتباينة منه، نقدم في هذا القسم موقف المفسرين وفقاً للتسلسل التاريخي. وعلينا أولاً أن نبين المنهج الذي نتبعه:

- اعتمدنا خاصة على التفاسير الموجودة في الموقع www.altafsir.com الذي تديره مؤسسة آل البيت الملكية للفكر الإسلامي التابع للعائلة المالكة الأردنية. وقد كملنا هذه التفاسير خاصة بتفاسير متواجدة في موقع www.islamport.com. ولكل تفسير وضعنا رابطاً يسمح بالرجوع للمصدر.
 - تم ترتيب التفاسير وفقاً لسنة وفاة المفسر. ووضعنا رابطاً للتعريف بكل مفسر على قدر الإمكان، كما ذكرنا المدرسة التي ينتمي لها: سني، شيعي، زيدي، إباضي، صوفي، معتزلي، سلفي.
- ويجب أن نعلم هنا أن كتب التفسير هي جزء من مناهج التعليم لرجال الدين المسلمين. ومن هنا تأتي أهميتها. وبعض تلك التفاسير القصيرة تُنشر مع هوامش القرآن، خاصة تفسير الجلالين. وقد تم ترجمة بعض تلك التفاسير إلى اللغات الغربية، كما هو الأمر مع تفسير ابن كثير.

فقرات من التفسير

هـ\90:33:259

يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لَأَزْوَاجَكُمْ وَبَنَاتُكُمْ وَنِسَاءَ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِنْ جَلَابِيبِهِنَّ يَعْنِي الْقِنَاعَ الَّذِي يَكُونُ فَوْقَ الْخِمَارِ وَذَلِكَ أَنَّ الْمُهَاجِرِينَ قَدِمُوا الْمَدِينَةَ وَمَعَهُمْ نِسَاؤُهُمْ، فَنَزَلُوا مَعَ الْأَنْصَارِ فِي دِيَارِهِمْ فَضَاقَتْ الدُّورُ عَنْهُمْ، وَكَانَ النِّسَاءُ يَخْرُجْنَ بِاللَّيْلِ إِلَى النَّخِيلِ فَيَقْضِينَ حَوَائِجَهُنَّ، يَعْنِي الْبَرَّازَ، فَكَانَ الْمَرِيبُ يَرُصِدُ النِّسَاءَ بِاللَّيْلِ، فَيَأْتِيهَا فَيَعْرِضُ عَلَيْهَا وَيَغْمِزُهَا، فَإِنْ هَوَيْتَ الْجَمَاعَ أَعْطَاهَا أَجْرَهَا، وَقَضَى حَاجَتَهَا، وَإِنْ كَانَتْ عَفِيفَةً صَاحَتْ فَتْرُكُهَا، وَإِنَّمَا كَانُوا يَطْلُبُونَ الْوَلَايَةَ، فَلَمْ تَعْرِفْ الْأُمَّةُ فِي الْحَرَّةِ بِاللَّيْلِ، فَذَكَرَ نِسَاءَ الْمُؤْمِنِينَ ذَلِكَ لِأَزْوَاجِهِنَّ، وَمَا يَلْقَيْنَ بِاللَّيْلِ مِنَ الزَّانَةِ، فَذَكَرُوا ذَلِكَ لِلنَّبِيِّ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لَأَزْوَاجَكُمْ وَبَنَاتُكُمْ وَنِسَاءَ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِنْ جَلَابِيبِهِنَّ يَعْنِي الْقِنَاعَ فَوْقَ الْخِمَارِ ذَلِكَ أَدْنَى يَعْنِي أَجْدَرُ أَنْ يُعْرِفَنَّ فِي زِيَهِنَّ أَنَّهُنَّ لَسْنَ بِمَرَبِّياتٍ، وَأَنَّهُنَّ عَافِيَّاتٌ، فَلَا يَطْمَعُ فِيهِنَّ أَحَدٌ فَلَا يُؤْذِنُ بِاللَّيْلِ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا فِي تَأْخِيرِ الْعَذَابِ عَنْهُمْ رَحِيمًا آيَةُ: 59 حِينَ لَا يَعْبَلُ عَلَيْهِمُ بِالْعَقُوبَةِ.

هـ\102:24:331

نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ وَالَّتِي بَعْدَهَا فِي أَسْمَاءِ بَنَاتٍ مَرُشِدَةٍ كَانَتْ لَهَا فِي بَنَى حَارِثَةَ نَخْلٍ يُسَمَّى الْوَعْلَ، فَجَعَلَتْ النِّسَاءَ يَدْخُلْنَ غَيْرَ مَتَوَارِيَاتٍ، يَظْهَرْنَ مَا عَلَى صُدُورِهِنَّ وَأَرْجُلَهُنَّ وَأَشْعَارَهُنَّ، فَقَالَتْ أَسْمَاءُ: مَا أَقْبَحَ هَذَا. فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا يَعْنِي الْوَجْهَ وَالْكَفَيْنِ وَمَوْضِعَ السَّوَارِينِ وَلَيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَى جُيُوبِهِنَّ يَعْنِي عَلَى صُدُورِهِنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ يَعْنِي عَزَّ وَجَلَّ وَلَا يَضَعْنَ الْجِلْبَابَ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ يَعْنِي أَزْوَاجَهُنَّ أَوْ آبَائَهُنَّ أَوْ أَبْنَاءَ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ أَبْنَاءَهُنَّ أَوْ أَبْنَاءَ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ إِخْوَانَهُنَّ أَوْ بَنَى إِخْوَانَتِهِنَّ. ثُمَّ قَالَ: أَوْ نِسَائَهُنَّ يَعْنِي نِسَاءَ الْمُؤْمِنَاتِ كُلِّهِنَّ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ مِنَ الْعَبِيدِ أَوْ التَّالِبِينَ وَهُوَ الرَّجُلُ يَتَّبِعُ الرَّجُلَ فَيَكُونُ مَعَهُ مِنْ غَيْرِ عَبِيدِهِ، مِنْ غَيْرِ أُولَى الْإِزْبَةِ مِنَ الرِّجَالِ يَقُولُ: مِنْ لَا حَاجَةَ لَهُ فِي النِّسَاءِ: الشَّيْخُ الْهَرَمُ، وَالْعَيْنِ، وَالْخَصِيُّ، وَالْعُجُوبُ، وَنَحْوُهُ، ثُمَّ قَالَ سُبْحَانَهُ: أَوْ الْأَطْفَالُ يَعْنِي الْغُلَامَانَ الصَّغَارَ الَّذِينَ لَمْ يَطْهَرُوا عَلَى عَوْرَاتِ النِّسَاءِ لَا يَدْرُونَ مَا النِّسَاءُ مِنَ الصَّغَرِ، فَلَا بَأْسَ بِالْمَرْأَةِ أَنْ تَضَعَ الْجِلْبَابَ عِنْدَ هَؤُلَاءِ الْمَسْمُومِينَ فِي هَذِهِ الْآيَةِ، ثُمَّ قَالَ تَعَالَى: وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ يَقُولُ: وَلَا يَحْرُكْنَ أَرْجُلَهُنَّ لِئَلَّا يَسْمَعَ مَا يُخْفَيْنَ مِنْ زِينَتِهِنَّ يَعْنِي الْخُلْخَالَ، وَذَلِكَ أَنَّ الْمَرْأَةَ يَكُونُ فِي رَجُلِهَا خُلْخَالَ فَتَحْرُكُ رَجُلَهَا عَمْدًا لِيَسْمَعَ صَوْتَ الْجِلْجَلِ، فَذَلِكَ قَوْلُهُ عَزَّ وَجَلَّ: وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ وَتَوَبُّوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا مِنَ الذُّنُوبِ الَّتِي أَصَابُوهَا مِمَّا فِي هَذِهِ السُّورَةِ أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ مِمَّا نَهَى عَنْهُ عَزَّ وَجَلَّ مِنْ أَوَّلِ هَذِهِ السُّورَةِ إِلَى هَذِهِ الْآيَةِ لَعَلَّكُمْ يَعْنِي لَكُمْ تُقْلِحُونَ آيَةُ: 31.

¹ <http://goo.gl/rb3pqE>

² <http://goo.gl/8yEXtr>

³ <http://goo.gl/yhS0F4>

فقرات من التفسير

هـ\33\259

عَنْ مَعْمَرٍ، عَنِ الْحَسَنِ، قَالَ: كُنْ إِمَاءً بِالْمَدِينَةِ فَقَالَ لَهُنَّ كَذَا وَكَذَا، كُنَّ يَخْرُجْنَ فَيَتَعَرَّضُ لَهُنَّ السُّفَهَاءُ فَيَرُدُّوهُنَّ، فَكَانَتْ الْمَرْأَةُ تَخْرُجُ فَيَحْسِبُونَ أَنَّهَا أَمَةٌ فَيَتَعَرَّضُونَ لَهَا وَيُؤْذِنُونَهَا، فَأَمَرَ النَّبِيُّ: الْمُؤْمَنَاتُ أَنْ يُذْنِبْنَ عَلَيْهِنَّ مِنْ جَلَابِيهِنَّ ذَلِكَ أَذْنًى أَنْ يُعْرِفْنَ مِنَ الْإِمَاءِ أَنَّهِنَّ خَرَائِرٌ فَلَا يُؤْذِنْنَ
عَنْ مَعْمَرٍ، عَنِ ابْنِ خُنَيْمٍ، عَنْ صَفِيَّةَ بِنْتُ شَيْبَةَ، عَنْ أُمِّ سَلَمَةَ، زَوْجِ النَّبِيِّ قَالَتْ: لَمَّا نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ يُذْنِبْنَ عَلَيْهِنَّ مِنْ جَلَابِيهِنَّ الْأَحْزَابُ: 59 خَرَجَ نِسَاءُ الْأَنْصَارِ كَانُوا عَلَى رُؤُوسِهِنَّ الْغُرَبَاءُ مِنَ السُّكْنَى وَعَلَيْهِنَّ أَكْسِيَّةٌ سَوْدٌ يَلْبَسْنَهَا

هـ\24\331

عَنْ مَعْمَرٍ، عَنْ قَتَادَةَ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا النور: 31، قَالَ: الْمَسْكَتَانِ، وَالْخَاتَمُ، وَالْكُحْلُ

قَالَ قَتَادَةُ: وَبَلَّغْنَا أَنَّ النَّبِيَّ قَالَ: لَا يَحِلُّ لِمَرْأَةٍ تُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ أَنْ تَخْرُجَ مِنْ يَدِهَا إِلَّا هَذَا وَهَذَا وَهَذَا وَهَذَا عَلَى نِصْفِ الدَّرَاعِ

عَنْ عَبْدِ الرَّزَّاقِ قَالَ: أَرَنَا مَعْمَرٌ، عَنِ الرَّهْرِيِّ، عَنْ رَجُلٍ، عَنِ الْمُسَوَّرِ بْنِ مَخْرَمَةَ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا النور: 31، قَالَ: هُوَ الْقَلْبَانِ وَالْخَاتَمُ، وَالْكُحْلُ

نَا عَبْدُ الرَّزَّاقِ قَالَ: أَرَنَا مَعْمَرٌ، عَنْ أَبِي إِسْحَاقَ، عَنْ أَبِي الْأَخْوَصِ، أَنَّ ابْنَ مَسْعُودٍ، قَالَ: إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا النور: 31 الثَّيَابُ، ثُمَّ قَالَ أَبُو إِسْحَاقَ: أَلَا تَرَى أَنَّهُ يَقُولُ: خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ الْأَعْرَافُ: 31

عَنْ عَبْدِ الرَّزَّاقِ قَالَ: أَرَنَا مَعْمَرٌ عَنِ ابْنِ مُجَاهِدٍ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا النور: 31 قَالَ: هُوَ الْكُفُّ، وَالْخَضَابُ، وَالْخَاتَمُ

عَنْ مَعْمَرٍ، عَنِ الرَّهْرِيِّ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ النور: 31، قَالَ: يُرَى الشَّيْءُ مِنْ دُونِ الْخِمَارِ، فَأَمَّا أَنْ تَسْلُخَهُ فَلَا

أَنَا مَعْمَرٌ، عَنِ الْكَلْبِيِّ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ النور: 31 أَوْ الْقَلَادَةُ مِنَ الزَّيْنَةِ وَالذَّمْلُجُ مِنَ الزَّيْنَةِ، وَالْخَلْخَالُ، وَالْفَرْطُ كُلُّ هَذَا زِينَةٌ فَلَا بَأْسَ أَنْ تُبْدِيَهُ عِنْدَ كُلِّ ذِي مَحْرَمٍ، وَأَمَّا التَّجَرُّدُ، فَإِنَّ تِلْكَ عَوْرَةٌ فَلَا يُتَبَغَى أَنْ تَتَجَرَّدَ إِلَّا عِنْدَ زَوْجِهَا

مَعْمَرٌ، عَنْ قَتَادَةَ، فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: أَوْ التَّابِعِينَ النور: 31، قَالَ: هُوَ التَّابِعُ لَكَ الَّذِي يَتَّبِعُكَ يُصِيبُ مِنْ طَعَامِكَ عَنْ مَعْمَرٍ، عَنِ ابْنِ طَاوُسٍ، عَنْ أَبِيهِ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: وَأَنْ تَصْبِرُوا خَيْرٌ لَكُمْ النِّسَاءُ: 25، قَالَ: عَنْ نِكَاحِ الْأُمَةِ

نَا عَبْدُ الرَّزَّاقِ قَالَ: أَرَنَا مَعْمَرٌ، عَنِ الرَّهْرِيِّ، عَنْ عُرْوَةَ، عَنْ عَائِشَةَ، قَالَتْ: كَانَ يَدْخُلُ عَلَى أَزْوَاجِ النَّبِيِّ مُحَنَّبٌ وَكَانُوا يَعْدُونَهُ مِنْ غَيْرِ أُولَى الْإِزْبَةِ، فَدَخَلَ عَلَيْهِ النَّبِيُّ يَوْمًا وَهُوَ عِنْدَ أُمِّ سَلَمَةَ، وَهُوَ يَنْعَثُ لِعَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي أُمَيَّةَ امْرَأَةً، فَقَالَ: إِذَا افْتَتَحْتُمُ الطَّائِفَ غَدًا فَإِنِّي رَأَيْتُ ابْنَةَ الْغِيلَانِ بِنْتُ سَلَمَةَ إِذَا أَقْبَلَتْ بَارِيعٌ وَإِذَا أَذْبَرَتْ

بِشْمَانٍ، فَقَالَ النَّبِيُّ: أَلَا أَرَى هَذَا يَعْلَمُ مَا هَذَا هَذَا لَا يَدْخُلُ عَلَيْكُمْ هَذَا فَحُجِّبُوهُ

عَنْ عَبْدِ الرَّزَّاقِ قَالَ: أَرَنَا مَعْمَرٌ، عَنِ ابْنِ طَاوُسٍ، عَنْ أَبِيهِ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: غَيْرِ أُولَى الْإِزْبَةِ النور: 31، قَالَ: هُوَ الْأَحْمَقُ الَّذِي لَيْسَ لَهُ فِي النِّسَاءِ حَاجَةٌ وَلَا أَرْبٌ

عَنْ مَعْمَرٍ: قَالَ الرَّهْرِيُّ: الْأَحْمَقُ الَّذِي لَا هَمَّةَ لَهُ فِي النِّسَاءِ وَلَا أَرْبٌ

نَا عَبْدُ الرَّزَّاقِ قَالَ: أَرَنَا مَعْمَرٌ، عَنْ قَتَادَةَ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: وَلَا يَصْرُفْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِنْ زِينَتِهِنَّ النور: 31، قَالَ: هُوَ الْخَلْخَالُ تَضْرِبُ الْمَرْأَةُ بِرِجْلِهَا لِيُسْمَعَ صَوْتُ خَلْخَالِهَا.

¹ <https://goo.gl/pfmd5x>

² <https://goo.gl/8yEXtr>

³ <https://goo.gl/yhS0F4>

فقرات من التفسير

هـ\90\33: 253

قَوْلُهُ تَعَالَى: وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعاً فَاسْأَلُوهُنَّ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ، أَي إِذَا سَأَلْتُمْ أَزْوَاجَ النَّبِيِّ مِنْ مَتَاعِ الْبَيْتِ، فَخَاطَبُوهُم مِنْ وَرَاءِ الْبَابِ وَالسَّتْرِ، قَالَ مِقَاتِلٌ: أَمَرَ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ أَنْ لَا يَكَلِّمُوا نِسَاءَ النَّبِيِّ إِلَّا مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ. وَعَنْ أَنَسٍ قَالَ: قَالَ عُمَرُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّهُ يَدْخُلُ عَلَيْكَ الْبُرُ وَالْفَاجِرُ، فَلَوْ أَمَرْتَ أُمَّهَاتِ الْمُؤْمِنِينَ بِالْحِجَابِ، فَتَزَلَتْ آيَةُ الْحِجَابِ.

وعن عائشة قالت: كَانَ عُمَرُ يَقُولُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ احْجُبْ نِسَاءَكَ، فَلَمْ يَفْعَلْ حَتَّى نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ. وَعَنْ عَامِرٍ قَالَ: مَرَّ عُمَرُ عَلَى نِسَاءِ النَّبِيِّ فَقَالَ لَهُنَّ: اخْتَجِبْنَ؛ فَإِنْ لَكُنَّ عَلَى النِّسَاءِ فَضْلاً كَمَا أَنْ لَزُوجَكُنَّ عَلَى الرِّجَالِ فَضْلاً. فَلَمْ يَلْبَسْنَ إِلَّا يَسِيراً حَتَّى نَزَلَتْ آيَةُ الْحِجَابِ.

وعن ابن مسعود قال: أَمَرَ عُمَرُ بِنَ الْحَطَّابِ نِسَاءَ النَّبِيِّ فَقَالَ: الْحِجَابُ، فَقَالَتْ زَيْنَبُ: يَا ابْنَ الْحَطَّابِ إِنَّكَ لَتَعَارُ عَلَيْنَا وَالْوَحْيَ يَنْزِلُ فِي بُيُوتِنَا؟! وَقَالَ أَنَسٌ: كُنْتُ أَدْخُلُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ بَغِيرَ إِذْنٍ، فَجِئْتُ يَوْمًا لَأَدْخُلَ فَقَالَ: مَكَانَكَ يَا بَنِي، فَدَحَضْتُ بَعْدَ أَنْ لَا يَدْخُلَ عَلَيْنَا إِلَّا بِإِذْنٍ.

وعن اسماعيل بن أبي حكيم في قوله تعالى: فَإِذَا طَعِمْتُمْ فَانْتَشِرُوا وَلَا مُسْتَأْسِرِينَ لِحَدِيثٍ قَالَ: هَذَا أَدَبُ اللَّهِ بِهِ النَّقْلَاءُ. وَقَالَتْ عَائِشَةُ: حَسِبْتُ مِنَ النَّقْلَاءِ أَنْ اللَّهَ لَمْ يَحْتَمِلْهُمْ فَقَالَ: فَإِذَا طَعِمْتُمْ فَانْتَشِرُوا.

قَوْلُهُ تَعَالَى: ذَلِكَ أَطْهَرُ لِقُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ، أَي سَوَّاهُ إِيَّاهُنَّ الْمَتَاعَ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ أَطْهَرُ لِقُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ مِنَ الزَّيْبَةِ. وَهَذَا الْحُكْمُ فِي الْحِجَابِ وَإِنْ نَزَلَ فِي أَزْوَاجِ النَّبِيِّ، فَالْمَعْنَى عَامٌّ فِيهِ وَفِي غَيْرِهِ، وَنَحْنُ مَأْمُورُونَ بِاتِّبَاعِهِ وَالِاقْتِدَاءِ بِهِ، إِلَّا فِيمَا خَصَّهُ اللَّهُ بِهِ دُونَ أُمَّتِهِ.

قَوْلُهُ تَعَالَى: وَمَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُؤْذُوا رَسُولَ اللَّهِ، أَي لَيْسَ لَكُمْ أَنْ تُؤْذِيَهُ بِالْدُخُولِ فِي مَنْزِلِهِ بِغَيْرِ إِذْنِهِ، وَلَا بِالْحَدِيثِ مَعَ أَزْوَاجِهِ وَلَا بِشَيْءٍ مِنَ الْأَشْيَاءِ، وَلَا يَحِلُّ لَكُمْ ذَلِكَ.

هـ\90\33: 359

قَوْلُهُ تَعَالَى: يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لَأَزْوَاجَكُمْ وَبَنَاتُكُمْ وَنِسَاءُ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِنْ جَلَابِيبِهِنَّ، أَي قُلْ لِنِسَائِكُمْ وَبَنَاتِكُمْ وَالْحَرَائِرَ مِنَ النِّسَاءِ يُلْقِينَ عَلَى رُؤُوسِهِنَّ وَوُجُوهِهِنَّ مِنْ جَلَابِيبِهِنَّ، وَالْجَلَابِبُ: هُوَ الْمَقْنَعَةُ الَّتِي تَسْتُرُ بِهَا الْمَرْأَةُ مَا يَظْهَرُ مِنَ الْعُنُقِ وَالصَّدْرِ، وَهِيَ الْمَلَاءَةُ الَّتِي تَشْتَمِلُ بِهَا الْمَرْأَةُ.

قَالَ الْمُفَسِّرُونَ: يُعْطِينَ رُؤُوسِهِنَّ وَوُجُوهِهِنَّ إِلَّا عَيْنًا وَاحِدَةً. وَظَاهِرُ الْآيَةِ يَقْتَضِي أَنْ يَكُنَّ مَأْمُورَاتٍ بِالسَّتْرِ التَّامِ عِنْدَ الْخُرُوجِ إِلَى الطَّرِيقِ، فَعَلِيهِنَّ أَنْ يَسْتَتِرْنَ إِلَّا بِمِقْدَارِ مَا يَعْرِفْنَ بِهِ الطَّرِيقَ.

وقوله تعالى: ذَلِكَ أَدْنَى أَنْ يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَ وَكَانَ اللَّهُ غَفُوراً رَحِيماً، معناه: ذَلِكَ أَقْرَبُ أَنْ يَعْرِفَ الْحَرَائِرَ مِنَ الْإِمَاءِ فَلَا يُؤْذِي الْحَرَائِرَ؛ لِأَنَّ النَّاسَ كَانُوا يَوْمَئِذٍ يُمَازِحُونَ الْإِمَاءَ وَلَا يُمَازِحُونَ الْحَرَائِرَ، وَكَانَ الْمُنَافِقُونَ يُمَازِحُونَ الْحَرَائِرَ، فَإِذَا قِيلَ لَهُمْ فِي ذَلِكَ، قَالُوا: حَسْبُنَا أَنَّهُنَّ إِمَاءٌ. فَأَمَرَ اللَّهُ الْحَرَائِرَ بِهَذَا النُّوعِ مِنَ السَّتْرِ قَطْعاً لِأَعْدَادِ الْمُنَافِقِينَ.

وعن عُمَرَ: أَنَّهُ كَانَ يَضْرِبُ الْإِمَاءَ وَيَقُولُ: اكْشِفِي رُؤُوسَكُنَّ وَلَا تَسْتَبْهِهِنَّ بِالْحَرَائِرِ. وَمَرَّتْ جَارِيَةٌ بِعُمَرَ مُنْقَعَةً، فَعَلَّاهَا بِالذِّرَةِ وَقَالَ: يَا لُكَاغُ، ائْتَسْبِهِي بِالْحَرَائِرِ، أَلْقِي الْقَنَاعَ.

ويقال في معنى ذلك: أَدْنَى أَنْ يُعْرَفْنَ أَي أَقْرَبُ إِلَى أَنْ يُعْرِفَ بِالسَّتْرِ وَالصَّلَاحِ؛ فَيُبَيِّنُ مِنْهُنَّ فَسَاقَ الرِّجَالِ، فَلَا يَطْمَعُونَ فِيهِمْ كَطْمَعِهِمْ فِيمَنْ تَتَّبَرَّجَ وَتَتَكَشَّفَ.

هـ\102\24: 431

قَوْلُهُ تَعَالَى: وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ؛ أَي قُلْ لَهُنَّ يَكْفُفْنَ أَبْصَارَهُنَّ عَنْ مَا لَا يَجُوزُ، وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ؛ عَنِ الْحَرَامِ. وَقِيلَ: وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ أَي يَسْتَتِرْنَ حَتَّى لَا يَرَى فُرُوجَهُنَّ أَحَدٌ.

1 <http://goo.gl/OLkQax>

2 <https://goo.gl/Dqzjbg>

3 <https://goo.gl/uRpHBx>

4 <https://goo.gl/iYpo4g>

قَوْلُهُ تَعَالَى: وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا؛ أي لا يُبْدِينَ مواضع زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْ مواضع الزينة. والزينة زِينَتَانِ: ظاهرة وباطنة، فالباطنة: المَخَانِقُ وَالْمَعَاذُ وَالْقِلَادَةُ وَالْخُلْخُلُ وَالسَّوَارُ وَالْقِرْطُ وَالْمِعَاصِمُ. وأما الزينة الظاهرة: الْكُحْلُ وَالْخَاتَمُ وَالْخَصَابُ، فليس على المرأة بِحُكْمٍ إِلَّا هذا به سِتْرُ وجهها وكفها في الصلاة.

وفي غير الصلاة يجوزُ للأجانب من الرجال النظرُ إلى وجهها لغير الشهوة. فأما النظرُ مع الشهوة فلا يجوزُ إلا في أربعة مواضع: إذا أرادَ أن يتزوَّج امرأة، أو يشتري جارية، أو يتحمَّلَ الشهادة لها أو عليها، أو القاضي يقضي لها أو عليها.

وعن ابن مسعود: أَنَّ الزَّيْنَةَ الظَّاهِرَةَ: هِيَ الْجَنَابُ وَالْمَلَاءَةُ يَعْنِي الثِّيَابَ لقوله خُذُوا زِينَتَكُمْ الأعراف: 31 أي ثيابكم. وعن عائشة أَنَّهَا قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ: لَا يَحِلُّ لَامْرَأَةٍ تَوَاضَعُ لِلرَّجُلِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ إِذَا عَزَكَتْ أَنْ تُظْهَرَ إِلَّا وَجْهَهَا وَيَدَيَهَا وَإِلَى هَا هُنَا وَقَبْضَ عَلَى نَصْفِ الذَّرَاعِ. قَوْلُهُ تَعَالَى: وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَى جُيُوبِهِنَّ؛ الْخُمُرُ: جَمْعُ خِمَارٍ؛ وَهُوَ مَا تُغَطِّي بِهِ الْمَرْأَةُ رَأْسَهَا، وَالْمَعْنَى: وَلْيَلْقَيْنَ مَقَانِعَهُنَّ عَلَى جُيُوبِهِنَّ وَصُدُورَهُنَّ لِيَسْتُرْنَ بِذَلِكَ شُعُورَهُنَّ وَمُرُوطَهُنَّ وَأَعْنَاقَهُنَّ وَنَحُورَهُنَّ، كَمَا قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: تُغَطِّي الْمَرْأَةُ شَعْرَهَا وَصَدْرَهَا وَتَرِابَهَا وَسَوَافَهَا لِأَنَّ الْمَرْأَةَ إِذَا أَسْدَلَتْ خِمَارَهَا انْكَشَفَ مَا قَدَّامَهَا وَمَا خَلْفَهَا فَوَقَعَ الْإِطْلَاقُ عَلَيْهَا. وَالْجُيُوبُ: جَمْعُ جَيْبٍ وَهُوَ جَيْبُ الْقَمِيصِ.

قَوْلُهُ تَعَالَى: وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ؛ أَرَادَ بِهِ مَوْضِعَ الزَّيْنَةِ الْبَاطِنَةِ الَّتِي لَا يَجُوزُ كَشْفُهَا فِي الصَّلَاةِ، وَالْمَعْنَى: لَا يُظْهَرْنَ مَوْضِعَ الزَّيْنَةِ الَّتِي تَكُونُ تَحْتَ خُمُرِهِنَّ إِلَّا لِأَزْوَاجِهِنَّ، أَوْ أَبْنَاهُنَّ أَوْ أَبَاءَ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ أَبْنَاءَهُنَّ أَوْ أَبْنَاءَ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ أَزْوَاجِهِنَّ، أَوْ إِخْوَانَهُنَّ؛ فِي النَّسَبِ أَوْ الرِّضَاعِ أَوْ بَنِي إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي أَخَوَاتِهِنَّ؛ وَكُلُّ ذِي رَحِمٍ مَحْرَمٌ مِنْهُنَّ، أَوْ نَسَائِهِنَّ؛ يَعْنِي نِسَاءَ أَهْلِ دِينِهِنَّ وَهُنَّ الْمُسْلِمَاتُ، وَلَا يَحِلُّ لِمُسْلِمَةٍ أَنْ تَنْكَشِفَ بَيْنَ يَدَيِ يَهُودِيَّةٍ أَوْ نَصْرَانِيَّةٍ أَوْ مَجُوسِيَّةٍ أَوْ مُشْرِكَةٍ. وَقِيلَ: الْمَرَادُ بِذَلِكَ الْعَفَافُ مِنَ النِّسَاءِ اللَّائِي يَكُنْ أَشْكَالاً لِهِنَّ.

وَلَا يَنْبَغِي لِلْمَرْأَةِ الصَّالِحَةِ أَنْ تَنْتَظِرَ إِلَى الْمَرْأَةِ الْفَاجِرَةِ؛ لِأَنَّهَا تُصَفِّهَا عِنْدَ الرَّجُلِ، وَلَا تَضَعُ جَلْبَابَهَا وَلَا خِمَارَهَا عِنْدَهَا، وَلَا يَحِلُّ لَامْرَأَةٍ مُؤْمِنَةٍ أَنْ تَنْكَشِفَ أَيْضاً عِنْدَ مُشْرِكَةٍ أَوْ كِتَابِيَّةٍ إِلَّا أَنْ تَكُونَ أُمَةً لَهَا، فَذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى: أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ؛ وَرُوي أَنَّ عُمَرَ كَتَبَ إِلَى أَبِي عُبَيْدَةَ: أَمَّا بَعْدُ: فَقَدْ بَلَغَنِي أَنَّ نِسَاءَكُمْ يَدْخُلْنَ الْحَمَامَاتِ مَعَهُنَّ نِسَاءَ أَهْلِ الْكِتَابِ، فَاْمْنَعُ مِنْ ذَلِكَ.

فقرات من التفسير

هــ90\33: 253

حدثني أحمد بن عبد الرحمن بن وهب، قال: ثني عمي، قال: أخبرني يونس، عن الزهري، قال: أخبرني أنس بن مالك أنه كان ابن عشر سنين مقدم رسول الله إلى المدينة، فكنت أعلم الناس بشأن الحجاب حين أنزل في مبتني رسول الله بزينب بنت جحش أصبح رسول الله بها عروساً، فدعا القوم فأصابوا من الطعام حتى خرجوا، وبقي منهم رهط عند رسول الله فأطالوا المكث، فقام رسول الله وخرج، وخرجت معه لكي يخرجوا، فمشى رسول الله ومشيت معه، حتى جاء عتبة حجرة عائشة زوج النبي، ثم ظن رسول الله أنهم قد خرجوا، فرجع ورجعت معه، حتى دخل على زينب، فإذا هم جلوس لم يقوموا، فرجع رسول الله ورجعت معه، فإذا هم قد خرجوا، فضرب بيني وبينه سترأ، وأنزل الحجاب.

حدثنا محمد بن بشار، قال: ثنا ابن أبي عدي، عن حميد، عن أنس، قال: دعوت المسلمين إلى وليمة رسول الله، صبيحة بنى بزينب بنت جحش، فأوسعهم خبزاً ولحماً، ثم رجع كما كان يصنع، فأتى حجر نسانه فلمس عليهن، فدعون له، ورجع إلى بيته وأنا معه فلما انتهينا إلى الباب إذا رجلان قد جرى بهما الحديث في ناحية البيت، فلما أبصرهما ولى راجعاً فلما رآيا النبي ولى عن بيته، ولما مُسرعين، فلا أدري أنا أخبرته، أو أخبر فرجع إلى بيته، فأرعى الستر بيني وبينه، ونزلت آية الحجاب.

حدثنا ابن بشار، قال: ثنا ابن أبي عدي، عن حميد، عن أنس بن مالك، قال: قال عمر بن الخطاب: قلت لرسول الله: لو حجب عن أمهات المؤمنين، فإنه يدخل عليك البر والفاجر، فنزلت آية الحجاب.

حدثني القاسم بن بشر بن معروف، قال: ثنا سليمان بن حرب، قال: ثنا حماد بن زيد، عن أيوب، عن أبي قلاية، عن أنس بن مالك، قال: أنا أعلم الناس بهذه الآية، آية الحجاب لما أهديت زينب إلى رسول الله صنع طعاماً، ودعا القوم، فجاءوا فدخلوا وزينب مع رسول الله في البيت، وجعلوا يتحدثون، وجعل رسول الله يخرج ثم يدخل وهم قعود، قال: فنزلت هذه الآية: يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوت النبي... إلى: فاسألوهن من وراء حجاب قال: فقام القوم وضرب الحجاب.

حدثني عمر بن إسماعيل بن مجالد، قال: ثنا أبي، عن بيان، عن أنس بن مالك، قال: بنى رسول الله بامرأة من نسائه، فأرسلني، فدعوت قوماً إلى الطعام فلما أكلوا وخرجوا، قام رسول الله منطلقاً قبل بيت عائشة، فرأى رجلين جالسين، فانصرف راجعاً، فأنزل الله: يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوت النبي إلا أن يؤذن لكم.

حدثنا عمرو بن علي، قال: ثنا أبو داود، قال: ثنا المسعودي، قال: ثنا ابن نهشل، عن أبي وائل، عن عبد الله، قال: أمر عمر نساء النبي بالحجاب، فقالت زينب: يا بن الخطاب، إنك لتغار علينا، والوحي ينزل في بيوتنا، فأنزل الله: وإذا سألتموهن متاعاً فاسألوهن من وراء حجاب.

حدثني محمد بن مرزوق، قال: ثنا أشهل بن حاتم، قال: ثنا ابن عون، عن عمرو بن سعد، عن أنس، قال: وكنت مع النبي، وكان يمر على نسائه، قال: فأتى بامرأة عروس، ثم جاء وعندها قوم، فانطلق ففضى حاجته، واحتبس وعاد وقد خرجوا قال: فدخل فأرعى بيني وبينه سترأ، قال: فحدثت أبا طلحة، فقال: إن كان كما تقول: لينزلن في هذا شيء، قال: ونزلت آية الحجاب.

وقال آخرون: كان ذلك في بيت أم سلمة. ذكر من قال ذلك: حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة قوله: وَلَكِنْ إِذَا دُعِيتُمْ فَادْخُلُوا فَإِذَا طَعِمْتُمْ فَانْتَشِرُوا وَلَا مُسْتَأْسِينَ لِحَدِيثٍ قال: كان هذا في بيت أم سلمة، قال: أكلوا، ثم أطالوا الحديث، فجعل النبي يدخل ويخرج ويستحي منهم، والله لا يستحي من الحق.

قال: ثنا سعيد، عن قتادة: وإذا سألتموهن متاعاً فاسألوهن من وراء حجاب قال: بلغنا أنهم أمرن بالحجاب عند ذلك.

¹ <http://goo.gl/AiIrmD>

² <http://goo.gl/h2xHTz>

وقوله: إِنَّ دَلَكُمْ كَانَ يُؤْذِي النَّبِيَّ. يقول: إن دخولكم بيوت النبي من غير أن يؤذن لكم، وجلوكم فيها مستأنسين للحديث بعد فراغكم من أكل الطعام الذي دعيتم له، كان يؤذي النبي، فيستحي منكم أن يخرجكم منها إذا قعدتم فيها للحديث بعد الفراغ من الطعام، أو يمنعكم من الدخول إذا دخلتم بغير إذن مع كراهيته لذلك منكم والله لا يَسْتَحْيِي مِنَ الْحَقِّ أَنْ يَتَّبِعِينَ لَكُمْ، وإن استحيا نبيكم فلم يبين لكم كراهية ذلك حياء منكم وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعاً فَاسْأَلُوهُنَّ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ يَقُول: وإذا سألتم أزواج رسول الله ونساء المؤمنين اللواتي لسن لكم بأزواج متاعاً فاسألوهنَّ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ يَقُول: من وراء ستر بينكم وبينهنَّ، ولا تدخلوا عليهنَّ بيوتهنَّ ذَلِكَ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ يَقول تعالى ذكره: سَوَّالِكُمْ إِيَّاهُنَّ الْمَتَاعَ إِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ ذَلِكَ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ مِنْ عَوَارِضِ الْعَيْنِ فِيهَا الَّتِي تَعْرُضُ فِي صُدُورِ الرِّجَالِ مِنْ أَمْرِ النِّسَاءِ، وفي صدور النساء من أمر الرجال، وأخرى من أن لا يكون للشيطان عليكم وعليهنَّ سبيل.

وقد قيل: إن سبب أمر الله النساء بالحجاب، إنما كان من أجل أن رجلاً كان يأكل مع رسول الله وعائشة معهما، فأصابته يدها يد الرجل، فكره ذلك رسول الله. ذكر من قال ذلك:

حدثني يعقوب، قال: ثنا هشيم، عن ليث، عن مجاهد أن رسول الله كان يطعم ومعه بعض أصحابه، فأصابته يد رجل منهم يد عائشة، فكره ذلك رسول الله، فنزلت آية الحجاب.

وقيل: نزلت من أجل مسألة عمر رسول الله. ذكر من قال ذلك:

حدثنا أبو كريب ويعقوب، قالوا: ثنا هشيم، قال: ثنا حميد الطويل، عن أنس، قال: قال عمر بن الخطاب: قلت: يا رسول الله، إن نساءك يدخل عليهنَّ البر والفاجر، فلو أمرتهن أن يحتجبن؟ قال: فنزلت آية الحجاب.

حدثني يعقوب، قال: ثنا ابن علية، قال: ثنا حميد، عن أنس، عن النبي بنحوه.

حدثني أحمد بن عبد الرحمن، قال: ثنا عمرو بن عبد الله بن وهب، قال: ثنا يونس، عن الزهري، عن عروة، عن عائشة قالت: إن أزواج النبي كنَّ يخرجن بالليل إذا تبرزن إلى المناصع وهو صعيد أفيح، وكان عمر يقول: يا رسول الله، احجب نساءك، فلم يكن رسول الله يفعل، فخرجت سودة بنت زمعة، زوج النبي، وكانت امرأة طويلة، فناداها عمر بصوته الأعلى: قد عرفناك يا سودة، حرصاً أن ينزل الحجاب، قال: فأنزل الله الحجاب.

حدثنا ابن وكيع، قال: ثنا ابن نمير، عن هشام بن عروة، عن أبيه، عن عائشة، قالت: خرجت سودة لحاجتها بعد ما ضرب علينا الحجاب، وكانت امرأة تفرع النساء طولاً، فأبصرها عمر، فناداها: يا سودة، إنك والله ما تخفين علينا، فانطري كيف تخرجين، أو كيف تصنعين؟ فانكفات فرجعت إلى رسول الله وإنه ليتعشى، فأخبرته بما كان، وما قال لها، وإن في يده لعرقاً، فأوحى إليه، ثم رفع عنه، وإن العرق لفي يده، فقال: لقد أذن لكن أن تخرجن لحاجتكن.

حدثني أحمد بن محمد الطوسي، قال: ثنا عبد الصمد بن عبد الوارث، قال: ثنا همام، قال: ثنا عطاء بن السائب، عن أبي وائل، عن ابن مسعود، قال: أمر عمر نساء النبي بالحجاب فقالت زينب: يا ابن الخطاب، إنك لتغار علينا والوحي ينزل في بيوتنا؟ فأنزل الله: وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعاً فَاسْأَلُوهُنَّ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ.

حدثني أبو أيوب النهراي سليمان بن عبد الحميد، قال: ثنا يزيد بن عبد ربه، قال: ثنا ابن حرب، عن الزبيدي، عن الزهري، عن عروة، عن عائشة أن أزواج النبي كنَّ يخرجن بالليل إذا تبرزن إلى المناصع وهو صعيد أفيح وكان عمر بن الخطاب يقول لرسول الله: احجب نساءك، فلم يكن رسول الله يفعل، فخرجت سودة بنت زمعة زوج النبي ليلة من الليالي عشاء، وكانت امرأة طويلة، فناداها عمر بصوته الأعلى: قد عرفناك يا سودة، حرصاً على أن ينزل الحجاب، قالت عائشة: فأنزل الله الحجاب، قال الله: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا... الآية.

وقوله: وَمَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُؤْذُوا رَسُولَ اللَّهِ يَقول تعالى ذكره: وما ينبغي لكم أن تؤذوا رسول الله، وما يصلح ذلك لكم وَلَا أَنْ تُتَّكَبَرُوا أَرْوَاجَهُ مِنْ بَعْدِهِ أَبَداً يَقول: وما ينبغي لكم أن تتكبحوا أزواجه من بعده أبداً لأنهنَّ أمهاتكم، ولا يحل للرجل أن يتزوج أمه.

وذكر أن ذلك نزل في رجل كان يدخل قبل الحجاب، قال: لئن مات محمد لأتزوجن امرأة من نسائه سماها، فأنزل الله تبارك وتعالى في ذلك: وَمَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُؤْذُوا رَسُولَ اللَّهِ وَلَا أَنْ تُتَّكَبَرُوا أَرْوَاجَهُ مِنْ بَعْدِهِ أَبَداً. ذكر من قال ذلك:

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد: يا أيها النبي قل لأزواجك وبناتك ونساء المؤمنين، لا يتشبهن بالإماء في لباسهن إذا هن خرجن من بيوتهن لحاجتهن، فكشفن شعورهن ووجوههن، ولكن ليدنين عليهن من جلابيبن، لنلا يعرض لهن فاسق، إذا علم أنه حرائر بأذى من قول. ثم اختلف أهل التأويل في صفة الإنداء الذي أمرهن الله به، فقال بعضهم: هو أن يغطين وجوههن ورؤوسهن، فلا يبدن منهن إلا عينا واحدة. ذكر من قال ذلك:

حدثني علي، قال: ثنا أبو صالح، قال: ثني معاوية، عن علي، عن ابن عباس، قوله: يا أيها النبي قل لأزواجك وبناتك ونساء المؤمنين يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِنْ جَلَابِيِبِهِنَّ أمر الله نساء المؤمنين إذا خرجن من بيوتهن في حاجة أن يغطين وجوههن من فوق رؤوسهن بالجلابيب، ويبدين عينا واحدة. حدثني يعقوب، قال: ثنا ابن علية، عن ابن عون، عن محمد، عن غبيدة في قوله: يا أيها النبي قل لأزواجك وبناتك ونساء المؤمنين يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِنْ جَلَابِيِبِهِنَّ فلبسها عندنا ابن عون، قال: ولبسها عندنا محمد، قال محمد: ولبسها عندي عبدة قال ابن عون بردائه، فتتق به، فغطى أنفه وعينه اليسرى، وأخرج عينه اليمنى، وأدنى رداءه من فوق حتى جعله قريبا من حاجبه أو على الحاجب. حدثني يعقوب، قال: ثنا هشيم، قال: أخبرنا هشام، عن ابن سيرين، قال: سألت عبدة، عن قوله: قل لأزواجك وبناتك ونساء المؤمنين يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِنْ جَلَابِيِبِهِنَّ قال: فقال بثوبه، فغطى رأسه ووجهه، وأبرز ثوبه عن إحدى عينيه.

وقال آخرون: بل أمرن أن يشدن جلابيبن على جباههن. ذكر من قال ذلك:

حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس، قوله: يا أيها النبي قل لأزواجك وبناتك ونساء المؤمنين يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِنْ جَلَابِيِبِهِنَّ.... إلى قوله: وكان الله غفورا رحيما قال: كانت الحرّة تلبس لباس الأمة، فأمر الله نساء المؤمنين أن يدنين عليهن من جلابيبن وإنداء الجلباب: أن تقنع وتشد على جبينها.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله: يا أيها النبي قل لأزواجك وبناتك ونساء المؤمنين أخذ الله عليهن إذا خرجن أن يقنعن على الحواجب ذلك أدنى أن يُعْرَفْنَ فلا يُؤْذَيْن وقد كانت المملوكة إذا مّرت تناولوها بالإيداء، فهى الله الحرائر أن يتشبهن بالإماء.

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء، جميعا عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، قوله: يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِنْ جَلَابِيِبِهِنَّ يتجلبن فيعلم أنهن حرائر فلا يعرض لهن فاسق بأذى من قول ولا ريبة.

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا حكام، عن عنبسة، عن حدثه، عن أبي صالح، قال: قدم النبي المدينة على غير منزل، فكان نساء النبي وغيرهن إذا كان الليل خرجن يقضين حوائجهن، وكان رجال يجلسون على الطريق للغزل، فانزل الله: يا أيها النبي قل لأزواجك وبناتك ونساء المؤمنين يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِنْ جَلَابِيِبِهِنَّ يقنعن بالجلباب حتى تعرف الأمة من الحرّة.

وقوله: ذلك أدنى أن يُعْرَفْنَ فلا يُؤْذَيْن يقول تعالى ذكره: إندائهن جلابيبن إذا أدنينها عليهن أقرب وأحرى أن يعرفن ممن مررن به، ويعلموا أنهن لسن باماء، فينتگبوا عن أذاهن بقول مكروه، أو تعرض بريبة وكان الله غفورا لما سلف منهن من تركهن إنداءهن الجلابيب عليهن رحيما بهن أن يعاقبن بعد توبتهن بادناء الجلابيب عليهن.

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد: وَقُلْ يَا مُحَمَّدُ لِلْمُؤْمِنَاتِ مِنْ أَمَتِكَ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ عَمَّا يَكْرَهُ اللَّهُ النَّظَرَ إِلَيْهِ مِمَّا نَهَاكَمُ عَنِ النَّظَرِ إِلَيْهِ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ يَقُول: ويحفظن فروجهن على أن يراها من لا يحل له رؤيتها، بلبس ما يسترها عن أبصارهم.

وقوله: وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ يقول تعالى ذكره: وَلَا يُظْهَرْنَ لِلنَّاسِ الَّذِينَ لَبَسُوا لَهْنَ بِمَحْرَمِ زِينَتَهُنَّ، وهما زينتَان: إحداهما: ما خفي، وذلك كالحُلَّال والسَّوَارِين والقُرْطِين والقلائد. والأخرى: ما ظهر منها، وذلك مختلف في المعنى منه بهذه الآية، فكان بعضهم يقول: زينة الثياب الظاهرة. ذكر من قال ذلك:

¹ <http://goo.gl/Fv2tF6>

² <http://goo.gl/yleUQF>

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا هارون بن المغيرة، عن الحجاج، عن أبي إسحاق، عن أبي الأحوص، عن ابن مسعود، قال: الزينة زيتان: فالظاهرة منها الثياب، وما خفي: الخلخالان والقرطان والسواران. حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: أخبرني الثوري، عن أبي إسحاق الهمداني، عن أبي الأحوص، عن عبد الله، أنه قال: وَلَا يُبْدَيْنَ زَيْنَتُهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا: قال: هي الثياب. حدثنا ابن المثنى، قال: ثنا محمد بن جعفر، قال: ثنا شعبة، عن أبي إسحاق، عن أبي الأحوص، عن عبد الله، قال: وَلَا يُبْدَيْنَ زَيْنَتُهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا: قال: الثياب. حدثنا ابن بشار، قال: ثنا عبد الرحمن، قال: ثنا سفيان، عن أبي إسحاق، عن أبي الأحوص، عن عبد الله، مثله.

قال: ثنا سفيان، عن الأعمش، عن مالك بن الحارث، عن عبد الرحمن بن زيد، عن عبد الله، مثله. قال: ثنا سفيان، عن علقمة، عن إبراهيم، في قوله: وَلَا يُبْدَيْنَ زَيْنَتُهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا: قال: الثياب. حدثني يعقوب، قال: ثنا ابن عليه، قال: أخبرنا بعض أصحابنا إما يونس، وإما غيره عن الحسن، في قوله: إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا: قال: الثياب. حدثنا الحسن، قال: أخبرنا عبد الرزاق، قال: أخبرنا معمر، عن أبي إسحاق، عن أبي الأحوص، عن عبد الله: إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا: قال: الثياب. قال أبو إسحاق: ألا ترى أنه قال: خُذُوا زَيْنَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ؟

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، قال: ثنا محمد بن الفضل، عن الأعمش، عن مالك بن الحارث، عن عبد الرحمن بن زيد، عن ابن مسعود: إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا: قال: هو الرداء. وقال آخرون: الظاهر من الزينة التي أبيح لها أن تبدي: الكحل، والخاتم، والسواران، والوجه. ذكر من قال ذلك:

حدثنا أبو كريب، قال: ثنا مروان، قال: ثنا مسلم المَلَانِي، عن سعيد بن جُبَيْر، عن ابن عباس: وَلَا يُبْدَيْنَ زَيْنَتُهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا: قال: الكحل والخاتم. حدثنا عمرو بن عبد الحميد الأُمَلِي، قال: ثنا مروان، عن مسلم المَلَانِي، عن سعيد بن جُبَيْر، مثله، ولم يذكر ابن عباس. حدثنا ابن حميد، قال: ثنا هارون، عن أبي عبد الله نهشل، عن الضحاك، عن ابن عباس، قال: الظاهر منها: الكحل والخَدَّان.

حدثنا ابن بشار، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا سفيان، عن عبد الله بن مسلم بن هُرْمَز، عن سعيد بن جُبَيْر، في قوله: وَلَا يُبْدَيْنَ زَيْنَتُهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا: قال: الوجه والكف. حدثنا عمرو بن عبد الحميد، قال: ثنا مروان بن معاوية، عن عبد الله بن مسلم بن هُرْمَز المَكِّي، عن سعيد بن جُبَيْر، مثله. حدثني علي بن سهل، قال: ثنا الوليد بن مسلم، قال: ثنا أبو عمرو، عن عطاء في قول الله: وَلَا يُبْدَيْنَ زَيْنَتُهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا: قال: الكَفَّان والوجه.

حدثنا ابن بشار، قال: ثنا ابن أبي عدي عن سعيد، عن قتادة قال: الكحل، والسواران والخاتم. حدثني علي، قال: ثنا عبد الله، قال: ثني معاوية، عن علي، عن ابن عباس، قوله: وَلَا يُبْدَيْنَ زَيْنَتُهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا: قال: والزينة الظاهرة: الوجه، وكحل العين، وخضاب الكف، والخاتم فهذه تظهر في بيتها لمن دخل من الناس عليها.

حدثنا الحسن، قال: أخبرنا عبد الرزاق، قال: أخبرنا معمر، عن قتادة: وَلَا يُبْدَيْنَ زَيْنَتُهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا قال: المسكتان والخاتم والكحل. قال قتادة: وبلغني أن النبي قال: لا يحل لامرأة تؤمن بالله واليوم الآخر أن تُخْرِجَ يَدَهَا إِلَّا إِلَى هَا هُنَا وقبض نصف الذراع. حدثنا الحسن، قال: أخبرنا عبد الرزاق، قال: أخبرنا معمر، عن الزهري، عن رجل، عن المسور بن مخرمة، في قوله: إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا: قال: القلبين، والخاتم، والكحل: يعني السوار.

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جُرَيْج، قال: قال ابن عباس، قوله: وَلَا يُبْدَيْنَ زَيْنَتُهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا: قال: الخاتم والمسكة. قال ابن جُرَيْج، وقالت عائشة: القُلْب والفتحة، قالت عائشة: دخلت علي ابنة أخي لأمي عبد الله بن الطفيل مزيئة، فدخل النبي، فأعرض، فقالت عائشة: يا رسول الله إنها ابنة أخي وجارية. فقال: إذا عَزَكَت المرأة لم يحل لها أن تظهر إلا وَجْهها، وإلا ما دون هذا، وقبض

على ذراع نفسه، فترك بين قبضته وبين الكفّ مثل قبضة أخرى. وأشار به أبو علي قال ابن جريج، وقال مجاهد: قوله: إلا ما ظهر منها قال: الكحل والخضاب والخاتم. حدثنا ابن حميد، قال: ثنا جرير، عن عاصم، عن عامر: إلا ما ظهر منها قال: الكحل، والخضاب، والثياب. حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: ولا يُبْدِيَنَّ زِينَتَهُنَّ إلا ما ظهر منها من الزينة: الكحل، والخضاب والخاتم هكذا كانوا يقولون وهذا يراه الناس. حدثني ابن عبد الرحيم البرقي، قال: ثنا عمر بن أبي سلمة، قال: سئل الأوزاعي عن: ولا يُبْدِيَنَّ زِينَتَهُنَّ إلا ما ظهر منها قال: الكفّين والوجه. حدثنا عمرو بن بندق، قال: ثنا مروان، عن جوبير، عن الضحاك في قوله: ولا يُبْدِيَنَّ زِينَتَهُنَّ قال: الكفّ والوجه.

وقال آخرون: عني به الوجه والثياب.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: ثنا المعتمر، قال: قال يونس: ولا يُبْدِيَنَّ زِينَتَهُنَّ إلا ما ظهر منها قال الحسن: الوجه والثياب.

حدثنا ابن بشار، قال: ثنا ابن أبي عديّ، وعبد الأعلى، عن سعيد، عن قتادة، عن الحسن، في قوله: ولا يُبْدِيَنَّ زِينَتَهُنَّ إلا ما ظهر منها قال: الوجه والثياب.

وأولى الأقوال في ذلك بالصواب: قول من قال: غني بذلك الوجه والكفان، يدخل في ذلك إذا كان كذلك: الكحل، والخاتم، والسوار، والخضاب.

وإنما قلنا ذلك أولى الأقوال في ذلك بالتأويل، لإجماع الجميع على أن على كلّ مصل أن يستر عورته في صلاته، وأن للمرأة أن تكشف وجهها وكفيها في صلاتها، وأن عليها أن تستر ما عدا ذلك من بدنّها إلا ما روي عن النبيّ أنه أباح لها أن تبديّه من ذراعها إلى قدر النصف. فإذا كان ذلك من جميعهم إجماعاً، كان معلوماً بذلك أن لها أن تبدي من بدنّها ما لم يكن عورة كما ذلك للرجال لأن ما لم يكن عورة فغير حرام إظهاره. وإذا كان لها إظهار ذلك، كان معلوماً أنه مما استثناه الله تعالى ذكره بقوله: إلا ما ظهر منها، لأن كل ذلك ظاهر منها.

وقوله: وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَى جُيُوبِهِنَّ يقول تعالى ذكره: وليلقين خُمُرَهُنَّ، وهي جمع خمار، على جيوبهنَّ، ليسترن بذلك شعورهنَّ وأعناقهنَّ وقُرْطُهنَّ.

حدثنا ابن وكيع، قال: ثنا زيد بن حباب، عن إبراهيم بن نافع، قال: ثنا الحسن بن مسلم بن يناق، عن صفية بنت شيبة، عن عائشة، قالت: لما نزلت هذه الآية: وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَى جُيُوبِهِنَّ قال: شققن البرد مما يلي الحواشي، فاخترن به.

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، أن قرّة بن عبد الرحمن، أخبره، عن ابن شهاب، عن عروة، عن عائشة زوج النبيّ أنها قالت: يرحم الله النساء المهاجرات الأول لما أنزل الله: وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَى جُيُوبِهِنَّ شققن مروطهنَّ، فاخترن به.

وقوله: وَلَا يُبْدِيَنَّ زِينَتَهُنَّ إلا لِبُعُولَتِهِنَّ يقول تعالى ذكره: وَلَا يُبْدِيَنَّ زِينَتَهُنَّ التي هي غير ظاهرة بل الخفية منها، وذلك الخلخال والقرط والمُلَجّ، وما أمرت بتغطيته بخمارها من فوق الجيب، وما وراء ما أبيح لها كشفه وإبرازه في الصلاة وللأجنبيّين من الناس، والذراعين إلى فوق ذلك، إلا لبُعُولَتِهِنَّ. وبنحو الذي قلنا في تأويل ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا ابن بشار، قال: ثنا عبد الرحمن، قال: ثنا سفيان، عن منصور، عن طلحة بن مُصَرِّف، عن إبراهيم: وَلَا يُبْدِيَنَّ زِينَتَهُنَّ إلا لِبُعُولَتِهِنَّ أو آبائهنَّ قال: هذه ما فوق الذراع.

حدثنا ابن المثنى، قال: ثنا محمد بن جعفر، قال: ثنا شعبة، عن منصور، قال: سمعت رجلاً يحدث عن طلحة، عن إبراهيم، قال في هذه الآية: وَلَا يُبْدِيَنَّ زِينَتَهُنَّ إلا لِبُعُولَتِهِنَّ أو آبائهنَّ أو آباء بُعُولَتِهِنَّ قال: ما فوق الجيب. قال شعبة: كتب به منصور إلّٰي، وقرأته عليه.

حدثني يعقوب، قال: ثنا ابن عليّة، عن سعيد بن أبي عروبة، عن قتادة، في قوله: وَلَا يُبْدِيَنَّ زِينَتَهُنَّ إلا لِبُعُولَتِهِنَّ قال: تبدي لهؤلاء الرأس.

حدثني علي، قال: ثنا أبو صالح، قال: ثني معاوية، عن علي، عن ابن عباس، قال: وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ... إلى قوله: عَوْرَاتِ النِّسَاءِ قال: الزينة التي يبدينها لهؤلاء: قرطها وقلايتها وسوارها، فأما خلخالها ومغصداها ونحرها وشعرها فإنه لا تبديها إلا لزوجها.

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، قال: قال ابن جريج، قال ابن مسعود، في قوله: وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ قال: الطوق والقرطين، يقول الله تعالى ذكره: قل للمؤمنات الحرائر لا يظهرن هذه الزينة الخفية التي ليست بالظاهرة إلا لبعولتهن، وهم أزواجهن، واحدهم: بعل، أو لأبائهن، أو لأبائهن بعولتهن يقول أو لأبائهن أزواجهن أو لابنائهن لبناء بعولتهن، أو لإخوانهن، أو لبني إخوانهن. يعني بقوله: أَوْ لِإِخْوَانِهِنَّ أَوْ لِأَخْوَاتِهِنَّ، أو لبني إخوانهن، أو بنات أخواتهن، أو نسائهن. قيل: غني بذلك نساء المسلمين.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج، قوله: أَوْ نَسَائِهِنَّ قال: بلغني أنهن نساء المسلمين، لا يحل لمسلمة أن ترى مشركة غريبتها إلا أن تكون أمة لها، فذلك قوله: أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ. قال: ثني الحسين، قال: ثني عيسى بن يونس، عن هشام بن الغازي، عن عباد بن نسي، أنه كره أن تقبل النصرانية المسلمة، أو ترى عورتها، ويتأول: أو نسائهن.

قال: ثنا عيسى بن يونس، عن هشام، عن عباد، قال: كتب عمر بن الخطاب إلى أبي عبيدة بن الجراح رحمة الله عليهما: أما بعد، فقد بلغني أن نساء يدخلن الحمامات ومعهن نساء أهل الكتاب، فامنع ذلك وحلّ دونه قال: ثم إن أبا عبيدة قام في ذلك المقام ميتها: اللهم أيما امرأة تدخل الحمام من غير علة ولا سقم تريد البياض لوجهها، فسود وجهها يوم تبيض الوجه.

وقوله: أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ اختلف أهل التأويل في تأويل ذلك، فقال بعضهم: أو مماليكهن، فإنه لا بأس عليها أن تظهر لهن من زينتها ما تظهره لهؤلاء.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج، قال: أخبرني عمرو بن دينار، عن مخلد التميمي، أنه قال، في قوله: أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ قال: في القراءة الأولى: أيمانكم.

وقال آخرون: بل معنى ذلك: أو ما ملكت أيمانهن من إماء المشركين، كما قد ذكرنا عن ابن جريج قبل من أنه لما قال: أَوْ نَسَائِهِنَّ عَنِ بَهْنِ النِّسَاءِ المسلمات دون المشركات، ثم قال: أو ما ملكت أيمانهن من الإماء المشركات.

يقول تعالى ذكره: وَالَّذِينَ يَتَّبِعُونَكُمْ لَطْعَامُ يَأْكُلُونَهُ عِنْدَكُمْ، ممن لا أرب له في النساء من الرجال، ولا حاجة إليهن، ولا يريدن.

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس، قوله: أَوْ التَّابِعِينَ غير أولى الإربة من الرجال قال: كان الرجل يتبع الرجل في الزمان الأول لا يغار عليه ولا ترهب المرأة أن تضع خمارها عنده، وهو الأحق الذي لا حاجة له في النساء.

حدثني علي، قال: ثنا أبو صالح، قال: ثني معاوية، عن علي، عن ابن عباس، قوله: أَوْ التَّابِعِينَ غير أولى الإربة من الرجال فهذا الرجل يتبع القوم، وهو مُعَقَّلٌ في عقله، لا يكثر للنساء ولا يشتهيهن، فالزينة التي تبديها لهؤلاء: قرطها وقلايتها وسوارها وأما خلخالها ومغصداها ونحرها وشعرها، فإنها لا تبديها إلا لزوجها.

حدثنا الحسن، قال: أخبرنا عبد الرزاق، قال: أخبرنا معمر، عن قتادة، في قوله: أَوْ التَّابِعِينَ قال: هو التابع يتبعك يصيب من طعامك.

حدثنا ابن بشار، قال: ثنا عبد الرحمن، قال: ثنا إسماعيل بن عُلَيْيَةَ، عن ابن أبي نجیح، عن مجاهد: أو التَّابِعِينَ غير أولى الإربة من الرجال قال: الذي يريد الطعام ولا يريد النساء.

قال: ثنا عبد الرحمن، قال: ثنا سفيان، عن ابن أبي نجیح، عن مجاهد، مثله.

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء جميعاً، عن ابن أبي نجیح، عن مجاهد، قوله: أَوْ التَّابِعِينَ غير أولى الإربة من الرجال الذين لا يهتمهم إلا بطونهم، ولا يخافون على النساء.

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جُرَيْج، عن مجاهد، مثله.

حدثنا إسماعيل بن موسى السُّدِّي، قال: ثنا شريك، عن منصور، عن مجاهد، في قوله: غير أولى الإزبة قال: الأبله.

حدثنا أبو كريب، قال: ثنا ابن إدريس، قال: سمعت ليثاً، عن مجاهد، قوله: غير أولى الإزبة قال: هو الأبله، الذي لا يعرف شيئاً من النساء.

حدثني يعقوب، قال: ثنا ابن عُليّة، قال: ثنا ابن أبي نجيح، عن مجاهد، في قوله: غير أولى الإزبة من الرجال الذي لا أرب له بالنساء مثل فلان.

حدثنا أبو كريب، قال: ثنا ابن عطية، قال: ثنا إسرائيل، عن أبي إسحاق عمن حدثه، عن ابن عباس: غير أولى الإزبة قال: هو الذي لا تستحي منه النساء.

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا جرير، عن مُغيرة، عن الشعبي: غير أولى الإزبة قال: من تبع الرجل وحشمه الذي لم يبلغ أربه أن يطلع على غورة النساء.

حدثنا ابن بشار، قال: ثنا يحيى بن سعيد، عن شعبة، عن المغيرة، عن الشعبي: غير أولى الإزبة قال: الذي لا أرب له في النساء.

قال: ثنا عبد الرحمن، قال: ثنا حماد بن سلمة، عن عطاء بن السائب، عن سعيد بن جبير، قال: المعتوه.

حدثنا الحسن، قال: أخبرنا عبد الرزاق، عن معمر، عن الزهري في قوله: أو التابعين غير أولى الإزبة من الرجال قال: هو الأحمق، الذي لا همة له بالنساء ولا أرب.

وبه عن معمر، عن ابن طائوس، عن أبيه، في قوله: غير أولى الإزبة من الرجال يقول: الأحمق، الذي ليست له همة في النساء.

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جُرَيْج، قال: قال ابن عباس: الذي لا حاجة له في النساء.

حدثني يونس، أقال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: أو التابعين غير أولى الإزبة من الرجال قال: هو الذي يتبع القوم، حتى كأنه كان منهم ونشأ فيهم، وليس يتبعهم لإزبة نساءهم، وليس له في نساءهم إزبة، وإنما يتبعهم لإرفاقهم إياه.

حدثنا الحسن، قال: أخبرنا عبد الرزاق، قال: أخبرنا معمر، عن الزهري، عن عروة، عن عائشة قالت: كان رجل يدخل على أزواج النبي مُخَنَّث، فكانوا يعدونه من غير أولي الإزبة، فدخل عليه النبي يوماً وهو عند بعض نساءه وهو ينعت امرأة، فقال: إنها إذا أقبلت أقبلت بأربع، وإذا أدبرت أدبرت بثمان. فقال النبي: لا أرى هذا يعلم ما ها هنا، لا يدخلُ هذا عليكم فحجّبوه.

حدثني سعد بن عبد الله بن عبد الحكم المصري، قال: ثنا حفص بن عمر العدني، قال: ثنا الحكم ابن أبان، عن عكرمة في قوله: أو التابعين غير أولى الإزبة قال: هو المُخَنَّث الذي لا يقوم ربه.

واختلف القراء في قوله: غير أولي الإزبة فقرأ ذلك بعض أهل الشام وبعض أهل المدينة والكوفة: غير أولى الإزبة بنصب غير ولنصب غير ها هنا وجهان: أحدهما على القطع من التابعين، لأن التابعين معرفة وغير نكرة، والآخر على الاستثناء، وتوجيه غير إلى معنى إلا، فكأنه قيل: إلا.

وقرأ غير من ذكرت بخفض غير على أنها نعت للتابعين، وجاز نعت التابعين بغير والتابعون معرفة وغير نكرة، لأن التابعين معرفة غير مؤقتة. فتأويل الكلام على هذه القراءة: أو الذين هذه صفتهم.

والقول في ذلك عندي أنهما قراءتان متقاربتا المعنى مستفيضتا القراءة بهما في الأمصار، فبأيتهما قرأ القارئ فمصيب، غير أن الخفض في غير أقوى في العربية، فالقراءة به أعجب إليّ. والإزبة: الفعلة من الأرب، المثل الجلسة من الجلوس، والمشية من المشي، وهي الحاجة يقال: لا أرب لي فيك: لا حاجة لي فيك وكذا أربث لكذا وكذا: إذا احتجت إليه، فإنا أرب له أرباً. فإما الأزبة، بضم الألف: فالعقدة.

وقوله: أو الطفل الذين لم يظهروا على عورات النساء يقول تعالى ذكره: أو الطفل الذين لم يكتشفوا عن عورات النساء بجماعهن فيظهرهن عليهن لصغرهن.

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثني محمد، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء جميعاً، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، قوله: على عورات النساء قال: لم يذروا ما ثم، من الصغر قبل الخلع.

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج، عن مجاهد، مثله.
وقوله: وَلَا يَضْرِبَنَّ بَأْرَجُلَهُنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِنْ زِينَتِهِنَّ يَقُولُ تعالى ذكره: وَلَا يَجْعَلْنَ فِي أَرْجُلِهِنَّ مِنَ الْخُلْيِ مَا إِذَا مَشَيْنَ أَوْ حَرَكْنَهُنَّ عِلْمَ النَّاسِ الَّذِينَ مَشِينَ بَيْنَهُمْ مَا يَخْفَيْنَ مِنْ ذَلِكَ.
وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.
ذكر من قال ذلك:

حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: ثنا المعتمر، عن أبيه، قال: زعم حَضْرَمِي أن امرأة اتخذت بُرْتَيْنِ من فضة، واتخذت جُرْعاً، فمرت على قوم، فضربت برجلها، فوقع الخلل على الجُرْع، فصوت فأنزل الله: وَلَا يَضْرِبَنَّ بَأْرَجُلَهُنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِنْ زِينَتِهِنَّ.

حدثنا ابن بشار، قال: ثنا عبد الرحمن، قال: ثنا سفيان، عن السدي، عن أبي مالك: وَلَا يَضْرِبَنَّ بَأْرَجُلَهُنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِنْ زِينَتِهِنَّ قال: كان في أرجلهم خرز، فكأن إذا مررن بالمجالس حركن أرجلهن ليعلم ما يخفين من زينتهن.

حدثني علي، قال: ثنا عبد الله، قال: ثني معاوية، عن علي، عن ابن عباس: وَلَا يَضْرِبَنَّ بَأْرَجُلَهُنَّ فَهُوَ أَنْ تَقْرَعَ الْخَلْخَالُ بِالْأَخْرِ عِنْدَ الرِّجَالِ، ويكون في رجليها خلخل فتحرّكهن عند الرجال، فنهى الله سبحانه وتعالى عن ذلك لأنه من عمل الشيطان.

حدثنا الحسن، قال: أخبرنا عبد الرزاق، قال: أخبرنا معمر، عن قتادة: وَلَا يَضْرِبَنَّ بَأْرَجُلَهُنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِنْ زِينَتِهِنَّ قال: هو الخلل، لا تضرب امرأة برجلها ليسمع صوت خلخالها.

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: وَلَا يَضْرِبَنَّ بَأْرَجُلَهُنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِنْ زِينَتِهِنَّ قال: الأجراس من خليهن يجعلنها في أرجلهن في مكان الخلخل، فنهاهن الله أن يضربن بأرجلهن لتسمع تلك الأجراس.

السجستاني¹
توفي عام 941 - سنّي
نزهة القلوب أو غريب القرآن

فقرات من التفسير

هـ-33\90: 253

إناء بلوغ وقته، ويقال. أنى يأنى، وأن يئين، بمنزلة حان يحين.

هـ-33\90: 359

جلابيب: ملاحف، واحدا جلابب.

هـ-24\102: 431

خُمْرهنّ: جمع خمار، وهي المقنعة، سميت بذلك لأن الرأس يخمر بها أي يغطى. وكل شيء غطيته فقد خمرته. والخمر: ما وراك من شجر الأُرْبَةِ الحاجة.

¹ <http://goo.gl/RHK2SC>

² <http://goo.gl/EamUNA>

³ <http://goo.gl/y7ONvq>

⁴ <http://goo.gl/TMSIfP>

فقرات من التفسير

هـ 33\90: 253

وقوله: وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعًا فَاسْأَلُوهُنَّ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ ذَلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ.
جائز أن يكون المعنى الذي يكون أظهر لقلوب الرجال غير المعنى الذي يكون أظهر لقلوبهن: ذلك المعنى الذي يكون أظهر لقلوبهم: من الفجور والهم لقضاء الشهوة، وما تدعوه النفس إليه، أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ: من العداوة والضغينة، لا الفجور وقضاء الشهوة؛ وذلك أنهم قد عرفن أنهم لا يحلن لغيره نكاحاً؛ لما اخترنه والدار الآخرة على الدنيا وزينتها، وقد أوعن بارتكاب الفاحشة العذاب ضعفين، على ما ذكر، وذلك يمنعهن ويزجرهن عن ارتكاب ذلك فإذا كان كذلك، فإذا عرفن من الداخلين عليهن والناظرين إليهن نظر الشهوة وقع في قلوبهن لهم العداوة والضغينة؛ فيقول: السؤال من وراء الحجاب أظهر لقلوبكم من الفجور والريبة وأظهر لقلوبهن من العداوة والضغينة، والله أعلم.
وجائز أن يكون ذلك واحداً، وهو الريبة والفجور؛ لما مكن فيهن من الشهوات، وركب فيهن من فضل الدواعي إلى ذلك، والله أعلم.

وقوله: لَا جُنَاحَ عَلَيْهِنَّ فِي آبَائِهِنَّ.
أي: لا حرج ولا مآثم على النساء في دخول من ذكر عليهن بلا إذن ولا حجاب من آبائهن ولا أبنائهن ولا إخوانهن ولا أبناء إخوانهن ولا أبناء أخواتهن ولا نسائهن.
ذكر هؤلاء، ولم يذكر الأعمام ولا الأخوال؛ فقال بعضهم: إنما لم يذكر هؤلاء، ولم يبيح لهم في ذلك؛ لأنهم يحلن بالنكاح لأولاد الأعمام والأخوال، فإذا دخلوا عليهن، فأروهن متجردات متزينات؛ فيصفوهن لأولادهم، وقد يصف الرجل لولده حسن المرأة وقبحها؛ فينزل وصفهم إياهن لأولادهم منزلة رؤيتهم بأنفسهم؛ فيزيد لهم رغبة فيهن أو رهبة عنهن، والله أعلم.
وقال بعضهم: إنما لم يذكر الأعمام والأخوال؛ لما في ذكر المذكور من بني الإخوة وبني الأخوات غنى عن ذكر الأعمام والأخوال؛ لأنهم جميعاً من جنس واحد ومن نوع واحد في معنى واحد، وقد يكتفى بذكر طرف من الجنس؛ إذا كان في معنى المذكور، نحو ما ذكر من أجناس المحرمات على الإبلاغ، وترك من كل جنس شيئاً لم يذكره؛ إذ الذي لم يذكره هو في معنى المذكور؛ ففي ذكر من ذكر غنى عن الذي لم يذكر؛ فعلى ذلك في ذكر بني الإخوة وبني الأخوات غنى عن ذكر الأعمام والأخوال؛ إذ هم في معناهم، والله أعلم.
وجائز أن يكون لم يبيح الدخول للأعمام والأخوال؛ لأنهم إذا دخلوا عليهن فأروهن متجردات؛ ففعل بصرهم يقع على فروجهن؛ فينظر إليها بشهوة؛ فيحرم من على أولادهم، وهم إذا تزوجوهن لم يعلموا أنهم محرمات عليهن؛ فمنع دخول الأعمام والأخوال عليهن لذلك، والله أعلم.
وقوله: وَلَا نَسَائِهِنَّ، قال بعضهم: أي: نساء المسلمات، يقول: خص نساء المسلمات، وأباح لهن الدخول عليهن بلا إذن، وأن يرينهن متزينات، ولم يبيح ذلك لليهوديات والنصرانيات وأمثالهن؛ مخافة أن يصفن ذلك لأهل دينهن؛ فيكون ذلك سبب افتتانهم بهن والرغبة فيهن، والله أعلم.
وقال بعضهم: نساؤهن: قراباتهن، خص هؤلاء من بين غيرهن من الأجنبيةات، وذلك يحتمل وجهين: أحدهما: ما ذكرنا من خوف وصف الأجنبيةات لأزواجهن والمتصلين بهن؛ من حسنهن وزينتهن إذا رأينهن متجردات متزينات، ولا يخاف ذلك من قراباتهن.
والثاني: خص القرابات؛ لما بهن ابتلاء، وليس بالأجنبيات ذلك، وقد يخفف الحكم ربما فيما فيه الابتلاء، ويغلظ فيما هو أخف منه ودونه؛ إذا لم يكن فيه ابتلاء؛ وعلى ذلك جائز أن يقال: إن الأعمام والأخوال لم يذكروا في الآية والرخصة؛ لأنه ليس بهم ابتلاء، وبمن ذكر ابتلاء، والله أعلم.
وقوله: وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ.

¹ <https://goo.gl/3jDPKy>

² <http://goo.gl/VibU5O>

يحتمل الإمام خاصة؛ كقوله:

وَالَّذِينَ هُمْ لِأَرْوَاجِهِمْ حَافِظُونَ * إِلَّا عَلَى أَرْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمُ الْمُؤْمِنُونَ: 5-6: لم يفهموا منه سوى الإمام؛ فعلى ذلك جاز أن يكون المفهوم في قوله: وَلَا مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمُ الإمام، ويحتمل الإمام والعبيد جميعاً؛ فإن كان على الإمام والعبيد جميعاً، فذلك - والله أعلم - إنما أباح الدخول للعبيد على مولاتهم بلا إذن؛ لأنهم إنما يدخلون عليهم عند حاجاتهم إليهم في أوقات معلومة، وهن في تلك الأوقات يكنّ متأهبات لدخولهم عليهم محجبات عنهم؛ وعلى ذلك يخرج ما روى أن مكاتبا لعائشة أم المؤمنين 1- كان يدخل عليها، فلما أدى فعتق منعتة من الدخول عليها، وهو لما ذكرنا: أنه كان يدخل عليها لوقت حاجتها إليه، وهي كانت متأهبة لدخوله عليها، وإلا لا يحتمل أن يكون يدخل عليها ويراهها متجردة أو متزينة؛ بعدما أمرن بالاحتجاب؛ فعلى ذلك العبيد لا يحل لهم النظر إلى مولاتهم ولا يكونون محرماً لهن. أو إن احتمل الآية العبيد؛ فهم بالإذن يدخلون لا بغير إذن؛ فيكون الإذن مضمراً فيه. ثم قال: وَاتَّقِينَ اللَّهَ.

فيما ذكر من إباحة دخول من لم يبح دخوله عليهم والنظر إليهن. إنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيداً، هذا تحذير وتوعيد لهن، والله أعلم.

هـ-33\90: 159

يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لَأَرْوَاجُكُمْ وَبَنَاتُكُمْ وَنِسَاءُ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِنْ جَلَابِيبِهِنَّ ذَلِكَ أَدْنَى أَنْ يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَ. وقال بعضهم: نزل هذا بالمدينة في نساء المهاجرين؛ وذلك أن المهاجرين قدموا إلى المدينة، وهي مضيق، ومعهم نسائهم؛ فنزلوا مع الأنصار في ديارهم؛ فضاق الدور عليهم، فكانت النساء يخرجن بالليل إلى البراز، فيقضين حوائجنهن هنالك، فكان المريب يرصد النساء بالليل، فيأتيها فيعرض عليها، وإنما كانوا يطلبون الولائد والإماء، فلم تعرف الأمة من الحرة بالليل؛ لأن زيهن كان واحداً يومئذ؛ فذكر نساء المؤمنين ذلك إلى أزواجهن ما يلقين بالليل من أهل الريبة والفجور؛ فذكروا ذلك لرسول الله فنزل فيهم: يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لَأَرْوَاجُكُمْ وَبَنَاتُكُمْ وَنِسَاءُ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِنْ جَلَابِيبِهِنَّ... إلى آخر ما ذكر: أمر الحرائر بإرخاء الجلاباب وإسداله عليهن؛ ليكون علما بين الحرائر والإماء.

وروى عن عمر - - أن جارية مرت به متقنعة؛ فضربها بالدرّة، وقال: اكشفي قناعك، ولا تشبهي بالحرائر، وأمر الإمام بكشف ما ذكر، والحرائر بستر ذلك.

وقد أمر الحرائر في سورة النور بضرب الخمر على الجيوب بقوله: وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَى خُبُوبِهِنَّ النور: 31؛ لنلا يظهر الزينة التي على الجيوب، ونهين أن يظهرن ويبيدين زينتهن للأجنبيين إلا ما ظهر منها، وأمرن في هذه الآية على إرخاء الجلاباب وإسداله عليهن؛ ليعرفن أنهن حرائر؛ فلا يؤذين بما ذكرنا.

ثم اختلف في الجلاباب:

قال بعضهم: هو الرداء، والجلابيب: الأردية، وهو قول القنبي: أمرن أن يلبسن الأردية والملاء. وقال أبو عوسجة: الجلابيب: المقانع، الواحد: جلباب، يقال: تجلببي، أي تقنعي، وهو الذي يكون فوق الخمار. وفي الآية دلالة رخصة خروج الحرائر للحوائج؛ لأنه لو لم يجز لهن الخروج لم يؤمرن بإرخاء الجلاباب على أنفسهن؛ ولكن ينهاهن عن الخروج؛ فدل أنه يجوز لهن الخروج للحاجة، والله أعلم.

هـ-102\24: 231

قوله: قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ روي عن علي - - قال: قال رسول الله: يا علي إن لك كنزا في الجنة، وإنك ذو قرنيها فلا تتبع النظرة؛ فإن لك الأولى وليست لك الآخرة وعن أنس - - قال: قال رسول الله: يا بن آدم لك أول نظرة فإياك الثانية.

وعن جرير قال: سألت النبي عن نظرة الفجأة فأمرني أن أصرف بصري.

وعن ابن عباس قال: يغضوا أبصارهم عن شهواتهم فيما يكره الله.

ثم يحتمل قوله: يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ وجوهاً ثلاثة:

أحدها: غضوا أبصارهم لكي يحفظوا فروجهم؛ فإن حفظ الفرج إنما يكون بغض البصر وحفظه.

والثاني: يغضوا أبصارهم عن النظر إلى من لا تحل من الأجنبية؛ لأن النظر إلى المحارم يحل، ويحفظوا فروجهم عن الكل من المحارم والأجنبيات إلا الذين استثناهم في آية أخرى.

والثالث: غضوا أبصارهم عما في أيدي الخلق، ولا تفتحوها إلى ما في أيديهم؛ كقوله:

1 <http://goo.gl/jyHK4b>

2 <http://goo.gl/Yr1cYH>

وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ... الآية طه: 131.

وقوله: ذَلِكَ أَرْكَىٰ لَهُمْ أَي: أظهر لهم، وأدعى لهم إلى الصلاح من النظر.

وعلى هذه يخرج قوله: وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ.

وقوله: وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا روي عن عبد الله بن مسعود - - قال: إِلَّا مَا ظَهَرَ: الرداء والثياب.

وعن ابن عباس قال: إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا: الكحل والخاتم.

وفي رواية أخرى: الكف والوجه.

وعن عائشة قالت: إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا: القلب والفتحة، وهي خاتم أصبع الرجل.

وعن عبد: الله الزينة زينتَان: زينة باطنة لا يراها إلا الزوج.

وأما الزينة الظاهرة فالثياب.

والباطنة كالإكليل والسوار والخاتم.

فإن كان التأويل ما روي عن ابن مسعود حيث جعلها من الثياب وغيره، ففيه دلالة ألا يحل النظر إلى وجه امرأة أجنبية.

وإن كان ما قال ابن عباس ففيه دلالة حل النظر إلى وجه المرأة لا بشهوة.

وإن كان ما قالت عائشة من القلب والفتحة ففيه دلالة جواز النظر إلى الكفين والقدمين؛ لأنهما ظاهرتان باديتان؛ ألا ترى أنهما من الظواهر في فرض غسل الوضوء، وإن كان ذلك ففيه دلالة جواز صلاتها مع ظهور القدم.

وجائز أن يكون النظر إلى وجه المرأة حلالاً إذا لم يكن بشهوة، لكن غض البصر وترك النظر أرفق وأزكى، كقوله: يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِنْ جَلَابِيبِهِنَّ ذَلِكَ أَدْنَىٰ أَنْ يُعْرَفْنَ الأحزاب: 59 أنهن حرائر فلا يُؤَدِّنُ الأحزاب: 59 كما تؤدَّى الإمام.

والذي يدل أن للمرأة ألا تغطي وجهها، ولا ينبغي للرجل أن يعتمد النظر إلى وجه المرأة إلا عند الحاجة إليه - قول رسول الله لعلي - -: إنما لك الأولى وليست لك الآخرة وفي بعضها: الأولى لك والآخرة عليك؛ لأنه كأنه إنما كرر النظر في الثانية؛ لشهوة تحدث في قلبه.

وإذنه الذي يريد أن يتزوج امرأة أن ينظر إليها يدل على أن نظر الرجل إلى وجه المرأة غير حرام؛ لأنه لو كان حراماً لم يأذن فيه النبي لأحد.

ونرى - والله أعلم - أن النظر إلى وجه المرأة ليس بحرام إذا لم يقع في قلب الرجل من ذلك شهوة، فإذا وجد لذلك شهوة، ولم يأمن أن يؤدي به ذلك إلى ما يكره فمحظور عليه أن ينظر إليها إلا أن يريد به معرفتها والنكاح فإنه قد رخص في ذلك؛ روي أن المغيرة أراد أن يتزوج امرأة فقال له رسول الله: اذهب فانظر إليها، فإنه أحرى أن يؤدم بينكما.

وقال في بعض الأخبار: إذا خطب أحدكم المرأة فلا بأس أن ينظر إليها؛ إذا كان إنما ينظر إليها للخطبة، وإن كانت لا تعلم.

وأحسن للشابة وأفضل لها أن تستر وجهها ويديها عن الرجال ليس لأن ذلك حرام وإليها معصية، ولكن لما يخاف في ذلك من حدوث الشهوة، ووقوع الفتنة بها، فإذا لم يكن للنظر في ذلك شهوة بأن كان شيئاً كبيراً، أو كانت المرأة دميمة، أو عجوزاً فإنه لا يحظر النظر إلى وجوه أمثالهن، ولا ينظر إلى ما سوى ذلك، وأصله قول الله - تعالى -:

قُلْ لِأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِنْ جَلَابِيبِهِنَّ ذَلِكَ أَدْنَىٰ أَنْ يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤَدِّنُ الأحزاب: 59.

ومما يدل على أن الوجه والكفين جائز ألا يكون بعورة أن المرأة لا تصلي وعورتها مكشوفة، ويجوز أن تصلي ووجهها ويدها ورجلاها مكشوفة.

فإذا كان كذلك دل ذلك على أن النظر إلى ذلك جائز إذا لم يكن ذلك لشهوة؛ دخل في ذلك معنى قول رسول الله: العيانان تزنيان؛ لأن زناء العين لا يكون إلا النظر للشهوة، فإذا كان لشهوة دخل في ذلك معنى قول رسول الله.

وروي في الخبر عن رسول الله ما يدل على أن الوجه والكفين ليسا بعورة، وهو ما روي عن عائشة قالت: دخلت علي أختي أسماء وعليها ثياب شامية رقاق، وهي اليوم عنكم صفاق، فقال رسول الله: هذه ثياب لا

تحبها سورة النور فأمر بها فأخرجت، فقلت: يا رسول الله، زارتنى أختي فقلت لها ما قلت، فقال: يا عائش، إن الحرة إذا حاضت لا ينبغي أن يرى إلا وجهها وكفاها ، فإن ثبت هذا عنه فهو يبين ما ذكرنا، والله أعلم.

وقوله - عز وجل -: وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ قَدْ ذَكَرْنَا أَنْ الْمَرْأَةَ يُكْرَهُ لَهَا النَّظَرُ إِلَى الرِّجَالِ مِنْ غَيْرِ مُحَرَّمٍ عَلَيْهَا إِكْرَاهُ لِلرِّجَالِ بِالنَّظَرِ إِلَى الْمَرْأَةِ الْأَجْنِبِيِّ؛ أَلَا تَرَى أَنَّهُ رُوي أَنَّ أَعْمِيَّينَ دَخَلَا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ وَبَعْضُ أَزْوَاجِهِ عِنْدَهُ - عائشة وأخرى - فَقَالَ لَهَا رَسُولُ اللَّهِ: قُومَا، فَقَالَتَا: إِنَّهُمَا أَعْمِيَّانِ يَا رَسُولَ اللَّهِ!! فَقَالَ لَهَا: هُمَا وَإِنْ كَانَا أَعْمِيَّينَ فَأَنْتُمَا لَسْتُمَا بِأَعْمِيَّينَ، أَوْ كَلَامٌ نَحْوَ هَذَا، فَدَلَّ أَنَّهُ مَا ذَكَرْنَا. وَعَلَى ذَلِكَ أَخْبَارٌ: رُوي عَنْ خَالِدِ بْنِ مَعْدَانَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ: لَا يَحِلُّ لِمَرْأَةٍ تَوَافِقُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ أَنْ تَنْتَبِذَ فِي مَكَانٍ تَسْمَعُ فِيهِ نَفْسَ رَجُلٍ لَيْسَ بِمُحَرَّمٍ، وَلَا يَحِلُّ لِأَمْرَأَةٍ يَوْمَئِذٍ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ أَنْ يَبْسُتَ فِي مَكَانٍ يَسْمَعُ فِيهِ نَفْسَ امْرَأَةٍ لَيْسَتْ لَهُ بِمُحَرَّمٍ.

وفي بعض الأخبار: أنه لم يرخص للمرأة أن يرى غير ذي محرم منها إلا الوجه والكف وما ظهر، وقبض رسول الله على كوع عائشة وقال: هذا.

وعن الحسن أنه قال في قوله: إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا: الوجه وما ظهر من الثياب.

فإن ثبت ما ذكرنا من المروي عن رسول الله حيث رخص النظر إلى الوجه والكف؛ لقوله: إِلَّا الوجه والكف فاستثنى الوجه والكف من بين سائر الجوارح - كان ذلك تفسيراً لقوله: إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا كَأَنَّهُ قَالَ: وَلَا يَبْدِيَنَّ زِينَتَهُنَّ لِلْأَجْنِبِيِّينَ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَهُوَ الْكحلُ وَالْخَاتَمُ، ثُمَّ الْكحلُ يَكُونُ فِي الْوَجْهِ وَالْخَاتَمُ فِي الْيَدِ فَذَكَرَ الزينة يكون كناية عن موضعها؛ لأن النظر إلى الزينة حلال لكل أحد إذا كان المراد بالزينة الحلي وما ذكره القوم، فدل أن المراد بذكر الزينة موضع الزينة لا نفس الزينة والحلي، ثم رخص للأجنيين النظر إلى بعض مواضع الزينة وهو ما ظهر منها من الوجه والكف ولم يرخص ما خفي منها وما بطن. ثم استثنى المحارم منها، ورخص لهم النظر إلى ذلك بقوله: وَلَا يَبْدِيَنَّ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ آبَائِهِنَّ إِلَى آخِرِ مَا ذَكَرَ.

ثم مواضع الزينة الخفية منها الصدر، ومنها الأذنان وهما في الرأس، ومنها الساق.

ثم جمع بين الأب ومن سمي معه وبين الزوج في النظر إلى زينة المرأة، ولا خلاف في أن الأب لا يجوز له أن ينظر من عورة ابنته إلا إلى رأسها وفي الرأس الأذنان، وقد يكون فيهما القرط ونحوه، وإذا جاز له أن ينظر إلى رأسها ولا خمار عليها؛ فله أن ينظر إلى صدرها وهو موضع الزينة؛ لأنه مما يغطيها الخمار، وينظر إلى ذراعيها وموضع الخلخال من قدميها ورجليها، وهي مواضع الزينة الباطنة التي لا يجوز للأجنبي النظر إليها.

ثم النظر إلى الوجه أحق أن يحرم النظر إليه للأجنبي من الرأس وغيره من مواضع الزينة؛ لأن الوجه يجمع فيه جميع المحاسن وغيره من مواضع الزينة ليس فيها محاسن لكن إنما حرم النظر إلى هذه المواضع؛ لأنها عورة في نفسها؛ فالنظر إلى العورة حرام للأجنبي؛ ولأن النظر إليها - أعني: مواضع الزينة - لا يكون إلا للشهوة والنظر إليها للشهوة حرام.

فأما المحارم منها فإنهم لا ينظرون إلى هذه المواضع منها للشهوة ولا يقصدون به ذلك ألبتة؛ فأبيح لهم النظر إليها لحاجة.

وكل من يخشى من المحارم النظر إليها لشهوة لا ينظر إليها، وكذلك الأجنبي حيث أبيع النظر إلى الزينة الظاهرة فإن خشي به الشهوة لم ينظر إليها.

ثم غيرها من الزينة لا يحل لأحد النظر إليها: الأب وغيره - إلا للزوج خاصة وللمولى إلى مملوكته وهو ما قال:

وَالَّذِينَ هُمْ لِأُفْوَاجِهِمْ حَافِظُونَ * إِلَّا عَلَى أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمُ الْمُؤْمِنُونَ: 5-6 استثنى الأزواج والموالي من بين غيرهم؛ لأن النظر إلى ذلك لا يكون إلا للشهوة لا يقع فيه حاجة فلا يباح ذلك إلا لمن له قضاء الشهوة والوطء وهو الزوج والمولى.

فانقسمت العورة إلى جهتين:

جهة يحل للمحارم منها النظر إليها لحاجة وضرورة تقع لهم.

وجهة لا تحل لهم إلا للأزواج لما لا يقع لهم حاجة ولا ضرورة بالنظر إلى ذلك؛ ألا ترى أن الأمة ينظر إلى شعرها وذراعيها وساقها وصدرها إذا أراد شرائها ولا ينظر إلى ما سوى ذلك، فإذا جاز للأجنبي أن ينظر إليه من الأمة جاز لمحرمها النظر إلى ذلك من المرأة للحاجة التي ذكرنا.

ثم ذكر في الآية المحارم جميعاً عدا الأعمام والأخوال، قال بعضهم: إنما لم يذكر في هذه الآية؛ لأنها تحل لبنيهما بالنكاح فكره أن يصفها لبنيهما؛ ولهذا كره من كره للمرأة المسلمة إبداء الزينة الخفية للكافرة من اليهودية والنصرانية لما لعلها تصف ذلك للمشركين، فيرغبون فيها، ويتكفون ذلك، وصرف قوله: أَوْ نَسَائَهُنَّ إلى المسلمات. لكن جازز عندنا أن العم والخال إنما لم يذكر هما للكثرة والتطويل لما يكثر ذلك من أجناسهم وأمثالهم، فذكر الرخصة في أمثالهم كافية.

وقوله - عز وجل -: أَوْ نَسَائَهُنَّ يحتمل وجوهاً:

يحتمل النساء اللاتي يختلطن بهن، أو نساء قرابتهن وأرحامهن، أو النساء اللاتي توافقهن في دينهن، وهن المسلمات على ما قاله أولئك.

وقوله - عز وجل -: أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ.

قال قائلون: أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ كقوله:

إِلَّا عَلَىٰ أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمُ الْمُؤْمِنُونَ: 6 ونحوه.

وقال قائلون: الإمام والعبيد جميعاً.

فإن كان المراد به الإمام فهو ظاهر.

وإن كان المراد به الأمة والعبد، ففيه إباحة نظر العبد إلى شعر مولاته على ما يقوله بعض الناس. والأشبه أن يكون المراد به والله أعلم الإمام دون العبيد؛ لما ذكر في آخر الآية أَوْ التَّابِعِينَ غَيْرَ أُولِي الْأَرْبَةِ مِنْ أَلْرِّجَالِ والعبد من الرجال.

أو ذكر التابع والمتابع وإن كان خصياً أو عنيماً أو معنوياً على ما قالوا، فإنه لا يحل لهؤلاء النظر إلى تلك المواضع على حال فعل ذلك العبد؛ فيكون الدخول عليهن مضمراً في الآية، وكن النساء متأهبات وقت دخول العبيد والتابعين عليهن؛ لأنه ذكر التابعين وهم تابعو الأزواج، ووقت دخول هؤلاء يكون معلوماً عندهن فيتأهبن لهم ويستترن، والله أعلم بذلك؛ ألا ترى أنه لا يحل للمرأة أن تسافر بعبدها، دل أنه ليس بمحرم لها؛ لذلك لم يحل له النظر إلى شعر مولاته.

فإن قيل: ما معنى ذكر إمائهن ونسائهن وكل النساء يجوز لهن النظر إلى المرأة وإلى هذه المواضع التي ذكرناها؟

قيل: خص الله - عز وجل - بالذكر إماءهن ونساءهن دون النساء الأجنبية؛ تأديباً لا حظراً، وذلك أن المرأة قد يضيق عليها أن تستتر من أمتها ونساء أهل بيتها، لكثرة رؤيتهن لها، وقد تقدر أن تستتر من الأجنبية محاسنها وزينتها؛ لقلة رؤيتها لها؛ ألا ترى أنه قد نهى المرأة أن تضرب برجلها؛ ليعلم ما تخفي من زينتها، وفي ذلك صيانة للرجل والمرأة وإبعاد لهما عما يحذر عليهما ويخاف؛ فليس ببعيد أن يجعل نهيه المرأة أن تظهر زينتها ومحاسنها للأجنبية؛ لما يخاف على الأجنبية من فساد قلبها وحدث الشهوات لها؛ صيانة للنساء والرجال جميعاً، وإبعاداً لهن عن الزينة، ولئلا تصفها لرجل يفتن بها، ويتكلف الوصول إليها. والله أعلم. وقوله - عز وجل -: وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ روي عن عائشة - أ - أنها قالت: لما نزلت هذه الآية، أخذ النساء أزهرن فشققن من قبل الحواشي، فاختمرن بها، وعن ابن عباس: وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ يقول: وليشدن بخمرهن على جيوبهن، يقول: ليرخين بخمرهن على الصدر والنحر فلا يرين منها شيئاً.

قال: وكن النساء قبل هذه الآية إنما يسدلن خمرهن سدلاً من ورائهن كما يصنع النبط، فلما نزلت هذه الآية شدن الخمر على النحر والصدر.

وفي الآية دلالة أن دروع النساء كانت جيب؛ لأن الجيب إنما تكون للدروع، وذلك كان لباس النساء، وقد روي عن النبي أنه نهى الرجال عن لبسة النساء، وأنه لعن المتشبهين من الرجال بالنساء.

وروي أنه لعن الرجل يلبس لبسة المرأة، والمرأة تلبس لبسة الرجل.

وعن ابن عباس: لعن النبي المؤنثين من الرجال والمذكرات من النساء وكأنه مكروه للرجل - والله أعلم - أن يلبس فراة وحدها لا قميص تحتها؛ لأن ذلك لباس النساء إلا أن يكون لها شق ذيل، فخرجت من لبس النساء، ولم تكره للرجال، والله أعلم.

وقوله - عز وجل -: وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا جازز أن يكون قوله: إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا: إنما يباح النظر إلى الوجه للحاجة، وأما على غير الحاجة فلا يباح؛ لما ذكرنا من قوله:

يُذْنِبْنَ عَلَيْهِنَّ مِنْ جَلَاسِيَتِهِنَّ... الآية الأحزاب: 59، وقوله:

وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعًا فَاسْأَلُوهُنَّ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ ذَلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ الْأَحْزَاب: 53؛ فعلى ذلك ترك النظر إلى وجه المرأة أظهر للنساء وللناس جميعاً؛ فلا يباح ذلك إلا عند الحاجة إليه، وهو معرفتها؛ ليقيم به الشهادة.

فان قيل: أليس النظر يسع إلى مواضع الزينة الخفية للأجنبي؛ للتداوي بها؟

قيل: يسع ذلك للضرورة وأما للحاجة فلا، ومسالمتنا في الحاجة ليست في الضرورة.

ثم قوله: وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ إِلَى آخِرِهِ ما ذكر: جائز أن يكون المراد برخصة النظر إلى الزينة لهؤلاء المسمين في الآية رخصة النظر إلى نفس الزينة لا موضع الزينة؛ فيدخل في هذه الرخصة من ذكر من التابعين غير أولي الإربة من الرجال ونحوه؛ لأن الزينة في الصدر وما ذكر إنما تكون من وراء ثياب تكون على الصدر، ثم رخص النظر للمحارم إلى مواضع الزينة الخفية بغير هذه الآية.

أو أن يكون رخصة النظر للمحارم إلى مواضع الزينة ولغير المحارم من المماليك والتابعين غير أولي الإربة ومن ذكر - رخصة الدخول عليهن؛ فيكون في الآية إضمار الدخول؛ كأنه قال: ولا يبدين زينتتهن إلا لبعولتهن ومن ذكر من المحارم، ولا يدخل عليهن إلا العبيد والتابعون ومن ذكر من غير أولي الإربة، فيكن في وقت دخول هؤلاء متأهيات؛ لأن وقت دخول هؤلاء يكون معلوماً يعرفن فيتأهين لهم؛ لأن العبيد إنما يدخلون على ساداتهم ومواليهم عند حاجتهن إليهم، والتابعون ومن ذكر إنما يدخلون إذا دخل أزواجهن عليهن فيتأهين لذلك، ومثل هذا الإضمار جائز في الكلام يتبين ذلك بالتثنية كقوله:

أَحَلَّتْ لَكُمْ بَهِيمَةَ الْأَنْعَامِ إِلَّا مَا يُنْتَلَى عَلَيْكُمْ غَيْرَ مُحْلِي الصَّيْدِ وَأَنْتُمْ حُرْمٌ الْمَانِدَة: 1، دل قوله:

غَيْرَ مُحْلِي الصَّيْدِ الْمَانِدَة: 1 أنه قد كان الصيد مذكوراً فيه مراداً؛ إذ لو لم يكن مذكوراً لم يكن استثنى منه؛ فعلى ذلك جائز أن يكون في الأول إضمار الدخول فيه لهؤلاء الذين لا يحل لهم النظر إلى مواضع الزينة منهن ورخصة الإبداء للمحارم، أو أن يكون ما ذكرنا فيما تقدم، والله أعلم. وقوله - عز وجل -: أَوَ الْكَاذِبِينَ غَيْرَ أُولِي الْإِرْبَةِ مِنَ الرِّجَالِ قال بعضهم: الشيخ الكبير الذي لا حاجة له في النساء.

وقال بعضهم: المعتوه الأحمق الذي لا يشتهي النساء، ولا يغار عليه الأزواج.

وقال بعضهم: العنين والخصي، وهؤلاء الذين لا يطبقون الجماع.

لكن عندنا لا يسع للعنين ولا للخصي أن يخلو بامرأة أجنبية.

وقال الحسن: غَيْرَ أُولِي الْإِرْبَةِ مِنَ الرِّجَالِ هم المخنثون؛ روي عن عائشة قالت: كان يدخل على أزواج النبي مخنث، وكانوا يعدونه من غير أولي الإربة، قالت: فدخل النبي ذات يوم وهو ينعت امرأة، فقال: لا أرى هذا يعلم ما هاهنا؛ لا يدخلن عليكم؛ فحجبه.

وعن أم سلمة أن النبي دخل عليها وعندها مخنث، فأقبل على أخي أم سلمة فقال: يا عبد الله، إن فتح الله لكم غداً الطائف دلتك على بنت غيلان، فإنها تقبل بربع وتدبر بثمان، فقال: لا أرى هذا يعرف ما هاهنا؛ لا يدخلن عليكم.

وقال بعضهم: غَيْرَ أُولِي الْإِرْبَةِ الذين لا تهمهم ولا يخافون على النساء، وكله واحد، وهم الذين ليست لهم الحاجة إلى النساء.

قال أبو عوسجة: الإربة: الحاجة: والإرب جمع، وكذلك قال القتبي.

وقال ابن عباس: هو الذي لا يستحي منه النساء.

وقوله: أَوَ الْطُّفُلِ الَّذِينَ لَمْ يَنْظُرُوا عَلَى عَوْرَاتِ النِّسَاءِ قال بعضهم: هو الإطلاع، أي: لم يطلعوا، ولم يعلموا، ولم يدروا ما هو من الصغر.

وقال بعضهم: لم يظهروا على عورات النساء، أي: لم يبلغوا الحلم.

والأول أشبه عندنا؛ وذلك أن الطفل الذي لم يحتلم قد أمر بالاستئذان في بعض الأوقات؛ لقوله:

لِاسْتِئْذَانِكُمُ الَّذِينَ مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ وَأَلَّذِينَ لَمْ يَبْلُغُوا الْحُلُمَ مِنْكُمْ النور: 58 فالذي يؤمر بالاستئذان هو الطفل الذي لم يحتلم، وقد يطلع على عورات النساء، والذي لا يؤمر بالاستئذان هو أصغر من ذلك، وهو الذي لا يطلع على عورات النساء لصغره، والله أعلم.

وقوله: وَلَا يَضْرِبْنَ بَأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِنْ زِينَتِهِنَّ أي: لا تضربن إحدى رجليها على الأخرى ليقرب الخلخال بالخلخال.

لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِنْ زِينَتِهِنَّ أي: ما يوارى الثياب من الزينة وهو الخلخال قد أخفاه الثياب؛ نهيت المرأة عن ضرب رجلها؛ ليعلم الرجال ما تخفي من زينتها، وذلك محظور عليها، لما يخرج ذلك مخرج ترغيب الناس

وحثهم عليها، فالزينة في الأصل ما جعلت إلا للترغيب والتحريض على أنفسهم، وهي الداعية إلى النظر والشهوة، وفي ترك ذلك وترك المرأة الزينة صيانتها، وصيانة الرجال، وإبعادهم جميعاً من الزينة، والرغبة، فكشف الشاب عن وجهها، ونظر الرجل بشهوة إليها أخرى أن يكون محظوراً عليه، منهياً عنه، والله أعلم بالصواب.

وقوله: وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعاً أَيُّهَ الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ هذا يحتمل وجهين:
يحتمل قوله: وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ أَي: ارجعوا إلى الله بالطاعة له والخضوع؛ لتكونوا مفلحين.
أو أن يكون قوله: وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ ارجعوا عما قدمتم من المعاصي والمساوي، واجعلوا مكان ذلك طاعة له؛ ليعفوا عنكم ما قدمتم من المعاصي، والله أعلم.

فقرات من التفسير

هـ 33\90: 253

ذكروا عن أنس بن مالك قال: لما تزوج رسول الله لم يؤلم على أحد من نسائه ما أولم على زينب بنت جحش. قال أنس: كنت أدعو الناس على الخبز واللحم، فيأكلون حتى يشبعوا. فجاء رجلان فقعدا مع زينب في جوف البيت ينتظران، أظنه يعني الطعام. فخرج النبي إلى حجرة عائشة فقال: السلام عليكم يا أهل البيت. فقالت عائشة: السلام عليك ورحمة الله وبركاته، كيف وجدت أهلك؟ بارك الله لك فيهم. قال: فاستقرى نساء كلهن فقلن بمقاتلتها. ثم جاء فوجد الرجلين في البيت، فاستحى فرجع، فأنزل الله آية الحجاب، فقرأها عليهم فخرجوا. ودخل النبي وأرخى الستر.

ذكروا عن أنس بن مالك أن عمر بن الخطاب قال: قلت: يا رسول الله، إنه يدخل عليك البر والفاجر، فلو أمرت نساءك يحتجن. فأنزل الله آية الحجاب.

قوله: غَيْرَ نَاطِرِينَ إِنَاءً أَي: صنعته. وقال مجاهد: متحيتين حينه. قوله: وَاللَّهُ لَا يَسْتَحْيِي مَنْ الْحَقَّ أَي: أن يخبركم أن هذا يؤذي النبي.

قوله: ذَلِكَ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ أَي: من الريبة والدنس، أن يكون لك من وراء حجاب. قال: وَمَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُؤْذُوا رَسُولَ اللَّهِ وَلَا أَنْ تُنَكَحُوا أَزْوَاجَهُ مِنْ بَغْدِهِ أَبَدًا إِنَّ ذَلِكَ كَانَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمًا. قال ناس من المنافقين: لو قد مات محمد تزوجنا نساءه، فأنزل الله هذه الآية. وقال: إِنْ تُبْدُوا شَيْئًا أَوْ تُخْفُوهُ يَعْنِي مَا قَالُوا: لو قد مات محمد تزوجنا نساءه. فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا.

ثم استثنى من يدخل على أزواج النبي في الحجاب فقال: لَا جُنَاحَ عَلَيْهِنَّ فِي آبَائِهِنَّ وَلَا أَبْنَائِهِنَّ وَلَا إِخْوَانِهِنَّ وَلَا أَبْنَاءَ إِخْوَانِهِنَّ وَلَا أَبْنَاءَ أَخَوَاتِهِنَّ وَلَا نَسَائِهِنَّ الْمُسْلِمَاتِ وَلَا مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ وكذلك الرضاع بمنزلة الذي ذكر ممن يدخل على أزواج النبي عليه السلام في الحجاب. قال: وَاتَّقِينَ اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدًا أَي: شاهد لكل شيء وشاهد على كل شيء.

هـ 33\90: 359

قوله عز وجل: يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لَأَزْوَاجَكُمْ وَبَنَاتُكُمْ وَنِسَاءَ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِنْ جَلَابِيبِهِنَّ. والجلاب: الرداء تَقَعُّ به وتغطى به شق وجهها الأيمن، تغطى عينها اليمنى وأنفها. ذَلِكَ أدنى أي: أجدر. أن يُعْرِضَ عَنْهُمْ حُرَائِرُ مُسْلِمَاتٍ عَفِيفَاتٍ فَلَا يُؤْذِينَ أَي: فلا يعرض لهن أحد بالأذى. وكان المنافقون هم الذين كانوا يتعرضون للنساء.

قال الكلبي: كانوا يلتمسون الإماء، ولم تكن تعرف الحرة من الأمة بالليل، فتلقى نساء المؤمنين منهم أذى شديداً. فذكرن ذلك لأزواجهن، فرفع ذلك إلى النبي فنزلت هذه الآية.

وقال الحسن: كان أكثر من يصيب الحدود يومئذ المنافقون. ذكروا عن أنس بن مالك أن عمر بن الخطاب رأى أمة عليها قناع فعلاها بالدرّة وقال: اكشفي رأسك ولا تنتسبي بالحرائر. قال الله: وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا.

هـ 102\24: 431

قوله: وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ أَي: يغضضن أبصارهن عما لا يحل لهن من النظر. وهذه في الحرائر والإماء.

قوله: وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا. قال بعضهم: إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا الثياب. وكذلك قال الحسن. ذكروا عن مجاهد عن ابن عباس قال: ما ظهر منها: الكحل والخاتم.

ذكروا عن عائشة أنها سئلت عن الزينة الظاهرة فقالت: الْقَلْبُ، تعني السوار، والْفَتْخَةُ، تعني الخاتم الذي لا فصّ له. وقالت بثوبها على كوعها فسترته.

¹ <http://goo.gl/63wnPa>

² <http://goo.gl/GL3jBK>

³ <http://goo.gl/05bfZc>

⁴ <http://goo.gl/C6TIqH>

قالت العلماء: هذه الآية في الحرائر؛ وأما الإمام فإن عمر بن الخطاب رأى أمة عليها قناع فعلاها بالترّة وقال: اكشفي عن رأسك لا تشبهي بالحرائر.

ذكروا عن أنس بن مالك قال: كُنْ جوارِي عمر يخدمنا كاشفات رؤوسهن تضطرب ثديهن، بادية خدامهن. قوله: وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَى جُيُوبِهِنَّ أي: تسدل الخمار على جبيها، وهو نحرها. وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ وهذه الزينة الباطنة؛ وهما زينتان، زينة ظاهرة، وقد فسّرناها، وزينة باطنة وسنفسرها إن شاء الله. إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أي: أزواجهن أو عَآبَاءَ بُعُولَتِهِنَّ أي: آباء أزواجهن. أو أَبْنَائِهِنَّ أو أَبْنَاءَ بُعُولَتِهِنَّ أو إِخْوَانِهِنَّ أو بَنِي إِخْوَانِهِنَّ أو بَنِي أَخَوَاتِهِنَّ أو نَسَائِهِنَّ المسلمات اللاتي يربن منها ما يراه ذو المحرم؛ ولا ترى ذلك منها اليهودية ولا النصرانية. أو مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ أو التَّابِعِينَ غَيْرَ أُولِي الإِرْبَةِ مِنَ الرِّجَالِ.

فهذه ثلاث حرم بعضها أعظم من بعض. منهن الزوج الذي يحل له كل شيء منها؛ فهذه حرمة ليست لغيره. ومنهم الأب والابن، والأخ والعمة والخال وابن الأخ وابن الأخت، والرضاع في هذا بمنزلة النسب. فلا يحل لهؤلاء في تفسير الحسن أن ينظروا إلى الشعر والصدر والساق وأشباه ذلك. وقال الحسن: لا تضع المرأة خمارها عند أبيها ولا ابنها ولا أخيها وقال ابن عباس: ينظرون إلى موضع القرطين والقلاند والسوارين والخلخالين. فهذه الزينة الباطنة.

وحرمة أخرى، وهي الثالثة؛ منهم أبو الزوج وابن الزوج والتابع الذي قال الله: غَيْرَ أُولِي الإِرْبَةِ مِنَ الرِّجَالِ أي: غير أولي الحاجة إلى النساء. وهم قوم كانوا في المدينة فقراء، طُبِعُوا على غير شهوة النساء. وقال بعضهم: هو الرجل الأحق الذي لا تشتهي المرأة ولا يغار عليه الرجل. وقال الحسن: هو الرجل يتبع الرجل يخدمه بطعام بطنه.

ومملوك المرأة، لا بأس أن تقوم بين يدي هؤلاء في درع صفيق، وخمار صفيق بغير جلباب. ذكروا أن عمر بن الخطاب قال: لا تسافر المرأة إلا مع ذي محرم منها. ذكروا أن عمر بن الخطاب قال: لا تخلو المرأة مع الرجل إلا أن يكون محرماً، وإن قيل حموها، إنما حموها الموت.

وقال بعضهم: لا تضع المرأة خمارها عند مملوكها، فإن فاجأها فلا بأس. وبعضهم يقول: أو مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ يعني الإمام وليس العبيد.

ابن لهيعة عن أبي الزبير عن جابر بن عبد الله قال: لا تضع المرأة خمارها عند عبد سيدها. قوله: أو الطِّفْلَ الذِّينَ لَمْ يَطْهَرُوا عَلَى عَوْرَاتِ النِّسَاءِ أي: الذين لم يبلغوا الحلم أو النكاح. قوله: وَلَا يَضْرِبْنَ بَأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مَنْ زِينَتُهُنَّ وكانت المرأة تضرب برجلها إذا مرت بالمجلس لتسمع قعقة خلخالها. وقال بعضهم: تضرب إحدى رجليها بالأخرى حتى تسمع صوت الخلخالين؛ فنهين عن ذلك.

فقرات من التفسير

هـ33\90: 253

وخرج وهم جلوس، فانزل الله جلّ وعزّ يَأْيُهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ إِلَّا أَنْ يُؤْذَنَ لَكُمْ إِلَىٰ آخِرِ الْآيَةِ، فَضَرْبِ رَسُولِ اللَّهِ الْحِجَابِ، وانصرفوا. قال مجاهد في قوله تعالى إِلَىٰ طَعَامٍ غَيْرَ نَاطِرِينَ إِنَاءُ آيَةِ 53. غير مُحْتَبِينَ نَصَبَهُ.

وَلَا مُسْتَأْنَسِينَ لَحْدِيثٍ قَالَ: بعد الأكل. وقوله جلّ وعزّ وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعًا فَاسْأَلُوهُنَّ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ آيَةِ 53. فكان لا يحلّ لأحد أن يسألهنّ طعاماً ولا غيره، ولا ينظر إليهنّ، متتقباتٍ ولا غير متتقباتٍ، إلّا من وراء حجاب.

وكانت عائشة إذا طافت بالبيت سترت. وفي الحديث لما ماتت زينب قال عمر: لا يخرج في جنازتها إلّا ذو محرم منها.. فوصف له النعش، فاستحسنه وأمر به، وقال: اخرجوا فصلوا على أمكم. قال أنس: كنت أدخل على أزواج النبي، فلما نزلت هذه الآية، جئت لأدخل فقال لي النبي: وراعي يا بُنَيَّ.

هـ33\90: 359

وقوله جلّ وعزّ: يَأْيُهَا النَّبِيُّ قُلْ لِأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِنْ جَلَابِيبِهِنَّ.. آيَةِ 59. قال أبو مالك والحسن: كان النساء يخرجن بالليل في حاجتهن، فيؤدين المنافقون ويتوهمون أنهن إماء، فانزل الله جلّ وعزّ يَأْيُهَا النَّبِيُّ قُلْ لِأَزْوَاجِكَ.. إلى آخر الآية. قال الحسن: ذلك أدنى أن يُعرف أنهن حرائر فلا يؤدين.

قال الحسن: تغطي نصف وجهها. وكان عمر إذا رأى أمة قد تفتحت علأها بالدرّة. وقال محمد بن سيرين: سألت عبيدة عن قوله تعالى يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِنْ جَلَابِيبِهِنَّ فقال: تغطي حاجبها بالرداء، ثم تردّه على أنفها، حتّى تغطي رأسها ووجهها وإحدى عينيها. قال مجاهد: يتجلببن حتى يُعرفن، فلا يؤدين بالقول.

هـ24\102: 431

وقوله جلّ وعزّ: وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا.. آيَةِ 31. روى أبو إسحق عن أبي الأحوص عن عبد الله قال: القُرْطُ، والدُمْلُجُ، والسَّوَارُ. ثم قال جلّ وعزّ: إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا. في هذا اختلاف.

روى أبو الأحوص عن عبد الله قال: النِّيَابُ. وهذا مذهب أبي عبيد. وروى نافع عن ابن عمر قال: الوجه، والكفان. وروى سعيد بن جبير عن ابن عباس قال: الوجه، والكف. وبعضهم يقول عن ابن عباس: الكحلّ، والخضاب، وكذلك قال مجاهد، وعطاء. ومعنى الكحل والخضاب، ومعنى الوجه والكف، سواء. وروى أمّ شبيب عن عائشة قالت: القُلْبُ، والْفَتْخَةُ.

¹ <http://goo.gl/NJOK2D>

² <http://goo.gl/xwVBK5>

³ <http://goo.gl/xwVBK5>

⁴ <http://goo.gl/xwVBK5>

وَالْفَتْحَةُ: الْخَاتَمُ، وَجَمْعُهَا فَتَحٌ، وَفَتَحَاتٌ.
قال أبو جعفر: وهذا قريبٌ من قول ابن عمر، وابن عباس، وهو أشبه، بمعنى الآية من الثياب، لأنه من جنس الزينة الأولى.
وأكثرُ الفقهاء عليه، ألا ترى أنَّ المرأة يجب عليها أن تستر في الصلاة كلَّ موضع منها يراه المرء، وأنه لا يظهر منها إلا وجهها وكفاها؟!
والقُلْبُ: السَّوَارُ، قال ذلك يحيى بن سلمان الجعفي.
وقوله جلَّ وعزَّ: أَوْ نَسَائِهِنَّ آيَةٌ 31.
يعني النساءُ المسلمات.
ولا يجوز أن يُبدن ذلك للمشركات، لقوله سبحانه أَوْ نَسَائِهِنَّ.
ثم قال جلَّ وعزَّ: أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ آيَةٌ 31.
فيه أقوالٌ:
الأول: أنَّ لهنَّ أن يُبدن ذلك لعبيدهنَّ، وأن يَرَوْا شَعُورَهُنَّ، وهذا القولُ معروفٌ من قول عائشة، وأم سلمة. جَعَلْنَا الْعَبْدَ بِمَنْزِلَةِ الْمُحْرَمِ فِي هَذَا، لَأَنَّهُ لَا يَحِلُّ أَنْ يَتَزَوَّجَ بِسَيِّدَتِهِ مَا دَامَ مَمْلُوكًا لَهَا، كَمَا لَا يَحِلُّ ذَلِكَ لَذَوِي الْحَارِمِ.
وَيَقْوَى هذا قوله سبحانه لَيْسَ تَأْتِيكُمْ الَّذِينَ مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ، وَالَّذِينَ لَمْ يَبْلُغُوا الْحُلُمَ مِنْكُمْ.
والقول الثاني: أنه ليس لعبيدهنَّ أن يَرَوْا مِنْهُنَّ، إِلَّا مَا يَرَى الْأَجْنَبِيُّ.
كما رَوَى عليُّ بنُ أبي طلحة عن ابن عباس أنه قال: ولا ينظر عبدها إلى شعرها، ولا نحرها، وأما الخلخال فلا ينظر إليه إِلَّا الزَّوْجُ.
وهو مذهبُ عبد الله بن مسعود، ومجاهد، وعطاء، والشعبي.
ورَوَى أبو مالك عن ابن عباس خلافَ هذا، قال: يَنْظُرُ الْعَبْدُ إِلَى شَعْرِ مَوْلَاتِهِ، وَيَكُونُ التَّقْدِيرُ عَلَى الْقَوْلِ الثَّانِي أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ َ غَيْرَ أُولَى الْإِرْبَةِ، أَوْ التَّابِعِينَ غَيْرَ أُولَى الْإِرْبَةِ، ثُمَّ حُذِفَ كَمَا قَالَ الشَّاعِرُ:
نَحْنُ بِمَا عَدْنَا وَأَنْتَ بِمَا * عِنْدَكَ رَاضٍ وَالرَّأْيُ مُخْتَلَفٌ
على أن يزيدَ بن القَعْقَاعِ وعاصمًا قَرَأَ غَيْرَ أُولَى الْإِرْبَةِ بِنَصْبٍ غَيْرِ، فعلى هذا يجوز أن يكون الاستثناءُ منهما جميعاً.
والقول الثالث: أن يكون أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ َ للإماء خاصةً، قال ذلك سعيد بن المسيب، وقيل: الصَّغَارُ خاصةً.
قال أبو جعفر: هذا بعيدٌ في اللغة، لأن ما عامة.
وقوله جلَّ وعزَّ: أَوْ الْتَّابِعِينَ غَيْرَ أُولَى الْإِرْبَةِ آيَةٌ 31.
قال عطاء: هو الذي يَتَّبِعُكَ، وَهُمُ بَطْنُهُ.
رَوَى علي بن أبي طلحة عن ابن عباس قال: هو المَعْقِلُ، وقيل: الطِّفْلُ.
وقال الشعبي: هو الذي لا أَرَبَ لَهُ فِي النِّسَاءِ.
وقال عكرمة: هو العَيْنِيُّ.
وهذه الأقوال متقاربة، وهو الذي لا حاجة له في النساء، نحو الشيخ الهرم، والخُنْثَى، والمَعْتَوَى، والطِّفْلُ، والعَيْنِيُّ.
وَالْإِرْبَةُ وَالْأَرَبُ: الْحَاجَةُ، وَمِنْهُ حَدِيثٌ وَأَنْتُمْ أَمْلَكُ لِلْأَرَبِ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ؟ وَمَنْ رَوَاهُ لِلْإِرْبَةِ فَقَدْ أَخْطَأَ، لِأَنَّهُ يُقَالُ: قَطَعْتُهُ إِرْبًا، إِرْبًا، أَيِ غَضَوًا، غَضَوًا.
وقوله جلَّ وعزَّ: أَوْ الطِّفْلُ الَّذِينَ لَمْ يَطْهَرُوا عَلَى عَوْرَاتِ النِّسَاءِ.. آيَةٌ 31.
الطِّفْلُ ههنا بمعنى: الأطفال، يدلُّ على هذا قوله الَّذِينَ لَمْ يَطْهَرُوا عَلَى عَوْرَاتِ النِّسَاءِ أَيِ لَمْ يُطِيقُوا ذَلِكَ، كَمَا تَقُولُ: طَهَّرَ فُلَانٌ عَلَى فُلَانٍ، أَيِ غَلَبَهُ وَقَوَّى عَلَيْهِ.
ثم قال جلَّ وعزَّ: وَلَا يَضْرِبَنَّ بِأَرْجُلَيْهِ لِيُعْلَمَ مَا يَخْفَيْنَ مِنْ زِينَتِهِنَّ.. آيَةٌ 31.
قال أبو الجوزاء: كَنَّ يَضْرِبَنَّ بِأَرْجُلَيْهِ لَتَبْدُو خِلَافَهُنَّ.
وقال أبو مالك: كَنَّ يجعلن في أرجلهنَّ حَزْرًا، ويَحْرَكْنَهَا حَتَّى يُسْمَعَ الصَّوْتُ.
قال غيره: فَنُهَيْنَ عَنْ ذَلِكَ، لِأَنَّهُ يَحْرَكُ مِنَ الشَّهْوَةِ.

فقرات من التفسير

هـ\33\90: 253

ثم قال وإذا سألتموهنّ متعاً يعني إذا سألتنّ من نسانه متعاً فأسألهنّ من وراء حجاب ولا تدخلوا عليهنّ وأسألهنّ من خلف الستر ويقال خارج الباب ذلكم أظهر لقلوبكم وقلوبهنّ من الريبة

هـ\33\90: 359

قوله عز وجل يَأْتِيهَا النَّبِيُّ قُلٌّ لَأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وذلك أن المهاجرين نزلوا في ديار الأنصار فضاقت الدور عليهم وكن النساء يخرجن بالليل إلى التخلي يقضين حوائجهن كان الزناة يرصدون في الطريق وكانوا يطلبون الولائد ولم يعرفوا المرأة الحرة من الأمة بالليل فأمر الحرائر بأخذ الجلباب وقال الحسن كن النساء والإماء بالمدينة يقال لهن كذا وكذا يخرجن فيتعرض لهن السفهاء فيؤذونهن فكانت الحرة تخرج فيحسبون أنها أمة ويؤذونها فأمر الله تعالى المؤمنات أن يدينن عليهن من جلابيبن وقال القتيبي يلبسن الأردنية ويقال يعني: يرخين الجلابيب على وجوههن وقال مجاهد يدينن عليهن من جلابيبن يعني متجلببين ليعلم أنهن حرائر فلا يتعرض لهن فاسق بأذى من قول ولا ريبة قوله: ونساء المؤمنات يُدْنِينَ عليهنّ من جلابيبن ذلك أدنى أن يُعرفن يعني: أخرى فلا يُؤذِينَ وكان الله غفوراً رحيماً إذا تابوا ورجعوا ثم وعد المنافقين وخوفهم لينزجروا عن الحرائر أو الإماء

هـ\102\24: 431

قوله عز وجل: وَقُلْ لِّلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ يعني: يحفظن أبصارهن عن الحرام ويحفظن فروجهنّ عن الفواحش ولا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ يعني: لا يظهرن مواضع زينتهن إلا ما ظهر منها روى سعيد بن جبير عن ابن عباس أنه قال: وجهها وكفيها وهكذا قال إبراهيم النخعي وروي أيضاً عن عائشة أنها قالت: الوجه والكفان وهكذا قال الشعبي وروي نافع عن ابن عمر أنه قال: الوجه والكفان وقال مجاهد الكحل والخضاب وروي أبو صالح عن ابن عباس قال: الكحل والخاتم وروي عن ابن عباس في رواية أخرى إلا ما ظهر منها أي: فوق الثياب وروي أبو إسحاق عن ابن مسعود أنه قال ثيابها وروي عن ابن مسعود رواية أخرى أنه سئل عن قوله إلا ما ظهر منها فتقنع عبد الله بن مسعود وغطى وجهه وأبدي عن إحدى عينيه ثم قال: وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَى جُيُوبِهِنَّ يعني: على الصدر والنحر قال ابن عباس: وكان النساء قبل هذه الآية يسدلن خمرهن من ورائهن كما تفعل النبط فلما نزلت هذه الآية سدلن الخمر على الصدر والنحر ثم قال ولا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ يعني: لا يظهرن مواضع زينتهن وهو الصدر والساق والساعد والرأس لأن الصدر موضع الوشاح والساق موضع الخلخال، والساعد موضع السوار والرأس موضع الإكليل فقد ذكر الزينة وأراد بها موضع الزينة إلا لبُعُولَتِهِنَّ يعني: لأزواجهن أو آبائهن يعني: يجوز للأباء النظر إلى مواضع زينتهن أو آباء بُعُولَتِهِنَّ أو أَبْنَاءَهُنَّ أو أَبْنَاءَ بُعُولَتِهِنَّ أو إِخْوَانِهِنَّ أو بَنِي إِخْوَانِهِنَّ أو بَنِي أَخَوَاتِهِنَّ وقد ذكر في الآية بعض ذوي الرحم المحرم فيكون فيه دليل على ما كان بمعناه لأنه لم يذكر فيها الأعمام والأخوال ولكن الآية إذا نزلت في شيء فقد نزلت فيما هو في معناه والأعمام والأخوال بمعنى الإخوة وبنو الإخوة لأنه ذو رحم محرم وقد ذكر الأبناء في آية أخرى وهي قوله:

لَا جُنَاحَ عَلَيْهِنَّ فِي آبَائِهِنَّ وَلَا أَبْنَائِهِنَّ الْأَحْزَاب: 55 والنظر إلى النساء على أربع مراتب في وجه يجوز النظر إلى جميع أعضائها وهو النظر إلى زوجته وأمته وفي وجه يجوز النظر إلى الوجه والكفين وهو النظر إلى المرأة التي لا يكون محرماً لها ويأمن كل واحد منهما على نفسه فلا بأس بالنظر عند الحاجة وفي وجه يجوز النظر إلى الصدر والرأس والساق والساعد وهو النظر إلى امرأة ذي رحم أو ذات رحم محرم مثل الأخت والأم والعمة والخالة وأولاد الأخ والأخت وامرأة الأب وامرأة الابن وأم المرأة سواء كان من قبل

¹ <https://goo.gl/M6IuwW>

² <http://goo.gl/piz27X>

³ <http://goo.gl/g92IOM>

⁴ <http://goo.gl/0Zzj3>

الرضاع أو من قبل النسب وفي وجه لا يجوز النظر إلى شيء وهو أن يخاف أن يقع في الإثم إذا نظر ثم قال تعالى: أو نساكنهن يعني: نساء أهل دينهن وبكره للمرأة أن تظهر مواضع زينتها عند امرأة كتابية لأنها تصف ذلك عند غيرها ويقال: نساكنهن يعني العفاف ولا ينبغي أن تنتظر إليها المرأة الفاجرة لأنها تصف ذلك عند الرجال ثم قال: أو ما ملكن أيمنهن يعني الجواري فإنها نزلت في الإماء وقال سعيد بن المسيب لا تغرنكم هذه الآية أو ما ملكن أيمنهن يعني: الجواري فإنها نزلت في الإماء لا ينبغي للمرأة أن ينظر العبد إلى شعرها ولا إلى شيء من محاسنها وقال مجاهد: في بعض القراءات أو ما ملكن أيمنهن الذين لم يبلغوا الحلم وروى سفيان عن ليث قال كان بعضهم يقرأ أو ما ملكن أيمنهن من الصغار وقال الشعبي: لا ينظر العبد إلى مولاته ولا إلى شعرة منها ثم قال تعالى: أو التبعين غير أولى الإربة يعني الخادم أو الأجير للمرأة يعني غير ذوي الحاجة مثل الشيخ الكبير ونحوه وقال مجاهد: هو الذي لا أرب له أي لا حاجة له بالنساء مثل فلان وكذا روى الشعبي عن علقمة وقال الحسن والزهري: غير أولو الإربة هو الأحمق وقال الضحاك: هو الأبله ويقال: هو الذي طبعه طبع النساء فلا يكون له شهوة الرجال وسئلت عائشة هل يرى الخصى حسن المرأة قالت: لا ولا كرامة ليس هو رجل قرأ ابن عامر وعاصم في رواية أبي بكر غير أولى الإربة ينصب الرء وقرأ الباقون بالكسر فمن قرأ بالكسر يكون على النعت للتابعين فيكون معناها التابعين الذين هذه حالهم ومن نصب أراد به الاستثناء والمعنى إلا أولى الإربة ثم قال: من الرجال أو الطفل الذين لم يظهروا على عورات النساء يعني: لم يطلعوا ولم يشتهوا الجماع ثم قال ولا يضربن بأرجلهن يعني: لا يضربن بإحدى أرجلهن على الأخرى ليقرع الخلخال بالخلخال ليُعْلَمَ ما يُخْفَيْن من زينتهن يعني: ما يوارى الثياب من زينتهن وروى سفيان عن السدي قال: كانت المرأة تمر على المجلس وفي رجلها الخلخال فإذا جازت بالقوم ضربت رجلها ليصوت خلخالها فنزلت ولا يضربن بأرجلهن وقال بعض المفسرين: قد علم الله تعالى أن من النساء من تكون حمقاء فتحرك رجلها ليعلم أن لها خلخالاً فنهى النساء أن يفعلن كما تفعل الحمقاء

فقرات من التفسير

هـ33\90: 253

وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعاً فَاسْأَلُوهُنَّ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ ذَلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ يَعْنِي مِنَ الرِّبَةِ وَالِدَنْسِ فِي تَفْسِيرِ السَّدِيِّ.

فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيماً ثُمَّ اسْتَتْنَى مِنْ يَدْخُلُ عَلَى أَزْوَاجِ النَّبِيِّ فِي الْحِجَابِ فَقَالَ لَا جُنَاحَ عَلَيْهِنَّ فِي آبَاتِهِنَّ... إِلَى قَوْلِهِ وَلَا نِسَاءَهُنَّ يَعْنِي الْمُسْلِمَاتِ وَلَا مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ وَكَذَلِكَ الرِّضَاعُ بِمَنْزِلَةِ الَّذِي ذَكَرَ مِمَّنْ يَدْخُلُ عَلَى أَزْوَاجِ النَّبِيِّ فِي الْحِجَابِ.

هـ33\90: 359

يُذْنِبْنَ عَلَيْهِنَّ مِنْ جَلَابِيبِهِنَّ وَالْجَلَابِيبُ الرِّدَاءُ يَعْنِي يَتَّقَنَنَّ بِهِ ذَلِكَ أَذْنَى أَنْ يُعْرِفَنَّ فَلَا يُؤْذِنَنَّ أَيَّ يَعْرِفُ أَنَّهُنَّ حُرَّائِرُ مُسْلِمَاتٍ عَفَافٌ فَلَا يُؤْذِنَنَّ أَيَّ فَلَا يَعْرِضُ لِهِنَّ بِالْأَذَى وَكَانَ الْمَنَافِقُونَ هُمُ الَّذِينَ كَانُوا يَتَعَرَّضُونَ لِلنِّسَاءِ.

قَالَ الْكَلْبِيُّ كَانُوا يَلْتَمِسُونَ الْإِمَاءَ وَلَمْ يَكُنْ تَعْرِفُ الْحَرَّةَ مِنَ الْأُمَةِ بِاللَّيْلِ فَلَقِيَ نِسَاءَ الْمُؤْمِنِينَ مِنْهُمْ أَذَى شَدِيداً فَذَكَرَنَّ ذَلِكَ لِأَزْوَاجِهِمْ فَرَفَعَ ذَلِكَ إِلَى النَّبِيِّ فَتَزَلَّتْ هَذِهِ الْآيَةُ.

يَحْيَى عَنْ سَعِيدٍ عَنْ قَتَادَةَ عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ أَنَّ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ رَأَى أُمَّةً عَلَيْهَا قِنَاعٌ فَعَلَّاهَا بِالْدَّرَةِ وَقَالَ اكشَفِي رَأْسَكَ وَلَا تَشْبَهِي بِالْحُرَّائِرِ.

هـ102\24: 431

وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَصْصَارِهِنَّ عَمَّا لَا يَحِلُّ لِهِنَّ مِنَ النَّظَرِ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ مِمَّا لَا يَحِلُّ لِهِنَّ وَهَذَا فِي الْأَحْرَارِ وَالْمَمَالِكِ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَهَذَا فِي الْحُرَّائِرِ تَفْسِيرُ ابْنِ عَبَّاسٍ وَقَتَادَةُ مَا ظَهَرَ مِنْهَا هُوَ الْكحلُ وَالْخَاتَمُ وَتَفْسِيرُ ابْنِ مَسْعُودٍ وَالْحَسَنِ: هِيَ الثَّيَابُ.

قَالَ يَحْيَى: وَهَذِهِ فِي الْحُرَّائِرِ وَأَمَّا الْإِمَاءُ فَقَدْ حَدَّثَنَا سَعِيدٌ وَعُثْمَانُ عَنْ قَتَادَةَ عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ أَنَّ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ رَأَى أُمَّةً عَلَيْهَا قِنَاعٌ فَضَرَبَهَا بِالْدَّرَةِ فِي حَدِيثٍ سَعِيدٌ وَقَالَ عُثْمَانُ فَتَنَّاوَلَهَا بِالْدَّرَةِ وَقَالَ اكشَفِي عَنْ رَأْسِكَ وَقَالَ سَعِيدٌ وَلَا تَشْبَهِي بِالْحُرَّائِرِ.

وَلْيَضْرِبَنَّ بِخُمْرِهِنَّ عَلَى جُيُوبِهِنَّ تَسْدُلُ الْخِمَارُ عَلَى جَبِيهَا تَسْتُرُ بِهِ نَحْرَهَا وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ وَهَذِهِ الزَّيْنَةُ الْبَاطِنَةُ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ يَعْنِي أَزْوَاجَهُنَّ إِلَى قَوْلِهِ أَوْ نِسَائِهِنَّ يَعْنِي الْمُسْلِمَاتِ بَرِينَ مِنْهَا مَا يَرَى ذُو الْمَحْرَمِ وَلَا تَرَى ذَلِكَ مِنْهَا الْيَهُودِيَّةُ وَلَا النَّصْرَانِيَّةُ وَلَا الْمَجُوسِيَّةُ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ أَوْ التَّابِعِينَ غَيْرَ أُولَى الْإِرْبَةِ يَعْنِي الْحَاجَةَ إِلَى النِّسَاءِ تَفْسِيرُ قَتَادَةَ هُوَ الرَّجُلُ الْأَحْمَقُ الَّذِي لَا تَشْتَبِهُ الْمَرْأَةُ وَلَا يَغَارُ عَلَيْهِ الرَّجُلُ.

قَالَ مُحَمَّدٌ مِنْ قَرَأَ غَيْرَ بِالْخَفْضِ فَعَلَى أَنَّهُ صِفَةٌ لِلتَّابِعِينَ الْمَعْنَى لِكُلِّ تَابِعٍ غَيْرِ أُولَى الْإِرْبَةِ وَمَنْ نَصَبَ غَيْرَ فَعَلَى الْحَالِ الْمَعْنَى أَوْ التَّابِعِينَ لَا مَرِيدِينَ النِّسَاءَ فِي هَذِهِ الْحَالِ.

قَالَ يَحْيَى فَهَذِهِ ثَلَاثُ حُرْمٍ بَعْضُهَا أَكْثَرُ مِنْ بَعْضٍ مِمَّنْ الزَّوْجُ الَّذِي يَحِلُّ لَهُ كُلُّ شَيْءٍ مِنْهَا فَهَذِهِ حُرْمَةٌ لَيْسَتْ لِغَيْرِهِ.

وَمِنْهُنَّ الْأَبُ وَالْإِبْنُ وَالْأَخُ وَالْعَمُّ وَالْخَالَ وَابْنُ الْأَخِ وَابْنَةُ الْأَخْتِ وَالرِّضَاعُ فِي هَذَا بِمَنْزِلَةِ النَّسَبِ فَلَا يَحِلُّ لَهُوَءٌ فِي تَفْسِيرِ الْحَسَنِ أَنْ يَنْظُرُوا إِلَى الشَّعْرِ وَالصَّدْرِ وَالسَّاقِ وَأَشْبَاهِ ذَلِكَ وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ يَنْظُرُونَ إِلَى مَوْضِعِ الْقُرْطَيْنِ وَالْقَلَادَةِ وَالسَّوَارِينِ وَالْخَلَايِلِ.

وَحُرْمَةُ ثَلَاثَةٍ فِيهِمْ أَبُو زَوْجٍ وَابْنُ زَوْجٍ وَالتَّابِعُ غَيْرَ أُولَى الْإِرْبَةِ وَمَمْلُوكُ الْمَرْأَةِ لَا بَأْسَ أَنْ تَقُومَ بَيْنَ يَدَيْ هُوَءٍ فِي دَرْعٍ صَفِيْقٍ وَخِمَارٍ صَفِيْقٍ بِغَيْرِ جَلْبَابٍ.

قَوْلُهُ: أَوْ الطِّفْلُ الَّذِي لَمْ يَطْهَرُوا عَلَى عَوْرَاتِ النِّسَاءِ قَالَ قَتَادَةُ يَعْنِي مَنْ لَمْ يَبْلُغِ الْحِلْمَ وَلَا النِّكَاحَ.

¹ <http://goo.gl/cv5hND>

² <http://goo.gl/Z7mE0n>

³ <http://goo.gl/z4cDq9>

⁴ <http://goo.gl/odHzpN>

وَلَا يَضْرِبْنَ بَأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مَنْ زَيَّنَّهِنَّ قَالَ قَتَادَةُ كَانَتِ الْمَرْأَةُ تَضْرِبُ بِرِجْلِهَا إِذَا مَرَّتْ بِالْمَجْلِسِ
لِيَسْمَعَ قَعْقَعَةُ الْخُلَاطِيِّينَ فَتَنْهَيْنَ عَنْ ذَلِكَ.

فقرات من التفسير

هــ33\90: 253

قوله: وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعاً فَاسْأَلُوهُنَّ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ أَخْبَرْنَا عَبْدَ اللَّهِ بْنَ حَامِدٍ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ يَعْقُوبَ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ سَنَانَ الْفَزَارِ، عَنْ سَهِيلِ بْنِ حَاتِمٍ، عَنْ ابْنِ عَوْنٍ، عَنْ عَمْرِو بْنِ سَعِيدٍ، عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ: كُنْتُ مَعَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَكَانَ يَمُرُّ عَلَى نِسَائِهِ، فَاتَى امْرَأَةً عَرَسَ بِهَا حَدِيثاً فَإِذَا عَنْدهُمْ قَوْمٌ، فَاَنْطَلَقَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ أَيْضاً فَاحْتَبَسَ فَقَضَى حَاجَتَهُ، ثُمَّ جَاءَ وَقَدْ ذَهَبُوا، فَدَخَلَ وَأَرَخَى بَيْنَهُ وَبَيْنِي سِتْراً قَالَ: فَحَدَّثْتُ أَبَا طَلْحَةَ فَقَالَ: إِنْ كَانَ كَمَا تَقُولُ لَيَنْزِلَنَّ شَيْءٌ فِي هَذَا، فَنَزَلَتْ آيَةُ الْحِجَابِ.

وَأَنْبَأَنِي عَبْدُ اللَّهِ بْنُ حَامِدٍ الْوَزَانِ أَنَّ الْحُسَيْنَ بْنَ يَعْقُوبَ حَدَّثَهُ عَنْ يَحْيَى بْنِ أَبِي طَالِبٍ عَنْ عَبْدِ الْوَهَّابِ عَنْ حَمِيدٍ عَنْ أَنَسٍ قَالَ: قَالَ عُمَرُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، تَدْخُلُ عَلَيْكَ الْبَرُّ وَالْفَاجِرُ، فَلَوْ أَمَرْتُ أُمَّهَاتِ الْمُؤْمِنِينَ بِالْحِجَابِ. فَنَزَلَتْ آيَةُ الْحِجَابِ.

وَأَخْبَرْنَا مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ حَمْدُونَ، عَنْ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدٍ الشَّرْقِيِّ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ يَحْيَى عَنْ يَعْقُوبَ بْنِ إِبْرَاهِيمَ بْنِ سَعْدٍ، عَنْ أَبِي، عَنْ صَالِحِ بْنِ شَهَابٍ، عَنْ عُرْوَةَ بْنِ الزُّبَيْرِ: أَنَّ عَائِشَةَ قَالَتْ: كَانَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ يَقُولُ لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ: احْبَبْ نِسَاءَكَ، فَلَمْ يَفْعَلْ، وَكَانَ أَزْوَاجُ النَّبِيِّ يَخْرُجْنَ لَيْلاً إِلَى لَيْلٍ قَبْلَ الْمَنَاصِعِ وَهُوَ صَعِيدٌ أَقْبَحُ، فَخَرَجَتْ سُودَةٌ بِنْتُ زَمْعَةَ، وَكَانَتْ امْرَأَةً طَوِيلَةً فَرَاها عُمَرُ وَهُوَ فِي الْمَجْلِسِ فَقَالَ: قَدْ عَرَفْتُكَ يَا سُودَةَ حَرِصاً عَلَى أَنْ يَنْزِلَ الْحِجَابُ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ الْحِجَابَ.

وَأَخْبَرْنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ حَامِدٍ إِجَازَةً، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ يَعْقُوبَ، عَنْ الْحُسَيْنِ بْنِ عَلِيٍّ بْنِ عَفَانَ قَالَ: أَخْبَرَنِي أَبُو أُسَامَةَ، عَنْ مَخَالِدِ بْنِ سَعِيدٍ، عَنْ عَامِرٍ قَالَ: مَرَّ عُمَرُ عَلَى نِسَاءِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَهُوَ مَعَ النِّسَاءِ فِي الْمَسْجِدِ فَقَالَ لَهُنَّ: احْتَجِبْنَ، فَإِنَّ لَكُنَّ عَلَى النِّسَاءِ فَضْلاً، كَمَا أَنَّ لَزَوْجَكُنَّ عَلَى الرِّجَالِ الْفَضْلَ، فَلَمْ يَلْبَثُوا إِلَّا سِيرَافاً حَتَّى أَنْزَلَ اللَّهُ آيَةَ الْحِجَابِ.

وَرَوَى عَطَاءُ بْنُ أَبِي السَّائِبِ عَنْ أَبِي وَائِلٍ عَنْ ابْنِ مَسْعُودٍ قَالَ: أَمَرَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ نِسَاءَ النَّبِيِّ بِالْحِجَابِ فَقَالَتْ زَيْنَبُ: يَا بِنَ الْخَطَّابِ إِنَّكَ لَتَغَارُ عَلَيْنَا وَالْوَحْيُ يَنْزِلُ فِي بَيُوتِنَا، فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى: وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعاً فَاسْأَلُوهُنَّ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ ذَلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ.

وَقِيلَ فِي سَبَبِ نَزُولِ الْحِجَابِ مَا أَخْبَرْنَا أَحْمَدُ بْنُ مُحَمَّدٍ أَنَّ الْمُعَاذِيَّ حَدَّثَهُ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ جَرِيرٍ قَالَ: حَدَّثَنِي يَعْقُوبُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ، عَنْ هِشَامٍ، عَنْ لَيْثٍ، عَنْ مُجَاهِدٍ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ كَانَ يَطْعَمُ وَمَعَهُ بَعْضُ أَصْحَابِهِ فَاصَابَتْ يَدَ رَجُلٍ مِنْهُمْ يَدَ عَائِشَةَ وَكَانَتْ مَعَهُمْ، فَكَرِهَ النَّبِيُّ ذَلِكَ، فَنَزَلَتْ آيَةُ الْحِجَابِ.

أَخْبَرْنَا أَبُو عَبْدِ اللَّهِ مُحَمَّدُ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ عَلِيٍّ الْمَزْكِيَّ قَالَ: أَخْبَرَنِي أَبُو الْعَبَّاسِ أَحْمَدُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ الْحُسَيْنِ الْمَاسَرْخَسِيُّ، عَنْ شَيْبَانَ بْنِ فُرُوحِ الْإِبِلِيِّ، عَنْ جَرِيرِ بْنِ حَازِمٍ، عَنْ ثَابِتِ الْبَنَانِيِّ، عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ: كُنْتُ أَدْخُلُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَغَيْرِ إِذْ، فَجِئْتُ يَوْماً لَأَدْخُلُ فَقَالَ: مَكَانُكَ يَا بَنِي، قَدْ حَدَّثَ بَعْدَكَ أَنْ لَا يَدْخُلَ عَلَيْنَا إِلَّا بِإِذْنٍ.

..
قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: لَمَّا نَزَلَتْ آيَةُ الْحِجَابِ قَالَ الْأَبَاءُ وَالْأَبْنَاؤُ وَالْأَقْرَابُ لِرَسُولِ اللَّهِ وَنَحْنُ أَيْضاً نَكْلَمُهُنَّ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ؟ فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى: لَا جُنَاحَ عَلَيْهِنَّ فِي آبَائِهِنَّ. وَلَا أَبْنَائِهِنَّ وَلَا إِخْوَانِهِنَّ وَلَا أَبْنَاءَ إِخْوَانِهِنَّ وَلَا أَخَوَاتِهِنَّ وَلَا نِسَائِهِنَّ وَلَا مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ فِي تَرْكِ الْاِحْتِجَابِ مِنْ هَوْلٍ وَأَنْ يَرَوْهُنَّ. وَقَالَ مُجَاهِدٌ: لَا جُنَاحَ عَلَيْهِنَّ فِي وَضْعِ جَلَابِيْبِهِنَّ عَنْدهُمْ. وَأَتَّقِينَ اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيداً.

هــ33\90: 359

وَقَالَ الضَّحَّاكُ وَالسَّيْدِيُّ وَالْكَلْبِيُّ: نَزَلَتْ فِي الزَّانَةِ الَّذِينَ كَانُوا يَمْشُونَ فِي طَرِيقِ الْمَدِينَةِ يَتَّبِعُونَ النِّسَاءَ إِذَا تَبَرَّزْنَ بِاللَّيْلِ لِقِصَافِ حَوَانِجِهِنَّ، فَيَرُونَ الْمَرْأَةَ فَيَدْنُونَ مِنْهَا، فَيَغْمِزُونَهَا، فَإِنْ سَكَتَتْ اتَّبَعُوهَا، وَإِنْ زَجَرَتْهُمْ

¹ <https://goo.gl/HHS9Ds>

² <http://goo.gl/gUI0xP>

³ <http://goo.gl/6887N7>

انتهوا عنها، ولم يكونوا يطلبون إلا الأماء، ولم يكن يومئذ تُعرف الحرّة من الأمة ولأنّ زَيْنَ كان واحداً، إنّما يخرج في درع واحد وخمار الحرّة والأمة، فشكون ذلك إلى أزواجهنّ فذكروا ذلك لرسول الله. فأنزل الله تعالى: وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ نَهَى الْحَرَّ أَنْ يَتَشَبَّهَ بِالْإِمَاءِ، فَقَالَ تَعَالَى: يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لَأَزْوَاجَكُمْ وَبَنَاتُكُمْ وَنِسَاءُ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِنْ جَلَابِيبِهِنَّ أَيْ يَرْخِيْنَ أُرْدِيَتِهِنَّ وَمَلَحَفِهِنَّ فَيَتَّقْنَ بِهَا، وَيُغْطِينَ وَجُوهَهُنَّ وَرُؤُوسَهُنَّ لِيُعْلَمَ أَنَّهُنَّ حَرَّاءٌ فَلَا يَتَعَرَّضُ لَهُنَّ وَلَا يُؤْذِنَ. قوله: ذَلِكَ أَذْنَى أَنْ يُعَرَّفَنَّ فَلَا يُؤْذِنَنَّ وَكَانَ اللَّهُ غَفُوراً لما سلف من ترك السنن رَحِيماً بِهِنَّ إِذْ سَتَرَهُنَّ وَصَانَهُنَّ. قال ابن عباس وعبيدة: أمر الله النساء المؤمنات أَنْ يَغْطِينَ رُؤُوسَهُنَّ وَوُجُوهَهُنَّ بِالْجَلَابِيبِ وَيَبْدِينَ عَيْناً وَاحِدة. قال أنس: مرّت جارية بعمر بن الخطاب متفتحة فعلاها بالدرة وقال: يا لكاع أتشبهين بالحرائر؟ ألقى القناع.

هـ 102\24: 131

وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ عَمَّا لَا يَجُوزُ وَيَخْفِظْنَ فُرُوجَهُنَّ عَمَّا لَا يَحِلُّ، وَقِيلَ: وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ أَيْ يَسْتَرْنَهَا حَتَّى لَا يَرَاهَا أَحَدٌ.

وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ وَلَا يَظْهَرْنَ لِغَيْرِ مُحَرَّمٍ زِينَتَهُنَّ، وَهِيَ زَيْنَتَانِ: أَحَدَاهُمَا مَا خَفِيَ كَالْخُلَايِلِ وَالْقُرْطَيْنِ وَالْقَلَانِدِ وَالْمَعَاصِمِ وَنَحْوَهَا، وَالْأُخْرَى مَا ظَهَرَ مِنْهَا، وَاخْتَلَفَ الْعُلَمَاءُ فِي الزِينَةِ الظَّاهِرَةِ الَّتِي اسْتَتْنَى اللَّهُ سَبْحَانَهُ وَرَخَّصَ فِيهَا فَقَالَ ابْنُ مَسْعُودٍ: هِيَ الثِّيَابُ، وَعَنْهُ أَيْضاً: الرِّدَاءُ، وَدَلِيلُ هَذَا التَّأْوِيلُ قَوْلُهُ سَبْحَانَهُ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ الْأَعْرَافُ: 31 أَيْ ثِيَابَكُمْ. وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ وَأَصْحَابُهُ: الْكُلُّ وَالْخَاتَمُ وَالسَّوَارِ وَالْخَضَابُ، الضَّحَّاكُ وَالْأَوْزَاعِيُّ: الْوَجْهَ وَالْكَفَّانَ، الْحَسَنُ: الْوَجْهَ وَالثِّيَابَ.

رَوَتْ عَائِشَةُ عَنِ النَّبِيِّ أَنَّهُ قَالَ: لَا يَحِلُّ لِمَرْأَةٍ تَوَمَّنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ إِذَا عَرَكَتْ أَنْ تَظْهَرَ إِلَّا وَجْهَهَا وَيَدَهَا إِلَى هَهْنَا وَقَبْضَ عَلَى نِصْفِ الذَّرَاعِ، وَإِنَّمَا رَخَّصَ اللَّهُ سَبْحَانَهُ وَرَخَّصَ رَسُولُهُ فِي هَذَا الْقَدَرِ مِنْ بَدَنِ الْمَرْأَةِ أَنْ تَبْدِيَهَا لِأَنَّهُ لَيْسَ بِعُورَةٍ، فَيَجُوزُ لَهَا كَشْفُهُ فِي الصَّلَاةِ، وَسَائِرُ بَدْنِهَا عُورَةٌ فَلْيَزِمْهَا سِتْرَهُ. وَلْيَضْرِبْنَ وَلْيَلْقَيْنَ بِخُمْرِهِنَّ أَيْ بِمَقَانِعِهِنَّ وَهِيَ جَمْعُ خِمَارٍ وَهُوَ غِطَاءُ رَأْسِ الْمَرْأَةِ عَلَى جُبُوبِهَا وَصُدُورِهَا لِيَسْتَرْنَ بِذَلِكَ شُعُورَهُنَّ وَأَقْرَاطَهُنَّ وَأَعْنَاقَهُنَّ.

قَالَتْ عَائِشَةُ: يَرْحَمُ اللَّهُ النِّسَاءَ الْمَهَاجِرَاتِ الْأَوَّلَ لَمَّا أَنْزَلَ اللَّهُ سَبْحَانَهُ هَذِهِ الْآيَةَ شَقِيقٌ مَرُوطُهُنَّ فَاخْتَمَرْنَ بِهِ.

وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ الْخَفِيَّةَ الَّتِي أَمَرْنَ بِتَغْطِيَتِهَا، وَلَمْ يَحِلَّ لَهُنَّ كَشْفُهَا فِي الصَّلَاةِ وَلِلْأَجْنَبِيِّينَ، وَهِيَ مَا عَدَا الْوَجْهَ وَالْكَفَّيْنِ وَظُهُورَ الْقَدَمَيْنِ إِلَّا لِلْبُعُولَتَيْنِ أَوْ آبَائِهِنَّ أَوْ أَبْنَائِهِنَّ أَوْ أَبْنَاءَ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي أَخَوَاتِهِنَّ أَوْ نِسَائِهِنَّ أَيْ نِسَاءَ الْمُؤْمِنِينَ فَلَا يَحِلُّ لِمَرْأَةٍ مُسَلِّمَةٍ أَنْ تَتَجَرَّدَ بَيْنَ يَدَيِ امْرَأَةٍ مُشْرِكَةٍ إِلَّا أَنْ تَكُونَ أُمَةً لَهَا فَذَلِكَ قَوْلُهُ سَبْحَانَهُ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ.

عَنْ ابْنِ جَرِيرٍ: رَوَى هِشَامُ بْنُ الْغَارِ عَنْ عِبَادَةَ بْنِ نُسَيْبٍ أَنَّهُ كَرِهَ أَنْ تَقْبَلَ النِّسْرَانِيَّةُ الْمُسْلِمَةُ أَوْ تَرَى عَوْرَتَهَا وَيَتَأَوَّلَ أَوْ نِسَائِهِنَّ.

وَقَالَ عِبَادَةُ: كَتَبَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ إِلَى أَبِي عُبَيْدَةَ بْنِ الْجَرَّاحِ: أَمَا بَعْدَ فَقَدْ بَلَغَنِي أَنَّ نِسَاءً يَدْخُلْنَ الْحَمَامَاتِ مَعَهُنَّ نِسَاءَ أَهْلِ الْكِتَابِ فَاِمْنَعَنَّ ذَلِكَ وَحُلْ دُونَهُ.

قَالَ: ثُمَّ إِنَّ أَبَا عُبَيْدَةَ قَامَ فِي ذَلِكَ الْمَقَامِ مَبْتَهَلًا: اللَّهُمَّ أَيُّمَا امْرَأَةٍ تَدْخُلُ الْحَمَامَ مِنْ غَيْرِ عِلَّةٍ وَلَا سَقَمٍ تَرِيدُ الْبَيَاضَ لَوَجْهَهَا فَسَوِّدْ وَجْهَهَا يَوْمَ تَبْيِضُ الْوُجُوهُ.

وَقَالَ بَعْضُهُمْ: أَرَادَ بِقَوْلِهِ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ مَمَالِكَهُنَّ وَعَبِيدَهُنَّ فَإِنَّهُ لَا بَأْسَ عَلَيْهِنَّ أَنْ يَظْهَرْنَ لَهُمْ مِنْ زِينَتِهِنَّ مَا يَظْهَرْنَ لِذَوِي مُحَارِمِهِنَّ.

أَوْ النَّابِعِينَ غَيْرَ أُولِي الْإِرْبَةِ مِنَ الرِّجَالِ وَهُمْ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَكَ لِيَصِيبُوا مِنْ فَضْلِ طَعَامِكُمْ وَلَا حَاجَةَ لَهُمْ فِي النِّسَاءِ وَلَا يَسْتَهْوَوْنَهُنَّ.

قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: هُوَ الَّذِي لَا تَسْتَحْيِي مِنْهُ النِّسَاءُ، وَعَنْهُ: الْأَحْمَقُ الْعَتِينُ.

مُجَاهِدٌ: الْأَبْلَهُ الَّذِي لَا يَعْرِفُ شَيْئاً مِنَ النِّسَاءِ، الْحَسَنُ: هُوَ الَّذِي لَا يَنْتَشِرُ زَبَهُ سَعِيدِ بْنِ جَبْرِ: الْمَعْتَوَى، عَكْرَمَةُ: الْمَجْبُوبُ، الْحَكَمُ بْنُ أَبَانَ عَنْهُ: هُوَ الْمَخْنُثُ الَّذِي لَا يَقُومُ زَبَهُ.

روى الزهري عن عروة عن عائشة قالت: كان رجل يدخل على أزواج النبي مخنث، وكانوا يعدّونه من غير أولي الإربة فدخل النبي يوماً وهو عند بعض نسائه وهو ينعت امرأة فقال: إنها إذا أقبلت بأربع وإذا أدبرت أدبرت بثمان.

فقال النبي لا أرى هذا يعلم ما مهنا، لا يدخلن هذا عليكم فحجبوه.

ابن زيد: هو الذي يتبع القوم حتى كأنه منهم ونشأ فيهم وليس له في نسائهم إربة، وإنما يتبعهم لإرفاقهم إياه، والإربة والإرب: الحاجة يقال: أربت إلى كذا أرباً إذا احتجت إليه، واختلف القراء في قوله غير فنصبه أبو جعفر وابن عامر وعاصم برواية أبي بكر والمفضل، وله وجهان:

أحدهما: الحال والقطع لأن التابعين معرفة وغير نكرة.

والآخر: الاستثناء ويكون غير بمعنى إلا. وقرأ الباقر بالخفض على نعت التابعين.

أو اللفظ الذين لم يظهروا على عورات النساء أي لم يكشفوا عن عورات النساء لجماعهن فيطلعوا عليها، والطفل يكون واحداً وجمعاً.

ولا يضربن بأرجلهن يعني ولا يحركنها إذا مشين ليُعلم ما يُخفين من زينتهن يعني الخلخال والحلي وتوبوا إلى الله جميعاً من التقصير الواقع في أمره ونهيه وقيل: معناه راجعوا طاعة الله فيما أمركم ونهاكم من الآداب المذكورة في هذه السورة.

فقرات من التفسير

هـ\33\90: 253

ثم قال: وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعاً فَاسْأَلُوهُنَّ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ أَيْ: وَإِذَا سَأَلْتُمْ أَزْوَاجَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ طَعَاماً أَوْ غَيْرَهُ فَخَاطِبُوهُنَّ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ، أَيْ: مِنْ وَرَاءِ سِتْرٍ / وَلَا تَدْخُلُوا عَلَيْهِنَّ بِيُوتِهِنَّ.
ثم قال جل ذكره: ذَلِكَ لَكُمْ أَطْهَرُ لِقَافِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ أَيْ: مَخَاطِبَتِكُمْ لِهِنَّ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ، وَقُلُوبِهِنَّ مِنْ عَوَارِضِ الْفِتَنِ.

وذكر مجاهد أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يطعم ومعه بعض أصحابه فأصابته يد رجل منهم يد عائشة فكره ذلك النبي، فنزلت آية الحجاب.
وروى أنس أن عمر قال: قُلْتُ لِرَسُولِ اللَّهِ إِنَّ نِسَاءَكَ يَدْخُلْنَ عَلَيْهِ الْبُرُ وَالْفَاجِرُ، فَلَوْ أَمَرْتَهُنَّ أَنْ يَحْتَجِبْنَ، قَالَ فَنَزَلَتْ آيَةُ الْحِجَابِ وَرَوَى: أَنَّ سُودَةَ خَرَجَتْ لَيْلاً لِلْبِرَازِ عِشَاءً، وَكَانَتْ طَوِيلَةً فَتَادَاهَا عُمَرُ بِصَوْتِهِ الْأَعْلَى: قَدْ عَرَفْنَاكِ يَا سُودَةَ جُرْصاً عَلَى أَنْ يَنْزِلَ الْحِجَابُ فَنَزَلَتْ آيَةُ الْحِجَابِ.

هـ\33\90: 359

ثم قال تعالى: يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِّلْأَزْوَاجِ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ الْآيَةُ. أَيْ: قُلْ لِهِنَّ يَرْخِيْنَ عَلَيْهِنَّ أُرْدِيَتِهِنَّ لِنَلَا يَشْتَبِهْنَ بِالْإِمَاءِ فِي لِبَاسِهِنَّ إِذَا خَرَجْنَ لِحَاجَتِهِنَّ فَيَكْشِفْنَ شَعُورَهُنَّ وَوُجُوهَهُنَّ، وَلَكِنْ يَدْنِيْنَ عَلَيْهِنَّ مِنْ جَلَابِيْبِهِنَّ لِنَلَا يَعْزِضَ لِهِنَّ فَاسِقُ.

قال ابن عباس في معناها: أَمَرَ اللَّهُ نِسَاءَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا خَرَجْنَ مِنْ بِيُوتِهِنَّ فِي حَاجَةٍ أَنْ يَغْطِيْنَ وَجُوهَهُنَّ مِنْ فَوْقِ رُؤُوسِهِنَّ بِالْجَلَابِيْبِ، وَيَبْدِيْنَ عَيْنَهُنَّ وَاحِدَةً.
وعنه أيضاً أنه قال: كَانَتْ الْحُرَّةُ تَلْبِسُ لِبَاسَ الْأَمَةِ، فَأَمَرَ اللَّهُ نِسَاءَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْ يَدْنِيْنَ عَلَيْهِنَّ مِنْ جَلَابِيْبِهِنَّ، وَإِدْنَاءَ الْجَلَابِ أَنْ تَقْنَعَ بِهِ وَتَشْدَهُ عَلَى جَبِينِهَا.

وقال أبو مالك والحسن: كَانَ النِّسَاءُ يَخْرُجْنَ بِاللَّيْلِ فِي حَاجَاتِهِنَّ فَيُؤْذِيَهُنَّ الْمَنَافِقُونَ وَيَتَوَهَّمُونَ أَنَّهُنَّ إِمَاءٌ فَانْزَلَ اللَّهُ الْآيَةَ. وَكَانَ عُمَرُ رَضِيَ اللَّهُ إِذَا رَأَى أُمَّةً قَدْ تَقَنَعَتْ عَلَاهَا بِالزَّيْتِ.
وقال ابن سيرين: سَأَلْتُ عُبَيْدَةَ عَنْ قَوْلِهِ: يُدْنِيْنَ عَلَيْهِنَّ مِنْ جَلَابِيْبِهِنَّ فَقَالَ: تَغْطِي حَاجِبُهَا بِالرِّدَاءِ أَوْ تَرُدُّهُ عَلَى أَنْفِهَا حَتَّى يَغْطِيَ رَأْسَهَا وَوَجْهَهَا وَإِحْدَى عَيْنَيْهَا.

وقال مجاهد: يَتَجَلَّبَبْنَ حَتَّى يَعْرِفْنَ فَلَا يُؤْذِيْنَ بِالْقَوْلِ.
وقال الحسن: ذَلِكَ أَذْنَى أَنْ يُعْرِفَنَّ فَلَا يُؤْذِيْنَ أَيْ: يَعْرِفْنَ حَرَائِرَ فَلَا يُؤْذِيْنَ.

قال ابن عباس وابن مسعود: الْجَلَابِيبُ الرِّدَاءُ.
وقال الميرد: الْجَلَابِيبُ كُلُّ مَلْحَفَةٍ تَسْتُرُ مِنْ ثَوْبٍ أَوْ مَلْحَفَةٍ.

ثم قال: وَكَانَ اللَّهُ غَفُوراً لِمَا سَلَفَ مِنْهُمْ مِنْ تَرْكِ إِدْنَائِهِمْ جَلَابِيْبِهِمْ عَلَيْهِنَّ، رَحِيماً بِهِمْ أَنْ يَعَاقِبَهُمْ بَعْدَ مَوْتِهِمْ.

هـ\102\24: 431

ثم قال: وَقُلْ لِّلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ، يَعْنِي التَّسْتُرَ.

قال ابن عباس: يَغْضُوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ عَنْ سَوَاتِهِمْ.

قال ابن زيد: يَغْضُ مِنْ بَصَرِهِ أَنْ يَنْظُرَ إِلَى مَا لَا يَحِلُّ لَهُ، إِذَا رَأَى مَا لَا يَحِلُّ لَهُ، غَضَّ بَصَرَهُ، وَلَا يَنْظُرُ إِلَيْهِ، وَلَا يَسْتَطِيعُ أَحَدٌ أَنْ يَغْضُ بَصَرَهُ كُلَّهُ، إِنَّمَا قَالَ: يَغْضُوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ، يَرِيدُ أَنْ النَّظْرَةَ الْأُولَى لَا يَقْدِرُ أَحَدٌ أَنْ يَمْلِكَهَا، فَالْنَهْيُ إِنَّمَا وَقَعَ عَلَى النَّظْرَةِ بَعْدَ النَّظْرَةِ الْأُولَى، وَلِذَلِكَ قَالَ: مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَلَمْ يَقُلْ: يَغْضُوا أَبْصَارَهُمْ؛ لِأَنَّ النَّظْرَةَ الْأُولَى لَا يَقْدِرُ عَلَى الْكَفِّ عَنْهَا، لِأَنَّهَا فَجَاءَةٌ.

قال بعض العلماء: حَرَّمَ اللَّهُ عَلَى الْمُسْلِمِينَ نَصّاً أَنْ يَدْخُلُوا الْحَمَامَ بِغَيْرِ مَنْزَرٍ.

¹ <http://goo.gl/H8cqdf>

² <https://goo.gl/p0X6Sl>

³ <https://goo.gl/t6X1pv>

⁴ <https://goo.gl/oRIrvq>

وأجمع المسلمون أن السوءتين عورة من الرجل، وأن المرأة كلها عورة، إلا وجهها ويديها، فإنهم اختلفوا فيهما.

وأكثر أهل العلم: على أن من سرة الرجل إلى ركبته عورة، لا يجوز أن ترى. و سأل جرير بن عبد الله النبي صلى الله عليه وسلم عن نظرة الفجأة، فقال: اصرف بصرك، لأنه لو لم يصرف بصره لكان تاركاً لما أمره الله به، ناظراً اختياراً.

وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال لعلي بن أبي طالب يا علي: إن لك كنزاً في الجنة، وإنك ذو قرنيها فلا تتبع النظرة النظرة، فإنما لك الأولى، وليست لك الآخرة.

وروي عن أم سلمة: زوج النبي عليه السلام: أنها قالت: استأذن ابن أم مكتوم، وأنا وعائشة عند النبي عليه السلام، فقال لنا: احتجبنا فقلنا: أو ليس بأعمى لا يبصرنا، فقال: أَفَعَمِيَوا أنتم؟

قال أبو محمد: وهذه الآية تضمنت خمسة وعشرين ضميراً بين مرفوع ومخفوض، كلها تعود على المؤمنات، أولها الضمير المرفوع في يَغُضُّضْنَ وآخرها الضمير المخفوض في قوله تعالى: مِنْ زِينَتِهِنَّ ولا أعلم لهذه الآية نظيراً في القرآن في كثرة ضمائرها فاعلمه.

ثم قال: وَلَا يُبَيِّنُ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا، أي ولا يظهرن لمن ليس بذي محرم زينتهن في بيوتهن، كالخلخال، والسوارين، والقرط، والقلادة.

ثم قال: إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا.

قال ابن مسعود: هي زينة الثياب، وكذلك قال النخعي، والحسن.

وقال ابن عباس: هو الكحل، والخاتم.

وقال ابن جبير: هو الوجه والكف.

وقال عطاء: الكفان والوجه.

وقال قتادة: الكحل، والسوار، والخاتم.

وعن ابن عباس أنه قال: الزينة الظاهرة الوجه، وكحل العين، وخضاب الكف، والخاتم، قال: فهذا ما تظهر في بيتها لمن دخل عليها من الناس.

وقالت عائشة رضي الله عنها: هو القُلْبُ والفُتْحَةُ، يعني السوار والخاتم.

وقيل: الفتحة خلق من فضة، تجعلها النساء في أصابعهن.

وقول من قال: هو الوجه والكفان أحسنها، لأن العلماء قد أجمعوا أن للمرأة أن تكشف وجهها، وكفيها في صلاتها، وأن عليها أن تستر ما عدا ذلك.

وقد روي عن النبي صلى الله عليه وسلم: أنه أباح لها أن تبدي من ذراعيها إلى قرب النصف، فالكحل، والخاتم، والخضاب، والبنان داخل تحت هذا، فإذا كان لها ذلك مباحاً في الصلاة علم أنها ليس بعورة، وإذا لم يكن عورة جاز لها إظهاره، كما أن ما ليس بعورة من الرجل جائز له إظهاره، فيكون هذا مما استثناه الله جل ذكره.

ثم قال تعالى: وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَى جُيُوبِهِنَّ، أي وليلقين خمرهن، وهو جمع خمار على جيوبهن، ليسترن شعورهن وأعناقهن.

ثم قال تعالى: وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ، وما بعد ذلك من القرابة، يعني الزينة التي هي غير ظاهرة كالخلخال والدمالج والقرط، وما أمرت أن تغطيه بخمارها من فوق الجيب، وما وراء ما أبيع لها كشفه وإبرازه في الصلاة للأجنيين من الناس، من الذراعين إلى ما فوق ذلك.

وقال قتادة: يبدین لهؤلاء الرأس.

قال ابن عباس: الذي يبدین لهؤلاء هو قرطها، وقلادتها وسوارها، وأما خلخالها ومعضداها، ونحرها وشعرها، فإنه لا تبديه إلا لزوجها.

وقال ابن مسعود: أي هو الطوق والقرطان.

وقيل: معنى: وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَى جُيُوبِهِنَّ، أي ليغط شعرها وصدرها وتواهبها، وكلما زين وجهها، ومعنى: وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ، ومن بعدهم أي لا يضعن جلابيبهن، وهي المقانع التي فوق الخمار، إلا لهؤلاء المذكورين.

وقوله: أَوْ نِسَائِهِنَّ يعني بذلك نساء المسلمين، يعني المؤمنات منهن. قاله ابن جريج، قال: ولا يحل لمسلمة أن تری مشركة عورتها، إلا أن تكون لها، فذلك قوله: أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ، وكتب عمر بن الخطاب إلى أبي عبيدة ابن الجراح رضي الله عنهما أما بعد فإنه بلغني، أن نساء يدخلن الحمامات، معهن نساء أهل الكتاب،

فامنع ذلك وحل دونه، ثم إن أبا عبيدة قام في ذلك المقام متبتلاً، فقال: اللهم أيما امرأة تدخل الحمام من غير علة، ولا سقم، تريد البياض لزوجها، فسود وجهها يوم تبيض الوجوه.

وقوله تعالى ذكره: **أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ**، يعني الممالك، لها أن تبدي له من الزينة، ما تبدي لغيره من ذوي المحارم، وهو قول عائشة وأم سلمة جعلتا العبد بمنزلة ذي المحرم في هذه الآية، فلا يحل له أن يتزوج سيده، وهو في ملكها، لأنه ما دام مملوكاً فهو بمنزلة (ذوي المحارم)، وهذا هو قوله:

وقيل: إنه ليس للعبد أن يرى منها إلا ما يرى الأجنبي.

قال ابن عباس: لا ينظر عبدها إلى شعرها ولا إلى نحرها وهو مذهب: ابن مسعود، ومجاهد، وعطاء، فأما الخلائع عند ابن عباس فلا ينظر إليه إلا الزوج، فيكون التقدير على هذا القول الثاني: أو ما ملكت أيمانهن غير أولي الإربة أو التابعين غير أولي الإربة ثم حذف.

وقيل: **أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ**، إنما هو للإماء خاصة. قال ذلك ابن المسيب.

وقيل: للصغار خاصة.

وقوله: **أَوْ التَّابِعِينَ غَيْرِ أُولِي الْإِرْبَةِ مِنَ الرِّجَالِ**، أي والذين يتبعونكم لطعام يأكلونه عندكم ممن لا أرب له في النساء من الرجال.

قال قتادة: هو الرجل يتبعك ليصيب من طعامك.

وقال ابن عباس: هو الأحمق الذي لا حاجة له في النساء، وقاله الزهري.

قال مجاهد: هو الذي يريد الطعام ولا يريد النساء، ولا يهيم إلا بطنه ولا يخاف منه على النساء. وقالت عائشة رضي الله عنها: كان رجل يدخل على أزواج النبي صلى الله عليه وسلم، وكانوا يدعونه من غير أولي الإربة، فدخل عليه النبي يوماً، وهو عند بعض نساؤه، وهو ينعت امرأة، فقال: إنها إذا أقبلت، أقبلت بأربع، وإذا أدبرت أدبرت بثمان، فقال النبي صلى الله عليه وسلم لأرى هذا يعلم ما ها هنا، لا يدخلن عليكم فحجبوه.

وقال عكرمة: غير أولي الإربة، هو المخنث، الذي لا يقوم له: يريد العنين.

وقيل: هو الشيخ الهرم، والخنثى، والمعتوه، والطفل، والعنّين.

والإربة والأرب: الحاجة. ومن نصب غيراً نصبه على الحال.

وقيل: على الاستثناء، ومن خفضه جعله نعتاً للتابعين.

وقوله: **أَوْ الْطِفْلَ الَّذِينَ لَمْ يَطْهَرُوا عَلَى عَوْرَاتِ النِّسَاءِ**، أي الذين لم يكشفوا عن عورات النساء لجماعهن فتطلعوا عليها.

قال مجاهد: الذين لم يدروا ما هي من الصغر قبل الحلم، وقيل: لم يظهروا: لم يطبقوا ذلك، كما يقال: ظهر فلان على فلان: أي قدر عليه، وغلبه. والطفل هنا بمعنى الأطفال، دل على ذلك نعتة بالذين.

ثم قال تعالى: **وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِنْ زِينَتِهِنَّ**، أي لا يجعلن في أرجلهن من الحلي ما إذا مشين أو حركنهن علم الناس ما يخفين من ذلك.

قال ابن عباس: هو أن تقرع الخلال بالآخر عند الرجال أو يكون في رجليها خلخال فتحركهن عند الرجال / فنهى الله جل ثناؤه عن ذلك لأنه من عمل الشيطان.

وقال السدي: عن أبي مالك: كانت المرأة تلبس في رجليها الخلخال، وتمر على المجلس، فتضرب برجليها ليسمع صوت خلخالها، فنزلت هذه الآية في ذلك.

وعن ابن عباس أنه قال: لا تضرب إحدى رجليها بالأخرى ليقرع الخلخال الخلخال فيظهر صوته.

فقرات من التفسير

هـ33\90: 253

وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعاً فِيهِ ثَلَاثَةٌ أَوْجِه:

أحدها: حاجة، قاله السدي.

الثاني: صحف القرآن، قاله الضحاك.

الثالث: عارية، قاله مقاتل. ومعانيها متقاربة.

فَأَسْأَلُوهُنَّ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ أَمْرَنْ وَسَائِرَ النِّسَاءِ بِالحجاب عن أبصار الرجال وأمر الرجال بغض أبصارهم عن النساء.

وفي سبب الحجاب ثلاثة أقاويل:

أحدها ما رواه مجاهد عن عائشة قالت: كنت أكل مع رسول الله حيساً في قعب، فمر عمر فدعاه فأكل فأصابته إصبعة إصبعي فقال عمر لو أطاع فيكن ما رأيتك عين، فنزلت آيات الحجاب.

الثاني: ما رواه عروة بن الزبير عن عائشة أن أزواج النبي كن يخرجن بالليل إلى المباحض وهي صعيد أفيح يبرزن فيه، وكان عمر يقول للنبي: احجب نساءك يا رسول الله، فلم يكن يفعل، فخرجت سودة بنت زمعة ليلة من الليالي، وكانت امرأة طويلة فناداها بصوته الأعلى: قد عرفناك يا سودة، حرصاً أن ينزل الحجاب قالت: فأنزل الله تعالى الحجاب.

الثالث: ما روى ابن مسعود أن عمر أمر نساء النبي بالحجاب فقالت زينب بنت جحش: يا ابن الخطاب إنك لتغار علينا والوحي ينزل في بيوتنا، فأنزلت الآية: وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعاً فَاسْأَلُوهُنَّ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ. ذَلِكَ أَطْهَرُ لِقَابِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ يَحْتَمِلُ وَجْهَيْن:

أحدهما: أظهر لها من الريبة.

الثاني: أظهر لها من الشهوة.

هـ33\90: 359

قوله تعالى: ... يُذْنِبْنَ عَلَيْهِنَّ مِنْ جَلَافٍ فِيهِ ثَلَاثَةٌ أَقَاوِيل:

أحدها: أن الجلاب الرداء، قاله ابن مسعود والحسن.

الثاني: أنه القناع؛ قاله ابن جبير.

الثالث: أنه كل ثوب تلبسه المرأة فوق ثيابها، قاله قطرب.

وفي إثناء جلابيهن عليهن قولان:

أحدهما: أن تشده فوق رأسها وتلقيه فوق خمارها حتى لا ترى ثغرة نحرها، قاله عكرمة.

الثاني: أن تغطي وجهها حتى لا تظهر إلا عينها اليسرى، قاله عبيدة السلماني.

ذَلِكَ أَدْنَى أَنْ يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَنَنَّ فِيهِ وَجْهَان:

أحدهما: ليعرفن من الإماء بالحرية.

الثاني: يعرفن من المتبرجات بالصيانة. قال قتادة: كانت الأمة إذا مرت تناولها المنافقون بالأذى فنهى الله الحرائر أن يتشبهن بالإماء.

قوله: لَنْ لَمْ يَنْتَه الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فِيهِمْ قَوْلَان:

أحدهما: أنهم الزناة، قاله عكرمة والسدي.

الثاني: أصحاب الفواحش والقبايح، قاله سلمة بن كهيل.

وفي قوله: لَنْ لَمْ يَنْتَه الْمُنَافِقُونَ قَوْلَان:

أحدهما: عن إثناء نساء المسلمين قاله الكلبي.

¹ <https://goo.gl/s032Vu>

² <http://goo.gl/3IRzP0>

³ <http://goo.gl/abDOD3>

الثاني: عن إظهار ما في قلوبهم من النفاق، قاله الحسن وقتادة.
والمُرجفون في المدينة فيهم ثلاثة أقاويل:
أحدها: أنهم الذين يكثررون النساء ويتعرضون لهن، قاله السدي.
الثاني: أنهم الذين يذكرون من الأخبار ما يضعف به قلوب المؤمنين وتقوى به قلوب المشركين قاله قتادة.
الثالث: أن الإرجاف التماس الفتنة، قاله ابن عباس، وسيت الأراجيف لاضطراب الأصواب بها وإفاضة الناس فيها.
لنُعَرِّبَنَّكَ بِهِمْ فِيهِ ثَلَاثَةٌ تَأْوِيلَاتٍ:
أحدها: معناه لنسلطنك عليهم، قاله ابن عباس.
الثاني: لنعلمنك بهم، قاله السدي.
الثالث: لنحملنك على مؤاخذتهم، وهو معنى قول قتادة.
ثُمَّ لَا يُجَاوِرُونَكَ فِيهَا إِلَّا قَلِيلًا قِيلَ بالنفي عنها، وقيل الذي استثناه ما بين قوله لهم اخرجوا وبين خروجهم.
قوله: سُنَّةُ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلُ فِيهِ ثَلَاثَةٌ أَقَاوِيلُ:
أحدها: يعني سنته فيهم أن من أظهر الشرك قتل، قاله يحيى بن سلام.
الثاني: سنته فيهم أن من رَأَى حُدَّ، وهو معنى قول السدي.
الثالث: سنته فيهم أن من أظهر النفاق أبعد، قاله قتادة.
وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا فِيهِ وَجْهَانِ:
أحدهما: يعني تحويلاً وتغييراً، حكاه النقاش.
الثاني: يعني أن من قتل بحق فلا دية له على قاتله، قاله السدي.

هـ\24\131

قوله تعالى: وَلَا يُؤَدِّينَ زِينَتَهُنَّ... والزينة ما أدخلته المرأة على بدنهن حتى زانها وحسنها في العيون كالحلي والثياب والكحل والخضاب، ومنه قوله تعالى:
خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ
قال الشاعر:

يأخذ زينتهن أحسن ما ترى وإذا عطلن فهن غير عواطل
والزينة زينتتان: ظاهرة وباطنة، فالظاهرة لا يجب سترها ولا يحرم النظر إليها لقوله تعالى: وَلَا يُؤَدِّينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا وفيها ثلاثة أقاويل:
أحدها: أنها الثياب، قاله ابن مسعود.
الثاني: الكحل والخاتم، قاله ابن عباس، والمسور بن مخرمة.
الثالث: الوجه والكفان، قاله الحسن، وابن جبير، وعطاء.
وأما الباطنة فقال ابن مسعود: القرط والقلادة والدمالج والخلخال، واختلف في السوار فروي عن عائشة أنه من الزينة الظاهرة، وقال غيرها هو من الباطنة، وهو أشبه لتجاوزه الكفين، فأما الخضاب فإن كان في الكفين فهو من الزينة الظاهرة، وإن كان في القدمين فهو من الباطنة، وهذا الزينة الباطنة يجب سترها عن الأجانب ويحرم عليها تعمد النظر إليها فأما ذوو المحارم فالزوج منهم يجوز له النظر والالتذاذ، وغيره من الأبناء والأبناء والإخوة يجوز لهم النظر ويحرم عليهم الالتذاذ.
روى الحسن والحسين أنهما كانا يدخلان على أختهما أم كلثوم وهي تمتشط.
وتأول بعض أصحاب الخواطر هذه الزينة بتأويلين:

أحدهما: أنها الدنيا فلا يتظاهر بما أوتي منها ولا يتفاخر إلا بما ظهر منها ولم ينستر.
الثاني: أنها الطاعة لا يتظاهر بها رياءً إلا ما ظهر منها ولم ينكتم، وهما بعيدان.
وَأَيُّضْرِبَنَّ بِخُمْرِهِنَّ عَلَى جُيُوبِهِنَّ الخمر المقانع أمرن بإلقائها على صدورهن تغطية لنحورهن فقد كن يلقينها على ظهورهن بادية نحورهن، وقيل: كانت قمصهن مفروجة الجيوب كالدرعة يبدو منها صدورهن فأمرن بإلقاء الخمر لسترها. وكني عن الصدور بالجيوب لأنها ملبوسة عليها.
ثم قال: وَلَا يُؤَدِّينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ يعني الزينة الباطنة إبدائها للزوج استدعاء لميله وتحريكاً لشهوته ولذلك لعن رسول الله السلتاء والمرهء فالسلتاء التي لا تختضب، والمرهء التي لا تكتحل تفعل ذلك

لأنصراف شهوة الزوج عنها فأمرها بذلك استدعاء لشهوته، ولعن المفشلة والمسوفة، المسوفة التي إذا دعاها للمباشرة قالت سوف أفعل، والمفشلة التي إذا دعاها قالت إنها حائض وهي غير حائض، وروي عن النبي قال: لُعِنَتِ الْغَانِصَةُ وَالْمَغْوَصَةُ فَالْغَانِصَةُ الَّتِي لَا تَعْلَمُ زَوْجَهَا بِحَيْضِهَا حَتَّى يَصِيبَهَا، وَالْمَغْوَصَةُ الَّتِي تَدْعِي أَنَّهَا حَائِضٌ لِيَمْتَنِعَ زَوْجُهَا مِنْ إِصَابَتِهَا وَلَيْسَتْ بِحَائِضٍ.

وختلف أصحابنا في تعدد كل واحد من الزوجين النظر إلى فرج صاحبه تلذذاً به على وجهين: أحدهما: يجوز كما يجوز الاستمتاع به لقوله تعالى:

هَن لِبَاسٍ لَكُمْ وَأَنْتُمْ لِبَاسٌ لَهَا لَهَا الْبَقَرَةُ: 187.

الثاني: لا يجوز لما روي عن النبي أنه قال: لَعَنَ اللَّهُ النَّاطِرَ وَالْمُنْظُورَ إِلَيْهِ.

فأما ما سوى الفرجين منهما فيجوز لكل واحد منهما أن يتعمد النظر إليه من صاحبه وكذلك الأمة مع سيدها. أو عابائهن أو عاباء بَعُولَتِهِنَّ إلى قوله: أو بَنِي أَخَوَاتِهِنَّ وهؤلاء كلهم ذوو محارم بما ذكر من الأسباب والأنساب يجوز أبداً نظر الزينة الباطنة لهم من غير استدعاء لشهوتهم، ويجوز تعمد النظر من غير تلذذ. والذي يلزم الحرة أن تستتر من بدنها مع ذوي محارمها ما بين سرتها وركبتها، وكذلك يلزم مع النساء كلهن أو يستتر بعضهن من بعض ما بين السرة والركبة وهو معنى قوله:

أو نَسَائِهِنَّ وَفِيهِنَّ وَجْهَانِ:

أحدهما: أنهن المسلمات لا يجوز لمسلمة أن تكشف جسدها عند كافرة، قاله الكلبي.

والثاني: أنه عام في جميع النساء.

ثم قاله تعالى: أو ما مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ يعني عبيدهن، فلا يحل للحرة عبدها، وإن حل للرجل أمته، لأن البضع إنما يستحقه مالكه، وبضع الحرة لا يكون ملكاً لعبدها، وبضع الأمة ملك لسيدها.

وختلف أصحابنا في تحريم ما بطن من زينة الحرة على عبدها، على ثلاثة أوجه:

أحدها: أنها تحل ولا تحرم، وتكون عورتها معه كعورتها مع ذوي محرمها، ما بين السرة والركبة لتحريمه عليها ولاستثناء الله تعالى له مع استثنائه من ذوي محرمها وهو مروي عن عائشة وأم سلمة.

والثاني: أنها تحرم ولا تحل وتكون عورتها معه كعورتها مع الرجال والأجانب وهو ما عدا الزينة الظاهرة من جميع البدن إلا الوجه والكفين، وتأول قائل هذا الوجه قوله تعالى: أو ما مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ عَلَى الْإِمَاءِ دُونَ الْعَبِيدِ، وتأوله كذلك سعيد بن المسيب، وعطاء، ومجاهد.

والثالث: أنه يجوز أن ينظر إليها فضلاء، كما تكون المرأة في ثياب بيتها بارزة الذراعين والساقين والعنق اعتباراً بالعرف والعادة، ورفعاً لما سبق، وهو قول عبد الله بن عباس، وأما غير عبدها فكالحر معها، وإن كان عبداً لزوجها وأمها.

ثم قال تعالى: أو التَّابِعِينَ غَيْرِ أُولِي الْإِزْبَةِ مِنَ الرِّجَالِ فِيهِ ثَمَانِيَةُ أَوْجِهٍ:

أحدها: أنه الصغير لأنه لا إرب له في النساء لصغره، وهذا قول ابن زيد.

والثاني: أنه العنيد لأنه لا إرب له في النساء لعجزه، وهذا قول عكرمة، والشعبي.

والثالث: أنه الأبله المعتوه لأنه لا إرب له في النساء لجهالته، وهذا قول سعيد بن جبير، وعطاء.

والرابع: أنه المجبوب لفقد إربه، وهذا قول مائور.

والخامس: أنه الشيخ الهرم لذهاب إربه، وهذا قول يزيد بن حبيب.

والسادس: أنه الأحقق الذي لا تشتهيه المرأة ولا يغار عليه الرجل، وهذا قول قتادة.

والسابع: أنه المستطعم الذي لا يهيمه إلا بطنه، وهذا قول مجاهد.

والثامن: أنه تابع القوم يخدمهم بطعام بطنه، فهو مصروف لا لشهوة، وهو قول الحسن.

وفيما أخذت منه الإربة قولان:

أحدها: أنها مأخوذة من العقل من قولهم رجل أريب إذا كان عاقلاً.

والثاني: أنها مأخوذة من الأرب وهو الحاجة، قاله قطرب.

ثم أقول: إن الصغير والكبير والمجبوب من هذه التأويلات المذكورة في وجوب ستر الزينة الباطنة منهم، وإباحة ما ظهر منها معهم كغيرهم، فأما الصغير فإن لم يظهر على عورات النساء ولم يميز من أحوالهن شيئاً فلا عورة للمرأة معه.

فإن كان مميزاً غير بالغ لزم أن تستتر المرأة منه ما بين سرتها وركبتها وفي لزوم ستر ما عدا وجهان:

أحدهما: لا يلزم لأن القلم غير جار عليه والتكليف له غير لازم.

والثاني: يلزم كالرجل لأنه قد يشتهي ويشتهي.

وفي معنى قوله تعالى: أَوْ الطِّفْلَ الَّذِينَ لَمْ يُطْهَرُوا عَلَىٰ عَوْرَاتِ النِّسَاءِ ثلاثة أوجه:
الأول: لعدم شهوتهم.
والثاني: لم يعرفوا عورات النساء لعدم تمييزهم.
والثالث: لم يطبقوا جماع النساء.
وأما الشيخ فإن بقيت فيه شهوة فهو كالشباب، فإن فقدتها ففيه وجهان:
أحدهما: أن الزينة الباطنة معه مباحة والعورة معه ما بين السرة والركبة.
والثاني: أنها معه محرمة وجميع البدن معه عورة إلا الزينة الظاهرة، استدامة لحاله المتقدمة.
وأما الم محبوب والخصي ففيهما لأصحابنا ثلاثة أوجه:
أحدها: استباحة الزينة الباطنة معهما.
والثاني: تحريمها عليهما.
والثالث: إباحتها للمحبوب وتحريمها على الخصي.
والعورة إنما سميت بذلك لقبح ظهورها وغطس البصر عنها، مأخوذ من عور العين.
ثم قال تعالى: وَلَا يَصْرَبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ من زينتتهن قال قتادة: كانت المرأة إذا مشت تضرب
برجلها ليسمع قعقة خلخالها، فنهين عن ذلك.
ويحتمل فعلهن ذلك أمرين: فإما أن يفعلن ذلك فرحاً بزينتهن ومرحاً وإما تعرضاً للرجال وتبرجاً، فإن كان
الثاني فالمنع منه حتم، وإن كان الأول فالمنع منه ندب.

فقرات من التفسير

هـ33\90: 253

وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعًا فَاسْأَلُوهُنَّ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ ذَلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ: نَقَلَهُمْ عَنْ مَالُوفِ الْعَادَةِ إِلَى
مَعْرُوفِ الشَّرِيعَةِ وَمَفْرُوضِ الْعِبَادَةِ، وَبَيَّنَّ أَنَّ الْبَشَرَ بَشَرٌ - وَإِنْ كَانُوا مِنَ الصَّحَابَةِ، فَقَالَ:
ذَلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ.

فَلَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ أَنْ يَأْمَنَ نَفْسَهُ - وَلِهَذَا يُشَدَّدُ الْأَمْرُ فِي الشَّرِيعَةِ بِالْأَلَّا يَخْلُقَ رَجُلٌ بِامْرَأَةٍ لَيْسَ بَيْنَهُمَا مَحْرَمَةٌ.

هـ33\90: 359

قَوْلُهُ جَلْ ذَكَرَهُ: يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِلْأَزْوَاجِ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاءَ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِنْ جَلَابِيبِهِنَّ ذَلِكَ أَدْنَى أَنْ
يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا.
هَذَا تَنْبِيهُ لِهِنَّ عَلَى حِفْظِ الْحُرْمَةِ وَإِثْبَاتِ الرُّثْبَةِ، وَصِيَانَةٍ لِهِنَّ، وَأَمْرٌ لِهِنَّ بِالتَّصَاوُنِ وَالتَّعَفُّفِ. وَقَرَّنَ بِذَلِكَ
تَهْدِيدَهُ لِلْمَنَافِقِينَ فِي تَعَاظِيهِمْ مَا كَانَ يَشْغَلُ قَلْبَ الرَّسُولِ، مِنْ الْإِرْجَافِ فِي الْمَدِينَةِ: -

هـ102\24: 431

قَوْلُهُ جَلْ ذَكَرَهُ: وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا
وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَى خُيُوبِهِنَّ.

الْمَطَالِبَةُ عَلَيْهِنَ كَالْمَطَالِبَةِ عَلَى الرِّجَالِ لَشُمُولِ التَّكْلِيفِ لِلْجَنَسَيْنِ، فَالْوَاجِبُ عَلَيْهِنَ تَرْكُ الْمَحْظُورَاتِ، وَالنَّدْبُ
وَالنَّقْلُ لِهِنَّ صَوْنُ الْقَلْبِ عَنِ الشَّوَاغِلِ وَالْخَوَاطِرِ الرَّدِيَةِ، ثُمَّ إِنْ ارْتَقَيْنَ عَنْ هَذِهِ الْحَالَةِ فَالْتَّعَامِي بِقُلُوبِهِنَّ عَنْ
غَيْرِ الْمَعْبُودِ، وَاللَّهُ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ.

قَوْلُهُ: وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا: مَا أَبَاحَ اللَّهُ - سَبْحَانَهُ - عَلَى بَيَانِ مَسَائِلِ الْفَقْهِ مُسْتَنْتَى مِنَ الْحَظَرِ،
وَمَا وَرَاءَ ذَلِكَ فَالْوَاجِبُ عَلَيْهِنَ حِفْظُ أَنْفُسِهِنَّ عَنِ الْعُقُوبَاتِ فِي الْأَجَلِ، وَالتَّصَاوُنِ عَنْ أَنْ يَكُونَ سَبَبًا لِفِتْنَةٍ
قُلُوبِ عِبَادِهِ. وَاللَّهُ سَبْحَانَهُ كَمَا يَحْفَظُ أَوْلِيَائِهِ عَمَّا يَضُرُّهُمْ فِي الدِّينِ يَصُونُهُمْ عَمَّا يَكُونُ سَبَبًا لِفِتْنَةٍ غَيْرِهِمْ، فَإِنْ
لَمْ يَتَّصِلْ مِنْهُمْ نَفْعٌ بِالْخَلْقِ فَلَا تَصِيبُ أَحَدًا بِهِمْ فِتْنَةٌ.

وَفِي الْجُمْلَةِ مَا فِيهِ زِينَةُ الْعَبْدِ لَا يَجُوزُ إِظْهَارُهُ؛ فَكَمَا أَنَّ لِلنِّسَاءِ عَوْرَةً وَلَا يَجُوزُ لِهِنَّ إِبْدَاءُ زِينَتِهِنَّ فَكَذَلِكَ مَنْ
أَظْهَرَ لِلْخَلْقِ مَا هُوَ زِينَةُ سِرِّهِ مِنْ صِفَاءِ أَحْوَالِهِ، وَزَكَاءِ أَعْمَالِهِ انْقَلَبَ زِينَتُهُ شَيْنًا، إِلَّا إِذَا ظَهَرَ عَلَى أَحَدٍ
شَيْءٌ - لَا يَتَعَمَلُهُ وَلَا يَتَكَلَّمُهُ - فَذَلِكَ مُسْتَنْتَى لِأَنَّهُ غَيْرُ مُوَآخِذٍ بِمَا لَمْ يَكُنْ يَتَصَرَّفُهُ وَتَكَلَّفُهُ، فَذَوَاتُ الْمَحَارِمِ عَلَى
تَفْصِيلِ بَيَانِ الشَّرِيعَةِ يُسْتَنْتَى حُكْمُهُنَّ عَنِ الْحَظَرِ.

قَوْلُهُ جَلْ ذَكَرَهُ: أَوْ النَّبَاعِينَ غَيْرَ أُولِي الْأَرْبَةِ مِنَ الرِّجَالِ أَوْ الْفُطُلَ الَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا عَلَى عَوْرَاتِ النِّسَاءِ.

تُرَاعَى فِي جَمِيعِ ذَلِكَ آدَابُ الشَّرْعِ فِي الْإِبَاحَةِ وَالْحَظَرِ.

¹ <https://goo.gl/3MLnw9>

² <http://goo.gl/0bNzAh>

³ <http://goo.gl/OQ5fRi>

⁴ <http://goo.gl/fEGFAP>

فقرات من التفسير

هــ33\90: 253

وإذا سألتموهنّ متاعاً فاسألوهنّ من وراء حجاب إذا أردتم أن تخاطبوا أزواج النبيّ في أمرٍ فخاطبوهنّ من وراء حجاب، وكانت النساء قبل نزول هذه الآية يبرزن للرجال، فلمّا نزلت هذه الآية ضرب عليهنّ الحجاب، فكانت هذه آية الحجاب بينهنّ وبين الرجال ذلكم أي: الحجاب أظهر لقلوبكم وقلوبهن فإنّ كلّ واحدٍ من الرجل والمرأة إذا لم ير الآخر لم يقع في قلبه

.....
إن تبدوا شيئاً أو تخفوه... الآية. نزلت في هذا الرجل الذي قال: لأنكحنّ عائشة، أخبر الله أنّه عالم بما يُظهر ويُكتم، فلمّا نزلت آية الحجاب قالت الأباء والأبناء لرسول الله: ونحن أيضاً نُكلمهنّ من وراء الحجاب؟ فأنزل الله سبحانه: لا جناح عليهن في آبائهنّ ولا أبنائهنّ ولا إخوانهنّ ولا أبناء إخوانهنّ ولا أبناء أخواتهنّ ولا نسائهنّ ولا ما ملكت أيمانهن أي: في ترك الاحتجاب من هؤلاء.

هــ33\90: 359

يا أيها النبي قل لأزواجك... الآية. كان قومٌ من الزناة يتبعون النساء إذا خرجن ليلاً، ولم يكونوا يطلبون إلاّ الإماء، ولم يكن يؤمننّ تُعرف الحرّة من الأمة؛ لأنّ زيهنّ كان واحداً، إنّما يخرجن في درع وخمار، فنهى الله سبحانه الحرائر أن يتشبهن بالإماء، وأنزل قوله تعالى: يدنين عليهنّ من جلابيبهنّ أي: يرخين أرديتهنّ وملاحقهنّ؛ ليعلم أنّهن حرائر فلا يتعرض لهنّ، وهو قوله: ذلك أدنى أن يعرفن فلا يؤذين وكان الله غفوراً لما سلف من ترك الستّر رحيماً بهنّ إذ يسترهنّ.

هــ102\24: 431

ولا يبدین زینتهنّ یعنی: الخخالین، والفُرطین، والقلائد، والدّماليج، ونحوها ممّا يخفی إلاّ ما ظهر منها وهو الثّياب، والكحل، والخاتم والخضاب، والسّوار، فلا يجوز للمرأة أن تظهر إلاّ وجهها ويديها إلى نصف الدّراع وليضربن بخمرهنّ وليلقين مقانعهنّ على جيوبهنّ ليسترن بذلك شعورهنّ وقرطهنّ وأعناقهنّ ولا يبدین زینتهنّ یعنی: الزّنية الخفیة لا الظّاهرة إلاّ لبعولتهنّ أزواجهنّ. وقوله: أو نسائهنّ یعنی: النساء المؤمنات، فلا یحلّ لامرأة مسلمة أن تتجرد بین یدی امرأة مشرکة إلاّ إذا كانت المشرکة مملوكة لها، وهو قوله: أو ما ملکت ایمانهنّ أو التابعین غیر أولی الإربة من الرجال یعنی: الذین يتبعون النساء یخدمونهنّ لیصیبوا شيئاً، ولا حاجة لهم فیهنّ، كالخصي والخنثی، والشّیخ الهرم، والأحمق العتین أو الطفل الذین لم یظهروا على عورات النساء لم یقوا عليها ولا یضربن بأرجلهنّ ليعلم ما یخفین من زینتهنّ أي: لا یضربن بإحدى الرّجلین على الأخری لیصیب الخخال فیعلم أنّ علیها خلخالین، فإنّ ذلك یحرّک من الشّهوة وتوبوا إلى الله جمیعاً راجعوا طاعة الله سبحانه فیما أمرکم ونهاکم عنه من الآداب المذكورة في هذه السّورة.

¹ <http://goo.gl/kaCkZ2>

² <http://goo.gl/wCPXi6>

³ <http://goo.gl/mQW4hE>

⁴ <http://goo.gl/e97SKg>

فقرات من التفسير

هـ\90\33: 253

أخبرنا عبد الواحد المليحي، أخبرنا أحمد بن عبد الله النعيمي، أخبرنا محمد بن يوسف، أخبرنا محمد بن إسماعيل، أخبرنا يحيى بن بكير، أخبرنا الليث عن عقيل، عن ابن شهاب، أخبرني أنس بن مالك أنه كان ابن عشر سنين مقدم رسول الله المدينة، قال: وكانت أم هانئ تواطئني على خدمة النبي، فخدمته عشر سنين، وتوفي النبي وأنا ابن عشرين سنة، فكنت أعلم الناس بشأن الحجاب حين أنزل، فكان أول ما أنزل في مبتنى رسول الله بزينب بنت جحش، أصبح النبي بها عروساً فدعا القوم فأصابوا من الطعام ثم خرجوا، وبقي رهط منهم عند النبي فأطالوا المكث، فقام النبي فخرج وخرجت معه لكي يخرجوا، فمشى النبي ومشيت حتى جاء حجرة عائشة، ثم ظن أنهم قد خرجوا فرجع ورجعت معه، حتى إذا دخل على زينب فإذا هم جلوس لم يخرجوا، فرجع النبي، ورجعت معه حتى إذا بلغ عتبة حجرة عائشة وظن أنهم قد خرجوا فرجع ورجعت معه فإذا هم قد خرجوا، فضرب النبي بيني وبينه الستر، وأنزل الحجاب.

وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعًا فَاسْأَلُوهُنَّ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ، أَي: من وراء ستر، فبعد آية الحجاب لم يكن لأحد أن ينظر إلى امرأة من نساء رسول الله متتعبة كانت أو غير متتعبة، ذَلِكَ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ مِنَ الرِّيبِ. وقد صح في سبب نزول آية الحجاب ما أخبرنا عبد الواحد المليحي، أخبرنا أحمد بن عبد الله النعيمي، أخبرنا محمد بن يوسف، أخبرنا محمد بن إسماعيل، أنا يحيى بن بكير، أخبرنا الليث، حدثني عقيل، عن ابن شهاب، عن عروة، عن عائشة أن أزواج النبي كنَّ يخرجن بالليل إذا تبرزن إلى المناصع، وهو صعيد أفيح، وكان عمر يقول للنبي: احجب نساءك، فلم يكن رسول الله يفعل، فخرجت سودة بنت زمعة زوج النبي ليلة من الليالي عشاء، وكانت امرأة طويلة، فنادها عمر: ألا قد عرفناك يا سودة - حرصاً على أن ينزل الحجاب -، فأنزل الله تعالى آية الحجاب.

أخبرنا أحمد بن عبد الله الصالح، أخبرنا أبو بكر محمد بن الحسن الحيري، أخبرنا حاجب بن أحمد الطوسي، أخبرنا عبد الرحيم بن منيب، أخبرنا يزيد بن هارون، أخبرنا حميد، عن أنس قال: قال عمر: وافقتي ربي في ثلاث، قلت: يا رسول الله لو اتخذت من مقام إبراهيم مصلى؟ فأنزل الله واتخذوا من مقام إبراهيم مصلى، وقلت: يا رسول الله إنه يدخل عليك البُرّ والفاجر فلو أمرت أمهات المؤمنين بالحجاب؟ فأنزل الله آية الحجاب، قال: وبلغني بعض ما أذى به رسول الله نسائه، قال: فدخلت عليهن أستقربهن واحدة، قلت: والله لتنتهين أو ليبدلن الله أزواجاً خيراً منكن، حتى أتيت على زينب فقالت: يا عمر ما كان في رسول الله ما يعظ نساءه حتى تعظن أنت، قال: فخرجت فأنزل الله عزَّ وجلَّ: عَسَىٰ رُبُّهُ إِنْ طَلَّقَكُنَّ أَنْ يُبَدِّلَهُ أَزْوَاجًا خَيْرًا مِنْكُنَّ التحريم: 5 إلى آخر الآية.

هـ\90\33: 359

يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِّأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِنْ جَلَابِيبِهِنَّ، جمع الجلاب وهو الملاء التي تشتمل بها المرأة فوق الدرع والخمار.

وقال ابن عباس وأبو عبيدة: أمر نساء المؤمنين أن يغطين رؤوسهن ووجوههن بالجلابيب إلا عيناً واحدة ليعلم أنهن حرائر.

ذَلِكَ أَذْنَىٰ أَنْ يُعْرَفْنَ، أنهن حرائر، فَلَا يُؤْذَنَنَّ، فلا يتعرض لهن، وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا، قال أنس: مرت بعمر بن الخطاب جارية متقعة فعلاها بالدرة، وقال يا لكاع أنتشبهين بالحرائر، ألقى القناع.

هـ\102\24: 431

¹ <https://goo.gl/cniWmM>

² <http://goo.gl/zZ9uVK>

³ <http://goo.gl/iG1Gx3>

⁴ <http://goo.gl/2qnVkW>

قوله عز وجل: وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَرِهِنَّ عَمَّا لَا يَحِلُّ، وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ، عَمَّنْ لَا يَحِلُّ. وقيل أيضاً: يحفظن فروجهن يعني: يسترنها حتى لا يراها أحد. وروي عن أم سلمة أنها كانت عند رسول الله وميمونة إذ أقبل ابن أم مكتوم فدخل عليه، وذلك بعدما أمرنا بالحجاب، فقال رسول الله رسول الله: احتجبا منه، فقلت: يا رسول الله أليس هو أعمى لا يُبْصِرُنَا؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: أَفَعَمَيَاوَانِ أَنْتُمَا، أَلَسْتُمَا تَبْصِرَانِهِ؟. قوله تعالى: وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ، يعني لا يظهرن زينتهن لغير محرم، وأراد بها الزينة الخفية وهما زينتَان خفية وظاهر، فالخفية مثل الخلخال، والخضاب في الرجل، والسوار في المعصم، والقرط والقلائد، فلاة يجوز لها إظهارها، ولا للأجنبي النظر إليها، والمراد من الزينة موضع الزينة. قوله تعالى: إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا، أراد به الزينة الظاهرة.

واختلف أهل العلم في هذه الزينة الظاهرة التي استثناها الله تعالى: قال سعيد بن جبيرة والضحاك والأوزاعي: هو الوجه والكفان. وقال ابن مسعود: هي الثياب بدليل قوله تعالى: خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ الْأَعْرَافِ: 31، وأراد بها الثياب. وقال الحسن: الوجه والثياب. وقال ابن عباس: الكحل والخاتم والخضاب في الكف.

فما كان من الزينة الظاهرة جاز للرجل الأجنبي النظر إليه إذا لم يخف فتنة وشهوة، فإن خاف شيئاً منها غَضَّ البصر، وإنما رُخِّصَ في هذا القدر أن تبدي المرأة من بدنِها لأنه ليس بعورة وتؤمر بكشفه في الصلاة، وسائر بدنِها عورة يلزمها ستره.

قوله عز وجل: وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ، وَصُدُورُهُنَّ لِيَسْتَرْنَ بِذَلِكَ شُعُورُهُنَّ وَصُدُورُهُنَّ وَأَعْنَاقُهُنَّ وَقِرَاطَهُنَّ. قالت عائشة: رحم الله نساء المهاجرات الأول لما أنزل الله عز وجل: وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ شَفَقَنَ مَرُوطَهُنَّ فَاحْتَمَرْنَ بِهَا.

وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ يعني: الزينة الخفية التي لم يبح لهن كشفها في الصلاة ولا للأجانب وهو ما عدا الوجه والكفين إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ، قال ابن عباس ومقاتل: يعني لا يضعن الجلباب ولا الخمار إلا لبُعُولَتِهِنَّ، أي إلا لأزواجهن، أو آبائهن أو أبناء بُعُولَتِهِنَّ أو أبنائهن أو إخوانهن أو بنات إخوانهن أو بنات أخواتهن، فيجوز لهؤلاء أن ينظروا إلى الزينة الباطنة، ولا ينظرون إلى ما بين السرة والركبة، ويجوز للزوج أن ينظر إلى جميع بدنِها غير أنه يكره له النظر إلى فرجها.

قوله تعالى: أَوْ نَسَائِهِنَّ أراد أنه يجوز للمرأة أن تنتظر إلى بدن المرأة إِلَّا ما بين السرة والركبة كالرجل المحرم، هذا إذا كانت المرأة مسلمة، فإن كانت كافرة فهل يجوز للمسلمة أن تتكشف لها؟ اختلف أهل العلم فيه، فقال بعضهم: يجوز كما يجوز أن تتكشف للمرأة المسلمة لأنها من جملة النساء، وقال بعضهم: لا يجوز لأن الله تعالى قال: أَوْ نَسَائِهِنَّ والكافرة ليست من نساونا ولأنها أجنبية في الدين، كانت أبعد من الرجل الأجنبي.

كتب عمر بن الخطاب إلى أبي عبيدة بن الجراح أن يمنع نساء أهل الكتاب أن يدخلن الحمام مع المسلمات. قوله تعالى: أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ، اختلفوا فيها، فقال قوم: عبد المرأة محرم لها، فيجوز له الدخول عليها إذا كان عفيفاً، وأن ينظر إلى بدن مولاته إلا ما بين السرة والركبة، كالمحارم وهو ظاهر القرآن.

وروي ذلك عن عائشة وأم سلمة. وروي ثابت عن أنس عن النبي أنه أتى فاطمة بعبدٍ قد وهبه لها، وعلى فاطمة ثوب إذا قَنَعَتْ به رأسها لم يبلغ رجليها، وإذا غَطَّتْ رجليها لم يبلغ رأسها، فلما رأى رسول الله ما تَلَقَّى قال: إنه ليس عليك بأس إنما هو أبوك وغلأمك. وقال قوم: هو كالأجنبي معها، وهو قول سعيد بن المسيب، وقال: المراد من الآية الإماء دون العبيد. وعن ابن جريج أنه قال: أو نساين أو ما ملكت أيمانهن أنه لا يحل لامرأة مسلمة أن تتجرد بين يدي امرأة مشركة إلا أن تكون تلك المرأة المشركة أُمًّا لها.

قوله عز وجل: أَوْ التَّابِعِينَ غَيْرِ أُولَى الْأَرْبَةِ مِنَ الرِّجَالِ، قرأ أبو جعفر وابن عامر وأبو بكر غير بنصب الراء على القطع لأن التابعين معرفة وغير نكرة. وقيل: بمعنى إلا فهو استثناء، معناه: يبدین زینتهن للتابعین إلا إذا الإربة منهم فإنهن لا يبدین زینتهن لمن كان منهم ذا إربة. وقرأ الآخرون بالجر على نعت التابعين والإربة والأرب: الحاجة.

والمراد بالتابعين غير أولي الإربة وهم الذين يتبعون القوم ليصيبوا من فضل طعامهم لا همة لهم إلا ذلك، ولا حاجة لهم في النساء، وهو قول مجاهد وعكرمة والشعبي. وعن ابن عباس أنه الأحقق العنّين. وقال الحسن: هو الذي لا ينتشر ولا يستطيع غشيان النساء ولا يشتهيهن. وقال سعيد بن جبيرة: هو المعتوه، وقال عكرمة: المجبوب. وقيل: هو المخنث. وقال مقاتل: هو الشيخ الهرم والعنّين والخصي والمجبوب ونحوه.

أخبرنا الإمام أبو علي الحسين بن محمد القاضي، أخبرنا أحمد بن الحسن الحيري، أخبرنا محمد بن أحمد بن محمد بن معقل بن محمد الميداني، أخبرنا محمد بن يحيى، أخبرنا عبد الرزاق، أخبرنا معمر عن الزهري، عن عروة عن عائشة قالت: كان رجل يدخل على أزواج النبي مخنث، وكانوا يعدونه من غير أولي الإربة، فدخل النبي يوماً وهو عند بعض نسائه وهو ينعت امرأة فقال: إنها إذا أقبلت أقبلت بأربع وإذا أدبرت بثمان، فقال النبي: ألا أرى هذا يعلم ما هنا لا يدخلن عليكن هذا فحجبوه. أو الطفل الذين لم يظهروا على عورت النساء، أراد بالطفل الأطفال، يكون واحداً وجمعاً، أي: لم يكشفوا عن عورات النساء للجماع فيطلعوا عليها. وقيل: لم يعرفوا العورة من غيرها من الصغر، وهو قول مجاهد. وقيل: لم يطبقوا أمر النساء. وقيل: لم يبلغوا حد الشهوة. ولا يضربن بأرجلهن ليُعَلَّم ما يُخْفَيْن من زينتهن، كانت المرأة إذا مشت ضربت برجلها ليسمع صوت خلخالها أو يتبين خلخالها، فنهيت عن ذلك.

وجملة الكلام في بيان العورات: أنه لا يجوز للناظر أن ينظر إلى عورة الرجل، وعورته ما بين السرة إلى الركبة، وكذلك المرأة مع المرأة، ولا بأس بالنظر إلى سائر البدن إذا لم يكن خوف فتنة. وقال مالك وابن أبي ذئب: الفخذ ليس بعورة لما روي عن عبد العزيز بن صهيب عن أنس قال أجرى نبي الله فرساً في زقاق خبير وإن ركبتني لتمس فخذ نبي الله، ثم حسر الإزار عن فخذته حتى إني لأنظر إلى بياض فخذ نبي الله.

وأكثر أهل العلم على أن الفخذ عورة، لما أخبرنا أبو عبد الله محمد بن الفضل الخرقى، أخبرنا أبو الحسن الطيسفوني، أخبرنا عبد الله بن عمر الجوهري، حدثنا أحمد بن علي الكشميهني، أخبرنا علي بن حجر، أخبرنا إسماعيل بن جعفر، عن العلاء عن أبي كثير، عن محمد بن جحش، قال: مر رسول الله على مغمز وفخذه مكشوفتان، قال: يا مغمز غط فخذيك، فإن الفخذين عورة. وروي عن ابن عباس وجزهد بن خويلد، كان من أصحاب الصفة، أن النبي قال: إن الفخذ عورة. قال محمد بن إسماعيل: وحديث أنس أسند، وحديث جزهد أخوط.

أما المرأة مع الرجل فإن كانت أجنبية حرة: فجميع بدنهما في حق الأجنبي عورة، لا يجوز النظر إلى شيء منها إلا الوجه الوكفين، وإن كانت أمة: فعورتها مثل عورة الرجل، ما بين السرة إلى الركبة، وكذلك المحارم بعضهم مع بعض، والمرأة في النظر إلى الرجل الأجنبي كهو معها. ويجوز للرجل أن ينظر إلى جميع بدن امرأته وأمتة التي تحل له، وكذلك هي منه إلا نفس الفرج فإنه يكره النظر إليه، وإذا زوج الرجل أمتة حرم عليه النظر إلى عورتها كالأمة الأجنبية. وروي عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده أن رسول الله قال: إذا زوج أحدكم عبدة أمة فلا ينظر إلى ما دون السرة وفوق الركبة.

فقرات من التفسير

هــ90\33: 253

الضمير في سَأَلْتُمُوهُنَّ لنساء النبي، ولم يذكرن لأنَّ الحال ناطقة بذكرهن مَتَّعًا حاجة فَسَلُّوهُنَّ المتاع. قيل: 904 إن عمر كان يحب ضرب الحجاب عليهن محبة شديدة، وكان يذكره كثيراً، ويزد أن ينزل فيه، وكان يقول: لو أطاع فيكن ما رأتكن عين، وقال: يا رسول الله، يدخل عليك البر والفاجر، فلو أمرت أمهات المؤمنين بالحجاب، فنزلت. وروي أنه مر عليهن وهن مع النساء في المسجد، فقال: لنن احتجبتن، فإن لكن على النساء فضلاً، كما أن لزوجكن على الرجال الفضل، فقالت زينبا: يا ابن الخطاب، إنك لتغار علينا والوحي ينزل في بيوتنا، فلم يلبثوا إلا يسيراً حتى نزلت.

هــ90\33: 359

الجلباب: ثوب واسع أوسع من الخمار ودون الرداء تلويه المرأة على رأسها وتبقى منه ما ترسله على صدرها. وعن ابن عباس: الرداء الذي يستر من فوق إلى أسفل. وقيل: الملحفة وكل ما يستتر به من كساء أو غيره. قال أبو زبيد:

مُجَلَّبَبٌ مِنْ سَوَادِ اللَّيْلِ جَلْبَابًا

ومعنى يُدْنِيْنَّ عَلَيْهِنَّ من جَلْبِيبِهِنَّ يرخينها عليهن، ويغطين بها وجوههن وأعطافهن. يقال: إذا زل الثوب عن وجه المرأة: أدنى ثوبك على وجهك، وذلك أن النساء كنَّ في أول الإسلام على هجيراهنَّ في الجاهلية متبذلات، تبرز المرأة في درع وخمار فصل بين الحرَّة والأمة، وكان الفتيان وأهل الشطارة يتعرَّضون إذا خرجن بالليل إلى مقاضي حوائجهنَّ من النخيل والغيطان للأماء، وربما تعرَّضوا للحرَّة بعلَّة الأمة، يقولون: حسبناها أمة، فأمرن أن يخالفن بزيهنَّ عن زي بلبس الأماء الأردية والملحف وستر الرؤوس والوجوه، ليحتشمن ويهين فلا يطمع فيهن طامع، وذلك قوله: ذلك أدنى أن يُعرَّفَنَّ أي أولى وأجدر بأن يعرفن فلا يتعرَّض لهن ولا يلقين ما يكرهن. فإن قلت: ما معنى من في من جَلْبِيبِهِنَّ؟ قلت: هو للتبعيض. إلا: أن يكون معنى التبعيض محتمل وجهين، أحدهما: أن يتجلبين ببعض ما لهنَّ من الجلابيب، والمراد أن لا تكون الحرَّة متبذلة في درع وخمار، كالأمة والمأهنة الخادمة ولها جلبابان فصاعداً في بيتها. والثاني: أن ترخي المرأة بعض جلبابها وفضله على وجهها تتقنع حتى تتميز من الأمة. وعن ابن سيرين: سألت عبيدة السلماني عن ذلك فقال: أن تضع رداءها فوق الحاجب ثم تديره حتى تضعه على أنفها. وعن السدي: تغطي إحدى عينيها وجبهتها، والشق الآخر إلا العين، وعن الكسائي: يتقنعن بملاحفهنَّ منضمة عليهنَّ، أراد بالانضمام معنى الإدناء وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا لما سلف منهن من التفريط مع التوبة؛ لأنَّ هذا مما يمكن معرفته بالعقل.

هــ102\24: 431

النساء مأمورات أيضاً بغضِّ الأبصار، ولا يحلَّ للمرأة أن تنظر من الأجنبي إلى ما تحت سرته إلى ركبته، وإن اشتتهت غصَّت بصرها رأساً، ولا تنظر من المرأة إلا إلى مثل ذلك. وغضها بصرها من الأجانب أصلاً أولى بها وأحسن. ومنه حديث ابن أم مكتوم عن أم سلمة قالت:

747 كنت عند رسول الله وعنده ميمونة، فأقبل ابن أم مكتوم - وذلك بعد أن أمرنا بالحجاب - فدخل علينا فقال: احتجبا، فقلنا: يا رسول الله، أليس أعمى لا يبصر؟ قال: أفعمياوان أنتما؟ ألستما تبصرانه؟ فإن قلت: لم قدم غضَّ الأبصار على حفظ الفروج؟ قلت: لأنَّ النظر بريد الزنى وراند الفجور، والبلوى فيه أشدَّ وأكثر، ولا يكاد يقدر على الاحتراس منه، الزينة: ما تزينت به المرأة من حلي أو كحل أو خضاب، فما كان ظاهراً منها كالخاتم والفتخة والكحل والخضاب، فلا بأس بإبدانه للأجانب، وما خفي منها كالسوار والخلخال والدملج والقلادة والإكليل والوشاح والقرط، فلا تبديه إلا لهؤلاء المذكورين. وذكر الزينة دون مواقعها: للمبالغة في

¹ <https://goo.gl/Ib7gXI>

² <http://goo.gl/mkxOJ2>

³ <http://goo.gl/uE8nBm>

⁴ <http://goo.gl/YKHDF7>

الأمر بالتصون والتستر، لأنّ هذا الزين واقعة على مواضع من الجسد لا يحلّ النظر إليها لغير هؤلاء، وهي الذراع والساق والعضد والعنق والراس والصدر والأذن، فنهى عن إبداء الزين نفسها. ليعلم أنّ النظر إذا لم يحلّ إليها لملا بستها تلك المواقع - بدليل أن النظر إليها غير ملابسة لها لا مقال في حله - كان النظر إلى المواقع أنفسها متمكناً في الحظر، ثابت القدم في الحرمة، شاهداً على أن النساء حقهنّ أن يحتطن في سترها ويتقين الله في الكشف عنها. فإن قلت: ما تقول في القراميل، هل يحلّ نظر هؤلاء إليها؟ قلت: نعم. فإن قلت: أليس موقعها الظهر ولا يحلّ لهم النظر إلى ظهرها وبطنها، وربما ورد الشعر فوقعت القراميل على ما يحاذي ما تحت السرة؟ قلت: الأمر كما قلت، ولكن أمر القراميل خلاف أمر سائر الحلي، لأنه لا يقع إلا فوق اللباس، ويجوز النظر إلى الثوب الواقع على الظهر والبطن للأجانب فضلاً عن هؤلاء. إلا إذا كان يصف لرقته فلا يحلّ النظر إليه، فلا يحلّ النظر إلى القراميل واقعة عليه. فإن قلت: ما المراد بموقع الزينة؟ ذلك العضو كله، أم المقدار الذي تلبسه الزينة منه؟ قلت: الصحيح أنه العضو كله كما فسرت مواقع الزينة الخفية، وكذلك مواقع الزينة الظاهرة: الوجه موقع الكحل في عينيه، والخضاب بالوسمة في حاجبيه وشاربيه، والغمرة في خديه، والكف والقدم موقعاً الخاتم والفتحة والخضاب بالحناء. فإن قلت: لم سومح مطلقاً في الزينة الظاهرة؟ قلت: لأنّ سترها فيه حرج فإن المرأة لا تجد بداً من مزاوله الأشياء بيديها، ومن الحاجة إلى كشف وجهها، خصوصاً في الشهادة والمحكمة والنكاح، وتضطر إلى المشي في الطرقات وظهور قدميها، وخاصة الفقيرات منهنّ، وهذا معنى قوله: إلا ما ظهر منها يعني إلا ما جرت العادة والجبلة على ظهوره والأصل فيه الظهور، وإنما سومح في الزينة الخفية، أولئك المذكورون لما كانوا مختصين به من الحاجة المضطرة إلى مداخلتهم ومخالطتهم، ولقلة توقع الفتنة من جهاتهم، ولما في الطباع من النفرة عن مماسة القرائب، وتحتاج المرأة إلى صحبتهم في الأسفار للنزول والركوب وغير ذلك.

كانت جيوبهنّ واسعة تبدو منها نحورهنّ وصدورهنّ وما حواليتها، وكُنّ يسدلن الخمر من ورائهنّ فتبقى مكشوفة، فأمرن بأن يسدلنهن من قدامهنّ حتى يغطيئها، ويجوز أن يراد بالجيوب: الصدور تسمية بما يليها ويلابسها. ومنه قولهم: ناصح الجيب وقولك: ضربت بخمارها على جيبها، كقولك: ضربت بيدي على الحائط، إذا وضعتها عليه، وعن عائشة: ما رأيت نساءً خيراً من نساء الأنصار، لما نزلت هذه الآية قامت كل واحدة منهن إلى مرطها المرحل فصدت منه صدعة، فاخترن، فأصبحن كان على رؤوسهنّ الغربان. وقرئ: جيوبهن بكسر الجيم لأجل الباء، وكذلك بُيُوتاً غَيْرَ بُيُوتِكُمْ قيل في نسائهن: هنّ المؤمنات، لأنه ليس للمؤمنة أن تتجرد بين يدي مشركة أو كتابية. عن ابن عباس. والظاهر أنه عنى بنسائهن وما ملكت أيمانهن: من في صحبتتهن وخدمتهن من الحرائر والإماء والنساء، كلهنّ سواء في حلّ نظر بعضهن إلى بعض. وقيل: ما ملكت أيمانهنّ هم الذكور والإناث جميعاً. وعن عائشة أنها أباحت النظر إليها لعبدها، وقالت لذكوان: إنك إذا وضعتني في القبر وخرجت فأنت حرّ. وعن سعيد بن المسيب مثله، ثم رجع وقال: لا تغرنكم آية النور، فإن المراد بها الإماء. وهذا هو الصحيح، لأن عبد المرأة بمنزلة الأجنبي منها، خصياً كان أو فحلاً. وعن ميسون بنت بحدل الكلبيّة: أن معاوية دخل عليها ومعه خصي، فتقنعت منه، فقال: هو خصي فقالت: يا معاوية، أترى أن المثلة به تحلل ما حرّم الله؟ وعند أبي حنيفة: لا يحلّ استخدام الخصيان وإمساكهم وبيعهم وشراؤهم، ولم ينقل عن أحد من السلف إمساكهم. فإن قلت: روي:

748 أنه أهدى لرسول الله خصيً قبله، قلت: لا يقبل فيما تعمّ به البلوى إلا حديث مكشوف، فإن صحّ قلعه قبله ليعتقه، أو لسبب من الأسباب. ألزّية الحاجة قيل: هم الذين يتبعونكم ليصيبوا من فضل طعامكم، ولا حاجة لهم في النساء، لأنهم بله لا يعرفون شيئاً من أمرهنّ. أو شيوخ صلحاء إذا كانوا معهنّ غصّوا أبصارهم، أو بهم عانة. وقرئ: غيّر بالنصب على الاستثناء أو الحال، والجرّ على الوصفية.

وضع الواحد موضع الجمع لأنه يفيد الجنس، ويبين ما بعده أن المراد به الجمع. ونحوه تُحَرِّجُكُمْ طِفْلاً الْحَجِّ: 5 لم يَظْهَرُوا إما من ظهر على الشيء إذا اطلع عليه، أي: لا يعرفون ما العورة ولا يميزون بينها وبين غيرها، وإما من ظهر على فلان إذا قوي عليه، وظهر على القرآن: أخذه وأطاقه، أي: لم يبلغوا أوان القدرة على الوطء. وقرئ: عورات وهي لغة هذيل. فإن قلت: لم لم يذكر الله الأعمام والأخوال؟ قلت: سنل الشعبي عن ذلك؟ فقال: لنلا يصفها العم عند ابنه، والخال كذلك. ومعناه: أن سائر القربايات يشترك الأب والابن في المحرمية إلا العم والخال وأبناءهما. فإذا رآها الأب فربما وصفها لابنه وليس بمحرم، فيداني تصوّره لها بالوصف نظره إليها؛ وهذا أيضاً من الدلالات البليغة على وجوب الاحتياط عليهن في التستر. كانت المرأة تضرب الأرض برجلها ليتقعقع خلخالها، فيعلم أنها ذات خلخال. وقيل: كانت

تضرب بإحدى رجليها الأخرى، ليعلم أنها ذات خلخالين. وإذا نهين عن إظهار صوت الحلي بعد ما نهين عن إظهار الحلي، علم بذلك أن النهي عن إظهار مواضع الحلي أبلغ وأبلغ.

فقرات من التفسير

هـ 33\90: 253

وأما آية الحجاب فقال أنس بن مالك وجماعة سببها أمر والعقود في بيت زينب، القصة المذكورة آنفاً، وقالت فرقة بل في بيت أم سلمة، وقال مجاهد سبب آية الحجاب أن رسول الله أكل معه قوم وعائشة معهم فمست يدها يد رجل منهم فنزلت آية الحجاب بسبب ذلك، وقالت عائشة وجماعة سبب الحجاب كلام عمر وأنه كلم رسول الله مراراً في أن يحجب نساءه وكان رسول الله لا يفعل وكان عمر يتابع فخرجت سودة ليلة لحاجتها وكانت امرأة تفرع النساء طولاً فنادها عمر قد عرفناك يا سودة حرصاً على الحجاب.

وقالت له زينب بنت جحش: عجبنا لك يا ابن الخطاب تغار علينا والوحي ينزل في بيوتنا، فما زال عمر يتابع حتى نزلت آية الحجاب، وقال عمر بن الخطاب وافقت ربي في ثلاث: منها الحجاب، ومقام إبراهيم، وعسى ربه إن طلقن الحديث، وكانت سيرة القوم إذا كان لهم طعام وليمة أو نحوه أن يكر من شاء إلى دار الدعوة ينتظر طبخ الطعام ونضجه في حديث أنس، وكذلك إذا فرغوا منه جلسوا، كذلك فنهى الله تعالى المؤمنين عن أمثال ذلك في بيت النبي ودخل في النهي سائر المؤمنين، والتزم الناس أدب الله تعالى لهم في ذلك فمنعهم من الدخول إلا بأذن عند الأكل لا قبله لانتظار نضج الطعام، وناظرين معناه منتظرين وإنه مصدر أنى الشيء يأتي إذا فرغ وحن أناء، ومنه قول الشاعر: الوافر

تمخضت المنون له بيوماً
أنى ولكل خاتمة تمام

وقرأ الجمهور بفتح النون من إناء وأمالها حمزة والكسائي، ثم أكد المنع وحصر وقت الدخول بأن يكون عن الإذن، ثم أمر تعالى بعد الطعام بأن يفترق جمعهم وينتشر، وقوله ولا مستأنسين عطف على قوله غير ناظرين وغير منصوبة على الحال من الكاف والميم في لكم أي ناظرين ولا مستأنسين، وقرأ ابن أبي عتبة غير بكسر الراء وجوازه على تقدير غير ناظرين إناء أنتم، وقرأ الأعمش أثناءة على جمع أنى بمد بعد النون، وقرأت فرقة فيستحي بإظهار الباء المكسورة قبل الساكنة، وقرأت فرقة فيستحي بسكون الباء دون ياء مكسورة قبلها، وقوله والله لا يستحي معناه لا يقع منه ترك قوله الحق ولما كان ذلك يقع من البشر لعل الاستحياء نفي عن الله تعالى العلة الموجبة لذلك في البشر، وقوله تعالى: وإذا سألتهم عن متاع الآيات هي آية الحجاب، و المتاع عام في جميع ما يمكن أن يطلب على عرف السكنى والمجاورة من المواعين وسائر المرافق للدين والدنيا، وقوله ذلكم أظهر لقلوبكم وقلوبهم يريد من الخواطر التي تعرض للرجال في أمر النساء وللنساء في أمر الرجال، وقوله تعالى: وما كان لكم أن تؤذوا رسول الله الآية روي أنها نزلت بسبب أن بعض الصحابة قال: لو مات رسول الله لتزوجت عائشة فبلغ ذلك رسول الله فتأذى به، هكذا كنى عنه ابن عباس ببعض الصحابة، وحكى مكي عن معمر أنه قال هو طلحة بن عبيد الله.

قال الفقيه الإمام القاضي: لله در ابن عباس، وهذا عندي لا يصح على طلحة، الله عاصمه منه، وروي أن رجلاً من المنافقين قال حين تزوج رسول الله أم سلمة بعد أبي سلمة وحفصة بعد خنيس بن حذافة ما بال محمد يتزوج نساءنا والله لو مات لأجلنا السهام على نسائه فنزلت الآية في هذا، وحرّم الله تعالى نكاح أزواجه بعده وجعل لهن حكم الأمهات، ولما توفي رسول الله وارتدت العرب ثم رجعت زوج عكرمة بن أبي جهل قتيلة بنت الأشعث بن قيس وكان رسول الله قد تزوجها ولم يبين بها فصعب ذلك على أبي بكر الصديق وقلق منه فقال له عمر: مهلاً يا خليفة رسول الله إنها ليست من نسائه إنه لم يخيرها ولا أرخى عليها حجاباً وقد أبانتها منه ردتها مع قومها، فسكن أبو بكر، وذهب عمر إلى أن لا يشهد جنازة زينب بنت جحش إلا ذو محرم منها مراعاة للحجاب، فدلته أسماء بنت عميس على سترها في النعش في القبة وأعلمته أنها رأت ذلك في بلاد الحبشة فصنعه عمر، وروي أن ذلك صنع في جنازة فاطمة بنت النبي.

هـ 33\90: 359

¹ <http://goo.gl/eKg8Ub>

² <http://goo.gl/Fy8ny5>

³ <http://goo.gl/OWVMeO>

لما كانت عادة العربيات التبذل في معنى الحجة وكن يكشفن وجوههن كما يفعل الإماء وكان ذلك داعية إلى نظر الرجال إليهن وتشعب الفكر فيهن أمر الله تعالى رسوله عليه السلام بأمرهن بإدناء الجلابيب، ليقع سترهن ويبين الفرق بين الحرائر والإماء، فيعرف الحرائر بسترهن فكيف عن معارضتهن من كان غزلاً أو شاباً وروي أنه كان في المدينة قوم يجلسون على الصعدات لرؤية النساء ومعارضتهن ومراودتهن، فنزلت الآية بسبب ذلك، و الجلابيب ثوب أكبر من الخمار، وروي عن ابن عباس وابن مسعود أنه الرداء واختلف الناس في صورة إدنائه، فقال ابن عباس وعبيدة السلماني ذلك أن تلويه المرأة حتى لا يظهر منها إلا عين واحدة تبصر بها، وقال ابن عباس أيضاً وقتادة وذلك أن تلويه فوق الجبين وتشده ثم تعطفه على الأنف وإن ظهرت عيناها لكنه يستر الصدر ومعظم الوجه، وقوله تعالى: ذلك أدنى أن يعرفن أي على الجملة بالفرق حتى لا يختلطن بالإماء، فإذا عرفن لم يقابلن بأذى من المعارضة مراقبة لرتبة الحرية، وليس المعنى أن تعرف المرأة حتى يعلم من هي، وكان عمر إذا رأى أمة قد تقنعت قنعتها الذرة محافظة على زي الحرائر، وباقي الآية ترجية ولطف وحث على التوبة وتطميع في رحمة الله تعالى، وفيها تأنييس للنساء في ترك الجلابيب قبل هذا الأمر المشروع.

هـ 102\24: 131

وقوله تعالى: وقل للمؤمنات الآية أمر الله تعالى النساء في هذه الآية بغض البصر عن كل ما يكره من جهة الشرع النظر إليه، وفي حديث أم سلمة قالت: كنت أنا وعائشة عند النبي فدخل ابن أم مكتوم فقال النبي عليه السلام احتجبن قنننا: أعمى، فقال النبي عليه السلام أفعماوان أنتما؟ ومن تحتمل ما تقدم في الأولى، وحفظ الفروج يعم الفواحش وستر العورة وما دون ذلك مما فيه حفظ، وأمر الله تعالى بأن لا يبدین زینتهن للناظرین إلا ما استثناه من الناظرین في باقي الآية، ثم استثنى ما يظهر من الزينة، فاختلف الناس في قدر ذلك، فقال ابن مسعود ظاهر الزينة هو الثياب، وقال سعيد بن جبیر الوجه والثياب، وقال سعيد بن جبیر أيضاً وعطاء والأوزاعي الوجه والكفان والثياب، وقال ابن عباس وقتادة والمسور بن مخرمة ظاهر الزينة هو الكحل والسواك والخضاب إلى نصف الذراع والقرطة والفتخ ونحو هذا فمباح أن تبدي المرأة لكل من دخل عليها من الناس، وذكر الطبري عن قتادة في معنى نصف الذراع حديثاً عن النبي وذكر آخر عن عائشة عن النبي. قال الفقيه الإمام القاضي: ويظهر لي في محكم ألفاظ الآية أن المرأة مأمورة بأن لا تبدي وأن تجتهد في الإخفاء لكل ما هو زينة، ووقع الاستثناء في كل ما غلبها فظهر بحكم ضرورة حركة فيما لا بد منه أو إصلاح شأن ونحو ذلك، فما ظهر على هذا الوجه فهو المعفو عنه فغالب الأمر أن الوجه بما فيه والكفين يكثر فيهما الظهور، وهو الظاهر في الصلاة، ويحسن بالحسنة الوجه أن تستتره إلا من ذي حرمة محرمة ويحتمل لفظ الآية أن الظاهر من الزينة لها أن تبدي ولكن يقوي ما قلناه الاحتياط ومراعاة فساد الناس فلا يظن أن يباح للنساء من إبداء الزينة إلا ما كان بذلك الوجه والله الموفق للصواب برحمته، وقرأ الجمهور وليضربن بسكون اللام التي هي للأمر، وقرأ أبو عمر في رواية عباس عنه وليضربن بكسر اللام على الأصل لأن أصل لام الأمر الكسر في ليذهب وليضرب، وإنما تسكينها كتسكين عضد وفخذ، وسبب هذه الآية أن النساء كن في ذلك الزمان إذا غطين رؤوسهن بالأخمرة سدلنهن من وراء الظهر قال النقاش كما يصنع النبط فيبقى النحر والعنق والأذنان لا ستر على ذلك فأمر الله تعالى بالخمار على الجيوب وهينة ذلك يستتر جميع ما ذكرناه، وقالت عائشة: رحم الله المهاجرات الأول لما نزلت هذه الآية عمدن إلى أكثف المروط فشققنها أخمرة وضربن بها على الجيوب. ودخلت على عائشة حفصة بنت أخيها عبد الرحمن وقد اختمرت بشيء يشف عن عنقها وما هنالك فشققته عليها وقالت إنما يضرب بالكثيف الذي يستتر، ومشهور القراءة ضم الجيم من جُيوبهن وقرأ بعض الكوفيين بكسر ها بسبب الياء كقراءتهم ذلك في بيوت وشيوخ ذكره الزهراوي. ولا يُبدین زینتهن إلا لبُعولتهن أو غابائهن أو عباة بُعولتهن أو أبنائهن أو إخوانهن أو بني إخوانهن أو بني أخواتهن أو نساتهن أو ما ملكت أيمانهن أو التابعين غير أولي الإربة من الرجال أو الطفل الذين لم يظهروا على عورات النساء

المعنى في هذه الآية ولا يقصدن ترك الإخفاء للزينة الباطنة كالخلخال والأقراط ونحوه ويطرحن مؤونة التحفظ إلا مع من سمي وبدأ تعالى بالبعولة وهو الأزواج لأن اطلاعهم يقع على أعظم من هذا، ثم تنى به المحارم وسوى بينهم في إبداء الزينة ولكنهم تختلف مراتبهم في الحرمة بحسب ما في نفوس البشر، فلا مرية أن كشف الأب والأخ على المرأة أحوط من كشف ولد زوجها، وتختلف مراتب ما يبدي لهم فيبدي

للأب ما لا يجوز إبداءه لولد الزوج، وقوله أو نسائهن يعني جميع المؤمنات فكأنه قال أو صنفهن، ويدخل في هذا الإمام المؤمنات ويخرج منه نساء المشركين من أهل الذمة وغيرهم، وكتب عمر إلى أبي عبيدة: أنه بلغني أن نساء أهل الذمة يدخلن الحمامات مع نساء المسلمين فامنع من ذلك وحل دونه فإنه لا يجوز أن ترى الذمية عرية المسلمة.

قال فعند ذلك قام أبو عبيدة فابتهل وقال: أيما امرأة تدخل الحمام من غير عذر لا تريد إلا أن تبيض وجهها فسود الله وجهها يوم تبيض الوجوه. وقوله: أو ما ملكت أيمانهن يدخل فيه الإمام الكتابيات ويدخل فيه العبيد عند جماعة من أهل العلم، وهو الظاهر من مذهب عائشة وأم سلمة، وقال ابن عباس وجماعة من العلماء لا يدخل العبد على سيده فيرى شعرها ونحو ذلك إلا أن يكون وغداً، فمنعت هذه الفرقة الكشف بملك اليمين وإباحته بأن يكون من التابعين غير أولي الإربة وفي بعض المصاحف ملكت أيمانكم فيدخل فيه عبد الغير، وقوله أو التابعين يريد الأتباع ليطعموا المفسول من الرجال الذين لا إربة لهم في الوطء فهي شرطان، ويدخل في هذه الصفة المجبوب والمعتوه والمخنت والشيخ الفاني والزمن الموقود بزمانته ونحو هذا هو الغالب في هذه الأصناف، ورب مخنت لا ينبغي أن يكشف، ألا ترى إلى حديث هند، ونهى رسول الله عن كشفه على النساء لما وصف بادنة بنت غيلان بن معتب، وتأمل ما روي في أخبار الدلال المخنت وكذلك الحمقى والمعتوهون فيهم من لا ينبغي أن يكشف، والذي لا إربة له من الرجال قليل والإربة الحاجة إلى الوطء، وعبر عن هذا بعض المفسرين، قال هو الذي يتبعك لا يريد إلا الطعام وما تؤكله، وقرأ عاصم وابن عامر غير بالنصب وهو على الحال من الذكر الذي في التابعين، وقرأ الباقر غير بالخفض على النعت لـ التابعين والقول فيها كالقول في

غير المغضوب الفاتحة: 7 وقوله أو الطفل اسم جنس بمعنى الجمع ويقال طفل ما لم يراهق الحلم، ويظهروا معناه يطلعون بالوطء، والجمهور على سكون الواو من عورات، وروي عن ابن عامر فتح الواو، وقال الزجاج الأكثر سكون الواو، كجوزات وبيضات لتقل الحركة على الواو والياء، ومن قرأ بالفتح فعلى الأصل في فعلة وفعلات.

وَلَا يَضْرِبَنَّ بَأَرْجُلَهُنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِنْ زِينَتِهِنَّ وَتَوْبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعاً أَيُّهُ الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ وَأَنْكَحُوا الْأَيَّامَ مِنْكُمْ وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَانِكُمْ إِنْ يَكُونُوا فُقَرَاءَ يُغْنِهِمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ
أسند الطبري عن المعتمر عن أبيه قال: زعم حضرمي أن امرأة اتخذت برتين من فضة واتخذت جزءاً فجعلت في ساقيهما فمرت على القوم فضربت برجلها الأرض فوقع الخلخال على الجزع فصوت فنزلت هذه الآية، وسماع هذه الزينة أشد تحريكاً للشهوة من إبدائها، ذكره الزجاج، قال مكي رحمه الله ليس في كتاب الله آية أكثر ضمائر من هذه جمعت خمسة وعشرين ضميراً للمؤمنات من مخفوض ومرفوع، وقرأ عبد الله بن مسعود ليعلم ما سر من زينتهن

فقرات من التفسير

هـ\90: 33: 353

ونزلت آية الحجاب لما بنى رسول الله بزینب بنت جحش وأولم عليها. قال أنس: أولم عليها بتمر وسويق وذبح شاة وبعثت إليه أمي أم سليم بخيس في تور من حجارة فأمرني رسول الله أن أدعو أصحابه إلى الطعام فدعوتهم فجعل القوم يجيئون ويأكلون ويخرجون ثم يجيء القوم فيأكلون ويخرجون قلت يا نبي الله قد دعوت حتى ما أجد أحداً أدعوه فقال: ارفعوا طعامكم فرفعوا طعامهم وخرج القوم وبقي ثلاثة نفر يتحدثون في البيت فأطالوا المكث فقال: وقمت معه لكي يخرجوا فمشى حتى بلغ حجرة عائشة ثم ظن أنهم قد خرجوا فرجع ورجعت معه فإذا هم جلوس مكانهم فنزلت الآية.

وروي مثل ذلك عن سعيد بن جبیر عن ابن عباس قال: وكان رسول الله يريد أن يخلو له المنزل لأنه كان حديث عهد بعرس وكان محباً لزینب وكان يكره أذى المؤمنين. وقيل: كان رسول الله يطعم ومعه بعض أصحابه فأصابته يد رجل منهم يد عائشة وكانت معهم فكره ذلك فنزلت آية الحجاب

هـ\90: 33: 459

اللغة: الجلباب خمار المرأة الذي يغطي رأسها ووجهها إذا خرجت لحاجة... ثم خاطب النبي فقال يا أيها النبي قل لأزواجك وبناتك ونساء المؤمنين يدنين عليهن من جلابيبهن أي قل لهؤلاء فليسترن موضع الجيب بالجلباب وهو الملاعة التي تشتمل بها المرأة عن الحس. وقيل: الجلباب مقنعة المرأة يغطي بها وجهها ورؤوسهن إذا خرجن لحاجة بخلاف الإماء اللاتي يخرجن مكشفات الرؤوس والجباه عن ابن عباس ومجاهد. وقيل: أراد بالجلابيب الثياب والقميص والخمار وما تستتر به المرأة عن الجبائي وأبي مسلم.

ذلك أدنى أن يعرفن فلا يؤذين أي ذلك أقرب إلى أن يعرفن بزینب أنهن حرائر ولسن بإماء فلا يؤذين أهل الريبة فإنهم كانوا يمازحون الإماء وربما كان يتجاوز المناقون إلى مازحة الحرائر فإذا قيل لهم في ذلك قالوا حسبناهن إماء فقطع الله عذرهم. وقيل: معناه ذلك أقرب إلى أن يعرفن بالستر والصلاح فلا يتعرض لهن لأن الفاسق إذا عرف امرأة بالستر والصلاح لم يتعرض لها عن الجبائي وكان الله غفوراً أي ستاراً لذنوب عباده رحيماً بهم.

هـ\102: 24: 531

وقل للمؤمنات يغضضن من أبصارهن ويحفظن فروجهن أمر النساء بمثل ما أمر به الرجال من غض البصر وحفظ الفرج ولا يبدین زینتهن أي لا يظهرن مواضع الزينة غير محرم ومن هو في حكمه ولم يرد نفس الزينة لأن ذلك يحل النظر إليه بل المراد مواضع الزينة. وقيل: الزينة زینتان ظاهرة وباطنة فالظاهرة لا يجب سترها ولا يحرم النظر إليها لقوله إلا ما ظهر منها وفيها ثلاثة أقاويل الظاهرة الكحل والخاتم والخدان والخضاب في الكف عن ابن عباس والكحل والسوار والخاتم عن قتادة وثالثها: أنها الوجه والكفان عن الضحاك وعطاء والوجه والبنان عن الحسن وفي تفسير علي بن إبراهيم الكفان والأصابع.

وليضربن بخمرهن على جيوبهن والخمر المقانع جمع خمار وهو غطاء رأس المرأة المنسل على جيبيها أمرن بإلقاء المقانع على صدورهن تغطية لنحورهن فقد قيل إنهن كنَّ يلقين مقانعهن على ظهورهن فتبدو صدورهن وكنى عن الصدور بالجيوب لأنها ملبوسة عليها.

وقيل: إنهن أمرن بذلك ليسترن شعورهن وقرطهن وأعناقهن. قال ابن عباس: تغطي شعرها وصدورها وتراثبها وسوالفها.

¹ <https://goo.gl/pwteJa>

² <http://goo.gl/rm0LFd>

³ <http://goo.gl/cv6VRj>

⁴ <http://goo.gl/65M1Ez>

⁵ <http://goo.gl/yk9rTK>

ولا يبدن زينتتهن يعني الزينة الباطنة التي لا يجوز كشفها في الصلاة. وقيل: معناه لا يضعن الجلباب والخمار عن ابن عباس إلا لبعولتهن أي لأزواجهن يبدن مواضع زينتهن لهم استدعاء لميلهم وتحريكاً لشهوتهم فقد روي أنه لعن السلطاء من النساء والمرهء فالسلطاء التي لا تخضب والمرهء التي لا تكتحل ولعن المسوفة والمفسلة فالمسوفة التي إذا دعاها زوجها إلى المباشرة قالت سوف أفعل والمفسلة هي التي إذا دعاها قالت أنا حائض وهي غير حائض.

أو آبائهن أو آباء بعولتهن أو أبنائهن أو أبناء بعولتهن أو إخوانهن أو بني إخوانهن أو بني أخواتهن وهؤلاء الذين يحرم عليهم نكاحهن فهم ذوو محارم لهم بالأسباب والأنساب ويدخل أجداد البعولة فيه وإن علوا وأحفادهم وإن سفلوا يجوز إبداء الزينة لهم من غير استدعاء لشهوتهم ويجوز لهم تعمد النظر من غير تلذذ أو نساوتهن يعني النساء المؤمنات ولا يحل لهن أن يتجرذن ليهودية أو نصرانية أو مجوسية إلا إذا كانت أمة وهو معنى قوله أو ما ملكت أيمانهن أي من الإماء عن ابن جريج ومجاهد والحسن وسعيد بن المسيب قالوا ولا يحل للعبد أن ينظر إلى شعر مولاته. وقيل: معناه العبيد والإماء وروي ذلك عن أبي عبد الله ع. وقال الجبائي: أراد مملوكاً له لم يبلغ مبلغ الرجال أو التابعين غير أولي الإربة من الرجال. اختلف في معناه فقيل التابع الذي يتبعك لينال من طعامك ولا حاجة له في النساء وهو الأبله المولى عليه عن ابن عباس وقتادة وسعيد بن جبير وهو المروي عن أبي عبد الله ع. وقيل: هو العنين الذي لا إرب له في النساء لعجزه عن عكرمة والشعبي. وقيل: إنه الخصي المبوب الذي لا رغبة له في النساء عن الشافعي ولم يسبق إلى هذا القول. وقيل: إنه الشيخ الهرم لذهاب أربه عن يزيد بن أبي حبيب. وقيل: هو العبد الصغير عن أبي حنيفة وأصحابه.

أو الطفل أي الجماعة من الأطفال الذين لم يظهروا على عورات النساء يريد به الصبيان الذين لن يعرفوا عورات النساء ولم يقووا عليها لعدم شهوتهم. وقيل: لم يطبقوا مجامعة النساء فإذا بلغوا مبلغ الشهوة فحكمهم حكم الرجال.

ولا يضربن بأرجلهن ليعلم ما يخفين من زينتهن. قال قتادة: كانت المرأة تضرب برجلها لتسمع قعقة الخلخال فيها فنهاهن عن ذلك. وقيل: معناه لا تضرب المرأة برجلها إذا مشت ليتبين خلخالها أو يسمع صوته

فقرات من التفسير

هـ33\90: 253

وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ أَي: أزواجه صلى الله عليهم وسلم متاعاً وحوائج فأسألوهُنَّ مستترين من وَرَاءَ حِجَابٍ بحيث لا يقع نظركم إليهن ذلكم أي: الستر والتحجب من أزواج النبي أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ من أمارات الإثم ومخائل المعصية وسوء الأدب وَقُلُوبُهُنَّ أيضاً ترغيباً للشيطان، وتطهيراً لنفوسكم من غوائله وتلبساته.

هـ33\90: 359

ثم أشار سبحانه إلى آداب النساء، وصيانتهم عن الرجال واستحيائهم منهم؛ ليسلمن عن افتراء المفتريين ورمي الرامين، فقال منادياً لحبيبه ليبلغ إلى أمته وأزواجه وأزواجهم أيضاً: يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ المؤيد من عندنا، المبعوث إلى ارشاد البرايا ذكورهم وإناثهم قُلْ لَأَزْوَاجُكَ أَوْلاً عَلَى سَبِيلِ الشَّفَقَةِ والنصيحة وَبَنَاتُكَ أيضاً وعموم نساء الْمُؤْمِنِينَ إِذَا برزن لحوائجهم أحياناً يُدْنِينَ وَيُغْطِينَ عَلَيَّهنَّ أَي: على أيديهن وأرجلهن وجميع معاطفن من فواصل جَلَابِيهِنَّ وملاحفن، بحيث لا يبدو من أعضائهن شيء سوى العينين، بل عين واحدة؛ لتمييزن بها عن الإماء واليغيات المربيات، المطاعم لأهل الفجور والفسوق ذلك التستر والتغطي على الوجه الأثم الأبلغ أدنى وأقرب أَنْ يُعْرِفَنَّ وَيُمِيزَنَّ أولئك الحرائر والعفانق عن الإماء والمربيات، وعندما عرفن فَلَا يُؤَدِّنَنَّ ولا يفترين بهتاناً وَكَانَ اللَّهُ المطلع لما اختلج في جوانحهن غفوراً لهن بعدما ثَبَّنَ إلى الله وَأَثْبَنَ رَحِيماً الأحزاب: 59 يَقِيلُ توبتهن ويرحم عليهن إِنْ أَخْلَصْنَ فِيهَا.

هـ102\24: 431

وَقُلْ أيضاً يا أكمل الرسل لِلْمُؤْمِنَاتِ المقيمات لحدود الله، المتحفظات لمحارمه: يَعْضُضْنَ وينقصن مَنْ أَبْصَارَهُنَّ ويقصرن نظرهن إلى أزواجهن، وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ من الميل إلى المحارم، ولهن أَلَا يَعْرِضْنَ نفوسهن إلى غير أزواجهن، وَلَا يُبْدِينَ ويظهرن زِينَتَهُنَّ لغيرهن إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا ما ظهر من الثياب التي يلبسونهن، ومن غاية تسترهم وتحفظهم لِيُضْرَبْنَ ويسترن بِخُمْرَهُنَّ ومقانعهن عَلَى جُيُوبَهُنَّ أَي: نحورهن وصدورهن مبالغة في التستر والتحفظ.

والجملة: لَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ أَي: التي يترين بها لازدياد الحسن إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَي: لأزواجهن الزينة إنما هي لأجلهم أَوْ أَبْنَاتِهِنَّ إِذْ هم الأولياء لهن أَوْ أَبَاءَ بُعُولَتِهِنَّ لحفظهم محارم أبنائهم أَوْ أَبْنَاتِهِنَّ لأنهم أمناء على أمهاتهم أَوْ أَبْنَاءَ بُعُولَتِهِنَّ لأنهم حافظون حمية أبائهم ومحارمهم أَوْ إِخْوَانَهُنَّ لأنهم أحفظ عليهن منهن؛ لخوف لحوق العار حميةً وغيره أَوْ بَنِي إِخْوَانَهُنَّ إِذْ هم كأبائهم في محافظتهن أَوْ بَنِي أَخَوَاتِهِنَّ لِأَن نسبتهن إليهن كنسبتهم إلى أمهاتهم أَوْ نِسَائِهِنَّ أَي: المسلمات مطلقاً؛ إِذْ لا يتصور منهم الضرر سوى السحاق، والضرر والإيمان يمنع عنهما أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ إِذْ الاحتراز عنه حرج؛ لأنهم من أهل الخدمة أَوْ التَّابِعِينَ غَيْرَ أُولِي الْأَرْبَةِ أَي: الحاجة والشهوة مَنْ الرِّجَالِ الهرم الذين لا يبقى منهم الشهوة أَوْ الْطُفْلُ الَّذِينَ لَمْ يَطْهَرُوا عَلَى عَوْرَاتِ النِّسَاءِ لعدم بلوغهم وقت الحلم وثوران الشهوة.

وأيضاً قُلْ لهن: لَا يَضْرِبَنَّ بَأَرْجُلَهُنَّ على عادة الجهال من التبخر والرقص لِيُعْلَمَ ويظهر مَا يُخْفَيْنَ من زِينَتِهِنَّ.

1 <https://goo.gl/HSqBrp>

2 <http://goo.gl/go5I5R>

3 <http://goo.gl/7G1lv2>

4 <http://goo.gl/AvLd9U>

فقرات من التفسير

هـ\33\253

قوله تعالى: يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوت النبي... الآية. في سبب نزولها ستة أقوال.
القول الأول: أخرجه في الصحيحين من حديث أنس بن مالك، أن رسول الله لما تزوج زينب بنت جحش دعا القوم، فطعموا ثم جلسوا يتحدثون، فأخذ كأنه يتهيأ للقيام، فلم يقوموا، فلما رأى ذلك قام وقام من القوم من قام، وقعد ثلاثة، فجاء رسول الله فدخل فإذا القوم جلوس، فرجع، وإتاهم قاموا فانطلقوا، وجئت فأخبرت النبي أنهم قد انطلقوا، فجاء حتى دخل، وذهبت أدخل فالتقى الحجاب بيني وبينه، وأنزل الله تعالى هذه الآية.
والثاني: أن ناساً من المؤمنين كانوا يتحيتون طعام النبي فيدخلون عليه قبل الطعام إلى أن يدرك، ثم يأكلون ولا يخرجون، فكان رسول الله يتأذى بهم، فنزلت هذه الآية، قاله ابن عباس.
والثالث: أن عمر بن الخطاب قال: قلت يا رسول الله! إن نساءك يدخل عليهن البر والفاجر، فلو أمرتهن أن يحنجن، فنزلت آية الحجاب، أخرجه البخاري من حديث أنس، وأخرجه مسلم من حديث ابن عمر، كلاهما عن عمر.

والرابع: أن عمر أمر نساء رسول الله بالحجاب، فقالت زينب: يا ابن الخطاب، إنك لتغار علينا والوحي ينزل في بيوتنا؟! فنزلت الآية، قاله ابن مسعود.

والخامس: أن عمر كان يقول لرسول الله: احجب نساءك، فلا يفعل، فخرجت سودة ليلة، فقال عمر: قد عرفناك يا سودة - حرصاً على أن ينزل الحجاب - فنزل الحجاب، رواه عكرمة عن عائشة.
والسادس: أن رسول الله كان يطعم معه بعض أصحابه، فأصابته يد رجل منهم يد عائشة، وكانت معهم، فكره النبي ذلك، فنزلت آية الحجاب، قاله مجاهد.

قوله تعالى: إلا أن يؤذن لكم إلى طعام أي: أن تدعوا إليه غير ناظرين أي: منتظرين إناء. قال الزجاج: موضع أن نصب؛ والمعنى: إلا بأن يؤذن لكم، أو لأن يؤذن، ووجوب منصوبة على الحال؛ والمعنى: إلا أن يؤذن لكم غير منتظرين. ورواها: نُضجها وبلوغه.

قوله تعالى: فانتشروا أي: فاحرجوا.

قوله تعالى: ولا مستأنسين لحديث المعنى: ولا تدخلوا مستأنسين، أي: طالبي الأنس لحديث، وذلك أنهم كانوا يجلسون بعد الأكل فيتحدثون طويلاً، وكان ذلك يؤذيه، ويستحي أن يقول لهم: قوموا، فعلمهم الله الأدب، فذلك قوله: والله لا يستحيي من الحق أي: لا يتزك أن يبين لكم ما هو الحق وإذا سألتموهن متاعاً أي: شيئاً يُستمتع به ويُنتفع به من آلة المنزل فاسألوهن من وراء حجاب ذلكم أظهر أي: سؤالكم إيَّاهن المتاع من وراء حجاب أظهر لقلوبكم وقلوبهن من الريبة.

هـ\33\359

قوله تعالى: يا أيها النبي قل لأزواجك... الآية، سبب نزولها أن الفساق كانوا يؤذون النساء إذا خرجن بالليل، فإذا رأوا المرأة عليها قناع تركوها وقالوا: هذه خرة، وإذا رأوها بغير قناع قالوا: أمة، فأذوها، فنزلت هذه الآية، قاله السدي.

قوله تعالى: يُؤنن عليهن من جلابيبهن قال ابن قتبية: يلبس الأردية. وقال غيره: يغطين رؤوسهن ووجوههن ليعلم أنهم حرائر ذلك أدنى أي: أخرى وأقرب أن يُعرفن أنهم حرائر فلا يؤذين.

هـ\102\24\431

قوله تعالى: ولا يبدن زينتهن أي: لا يظهرنها لغير محرم. وزينتهن على ضربين، خفية كالسوارين والقرطين والدملج والقلاند ونحو ذلك، وظاهرة وهي المشار إليها بقوله إلا ما ظهر منها وفيه سبعة أقوال.

¹ <https://goo.gl/uTICol>

² <http://goo.gl/HG5AIG>

³ <http://goo.gl/PRLoSus>

⁴ <http://goo.gl/jsyWNY>

أحدهما: أنها الثياب، رواه أبو الأحوص عن ابن مسعود، وفي لفظ آخر قال هو الرداء.
والثاني: أنها الكف والخاتم والوجه.
والثالث: الكحل والخاتم، رواهما سعيد بن جبيرة عن ابن عباس.
والرابع: القُلبان، وهما السواران والخاتم والكحل، قاله المسور بن مخرمة.
والخامس: الكحل والخاتم والخضاب، قاله مجاهد.
والسادس: الخاتم والسوار، قاله الحسن.
والسابع: الوجه والكفان، قاله الضحاك. قال القاضي أبو يعلى: والقول الأول أشبه، وقد نص عليه أحمد، فقال: الزينة الظاهرة: الثياب، وكل شيء منها عورة حتى الظفر، ويفيد هذا تحريم النظر إلى شيء من الأجنيات لغير عذر، فإن كان لعذر مثل أن يريد أن يتزوجها أو يشهد عليها، فإنه ينظر في الحالين إلى وجهها خاصة، فأما النظر إليها بغير عذر، فلا يجوز لا لشهوة ولا لغيرها وسواء في ذلك الوجه والكفان وغيرهما من البدن.
فان قيل: فلم لا تبطل الصلاة بكشف وجهها.
فالجواب: أن في تغطيته مشقة، فففي عنه.
قوله تعالى: وليضربن بخمرهن وهي جمع خمار، وهو ما تغطي به المرأة رأسها، والمعنى: وليُثَقِّين مَقَانِعَهُنَّ على جيوبهن ليسترن بذلك شعورهن وقرطهن وأعناقهن. وقرأ ابن مسعود، وأبي بن كعب، وإبراهيم النخعي، والأعمش: على جيوبهن بكسر الجيم، ولا يبدن زينتهن يعني: الخفية وقد سبق بيانها إلا لبعولتهن قال ابن عباس: لا يضعن الجلباب والخمار إلا لأزواجهن.
قوله تعالى: أو نساتهن يعني: المسلمات. قال أحمد: لا يحل للمسلمة أن تكشف رأسها عند نساء أهل الذمة، واليهودية والنصرانية لا تقبلان المسلمة.
قوله تعالى: أو ما ملكت أيمانهن قال أصحابنا: المراد به: الإماء دون العبيد. وقال أصحاب الشافعي: يدخل فيه العبيد، فيجوز للمرأة عندهم أن تظهر لملوكها ما تظهر لمحارمها، لأن مذهب الشافعي أنه مُحَرَّمُ لها، وعندنا أنه ليس بمحرَّم، ولا يجوز أن ينظر إلى غير وجهها وكفيها، وقد نص أحمد على أنه لا يجوز أن ينظر إلى شعر مولاته.
قال القاضي أبو يعلى: وإنما ذكر الإمام في الآية، لأنه قد يظن الظان أنه لا يجوز أن تبدي زينتها للإماء، لأن الذين تقدم ذكرهم أحرار فلما ذكر الإمام زال الإشكال.
قوله تعالى: أو التابعين وهم الذين يتبعون القوم ويكونون معهم لإرفاقهم إياهم، أو لأنهم نشؤوا فيهم. وللمفسرين في هذا التابع ستة أقوال:
أحدهما: أنه الأحق الذي لا تشتهيه المرأة ولا يغار عليه الرجل، قاله قتادة، وكذلك قال مجاهد: هو الأبله الذي يريد الطعام ولا يريد النساء.
والثاني: أنه العنين، قاله عكرمة.
والثالث: المختل كان يتبع الرجل يخدمه بطعامه، ولا يستطيع غشيان النساء ولا يشتهيهن، قاله الحسن.
والرابع: أنه الشيخ الفاني.
والخامس: أنه الخادم، قالهما ابن السائب.
والسادس: أنه الذي لا يكثرث بالنساء، إما لكبر أو لهرم أو لصغر، ذكره ابن المنادي من أصحابنا. قال الزجاج: غير صفة للتابعين. وفيه دليل على أن قوله: أو ما ملكت أيمانهن معناه: غير أولي الإربة من الرجال والمعنى: ولا يبدن زينتهن لمماليكهن ولا لتبائعهن إلا أن يكونوا غير أولي الإربة، والإربة: الحاجة ومعناه: غير ذوي الحاجات إلى النساء.
قوله تعالى: أو الطُّفُل قال ابن قتيبة: يريد الأطفال، بدليل قوله لم يظهروا على عورات النساء أي: لم يعرفوها.
قوله تعالى: ولا يضربن بأرجلهن أي: بإحدى الرجلين على الأخرى، ليضرب الخلل الخلل فيعلم أن عليها خلخالين.

فقرات من التفسير

هـ\90\33: 253

وإذا سألتهم متاعاً يعني إذا سألتهم أزواج النبي شيئاً يحتاجون إليه فاسألوهن من وراء حجاب وستر ذلكم أظهر لقلوبكم وقلوبهن من الميل إلى الفجور.

هـ\90\33: 359

خاطب النبي محمد صلى الله عليه وآله يقوله يا أيها النبي وامره بأن يقول لأزواجه وبناته ونساء المؤمنين، ويأمرهم بأن يدينن عليهم من جلابيبهن، فالجلابيب جمع جلباب وهو خمار المرأة وهي المقنعة تغطي جبينها ورأسها إذا خرجت لحاجة بخلاف خروج الاماء اللاتي يخرجن مكشفات الرؤوس والجباه - في قول ابن عباس ومجاهد - وقال الحسن: الجلابيب الملاحف تدينها المرأة على وجهها ذلك أدنى أن يعرفن فلا يؤذين

هـ\102\24: 431

لما امر الله تعالى الرجال المؤمنين في الآية الأولى بغض أبصارهم عن عورات النساء، وامرهم بحفظ فروجهم عن ارتكاب الحرام، أمر المؤمنات في هذه الآية ايضاً من النساء بغض أبصارهن عن عورات الرجال، وما لا يحل النظر إليه. وامرهن ان يحفظن فروجهن إلا عن أزواجهن على ما اباحه الله لهم، ويحفظن ايضاً أظهارها بحيث ينظر إليها، ونهاهن عن إبداء زينتهن إلا ما ظهر منها. قال ابن عباس: يعني القرطين والقلادة والسوار والخلخال والمعصدة والمنحر، فانه يجوز لها إظهار ذلك لغير الزوج، فأما الشعر فلا يجوز ان تبديه إلا لزوجها.

والزينة المنهي عن إبدائها زينتان، فالظاهرة الثياب، والخفية الخلخال، والقرطان والسوار - في قول ابن مسعود - وقال ابراهيم: الظاهر الذي ابيح الثياب فقط. وعن ابن عباس - في رواية أخرى - أن الذي ابيح الكحل والخاتم والحذاء والخضاب في الكف. وقال قتادة: الحذاء والسوار والخاتم. وقال عطاء: الكفان والوجه. وقال الحسن: الوجه والثياب. وقال قوم: كلما ليس بعورة يجوز اظهاره. واجمعوا أن الوجه والكفين ليسا بعورة، لجواز اظهارها في الصلاة، والاحوط قول ابن مسعود، والحسن بعده.

وقوله وليضربن بخمرهن على جيوبهن فالخمار غطاء رأس المرأة المنسبل على جبينها وجمعه خمر، وقال الجبائي: هي المقانع.

ثم كرر النهي عن اظهار الزينة تأكيداً وتغليظاً واستثنى من ذلك: الأزواج وآباء النساء. وإن علواً، وآباء الأزواج وابنائهم، أو اخوانهن وبنى اخوانهن أو بني اخواتهن، أو نساكنهن يعني نساء المؤمنين دون نساء المشركين إلا اذا كانت أمة وهو معنى قوله أو ما ملكت أيمانهن أي من الاماء - في قول ابن جريج - فانه لا بأس باظهار الزينة لهؤلاء المذكورين، لانهم محارم.

وقوله أو التابعين غير أولي الأربة من الرجال قال ابن عباس: هو الذي يتبعك ليصيب من طعامك ولا حاجة له في النساء، وهو الأبله. وبه قال قتادة وسعيد بن جببر وعطاء. وقال مجاهد: هو الطفل الذي لا أرب له في النساء لصغره. وقيل: هو العنين، ذكره عكرمة، والشعبي. وقيل: هو المبوب. وقيل: هو الشيخ الهيم. والاربة الحاجة، وهي فطة من الارب، كالمشية من المشي، والجلسة من الجلوس. وقد أربت لكذا أرب له أرباً إذا احتجت إليه، ومنه الأربة - بضم الالف - العقدة، لأن ما يحتاج إليه من الامور يقتضي العقدة عليه، ولأن الحاجة كالعقدة حتى تتحل بسد الخلّة، ولأن العقدة التي تمنع من المنفعة يحتاج الى حلها، ولأن العقدة عمدة الحاجة.

وقوله أو الطفل الذين لم يظهروا على عورات النساء يعني الصغار الذين لم يراهقوا، فانه يجوز إبداء الزينة لهم.

¹ <https://goo.gl/eAj1fE>

² <http://goo.gl/5o1d07>

³ <http://goo.gl/h1FbYT>

⁴ <http://goo.gl/imIKX8>

وقوله ولا يضربن بأرجلهن ليعلم ما يخفين من زينتهن معناه لا تضرب امرأة برجلها، ليعلم صوت الخلخال في رجلها، كما كان يفعله نساء أهل الجاهلية. وذلك يدل على أن إظهار الخلخال لا يجوز. ثم أمر الله تعالى المكلفين، فقال وتوبوا إلى الله جميعاً أيها المؤمنون لعلكم تفلحون أي لتفوزوا بثواب الجنة. ومن نصب غير يجوز أن يكون على الاستثناء، ويجوز أن يكون على الحال. ومن كسر جعله نعتاً لـ التابعين، غير وإن لم يوصف به المعارف، فإنما المراد بالتابعين ليس بمعين. وابن عامر انما ضم الهاء ووقف بلا ألف في أيه اتباعاً للمصحف. قال أبو علي: وقراءته ضعيفة، لأن آخر الاسم هو الياء الثانية في أي، فينبغي أن يكون المضموم آخر الاسم ولا يجوز ضم الهاء، كما لا يجوز ضم الميم في قوله اللهم ولأنه آخر الكلام، وها للتنبيه، فلا يجوز حذف الالف بحال.

فقرات من التفسير

هـ-102\24: 231

قوله تعالى وَلَا يُدِينُ زِينَتُهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا فيه استشهاد على ان لا يجوز للعارفين ان يبدوا زينة حقائق معرفتهم وما يكشف الله لهم من عالم الملكوت وانوار الذات والصفات ولا المواجيد الا ما ظهر منهم بغلبات الشطح والاشارات المشككة وهذه الاحوال اشرف زينة للعارفين قال بعضهم أزين ما تزين به العبد الطاعة فاذا اظهرها فقد ذهب زينتها وقال بعضهم الحكمة وفي هذه الآية لأهل المعرفة ان من اظهر شيئا من افعاله الا ما ظهر عليه من غير قصد له فقد سقط به عن رؤية الحق لان ما وقع عليه رؤية الخلق ساقط عن رؤية الحق قوله تعالى وَتَوْبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعاً أَيُّهُ الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ قرن التوبة بالايمان ثم قرنهما بالفلاح معناه من رجع الى الله من نفسه والاكوان وشاهد مشاهد الربوبية فاز من عذاب الفرقة وظهر بالمشاهدة والاستقامة فليطلبه في تصحيح توبته ودوام تضرعه وانابته فان تصحيح التوبة تحقيق الايمان والوصول الى حقيقة المعرفة قال الله وَتَوْبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعاً وقد وقع لي ههنا اشارة لطيفة ان الله سبحانه طالب المؤمنين جميعا بالتوبة ومن آمن بالله وترك الشرك فقد تاب وصح توبته ورجوعه الى الله وان خطر عليه خاطر او جرى عليه معصية فهم في حيز التوبة فان المؤمن اذا جرى عليه معصية ضاق صدره واهتم قلبه وقدم روحه ورجع سره هذا للعلوم والاشارة في الخصوص ان الجميع محجوبون اصل النكرة وما وجدوا به من القربة وسكنوا بمقاماتهم ومشاهداتهم ومعرفتهم توحيدهم أي انتم بعد في حجاب هذه المقامات تبوا منها الي فان رؤيتها اعظم الشرك في المعرفة لان من ظن انه واصل وليس له حاصل من معرفة وجوده وكنهه جلال عزته فمن هذا وجب التوبة عليهم في جميع الانفاس لذلك هجم حبيب الله في بحر الفناء وقال انه ليغان على قلبي واني لاستغفر الله في كل يوم مائة مرة وسمعت ان الخضرية قال لابي يزيد اريد ان اتوب ولا اقدر فقال ويحك العزة لله وانت تطلب العزة ويافهم ان عقيب كل توبة توبة حتى تتوب من التوبة وتقع في بحر الفناء من غلبة رؤية القدم والبقاء.

¹ <https://goo.gl/Zy91pp>

² <http://goo.gl/yxDhZ9>

فقرات من التفسير

هــ33\90: 253

المسألة الرابعة: قوله: فَإِذَا طَعَمْتُمْ فَانْتَشِرُوا كَانَ بعض الصحابة أطال المكث يوم وليمة النبي عليه السلام في عرس زينب، والنبي عليه السلام لم يقل له شيئاً، فوردت الآية جامعة لأداب، منها المنع من إطالة المكث في بيوت الناس، وفي معنى البيت موضع مباح اختاره شخص لعبادته أو اشتغاله بشغل فيأتيه أحد ويطيل المكث عنده، وقوله: وَلَا مُسْتَأْنَسِينَ لَحْدِيثٌ قال الزمخشري هو عطف على غَيْرِ نَظَرِينَ مجرور، ويحتمل أن يكون منصوباً عطفاً على المعنى، فإن معنى قوله تعالى: لَا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ إِلَّا أَنْ يُؤْذَنَ لَكُمْ لَا تَدْخُلُوهَا هاجمين، فعطف عليه وَلَا مُسْتَأْنَسِينَ ثم إن الله تعالى بين كون ذلك أدباً وكون النبي حليماً بقوله: إِنْ ذُكِرَ كَانَ يُوْذَى النَّبِيُّ فَيَسْتَحْيِي نَفْسَهُ وَاللَّهُ لَا يَسْتَحْيِي نَفْسَهُ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ. وقوله كان إشارة إلى تحمل النبي عليه السلام، ثم ذكر الله أدباً آخر وهو قوله: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ مَا مَنَعَ اللَّهُ النَّاسَ مِنْ دُخُولِ بُيُوتِ النَّبِيِّ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وكان في ذلك تعذر الوصول إلى الماعون، بين أن ذلك غير ممنوع منه فليسأل وليطلب من وراء حجاب، وقوله ذُكِرَ لَكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِمْ يعني العين روزنة القلب، فإذا لم تر العين لا يشتبه القلب. أما إن رأيت العين فقد يشتبه القلب وقد لا يشتبه، فالقلب عند عدم الروية أطهر، وعدم الفتنة حينئذٍ أظهر.

هــ33\90: 359

لما ذكر أن من يؤذي المؤمنين يحتمل بهتاناً وكان فيه منع المكلف عن إيذاء المؤمن، أمر المؤمن باجتناب المواضع التي فيها التهم الموجبة للتأذي لنلا يحصل الإيذاء الممنوع منه. ولما كان الإيذاء القولي مختصاً بالذكر اختص بالذكر ما هو سبب الإيذاء القولي وهو النساء فإن ذكرهن بالسوء يؤذي الرجال والنساء بخلاف ذكر الرجال فإن من ذكر امرأة بالسوء تأذت وتأذى أقاربها أكثر من تأذيها، ومن ذكر رجلاً بالسوء تأذى ولا يتأذى نسائه، وكان في الجاهلية تخرج الحرة والأمة مكشوفات يتبعهن الزناة وتقع التهم، فأمر الله الحرائر بالتجلبب.

وقوله: ذَلِكَ أَذْنَى أَنْ يُعْرِفَنَّ فَلَا يُؤْذَنَ قِيلَ يعرفن أنهم حرائر فلا يتبعن ويمكن أن يقال المراد يعرفن أنهم لا يزينن لأن من تستر وجهها مع أنه ليس بعورة لا يطمع فيها أنها تكشف عورتها فيعرفن أنهم مستورات لا يمكن طلب الزنا منهن. وقوله: وَكَانَ اللَّهُ غَفُوراً رَحِيماً يغفر لكم ما قد سلف برحمته ويثيبكم على ما تاتون به راحماً عليكم.

هــ102\24: 431

أما قوله تعالى: وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَنْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ فَالقول فيه على ما تقدم، فإن قيل فلم قدم غض الأبصار على حفظ الفروج، قلنا لأن النظر بريد الزنا ورائد الفجور والبلوى فيه أشد وأكثر، ولا يكاد يقدر على الاحتراس منه.

أما قوله تعالى: وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا فمن الأحكام التي تختص بها النساء في الأغلب، وإنما قلنا في الأغلب لأنه محرم على الرجل أن يبدي زينته حلياً ولباساً إلى غير ذلك للنساء الأجنبية، لما فيه من الفتنة وههنا مسائل:

المسألة الأولى: اختلفوا في المراد بزيتتهن، واعلم أن الزينة اسم يقع على محاسن الخلق التي خلقها الله تعالى وعلى سائر ما يزين به الإنسان من فضل لباس أو حلى وغير ذلك، وأنكر بعضهم وقوع اسم الزينة على الخلقة، لأنه لا يكاد يقال في الخلقة إنها من زينتها. وإنما يقال ذلك فيما تكتسبه من كحل وخضاب وغيره، والأقرب أن الخلقة داخلة في الزينة، ويدل عليها وجهان: الأول: أن الكثير من النساء ينفردن بخلقتهم عن

¹ <https://goo.gl/l6FFyI>

² <http://goo.gl/TpJfyX>

³ <https://goo.gl/bNSJZM>

⁴ <http://goo.gl/v4Vc5L>

سائر ما يعد زينة، فإذا حملناه على الخلقه وفيها العموم حقّه، ولا يمنع دخول ما عدا الخلقه فيه أيضاً الثاني: أن قوله: وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ يدل على أن المراد بالزينة ما يعم الخلقه وغيرها فكأنه تعالى منعهن من إظهار محاسن خلقتهن بأن أوجب سترها بالخمار، وأما الذين قالوا الزينة عبارة عما سوى الخلقه فقد حصروه في أمور ثلاثة: أحدها: الأصباغ كالكلل والخضاب بالوشمة في حاجبيها والغمرة في خديها والحناء في كفيها وقدميها وثانيها: الحلي كالخاتم والوسار والخلخال والدملج والقلادة والإكليل والوشاح والقرط. وثالثها: الثياب قال الله تعالى:

خُذُوا زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَالْأَعْرَافِ: 31 وأراد الثياب.

المسألة الثانية: اختلفوا في المراد من قوله: إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا أما الذين حملوا الزينة على الخلقه، فقال القفال معنى الآية إلا ما يظهره الإنسان في العادة الجارية، وذلك في النساء الوجه والكفان، وفي الرجل الأطراف من الوجه واليدين والرجلين، فأمرُوا بستر ما لا تؤدي الضرورة إلى كشفه ورخص لهم في كشف ما اعتيد كشفه وأدت الضرورة إلى إظهاره إذ كانت شرائع الإسلام حنيفية سهلة سمحة، ولما كان ظهور الوجه والكفين كالضروري لا جرم اتفقوا على أنهما ليسا بعورة، أما القدم فليس ظهوره بضروري فلا جرم اختلفوا في أنه هل هو من العورة أم لا؟ فيه وجهان: الأصح أنه عورة كظهر القدم، وفي صوتها وجهان أصحهما أنه ليس بعورة، لأن نساء النبي كن يروين الأخبار للرجال، وأما الذين حملوا الزينة على ما عدا الخلقه فقالوا إنه سبحانه إنما ذكر الزينة لأنه لا خلاف أنه يحل النظر إليها حالما لم تكن متصلة بأعضاء المرأة، فلما حرم الله سبحانه النظر إليها حال اتصالها ببدن المرأة كان ذلك مبالغة في حرمة النظر إلى أعضاء المرأة، وعلى هذا القول يحل النظر إلى زينة وجهها من الوشمة والغمرة وزينة بدنها من الخضاب والخواتيم وكذا الثياب، والسبب في تجويز النظر إليها أن تسترّها فيه حرج لأن المرأة لا بد لها من مناوله الأشياء بيديها والحاجة إلى كشف وجهها في الشهادة والمحكمة والنكاح.

المسألة الثالثة: اتفقوا على تخصيص قوله: وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا بالحرائر دون الإماء، والمعنى فيه ظاهر، وهو أن الأمة مال فلا بد من الاحتياط في بيعها وشرائها، وذلك لا يمكن إلا بالنظر إليها على الاستقصاء بخلاف الحرة.

أما قوله تعالى: وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ فالخمر واحد خمار، وهي المقانع. قال المفسرون: إن نساء الجاهلية كن يشددن خمرهن من خلفهن، وإن جوبهن كانت من قدام فكان ينكشف نحورهن وقلاندنهن، فأمرن أن يضربن مقانعهن على الجيوب ليتغطي بذلك أعناقهن ونحورهن وما يحيط به من شعر وزينة من الحلي في الأذن والنحر وموضع العقدة منها، وفي لفظ الضرب مبالغة في الإلقاء، والباء للإلصاق، وعن عائشة ما رأيت خيراً من نساء الأنصار، لما نزلت هذه الآية قامت كل واحدة منهن إلى مرطها فصدعت منه صدعة فاختمت فاصبحن على رؤوسهن الغربان وقرىء جُيُوبِهِنَّ بكسر الجيم لأجل الباء وكذلك بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ.

فأما قوله تعالى: وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ فاعلم أنه سبحانه لما تكلم في مطلق الزينة تكلم بعد ذلك في الزينة الخفية التي نهاهن عن إبدائها للأجانب، وبين أن هذه الزينة الخفية يجب إخفاؤها عن الكل، ثم استنتى اثنتي عشرة صورة أحدها: أزواجهن وثانيها: آبائهن وإن علون من جهة الذكور والإناث كآباء الآباء وآباء الأمهات وثالثها: آباء أزواجهن ورابعها وخامسها: أبناءهن وأبناء بعولتهن، ويدخل فيه أولاد الأولاد وإن سفلوا من الذكور والإناث كبنين البنين وبنات البنات وسادسها: إخوانهن سواء كانوا من الأب أو من الأم أو منهما وسابعها: بنو إخوانهن وثامنها: بنو أخواتهن وهؤلاء كلهم محارم، وههنا سوالات:

السؤال الأول: أفحل لنوي المحرم في المملوكة والكافرة ما لا يحل له في المؤمنة؟ الجواب: إذا ملك المرأة وهي من محارمه فله أن ينظر منها إلى بطنها وظهرها لا على وجه الشهوة، بل لأمر يرجع إلى مزية الملك على اختلاف بين الناس في ذلك.

السؤال الثاني: كيف القول في العم والخال؟ الجواب: القول الظاهر أنهما كسائر المحارم في جواز النظر وهو قول الحسن البصري، قال لأن الآية لم يذكر فيها الرضاع وهو كالنسب وقال في سورة الأحزاب: لَا جُنَاحَ عَلَيْهِنَ فِي آبَائِهِنَّ الْأَحْزَابِ: 55 الآية. ولم يذكر فيها البعولة ولا أبناءهم وقد ذكروا ههنا، وقد يذكر البعض لينبه على الجملة. قال الشعبي: إنما لم يذكرهما الله لئلا يصفهما العم عند ابنه الخال كذلك، ومعناه أن سائر القربات تشارك الأب والابن في المحرمية إلا العم والخال وأبناءهما، فإذا رآها الأب فربما وصفها لابنه وليس بمحرم فيقرب تصوره لها بالوصف من نظره إليها، وهذا أيضاً من الدلالات البليغة على وجوب الاحتياط عليهم في التستر.

السؤال الثالث: ما السبب في إباحة نظر هؤلاء إلى زينة المرأة؟ الجواب: لأنهم مخصوصون بالحاجة إلى مداخلتهن ومخاطبتهن وقلة توقع الفتنة بجهاتهن، ولما في الطباع من النفرة عن مجالسة الغرائب، وتحتاج المرأة إلى صحبتهم في الأسفار وللزول والركوب وتوسعها: قوله تعالى: أَوْ نَسَانَهُنَّ وفيه قولان: أحدهما: المراد والنساء اللاتي هن على دينهن، وهذا قول أكثر السلف. قال ابن عباس: ليس للمسلمة أن تتجرد بين نساء أهل الذمة ولا تبدي للكافرة إلا ما تبدي للأجانب إلا أن تكون أمة لها لقوله تعالى: أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ وكتب عمر إلى أبي عبيدة أن يمنع نساء أهل الكتاب من دخول الحمام مع المؤمنات وثانيهما: المراد بنسائهن جميع النساء، وهذا هو المذهب وقول السلف محمول على الاستحباب والأولى وعاشرها: قوله تعالى: أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ وظاهر الكلام يشمل العبيد والإماء، واختلفوا فمنهم من أجرى الآية على ظاهرها، وزعم أنه لا بأس عليهن في أن يظهرن لعبيدهن من زينتهن ما يظهرن لذوي محارمهن، وهو مروى عن عائشة وأم سلمة، واحتجوا بهذه الآية وهو ظاهر. وبما روى أنس: أنه عليه الصلاة والسلام أتى فاطمة بعبد قد وهبه لها وعليها ثوب إذا قتعته به رأسها لم يبلغ رجلها، وإذا غطت به رجلها لم يبلغ رأسها، فلما رأى رسول الله ما بها، قال: إنه ليس عليك بأس إنما هو أبوك و غلامك وعن مجاهد: كان أمهات المؤمنين لا يحتجن عن مكاتبهن ما بقي عليه درهم. وعن عائشة: أنها قالت لذكوان: إنك إذا وضعتني في القبر وخرجت فانت حر. وروى أن عائشة: كانت تمتشط والعبد ينظر إليها، وقال ابن مسعود ومجاهد والحسن وابن سيرين وسعيد بن المسيب: إن العبد لا ينظر إلى شعر مولاته، وهو قول أبي حنيفة رحمه الله، واحتجوا عليه بأمور: أحدها: قوله عليه الصلاة والسلام: لا يحل لامرأة تؤمن بالله واليوم الآخر أن تسافر سفراً فوق ثلاث إلا مع ذي محرم والعبد ليس بذی محرم منها فلا يجوز أن يسافر بها، وإذا لم يجز له السفر بها لم يجز له النظر إلى شعرها كالحار الأجنبي وثانيها: أن ملكها للعبد لا يحل ما يحرم عليه قبل الملك إذ ملك النساء للرجال ليس كملك الرجال للنساء، فإنهم لم يختلفوا في أنها لا تستبج بملك العبد منه شيئاً من التمتع كما يملكه الرجل من الأمة وثالثها: أن العبد وإن لم يجز له أن يتزوج بمولاته إلا أن ذلك التحريم عارض كمن عنده أربع نسوة فإنه لا يجوز له التزوج بغيرهن فلما لم تكن هذه الحرمة مؤبدة كان العبد بمنزلة سائر الأجانب. إذا ثبت هذا ظهر أن المراد من قوله: أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ الإماء فإن قيل الإماء دخلن في قوله: نَسَانَهُنَّ فأى فائدة في الإعادة؟ قلنا الظاهر أنه عنى بنسائهن وما ملكت إيمانهن من في صحبتهن من الحرائر والإماء، وبيانه أنه سبحانه ذكر أولاً أحوال الرجال بقوله: وَلَا يُبَدِّينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ إلى آخر ما ذكر فجاز أن يظن ظان أن الرجال مخصوصون بذلك إذ كانوا ذوي المحارم أو غير ذات المحارم، ثم عطف على ذلك الإماء بقوله: أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ لنلا يظن أن الإباحة مقصورة على الحرائر من النساء إذ كان ظاهر قوله: أَوْ نَسَانَهُنَّ يقتضي الحرائر دون الإماء كقوله:

شَهِيدَيْنِ مِّن رَّجَالِكُمُ الْبَقَرَةَ: 282 على الأحرار لإضافتهم إلينا كذلك قوله: أَوْ نَسَانَهُنَّ على الحرائر، ثم عطف عليهن الإماء فأباح لهن مثل ما أباح في الحرائر وحادي عشرها: قوله تعالى: أَوْ التَّابِعِينَ غَيْرِ أُولَى الْإِرْبَةِ مِّنَ الرِّجَالِ وفيه مسائل:

المسألة الأولى: قيل هم الذين يتبعونكم لينالوا من فضل طعامكم، ولا حاجة بهم إلى النساء، لأنهم بله لا يعرفون من أمرهن شيئاً، أو شيوخ صلحاء إذا كانوا معهم غصوا أبصارهم، ومعلوم أن الخصى والعنن ومن شاكلهما قد لا يكون له إربة في نفس الجماع ويكون له إربة قوية فيما عداه من التمتع، وذلك يمنع من أن يكون هو المراد.

فيجب أن يحمل المراد على من المعلوم منه إنه لا إربة له في سائر وجوه التمتع، إما لفقد الشهوة، وإما لفقد المعرفة، وإما للفقر والمسكنة، فعلى هذه الوجوه الثلاثة اختلف العلماء. فقال بعضهم هم الفقراء الذين بهم الفاقة، وقال بعضهم: المعتوه والأبله والصبي، وقال بعضهم: الشيخ، وسائر من لا شهوة له، ولا يمتنع دخول الكل في ذلك، وروى هشام بن عروة عن زينب بنت أم سلمة عن أم سلمة أن النبي دخل عليها وعندها مخنث فأقبل على أخي أم سلمة فقال يا عبد الله إن فتح الله لكم غداً الطائف دللتك على بنت غيلان، فإنها تقبل بأربع وتدبر بثمان فقال عليه الصلاة والسلام: لا يدخلن عليكم هذا فأباح النبي عليه الصلاة والسلام دخول المخنث عليهن حين ظن أنه من غير أولي الإربة، فلما علم أنه يعرف أحوال النساء وأوصافهن علم أنه من أولى الإربة فحجبه، وفي الخصى والمجبوب ثلاثة أوجه: أحدها: استباحة الزينة الباطنة معهما والثاني: تحريمها عليهما والثالثة: تحريمها على الخصى دون المجبوب.

المسألة الثانية: الإربة الفعلة من الأرب كالمشيئة والجلوس من المشي والجلوس والأرب الحاجة والولوع بالشيء والشهوة له، والإربة الحاجة في النساء، والإربة العقل ومنه الأريب.

المسألة الثالثة: في غَيْرِ قراءَتانِ قرأ ابن عامر وأبو بكر عن عاصم وأبو جعفر غير بالنصب على الاستثناء أو الحال يعني أو التابعين عاجزين عنهن والقراءة الثانية بالخفض على الوصفية وثاني عشرها: قوله تعالى: أَوْ لَطْفٌ لِّلَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا عَلَى عَوْرَاتِ النِّسَاءِ وفيه مسائل: المسألة الأولى: الطفل اسم للواحد لكنه وضع ههنا موضع الجمع لأنه يفيد الجنس، ويبين ما بعده أنه يراد به الجمع ونظيره قوله تعالى: ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلاً الْحَجَّ: 5.

المسألة الثانية: الظهور على الشيء على وجهين: الأول: العلم به كقوله تعالى: إِنَّهُمْ إِنْ يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ يَرْجُمُوكُمْ الكهف: 20 أي إن يشعروا بكم والثاني: الغلبة له والصولة عليه كقوله: فَأَصْنَبُوا ظَهْرَيْنِ الصَّف: 14 فعلى الوجه الأول يكون المعنى أو الطفل الذين لم يتصوروا عورات النساء ولم يدروا ما هي من الصغر وهو قول ابن قتيبة، وعلى الثاني الذين لم يبلغوا أن يطبقوا إتيان النساء، وهو قول الفراء والزجاج.

المسألة الثالثة: أن الصغير الذي لم يتنبه لصغره على عورات النساء فلا عورة للنساء معه، وإن تنبه لصغره ولمراهقته لزم أن تستر عنه المرأة ما بين سرتها وركبتها، وفي لزوم ستر ما سواه وجهان: أحدهما: لا يلزم لأن القلم غير جار عليه والثاني: يلزم كالرجل لأنه يشتهي والمرأة قد تشتهي وهو معنى قوله: أَوْ لَطْفٌ لِّلَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا عَلَى عَوْرَاتِ النِّسَاءِ واسم الطفل شامل له إلى أن يحتلم، وأما الشيخ إن بقيت له شهوة فهو كالشباب، وإن لم يبق له شهوة ففيه وجهان: أحدهما: أن الزينة الباطنة معه مباحة والعورة معه ما بين السرة والركبة والثاني: أن جميع البدن معه عورة إلا الزينة الظاهرة، وههنا آخر الصور التي استثنى الله تعالى، قال الحسن هؤلاء وإن اشتركوا في جواز رؤية الزينة الباطنة فهم على أقسام ثلاثة، فأولهم الزوج وله حرمة ليست لغيره يحل له كل شيء منها، والحرمة الثانية للابن والأب والأخ والجد وأبي الزوج وكل ذي محرم والرضاع كالنفس يحل لهم أن ينظروا إلى الشعر والصدر والساقين والذراع وأشباه ذلك، والحرمة الثالثة هي للتابعين غير أولي الإربة من الرجال وكذا مملوك المرأة فلا بأس أن تقوم المرأة الشابة بين يدي هؤلاء في درع وخمار صفيق بغير ملحفة، ولا يحل لهؤلاء أن يروا منها شعراً ولا بشراً والستر في هذا كله أفضل، ولا يحل للشابة أن تقوم بين يدي الغريب حتى تلبس الجلباب، فهذا ضبط هؤلاء المراتب.

أما قوله تعالى: وَلَا يَضْرِبْنَ بَأَرْجُلَهُنَّ لِيُعْلَمَ مَا يَخْفَيْنَ من زِينَتِهِنَّ فقال ابن عباس وقتادة كانت المرأة تمر بالناس وتضرب برجلها ليسمع قعقعة خلخالها، ومعلوم أن الرجل الذي يغلب عليه شهوة النساء إذا سمع صوت الخلخال يصير ذلك داعية له زائدة في مشاهدتهن، وقد علل تعالى ذلك بأن قال: لِيُعْلَمَ مَا يَخْفَيْنَ من زِينَتِهِنَّ فنبه به على أن الذي لأجله نهى عنه أن يعلم زِينَتِهِنَّ من الحلى وغيره وفي الآية فوائد: الفائدة الأولى: لما نهى عن استماع الصوت الدال على وجود الزينة فلأن يدل على المنع من إظهار الزينة أولى الثانية: أن المرأة منهيّة عن رفع صوتها بالكلام بحيث يسمع ذلك الأجانب إذ كان صوتها أقرب إلى الفتنة من صوت خلخالها، ولذلك كرهوا أذان النساء لأنه يحتاج فيه إلى رفع الصوت والمرأة منهيّة عن ذلك الثالثة: تدل الآية على حظر النظر إلى وجهها بشهوة إذا كان ذلك أقرب إلى الفتنة.

253 :33\90-هـ

359 :33\90هـ

431 :24\102هـ

وَقَالُوا: مَنْ أَرْسَلَ طَرْفَهُ اقْتَضَى حَتْفَهُ.

أَيَّمَانُهُنَّ النُّورُ: 31 يعني: من تملكوا على نفوسهم بحسن الإرادة.

واظهار حال ليعلم ما هو المخفي من أحوالهم على الأغيار.

يقول: توبوا إلى الله فاني أتوب إليه في كل يوم مائة مرة فتوبة المبتدئ من المحرمات وتوبة المتوسط من

<http://goo.gl/1IaL7e> 2

<http://goo.gl/xJCTnd> 4

ذوائب المحالات وتوبة المنتهي بإعراض عما سوى الله بكليته والإقبال على الله بكليته لَعَلَّكُمْ تَفْلَحُونَ النور:
31 ففلاح المبتدئ من النار إلى الجنة والمتوسط من أرض الجنة إلى أعلى عليين مقامات القرب ودرجاتها،
والمنتهي من جنس الوجود المجازي إلى الوجود الحقيقي ومن ظلمة الخليقة إلى نور الربوبية.

فقرات من التفسير

هـ33\90: 253

في الصحيحين، أنه لما تزوج زينب بنت جحش، دعا القوم فطعموا ثم جلسوا يتحدثون، فأخذ كأنه يتهيأ للقيام فلم يقوموا، فلما رأى ذلك قام، وقام من القوم من قام، وقعد ثلاثة، فجاء فدخل، فإذا القوم جلوس، فرجع وأنهم قاموا فانطلقوا، وجئت فأخبرته أنهم قد انطلقوا، فجاء حتى دخل، وذهبت أدخل، فألقى الحجاب بيني وبينه، وأنزل عليه هذه الآية. قال ابن عباس: كان ناس يتحينون طعامه، عليه الصلاة والسلام، فيدخلون عليه قبل الطعام إلى أن يدرك، ثم يأكلون ولا يخرجون، وكان يتأذى بهم، فنزلت. وأما سبب الحجاب، فعمر قال: يا رسول الله، إن نساءك يدخل عليهن البار والفاجر، فلو أمرتهن أن يحتجبن، فنزلت. وقال مجاهد: طعم معه بعض أصحابه، ومعهم عائشة، فمست يد رجل منهم يد عائشة، فكره ذلك عليه السلام، فنزلت آية الحجاب.

هـ33\90: 359

كان دأب الجاهلية أن تخرج الحرة والأمة مكشوفتي الوجه في درع وخمار، وكان الزناة يتعرضون إذا خرجن بالليل لقضاء حوائجهن في النخيل والغيطان للإماء، وربما تعرضوا للحرة بعلقة الأمة، يقولون: حسبناها أمة، فأمرن أن يخالفن بزيهن عن زي الإماء، بلبس الأردية والملحف، وستر الرؤوس والوجوه، ليحتشمن وبهين، فلا يطمع فيهن. وروي أنه كان في المدينة قوم يجلسون على الصعدات لرؤية النساء ومعارضتهن ومراودتهن، فنزلت.

قيل: والجلابيب: الأردية التي تستر من فوق إلى أسفل، وقال ابن جبير: المقانع؛ وقيل: الملحف، وقيل: الجلاب: كل ثوب تلبسه المرأة فوق ثيابها، وقيل: كل ما تستتر به من كساء أو غيره. قال أبو زيد:

تجلبت من سواد الليل جلباباً

وقيل: الجلاب أكبر من الخمار. وقال عكرمة: تلقي جانب الجلاب على غيرها ولا يرى. وقال أبو عبيدة السلماني، حين سئل عن ذلك فقال: أن تضع رداءها فوق الحاجب، ثم تديره حتى تضعه على أنفها. وقال السدي: تغطي إحدى عينيها وجبهتها والشق الآخر إلا العين. انتهى. وكذا عادة بلاد الأندلس، لا يظهر من المرأة إلا عينها الواحدة. وقال الكسائي: يتقنعن بملاحفهن منضمة عليهن، أراد بالانضمام معنى: الإدناء. وقال ابن عباس، وقائدة: وذلك أن توليه فوق الجبين وتشده، ثم تعطفه على الأنف، وإن ظهرت عيناها، لكنه يستر الصدر ومعظم الوجه. والظاهر أن قوله: ونساء المؤمنين يشمل الحرائر والإماء، والفئة بالإماء أكثر، لكثرة تصرفهن بخلاف الحرائر، فيحتاج إخراجهن من عموم النساء إلى دليل واضح. ومن في: من جلابيهن للتبويض، وعليهن: شامل لجميع أجسادهن، أو عليهن: على وجوههن، لأن الذي كان يبدو منهن في الجاهلية هو الوجه. ذلك أدنى أن يعرفن: لتسترهن بالعفة، فلا يتعرض لهن، ولا يلقين بما يكرهن؛ لأن المرأة إذا كانت في غاية التستر والانضمام، لم يقدم عليها، بخلاف المتبرجة، فإنها مطموع فيها. وكان الله غفوراً رحيماً: تأنيس للنساء في ترك الاستتار قبل أن يؤمر بذلك.

هـ102\24: 431

ومن في من أبصارهم عند الأخفش زائدة أي يغضوا أبصارهم عما يحرم، وعند غيره للتبويض وذلك أن أول نظرة لا يملكها الإنسان وإنما يغض فيما بعد ذلك، ويؤيده قوله لعليّ كرم الله وجهه: لا تتبع النظرة النظرة فإن الأولى لك وليست لك الثانية وقال ابن عطية: يصح أن تكون من لبيان الجنس، ويصح أن تكون لابتداء الغاية انتهى. ولم يتقدم مبهم فتكون من لبيان الجنس على أن الصحيح أن من ليس من موضوعاتها أن تكون لبيان الجنس. وحفظوا فروجهم أي من الزنا ومن التكشف. ودخلت من في قوله من أبصارهم دون الفرج دلالة على أن أمر النظر أوسع، ألا ترى أن الزوجة ينظر زوجها إلى محاسنها من الشعر والصدور

¹ <https://goo.gl/REOBGW>

² <http://goo.gl/T53wVS>

³ <http://goo.gl/OQ3x07>

⁴ <http://goo.gl/8tg84j>

والعُضد والساق والقدم، وكذلك الجارية المستعرضة وينظر من الأجنبية إلى وجهها وكفيها وأما أمر الفرج فمضيق. وعن أبي العالية وابن زيد: كل ما في القرآن من حفظ الفرج فهو من الزنا إلا هذا فهو من الاستتار، ولا يتعين ما قاله بل حفظ الفرج يشمل النوعين. ذلك أي غض البصر وحفظ الفرج أظهر لهم إن الله خبير بما يصنعون من إحالة النظر وانكشاف العورات، فيجازي على ذلك. وقدم غض البصر على حفظ الفرج لأن النظر بريد الزنا ورائد الفجور والبلوى فيه أشد وأكثر لا يكاد يقدر على الاحتراز منه، وهو الباب الأكبر إلى القلب وأمر طرق الحواس إليه ويكثر السقوط من جهته. وقال بعض الأدباء:

وما الحب إلا نظرة إثر نظرة تزيد نمواً إن تزده لجاجا

ثم ذكر تعالى حكم المؤمنات في تساويهن مع الرجال في الغض من الأبصار وفي الحفاظ للفروج. ثم قال ولا يبدن زينتهن واستثنى ما ظهر من الزينة، والزينة ما تتزين به المرأة من حلّي أو كحل أو خضاب، فما كان ظاهراً منها كالخاتم والفتحة والكحل والخضاب فلا بأس بإبدانه للأجانب، وما خفى منها كالسوار والخلخال والدمالج والقلادة والإكليل والوشاح والقرط فلا تبديه إلا لمن استثنى. وذكر الزينة دون مواضعها مبالغة في الأمر بالتصون والتستر لأن هذه الزينة واقعة على مواضع من الجسد لا يحل النظر إليها لغير هؤلاء وهي الساق والعضد والعنق والرأس والصدر والأذان، فنهى عن إبداء الزين نفسها ليعلم أن النظر لا يحل إليها لملاستها تلك المواقع بدليل النظر إليها غير ملابس لها، وسومح في الزينة الظاهرة لأن سترها فيه حرج فإن المرأة لا تجد بداً من مزاوله الأشياء بيدها ومن الحاجة إلى كشف وجهها خصوصاً في الشهادة والمحكمة والنكاح، وتضطر إلى المشي في الطرقات وظهور قدميها خاصة الفقيرات منهن وهذا معنى قوله إلا ما ظهر منها يعني إلا ما جرت العادة والجملة على ظهوره، والأصل فيه الظهور وسومح في الزينة الخفيفة. أولئك المذكورون لما كانوا مختصين به من الحاجة المضطرة إلى مداخلتهم ومخالطتهم ولقلة توقع الفتنة من جهاتهم ولما في الطباع من النفر عن مماسة القرائب، وتحتاج المرأة إلى صحبتهم في الأسفار للنزول والركوب وغير ذلك. وقال ابن مسعود ما ظهر منها هو الثياب، ونص على ذلك أحمد قال: الزينة الظاهرة الثياب، وقال تعالى

خذوا زينتكم عند كل مسجد الأعراف: 31 وفسرت الزينة بالثياب. وقال ابن عباس: الكحل والخاتم. وقال الحسن في جماعة: الوجه والكفان. وقال ابن جريج: الوجه والكحل والخاتم والخضاب والسوار. وقال الحسن أيضاً: الخاتم والسور. وقال ابن عباس: الكحل والخاتم فقط. وقال المسور بن مخرمة: هما والسوار. وقال الحسن أيضاً: الخاتم والسوار. وقال ابن بحر: الزينة تقع على محاسن الخلق التي فعلها الله وعلى ما يتزين به من فضل لباس، فنهان الله عن إبداء ذلك لمن ليس بمحرم واستثنى ما لا يمكن إخفاؤه في بعض الأوقات كالوجه والأطراف على غير التلذذ. وأنكر بعضهم إطلاق الزينة على الخلقة والأقرب دخوله في الزينة وأي زينة أحسن من خلق العضو في غاية الاعتدال والحسن.

وفي قوله وليضربن بخمرهنّ على جيوبهنّ دليل على أن الزينة ما يعم الخلقة وغيرها، منعهنّ من إظهار محاسن خلقهنّ فأوجب سترها بالخمار. وقد يقال لما كان الغالب من الوجه والكفين ظهورها عادة وعبادة في الصلاة والحج حسن أن يكون الاستثناء راجعاً إليهما، وفي السنن لأبي داود أنه عليه السلام قال: يا أسماء إن المرأة إذا بلغت المحيض لم يصلح أن يرى منها إلا هذا: وأشار إلى وجهه وكفيه وقال ابن خزيمة: مناد: إذا كانت جميلة وخيف من وجهها وكفيها الفتنة فعليها ستر ذلك، وكان النساء يغطين رؤوسهنّ بالأخمرة ويسدلنّها من وراء الظهر فيبقى النحر والعنق والأذنان لا ستر عليهنّ وضمنّ وليضربن معنى وليلقين وليضعن، فلذلك عاده بعلی كما تقول ضربت ببدي على الحائط إذا وضعتها عليه. وقرأ عياش عن أبي عمرو وليضربن بكسر اللام وطلحة بخمرهنّ بسكون الميم وأبو عمرو ونافع وعاصم وهشام جيوبهن بضم الجيم وباقي السبعة بكسر الجيم.

وبداً تعالى بالأزواج لأن اطلاعهم يقع على أعظم من الزينة، ثم ثنى بالمحارم وسوى بينهم في إبداء الزينة ولكن تختلف مراتبهم في الحرمة بحسب ما في نفوس البشر، فالأب والأخ ليسا كابين الزوج فقد يُبدي للأب ما لا يبدي لابن الزوج.

ولم يذكر تعالى هنا العم ولا الخال. وقال الحسن: هما كسائر المحارم في جواز النظر قال: لأن الآية لم يذكر فيها الرضاع وهو كالنسب، وقال في سورة الأحزاب

لا جناح عليهنّ في آبائهنّ الأحزاب: 55 ولم يذكر فيها البعولة وذكرهم هنا، والإضافة في نسائهنّ إلى المؤمنات تقتضي تعميم ما أضيف إليهنّ من النساء من مسلمة وكافرة كتابية ومشركة من اللواتي يكن في صحبة المؤمنات وخدمتهنّ، وأكثر السلف على أن قوله أو نسائهنّ مخصوص بمن كان على دينهنّ.

قال ابن عباس: ليس للمسلمة أن تتجرد بين نساء أهل الذمة ولا تبدي للكافرة إلا ما تبدي للأجانب إلا أن تكون أمة لقوله أو ما ملكت إيمانهم وكتب عمر إلى أبي عبيدة أن امنع نساء أهل الذمة من دخول الحمام مع المؤمنات. والظاهر العموم في قوله أو ما ملكت إيمانهم فيشمل الذكور والإناث، فيجوز للعبد أن ينظر من سيدته ما ينظر أولئك المستثنون وهو مذهب عائشة وأم سلمة. وعن مجاهد: كان أمهات المؤمنين لا يحتجبن عن مكاتبهن ما بقي عليه درهم، وروي أن عائشة كانت تمتشط وعيها ينظر إليها. وعن سعيد بن المسيب مثله ثم رجع عنه. وقال ابن مسعود والحسن وابن المسيب وابن سيرين: لا ينظر العبد إلى شعر مولاته وهو قول أبي حنيفة. وفي الحديث: لا يحل لامرأة تؤمن بالله واليوم الآخر أن تسافر سفراً فوق ثلاث إلا مع ذي محرم والعبد ليس بذي محرم. وقال سعيد بن المسيب: لا يغرنكم آية النور فإن المراد بها الإمام. قال الزمخشري: وهذا هو الصحيح لأن عبد المرأة بمنزلة الأجنبية منها خصياً كان أو فحلاً. وعن ميسون بنت بحدل الكلابية: إن معاوية دخل عليها ومعه خصي فتقنعت منه، فقال: هو خصي فقالت: يا معاوية أترى المثلة تحل ما حرم الله. وعند أبي حنيفة لا يحل إمساك الخصيان واستخدامهم وبيعهم وشراؤهم، ولم ينقل عن أحد من السلف إمساكهم انتهى. والإربة الحاجة إلى الوطء لأنهم بله لا يعرفون شيئاً من أمر النساء، ويتبعون لأنهم يصيبون من فضل الطعام. قال ابن عطية: ويدخل في هذه الصفة المجنون والمعتوه والمخنث والشبح الفاني والزمن الموقوذ بزمانته.

وقرأ ابن عامر وأبو بكر بالنصب على الحال أو الاستثناء وباقي السبعة بالجر على النعت وعطف أو الطفل على من الرجال قسم التابعين غير أولي الحاجة للوطء إلى قسمين رجال وأطفال، والمفرد المحكي بال يكون للجنس فيعم، ولذلك وصف بالجمع في قوله الذين لم يظهروا ومن ذلك قول العرب: أهلك الناس الدينار الصفر والدرهم البيض يريد الدنانير والدرهم فكأنه قال: أو الأطفال. والطفل ما لم يبلغ الحلم وفي مصحف حفصة أو الأطفال جمعاً. وقال الزمخشري: وضع الواحد موضع الجمع لأنه يفيد الجنس ويبين ما بعده أنه يراد به الجمع ونحوه يخرجكم طفلاً غافر: 67 انتهى. ووضع المفرد موضع الجمع لا ينقص عند سيبويه وإنما قوله الطفل من باب المفرد المعرف بلام الجنس فيعم كقوله

إن الإنسان لفي خسر العصر: 2 ولذلك صح الاستثناء منه والتلاوة ثم يخرجكم بثم لا بالواو. وقوله ونحوه ليس نحوه لأن هذا معرف بلام الجنس وطفلاً نكرة، ولا يتعين حمل طفلاً هنا على الجمع الذي لا يقيسه سيبويه لأنه يجوز أن يكون المعنى ثم يخرج كل واحد منكم كما قيل في قوله تعالى

واعتدت لهن منكاً يوسف: 31 أي لكل واحدة منهن. وكما تقول: بنو فلان يشبعهم رغيف أي يشبع كل واحد منهم رغيف. وقوله لم يظهروا إما من قولهم ظهر على الشيء إذا أطلع عليه أي لا يعرفون ما العورة ولا يميزون بينها وبين غيرها، وإما من ظهر على فلان إذا قوي عليه وظهر على القرن أخذه. ومنه فأصبحوا ظاهرين الصف: 14 أي غالبين قادرين عليه، فالمعنى لم يبلغوا أوان القدرة على الوطء.

وقرأ الجمهور عورات بسكون الواو وهي لغة أكثر العرب لا يحركون الواو والياء في نحو هذا الجمع. وروي عن ابن عباس تحريك واو عورات بالفتح. والمشهور في كتب النحو أن تحريك الواو والياء في مثل هذا الجمع هو لغة هذيل بن مدركة. ونقل ابن خالويه في كتاب شواذ القراءات أن ابن أبي إسحاق والأعمش قرأ عورات بالفتح. قال: وسمعنا ابن مجاهد يقول: هو لحن وإنما جعله لحناً خطأ من قبل الرواية وإلا فله مذهب في العربية بنو تميم يقولون: روضات وجورات وعورات، وسائر العرب بالإسكان. وقال الفراء: العرب على تخفيف ذلك إلا هذيلاً فتنقل ما كان من هذا النوع من ذوات الياء والواو. وأنشدني بعضهم:

أبو بيضات رائح متأوب رفيق بمسح المنكبين سبوح

ولا يضربن بأرجلهن ليعلم ما يخفين من زينتهن كانت المرأة تضرب الأرض برجلها ليتوقع خلخالها فيعلم أنها ذات خلخال. وقال ابن عباس: هو قرع الخلخال بالإجراء وتحريك الخلخال عند الرجال. وزعم حضرمي أن امرأة اتخذت خلخالاً من فضة واتخذت جزءاً فجعلته في ساقها، فمرت على القوم فضربت برجلها الأرض فوقع الخلخال على الجزع فصوت فنزلت هذه الآية. وقال الزجاج: وسماع صوت ذي الزينة أشد تحريكاً للشهوة من إبدائها انتهى. وقال أبو محمد بن حزم ما معناه أنه تعالى نهاهن عن ذلك لأن المرأة إذا مرت على الرجال قد لا يلتفت إليها ولا يشعر بها: وهي تكره أن لا ينظر إليها، فإذا فعل ذلك نبهن على أنفسهن وذلك بحبهن في تعلق الرجال بهن، وهذا من خفايا الإعلام بحالهن.

وقال مكي: ليس في كتاب الله أية أكثر ضمائاً من هذه، جمعت خمسة وعشرين ضميراً للمؤمنات من مخفوض ومرفوع.

وقال الزمخشري: وإنما نهى عن إظهار صوت الحلي بعد ما نهى عن إظهار الحلي علم بذلك أن النهي عن إظهار مواقع الحلي أبلغ.

وعن ميسون بنت بحدل الكلابية أن معاوية دخل عليها ومعها خصي فتقنعت منه فقال: هو خصي، فقالت: يا معاوية أترى المثلة تحلل ما حرم الله هو عن أبي حنيفة لا يحل إمساك الخصيان واستخدامهم وبيعهم وشراؤهم ولم ينقل عن أحد من السلف إمساكهم. والإزبة الحاجة إلى الوطء لأنهم بله لا يعرفون شيئاً من أمر النساء ويدخل في هذه الصفة المجنون والمعتوه والمخنت والشيخ الفاني والزمن الموقوذ بزمانته وقسم التابعين غير أولي الحاجة إلى الوطء قسمين رجال وأطفال والمفرد المحلى بأل يكون للجنس فيعم ولذلك وصف بالجمع في قوله: الَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا ومن ذلك قول العرب أهلك الناس الدينار الصفر والدرهم البيض يريد الدنانير والدرهم فكأنه قال: والأطفال والطفل ما لم يراهق الحلم. وَلَا يَضْرِبَنَّ بَأَرْجُلِهِنَّ كانت المرأة تضرب الأرض برجلها ليقع خخالها فيعلم أنها ذات خخال وزعم حضرمي أن امرأة اتخذت خخالاً من فضة واتخذت جزءاً فجعلته في ساقها فمرت على القوم فضربت برجلها الأرض فوق الخخال على الجزع فصوت فنزلت هذه الآية.

فقرات من التفسير

هـ33\90: 253

لا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ مَرَّ الرُّسُولِ بِبَعْضِ نِسَائِهِ وَعِنْدَهُنَّ رِجَالٌ يَتَحَدَّثُونَ وَكَانَ حَدِيثُ عَهْدِ بَزِينَةَ بِنْتِ جَحْشٍ فَهَنِينَةٍ وَهَنَاءُ النَّاسِ فَاتَى عَائِشَةَ ل - فإذا عندها رجال يتحدثون فكره ذلك وكان إذا كره الشيء عرف في وجهه فلما كان العشي صعد المنبر وتلا هذه الآية: نَاطِرِينَ إِنَاءً مُنْتَظِرِينَ نَضْجَهُ، أو متوقعين بحينه ووقته وَلَا مُسْتَنْسِينَ لما أهديت زينب للرسول صنع طعاماً ودعا قوماً فدخلوا وزينب مع الرسول فجعلوا يتحدثون وجعل الرسول يخرج ثم يرجع وهم قعود: فنزلت فإذا طَعَمْتُمْ فانتشروا فَيَسْتَخِي مِنْكُمْ أَنْ يُخْبِرَكُمْ بِهِ وَاللَّهُ لَا يَسْتَخِي مِنْ الْحَقِّ أَنْ يَأْمُرَكُمْ بِهِمْ مَتَاعاً حَاجَةً، أو صحف القرآن أو عارية أمرن وسائر النساء وبالحجاب كان الرسول وعائشة - رضي الله تعالى عنها - يأكلان حبساً في قعب فَمَرَّ عمر - رضي الله تعالى عنه - فدعاه فاكل فأصابته أصبعه أصبع عائشة فقال حسبي لو أطاع فيكن ما رأيتك عين، أو كن يخرجن للتبرز إلى المناصب وكان عمر - رضي الله تعالى عنه - يقول للرسول: احجب نساءك فلم يكن يفعل فنزل الحجاب، أو أمرهن عمر بالحجاب فقالت زينب: يا عمر إنك لتغار علينا وإن الوحي ينزل في بيوتنا فنزل الحجاب وَلَا أَنْ تَكُونُوا لما نزل الحجاب قال قرشي من بني تميم حجبنا الرسول عن بنات عمنا ويتزوج نساءنا من بعدنا لنن حدث به حدث لننزوج نساء من بعده فنزلت ولتحريمهن بعده وجبت نفقاتهن من بيت المال وفي وجوب العدة عليهن مذهب لأن العدة تربص للإباحة ولا إباحة في حقهن.

هـ33\90: 359

جَلَابِيَهُنَّ الْجِلْبَاب: الرداء، أو القناع أو كل ثوب تلبسه المرأة فوق ثيابها وإدناؤه أن تشد به رأسها وتلقيه فوق خمارها حتى لا ترى ثغرة نحرها، أو تغطي به وجهها حتى لا تظهر إلا عينها اليسرى يُعْرِفُنَ من الإمام بالحرية أو من المتبرجات بالصيانة. قال قتادة: كانت الأمة إذا مَرَّتْ تناولها المنافقون بالأذى فنهى الله - تعالى - الحرائر أن يتشبهن بهن.

هـ24\102: 431

زِينَتُهَا الزينة ما أدخلته على بدنها حتى زانها وحسنتها في العيون كالحلي والثياب والكحل والخضاب، وهي ظاهرة وباطنة فالظاهرة لا يجب سترها ولا يحرم النظر إليها إلا ما ظَهَرَ مِنْهَا الثياب، أو الكحل والخاتم ع، أو الوجه والكفان، والباطنة: القرط والقلادة، والدمج والخلخال وفي السوار مذهبان وخضاب القدمين باطن، وخضاب الكفين ظاهر، والباطنة يجب سترها عن الأجانب ولا يجوز لهم النظر إليها. وَلَيُضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ بِمَقَانِعِهِنَّ على صدورهن تغطية لنحورهن وكن يلقينها على ظهورهن بادية نحورهن، أو كانت قمصهن مفرجة الجيوب كالدرعة يبدو منها صدورهن فأمرن بالقاء الخُمُرِ عليها لسترها وكنى عن الصدور بالجيوب لأنها ملبوسة عليها ولا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ الْبَاطِنَةَ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ، أو نِسَائِهِنَّ الْمُسْلِمَاتِ، أو عام فيهن وفي الكافرات مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ مِنَ الْعَبِيدِ وَالْإِمَاءِ، أو خاص بالإماء قاله ابن المسيب ومجاهد وعطاء غير أولى الإزبة الصغير لا إرب له فيهن لصغره، أو العتین لا إرب له لعجزه، أو المعتوه الأبله لا إرب له لجهله، أو المَجْبُوبُ لفقد إربه مآثور، أو الشيخ الهرم لذهاب إربه، أو الأحمق الذي لا تشتهي المرأة ولا يغار عليه الرجل، أو المستطعم الذي لا يهيمه إلا بطنه، أو تابع القوم بخدمهم لطعام بطنه فهو مصروف الشهوة لذله ح، وأخذت الإربة من الحاجة، أو من العقل من قولهم رجل أريب لَمْ يَظْهَرُوا عَلَى عَوْرَاتِ النِّسَاءِ لَمْ يَكْشِفُوها لعدم شهوتهم، أو لم يعرفوها لعدم تمييزهم، أو لم يطبقوا الجماع، وسميت العورة عورة لفتح ظهورها وغض البصر عنها أخذاً من عور العين وَلَا يَضْرِبْنَ بَأَرْجُلِهِنَّ كُن إِذَا مَشِينَ ضَرْبِينَ بَأَرْجُلِهِنَّ لِتَسْمَعَ قَعْقَعَةَ خِلَافِهِنَّ فنهين عن ذلك.

1 <http://goo.gl/hXbsjd>

2 <http://goo.gl/mOU71>

3 <http://goo.gl/Dx3XNE>

4 <http://goo.gl/Z53jw3>

فقرات من التفسير

هـ\90: 33: 253

الثامنة: قوله تعالى: وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعاً الآية.

روى أبو داود الطيالسي عن أنس بن مالك قال: قال عمر: وافقت ربي في أربع...؛ الحديث. وفيه: قلت يا رسول الله، لو ضربت على نساءك الحجاب، فإنه يدخل عليهن البر والفاجر؛ فأنزل الله عز وجل وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعاً فَاسْأَلُوهُنَّ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ.

واختلف في المتاع؛ فقيل: ما يتمتع به من العواري. وقيل فتوى. وقيل صحف القرآن. والصواب أنه عام في جميع ما يمكن أن يطلب من المواعين وسائر المرافق للدين والدنيا.

التاسعة: في هذه الآية دليل على أن الله تعالى أذن في مسألتهن من وراء حجاب في حاجة تعرض، أو مسألة يُستفتن فيها؛ ويدخل في ذلك جميع النساء بالمعنى، وبما تضمنته أصول الشريعة من أن المرأة كلها عورة، بدنهن وصوتهن؛ كما تقدّم، فلا يجوز كشف ذلك إلا لحاجة كالشهادة عليها، أو داء يكون ببدنها، أو سؤالها عما يعرض وتعيّن عندها.

العاشر: استدلل بعض العلماء بأخذ الناس عن أزواج النبي من وراء حجاب على جواز شهادة الأعمى، وبأن الأعمى يطأ زوجته بمعرفته بكلامها. وعلى إجازة شهادته أكثر العلماء، ولم يجزها أبو حنيفة والشافعي وغيرهما. قال أبو حنيفة: تجوز في الأنساب. وقال الشافعي: لا تجوز إلا فيما رآه قبل ذهاب بصره.

الحادية عشرة: قوله تعالى: ذَلِكَ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِمْ يريد من الخواطر التي تعرض للرجال في أمر النساء، وللنساء في أمر الرجال؛ أي ذلك أنفي للريبة وأبعد للتهمة وأقوى في الحماية. وهذا يدل على أنه لا ينبغي لأحد أن يثق بنفسه في الخلوة مع من لا تحل له؛ فإن مجانبته ذلك أحسن لحاله وأحصن لنفسه وأتم لعصمته.

..

السادسة عشرة: قد بينا سبب نزول الحجاب من حديث أنس وقول عمر، وكان يقول لسودة إذا خرجت وكانت امرأة طويلة: قد رأيناك يا سودة، حرصاً على أن ينزل الحجاب، فأنزل الله آية الحجاب. ولا بُد في نزول الآية عند هذه الأسباب كلها - والله أعلم - بيّد أنه لما ماتت زينب بنت جحش قال: لا يشهد جنازتها إلا ذو محرم منها؛ مراعاةً للحجاب الذي نزل بسببها. فدلته أسماء بنت غُميس على سترها في النعش في القبة، وأعلمته أنها رأت ذلك في بلاد الحبشة فصنعه عمر. وروي أن ذلك صُنِعَ في جنازة فاطمة بنت النبي.

هـ\90: 33: 359

الثانية: لما كانت عادة العربيات التبذل، وكُنَّ يكشفن وجوههن كما يفعل الإماء، وكان ذلك داعية إلى نظر الرجال إليهن، وتشعب الفكرة فيهن، أمر الله رسوله أن يأمرهن بإرخاء الجلابيب عليهن إذا أردن الخروج إلى حوائجهن، وكُنَّ يَنْبَرِزْنَ في الصحراء قبل أن تتخذ الكُفَّ - فيقع الفرق بينهن وبين الإماء، فتعرف الحرائر بسترهن، فيكُفَّ عن معارضتهن من كان عدباً أو شائباً. وكانت المرأة من نساء المؤمنين قبل نزول هذه الآية تتبَرَّز للحاجة فيتعرض لها بعض الفجار يظن أنها أمة، فتصيح به فيذهب، فشكوا ذلك إلى النبي. ونزلت الآية بسبب ذلك. قال معناه الحسن وغيره.

الثالثة: قوله تعالى: مَنْ جَلَّابِيهِنَّ الْجَلَابِيْبُ جمع جلباب، وهو ثوب أكبر من الخمار. وروي عن ابن عباس وابن مسعود أنه الرداء. وقد قيل: إنه القناع. والصحيح أنه الثوب الذي يستر جميع البدن. وفي صحيح مسلم عن أم عطية: قلت: يا رسول الله، إحدانا لا يكون لها جلباب؟ قال: لتلبسها أختها من جلبابها. الرابعة: واختلف الناس في صورة إرخائه؛ فقال ابن عباس وعبيدة السلماني: ذلك أن تلويه المرأة حتى لا يظهر منها إلا عين

¹ <https://goo.gl/XQeQAD>

² <http://goo.gl/iKp0CM>

³ <http://goo.gl/2Oy5Wd>

واحدة تُبصر بها. وقال ابن عباس أيضاً وقتادة: ذلك أن تلويه فوق الجبين وتشده، ثم تعطفه على الأنف، وإن ظهرت عيناها لكنه يستر الصدر ومعظم الوجه. وقال الحسن: تغطي نصف وجهها.

الخامسة: أمر الله سبحانه جميع النساء بالستر، وأن ذلك لا يكون إلا بما لا يصف جلداه، إلا إذا كانت مع زوجها فلها أن تلبس ما شاءت؛ لأن له أن يستمتع بها كيف شاء. ثبت أن النبي استيقظ ليلة فقال: سبحان الله ماذا أنزل الليلة من الفتن وماذا فتح من الخزائن من يوقظ صواحب الحجر رُبَّ كاسية في الدنيا عارية في الآخرة. وروي أن دخية الكلبي لما رجع من عند هرقل فأعطاه النبي قُبْطِيَّة؛ فقال: اجعل صديقاً لك قميصاً وأعط صاحبك صديقاً تختم به والصديق النصف. ثم قال له: مُرَّها تجعل تحتها شيئاً لنلا بصف وذكر أبو هريرة رقة الثياب للنساء فقال: الكاسيات العاريات الناعمات الشقيات. ودخل نسوة من بني تميم على عائشة عليهن ثياب رفاق، فقالت عائشة: إن كنتن مؤمنات فليس هذا بلباس المؤمنات، وإن كنتن غير مؤمنات فتمتعين. وأدخلت امرأة عروس على عائشة وعليها خمار قُبْطِيَّ مُعَصْفَر، فلما رأتها قالت: لم تؤمن بسورة النور امرأة تلبس هذا. وثبت عن النبي أنه قال: نساء كاسيات عاريات مائلات مميلات رؤوسهن مثل أسنمة البُخْت لا يدخلن الجنة ولا يجدن ريحها وقال عمر: ما يمنع المرأة المسلمة إذا كانت لها حاجة أن تخرج في أطمارها أو أطمار جارتها مستخفية، لا يعلم بها أحد حتى ترجع إلى بيتها.

السادسة: قوله تعالى: ذلك أدنى أن يُغْفَرَ أي الحرائر، حتى لا يختلطن بالإماء، فإذا غُرفن لم يقابلن بأدنى من المعارضة مراقبة لرتبة الحرية، فتقطع الأطماع عنهن. وليس المعنى أن تُعرف المرأة حتى تُعلم من هي. وكان عمر إذا رأى أمة قد تقنعت ضربها بالدرة، محافظة على زي الحرائر. وقد قيل: إنه يجب الستر والتقنع الآن في حق الجميع من الحرائر والإماء. وهذا كما أن أصحاب رسول الله منعوا النساء المساجد بعد وفاة رسول الله مع قوله: لا تمنعوا إماء الله مساجد الله حتى قالت عائشة: لو عاش رسول الله إلى وقتنا هذا لمنعهن من الخروج إلى المساجد كما مُنعت نساء بني إسرائيل. وكان الله غفوراً رَحِيماً تأنيس للنساء في ترك الجلابيب قبل هذا الأمر المشروع.

هـ-102: 24: 131

قوله تعالى: وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إلى قوله: من زينتهن فيه ثلاث وعشرون مسألة:

الأولى: قوله تعالى: وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ حَصَّ الله سبحانه وتعالى الإناث هنا بالخطاب على طريق التأكيد؛ فإن قوله: قل للمؤمنين يكفي؛ لأنه قول عام يتناول الذكر والأنثى من المؤمنين، حسب كل خطاب عام في القرآن. وظهر التضعيف في يَغْضُضْنَ ولم يظهر في يَغْضُوا لأن لام الفعل من الثاني ساكنة ومن الأول متحركة، وهما في موضع جزم جواباً. وبدأ بالغض قبل الفرج لأن البصر راند للقلب؛ كما أن الحمى راند الموت. وأخذ هذا المعنى بعض الشعراء فقال:

ما تألف العينان فالقلب آلف

ألم تر أن العين للقلب راند

وفي الخبر: النظر سهم من سهام إبليس مسموم فمن غَضَّ بصره أورثه الله الحلاوة في قلبه. وقال مجاهد: إذا أقبلت المرأة جلس الشيطان على رأسها فزيتها لمن ينظر؛ فإذا أدبرت جلس على عجزها فزيتها لمن ينظر. وعن خالد بن أبي عمران قال: لا تُتْبَعَنَّ النظرة النظرة فربما نظر العبد نظرة نغل منها قلبه كما يُنْغَلُ الأديم فلا يُنتَفَعُ به. فأمر الله سبحانه وتعالى المؤمنين والمؤمنات بغض الأبصار عما لا يحل؛ فلا يحل للرجل أن ينظر إلى المرأة، ولا المرأة إلى الرجل؛ فإن علاقتها به كعلاقته بها؛ وقصدها منه كقصده منها. وفي صحيح مسلم عن أبي هريرة قال: سمعت رسول الله يقول: إن الله كتب على ابن آدم حظه من الزنى أدرك ذلك لا محالة فالعينان تزنيان وزناهما النظر... الحديث. وقال الزهري في النظر إلى التي لم تحض من النساء: لا يصلح النظر إلى شيء منهن ممن يُسْتَهَيَّ النظر إليهن وإن كانت صغيرة. وكره عطاء النظر إلى الجواني اللاتي يعين بمكة إلا أن يريد أن يشتري. وفي الصحيحين عنه عليه السلام أنه صرف وجهه الفضل عن الخُتْمِيَّة حين سألته، وطُفِقَ الفضل ينظر إليها. وقال عليه السلام: الغيرة من الإيمان والمذاء من النفاق والمذاء هو أن يجمع الرجل بين النساء والرجال ثم يخليهم يُماذي بعضهم بعضاً؛ مأخوذ من المَذْي. وقيل: هو إرسال الرجال إلى النساء؛ من قولهم: مَذْيْتُ الفرس إذا أرسلتها ترعى. وكل ذَكَرٌ يَمْذِي، وكل أنثى تَمْذِي؛

فلا يحل لامرأة تؤمن بالله واليوم الآخر أن تبدي زينتها إلا لمن تحل له، أو لمن هي محرمة عليه على التأبيد؛ فهو آمن أن يتحرك طبعه إليها لوقوع اليأس له منها.

الثانية: روى الترمذي عن نُبْهان مولى أم سلمة أن النبي قال لها ولميمونة وقد دخل عليها ابن أم مكتوم: احتجبا فقالتا: إنه أعمى؛ قال: أفعميَا وإن أنتما ألستما تُبصرانه

فإن قيل: هذا الحديث لا يصح عند أهل النقل لأن رواه عن أم سلمة نبهان مولاها وهو ممن لا يحتج بحديثه. وعلى تقدير صحته فإن ذلك منه عليه السلام تغليظ على أزواجه لحرمتهن كما غلظ عليهن أمر الحجاب؛ كما أشار إليه أبو داود وغيره من الأئمة. ويبقى معنى الحديث الصحيح الثابت وهو أن النبي أمر فاطمة بنت قيس أن تعتد في بيت أم شريك؛ ثم قال: تلك امرأة يغشاها أصحابي اعتدي عند ابن أم مكتوم فإنه رجل أعمى تضعين ثيابك ولا يراك قلنا: قد استدلل بعض العلماء بهذا الحديث على أن المرأة يجوز لها أن تطلع من الرجل على ما لا يجوز للرجل أن يطلع من المرأة كالرأس ومعلق القُرْط؛ وأما العورة فلا. فعلى هذا يكون مخصصاً لعموم قوله تعالى: وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ، وتكون من للتبعيض كما هي في الآية قبلها. قال ابن العربي: وإنما أمرها بالانتقال من بيت أم شريك إلى بيت ابن أم مكتوم لأن ذلك أولى بها من بقائها في بيت أم شريك؛ إذ كانت أم شريك مؤثرة بكثرة الداخل إليها، فيكثر الرائي لها، وفي بيت ابن أم مكتوم لا يراها أحد؛ فكان إمساك بصرها عنه أقرب من ذلك وأولى، فرخص لها في ذلك، والله أعلم.

الثالثة: أمر الله سبحانه وتعالى النساء بالابتعاد عن زينتهن للنظرين، إلا ما استثناء من الناظرين في باقي الآية حذراً من الافتتان، ثم استثنى ما يظهر من الزينة؛ واختلف الناس في قدر ذلك؛ فقال ابن مسعود: ظاهر الزينة هو الثياب. وزاد ابن جبير الوجه. وقال سعيد بن جبير أيضاً وعطاء والأوزاعي: الوجه والكفان والثياب. وقال ابن عباس وقتادة والمسنون بن مخرمة: ظاهر الزينة هو الكحل والسوار والخضاب إلى نصف الذراع والقرطة والفتخ؛ ونحو هذا فمباح أن تُبدي المرأة لكل من دخل عليها من الناس. وذكر الطبري عن قتادة في معنى نصف الذراع حديثاً عن النبي، وذكر آخر عن عائشة عن النبي أنه قال: لا يحل لامرأة تؤمن بالله واليوم الآخر إذا عركت أن تظهر إلا وجهها ويديها إلى هاهنا وقبض على نصف الذراع. قال ابن عطية: ويظهر لي بحكم ألفاظ الآية أن المرأة مأمورة بالابتعاد عن الإخفاء لكل ما هو زينة، ووقع الاستثناء فيما يظهر بحكم ضرورة حركة فيما لا بد منه، أو إصلاح شأن ونحو ذلك. فما ظهر على هذا الوجه مما تؤدي إليه الضرورة في النساء فهو المعفو عنه.

قلت: هذا قول حسن، إلا أنه لما كان الغالب من الوجه والكفين ظهورهما عادة وعبادةً وذلك في الصلاة والحج، فيصلح أن يكون الاستثناء راجعاً إليهما. يدل على ذلك ما رواه أبو داود عن عائشة أن أسماء بنت أبي بكر ما دخلت على رسول الله وعليها ثياب رفاق، فأعرض عنها رسول الله وقال لها: يا أسماء إن المرأة إذا بلغت المحيض لم يصلح أن يُرى منها إلا هذا وأشار إلى وجهه وكفيه فهذا أقوى في جانب الاحتياط؛ ولمراعاة فساد الناس فلا تبدي المرأة من زينتها إلا ما ظهر من وجهها وكفيها، والله الموفق لا رب سواه. وقد قال ابن خُوَيْرٍ مُدَّاد من علمائنا: إن المرأة إذا كانت جميلة وخيف من وجهها وكفيها الفتنة فعليها ستر ذلك؛ وإن كانت عجوزاً أو مُقْبِحة جاز أن تكشف وجهها وكفيها.

الرابعة: الزينة على قسمين: خَلْقِيَّة ومُكْتَسِبَة؛ فالخَلْقِيَّة وجهها فإنه أصل الزينة وجمال الخلقة ومعنى الحيوانية؛ لما فيه من المنافع وطرق العلوم. وأما الزينة المكتسبة فهي ما تحاوله المرأة في تحسين خلقتها؛ كالثياب والحلي والكحل والخضاب؛ ومنه قوله تعالى:

خُذُوا زِينَتَكُمْ الْأَعْرَافُ: 13. وقال الشاعر:

يَا خُذْنَ زِينَتَهُنَّ أَحْسَنَ مَا تَرَى وإذا غطلن فهن خير عواطل

الخامسة: من الزينة ظاهر وباطن؛ فما ظهر فمباح أبداً لكل الناس من المحارم والأجانب؛ وقد ذكرنا ما للعلماء فيه. وأما ما بطن فلا يحل إبدائه إلا لمن سمَّاه الله تعالى في هذه الآية، أو حل محلهم. واختلف في السوار، فقالت عائشة: هو من الزينة الظاهرة لأنها في اليدين. وقال مجاهد: هي من الزينة الباطنة؛ لأنها خارج عن الكفين وإنما تكون في الذراع. قال ابن العربي: وأما الخضاب فهو من الزينة الباطنة إذا كان في القدمين.

السادسة: قوله تعالى: وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَى خُيُوبِهِنَّ قرأ الجمهور بسكون اللام التي هي للأمر. وقرأ أبو عمرو في رواية ابن عباس بكسرها على الأصل؛ لأن أصل لام الأمر الكسر، وحذفت الكسرة لثقلها، وإنما تسكينها لتسكين عضد وفخذ. وَيَضْرِبْنَ في موضع جزم بالأمر، إلا أنه بُني على حالة واحدة إتباعاً للماضي عند سيبويه. وسبب هذه الآية أن النساء كنَّ في ذلك الزمان إذا غطين رؤوسهن بالأخمرة وهي المقانع سدَّ لهنَّ

من وراء الظهر. قال النقاش: كما يصنع النَّبْتُ؛ فيبقى النحر والعنق والأذنان لا ستر على ذلك؛ فأمر الله تعالى بَلْيَ الخمار على الجيوب، وهينة ذلك أن تضرب المرأة بخمارها على جيبها لتستر صدرها. روى البخاري عن عائشة أنها قالت: رحم الله نساء المهاجرات الأول؛ لما نزل: وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَى جُيُوبِهِنَّ شَقِيقَ أَرْزِهِنَّ فاختمرن بها. ودخلت على عائشة حفصة بنت أخيها عبد الرحمن وقد اختمرت بشيء يشفت عن عنقها وما هنالك؛ فشَقَّتْه عليها وقالت: إنما يُضْرَب بالكثيف الذي يستر.

السابعة: الخُمُر: جمع الخمار، وهو ما تغطّي به رأسها؛ ومنه اختمرت المرأة وتخمّرت، وهي حسنة الخمرة. والجيوب: جمع الجيب، وهو موضع القطع من الدرع والقميص؛ وهو من الجَوْب وهو القطع. ومشهور القراءة ضم الجيم من جيوبهن. وقرأ بعض الكوفيين بكسرهما بسبب الباء؛ كقراءتهم ذلك في: بيوت وشيوخ والنحويون القدماء لا يجيزون هذه القراءة ويقولون: بيت وبيوت كَفَّلَس وفُلُوس. وقال الزجاج: يجوز على أن تبدل من الضمة كسرة؛ فأما ما روي عن حمزة من الجمع بين الضم والكسر فمحال، لا يقدر أحد أن ينطق به إلا على الإيماء إلى ما لا يجوز. وقال مقاتل: على جيوبهن أي على صدورهن؛ يعني على مواضع جيوبهن.

الثامنة: في هذه الآية دليل على أن الجَيْب إنما يكون في الثوب موضع الصدر. وكذلك كانت الجيوب في ثياب السلف رضوان الله عليهم؛ على ما يصنعه النساء عندنا بالاندلس وأهل الديار المصرية من الرجال والصبيان وغيرهم. وقد ترجم البخاري رحمه الله تعالى عليه باب جيب القميص من عند الصدر وغيره وساق حديث أبي هريرة قال: ضرب رسول الله مثل البخيل والمتصدق كمثل رجلين عليهما جُبَّتَان من حديد قد اضْطُرَّتْ أيديهما إلى تَنْدِيئهما وتراقبهما... الحديث، وقد تقدم بكماله، وفيه: قال أبو هريرة: فأنا رأيت رسول الله يقول بأصبعيه هكذا في جيبه؛ فلو رأيته يوسعها ولا تتوسع. فهذا يبين لك أن جيبه عليه السلام كان في صدره؛ لأنه لو كان في منكبه لم تكن يداه مضطرة إلى تَنْدِيئيه وتراقبه. وهذا استدلال حسن.

التاسعة: قوله تعالى: إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ الْبُعْلُ هو الزوج والسيد في كلام العرب؛ ومنه قول النبي في حديث جبريل: إذا ولدت الأمة بعلها يعني سيدها؛ إشارة إلى كثرة السراري بكثرة الفتوحات، فيأتي الأولاد من الإماء فتعتق كل أم بولدها وكأنه سيدها الذي مَنَّ عليها بالعتق، إذ كان العتق حاصلًا لها من سببه؛ قاله ابن العربي. قلت: ومنه قوله عليه السلام في مارية: أعتقها ولذا فنسب العتق إليه. وهذا من أحسن تأويلات هذا الحديث. والله أعلم.

مسألة: فالزوج والسيد يرى الزينة من المرأة وأكثر من الزينة إذ كل محلٍّ من بدنها حلال له لذّة ونظراً. ولهذا المعنى بدأ بالبعولة؛ لأن اطلاعهم يقع على أعظم من هذا، قال الله تعالى: وَالَّذِينَ هُمْ لِأَفْوَاجِهِمْ حَافِظُونَ * إِلَّا عَلَى أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ الْمُؤْمِنُونَ: 5 - 6. العاشرة: اختلف الناس في جواز نظر الرجل إلى فرج المرأة؛ على قولين: أحدهما: يجوز؛ لأنه إذا جاز له التلذذ به فالنظر أولى.

وقيل: لا يجوز؛ لقول عائشة في ذكر حالها مع رسول الله: ما رأيت ذلك منه ولا رأى ذلك مني. والأول أصح، وهذا محمول على الأدب؛ قاله ابن العربي. وقد قال أصبغ من علمائنا: يجوز له أن يلحسه بلسانه. وقال ابن خُوَيْرَمُنداد: أما الزوج والسيد فيجوز له أن ينظر إلى سائر الجسد وظاهر الفرج دون باطنه. وكذلك المرأة يجوز أن تنظر إلى عورة زوجها، والأمة إلى عورة سيدها. قلت: وروى أن النبي قال: النظر إلى الفرج يورث الطمس أي العمى، أي في الناظر. وقيل: إن الولد بينهما يولد أعمى. والله أعلم.

الحادية عشرة: لما ذكر الله تعالى الأزواج وبدأ بهم تنبؤ بذوي المحارم وسوى بينهم في إبداء الزينة، ولكن تختلف مراتبهم بحسب ما في نفوس البشر. فلا مزية أن كشف الأب والأخ على المرأة أخوطة من كشف ولد زوجها. وتختلف مراتب ما يُبْدَى لهم؛ فيبدي للأب ما لا يجوز إبداءه لولد الزوج. وقد ذكر القاضي إسماعيل عن الحسن والحسين أنهما كانا لا يريان أمهات المؤمنين. وقال ابن عباس: إن رؤيتهما لهن تحل. قال إسماعيل: أحسب أن الحسن والحسين ذهبا في ذلك إلى أن أبناء البُعُولَة لم يذكروا في الآية التي في أزواج النبي، وهي قوله تعالى:

لَأَجْنَاحَ عَلَيْهِمْ فِي آبَائِهِنَّ الْأَحْزَاب: 55. وقال في سورة النور: وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ الْآية. فذهب ابن عباس إلى هذه الآية، وذهب الحسن والحسين إلى الآية الأخرى.

الثانية عشرة: قوله تعالى: أَوْ أَبْنَاءَ بُعُولَتِهِنَّ يريد ذكور أولاد الأزواج، ويدخل فيه أولاد الأولاد وإن سفلوا، من ذكران كانوا أو إناث؛ كبنين البنين وبنين البنات. وكذلك أباء البعولة والأجداد وإن علواً من جهة الذكران

لآباء الآباء وآباء الأمهات، وكذلك أبناؤهم وإن سفلوا. وكذلك أبناء البنات وإن سفلن؛ فيستوي فيه أولاد البنين وأولاد البنات. وكذلك أخواتهن، وهم من ولده الآباء والأمهات أو أحد الصنفين. وكذلك بنو الإخوة وبنو الأخوات وإن سفلوا من دُكران كانوا أو إناث كبنى بني الأخوات وبني بنات الأخوات. وهذا كله في معنى ما حرم من المناكح، فإن ذلك على المعاني في الولادات وهؤلاء محارم، وقد تقدم في النساء. والجمهور على أن العَمَّ والخال كسائر المحارم في جواز النظر لهما إلى ما يجوز لهم. وليس في الآية ذكر الرضاع، وهو كالنسب على ما تقدم. وعند الشعبي وعكرمة ليس العم والخال من المحارم. وقال عكرمة: لم يذكرهما في الآية لأنها تبعان لأبنائهما.

الثالثة عشرة: قوله تعالى: أَوْ نَسَاتِهِنَّ يعني المسلمات، ويدخل في هذا الإماء المؤمنات، ويخرج منه نساء المشركين من أهل الذمة وغيرهم؛ فلا يحل لامرأة مؤمنة أن تكشف شيئاً من بدنهما بين يدي امرأة مشركة إلا أن تكون أمة لها؛ فذلك قوله تعالى: أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ.

وكان ابن جريج وعُباد بن نُسَيٍّ وهشام القارئ يكرهون أن تقبل النصرانية المسلمة أو ترى عورتها؛ ويتأولون أو نساتهن. وقال عُباد بن نُسَيٍّ: وكتب عمر إلى أبي عبيدة بن الجراح: أنه بلغني أن نساء أهل الذمة يدخلن الحمامات مع نساء المسلمين؛ فامنع من ذلك، وحلّ دونه؛ فإنه لا يجوز أن ترى الذميمة عذية المسلمة. قال: فعند ذلك قام أبو عبيدة وابتهل وقال: أيما امرأة تدخل الحمام من غير عذر لا تريد إلا أن تبيض وجهها فسود الله وجهها يوم تبيض الوجوه. وقال ابن عباس: لا يحل للمسلمة أن تراها يهودية أو نصرانية؛ لنلّا تصفها لزوجها. وفي هذه المسألة خلاف للفقهاء. فإن كانت الكافرة أمة لمسلمة جاز أن تنظر إلى سيدتها؛ وأما غيرها فلا، لانقطاع الولاية بين أهل الإسلام وأهل الكفر، ولما ذكرناه. والله أعلم.

الرابعة عشرة: قوله تعالى: أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ ظاهر الآية يشمل العبيد والإماء المسلمات والكتابات. وهو قول جماعة من أهل العلم، وهو الظاهر من مذهب عائشة وأم سلمة. وقال ابن عباس: لا بأس أن ينظر المملوك إلى شعر مولاته. وقال أشهب: سئل مالك أُلقي المرأة خمارها بين يدي الخصي؟ فقال نعم: إذا كان مملوكاً لها أو لغيرها؛ وأما الحر فلا. وإن كان فحلاً كبيراً وَغُداً تملكه، لا هيئة له ولا منظر فلينظر إلى شعرها. قال أشهب قال مالك: ليس بوسع أن تدخل جارية الولد أو الزوجة على الرجل المرحاض؛ قال الله تعالى: أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ. وقال أشهب عن مالك: ينظر الغلام الوغد إلى شعر سيّدته، ولا أحبه لغلام الزوج. وقال سعيد بن المسيب: لا تغرنكم هذه الآية أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ إنما غنى بها الإماء ولم يُغن بها العبيد. وكان الشعبي يكره أن ينظر المملوك إلى شعر مولاته. وهو قول مجاهد وعطاء. وروى أبو داود عن أنس أن رسول الله أتى فاطمة بعقد قد وهبه لها، قال: وعلى فاطمة ثوب إذا غطت به رأسها لم يبلغ إلى رجليها، وإذا غطت به رجليها لم يبلغ إلى رأسها؛ فلما رأى النبي ما تلقى من ذلك قال: إنه لا بأس عليك إنما هو أبوك وغلارك. الخامسة عشرة: قوله تعالى: أَوْ التَّابِعِينَ غَيْرَ أُولِي الْإِرْبَةِ أي غير أولي الحاجة. والإربة الحاجة، يقال: أربت كذا أرب أرباً. والإرب والإربة والمأربة والأرب: الحاجة؛ والجمع مأرب؛ أي حوائج. ومنه قوله تعالى:

وَلِي فِيهَا مَأْرَبٌ أُحْزَى طه: 18 وقد تقدم. وقال طرفة:

إذا المرء قال الجهل والحب والخنا
تقدّم يوماً ثم ضاعت مآربه

واختلف الناس في معنى قوله: 51 وَلَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ فَلَنْتُمْ فَقِيلَ: هو الأحمق الذي لا حاجة به إلى النساء. وقيل الأبله. وقيل: الرجل يتبع القوم فيأكل معهم ويرتفق بهم؛ وهو ضعيف لا يكثرث للنساء ولا يشتبهين. وقيل العنين. وقيل الخصي. وقيل المخنث. وقيل الشيخ الكبير، والصبي الذي لم يذرك. وهذا الاختلاف كله متقارب المعنى، ويجتمع فيمن لا فهم له ولا همة ينتبه بها إلى أمر النساء. وبهذه الصفة كان هيئت المخنث عند رسول الله، فلما سمع منه ما سمع من وصف محاسن المرأة: بادية ابنة غيلان، أمر بالاحتجاب منه. أخرج حديثه مسلم وأبو داود ومالك في الموطأ وغيرهم عن هشام بن عروة عن عروة عن عائشة. قال أبو عمر: ذكر عبد الملك بن حبيب عن حبيب كاتب مالك قال: قلت لمالك: إن سفيان زاد في حديث ابنة غيلان: أن مخنثاً يقال له هيئت وليس في كتابك هيئت؟ فقال مالك: صدق، هو كذلك وغريه النبي إلى الحمى وهو موضع من ذي الخليفة ذات الشمال من مسجدها. قال حبيب وقلت لمالك: وقال سفيان في الحديث: إذا قعدت تَبَيَّنْتَ، وإذا تكلمت تَغَنَّتْ. قال مالك: صدق، هو كذلك. قال أبو عمر: ما ذكره حبيب كاتب مالك عن سفيان أنه قال في الحديث يعني حديث هشام بن عروة أن مخنثاً يدعى هيئاً فغير معروف عند أحد من رواه عن هشام، لا ابن عيينة ولا غيره، ولم يقل في نسق الحديث إن مخنثاً يدعى هيئاً، وإنما ذكره عن ابن جريج بعد تمام الحديث، وكذلك قوله عن سفيان أنه يقول في الحديث: إذا قعدت تَبَيَّنْتَ وإذا تكلمت تَغَنَّتْ، هذا ما لم يقله

سفيان ولا غيره في حديث هشام بن عروة، وهذا اللفظ لا يوجد إلا من رواية الواقدي، والعجب أنه يحكيه عن سفيان ويحكي عن مالك أنه كذلك، فصارت رواية عن مالك، ولم يروه عن مالك غير حبيب ولا ذكره عن سفيان غيره أيضاً، والله أعلم. وحبيب كاتب مالك متروك الحديث ضعيف عند جميعهم، لا يُكتب حديثه ولا يلتفت إلى ما يحيى به. ذكر الواقدي والكلبي أن هيثماً المخنث قال لعبد الله بن أمية المخزومي وهو أخو أم سلمة لأبيها وأمه عاتكة عمة رسول الله، قال له وهو في بيت أخته أم سلمة ورسول الله يسمع: إن فتح الله عليكم الطائف فعليك ببادية بنت غيلان بن سلمة الثقفي، فإنها تُقبل بأربع وتُدبر بثمان، مع ثغر كالأفحوان، إن جلست تَبَنَّت وإن تكلمت تغتت، بين رجلها كالإناء المكفوء، وهي كما قال قيس بن الخطيم:

فقال له النبي: لقد غلغت النظر إليها يا عدو الله ثم أجلاه عن المدينة إلى الحمى. قال: فلما افْتُتحت الطائف تزوجها عبد الرحمن بن عوف فولدت له منه بُرَيْهَة؛ في قول الكلبي. ولم يزل هيت بذلك المكان حتى قبض النبي، فلما ولي أبو بكر كَلِم فيه فأبى أن يرده، فلما ولي عمر كَلِم فيه فأبى، ثم كَلِم فيه عثمان بعد. وقيل: إنه قد كبر وضغف واحتاج، فأذن له أن يدخل كل جمعة فيسأل ويرجع إلى مكانه. قال: وكان هيت مولى لعبد الله بن أبي أمية المخزومي، وكان له طويس أيضاً، فمن ثم قبل الخنث. قال أبو عمر: يقال: بادية بالياء وبادنة بالنون، والصواب فيه عندهم بالياء، وهو قول أكثرهم، وكذلك ذكره الزبيري بالياء.

السادسة عشرة: وصف التابعين بغير لأن التابعين غير مقصودين بأعيانهم، فصار اللفظ كالنكرة. وغير لا يتمخض نكرة فجاز أن يجري وصفاً على المعرفة. وإن شئت قلت هو بدل. والقول فيها كالقول في غير المغضوب عليهم. وقرأ عاصم وابن عامر غير بالنصب فيكون استثناء؛ أي يبيد زينتهن للتابعين إلا ذا الإربة منهم. ويجوز أن يكون حالاً؛ أي والذين يتبعونهن عاجزين عنهن؛ قاله أبو حاتم. وذو الحال ما في التابعين من الذكر.

السابعة عشرة: قوله تعالى: أو أَلْطَلُّ اسم جنس بمعنى الجمع، والدليل على ذلك نعتُه بالذنين. وفي مصحف حفصة أو الأطفال على الجمع. ويقال: طفل ما لم يراهق الخُلم. ويظهرُ أو معناه يطلعوا بالوطء؛ أي لم يكشفوا عن عوراتهن للجماع لصغرهن. وقيل: لم يبلغوا أن يطبقوا النساء؛ يقال: ظهرت على كذا أي علمته، وظهرت على كذا أي قهرته. والجمهور على سكون الواو من عورات لاستتقال الحركة على الواو. وروي عن ابن عباس فتح الواو؛ مثل جَفَنَة وجففات. وحكى الفراء أنها لغة قيس عورات بفتح الواو. النحاس: وهذا هو القياس؛ لأنه ليس بنعت، كما تقول: جفنة وجففات؛ إلا أن التسكين أجود في عورات وأشباهه، لأن الواو إذا تحزكت وتحرك ما قبلها قلبت ألفاً؛ فلو قيل هذا لذهب المعنى.

الثامنة عشرة: اختلف العلماء في وجوب ستر ما سوى الوجه والكفين منه على قولين: أحدهما: لا يلزم؛ لأنه لا تكليف عليه، وهو الصحيح. والآخر: يلزمه؛ لأنه قد يشتهى وقد تشتهى أيضاً هي؛ فإن راهق فحكمه حكم البالغ في وجوب الستر. ومثله الشيخ الذي سقطت شهوته؛ اختلف فيه أيضاً على قولين كما في الصبي، والصحيح بقاء الحرمة؛ قاله ابن العربي.

التاسعة عشرة: أجمع المسلمون على أن السوءتين عورة من الرجل والمرأة، وأن المرأة كلها عورة، إلا وجهها ويديها فإنهم اختلفوا فيهما.

وقال أكثر العلماء في الرجل: من سترته إلى ركبته عورة؛ لا يجوز أن تُرى. وقد مضى في الأعراف القول في هذا مستوفى.

المؤفية عشرين: قال أصحاب الرأي: عورة المرأة مع عبدها من السرة إلى الركبة. ابن العربي: وكأنهم ظنوها رجلاً أو ظنوه امرأة، والله تعالى قد حرم المرأة على الإطلاق لنظر أو لذة، ثم استثنى اللذة للأزواج وملئك اليمين، ثم استثنى الزينة لاثني عشر شخصاً العبد منهم، فما لنا ولذلك! هذا نظر فاسد واجتهاد عن السداد متباعد. وقد تأول بعض الناس قوله: أو ما ملكت أيمانهن على الإماء دون العبيد؛ منهم سعيد بن المسيب، فكيف يحملون على العبيد ثم يلحقون بالنساء، هذا بعيد جداً قال ابن العربي وقد قيل: إن التقدير أو ما ملكت أيمانهن من غير أولي الإربة أو التابعين غير أولي الإربة من الرجال؛ حكاية المهدي.

الحادية والعشرون: قوله تعالى: وَلَا يَضْرِبْنَ بَأَرْجُلِهِنَّ الْآيَةَ؛ أي لا تضرب المرأة برجلها إذا مشيت لشئع صوت خلخالها؛ فإسماع صوت الزينة كإبداء الزينة وأشد، والغرض التستر. أسند الطبري عن المعتمر عن أبيه أنه قال: زعم حضرمي أن امرأة اتخذت بُرْتَيْن من فضة واتخذت جُرْعاً فجعلت في ساقها فمرت على القوم فضربت برجلها الأرض فوقع الخلخال على الجرْع فصوت؛ فنزلت هذه الآية، وسماع هذه الزينة أشد تحريكاً للشهوة من إبدائها؛ قاله الزجاج.

الثانية والعشرون: من فعل ذلك منهم قَرَحاً بحليهن فهو مكروه. ومن فعل ذلك منهم تَبَرُّجاً وتَعَرُّضاً للرجال فهو حرام مذموم. وكذلك من ضرب بنعله من الرجال، إن فعل ذلك تعجباً حَرُم، فإن العجب كبيرة. وإن فعل ذلك تَبَرُّجاً لم يَجْز. الثالثة والعشرون: قال مَكِّي رحمه الله تعالى: ليس في كتاب الله تعالى أية أكثر ضماناً من هذه، جمعت خمسة وعشرين ضميراً للمؤمنات من مخفوض ومرفوع.

فقرات من التفسير

هـ-33\90: 253

وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعاً شَيْئاً يَنْتَفِعَ بِهِ. فَاسْأَلُوهُنَّ الْمَتَاعَ. مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ سِتْرٍ. روي أن عمر قال: يا رسول الله يدخل عليك البر والفاجر فلو أمرت أمهات المؤمنين بالحجاب فنزلت. وقيل أنه عليه الصلاة والسلام كان يطعم ومعه بعض أصحابه، فأصابته يد رجل عائشة فكره النبي ذلك فنزلت. ذَلِكَ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ مِنَ الْخَوَاطِرِ النَّفْسَانِيَةِ

هـ-33\90: 359

يَا أَيُّهَا الْكَلْبِيُّ قُلْ لِأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِنْ جَلِيبِهِنَّ يَغْطِينَ وَجُوهَهُنَّ وَأَبْدَانَهُنَّ بِمَلْحَفِهِنَّ إِذَا بَرَزْنَ لِحَاجَةٍ، وَمَنْ لِلتَّبَعِضِ فَإِنَّ الْمَرَأَةَ تَرْخِي بَعْضَ جَلْبَابِهَا وَتَتَلَفَعُ بِبَعْضٍ وَذَلِكَ أَذْنَى أَنْ يُعْرِفَنَّ يَمِيزَنَّ مِنَ الْإِمَاءِ وَالْقَبَائِلِ. فَلَا يُؤَدِّنَنَّ فَلَا يُؤْذِينَنَّ أَهْلَ الرِّبَةِ بِالْتَّعَرُّضِ لِهِنَّ. وَكَانَ اللَّهُ غَفُوراً لِمَا سَلَفَ. رَحِيماً بِعِبَادِهِ حَيْثُ يِرَاعِي مَصَالِحَهُمْ حَتَّى الْجَزَائِدَ مِنْهَا.

هـ-102\24: 431

وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مَنْ أَبْصَرَهُنَّ فَلَا يَنْظُرْنَ إِلَى مَا لَا يَحِلُّ لِهِنَّ النَّظَرُ إِلَيْهِ مِنَ الرِّجَالِ. وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ بِالتَّسْتُرِ أَوْ التَّحْفِظِ عَنِ الزَّنا، وَتَقْدِيمِ الْغَضِّ لِأَنَّ النَّظَرَ بَرِيدُ الزَّنا. وَلَا يُدْنِينَ زِينَتَهُنَّ كَالْحُلِيِّ وَالتَّيَابِ وَالْأَصْبَاحِ فَضْلاً عَنْ مَوَاضِعِهَا لِمَنْ لَا يَحِلُّ أَنْ تَبْدَى لَهُ. إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا عِنْدَ مَزَاوِلَةِ الْأَشْيَاءِ كَالثِّيَابِ وَالْخَاتَمِ فَإِنَّ سِتْرَهَا حَرَجاً، وَقِيلَ الْمَرَادُ بِالزَّيْنَةِ مَوَاضِعُهَا عَلَى حَذْفِ الْمُضَافِ أَوْ مَا يِعَمُّ الْمَحَاسِنَ الْخَلْقِيَّةَ وَالتَّزْيِينِيَّةَ، وَالْمُسْتَنْتَى هُوَ الْوَجْهَ وَالْكَفَانُ لِأَنَّهَا لَيْسَتْ بِعَوْرَةٍ وَالْأَظْهَرُ أَنَّ هَذَا فِي الصَّلَاةِ لَا فِي النَّظَرِ فَإِنَّ كُلَّ بَدَنِ الْحُرَّةِ عَوْرَةٌ لَا يَحِلُّ لِغَيْرِ الزَّوْجِ وَالْمَحْرَمِ النَّظَرَ إِلَى شَيْءٍ مِنْهَا إِلَّا لِحُضْرَةِ كَالْمَعَالِجَةِ وَتَحْمَلُ الشَّهَادَةَ. وَلَيُضْرَبَنَّ بِخُمْرٍ عَلَى جُيُوبِهِنَّ سِتْراً لِأَعْنَاقِهِنَّ. وَقَرَأَ نَافِعٌ وَعَاصِمٌ وَأَبُو عَمْرٍو وَهَشَامٌ بِضَمِّ الْجِيمِ. وَلَا يُدْنِينَ زِينَتَهُنَّ كَرَّرَهُ لِبَيَانِ مَنْ يَحِلُّ لَهُ الْإِبْدَاءُ وَمَنْ لَا يَحِلُّ لَهُ. إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ فَإِنَّهُنَّ الْمَقْصُودُونَ بِالزَّيْنَةِ وَلَهُمْ أَنْ يَنْظُرُوا إِلَى جَمِيعِ بَدَنِهِنَّ حَتَّى الْفَرْجَ بِكَرِهٍ. أَوْ عَابَائِهِنَّ أَوْ عَابَاءَهُنَّ أَوْ أَبْنَاءَهُنَّ أَوْ أَبْنَاءَهُنَّ أَوْ إِخْوَانَهُنَّ أَوْ بَنَى إِخْوَانَهُنَّ أَوْ بَنَى أَخَوَاتِهِنَّ لِكَثْرَةِ مَدَاخِلَتِهِنَّ عَلَيْهِنَّ وَاحْتِيَاجِهِنَّ إِلَى مَدَاخِلَتِهِنَّ وَقِلَّةِ تَوْقَعِ الْفِتْنَةِ مِنْ قَبْلِهِمْ لِمَا فِي الطَّبَاعِ مِنَ الْغَفْرِ عَنْ مِمَاسَةِ الْقَرَابَةِ، وَلَهُمْ أَنْ يَنْظُرُوا مِنْهُنَّ مَا يَبْدُو عِنْدَ الْمَهْنَةِ وَالْخِدْمَةِ وَإِنَّمَا لَمْ يَذْكُرِ الْأَعْمَامُ وَالْأَخْوَالَ لِأَنَّهُمْ فِي مَعْنَى الْإِخْوَانِ لَا يَتَحَرَّجُونَ عَنْ وَصْفِهِنَّ لِلرِّجَالِ أَوْ النِّسَاءِ كُلِّهِنَّ، وَلِلْعُلَمَاءِ فِي ذَلِكَ خِلَافٌ. أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ يَعْمُ الْإِمَاءُ وَالْعَبِيدُ، لِمَا رَوَى أَنَّهُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ أَتَى فَاطِمَةَ بَعْدَ وَهْبِهِ لَهَا وَعَلَيْهَا ثَوْبٌ، إِذَا قَنَعَتْ بِهِ رَأْسَهَا لَمْ يَبْلُغْ رِجْلَيْهَا وَإِذَا غَطَّتْ رِجْلَيْهَا لَمْ يَبْلُغْ رَأْسَهَا فَقَالَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: إِنَّهُ لَيْسَ عَلَيْكَ بَأْسٌ إِنَّمَا هُوَ أَبُوكَ وَغُلَامُكَ وَقِيلَ الْمَرَادُ بِهَا. الْإِمَاءُ وَعَبْدُ الْمَرَأَةِ كَالْأَجْنَبِيِّ مِنْهَا. أَوْ التَّابِعِينَ غَيْرَ أُولَى الْإِرْبَةِ مَنْ كَرَّجَالِ أَيْ أُولَى الْحَاجَةِ إِلَى النِّسَاءِ وَهُمْ الشَّبَوخُ الْهَمُّ وَالْمَسْوُحُونَ، وَفِي الْمَجْبُوبِ وَالْخَصِي خِلَافٌ وَقِيلَ الْبِلَهَ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ النَّاسَ لِفَضْلِ طَعَامِهِمْ وَلَا يَعْرِفُونَ شَيْئاً مِنْ أُمُورِ النِّسَاءِ، وَقَرَأَ ابْنُ عَامِرٍ وَأَبُو بَكْرٍ غَيْرُ بِالْمَنْصَبِ عَلَى الْحَالِ. أَوْ أَلْطَفَ الَّذِينَ لَمْ يَطْهَرُوا عَلَى عَوْرَاتِ النِّسَاءِ لَعَدَمِ تَمْيِيزِهِمْ مِنَ الظُّهُورِ بِمَعْنَى الْإِطْلَاعِ، أَوْ لَعَدَمِ بُلُوغِهِمْ حُدُودِ الشَّهْوَةِ مِنَ الظُّهُورِ بِمَعْنَى الْغَلْبَةِ وَالطُّفْلِ جِنْسٍ وَضَعُ مَوْضِعِ الْجَمْعِ اكْتِفَاءً بِدَلَالَةِ الْوَصْفِ. وَلَا يَضْرِبَنَّ بَأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِنْ زِينَتِهِنَّ لِيَتَقَفَعَ خِلَاقُهَا فَيَعْلَمَ أَنَّهَا ذَاتُ خِلَاقٍ فَإِنَّ ذَلِكَ يُوْرِثُ مِثْلًا فِي الرِّجَالِ، وَهُوَ أَبْلَغُ مِنَ النَّهْيِ عَنْ إِظْهَارِ الزَّيْنَةِ وَأَدْلَى عَلَى الْمَنْعِ مِنْ رَفْعِ الصَّوْتِ.

¹ <https://goo.gl/R6QOnS>

² <http://goo.gl/xF9ryb>

³ <http://goo.gl/LkfpJ0>

⁴ <http://goo.gl/1QAbBM>

فقرات من التفسير

253 :33\90-هـ

وإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ لِيَمْلِكَنَّ عَلَيْهُنَّ نِسَاءَهُنَّ لَدَلَالَةً يَبُوتَ النَّبِيُّ لَأَن فِيهَا نِسَاءٌ مَّتَّعًا عَارِيَةً أَوْ حَاجَةً فَنَسَلُوهُنَّ الْمَتَاعَ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ ذَلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ مِنْ خَوَاطِرِ الشَّيْطَانِ وَعَوَارِضِ الْفِتَنِ، وَكَانَتْ النِّسَاءُ قَبْلَ نَزُولِ هَذِهِ الْآيَةِ يَبْرِزْنَ لِلرِّجَالِ وَكَانَ عَمْرٌ يَجِبُ ضَرْبُ الْحِجَابِ عَلَيْهِنَّ وَيُودَى أَنْ يَنْزَلَ فِيهِ وَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ يَدْخُلُ عَلَيْكَ الْبَرُّ وَالْفَاجِرُ، فَلَوْ أَمَرْتُ أَمَهَاتِ الْمُؤْمِنِينَ بِالْحِجَابِ فَفَزَلْتُ. وَذَكَرَ أَنَّ بَعْضَهُمْ قَالَ: أَنْتَهَى أَنْ نَكَلَّمَ بَنَاتَ عَمَّا إِلَّا مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ لَنَنْ مَاتَ مُحَمَّدٌ لَأَنْتَزِجَنَّ فُلَانَةٌ فَفَزَلَ وَمَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُؤْذُوا رَسُولَ اللَّهِ وَلَا أَنْ تُنَكَحُوا أَزْوَاجَهُ مِنْ بَعْدِهِ أَبَدًا أَيْ وَمَا صَحَّ لَكُمْ إِذْءَاءَ رَسُولِ اللَّهِ وَلَا نِكَاحَ أَزْوَاجِهِ مِنْ بَعْدِ مَوْتِهِ إِنَّ ذَلِكُمْ كَانَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمًا أَيْ ذَنْبًا عَظِيمًا.

359 :33\90-هـ

يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لَأَرْوِّجُكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاءَ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَنْهُنَّ مِنَ الْجَلْبِيبِ الْجَلْبَابُ: ما يستر الكل مثل الملحفة عن المبرد. ومعنى يُدْنِينَ عَنْهُنَّ مِنَ الْجَلْبِيبِ يرخينها عليهن ويغطين بها وجوههن وأعطافهن. يقال: إذا زَلَّ الثوب عن وجه المرأة أدنى ثوبك على وجهك. ومن للتبويض أي ترخي بعض جلبابها وفضله على وجهها تتقنع حتى تتميز من الأمة، أو المراد أن تتجلببن ببعض ما لهن من الجلابيب وأن لا تكون المرأة متبذلة في درع وخمار كالأمة ولها جلبابان فصاعداً في بيتها، وذلك أن النساء كنَّ في أول الإسلام على هجيراهن في الجاهلية متبذلات تبرز المرأة في درع وخمار لا فضل بين الحرة والأمة، وكان الفتيتان يتعرضون إذا خرجن بالليل لقضاء حوائجهن في النخيل والغيطان للإماء، وربما تعرضوا للحرة لحسبان الأمة فأمرن أن يخالفن بزيهن عن زي الإماء بلبس الملحف وستر الرؤوس والوجوه فلا يطمع فيهن طامع وذلك قوله ذَلِكَ أَذْنَى أَنْ يُعْرِفَنَّ فَلَا يُؤْنِسُنَّ أَي أولى وأجدر بأن يعرفن فلا يتعرض لهن وَكَانَ اللَّهُ غَفُوراً لِمَا سَلَفَ مِنْهُنَّ مِنَ التَّفْرِيطِ رَحِيماً بتعليمهن آداب المكارم لئن لَمْ يَنْتَهِ الْمُتَفَقِّهُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَجُورٌ، وهم الزناة من قوله فَيُطَمِّعُ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ

431 :24\102-هـ

وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَرِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ أَمَرَنَ بَعْضَ الْأَبْصَارِ فَلَا يَحِلُّ لِلْمَرْأَةِ أَنْ تَنْتَظِرَ مِنَ الْأَجْنَبِيِّ إِلَى مَا تَحْتَ سِرَّتِهِ إِلَى رَكْبَتَيْهِ، وَإِنْ اشْتَهَتْ غَضَّتْ بَصَرَهَا رَأْسًا وَلَا تَنْتَظِرَ إِلَى الْمَرْأَةِ إِلَّا إِلَى مِثْلِ ذَلِكَ وَغَضَّ بَصَرُهَا مِنَ الْأَجْنَابِ أَصْلًا أَوَّلَى بِهَا. وَإِنَّمَا قَدِمَ غَضُّ الْأَبْصَارِ عَلَى حِفْظِ الْفُرُوجِ لِأَنَّ النَّظَرَ بَرِيدُ الزَّنا وَرَأَدُ الْفُجُورِ فَبِزْرِ الْهَوَى طُمُوحُ الْعَيْنِ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ الزَّيْنَةُ مَا تَزَيَّنَتْ بِهِ الْمَرْأَةُ مِنْ حُلِيِّ أَوْ كَحْلٍ أَوْ خُضَابٍ، وَالْمَعْنَى وَلَا يَظْهَرْنَ مَوَاضِعَ الزَّيْنَةِ إِذْ يُظَاهَرُ عَيْنُ الزَّيْنَةِ وَهِيَ الْحُلِيُّ وَنَحْوُهَا مَبَاحٌ فَالْمُرَادُ بِهَا مَوَاضِعُهَا أَوْ إِظْهَارُهَا وَهِيَ فِي مَوَاضِعِهَا لِإِظْهَارِ مَوَاضِعِهَا لِإِظْهَارِ أَعْيَانِهَا، وَمَوَاضِعُهَا الرَّأْسُ وَالْأُذُنُ وَالْعُنُقُ وَالصَّدْرُ وَالْعُضْدَانُ وَالزَّرَاعُ وَالسَّاقُ فَهِيَ لِلْكَفَّيْلِ وَالْقُرْطِ وَالْقَلَادَةِ وَالْوَشَاحِ وَالْمِطْلَعِ وَالسَّوَارِ وَالْخِلْخَالِ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا إِلَّا مَا جَرَتْ الْعَادَةُ وَالْجَبَلَةُ عَلَى ظَهْرِهِ وَهُوَ الْوَجْهَ وَالْكَفَّانُ وَالْقَدَمَانِ، فَفِي سِتْرِهَا حَرَجٌ بَيْنَ فَإِنَّ الْمَرْأَةَ لَا تَجِدُ بَدَأً مِنْ مَزَاوِلَةِ الْأَشْيَاءِ بِيَدِيهَا وَمِنْ الْحَاجَةِ إِلَى كَشْفِ وَجْهِهَا خُصُوصًا فِي الشَّهَادَةِ وَالْمَحَاكِمَةِ وَالنِّكَاحِ وَتَضْطَرُّ إِلَى الْمَشْيِ فِي الطَّرِيقَاتِ وَظُهُورِ قَدَمَيْهَا وَخَاصَّةً الْفَقِيرَاتِ مِنْهُنَّ وَلَيُضْرِبْنَ وَلَيُضَعْنَ مِنْ قَوْلِكَ ضَرَبْتُ بِيَدِي عَلَى الْحَائِطِ إِذَا وَضَعْتُهَا عَلَيْهِ بَخْرُهُنَّ جَمْعُ خَمَارٍ عَلَى جُبُوبِهِنَّ بضم الجيم: مَدْنِي وَبَصْرِي وَعَاصِمٌ. كَانَتْ جَيُوبُهُنَّ وَاسِعَةً تَبْدُو مِنْهَا صُدُورُهُنَّ وَمَا حَوَالِيهَا وَكَانَ يَسْدُلْنَ الْخَمْرَ مِنْ وَرَائِهِنَّ فَتَبْقَى مَكْشُوفَةً فَأَمَرَ أَنْ يَسْدُلْنَهَا مِنْ أَقْدَامِهِنَّ حَتَّى تَغْطِيَهَا.

<http://goo.gl/dJU9lS> 1

<http://goo.gl/8h5pLv> 2

<http://goo.gl/edJzQV> 3

<http://goo.gl/0SOG6D> 4

وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ أَي مَوَاضِعَ الزَّيْنَةِ الْبَاطِنَةِ كَالصَّدْرِ وَالسَّاقِ وَالرَّأْسِ وَنَحْوِهَا إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ لِأَزْوَاجِهِنَّ جَمْعُ بَعْلٍ أَوْ عَابَاتِهِنَّ وَيَدْخُلُ فِيهِمُ الْأَجْدَادُ أَوْ آبَاءُ بَعُولَتِهِنَّ فَقَدْ صَارُوا مُحَارِمًا أَوْ أَبْنَاءَهُنَّ وَيَدْخُلُ فِيهِمُ النِّوَافِلُ أَوْ أَبْنَاءُ بُعُولَتِهِنَّ فَقَدْ صَارُوا مُحَارِمًا أَيْضًا أَوْ إِخْوَانَهُنَّ أَوْ بَنَى إِخْوَانَهُنَّ أَوْ بَنَى أَخَوَاتِهِنَّ وَيَدْخُلُ فِيهِمُ النِّوَافِلُ وَسَائِرُ الْمُحَارِمِ كَالْأَعْمَامِ وَالْأَخْوَالِ وَغَيْرِهِمْ دَلَالَةٌ أَوْ نَسَائِنَهُنَّ أَيِ الْحَرَائِرِ لِأَنَّ مَطْلُقَ هَذَا اللَّفْظِ يَتَنَاوَلُ الْحَرَائِرَ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ أَيِ إِمَائِهِنَّ وَلَا يَحِلُّ لِبَعْدِهَا أَنْ يَنْظُرَ إِلَى هَذِهِ الْمَوَاضِعِ مِنْهَا خَصِيًّا كَانَ أَوْ عَنِينًا أَوْ فَحْلًا. وَقَالَ سَعِيدُ بْنُ الْمُسَيَّبِ: لَا تَغْرَنَكُمْ سُورَةُ النُّورِ فَإِنَّهَا فِي الْإِمَاءِ دُونَ الذُّكُورِ. وَعَنْ عَائِشَةَ أَنَّهَا أَبَاحَتْ النَّظَرَ إِلَيْهَا لِعَبْدِهَا أَوْ التَّلْبَعِينَ غَيْرَ بِالنَّصْبِ: شَامِي وَيَزِيدُ وَأَبُو بَكْرٍ عَلَى الْإِسْتِثْنَاءِ أَوْ الْحَالِ، وَغَيْرِهِمْ بِالْجَرِّ عَلَى الْبَدَلِ أَوْ عَلَى الْوَصْفِيَّةِ أَوَّلَى الْإِزَّةِ الْحَاجَّةِ إِلَى النِّسَاءِ. قِيلَ: هُمُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَكُمْ لِيَصِيبُوا مِنْ فَضْلِ طَعَامِكُمْ وَلَا حَاجَةَ لَهُمْ إِلَى النِّسَاءِ لِأَنَّهُمْ بَلَهُ لَا يَعْرِفُونَ شَيْئًا مِنْ أَمْرِهِمْ، أَوْ شَبُوحَ صَلَاحَاءَ، أَوْ الْعَنِينَ أَوْ الْخَصِيَّ وَالْمَخْنَثَ. وَفِي الْآثَرِ أَنَّهُ الْمَجْبُوبُ وَالْأَوَّلُ الْوَجْهَ مِنَ الرَّجَالِ حَالًا أَوْ الْطِفْلَ الَّذِي هُوَ جَنْسُ فَضْلٍ أَنْ يَرَادَ بِهِ الْجَمْعُ لَمْ يَظْهَرُوا عَلَى عَوْرَتِ النِّسَاءِ أَيْ لَمْ يَطْلَعُوا لِعَدَمِ الشَّهْوَةِ مِنْ ظَهْرِ عَلَى الشَّيْءِ إِذَا اطَّلَعَ عَلَيْهِ، أَوْ لَمْ يَبْلُغُوا أَوْ أَنَّ الْقُدْرَةَ عَلَى الْوَطْءِ مِنْ ظَهْرِ عَلَى فَلَانٍ إِذَا قَوِيَ عَلَيْهِ وَلَا يَضُرُّ بَارِئُهُنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفَيْنَ مِنْ زِينَتِهِنَّ كَانَتْ الْمَرْأَةُ تَضْرِبُ الْأَرْضَ بِرِجْلِهَا إِذَا مَشَتْ لِتَسْمَعَ قَعْقَعَةَ خِلْعَالِهَا فَيَعْلَمُ أَنَّهَا ذَاتُ خِلْعَالٍ فَهَيِّينَ عَنْ ذَلِكَ إِذْ سَمِعَ صَوْتَ الزَّيْنَةِ كَإِظْهَارِهَا وَمِنْهُ سَمِيَ صَوْتُ الْحَلِيِّ وَسَوَاسًا.

فقرات من التفسير

هـ90\33: 253

قوله عز وجل: يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوت النبي إلا أن يؤذن لكم الآية قال أكثر المفسرين نزلت هذه الآية في شأن وليمة زينب بنت جحش حين بنى لها رسول الله صلى الله عليه وسلم ق عن أنس بن مالك: أنه كان ابن عشر سنين مقدم النبي المدينة، قال فكانت أم هانئ تواطئني على خدمة رسول الله، فخدمته عشر سنين وتوفي رسول الله وأنا ابن عشرين سنة، وكنت أعلم الناس بشأن الحجاب حين أنزل، وكان أول ما نزل في مبتنى رسول الله بزينب بنت جحش حين أصبح النبي بها عروساً فدعا القوم فأصابوا من الطعام ثم خرجوا، وبقي رهط عند النبي فاطلوا المكث فقام النبي فخرج وخرجت معه لكي يخرجوا فمشى النبي ومشيت معه حتى جاء عتبة حجرة عائشة ثم ظن أنهم قد خرجوا، فرجع ورجعت معه حتى إذا دخل على زينب فإذا هم جلوس ولم يقوموا فرجع النبي ورجعت، حتى إذا بلغ عتبة حجرة عائشة، وظن أنهم قد خرجوا فرجع ورجعت معه فإذا هم قد خرجوا فضرب النبي بيني وبينه بالستر وأنزل الحجاب زاد في رواية قال دخل يعني النبي البيت وأرخى الستر، وإني لفي الحجرة وهو يقول يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوت النبي إلا أن يؤذن لكم إلى قوله والله لا يستحيي من الحق ق عن عائشة أن أزواج النبي كن يخرجن بالليل، إذا تبرزن إلى المناصع وهو صعيد أفيح، وكان عمر يقول للنبي، احجب نساءك فلم يكن رسول الله يفعل، فخرجت سودة بنت زمعة زوج النبي ليلة من الليالي عشاء وكانت امرأة طويلة فنادها عمر ألا قد عرفناك يا سودة حرصاً على أن ينزل الحجاب فأنزل الله الحجاب المناصع الخالية، لقضاء الحاجة من البول أو الغائط والصعيد وجه الأرض والأفح الواسع ق، عن أنس وابن عمر أن عمر قال وافقت ربي في ثلاث قلت يا رسول الله لو اتخذت من مقام إبراهيم مصلى فنزل واتخذوا من مقام إبراهيم مصلى البقرة: 125 وقلت: يا رسول الله، يدخل على نساءك البر والفاجر فلو أمرتهن أن يحتجبن فنزلت الآية الحجاب واجتمع نساء النبي في الغيرة فقلت عسى ربه إن طلقكن أن يبدله أزواجاً خيراً منكن فنزلت كذلك.

وقال ابن عباس: إنها نزلت في ناس من المسلمين كانوا يتحينون طعام رسول الله فيدخلون عليه قبل الطعام قبل أن يدرك ثم ياكلون، ولا يخرجون وكان رسول الله يتأذى بهم، فنزلت الآية يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوت النبي إلا أن يؤذن لكم يعني إلا أن تدعوا إلى طعام فيؤذن لكم فتأكلون غير ناظرين إناه يعني منتظرين نضجه ووقت إدراكه ولكن إذا دعيت فادخلوا فإذا طعمتم أي أكلتم الطعام فانتشروا أي فاخرجوا من منزله وتفرقوا ولا مستأنسين حديث أي لا تطيلوا الجلوس ليستأنس بعضكم بحديث بعض، وكانوا يجلسون بعد الطعام يتحدثون فنهوا عن ذلك إن ذلك كان يؤدي النبي فيستحيي منكم أي فيستحيي من إخراجكم والله لا يستحيي من الحق أي لا يترك تأديبكم وبيان الحق حياء ولما كان الحياء مما يمنع الحيي من بعض الأفعال، وقيل: لا يستحيي من الحق بمعنى لا يتمتع منه ولا يتركه ترك الحيي منكم وهذا أدب أدب الله به الثقلاء، وقيل: بحسبك من الثقلاء أن الله لم يحتلمهم وإذا سألتموهن متاعاً أي وإذا سألتن نساء النبي حاجة فاسألوهن من وراء حجاب أي من وراء ستر فبعد آية الحجاب لم يكن لأحد أن ينظر إلى امرأة من نساء رسول الله متتعبة كانت أو غير متتعبة ذلك أظهر لقلوبكم وقلوبهن أي من الرب.

هـ90\33: 359

والذين يؤذون المؤمنين والمؤمنات بغير ما اكتسبوا أي من غير أن عملوا ما أوجب أذاهم وقيل يقعون فيهم ويرمونهم بغير جرم فقد احتملوا بهتاناً وإثماً مبيناً قيل إنها نزلت في علي بن أبي طالب كانوا يؤذونه، ويشتمونه وقيل نزلت في شأن عائشة وقيل نزلت في الزناة الذين يمشون في طرق المدينة يتبعون النساء، إذا برزن بالليل لقضاء حوائجن فيتبعون المرأة فإن سكنت تبعوها، وإن زجرتهن انتهوا عنها ولم يكونوا يطلبون إلا الإماء ولكن كانوا لا يعرفون الحرة من الأمة لأن زي الكل كان واحداً تخرج الحرة والأمة في

¹ <http://goo.gl/gGCss4>

² <http://goo.gl/pKZUad>

³ <http://goo.gl/3DE3tc>

درع وخمار فشكوا ذلك إلى أزواجهن، فذكروا ذلك لرسول الله فنزلت والذين يؤذون المؤمنين والمؤمنات الآية، ثم نهى الحرائر أن يتشبهن بالإماء، فقال تعالى، يا أيها النبي قل لأزواجك وبناتك ونساء المؤمنين يدنين. أي يرخين ويغطين عليهن من جلابيبهن جمع جلباب وهو الملاءة التي تشمل بها المرأة فوق الدرع والخمار، وقيل هو الملحفة وكل ما يستتر به من كساء، وغيره.

قال ابن عباس: أمر نساء المؤمنين أن يغطين رؤوسهن ووجوههن بالجلابيب إلا عينا واحدة ليعلم أنهن حرائر وهو قوله تعالى ذلك أدنى أن يعرفن فلا يؤذين أي لا يتعرض لهن وكان الله غفوراً رحيماً أي لما سلف منهن قال أنس: مرت بعمر بن الخطاب جارية متنفقة فعلاها بالدرة، وقال يا لكاع انتشبهين بالحرائر ألق القناع. لكاع كلمة تقال لمن يستحقر به مثل العبد والأمة والخامل والقليل العقل مثل قولك يا خسيس.

هـ\102\24: 131

قوله عز وجل: وقل للمؤمنات يغضضن من أبصارهن ويحفظن فروجهن يعني عما لا يحل لهن. روي عن أم سلمى قالت: كنت عند رسول الله وعنده ميمونة بنت الحارث إذ أقبل ابن أم مكتوم فدخل عليه وذلك بعد ما أمرنا بالحجاب فقال رسول الله: احتجبا منه فقلنا: يا رسول الله أعصى لا يبصرنا ولا يعرفنا فقال رسول الله أفعميوا وانتما ألسما تبصرانه أخرجه الترمذي وأبو داود. قوله تعالى ولا يبدین یعنی لا يظهرن زینتهن یعنی لغیر المحرم وأراد بالزينة الخفية مثل الخلخال والخضاب في الرجل والسوار في المعصم والقرط في الأذن والقلائد في العنق فلا يجوز للمرأة إظهارها ولا يجوز للأجنبي النظر إليها والمراد من الزينة النظر إلى مواضعها من البدن إلا ما ظهر منها يعني من الزينة قال سعيد بن جبير والضحاك والأوزاعي الوجه والكفان. وقال ابن مسعود هي الثياب. وقال ابن عباس هي الكحل والخاتم والخضاب في الكف فما كان من الزينة الظاهرة يجوز للرجل الأجنبي النظر إليه للضرورة مثل تحمل الشهادة ونحوه من الضرورات إذا لم يخف فتنة وشهوة فإن خاف شيئاً من ذلك غض البصر وإنما رخص في هذا القدر للمرأة أن تبديه من بدنها لأنه ليس بعورة وتومر بكشفه في الصلاة وسائر بدنها عورة وليضربن بخمرهن يعني ليلقين بمقانعهن على جيوبهن يعني موضع الجيب وهو النحر والصدر يعني ليسترن بذلك شعورهن وأعناقهن وأقراطهن وصدورهن خ عن عائشة قالت: يرحم الله نساء المهاجرات الأول لما أنزل الله وليضربن بخمرهن على جيوبهن شققن مروطهن فاخترن بها المرط كساء من صوف أو خز أو كتان وقيل هو الإزار وقيل هو الدرع ولا يبدین زینتهن يعني الخفية التي لم يبح لهن كشفها في الصلاة ولا للأجانب وهي ما عدا الوجه والكفين إلا لبعولتهن قال ابن عباس لا يضعن الجلباب والخمار إلا لأزواجهن أو آياتهن أو آباء بعولتهن أو أبنائهن أو أبناء بعولتهن أو إخوانهن أو بني إخوانهن أو بني أخواتهن فيجوز لهؤلاء أن ينظروا إلى الزينة الباطنية ولا ينظرون إلى ما بين السرة والركبة. ويجوز للزوج أن ينظر إلى جميع بدن زوجته غير أنه يكره له النظر إلى فرجها أو نساينهن يعني المؤمنات من أهل دينهن أراد به أن يجوز للمرأة أن تنظر إلى بدن المرأة ما بين السرة والركبة ولا يجوز للمرأة المؤمنة أن تتجرد من ثيابها عند الذمية أو الكافرة لأن الله تعالى قال أو نساينهن والذمية أو الكافرة ليست من نساننا ولأنها أجنبية في الدين فكانت أبعد من الرجل الأجنبي كتب عمر بن الخطاب إلى أبي عبيدة بن الجراح أن يمنع نساء أهل الكتاب أن يدخلن الحمام مع المسلمات. وقيل يجوز كما يجوز أن تتكشف للمرأة المسلمة لأنها من جملة النساء أو ما ملكت أيمانهن قيل هو عبد المرأة فيجوز له الدخول عليها إذا كان عفيفاً وأن ينظر إلى مولاته إلا ما بين السرة والركبة كالمحارم. وهو ظاهر القرآن يروى ذلك عن عائشة وأم سلمة: وروى أنس أن النبي أتى إلى فاطمة بعبد قد وهبه لها وعلى فاطمة ثوب إذا قنعت به رأسها لم يبلغ رجليها وإذا غطت به رجليها لم يبلغ رأسها فلما رأى رسول الله ما تلقى قال: إنه ليس عليكم بأس إنما هو أبوك وغلأمك وقيل: هو كالأجنبي معها وهو قول سعيد بن المسيب. قال والمراد من الآية الإماء دون العبيد أو التابعين غير أولي الإربة من الرجال قرىء غير بنصب الراء قال هو بمعنى الاستثناء ومعناه يبدین زینتهن للتابعين إلا إذا الإربة منهم فإنهن لا يبدین زینتهن لمن كان منهم ذا إربة وقرىء غير بالجر على نعت التابعين والإربة والأرب الحاجة والمراد بالتابعين غير أولي الأربة هم الذين يتبعون القوم ليصيبوا من فضل طعامهم لا همة لهم إلا ذلك ولا حاجة لهم في النساء وقال ابن عباس هو الأحقم العينين وقيل هو الذي لا يستطيع غشيان النساء ولا يشتهيهن وقيل هو المحبوب والخصي وقيل هو الشيخ الهرم الذي ذهبته شهوته وقيل هو المخنث م عن عائشة: قالت كان يدخل على أزواج النبي مخنث وكانوا يعدونه من غير أولي الإربة فدخل رسول الله يوماً وهو عند بعض نسائه وهو ينعت امرأة قال: إذا

أقبلت بأربع وإذا أدبرت بثمان فقال النبي: ألا أرى هذا يعرف ما ها هنا لا يدخل عليكن هذا فاحجبوه زاد أبو داود في رواية وأخرجوه إلى البيداء يدخل كل جمعة فيستطعم قوله أقبلت بأربع أي أن لها في بطنها أربع عكن فهي تقبل إذا أقبلت بها وأراد بالثمان أطراف العكن الأربع من الجانبين وذلك صفة لها بالسنون أو الطفل الذين لم يظهروا على عورات النساء أي لم يكشفوا عن عورات النساء للجماع فيطلعوا عليها وقيل: لم يعرفوا العورة من غيرها من الصغر وقيل لم يطبقوا أمر النساء وقيل لم يبلغوا حد الشهوة وقيل الطفولية اسم للصبي ما لم يحتلم ولا يضربن بأرجلهن ليعلم ما يخفين من زينتهن قيل كانت المرأة إذا مشت ضربت برجلها ليسمع صوت خلخالها أو يتبين خلخالها فنهي عن ذلك وقيل إن الرجل تغلب عليه شهوة النساء إذا سمع صوت الخلخال ويصير ذلك داعية له زائدة في مشاهدتهن وقد علل ذلك بقوله تعالى: ليعلم ما يخفين من زينتهن فنبه به على أن الذي لأجله نهى عنه أن يعلم به ما عليهن من الحلي غيره.

فقرات من التفسير

هـ\33\90: 253

وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعًا فَاسْأَلُوهُنَّ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ الْمُتَاعِ الْحَاجَةُ مِنَ الْأُنْثَى وَغَيْرِهِ، وَهَذِهِ الْآيَةُ نَزَلَتْ فِي احْتِجَابِ أَزْوَاجِ النَّبِيِّ، وَسَبَبُهَا مَا رَوَاهُ أَنَسٌ مِنْ قَعُودِ الْقَوْمِ يَوْمَ الْوَلِيمَةِ فِي بَيْتِ زَيْنَبَ، وَقِيلَ: سَبَبُهَا أَنَّ عَمْرَ بْنَ الْخَطَّابِ أَشَارَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ بِأَنْ يَحْجِبَ نِسَاءَهُ، فَنَزَلَتْ الْآيَةُ مُوَافَقَةً لِقَوْلِ عَمْرَ، قَالَ بَعْضُهُمْ لَمَّا نَزَلَتْ فِي أَمَهَاتِ الْمُؤْمِنِينَ وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعًا فَاسْأَلُوهُنَّ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ كُنَّ لَا يَجُوزُ لِلنَّاسِ كَلَامُهُنَّ إِلَّا مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ، وَلَا يَجُوزُ أَنْ يَرَاهُنَّ مُتَنَقِبَاتٍ وَلَا غَيْرَ مُتَنَقِبَاتٍ، فَخَصَّصَ بِذَلِكَ دُونَ سَائِرِ النِّسَاءِ ذَلِكَ أَمْطَهُنَّ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبَهُنَّ يَرِيدُ أَنْقَى مِنَ الْخَوَاطِرِ الَّتِي تَعْرِضُ لِلرِّجَالِ فِي أَمْرِ النِّسَاءِ وَالنِّسَاءِ فِي أَمْرِ الرِّجَالِ.

هـ\33\90: 359

كَانَ نِسَاءُ الْعَرَبِ يَكْشِفْنَ وَجُوهَهُنَّ كَمَا تَفْعَلُ الْإِمَاءُ، وَكَانَ ذَلِكَ دَاعِيًا إِلَى نَظَرِ الرِّجَالِ لِهِنَّ، فَأَمَرَهُنَّ اللَّهُ بِإِدْنَاءِ الْجَلَابِيبِ لِيَسْتَرْنَ بِذَلِكَ وَجُوهَهُنَّ، وَيَفْهَمُ الْفَرْقُ بَيْنَ الْحِرَانِ وَالْإِمَاءِ، وَالْجَلَابِيبُ جَمْعُ جَلِيبٍ وَهُوَ ثَوْبٌ أَكْبَرُ مِنَ الْخِمَارِ، وَقِيلَ: هُوَ الرِّدَاءُ وَصُورَةُ إِدْنَائِهِ عِنْدَ ابْنِ عَبَّاسٍ أَنْ تَلْوِيَهُ عَلَى وَجْهِهَا حَتَّى لَا يَظْهَرَ مِنْهَا إِلَّا عَيْنٌ وَاحِدَةٌ تَبْصُرُ بِهَا وَقِيلَ: أَنْ تَلْوِيَهُ حَتَّى لَا يَظْهَرَ إِلَّا عَيْنَاهَا، وَقِيلَ أَنْ تَغْطِي نِصْفَ وَجْهِهَا ذَلِكَ أَدْنَى أَنْ يُعْرِفَنَّ فَلَا يُؤَدِّنُ أَيُّ ذَلِكَ أَقْرَبُ إِلَى أَنْ يَعْرِفَ الْحِرَانُ مِنَ الْإِمَاءِ فَإِذَا عَرَفَ أَنَّ الْمَرْأَةَ حُرَّةً لَمْ تَعَارِضْ بِمَا تَعَارِضُ بِهِ الْأَمَةُ، وَلَيْسَ الْمَعْنَى أَنْ تَعْرِفَ الْمَرْأَةَ حَتَّى يَعْلَمَ مِنْ هِيَ، إِنَّمَا الْمُرَادُ أَنْ يَفْرُقَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ الْأَمَةِ، لِأَنَّهُ كَانَ بِالْمَدِينَةِ إِمَاءٌ يَعْرِفْنَ بِالسُّوءِ وَرَبَّمَا تَعْرِضُ لِهِنَّ السَّفَهَاءُ.

هـ\102\24: 431

وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ تَوَمَّرَ الْمَرْأَةُ بِغَضِّ بَصَرِهَا عَنْ عَوْرَةِ الرَّجُلِ وَعَنْ عَوْرَةِ الْمَرْأَةِ إجمالاً، واختلف هل يجب عليها غض بصرها عن سائر جسد الرجل الأجنبي أم لا، وعن سائر جسد المرأة أم لا، فعلى القول بذلك تشتمل الآية عليه، والكلام في حفظ فروج النساء كحفظ فروج الرجال وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا نَهَى عَنْ إِظْهَارِ الزَّيْنَةِ بِالْجَمْلَةِ ثُمَّ اسْتَنَى الظَّاهِرَ مِنْهَا، وَهُوَ مَا لَا بَدَّ مِنَ النَّظَرِ إِلَيْهِ عِنْدَ حَرَكَتِهَا أَوْ إِصْلَاحِ شَأْنِهَا وَشَبَّهَ ذَلِكَ، فَقِيلَ: إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا يَعْنِي الثِّيَابَ؛ فعلى هذا يجب ستر جميع جسدِها، وَقِيلَ: الثِّيَابُ وَالْوَجْهَ وَالْكَفَّانَ، وَهَذَا مَذْهَبُ مَالِكٍ لِأَنَّهُ أَبَاحَ كَشْفَ وَجْهِهَا وَكَفَّيْهَا فِي الصَّلَاةِ، وَزَادَ أَبُو حَنِيفَةَ الْقَدَمِينَ وَلْيَصْرُفْنَ بَعْضَهُنَّ عَلَى جُيُوبِهِنَّ الْجُيُوبُ هِيَ الَّتِي يَقُولُ لَهَا الْعَامَّةُ أَطَوَاقُ، وَسَبَبُهَا أَنَّ النِّسَاءَ كُنَّ فِي ذَلِكَ الزَّمَانِ يَلْبِسْنَ ثِيَابًا وَاسْعَاتِ الْجُيُوبِ، يَظْهَرُ مِنْهَا صُدُورُهُنَّ، وَكُنَّ إِذَا غَطَّيْنَ رُؤُوسَهُنَّ بِالْأَخْمَرَةِ، سَدَلْنَهَا، مِنْ وَرَاءِ الظَّهْرِ، فَيَبْقَى الصَّدْرُ وَالْعُنُقُ وَالْأَذْنَانُ لَا سِتْرَ عَلَيْهَا، فَأَمَرَهُنَّ اللَّهُ بِلِي الْأَخْمَرَةِ جَمْعُ خِمَارٍ عَلَى الْجُيُوبِ لِيَسْتَرْنَ جَمِيعَ ذَلِكَ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ آبَائِهِنَّ الْآيَةُ: الْمُرَادُ بِالزَّيْنَةِ هُنَا الْبَاطِنَةُ، فَلَمَّا ذَكَرَ فِي الْآيَةِ قَبْلُهَا مَا أَبَاحَ أَنْ يَرَاهُ غَيْرُ ذَوِي الْمَحْرَمِ مِنَ الزَّيْنَةِ الظَّاهِرَةِ، وَذَكَرَ فِي هَذِهِ مَا أَبَاحَ أَنْ يَرَاهُ الزَّوْجُ وَذَوِي الْمَحَارِمِ مِنَ الزَّيْنَةِ الْبَاطِنَةِ، وَبَدَأَ بِالْبُعُولَةِ وَهُمْ الْأَزْوَاجُ لِأَنَّ إِطْلَاعَهُمْ يَقَعُ عَلَى أَعْظَمِ مِنْ هَذَا، ثُمَّ ثَنَّى بِذَوِي الْمَحَارِمِ وَسَوَّى بَيْنَهُمْ فِي إِدْنَاءِ الزَّيْنَةِ، وَلَكِنْ مَرَاتِبُهُمْ تَخْتَلِفُ بِحَسَبِ الْقَرَبِ، وَالْمُرَادُ بِالْأَبَاءِ كُلِّ مَنْ لَهُ وَلَادَةٌ مِنَ الْوَالِدِ وَجَدٌّ، وَبِالْأَبْنَاءِ كُلِّ مَنْ عَلَيْهِ وَلَادَةٌ مِنْ وَلَدٍ وَوَلَدٌ، وَلَمْ يَذْكُرْ فِي هَذِهِ الْآيَةِ مِنْ ذَوِي الْمَحَارِمِ: الْعَمُّ وَالْخَالَ وَمَذْهَبُ جَمْهُورِ الْعُلَمَاءِ جَوَازُ رُؤْيَيْهِمَا لِلْمَرْأَةِ، لِأَنَّهُمَا مِنْ ذَوِي الْمَحَارِمِ، وَكَرِهَ ذَلِكَ قَوْمٌ، وَقَالَ الشَّافِعِيُّ: إِنَّمَا لَمْ يَذْكُرِ الْعَمُّ وَالْخَالَ لِأَنَّ يَصِفَا زِينَةَ الْمَرْأَةِ لِأَوْلَادِهِمَا أَوْ نِسَائِهِمَا يَعْنِي جَمِيعَ الْمُؤْمِنَاتِ، فَكَانَ قَالَ أَوْ صَنَفَهُنَّ وَيَخْرُجُ عَنْ ذَلِكَ نِسَاءُ الْكُفَرَاءِ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ يَدْخُلُ فِي ذَلِكَ الْإِمَاءُ الْمُسْلِمَاتِ وَالتَّكْنِيبَاتِ، وَأَمَّا الْعَبِيدُ: فَفِيهِمْ ثَلَاثَةٌ أَقْوَالٌ: مَنَعَ رُؤْيَيْهِمْ لِسَيِّدَتِهِمْ وَهُوَ قَوْلُ الشَّافِعِيِّ، وَالْجَوَازُ: وَهُوَ قَوْلُ ابْنِ عَبَّاسٍ وَعَائِشَةَ، وَالْجَوَازُ بِشَرَطِ أَنْ يَكُونَ الْعَبْدُ وَغَدًا وَهُوَ مَذْهَبُ مَالِكٍ، وَإِنَّمَا أَخَذَ جَوَازَهُ مِنْ قَوْلِهِ

¹ <https://goo.gl/fsB6uq>

² <http://goo.gl/f9jwzE>

³ <http://goo.gl/f9USuj>

⁴ <http://goo.gl/twWUb5>

أَوِ التَّابِعِينَ غَيْرِ أُولِي الْإِرْبَةِ وَخَالَفَ هَلْ يَجُوزُ أَنْ يَرَاهَا عَبْدٌ زَوْجَهَا وَعَبْدُ الْأَجْنَبِيِّ أَمْ لَا؟ عَلَى قَوْلَيْنِ أَيْمَانُهُنَّ أَوِ التَّابِعِينَ غَيْرِ أُولِي الْإِرْبَةِ مَنْ شَرَطَ فِي رُؤْيَا غَيْرِ ذَوِي الْمَحَارِمِ شَرْطَيْنِ: أَحَدُهُمَا أَنْ يَكُونَا تَابِعِينَ، وَمَعْنَاهُ أَنْ يَتَّبِعَ لشيءٍ يَعْطَاهُ كَالْوَكِيلِ وَالْمُتَصَرِّفِ، وَلِذَلِكَ قَالَ بَعْضُهُمْ هُوَ الَّذِي يَتَّبِعُكَ وَهَمَّ بِطَنِهِ، وَالْآخَرُ: أَنْ لَا يَكُونَ لَهُمْ إِرْبَةٌ فِي النِّسَاءِ كَالْخَصِيِّ وَالْمَخْنُثِ وَالشَّيْخِ الْهَرَمِ وَالْأَحْمَقِ، فَلَا يَجُوزُ رُؤْيَاهُمْ لِلنِّسَاءِ إِلَّا بِاجْتِمَاعِ الشَّرْطَيْنِ، وَقِيلَ بِأَحَدِهِمَا، وَمَعْنَى الْإِرْبَةِ الْحَاجَةُ إِلَى الْوَطْءِ أَوِ الْطُّفْلِ الَّذِينَ لَمْ يَطْهَرُوا عَلَى عَوْرَاتِ النِّسَاءِ أَرَادَ بِالطُّفْلِ الْجَنَسَ، وَلِذَلِكَ وَصَفَهُ بِالْجَمْعِ، وَيُقَالُ: طِفْلٌ مَا لَمْ يَرَاهِقِ الْحِلْمَ، وَيَطْهَرُوا وَمَعْنَاهُ يَطْلَعُونَ بِالْوَطْءِ عَلَى عَوْرَاتِ النِّسَاءِ، فَمَعْنَاهُ الَّذِينَ لَمْ يَطْأُوا النِّسَاءَ، وَقِيلَ: الَّذِينَ لَا يَدْرُونَ مَا عَوْرَاتُ النِّسَاءِ وَهَذَا أَحْسَنُ وَلَا يَضُرُّ بِنَاءُ رُجُلَهُنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفَيْنَ مِنْ زِينَتِهِنَّ رَوَى أَنَّ امْرَأَةً كَانَتْ لَهَا خُلْخُلَانٌ، فَكَانَتْ تَضْرِبُ بِهِمَا لِيَسْمَعَهُمَا الرِّجَالُ، فَنَهَى اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ عَنْ ذَلِكَ، قَالَ الزَّجَّاجُ: إِسْمَاعُ صَوْتِ الزَّيْنَةِ أَشَدُّ تَحْرِيكًا لِلشَّهْوَةِ مِنْ إِبْدَانِهَا.

فقرات من التفسير

هــ٩٠\٣٣: 253

هذه آية الحجاب وفيها أحكام وآداب شرعية، وهي مما وافق تنزيلها قول عمر بن الخطاب، كما ثبت ذلك في الصحيحين عنه أنه قال: وافقت ربي عز وجل في ثلاث، قلت: يا رسول الله لو اتخذت من مقام إبراهيم مصلي، فأنزل الله تعالى:

وَأَتَّخِذُوا مِنْ مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى الْبَقَرَةَ: 125 وقلت: يا رسول الله إن نساءك يدخل عليهن البر والفاجر، فلو حجبتهن، فأنزل الله آية الحجاب، وقلت لأزواج النبي لما تما لأن عليه في الغيرة: عَسَىٰ رَبُّهُ إِنْ طَلَّقَكُنَّ أَنْ يُبَدِّلَهُ أَزْوَاجًا خَيْرًا مِنْكُنَّ الْحَرِيم: 5 فنزلت كذلك، وفي رواية لمسلم ذكر أسارى بدر، وهي قضية رابعة.

وقد قال البخاري: حدثنا مسدد عن يحيى عن حميد عن أنس بن مالك قال: قال عمر بن الخطاب: يا رسول الله يدخل عليك البر والفاجر، فلو أمرت أمهات المؤمنين بالحجاب، فأنزل الله آية الحجاب، وكان وقت نزولها في صبيحة عرس رسول الله بزينب بنت جحش الأسدية التي تولى الله تعالى تزويجها بنفسه، وكان ذلك في ذي القعدة من السنة الخامسة في قول قتادة والواقدي وغيرهما، وزعم أبو عبيدة معمر بن المثنى وخليفة بن خياط أن ذلك كان في سنة ثلاث، فالله أعلم.

قال البخاري: حدثنا محمد بن عبد الله الرقاشي، حدثنا معتمر بن سليمان، سمعت أبي، حدثنا أبو مجلز عن أنس بن مالك قال: لما تزوج رسول الله بزينب بنت جحش، دعا القوم فطعموا، ثم جلسوا يتحدثون، فإذا هو يتهيأ للقيام، فلم يقوموا، فلما رأى ذلك، قام، فلما قام، قام من قام، وقعد ثلاثة نفر، فجاء النبي ليدخل، فإذا القوم جلوس، ثم إنهم قاموا فانطلقوا، فجئت فأخبرت النبي أنهم قد انطلقوا، فجاء حتى دخل، فذهبت أدخل، فالتقى الحجاب بيني وبينه، فأنزل الله تعالى: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ إِلَّا أَنْ يُؤْذَنَ لَكُمْ إِلَىٰ طَعَامٍ غَيْرَ نَظَرٍ إِنَّهُ لَكُنْ إِذَا دُعِيتُمْ فَأَدْخُلُوا فَإِذَا طَعِمْتُمْ فَانْتَشِرُوا الْآيَةَ، وقد رواه أيضا في موضع آخر، ومسلم والنسائي من طرق عن معتمر بن سليمان به.

ثم رواه البخاري منفرداً به من حديث أيوب عن أبي قلابة، عن أنس بن مالك بنحوه، ثم قال: حدثنا أبو معمر، حدثنا عبد الوارث، حدثنا عبد العزيز بن صهيب عن أنس بن مالك قال: بنى النبي زينب بنت جحش بخبز ولحم، فأرسلت على الطعام داعياً، فيجيء قوم فيأكلون ويخرجون، ثم يجيء قوم فيأكلون ويخرجون، فدعوت حتى ما أجد أحداً أدعوه، فقلت: يا رسول الله ما أجد أحداً أدعوه، قال:

ارفعوا طعامكم، وبقي ثلاثة رهط يتحدثون في البيت، فخرج النبي فانطلق إلى حجرة عائشة فقال: السلام عليكم أهل البيت ورحمة الله وبركاته قالت: وعليك السلام ورحمة الله، كيف وجدت أهلك يا رسول الله؟ بارك الله لك؟ فتقرى حجر نسانه كلهن، يقول لهن كما يقول لعائشة، ويقلن له كما قالت عائشة، ثم رجع النبي فإذا ثلاثة رهط في البيت يتحدثون، وكان النبي شديد الحياء، فخرج منطلقاً نحو حجرة عائشة، فما أدري أخبرته أم أخبر أن القوم خرجوا، فرجع حتى إذا وضع رجله في أسكفة الباب داخله، والأخرى خارجة، أرخى الستر بيني وبينه، وأنزل آية الحجاب. انفرد به البخاري من بين أصحاب الكتب الستة سوى النسائي في اليوم والليلة من حديث عبد الوارث، ثم رواه عن إسحاق، هو ابن منصور، عن عبد الله بن بكر السهمي عن حميد عن أنس بنحو ذلك، وقال رجلان: انفرد به من هذا الوجه، وقد تقدم في أفراد مسلم من حديث سليمان بن المغيرة عن ثابت عن أنس.

وقال ابن جرير: حدثني أحمد بن عبد الرحمن ابن أخي ابن وهب، حدثني عمي عبد الله بن وهب، حدثني يونس عن الزهري عن عروة عن عائشة قالت: إن أزواج النبي كن يخرجن بالليل إذا تبرزن إلى المناصع — وهو صعيد أفيح — وكان عمر يقول لرسول الله احجب نساءك، فلم يكن رسول الله ليفعل، فخرجت سودة

¹ <https://goo.gl/kb667t>

² <https://goo.gl/WdCOQY>

بنت زمعة زوج رسول الله وكانت امرأة طويلة، فناداها عمر بصوته الأعلى: قد عرفناك يا سودة؛ حرصاً على أن ينزل الحجاب، قالت: فأنزل الله الحجاب، هكذا وقع في هذه الرواية، والمشهور أن هذا كان بعد نزول الحجاب.

كما رواه الإمام أحمد والبخاري ومسلم من حديث هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة قالت: خرجت سودة بعدما ضرب الحجاب لحاجتها، وكانت امرأة جسيمة، لا تخفى على من يعرفها، فرأها عمر بن الخطاب، فقال: يا سودة أما والله ما تخفين علينا، فانظري كيف تخرجين؟ قالت: فأنكفت راجعة، ورسول الله في بيتي، وإنه ليتعشى وفي يده عرق، فدخلت فقالت: يا رسول الله إني خرجت لبعض حاجتي، فقال لي عمر: كذا وكذا، قالت: فأوحى الله إلي، ثم رفع عنه، وإن العرق في يده ما وضعه، فقال: إنه قد أذن لكن أن تخرجن لحاجتكن لفظ البخاري، فقلوه تعالى: لَا تَخْلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ حَظَرٌ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَنْ يَدْخُلُوا مَنَازِلَ رَسُولِ اللَّهِ بِغَيْرِ إِذْنٍ كَمَا كَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ يَصْنَعُونَ فِي بُيُوتِهِمْ فِي الْجَاهِلِيَّةِ وَابْتِدَاءَ الْإِسْلَامِ، حَتَّى غَارَ اللَّهُ لِهَذِهِ الْأُمَّةِ، فَأَمَرَهُمْ بِذَلِكَ، وَذَلِكَ مِنْ إِكْرَامِهِ تَعَالَى هَذِهِ الْأُمَّةَ، وَلِهَذَا قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِيَّاكُمْ وَالدُّخُولَ عَلَى النِّسَاءِ الْحَدِيثَ، ثُمَّ اسْتَنْتَى مِنْ ذَلِكَ، فَقَالَ تَعَالَى: إِلَّا أَنْ يُؤْذَنَ لَكُمْ إِلَى طَعَامٍ غَيْرٍ نَظَرٍ إِنَّهُ قَالَ مُجَاهِدٌ وَقَتَادَةُ وَغَيْرُهُمَا: أَيُّ: غَيْرِ مُتَحَنِّينَ نَضِجَهُ وَاسْتَوَاءَهُ، أَيُّ: لَا تَرْقُبُوا الطَّعَامَ إِذَا طَبَخَ، حَتَّى إِذَا قَارَبَ الْإِسْتَوَاءَ، تَعَرَّضْتُمْ لِلدُّخُولِ، فَإِنْ هَذَا مِمَّا يَكْرَهُهُ اللَّهُ وَيَذْمُهُ، وَهَذَا دَلِيلٌ عَلَى تَحْرِيمِ التَّطْفِيلِ، وَهُوَ الَّذِي تَسْمِيهِ الْعَرَبُ الضَّيْفَ، وَقَدْ صَنَفَ الْخَطِيبُ الْبَغْدَادِيُّ فِي ذَلِكَ كِتَابًا فِي ذَمِّ الطِّفْلِيِّينَ، وَذَكَرَ مِنْ أَخْبَارِهِمْ أَشْيَاءَ يَطُولُ إِيرَادُهَا.

ثم قال تعالى: وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعًا فَاسْأَلُوهُنَّ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ أَيْ: وكما نهيتكم عن الدخول عليهن، كذلك لا تنتظروا إليهن بالكلية، ولو كان لأحدكم حاجة يريد تناولها منهن، فلا ينظر إليهن، ولا يسألن حاجة إلا من وراء حجاب. وقال ابن أبي حاتم: حدثنا أبي، حدثنا ابن أبي عمر، حدثنا سفيان عن مسعر عن موسى بن أبي كثير عن مجاهد عن عائشة قالت: كنت أكل مع النبي حيساً في قعب، فمر عمر، فدعاه فأكل، فأصابته إصبعه إصبعي، فقال: حس، أو أوه، لو أطاع فيكن، ما رأته عين، فزل الحجاب. ذلکم أظہر لقلوبکم وقلوبہن أی: هذا الذي أمرتكم به، وشرعته لكم من الحجاب، أظہر وأطیب.

هـ 90/33: 159

يقول تعالى أمراً رسوله تسليماً أن يأمر النساء المؤمنات — خاصة أزواجه وبناته لشرفهن — بأن يدين عليهن من جلابيبن، ليميزن عن سمات نساء الجاهلية وسمات الإماء، والجلباب هو الرداء فوق الخمار، قاله ابن مسعود وعبيدة وقتادة والحسن البصري وسعيد بن جبيرة وإبراهيم النخعي وعطاء الخراساني وغير واحد، وهو بمنزلة الإزار اليوم. قال الجوهرى: الجلباب: الملحفة، قالت امرأة من هذيل ترثي قتيلاً لها:

تَمْشِي النَّسْرُ إِلَيْهِ وَهِيَ لَاهِيَةٌ
مَشْيَ الْعَذَارَى عَلَيْهِنَّ الْجَلَابِيْبُ

قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس: أمر الله نساء المؤمنين إذا خرجن من بيوتهن في حاجة أن يغطين وجوههن من فوق رؤوسهن بالجلابيب، ويدين عينا واحدة، وقال محمد بن سيرين: سألت عبيدة السلماني عن قول الله عز وجل: يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِنْ جَلَابِيْبِهِنَّ فَعَطَى وَجْهَهُ وَرَأْسَهُ، وأبرز عنه اليسرى. وقال عكرمة: تغطي ثغرة نحرها بجلابها تدنيه عليها. وقال ابن أبي حاتم: حدثنا أبو عبد الله الظهراني فيما كتب إلي، حدثنا عبد الرزاق، أخبرنا معمر عن ابن خثيم عن صفية بنت شيبة عن أم سلمة قالت: لما نزلت هذه الآية: يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِنْ جَلَابِيْبِهِنَّ خرج نساء الأنصار كأن على رؤوسهن الغربان من السكينة، وعليهن أكسية سود يلبسنها.

وقال ابن أبي حاتم: حدثنا أبي، حدثنا أبو صالح، حدثنا الليث، حدثنا يونس بن يزيد قال: وسألناه، يعني: الزهري: هل على الوليدة خمار متزوجة أو غير متزوجة؟ قال: عليها الخمار إن كانت متزوجة، وتنتهى عن الجلباب؛ لأنه يكره لهن أن يتشبهن بالحرائر المحصنات، وقد قال الله تعالى: يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لَأَزُوجَكُمْ وَبَنَاتَكُمُ نِسَاءَ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِنْ جَلَابِيْبِهِنَّ، وروي عن سفيان الثوري أنه قال: لا بأس بالنظر إلى زينة نساء أهل الذمة، وإنما نهى عن ذلك لخوف الفتنة، لا لحرمتهم، واستدل بقوله تعالى: وَنِسَاءَ الْمُؤْمِنِينَ وَقَوْلُهُ: ذَلِكَ أَنْتِ أَنْ يُعْرِقَنَّ قُلُوبَهُنَّ فَلَا يُؤْذَنَنَّ أَيْ: إذا فعلن ذلك، عرفن أنهن حرائر، لسن بإماء ولا عواهر. قال السدي في قوله تعالى: يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لَأَزُوجَكُمْ وَبَنَاتَكُمُ نِسَاءَ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِنْ جَلَابِيْبِهِنَّ ذَلِكَ أَنْتِ أَنْ يُعْرِقَنَّ قُلُوبَهُنَّ فَلَا يُؤْذَنَنَّ قَالَ: كان ناس من فساق أهل المدينة يخرجون بالليل حين يختلط الظلام إلى طرق المدينة يتعرضون

للنساء، وكانت مساكن أهل المدينة ضيقة، فإذا كان الليل، خرج النساء إلى الطرق يقضين حاجتهن، فكان أولئك الفساق يبتغون ذلك منهن، فإذا رأوا المرأة عليها جلباب، قالوا: هذه حرة، فكفوا عنها، وإذا رأوا المرأة ليس عليها جلباب، قالوا: هذه أمة، فوثبوا عليها، وقال مجاهد: يتجلببن فيعلم أنهن حرائر، فلا يتعرض لهن فاسق بأذى ولا ريبة.

وقوله تعالى: وَكَانَ اللَّهُ غَفُوراً رَحِيماً أي: لما سلف في أيام الجاهلية، حيث لم يكن عندهن علم بذلك

هـ-102\24: 131

هذا أمر من الله تعالى للنساء المؤمنات، وغيرة منه لأزواجهن عباد المؤمنين، وتمييز لهن عن صفة نساء الجاهلية وفعال المشركات. وكان سبب نزول هذه الآية ما ذكره مقاتل بن حيان قال: بلغنا — والله أعلم — أن جابر بن عبد الله الأنصاري حدث: أن أسماء بنت مرشدة كانت في محل لها في بني حارثة، فجعل النساء يدخلن عليها غير متأزرات، فيبدو ما في أرجلهن من الخلخل، وتبدو صدورهن وذوائبهن، فقالت أسماء: ما أقبح هذا فانزل الله تعالى: وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَرِهِنَّ الْآيَةَ، فقله تعالى: وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَرِهِنَّ أَي: عما حرم الله عليهن من النظر إلى غير أزواجهن، ولهذا ذهب كثير من العلماء إلى أنه لا يجوز للمرأة أن تنظر إلى الرجال الأجانب بشهوة، ولا بغير شهوة أصلاً.

واحتج كثير منهم بما رواه أبو داود والترمذي من حديث الزهري عن نبهان مولى أم سلمة: أنه حدث: أن أم سلمة حدثته: أنها كانت عند رسول الله وميمونة، قالت: فبينما نحن عنده، أقبل ابن أم مكتوم، فدخل عليه، وذلك بعدما أمرنا بالحجاب، فقال رسول الله احتجبا منه فقلت: يا رسول الله أليس هو أعمى لا يبصرنا ولا يعرفنا؟ فقال رسول الله أو عميوان أنتما؟ ألستما تبصرانه ثم قال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح. وذهب آخرون من العلماء إلى جواز نظرهن إلى الأجانب بغير شهوة؛ كما ثبت في الصحيح: أن رسول الله جعل ينظر إلى الحبشة وهم يلعبون بحرابهم يوم العيد في المسجد، وعائشة أم المؤمنين تنظر إليهم من ورائه، وهو يسترها منهم حتى ملت ورجعت.

وقوله: وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ قال سعيد بن جبيرة عن الفواش. وقال قتادة وسفيان: عما لا يحل لهن. وقال مقاتل: عن الزنا، وقال أبو العالية: كل آية نزلت في القرآن يذكر فيها حفظ الفروج فهو من الزنا، إلا هذه الآية: وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ أن لا يراها أحد، وقوله تعالى: وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا أَي: لا يظهرن شيئاً من الزينة للأجانب، إلا ما لا يمكن إخفاؤه. قال ابن مسعود: كالداء والثياب، يعني: على ما كان يعتناه نساء العرب من المقنعة التي تجلل ثيابها، وما يبدو من أسافل الثياب. فلا حرج عليها فيه؛ لأن هذا لا يمكنها إخفاؤه، ونظيره في زي النساء ما يظهر من إزارها، وما لا يمكن إخفاؤه. وقال بقول ابن مسعود الحسن وابن سيرين وأبو الجوزاء وإبراهيم النخعي وغيرهم.

وقال الأعمش عن سعيد بن جبيرة عن ابن عباس: وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا قال: وجهها وكفيها والخاتم.

وروي عن ابن عمر وعطاء وعكرمة وسعيد بن جبيرة وأبي الشعثاء والضحاك وإبراهيم النخعي وغيرهم نحو ذلك، وهذا يحتمل أن يكون تفسيراً للزينة التي نهين عن إبدائها، كما قال أبو إسحاق السبيعي عن أبي الأحوص عن عبد الله قال: في قوله: وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ الزينة: القرط والمالج والخلخال والقلادة. وفي رواية عنه بهذا الإسناد قال: الزينة زينتان: فزينة لا يراها إلا الزوج: الخاتم والسوار، وزينة يراها الأجانب وهي الظاهر من الثياب. وقال الزهري: لا يبيدين لهؤلاء الذين سمى الله ممن لا تحل له إلا الأسورة والأخمرة والأقرطة من غير حسر، وأما عامة الناس فلا يبيدين منها إلا الخواتم.

وقال مالك عن الزهري: إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا: الخاتم والخلخال. ويحتمل أن ابن عباس ومن تابعه أرادوا تفسير ما ظهر منها بالوجه والكفين، وهذا هو المشهور عند الجمهور، ويستأنس له بالحديث الذي رواه أبو داود في سننه: حدثنا يعقوب بن كعب الأنطاكي ومؤمل بن الفضل الحراني قالوا: حدثنا الوليد عن سعيد بن بشير عن قتادة عن خالد بن دريك عن عائشة: أن أسماء بنت أبي بكر دخلت على النبي وعليها ثياب رقاق، فأعرض عنها، وقال: يا أسماء إن المرأة إذا بلغت المحيض، لم يصلح أن يرى منها إلا هذا وأشار إلى وجهه وكفيه، لكن قال أبو داود وأبو حاتم الرازي: هذا مرسل؛ خالد بن دريك لم يسمع من عائشة، والله أعلم.

وقوله تعالى: وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَى جُيُوبِهِنَّ يعني: المقانع يعمل لها صنفات ضاربات على صدورهن؛ لتواري ما تحتها من صدرها وترايبها؛ ليخالفن شعار نساء أهل الجاهلية؛ فإنهن لم يكن يفعلن ذلك، بل كانت

المرأة منهم تمر بين الرجال مسفحة بصدرها، لا يواريه شيء، وربما أظهرت عنقها وذوائب شعرها وأفرطه أذناها، فأمر الله المؤمنات أن يستترن في هيناتهن وأحوالهن؛ كما قال تعالى: **يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لَأَزْوَاجَكُمْ وَبَنَاتَكُمْ وَنِسَاءَ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِنْ جَلَابِيبِهِنَّ ذَلِكَ أَدْنَى أَنْ يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذِينَ** الأحزاب: 59 وقال في هذه الآية الكريمة: **وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَى جُيُوبِهِنَّ** والخمر جمع خمار، وهو ما يخر به، أي: يغطي به الرأس، وهي التي تسميها الناس المقانع.

قال سعيد بن جبیر: **وَلْيَضْرِبْنَ**: وليشددن بخمرهن على جُيوبهن يعني: على النحر والصدر، فلا يرى منه شيء. وقال البخاري: حدثنا أحمد بن شبيب، حدثنا أبي عن يونس عن ابن شهاب عن عروة عن عائشة قالت: يرحم الله نساء المهاجرات الأول، لما أنزل الله: **وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَى جُيُوبِهِنَّ** شققن مروطن، فاخترن بها. وقال أيضاً: حدثنا أبو نعيم، حدثنا إبراهيم بن نافع عن الحسن بن مسلم عن صفية بنت شيبة: أن عائشة كانت تقول: لما نزلت هذه الآية: **وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَى جُيُوبِهِنَّ** أخذن أزهرن، فشققنها من قبل الحواشي، فاخترن بها.

وقال ابن أبي حاتم: حدثنا أبي، حدثنا أحمد بن عبد الله بن يونس، حدثنا الزنجي بن خالد، حدثنا عبد الله بن عثمان بن خثيم عن صفية بنت شيبة قالت: بينا نحن عند عائشة، قالت: فذكرنا نساء قريش وفصلهن، فقالت عائشة: إن لنساء قريش لفصلاً، وإني والله ما رأيت أفضل من نساء الأنصار أشد تصديقاً بكتاب الله، ولا إيماناً بالتنزيل، لقد أنزلت سورة النور: **وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَى جُيُوبِهِنَّ** انقلب إليهن رجالهن يتلون عليهن ما أنزل الله إليهم فيها، ويتلو الرجل على امرأته وابنته وأخته وعلى كل ذي قرابته، فما منهن امرأة إلا قامت إلى مرطها المرحل، فاعتجرت به؛ تصديقاً وإيماناً بما أنزل الله من كتابه، فأصبحن وراء رسول الله معجرات كأن على رؤوسهن الغربان. ورواه أبو داود من غير وجه عن صفية بنت شيبة به.

وقال ابن جرير حدثنا يونس أخبرنا ابن وهب: أن قرّة بن عبد الرحمن أخبره عن ابن شهاب عن عروة عن عائشة قالت: يرحم الله النساء المهاجرات الأول، لما أنزل الله: **وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَى جُيُوبِهِنَّ** شققن أكثف مروطن، فاخترن بها، ورواه أبو داود من حديث ابن وهب به، وقوله تعالى: **وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَيْ: أزواجهن أَوْ عَابَتِهِنَّ أَوْ عَابَاءَ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ أَبْنَاءَ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنَى إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنَى أَخَوَاتِهِنَّ** كل هؤلاء محارم للمرأة يجوز لها أن تظهر عليهم بزینتها، ولكن من غير اقتصاد وتبهرج. وقد روى ابن المنذر: حدثنا موسى، يعني: ابن هارون، حدثنا أبو بكر، يعني: ابن أبي شيبة، حدثنا عفان، حدثنا حماد بن سلمة، أخبرنا داود عن الشعبي وعكرمة في هذه الآية: **وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ عَابَتِهِنَّ أَوْ عَابَاءَ بُعُولَتِهِنَّ** حتى فرغ منها، وقال: لم يذكر العم ولا الخال، لأنهما ينعنان لأبنائهما، ولا تضع خمارها عند العم والخال، فأما الزوج، فإنما ذلك كله من أجله، فتتصنع له بما لا يكون بحضرة غيره.

وقوله: **أَوْ نَسَائِهِنَّ** يعني: تظهر بزینتها أيضاً للنساء المسلمات، دون نساء أهل الذمة؛ لئلا تصفهن لرجالهن. وذلك، وإن كان محذوراً في جميع النساء، إلا أنه في نساء أهل الذمة أشد؛ فإنهن لا يمتنعن من ذلك مانع، وأما المسلمة، فإنها تعلم أن ذلك حرام، فتتجزر عنه، وقد قال رسول الله لا تباشر المرأة المرأة تتعتها لزوجها كأنه ينظر إليها أخرجاه في الصحيحين عن ابن مسعود. وقال سعيد بن منصور في سننه: حدثنا إسماعيل بن عياش عن هشام بن الغاز عن عباد بن نسي عن أبيه عن الحارث بن قيس قال: كتب أمير المؤمنين عمر بن الخطاب إلى أبي عبيدة: أما بعد، فإنه بلغني أن نساء من نساء المسلمين يدخلن الحمامات مع نساء أهل الشرك؛ فإنه من قبلك، فلا يحل لامرأة تؤمن بالله واليوم الآخر أن ينظر إلى عورتها إلا أهل ملتها. وقال مجاهد في قوله: **أَوْ نَسَائِهِنَّ** قال: نساؤهن المسلمات، ليس المشركات من نساكن، وليس للمرأة المسلمة أن تتكشف بين يدي مشركة، وروى عبد الله في تفسيره عن الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس: **أَوْ نَسَائِهِنَّ** قال: هن المسلمات، لا تبدیهن لليهودية ولا نصرانية، وهو النحر والقرط والوشاح، وما لا يحل أن يراه إلا محرم.

وروى سعيد: حدثنا جرير عن ليث عن مجاهد قال: لاتضع المسلمة خمارها عند مشركة؛ لأن الله تعالى يقول: **أَوْ نَسَائِهِنَّ**، فليست من نساكن، وعن مكحول وعبادة بن نسي: أنها كرها أن تقبل النصرانية واليهودية والمجوسية المسلمة، فأما ما رواه ابن أبي حاتم: حدثنا علي بن الحسين، حدثنا أبو عمير، حدثنا ضمرة قال: قال ابن عطاء عن أبيه قال: لما قدم أصحاب رسول الله بيت المقدس، كان قوالب نساكن اليهوديات والنصرانيات، فهذا إن صح، فمحمول على حال الضرورة، أو أن ذلك من باب الامتهان، ثم إنه ليس فيه كشف عورة ولا بد، والله أعلم.

وقوله تعالى: **أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ** قال ابن جرير: يعني: من نساء المشركين، فيجوز لها أن تظهر زينتها لها، وإن كانت مشركة؛ لأنها أمتها، وإليه ذهب سعيد بن المسيب، وقال الأكثرون: بل يجوز أن تظهر على رقيقها من الرجال والنساء، واستدلوا بالحديث الذي رواه أبو داود: حدثنا محمد بن عيسى، حدثنا أبو جميع سالم بن دينار عن ثابت، عن أنس: أن النبي أتى فاطمة بعدد قد وهبه لها، قال: وعلى فاطمة ثوب، إذا فتنعت به رأسها، لم يبلغ رجليها، وإذا غطت به رجليها، لم يبلغ رأسها، فلما رأى النبي ما تلقى، قال: إنه ليس عليك بأس، إنما هو أبوك وعلامك. وقد ذكر الحافظ ابن عساكر في تاريخه في ترجمة حديق الخصي مولى معاوية: أن عبد الله بن مسعدة الفزاري كان أسود شديد الأدمة، وأنه قد كان النبي وهبه لابنته فاطمة، فربته ثم أعتقته، ثم قد كان بعد ذلك كله برز مع معاوية أيام صفين، وكان من أشد الناس على علي بن أبي طالب، وقال الإمام أحمد: حدثنا سفيان بن عيينة عن الزهري، عن نيهان، عن أم سلمة، ذكرت أن رسول الله قال: إذا كان لإحداكن مكاتب، وكان له ما يؤدي، فلتحتجب منه ورواه أبو داود عن مسدد، عن سفيان به. وقوله تعالى: **أَوِ التَّابِعِينَ غَيْرَ أُولَى الْإِرْبَةِ مِنَ الرِّجَالِ** يعني: كالأجراء والأتباع الذين ليسوا بكفء، وهم مع ذلك في عقولهم **وَلَهُ وَخُوثٌ**، ولا همة لهم إلى النساء، ولا يشتهونهن، قال ابن عباس: هو المغفل الذي لا شهوة له. وقال مجاهد: هو الأبله، وقال عكرمة: هو المخنث الذي لا يقوم ذكره، وكذلك قال غير واحد من السلف، وفي الصحيح من حديث الزهري عن عروة، عن عائشة: أن مخنثاً كان يدخل على أهل رسول الله وكانوا يعدونه من غير أولي الإربة، فدخل النبي وهو ينعت امرأة يقول: إنها إذا أقبلت أقبلت بأربع، وإذا أدبرت أدبرت بثمان، فقال رسول الله ألا أرى هذا يعلم ما ههنا لا يدخلن عليكم فأخرجه، فكان بالبيداء، يدخل كل يوم جمعة ليستطعم.

وروى الإمام أحمد: حدثنا أبو معاوية، حدثنا هشام بن عروة عن أبيه، عن زينب بنت أبي سلمة، عن أم سلمة: أنها قالت: دخل عليها رسول الله وعندها مخنث، وعندها أخوها عبد الله بن أبي أمية، والمخنث يقول: يا عبد الله بن أمية إن فتح الله عليكم الطائف غداً، فعليك بابنة غيلان، فإنها تقبل بأربع، وتدبر بثمان، قال: فسمعه رسول الله فقال لأم سلمة: لا يدخلن هذا عليك أخرجه في الصحيحين من حديث هشام بن عروة به. وقال الإمام أحمد: حدثنا عبد الرزاق، حدثنا معمر عن الزهري، عن عروة بن الزبير، عن عائشة قالت: كان رجل يدخل على أزواج النبي مخنث، وكانوا يعدونه من غير أولي الإربة، فدخل النبي وهو عند بعض نسائه، وهو ينعت امرأة، فقال إنها إذا أقبلت، أقبلت بأربع، وإذا أدبرت، أدبرت بثمان. فقال النبي ألا أرى هذا يعلم ما ههنا، لا يدخلن عليكم هذا فحجبه، ورواه مسلم وأبو داود والنسائي من طريق عبد الرزاق به عن أم سلمة.

وقوله تعالى: **أَوِ اللَّطْفُ الَّذِينَ لَمْ يُظْهَرُوا عَلَىٰ غَوْرَتِ النِّسَاءِ** يعني: لصغرهم لا يفهمون أحوال النساء وعوراتهن من كلامهن الرخيم وتعطفهن في المشية وحركاتهن وسكناتهن، فإذا كان الطفل صغيراً لا يفهم ذلك، فلا بأس بدخوله على النساء، فأمّا إن كان مراهقاً، أو قريباً منه، بحيث يعرف ذلك ويدريه، ويفرق بين الشوهاة والحسنة، فلا يمكن من الدخول على النساء، وقد ثبت في الصحيحين عن رسول الله أنه قال: إياكم والدخول على النساء قيل: يا رسول الله أفرأيت الحمى؟ قال: الحمى الموت. وقوله تعالى: **وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ** الآية، كانت المرأة في الجاهلية إذا كانت تمشي في الطريق، وفي رجلها خلخال صامت، لا يعلم صوته، ضربت برجلها الأرض، فيعلم الرجال طنينه، فنهى الله المؤمنات عن مثل ذلك، وكذلك إذا كان شيء من زينتها مستوراً، فتحركت بحركة لتظهر ما هو خفي، دخل في هذا النهي؛ لقوله تعالى: **وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ** إلى آخره، ومن ذلك أيضاً أنها تنهى عن التعطر والتطيب عند خروجها من بيتها؛ ليشتم الرجال طيبها، فقد قال أبو عيسى الترمذي: حدثنا محمد بن بشار، حدثنا يحيى بن سعيد القطان عن ثابت بن عمار الحنفي، عن غنيم بن قيس، عن أبي موسى، عن النبي أنه قال: كل عين زانية، والمرأة إذا استعطرت فمرت بالمجلس، فهي كذا وكذا يعني: زانية، قال: وفي الباب عن أبي هريرة: وهذا حسن صحيح، رواه أبو داود والنسائي من حديث ثابت بن عمار به.

وقال أبو داود: حدثنا محمد بن كثير، أخبرنا سفيان عن عاصم بن عبيد الله، عن عبيد مولى أبي رهم، عن أبي هريرة قال: لقيته امرأة وجد منها ريح الطيب، ولذيلها إصغار، فقال: يا أمة الجبار جئت من المسجد؟ قالت: نعم. قال لها: وله تطيب؟ قالت: نعم، قال: إني سمعت حبي أبا القاسم يقول: لا يقبل الله صلاة امرأة تطيب لهذا المسجد حتى ترجع فتغسل غسلها من الجنابة ورواه ابن ماجه عن أبي بكر بن أبي شيبة، عن سفيان، هو ابن عيينة به. وروى الترمذي أيضاً من حديث موسى بن عبيدة عن أيوب بن خالد، عن ميمونة

بنت سعد: أن رسول الله قال: الرافلة في الزينة في غير أهلها، كمثل ظلمة يوم القيامة لا نور لها، ومن ذلك أيضاً: أنهم ينهين عن المشي في وسط الطريق؛ لما فيه من التبرج.

قال أبو داود: حدثنا القعنبي، حدثنا عبد العزيز، يعني: ابن محمد، عن ابن أبي اليمان عن شداد بن أبي عمرو بن حماس، عن أبيه، عن حمزة بن أبي أسيد الأنصاري عن أبيه: أنه سمع رسول الله يقول وهو خارج من المسجد، وقد اختلط الرجال مع النساء في الطريق، فقال رسول الله للنساء: استأخرن؛ فإنه ليس لكن أن تَحْفُقْنَ الطريق، عليكن بحافات الطريق فكانت المرأة تلصق بالجدار، حتى إن ثوبها ليتعلق بالجدار من لصوقها به. وقوله تعالى: وَتَوْبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعاً أَيُّهُ الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ أي: افعلوا ما أمركم به من هذه الصفات الجميلة، والأخلاق الجليلة واركعوا ما كان عليه أهل الجاهلية من الأخلاق والصفات الرذيلة، فإن الفلاح كل الفلاح في فعل ما أمر الله به ورسوله، وترك ما نهى عنه، والله تعالى هو المستعان.

فقرات من التفسير

هـ-33\90: 253

وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ كَلِمَتَهُنَّ يَعْنِي أَزْوَاجَ النَّبِيِّ مَتَاعاً كَلَاماً لَا بَدَ لَكُمْ مِنْهُ فَاسْأَلُوهُنَّ فَكَلِمَتُهُنَّ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ مِنْ خَلْفِ السُّتْرِ ذَلِكَ الَّذِي ذَكَرْتَ أَطَهَرَ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبَهُنَّ مِنَ الرِّيبَةِ وَمَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُؤْذُوا رَسُولَ اللَّهِ بِالْدُخُولِ عَلَيْهِ بِغَيْرِ إِذْنِهِ وَالْحَدِيثُ مَعَ أَزْوَاجِهِ

هـ-33\90: 359

يَأْتِيهَا اللَّبِيُّ قُلٌّ لِأَزْوَاجِكَ لِنِسَانِكَ وَبَنَاتِكَ يَعْنِي بَنَاتِ النَّبِيِّ وَنِسَاءَ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ يَرْخِينَّ عَلَيْهِنَّ عَلَى نَحْوِ مَنْ وَجِبُوهُنَّ مِنْ جَلَابِيهِنَّ مِنْ جَلَابِيهِنَّ وَهِيَ الْمُقْتَنَةُ وَالرِّدَاءُ ذَلِكَ الَّذِي ذَكَرْتَ مِنْ أَمْرِ الْجَلَابِيبِ أَذْنَى أُخْرَى أَنْ يُعْرِقَنَّ بِالْحَرَائِرِ فَلَا يُؤْذِينَ فَلَا يُؤْذُونَهُنَّ الزَّانَةَ وَكَانَ اللَّهُ غَفُوراً بِمَا كَانَ مِنْهُنَّ رَحِيماً فِيمَا يَكُونُ مِنْهُنَّ.

هـ-102\24: 431

وَقُلْ يَا مُحَمَّدُ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَعْضُضْنَ يَكْفِفْنَ مَنْ أَبْصَارُهُنَّ عَنِ الْحَرَامِ وَرُؤْيَا الرِّجَالِ وَمِنْ صَلَاةٍ فِي الْكَلَامِ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ عَنِ الْحَرَامِ وَلَا يُدْنِينَ وَلَا يَظْهَرْنَ زِينَتَهُنَّ الدَّمْلُجَ وَالْوَشَاحَ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا مِنْ ثِيَابِهَا وَلَيَضْرِبْنَ بِخُرْمِهِنَّ يَرْخِينَّ قَنَاعَهُنَّ عَلَى جُيُوبَهُنَّ عَلَى صُدُورِهِنَّ وَنَحْوِ مَنْ وَلَيَشْدَنَّ ذَلِكَ ثُمَّ ذَكَرَ الزَّيْنَةَ أَيْضاً فَقَالَ وَلَا يُدْنِينَ زِينَتَهُنَّ الدَّمْلُجَ وَالْوَشَاحَ وَغَيْرَ ذَلِكَ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَزْوَاجَهُنَّ أَوْ أَبْنَاتِهِنَّ فِي النَّسَبِ أَوْ اللَّبَنِ أَوْ آبَاءَ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ آبَاءَ أَزْوَاجِهِنَّ أَوْ أَبْنَاءَ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ أَبْنَاءَ أَزْوَاجِهِنَّ أَوْ إِخْوَانَهُنَّ فِي النَّسَبِ أَوْ اللَّبَنِ أَوْ بَنِي إِخْوَانِهِنَّ فِي النَّسَبِ أَوْ اللَّبَنِ أَوْ نِسَائَهُنَّ نِسَاءَ أَهْلِ دِينِهِنَّ الْمُسْلِمَاتِ لِأَنَّهُ لَا يَحِلُّ لَهَا أَنْ تَرَاهَا مُتَجَرِّدَةً يَهُودِيَّةً أَوْ نَصْرَانِيَّةً أَوْ مَجُوسِيَّةً أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ مِنَ الْإِمَاءِ دُونَ الْعَبِيدِ أَوْ التَّابِعِينَ لِأَزْوَاجِهِنَّ غَيْرِ أُولِي الْأَرْبَةِ الشَّهْوَةِ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ يَعْنِي الْخَصِي وَالشَّيْخَ الْكَبِيرَ الْفَانِي أَوْ الْطِفْلَ يَعْنِي الصَّغِيرَ الَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا عَلَى عَوْرَاتِ النِّسَاءِ لَمْ يَطِيقُوا الْمُجَامَعَةَ مَعَ النِّسَاءِ وَلَا النِّسَاءُ مَعَهُمْ مِنَ الصَّغَرِ وَلَا يَعْلَمُونَ مِنْ أَمْرِ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ شَيْئاً فَلَا بَأْسَ بِأَنْ يَرَى زِينَتَهُنَّ هُوَ لَا بِغَيْرِ رِيَّةٍ وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ إِحْدَاهُمَا بِالْأُخْرَى لِتَقَرَّعِ الْخُلُخَالِ بِالْخُلُخَالِ لِيُعْلَمَ لِكُلِّ يَعْزَمُ وَيُظْهَرُ مَا يُخْفَيْنَ مِنْ زِينَتِهِنَّ مَا يَوَارِيهِنَّ مِنْ زِينَتِهِنَّ يَعْنِي الْخُلُخَالِ عِنْدَ الْغَرِيبِ وَتَوَبُّوْا إِلَى اللَّهِ جَمِيعاً مِنْ جَمِيعِ الذُّنُوبِ الصَّغَائِرِ وَالْكِبَائِرِ آيَةُ الْمُؤْمِنِينَ لَعَلَّكُمْ تَقْلَحُونَ لِكِي تَنْجُوا مِنَ السُّخْطِ وَالْعَذَابِ

¹ <https://goo.gl/1qOxYc>

² <http://goo.gl/rx7UNi>

³ <http://goo.gl/Ax3ymb>

⁴ <http://goo.gl/j5Cm4x>

فقرات من التفسير

هـ\90\33: 253

والضمير في سألتموهن لنساء النبي بقرينة الحال. قال الراوي: إن عمر كان يحب ضرب الحجاب عليهن محبة شديدة وكان يقول: يا رسول الله يدخل عليك البر والفاجر فلو أمرت أمهات المؤمنين بالحجاب فنزلت. والمتاع الماعون وما يحتاج إليه. وثاني مفعولي فاسألوهن محذوف وهو المتاع المدلول عليه بما قبله. ذلكم الذي ذكر من السؤال من وراء الحجاب أظهر لأجل قلوبكم لأن العين روزنة القلب ومنها تنشأ الفتنة غالباً. وروي أن بعضهم قال: نهينا أن نكلم بنات عمنا إلا من وراء حجاب لئن مات محمد لآتزوجن فلانة عني عائشة، فأعلم الله أن ذلك محرم بقوله وما كان إي وما صح لكم أن تؤذوا رسول الله بوجه من الوجوه ولا أن تتكحوا أزواجه من بعده أبداً إن ذلكم الإيذاء والنكاح كان عند الله ذنباً عظيماً لأن حرمة الرسول ميتاً كحرمته حياً.

هـ\90\33: 359

ثم أراد أن يدفع عن أهل بيت نبيه وعن أمته المثالب التي هي مظان لصوق العار فقال يا أيها النبي الآية. ومعنى يدين عليهن يرخين عليهن. يقال للمرأة إذا زل الثوب عن وجهها أدنى ثوبك على وجهك. ومعنى التبعض في من جلابيبهن أن يكون للمرأة جلابيب فتقتصر على واحد منها، أو أريد طرف من الجلابيب الذي لها. وكانت النساء في أول الإسلام على عاداتهن في الجاهلية متبذلات يبرزن في درع وخمار من غير فصل بين الحرة والأمة، فأمرن بلبس الأردية والملحف وستر الرأس والوجوه ذلك الإنداء أدنى وأقرب إلى أن يعرفن أنهن حرائر أو أنهن لسن بزانيات فان التي سترت وجهها أولى بأن تستر عورتها فلا يؤذين لا هن ولا رجالهن أقاربهن لأن أكثر الإيذاء والطعن إنما يتفق من جهة نساء العشيرة إذا كن مرنيات فضلاً عن كونهن مزينات وكان الله غفوراً لما قد سلف رحيماً حين ارشدكم إلى هذا الأدب الجميل.

هـ\102\24: 431

قل لعبادي الذين آمنوا يقيموا الآية: 31 قال الفقهاء: العورات على أربعة أقسام: عورة الرجل مع الرجل، وعورة المرأة مع المرأة، وعورة المرأة مع الرجل، وبالعكس. أما الرجل مع الرجل فيجوز أن ينظر إلى جميع بدنه إلا إلى عورته، وعورته ما بين السرة والركبة، والسرة والركبة ليستا بعورة. وعند أبي حنيفة: الركبة عورة. قال مالك: الفخذ ليست بعورة وهو خلاف ما روي أنه قال لعلي: لا تبرز فخذك ولا تنظر إلى فخذ حي وميت. فإن كان في نظره إلى وجه الرجل أو سائر بدنه شهوة أو خوف فتنة بأن كان أمرد لا يحل النظر إليه. ولا يجوز للرجل مضاجعة الرجل وإن كان واحد منهما في جانب الفراش لرواية أبي سعيد الخدري أنه قال: لا يفضي الرجل إلى الرجل في ثوب واحد، ولا تفضي المرأة إلى المرأة في الثوب الواحد ويكره المعانقة وتقبيال الوجه. إلا لولده شفقة. وتستحب المصافحة والمرأة مع المرأة كالرجل مع الرجل فلها النظر إلى جميع بدنها إلا ما بين السرة والركبة، ولا يجوز عند خوف الفتنة، ولا تجوز المضاجعة أيضاً لما مر في الحديث. والصح أن الذمية لا يجوز لها النظر إلى بدن المسلمة لأنها أجنبية في الدين والله تعالى يقول أو نساكنهن أما عورة المرأة مع الرجل فإن كانت أجنبية حرة فجميع بدنها عورة لا يجوز له أن ينظر إلى شيء منها إلا الوجه والكفين لأنها تحتاج إلى إبراز الوجه للبيع والشراء وإلى إخراج الكف للأخذ والإعطاء. ويعني بالكف ظهرها وبطنها إلى الكوعين. وقيل: ظهر الكف عورة. وفي هذا المقام تفصيل: قال العلماء: لا يجوز أن يعمد النظر إلى وجه الأجنبية بغير غرض فإن وقع بصره عليها بغتة غض بصره لقوله تعالى قل للمؤمنين يغضوا من ابصارهم ولقوله يا علي لا تتبع النظرة النظرة فإن لك الأولى وليست لك الأخيرة فإن كان هناك غرض ولا شهوة ولا فتنة فذاك والغرض أمور منها: أن يريد نكاح امرأة فينظر إلى وجهها وكفها.

¹ <https://goo.gl/R7Cp0k>

² <http://goo.gl/u1Snfe>

³ <http://goo.gl/rGdDrv>

⁴ <http://goo.gl/6E3X0D>

روى أبو هريرة أن رجلاً أراد أن يتزوج امرأة من الأنصار فقال له رسول الله: انظر إليها فإن في أعين الأنصار شيئاً. ومنها إذا أراد شراء جارية فله أن ينظر إلى ما ليس بعورة منها. ومنها أنه عند المباينة ينظر إلى وجهها متأملاً حتى يعرفها عند الحاجة. ومنها أنه ينظر إليها عند تحمل الشهادة ولا ينظر إلى الوجه لأن المعرفة تحصل به. ومنها يجوز للطبيب الأمين أن ينظر إلى بدن الأجنبية للمعالجة كما يجوز للخاتن أن ينظر إلى فرج المختون لأنه محل ضرورة. وكما يجوز أن ينظر إلى فرج الزانين لتحمل الشهادة، وإلى فرجها لتحمل شهادة الولادة إذا لم تكن نسوة، وإلى ثدي المرضعة لتحمل الشهادة على الرضاع. فإن كان هناك شهوة وقتنة فالنظر محظور قال العينان تزنيان وقيل: مكتوب في التوراة: النظر يزرع الشهوة في القلب ورب شهوة أورثت حزناً طويلاً. ويستثنى منه ما لو وقعت في حرق أو غرق فله أن ينظر إلى بدنها ليخلصها. وإن كانت الأجنبية أمة فالأصح أن عورتها ما بين السرة والركبة لما روي أنه قال في الرجل يشتري الأمة لا بأس أن ينظر إليها إلا إلى العورة وعورتها ما بين معقد إزارها إلى ركبتهما وقيل: إلا ما تبدي المهنة فيخرج منه أن رأسها وعنقها وساعديها وساقها ونحرها وصدرها ليس بعورة، وفي ظهرها وبطنها وما فوق ساعديها الخلاف. وحكم المكاتب والمديرة والمستولدة ومن بعضها رفيق حكم الأمة ولا يجوز لمسها ولا لها مسه لأن للمس أقوى من النظر بدليل أن الإنزال باللمس يفطر الصائم والنظر لا يفطر. وقال أبو حنيفة: يجوز أن يمسه من الأمة ما يحل النظر إليه، وأما إن كانت المرأة ذات محرم بنسب أو رضاع أو صهرية فعورتها ما بين السرة والركبة كعورة الرجل. وعند أبي حنيفة: عورتها ما لا يبدو عند المهنة، فإن كانت مستتعة كالزوجة والأمة التي يحل له الاستمتاع بها جاز له أن ينظر إلى جميع بدنها غير أنه يكره أن ينظر إلى الفرج، وكذا إلى فرج نفسه لما روي أن يورث الطمس. وقيل: لا يجوز النظر إلى فرجها، فإن كانت الأمة مجوسية أو مرتدة أو وثنية أو مشتركة بينه وبين غيره أو مزوجة أو مكاتبه فهي كالأجنبية.

روى عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده أن النبي قال إذا زوج أحدكم جاريته عبده أو أجيره فلا ينظر إلى ما دون السرة وفوق الركبة وأما عورة الرجل مع المرأة فإن كان أجنبياً منها فعورته معها ما بين السرة والركبة. وقيل: جميع بدنه إلا الوجه والكفين كهي معه. والأصح هو الأول لأن بدن المرأة في نفسه عورة بدليل أنه لا يصح صلاتها مكتوفة البدن، وبدن الرجل بخلافه. ولا يجوز لها قصد النظر عند خوف الفتنة ولا تكرير النظر إلى وجهه لما روي عن أم سلمة أنها كانت عند رسول الله وميمونه إذ أقبل ابن أم مكتوم فدخل فقال: احتجبا منه. فقالت: يا رسول الله أليس هو أعمى لا يبصرنا؟ فقال: أعميان أنتما ألستما تبصرانه؟ وإن كان محرماً لها فعورته معها ما بين السرة والركبة، وإن كان زوجها أو سيدها الذي يحل له وطؤها فلها أن تنظر إلى جميع بدنه غير أنه يكره النظر إلى الفرج كهي معها. ولا يجوز للرجل أن يجلس عارياً في بيت خال وله ما يستر عورته لأنه سئل عن ذلك فقال: الله أحق أن يستحي منه. وعنه إياكم والتعري فإن معكم من لا يفارحكم إلا عند الغائط وحين يفضي الرجل إلى أهله ولما كان النظر بريد الزنا ورائد الفجور أمر بغض الأبصار أولاً ثم بحفظ الفروج عن الزنا والفجور ثانياً. وعن أبي العالية أن كل ما في القرآن من حفظ الفرج فهو عن الزنا إلا هذا فإنه أراد الاستثناء وأن لا ينظر إلى الفروج أحد، وعلى هذا فائدة التخصيص بعد التعميم أن أمر الفرج أضيّق. وحين خص الخطاب في أول الآية بالمؤمنين ذكر أن ذلك الذي أمر به من غض البصر وحفظ الفرج أركى لهم لأنهم يتطهرون بذلك من دنس الآثام، ويستحقون الثناء والمدح، وهذا لا يليق بالكافر. وفي قوله إن الله خبير بما يصنعون ولا ثاني له في القرآن إشارة إلى وجوب الحذر في كل حركة وسكون. وتفسير قوله وقل للمؤمنات يغضضن من أبصارهن ويحفظن فروجهن يعلم من التفصيل المتقدم. أما قوله ولا يبدین زینتهن فمن الأحكام التي تختص بالنساء في الأغلب. وقد يحرم على الرجل إبداء زينته للنساء الأجنبية إذا كان هناك فتنة. قال أكثر المفسرين: الزينة ههنا أريد بها أمور ثلاثة: أحدها الأصباغ كالكل والخصاب بالوسمة في حاجبيها والحرمة في خديها والحناء في كفيها وقدميها. وثانيها الحلّي كالخاتم والسوار والخلخال والدمليج والقلاند والإكليل والوشاح والقرط. وثالثها الثياب. وقال: آخرون: الزينة اسم يقع على محاسن الخلق التي خلقها الله تعالى وعلى ما يتزين به الإنسان من فضل لباس أو حلي وغير ذلك.

يدل على ذلك أن كثيراً من النساء يتفردن بخلقهن عن سائر ما يعدّ زينة. وفي قوله وليضربن بخمرهن على جيوبهن إشارة إلى ذلك وكأنه تعالى منعهن من إظهار محاسن خلقهن فأوجب سترها بالخمار. قال الفقهاء: بناء على هذا القول معنى قوله إلا ما ظهر منها إلا ما يظهره الإنسان على العادة الجارية وذلك في النساء الحرائر الوجه والكفان، وفي الإماء كل ما يبدو عند المهنة. وفي صوتها خلاف، الأصح أنه ليس بعورة لأن

نساء النبي يروين الأخبار للرجال. وأما الذين حملوا الزينة على ما عدا الخلقة فذهبوا إلى أنه تعالى إنما حرم النظر إليها حال اتصالها ببدن المرأة لأجل المبالغة في حرمة النظر إلى أعضاء المرأة إلا ما ظهر من هذه الزينة كالثياب مطلقاً إذا لم تصف البدن لرققتها، وكالحمرة والوسمة في الوجه، وكالخضاب والخواتيم في اليدين، وما سوى ذلك يحرم النظر إليه. ولهذا قال وليضربن بخمرهن على جيوبهن والخمر جمع الخمار وهي كالمقنعة. قال المفسرون: إن نساء الجاهلية كن يسدلن خمرهن من خلفهن وكانت جيوبهن من قدام وساعة فكان ينكشف نحورهن وقلاندهن، فأمر أن يضربن مقانعهن على الجيوب لتستتر بذلك أعناقهن ونحورهن وما حوالها من شعر وزينة. وفي لفظ الضرب مبالغة في الإلقاء شبيه الإلصاق. وعن عائشة: ما رأيت نساء خيراً من نساء الأنصار، لما نزلت هذه الآية قامت كل واحدة منهن إلى مرطها فصعدت منه صدعة فاخترن فأصبحن كأن على رؤوسهن الغربان.

ثم بين أن الزينة الخفية يحل إبدائها لا تنتهي عشرة فرقة: الأولى بعولتهن أي أزواجهن والتاء لتأكيد الجمع كصقورة. الثانية: أبائهن وإن علوا من جهة الأب والأم. الثالثة: آباء بعولتهن وإن علوا. الرابعة: أبناءهن وإن سفلوا الخامسة: أبناء بعولتهن وإن سفلوا أيضاً. السادسة: إخوانهن سواء كانوا من الأب أو من الأم أو منهما. السابعة: بنو إخوانهن. الثامنة: بنو أخواتهن وحكم أولاد الأولاد حكم أولاد فيهما. وهؤلاء كلهم محارم وترك من المحارم العم والخال، فعن الحسن البصري أنهم كسائر المحارم في جواز النظر. وقد يذكر البعض لبنه على الجملة ولهذا لم يذكر المحارم من الرضاع في هذه الآية، وكذا في سورة الأحزاب قال

لا جناح عليهن في آبائهن الأحزاب: 55 إلى آخر الآية. ولم يذكر البعولة ولا أبناءهم. وقال الشعبي: إنما لم يذكرهما الله تعالى لئلا يصفها العم عند ابنه والخال عند ابنه، وذلك أن العم والخال يفارقان سائر المحارم في أوان أبناءهما ليسوا من المحارم، فإذا رآها الأب فربما وصفها لابنه وليس بمحرم ومعرفة الوصف قريب من النظر، وهذا أيضاً من الدلالات البليغة على وجوب الاحتياط في التستر. وإنما أبيح إبداء الزينة الخفية لهؤلاء المذكورين لاحتياجهم إلى مداخلتهم ومخالطتهم ولا سيما في السفر للنزول والركوب.

وأيضاً لقلعة وقوع الفتنة من جهاتهم لما في الطباع من النفرة عن مماسة القرائب الأقارب. التاسعة: قوله أو نسائهن فذهب أكثر السلف على أن المراد أهل أديانهم ومن هنا قال ابن عباس: ليس للمسلمة أن تتجرد بين نساء أهل الذمة ولا تبدي للكافرة إلا ما تبدي للأجنبي إلا أن تكون أمة لها. وكتب عمر إلى أبي عبيدة أن يمنع نساء أهل الكتاب من دخول الحمام مع المؤمنات. وقال آخرون: والعمل عليه إن المراد جميع النساء وقول السلف محمول على الأولى والأحب. العاشرة: قوله أو ما ملكت إيمانتهن وظاهر الآية يشمل العبيد والإماء ويؤيده ما روى أنس أنه أتى فاطمة بعبد قد وهبه لها وعليها ثوب إذا قنعت به رأسها لم يبلغ رجلها وإذا غطت به رجلها لم يبلغ رأسها، فلما رأى رسول الله ما تلقى قال: إنه ليس عليك بأس إنما هو أبوك وغلأمك، وعن عائشة أنها قالت لذكوان: إنك إذا وضعتني في القبر وخرجت فانت حر. وعنها أنها كانت تمشط والعبد ينظر إليها. وقال ابن مسعود ومجاهد والحسن وابن سيرين وسعيد بن المسيب: إن العبد ينظر إلى شعر مولاته وهو قول أبي حنيفة إذ ليس ملكها للعبد كملكه للأمة فلا خلاف أنها لا تستبيح بملك العبد شيء من التمتع منه كما يملك الرجل من الأمة. وتحريم تزوج العبد لمولاته عارض غير مؤيد كمن عنده أربع نسوة لا يجوز له التزوج بغيرهن، فلما لم تكن هذه الحرمة مؤيدة كان العبد بمنزلة سائر الأجانب خصياً كان العبد أو فحلاً. وأورد على هذا القول لزوم التكرار ضرورة أن الإماء من حملة نسائهن. وأجيب بأنه أراد بالنساء الحرائر كما أراد بالرجال الأحرار في قوله

شهيدين من رجالكم البقرة: 282 الحادية عشرة قوله أو التابعين غير أولي الإربة وهي الحاجة وهم البله. وأهل العنة الذين لا يعرفون شيئاً من أمور النساء إنما يتبعون الناس ليصيبوا من فضل طعامهم أو شيوخ صلحاء لا حاجة بهم إلى النساء لعفة أو عنانة. عن زينب بنت أم سلمة أن النبي دخل عليها وعندها مخنث فاقبل على أخي أم سلمة وقال: يا عبد الله إن فتح الله لك الطائف أدلك على بنت غيلان فإنها تقبل بأربع وتدبر بثمان عني عكن بطنها. فقال: لا يدخلن عليكم هذا. فأباح النبي دخول المخنث عليهن حين ظن أنه من غير أولي الإربة، فلما علم أنه يعرف أحوال النساء وأوصافهن علم أنه من أولي الإربة فحجبه.

الثانية عشر قوله أو الطفل وهو جنس يقع على الواحد والجمع وهو المراد ههنا. قال ابن قتيبة معنى لم يظهرها لم يطلعوا على عورات النساء والعورة سواة الإنسان وكل ما يستحي منه. وقال الفراء والزجاج: هو من قولهم ظهر على كذا إذا قوي عليه أي لم يبلغوا أوان القدرة على الوطء. فعلى الأول يجب الاحتجاب ممن ظهر فيه داعية الحكاية، وعلى الثاني إنما يجب الاحتجاب من المراهق الذي ظهرت فيه مبادي الشهوة، قال الحسن: هؤلاء الفرق وإن اختلفوا في جواز رؤية الزينة الظاهرة فهم على

أقسام ثلاثة: فأولهم الزوج وله حرمة ليست لغيره يحل له كل شيء منها، والثاني الأب والابن والأخ والجد وأبو الزوج وكل محرم من الرضاع أو النسب كل يحل لهم أن ينظروا إلى الشعر والصدر والساقين والذراع وأشبه ذلك. والثالث التابعون غير أولي الإربة، وكذا المملوك لا بأس أن تقوم المرأة الشابة بين يدي هؤلاء في درع وخمار صفيق بغير ملحفة، ولا يحل لهؤلاء أن يروا منها شعراً ولا بشراً ولا يصح للشابة أن تقوم بين يدي الغريب حتى تلبس الجلباب. فهذا ضبط هذه المراتب ثم علمهن أدباً آخر جميلاً بقوله ولا يضرين بأرجلهن قال ابن عباس: كانت المرأة تضرب الأرض برجلها ليتقنع خلخالها فيعلم أنها ذات خلخال. وقيل: كانت تضرب بإحدى رجليها الأخرى ليعلم أنها ذات خلخالين. وفي النهي عن إظهار صوت الحلي بعد نهيهن عن إظهار الحلي مبالغة فوق مبالغة ليعلم أن كل ما يجر إلى الفتنة يجب الاحتراز عنه، فإن الرجل الذي تغلب عليه الشهوة إذا سمع صوت الخلخال يصير ذلك داعياً له إلى مشاهدتهن، ومنه يعلم وجوب إخفاء صوتهن إذا لم يؤمن الفتنة ولهذا كرهوا أذان النساء، ثم ختم الآية بالأمر بالدوام على التوبة والاستغفار لأن الإنسان خلق ضعيفاً لا يكاد يقدر على رعاية الأوامر والنواهي كما يجب. قال العلماء: إن من أذنب ذنباً ثم تاب عنه لزمه كلما ذكر أن يجدد عنه التوبة لأنه يلزمه أن يستمر على ندمه وعزمه إلى أن يلقي ربه عز وجل. وعن ابن عباس: اراد توبوا مما كنتم تفعلونه في الجاهلية لعلكم تسعدون في الدنيا والآخرة. قال جابر الله: من قرأ آية المؤمنين بضم الهاء فوجّهه أنها كانت مفتوحة لوقوعها قبل الألف، فلما سقطت الألف لالتقاء الساكنين أتبعته حركتها حركة ما قبلها.

فقرات من التفسير

هـ33\90: 253

وإذا سألتموهن متاعاً الآية، روت عائشة أن عمر قال للنبي صلى الله عليه وآله وسلم: احجب نساءك فنزلت الآية، وقيل: إن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كان يطعم الطعام ومعه بعض أصحابه فأصابته يد رجل منهم يد عائشة فكره النبي ذلك فنزلت، متاعاً أي شيئاً ينتفع به فاسألوهن من وراء حجاب من خلف ستر ذلكم أظهر لقلوبكم وقلوبهن من التهمى والريبة ووسوسة الشيطان

هـ33\90: 359

يا أيها النبي قل لأزواجك وكان لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم تسع نسوة وبناتك وكان له أربع بنات: فاطمة وزينب ورقية وأم كلثوم، جاء من السيرة جميع أولاده صلى الله عليه وآله وسلم من خديجة إلا إبراهيم فإنه من مارية ونساء المؤمنين يدين عليهن من جلابيبهن يرخينها عليهن ويغطين وجوههن، الجلاباب ثوب واسع أوسع من الخمار دون الرداء تلويه المرأة على رأسها وتيق منه ما ترسله على صدرها، وعن ابن عباس، الرداء ما يستر من فوق إلى أسفل، وقيل: الملحفة، وقيل: كل ما يُستر به من رداء وغيره ذلك أدنى أقرب أن يُعرفن فلا يؤذين قيل: يعرفن بالحرية دون الإماء، وقيل: يعرفن بالستر والصلاح، وقيل: يعرفن بأنهن من المؤمنات دون نساء الكفار والمنافقات وكان الله غفوراً رحيماً من أطاعه.

هـ102\24: 431

وقل للمؤمنات يغضضن من أبصارهن فلا ينظرن إلى ما لا يجوز النظر إليه من العورات ويحفظن فروجهن من الحرام ولا يبدین زینتهن أي لا يظهرن مواضع الزينة الخلخال والسوار والدمالج والقرط والقلاند ونحوها إلا ما ظهر منها اختلف العلماء في الاستثناء قيل: الثياب، وقيل: الخاتم، وقيل: الكحل أو خضاب، وقيل: الوجه وليضربن بخمرهن جمع خمار وهي المقامع سمي بذلك لأنه يستر الرأس، أي بقناعهن على جبهتهن وأراد أن تغطي شعرها وصدرها وعنقها ولا يبدین زینتهن الخفية التي لم يبيح كشفها وهي ما عدا الكفين وظهور القدمين إلا لبعولتهن أو آبائهن أو أبناء بعولتهن فيجوز لكل هؤلاء النظر إلى مواضع الزينة أو نساوتهن قيل: نساء المؤمنين، وقيل: لا يحل لامرأة مسلمة أن تجرد بين يدي مشركة إلا أن تكون أمة لها أو ما ملكت إيمانهن قيل: الجوار المشركات ولا يجوز للعبد أن ينظر إلى مولاته إلا ما يجوز للأجانب وهو قول أبي حنيفة والهادي عليه السلام، وقال الشافعي في أحد قوله: يجوز، وقيل: ما ملكت إيمانهن ما لم يبلغ مبلغ الرجال، وقيل: أراد العبيد والإماء لأن اللفظ يشملهن عن الحسن أو التابعين غير أولي الإربة من الرجال قيل: الذي يتبعك ليصيب من طعامك ولا حاجة له إلى النساء عن ابن عباس، وقيل: الم محبوب، وقيل: الإبله العنين أو الطفل الذين لم يظهرها على عورات النساء بجماعهن، وقيل: هو الذي لا يقدر على الجماع، فأما من قدر كالمرهق فحكمه حكم الرجال ولا يضربن بأرجلهن ليعلم ما يخفين من زينتتهن من الحلي وربما سمع صوت الزينة فيقطع فيه الرجال، وعن الحسن: كان نساء الجاهلية يجعل في أرجلهن الخلخال فإذا مرت بالمجلس حركته فنزلت الآية وتوبوا إلى الله جميعاً أيها المؤمنون يعني ارجعوا إلى طاعته لعلكم تفلحون تفوزون بالجنة.

¹ <http://goo.gl/v8aMnE>

² <http://goo.gl/Un27q4>

³ <http://goo.gl/n4KYJD>

⁴ <http://goo.gl/5VVB4y>

فقرات من التفسير

هــ33\90: 253

وقوله تعالى: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ إِلَّا أَنْ يُؤْذَنَ لَكُمْ إِلَى طَعَامٍ غَيْرَ نَظِيرٍ إِنَّهُ هَذِهِ الْآيَةُ تُضْمَنُ قَصَصَيْنِ: إحداهما: الأدب في أمر الطعام والجلوس، والثانية: أمر الحجاب. قال الجمهور: سببها أن النبي لما تزوج زينب بنت جحش، أو لم عليها؛ ودعا الناس، فلما طعموا، قعد نفر في طائفة من البيت يتحدثون، فقل على النبي مكانهم، فخرج ليخرجوا بخروجهم، وممر على حجر نسانه، ثم عاد فوجدهم في مكانهم، وزينب في البيت معهم، فلما دخل ورأهم، انصرفت، فخرجوا عند ذلك، قال أنس بن مالك: فأعلم أو أعلمته بأنصرافهم، فجاء، فلما وصل الحجرة، ألقى الستر بيني وبينه؛ ودخل، ونزلت آية الحجاب بسبب ذلك.

قال إسماعيل بن أبي حكيم: هذا أدب الله به الثقلاء، وقالت عائشة وجماعة: سبب الحجاب: كلام عمر للنبي مراراً في أن يحجب نساءه، ونظيرين معناه: منتظرين، وإنه: مصدر أنى الشيء يأتي أني، إذا فرغ وحان، ولفظ البخاري يقال: إناه: إدراكه أنى يأتي إناه، انتهى.

هــ33\90: 359

وقوله سبحانه: يُذْنِبْنَ عَلَيْهِنَ مِنْ جَلْبَابٍ الْجَلْبَابُ: ثوب أكبر من الخمار، وروي عن ابن عباس وابن مسعود: أنه الخمار، واختلفت في صورة إسناده: فقال ابن عباس وغيره: ذلك أن تلويه المرأة حتى لا يظهر منها إلا عين واحدة تبصر بها، وقال ابن عباس أيضاً وقائدة: ذلك أن تلويه الجبين وتشده، ثم تغطفه على الأنف، وإن ظهرت عيناها؛ لكنه يستر الصدر ومعظم الوجه.

وقوله: ذَلِكَ أَدْنَى أَنْ يُعْرَفْنَ: حتى لا يختلطن بالإماء، فإذا عرفن لم يقابلن بأذى. من المعارضة؛ مراقبة لرتبة الحران، وليس المعنى أن تعرف المرأة حتى يعلم من هي؛ وكان عمر إذا رأى أمة قد تقنعت فتعها بالدرة محافظة على زي الحران.

هــ102\24: 431

وقوله تعالى: وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَرِهِنَّ... الآية: أمر الله تعالى النساء في هذه الآية بغض البصر عن كل ما يكره - من جهة الشرع - النظر إليه، وفي حديث أم سلمة قالت: كنت أنا وعائشة عند النبي فدخل ابن أم مكتوم فقال النبي: احجبين، فقلن: إنه أعمى فقال: أفعميأوان أنثما ومن الكلام فيها كالتي قبلها. قال ابن العربي في أحكامه: وكما لا يحل للرجل أن ينظر إلى المرأة، لا يحل للمرأة أن تنظر إلى الرجل، فإن علاقتها بها كعلاقتها به، وقصده منها كقصدها منه، ثم استدلت بحديث أم سلمة المتقدم، انتهى. وحفظ الفرج يعم الفواحش، وستر العورة، وما دون ذلك مما فيه حفظ، ثم أمر تعالى بالأيديين زينتهن إلا ما يظهر من الزينة؛ قال ابن مسعود: ظاهر الزينة: هو الثياب.

وقال ابن جبير وغيره: الوجه والكفان والثياب.

وقيل: غير هذا.

قال: زينتها * ع *: ويظهر لي بحكم ألفاظ الآية أن المرأة مأمورة بالأبدن، وأن تجتهد في الإخفاء لكل ما هو زينة، ووقع الاستثناء في كل ما عليها، فظهر بحكم ضرورة حركة فيما لا بد منه أو إصلاح شأن، فما ظهر على هذا الوجه فهو المعفو عنه، وذكر أبو عمر: الخلاف في تفسير الآية كما تقدم؛ قال وروي عن أبي هريرة في قوله تعالى: وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا قال: القلب والفتحة.

قال جرير بن حازم: القلب: السوار، والفتحة: الخاتم، انتهى من التمهيد.

وقوله تعالى: وَأَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَى جُيُوبِهِنَّ.

¹ <https://goo.gl/zGE7o6>

² <http://goo.gl/5bYuB8>

³ <http://goo.gl/bxrfji>

⁴ <http://goo.gl/w9oH76>

قال ابن العربي: الحبيب هو الطَّوْقُ، والخمار: هو المَقْنَعَةُ، انتهى.

قال * ع *: سبب الآية أَنَّ النساءَ كُنَّ في ذلك الزمان إذا غَطَّيْنَ رؤوسهنَّ بالأخمرة سَدَلْنَهَا من وراء الظهر؛ فبقي النَحْرُ والعُنُقُ والأذنان لا سِتْرَ على ذلك، فأمر الله تعالى بَلْيَ الخمار على الجيوب، وهَيْئَةُ ذلك يستتر جميع ما ذكرناه، وقالت عائشة - ١ - رَحِمَ اللهُ المُهَاجِرَاتِ الأوَّلَ؛ لَمَّا نزلت هذه الآية عَمَدُنَ إلى أَكْتَفِ المروط فشققتها أخمرةً، وضربن بها على الجيوب.

وقوله سبحانه: أو نساھن یعنی جميع المؤمنات، ويخرج منه نساء المشركين، وكتب عمر إلى أبي عبيدة بن الجراح أن يمنع نساء أهل الذمَّة أن يدخلن الحَمَامَ مع نساء المسلمين فامتنل.

وقوله سبحانه: أو مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ يدخل فيه الإمامُ الكتابيَّ والعبيد.

وقال ابن عباس وجماعة: لا يدخل العبد على سيِّدته فيرى شعرها إلا أن يكون وغداً.

وقوله تعالى: أو التَّابِعِينَ يريد الأتباع لِيُطْعَمُوا، وهم فُسُولُ الرجال الذين لا إِرْبَةَ لهم في الوَطء، ويدخل في هذه الصنيفة: المَجْبُوبُ، والشيخ الفاني، وبعضُ المَعْتُوهِينَ، والذي لا إِرْبَةَ له من الرجال قليلٌ، والإِرْبَةُ: الحاجة إلى الوَطء، والطفل اسم جنس، ويقال: طفل ما لم يَراهِقِ الحُلُمَ، وَيُظْهَرُوا معناه: يَطْلَعُوا بالوطء.

وقوله تعالى: وَلَا يَضْرِبْنَ بَأَرْجُلِهِنَّ... الآية، قيل: سببها أَنَّ امرأةً مَرَّتْ على قوم فضربت برجلها الأرض فَصَوَّتَ الخَلْخالُ، وسماعُ صوت هذه الزينة أشدُّ تحريكاً للشهوة من إبدائها؛ ذكره الرَّجَاجُ، ثم أمر سبحانه بالتوبة مُطْلَقَةً عَامَّةً من كل شيء صغير وكبير.

فقرات من التفسير

هـ 33\90: 253

قوله تعالى: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ إِلَّا أَنْ يُدْعَىٰ لَكُمْ إِلَى الْمَنَاصِعِ وَأَنْتُمْ كَالْعُرُشَاتِ قُلْ لِلَّهِ الْوَسْطَانُ الْعَظِيمُ نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ فِي شَأْنِ وَلِيمَةِ زَيْنَبَ حِينَ بَنَىٰ بِهَا رَسُولُ اللَّهِ - - لَمَّا رَوَىٰ ابْنُ شَهَابٍ قَالَ: أَخْبَرَنِي أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ أَنَّهُ كَانَ ابْنُ عَشْرٍ سَنِينَ فَقَدِمَ رَسُولُ اللَّهِ - - الْمَدِينَةَ قَالَ: فَكَانَتْ أُمُّ هَانِئٍ تَوَاطَّبُنِي عَلَى خِدْمَةِ النَّبِيِّ - - فَخْدَمْتُهُ عَشْرَ سَنِينَ وَتُوفِي وَانَا ابْنُ عَشْرِينَ فَكَانَتْ أَعْلَمُ النَّاسِ بِشَأْنِ الْحَجَابِ حِينَ أَنْزَلَ وَكَانَ أَوَّلُ مَا أَنْزَلَ فِي مُبْتَنَى رَسُولِ اللَّهِ - - بِزَيْنَبَ بِنْتِ جَحْشٍ أَصْبَحَ النَّبِيُّ - - بِهَا عَرُوساً فَدَعَا الْقَوْمَ وَأَصَابُوا مِنَ الطَّعَامِ ثُمَّ خَرَجُوا وَبَقِيَ رَهْطٌ مِنْهُمْ عِنْدَ النَّبِيِّ - - فَأَطَالُوا الْمُكْثَ فَقَامَ النَّبِيُّ - - وَخَرَجَ وَخَرَجَتْ مَعَهُ لَكِي يَخْرُجُوا فَمَشَى النَّبِيُّ - - فَمَشَيْتُ حَتَّى جَاءَ عَتَبَةُ حُجْرَةَ عَائِشَةَ ثُمَّ ظَنَّ أَنَّهُمْ قَدْ خَرَجُوا فَرَجَعْتُ مَعَهُمْ حَتَّى إِذَا دَخَلَ عَلَى زَيْنَبَ فَإِذَا هُمْ جُلُوسٌ لَمْ يَخْرُجُوا فَرَجَعَ النَّبِيُّ - - وَرَجَعْتُ مَعَهُ حَتَّى إِذَا بَلَغَ عَتَبَةُ حَجْرَةَ عَائِشَةَ فَظَنَّ أَنَّهُمْ قَدْ خَرَجُوا فَرَجَعْتُ وَرَجَعْتُ مَعَهُ فَإِذَا هُمْ قَدْ خَرَجُوا فَضْرَبَ النَّبِيُّ - - بِيْنِي وَبَيْنَهُ بِالسِّتْرِ - فَأَنْزَلَ اللَّهُ الْحَجَابَ، وَقَالَ أَبُو عَثْمَانَ وَاسْمُهُ الْجَعْدُ عَنْ أَنَسٍ قَالَ فَدَخَلَ - يَعْنِي رَسُولُ اللَّهِ - - الْبَيْتَ وَأَرَخَى السِّتْرَ وَإِنِّي لَفِي الْحَجَرَةِ وَهُوَ يَقُولُ: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ إِلَّا أَنْ يُدْعَىٰ لَكُمْ إِلَى الْقَوْلِ: وَاللَّهُ لَا يَسْتَحْيِي مَنْ الْحَقِّ وَرَوَى عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ أَنَّهَا نَزَلَتْ فِي نَاسٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ كَانُوا يَتَحَيَّيْنَوْنَ طَعَامَ رَسُولِ اللَّهِ - - فَيَدْخُلُونَ عَلَيْهِ قَبْلَ الطَّعَامِ إِلَى أَنْ يَدْرِكَ ثُمَّ يَكُلُونَ وَلَا يَخْرُجُونَ وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ - - يَتَأَذَى بِهِمْ فَنَزَلَتْ الْآيَةُ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ. وَرَوَى ابْنُ شَهَابٍ عَنْ عُرْوَةَ عَنْ عَائِشَةَ أَنَّ أَزْوَاجَ النَّبِيِّ - - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - كُلٌّ يَخْرُجْنَ بِاللَّيْلِ إِذَا تَبَرَّزْنَ إِلَى الْمَنَاصِعِ وَهُوَ صَعِيدٌ أَفْبَحُ فَكَانَ عَمْرٌ يَقُولُ لِلنَّبِيِّ - - احْبَبْ نِسَاءَكَ فَلَمْ يَكُنْ رَسُولُ اللَّهِ يَفْعَلُ فَخَرَجَتْ سُودَةُ بِنْتُ زَمْعَةَ زَوْجَ النَّبِيِّ - - لَيْلَةً مِنَ اللَّيَالِي عِشَاءً وَكَانَتْ امْرَأَةً طَوِيلَةَ فَنَادَاهَا عَمْرٌ: قَدْ عَرَفْنَاكَ يَا سُودَةُ حَرَصاً عَلَى أَنْ تَنْزِلَ آيَةُ الْحَجَابِ فَانْزَلَ اللَّهُ الْحَجَابَ

وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعًا فَاسْأَلُوهُنَّ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ أَوْ مِنْ وَرَاءِ سِتْرٍ، فَبَعْدَ آيَةِ الْحَجَابِ لَمْ يَكُنْ لِأَحَدٍ أَنْ يَنْظُرَ إِلَى امْرَأَةٍ مِنْ نِسَاءِ رَسُولِ اللَّهِ - - مُتَنَقِبَةً كَانَتْ أَوْ غَيْرَ مُتَنَقِبَةً ذَلِكَمُ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ مِنَ الرِّيبِ لِأَنَّ الْعَيْنَ رُوزَنَةُ الْقَلْبِ فَإِذَا لَمْ تَرَ الْعَيْنَ لَا يَشْتَهِي الْقَلْبُ، فَأَمَّا وَإِنْ رَأَتْ الْعَيْنَ فَقَدْ يَشْتَهِي الْقَلْبُ وَقَدْ لَا يَشْتَهِي، فَالْقَلْبُ عِنْدَ عَدَمِ الرُّؤْيَةِ أَطْهَرُ وَعَدَمُ الْفِتْنَةِ حِينَئِذٍ أَظْهَرُ.

هـ 33\90: 359

نَهَى الْحَرَائِرَ أَنْ يَتَشَبِهْنَ بِالْإِمَاءِ فَقَالَ - عَزَّ وَجَلَّ - يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِلزَّوْجِ الْوَحِيدِ وَنِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِنْ جَلَابِيبِهِنَّ.

فَإِنْ قِيلَ: الْبَهْتَانُ هُوَ الزَّوْرُ، وَهُوَ لَا يَكُونُ إِلَّا فِي الْقَوْلِ، وَالْإِيْدَاءُ قَدْ يَكُونُ بِغَيْرِ الْقَوْلِ، فَمِنْ أَدَى مُؤْمِناً بِالضَّرْبِ أَوْ أَخَذَ مَالَهُ لَا يَكُونُ قَدْ احْتَمَلَ بَهْتَاناً؟

فَالْجَوَابُ: أَنَّ الْمُرَادَ: وَالَّذِينَ يُؤْذِنُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بِالْقَوْلِ لِأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى أَرَادَ إِظْهَارَ شَرَفِ الْمُؤْمِنِينَ لِأَنَّهُ لَمَّا ذَكَرَ أَنَّ مَنْ أَدَى اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَعْنًا، وَإِيْدَاءُ اللَّهِ أَنْ يَنْكَرَ وَجُودَهُ أَوْ يَشْرِكَ بِهِ مَنْ لَا يَبْصُرُ لَا يَسْمَعُ وَذَلِكَ قَوْلُ فَذَكَرَ إِيدَاءَ الْمُؤْمِنِينَ بِالْقَوْلِ وَعَلَى هَذَا خَصَّ إِيدَاءَ الْقَوْلِ بِالذِّكْرِ لِأَنَّهُ أَعَمُّ؛ لِأَنَّهُ الْإِنْسَانُ لَا يَقْدِرُ أَنْ يُؤْذِيَ اللَّهَ بِمَا يُؤْلِمُهُ مِنْ ضَرْبٍ أَوْ أَخْذِ مَالٍ وَيُؤْذِيهِ بِالْقَوْلِ وَكَذَا الْغَائِبُ لَا يُمْكِنُ إِيدَاؤُهُ بِالْفِعْلِ وَيُمْكِنُ إِيدَاؤُهُ بِالْقَوْلِ بَأَنْ يَقُولَ فِيهِ مَا يَصِلُ إِلَيْهِ فَيَتَأَذَى، وَوَجْهٌ آخَرُ فِي الْجَوَابِ بَأَنْ يَقَالَ: قَوْلُهُ بَعْدَ ذَلِكَ: وَإِثْمًا مُبِينًا، كَأَنَّهُ اسْتَدْرَكَ فَكَانَ قَوْلُهُ احْتَمَلَ بَهْتَانًا إِنْ كَانَ بِالْقَوْلِ، وَإِثْمًا مُبِينًا مَا كَانَ الْإِيْدَاءُ.

قَوْلُهُ: يُدْنِينَ كَقَوْلِهِ

1 <http://goo.gl/Y9KVJc>

2 <http://goo.gl/uc8oWF>

3 <http://goo.gl/ijswiE>

قُلْ لِعِبَادِي... الَّذِينَ آمَنُوا يُقِيمُوا.. إبراهيم: 31 و مَنْ لِلتَّبَعِضِ، و الْجَلَابِيبُ جمع الجَلَبَابِ وهو المَلَاءَةُ التي تشتمل بها المرأة فوق الدرع والخمار، قال ابن عباس وأبو عبيدة من نساء المؤمنين أن يغطين رؤوسهن ووجوههن بالجلابيب أقرب إلى عُرْفَانِهْنِ أي أدنى أن يعرفن أنهن حرائر فلا يُؤَدِّينَ لا يتعرض لهن، ويمكن أن يقال: المراد يعرفن أنهن لا يَرْنَيْنَ لأن من تستر وجهها مع أنه ليس بعورة لا يطعم فيها أنها تكشف عورتها فَيُعْرِضْنَ أنهن مستورات لا يمكن طلب الزنا منهن. وَكَانَ اللَّهُ غَفُوراً رَحِيماً قال أنس: مرت بعمر بن الخطاب جارية مَقْنَعَةً فعلاها بالدرة، وقال: يا كَاعِ انتشبهين بالحرائر أَلْقِي القَنَاعَ.

هـ-102\24: 131

قوله: وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ الكلام فيه كما تقدم وقدم غض البصر على حفظ الفرج لأن النظر بريد الزنا، والبلوى فيه أشد وأكثر، ولا يكاد يقدر على الاحتراز منه. قوله: وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ أي: لا يظهرن زينتهن لغير محرم، والمراد بالزينة: الخفية، وهما زينتتان: خفية وظاهرة. فالخفية: مثل الخلخال والخضاب في الرَّجُلِ، والسوار في المعصم، والقرط والقلاند، فلا يجوز لها إظهارها، ولا للأجنبي النظر إليها. والمراد بالزينة: موضع الزينة. وقيل: المراد بالزينة: محاسن الخلق التي خلقها الله، وما تزين به الإنسان من فضل لباس، لأن كثيراً من النساء ينفردن بخلقهن من سائر ما يُعَدُّ زينة، فإذا حملناه على الخلقة وفيها العموم حقه، ولا يمنع دخول ما عدا الخلقة فيه، ولأن قوله: وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَى جُيُوبِهِنَّ يدل على أن المراد من الزينة ما يعم الخلقة وغيرها، فكانها تعالى منعهن من إظهار محاسن خلقهن، موجباً سترها بالخمار. قوله: إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا. أما الذين حملوا الزينة على الخلقة فقال القفال: معنى الآية: إلا ما يظهره الإنسان في العادة، وذلك من النساء: الوجه والكفان، ومن الرجال: الوجه واليدان والرجلان، فرخص لهم في كشف ما اعتيد كشفه، وأدت الضرورة إلى إظهاره، وأمرهم بستر ما لا ضرورة في كشفه. ولما كان ظهور الوجه والكفين ضرورة لا جرم اتفقوا على أنهما ليسا بعورة. وأما القدم فليس ظهوره ضرورياً فلا جرم اختلفوا فيه هل هو من العورة أم لا؟ والصحيح أنه عورة. وفي صوتهما وجهان:

أصحهما ليس بعورة، لأن نساء النبي - عليه السلام - كن يروين الأخبار للرجال. وأما الذين حملوا الزينة على ما عد الخلقة، قالوا: إنه تعالى إنما ذكر الزينة لأنه لا خلاف في أنه يحل النظر إليها حال انفصالها عن أعضاء المرأة، فلما حرم الله النظر إليها حال اتصالها بيد المرأة كان ذلك مبالغة في حرمة النظر إلى أعضاء المرأة. وعلى هذا القول يحل النظر إلى زينة وجهها من الوشمة والغمزة، وزينة بدنهما من الخضاب والخواتيم والثياب، لأن سترها فيه حرج، لأن المرأة لا بد لها من مزاوله الأشياء بيديها، والحاجة إلى كشف وجهها للشهادة والمحاكمة والنكاح. قال سعيد بن جببر والضحاك والأوزاعي: الزينة الظاهرة التي استثنى الله الوجه والكفان.

وقال ابن مسعود: هي الثياب، لقوله تعالى:

خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ الأعراف: 31.

وقال الحسن: الوجه والثياب.

وقال ابن عباس: الكحل والخاتم والخضاب في الكف. فما كان من الزينة الظاهرة يجوز للرجل الأجنبي النظر إليها إذا لم يخف فتنة وشهوة، فإن خاف شيئاً منها غض البصر. واتفقوا على تخصيص قوله: وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا بالحرائر دون الإماء والمعنى فيه ظاهر، لأن الأمة مَالٌ، فلا بد من الاحتياط في بيعها وشرائها، وذلك لا يمكن إلا بالنظر إليها على الاستقصاء. قوله: وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَى جُيُوبِهِنَّ. وقرأ أبو عمرو في رواية بكسر لام الأمر. وقرأ طلحة: بِخُمُرِهِنَّ بسكون الميم. وتسكين فعل في الجمع أولى من تسكين المفرد. وكسر الجيم من جُيُوبِهِنَّ ابن كثير والأخوان وابن ذكوان.

والخُمُر: جمع خمار، وفي القلة يجمع على أخمرة. قال امرؤ القيس:

3827- وَتَرَى الشَّجَرَاءَ فِي رَيْقِهِ كَرُؤُوسٍ قُطِعَتْ فِيهَا الْخُمُرُ

والجيب: ما في طوق القميص يبدو منه بعض الجسد.

فصل

قال المفسرون: إِنَّ نساء الجاهلية كنَّ يُسْدِلْنَ خُمُرهن من خلفهن، وإن جوبهن كانت من قدام، وكانت تنكشف نحورهن وقلائدهن، فأمرن أن يضربن مقانعهن على الجيوب لتغطي بذلك أعناقهن ونحورهن.
قالت عائشة: رحم الله نساء المهاجرات الأول، لما أنزل الله: وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرهنَّ عَلَى جُيُوبهنَّ شققن مروطنهن فاختمرن بها.

قوله: وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ يعني الزينة الخفية التي لم يبح لهن كشفها في الصلاة ولا للأجانب، وهو ما عد الوجه والكفين إلا لبعولتهن قال ابن عباس ومقاتل: يعني لا يضعن الجلباب والخمار إلا لأزواجهن أو آبائهن أو آباء بعولتهن أو أبنائهن أو أبناء بعولتهن أو إخوانهن أو بنى إخوانهن أو بنى أخواتهن فيجوز لهؤلاء أن ينظروا إلى الزينة الباطنة، ولا ينظروا إلى ما بين السرة والركبة إلا الزوج فإنه يجوز له أن ينظر على ما تقدم، وهؤلاء محارم.

فإن قيل: أيجل لذي المحرم في المملوكة والكافرة ما لا يحل في المؤمنة؟
فالجواب: إذا ملك المرأة من محارمه فله أن ينظر منها إلى بطنها وظهرها لا على وجه الشهوة فإن قيل: فما القول في العم والخال؟

فالجواب: أن الظاهر أنهما كسائر المحارم في جواز النظر، وهو قول الحسن البصري قال: لأن الآية لم يذكر فيها الرضاع، وهو كالنفس، وقال في سورة الأحزاب: 55 ولم يذكر فيها البعولة، وقد ذكره هنا.
وقال الشعبي: إنما لم يذكرهما الله لنلا يصفها العم عند ابنه، والخال كذلك.

والمعنى: أن سائر القرابات تشترك مع الأب والابن في المحرمية إلا العم والخال وابناهما، وإذا رآها الأب وصفها لابنه وليس بمحرم، وهذا من الدلالات البليغة في وجوب الاحتياط عليهن في النسب.

فصل

والسبب في إباحة نظر هؤلاء إلى زينة المرأة هو الحاجة إلى مداخلتهن ومخالطتهن واحتياج المرأة إلى صحبتهم في الأسفار في النزول والركوب.

قوله: أو نسائهن.

قال أكثر المفسرين: المراد اللأئي على دينهن.

قال ابن عباس: ليس للمسلمة أن تتجرد بين نساء أهل الذمة، ولا تبدي للكافرة إلا ما تبدي للأجانب إلا أن تكون أمة لها.

وكتب عمر إلى أبي عبيدة أن تمنع نساء أهل الكتاب من دخول الحمام مع المؤمنات. وقيل: المراد بنسائهن جميع النساء.

وهذا هو الأولى، وقول السلف محمول على الاستحباب.

قوله: أو ما ملكت أيمانهن. وهذا يشمل العبيد والإماء، واختلفوا في ذلك: فقال قوم: عبد المرأة محرّم لها يجوز له الدخول عليها إذا كان عفيفاً، وأن ينظر إلى بدن مولاته إلا ما بين السرة والركبة كالمحارم، وهو ظاهر القرآن، وهو مروى عن عائشة وأم سلمة. وروي أن النبي - - أتى فاطمة بعدد قد وهبه لها، وعلى فاطمة ثوب إذا قنعت به رأسها لم يبلغ رجليها، وإذا غطت به رجليها لم يبلغ رأسها، فلما رأى رسول الله - - ما تلقى قال: إنه ليس عليك بأس، إنما هو أبوك وغلأمك وعن مجاهد: كنّ أمهات المؤمنين لا يحتجبن عن مكاتبهن ما بقي عليه درهم. وكانت عائشة تمتشط والعبد ينظر إليها.

وقال ابن مسعود والحسن وابن سيرين وسعيد بن المسيب: لا ينظر العبد إلى شعر مولاته. وهو قول أبي حنيفة.

وقال ابن جريج: المراد من الآية: الإماء دون العبيد، وأن قوله: أو نسائهن أو ما ملكت أيمانهن أنه لا يحل لامرأة مسلمة أن تتجرد بين امرأة مشركة إلا أن تكون تلك المشركة أمة لها.

قوله: أو التّابعين غير أولي الإربة من الرّجال.

قرأ ابن عامر وأبو بكر: غيّر نصباً، وفيها وجهان:

أحدهما: أنه استثناء.

وقيل: على القطع، لأن التّابعين معرفة و غير نكرة.

والثاني: أنه حال. والباقون: غير بالجر نعتاً، أو بدلاً، أو بياناً.

والإربة: الحاجة. وتقدم اشتقاقها في طه.

قوله: من الرّجال حال من أولي.

فصل

المراد بالتَّابِعِينَ غَيْرُ أُولِي الْإِرْبَةِ.

قال مجاهد وعكرمة والشَّعْبِي: هم الذين يتبعون القوم ليصيبوا من فضل طعامهم، لا همة لهم إلا ذلك، ولا حاجة لهم في النساء.

وعن ابن عباس: أنه الأحقق العنين.

وقال الحسن: هو الذي لا ينتشر ولا يستطيع غشيان النساء ولا يشتهيهن.

وقال سعيد بن جبیر: المعتوه. وقال عكرمة: المَجْبُوب. وقيل: هو المَخْنَث. وقال مقاتل: هو الشيخ الهرم والعنَّين والخَصِي والمحبوب ونحوه.

واعلم أن الخَصِي والمحبوب ومن يشاكلهما قد لا يكون له إربة في نفس الجماع، ويكون له إربة فيما عداه من التمتع، وذلك يمنع من أن يكون هو المراد، فيجب أن يحمل المراد على من لا إربة له في سائر وجوه التمتع لما روت عائشة قالت: كَانَ رَجُلٌ مَخْنَثٌ يَدْخُلُ عَلَى أَزْوَاجِ - النبي - فكَانُوا يَعْدُونَهُ مِنْ غَيْرِ أُولِي الْإِرْبَةِ، فَدْخَلَ النَّبِيُّ - - يَوْمًا وَهُوَ عِنْدَ بَعْضِ نِسَائِهِ، وَهُوَ يَنْعَتُ امْرَأَةً فَقَالَ: إِنَّهَا إِذَا أَقْبَلَتْ أَقْبَلْتُ بِأَرْبَعٍ، وَإِذَا أَدْبَرَتْ أَدْبَرْتُ بِثَمَانٍ. فقال النبي - -: أَلَا أَرَى هَذَا يَعْلَمُ مَا هُنَا، لَا يَدْخُلُ هَذَا فَحْبُوه.

وفي رواية عن زينب بنت أم سلمة أن النبي - - دَخَلَ عَلَيْهَا وَعِنْدَهَا مَخْنَثٌ، فَأَقْبَلَ عَلَى أَخِي أُمِّ سَلَمَةَ، فَقَالَ: يَا عَبْدَ اللَّهِ، إِنْ فَتَحَ اللَّهُ غَدًا لَكُمْ الطَّائِفَ دَلَّلْتُكَ عَلَى بِنْتِ غِيلَانَ، فَإِنَّهَا تَقْبِلُ بِأَرْبَعٍ وَتَدْبِرُ بِثَمَانٍ. فقال عليه السلام: لَا يَدْخُلُ عَلَيْكُمْ هَذَا فَأَبَاحَ رَسُولُ اللَّهِ - - دُخُولَ الْمَخْنَثِ عَلَيْهِنَ، فَلَمَّا عَلِمَ أَنَّهُ يَعْرِفُ أَحْوَالَ النِّسَاءِ وَأَوْصَافَهُنَّ عَلِمَ أَنَّهُ مِنْ أُولِي الْإِرْبَةِ، فَحَبَّه.

وفي الخَصِي والمحبوب ثلاثة أوجه:

أحدها: استباحة الزينة الباطنة.

والثاني: تحريرها.

والثالث: تحريرها على المَخَصِي دون المحبوب.

قوله: أَوْ الْطُفْلَ الَّذِي لَمْ يَطْهَرُوا.

تقدم في الحج أن الطفل يطلق على المثني والمجموع، فلذلك وصف بالجمع.

وقيل: لما قصد به الجنس روعي فيه الجمع كقولهم: أَهْلُكَ النَّاسُ الدَّيَّارُ الحُمْرُ والدَّرْهُمُ البِيضُ. و عَوْرَات جمع عَوْرَةٍ، وهو ما يريد الإنسان ستره من بدنه، وغلب في السَّوْآتَيْنِ. والعامة على عَوْرَات يسكون الواو، وهي لغة عامة العرب، سكنوها تخفيفاً لحرف العلة. وقرأ ابن عامر في رواية عَوْرَات بفتح الواو. ونقل ابن خالويه أنها قراءة ابن أبي إسحاق والأعمش، وهي لغة هذيل بن مدركة. قال الفراء: وأنشد في بعضهم:

-3828 أَخُو بَيْضَاتٍ رَائِحٌ مُتَأَوِّبٌ رَفِيقٌ بِمَسْحِ الْمُنْكَبَيْنِ سَبُوحٌ

وجعلها ابنُ مجاهد حناً وخطأ، يعني: من طريق الرواة، وإلا فهي لغة ثانية.

فصل

الظهور على الشيء يكون بمعنى العلم به، كقوله تعالى:

إِنَّهُمْ إِنْ يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ يَكْفُرُوا بكم. ويكون بمعنى الغلبة عليه، كقوله: فَأَصْبَحُوا ظَاهِرِينَ

فلهذا قال مجاهد وابن قتيبة: معناه: لم يطلعوا على عورات النساء، ولم يعرفوا العورة من غيرها من الصغر.

وقال الفراء والزجاج: لم يبلغوا أن يطيعوا إتيان النساء.

وقيل: لم يبلغوا حد الشهوة.

فصل

فأما المراهق فيلزم المرأة أن تستر منه ما بين سرتها وركبتها، وفي لزوم ستر ما عداه وجهان:

الأول: لا يلزم، لأن القلم غير جار عليه.

والثاني: يلزم كالرجل، لأنه مشتق، والمرأة قد تشتهيه، واسم الطفل شامل له إلى أن يحتلم وأما الشيخ فإن

بقيت له شهوة فهو كالشاب، وإن لم تبق له شهوة ففيه وجهان:

أحدهما: أن الزينة الباطنة معه مباحة، والعورة معه ما بين السرة والركبة.

والثاني: أن جميع البدن معه عورة إلا الزينة الظاهرة.

وهنا آخر الصور التي استثناه الله تعالى، والرضاع كالنسب.

قوله: وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِنْ زِينَتِهِنَّ.

قال ابن عباس وقتادة: كانت المرأة تمر بالناس وتضرب برجليها ليسمع قعقة خلخالها، فُهِينَ عن ذلك؛ لأن الذي تغلب عليه شهوة النساء إذا سمع صوت الخلخال يصير ذلك داعية له زائدة إلى مشاهدتهن، وعلل تعالى ذلك بقوله: لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِيَنَّ مِنْ زِينَتِهِنَّ فِي الْآيَةِ فَوَائِدُ:

الأولى: لما نهى عن استماع الصوت الدال على وجود الزينة، فلأن يدل على المنع من إظهار الزينة أولى.

الثانية: أن المرأة منهيّة عن رفع صوتها بالكلام بحيث يسمع ذلك الأجانب، إذ كان صوتها أقرب إلى الفتنة من صوت خلخالها، ولذلك كرهوا أذان النساء لأنه يحتاج فيه إلى رفع الصوت، والمرأة منهيّة عنه.

الثالثة: تدل على تحريم النظر إلى وجهها بشهوة، لأن ذلك أقرب إلى الفتنة.

فقرات من التفسير

هـ\33\90: 353

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ إِلَّا أَنْ يُؤْذَنَ لَكُمْ فِي الدَّخُولِ بِالدَّعَاءِ إِلَى طَعَامٍ فَتَدْخُلُوا غَيْرَ تُظَرِّينَ
منتظرين إنّه نضجه، مصدر أنى يأتي ولكن إذا دُعِيتُمْ فَادْخُلُوا فَإِذَا طَعِمْتُمْ فَانْتَشِرُوا وَلَا تَمْكُوا مُسْتَنَسِينَ
لَحْدِيثٍ مِنْ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ إِنَّ ذَلِكَ الْمَكْتَبُ كَانَ يُؤْذِي النَّبِيَّ فَيَسْتَحْيِي مِنْكُمْ أَنْ يُخْرِجَكُمْ وَاللَّهُ لَا يَسْتَحْيِي مَنْ
الْحَقِّ أَنْ يَخْرِجَكُمْ، أي لا يترك بيبانه. وقرىء يستحي بياء واحدة وإذا سَأَلْتُمُوهُنَّ أَى أَزْوَاجِ النَّبِيِّ مَتَعَا
فَأَسْأَلُوهُنَّ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ سَتَرِ ذَلِكَ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ مِنَ الْخَوَاطِرِ الْمَرِيئَةِ وَمَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُؤْذُوا
رَسُولَ اللَّهِ بَشِيءٌ وَلَا أَنْ تَتَكَبَّرُوا أَزْوَاجَهُ مِنْ بَعْدِهِ أَبَدًا إِنَّ ذَلِكَ كَانَ عِنْدَ اللَّهِ ذَنْبًا عَظِيمًا.

هـ\33\90: 459

يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لَأَزْوَاجَكُمْ وَبَنَاتُكُمُ وَنِسَاءُ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِنْ جَلِيبِهِنَّ جَمْعُ جَلِيبٍ وَهِيَ الْمَلَاءَةُ الَّتِي
تَشْتَمِلُ بِهَا الْمَرْأَةُ، أي يُرَخِّينَ بَعْضَهَا عَلَى الْوَجْهِ إِذَا خَرَجْنَ لِحَاجَتِهِنَّ إِلَّا عَيْنًا وَاحِدَةً ذَلِكَ أَدْنَى أَقْرَبَ إِلَى
أَنْ يُعْرِفْنَ بِأَنَّهُنَّ حَرَائِرٌ فَلَا يُؤْذِينَ بِالتَّعَرُّضِ لَهُنَّ بِخِلَافِ الْإِمَاءِ فَلَا يَغْطِينَ وَجُوهَهُنَّ، فَكَانَ الْمَنَافِقُونَ
يَتَعَرَّضُونَ لَهُنَّ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا لَمَّا سَلَفَ مِنْهُمْ أَنْ تَرَكَ السِّتْرَ رَحِيمًا بِهِنَّ إِذْ سَتَرَهُنَّ.

هـ\102\24: 531

وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ لِيَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَرِهِنَّ عَمَّا لَا يَحِلُّ لَهُنَّ نَظَرُهُ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ عَمَّا لَا يَحِلُّ لَهُنَّ فَعَلُهُ بِهَا وَلَا
يُبْدِينَ يُظْهِرْنَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَهُوَ الْوَجْهُ وَالْكَفَانُ فَيَجُوزُ نَظَرُهُ لِأَجْنَبِيٍّ إِنْ لَمْ يَخَفْ فِتْنَةً فِي أَحَدٍ
وَجْهَيْنِ، وَالثَّانِي تَحْرِمُ، لِأَنَّهُ مِظْنَةُ الْفِتْنَةِ، وَرُجَّحَ حَسْمًا لِلْبَابِ وَلِيَصْرُبَ بِخُمْرِهِنَّ عَلَى جُيُوبِهِنَّ أَى يَسْتَرْنَ
الرُّؤُوسَ وَالْأَعْنَاقَ وَالصُّدُورَ بِالمَقَانِعِ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ الْخَفِيَّةَ، وَهِيَ مَا عَدَا الْوَجْهَ وَالْكَفَيْنِ إِلَّا لِيُعَوَّلَتْهُنَّ
جَمْعُ بَعْلٍ، أَى زَوْجٌ أَوْ عَابَأَهُنَّ أَوْ عَابَاءُ بُعُولَتَهُنَّ أَوْ أَبْنَانَهُنَّ أَوْ أَبْنَاءُ بُعُولَتَهُنَّ أَوْ إِخْوَانَهُنَّ أَوْ بَنِي إِخْوَانَهُنَّ أَوْ
بَنِي أَخَوَاتِهِنَّ أَوْ نِسَائِهِنَّ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ فَيَجُوزُ لَهُمْ نَظَرُهُ إِلَّا مَا بَيْنَ السَّرَّةِ وَالرَّكْبَةِ فَيَحْرَمُ نَظَرُهُ لغير
الْأَزْوَاجِ وَخَرَجَ بِنِسَائِهِنَّ الْكَافِرَاتِ فَلَا يَجُوزُ لِلْمُسْلِمَاتِ الْكُشْفَ لَهُنَّ وَشَمْلَ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانَهُنَّ الْعَبِيدَ أَوْ النَّبِيِّينَ
فِي فَضُولِ الطَّعَامِ غَيْرَ بِالْجَرِّ صِفَةً وَالنَّصْبَ اسْتِثْنَاءً أُولَى الْإِرْبَةِ أَصْحَابُ الْحَاجَةِ إِلَى النِّسَاءِ مِنَ الرِّجَالِ بَأَن
لَمْ يَنْتَشِرْ ذِكْرُ كُلِّ أَوْ الطِّفْلِ بِمَعْنَى الْأَطْفَالِ الَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا يَطْلَعُوا عَلَى عَوْرَاتِ النِّسَاءِ لِلْجَمَاعِ فَيَجُوزُ أَنْ
يُبْدِينَ لَهُمْ مَا عَدَا مَا بَيْنَ السَّرَّةِ وَالرَّكْبَةِ وَلَا يَصْرُبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِنْ زِينَتِهِنَّ مِنْ خِلَالِ يَنْتَقِعُ
وَتَوَبُّوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيَّهَ الْمُؤْمِنُونَ مِمَّا وَقَعَ لَكُمْ مِنَ النَّظَرِ الْمَنْعُوعِ مِنْهُ وَمَنْ غَيْرِهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ تَتَجَوَّنَ مِنْ
ذَلِكَ لِقَبُولِ التَّوْبَةِ مِنْهُ وَفِي الْآيَةِ تَغْلِيْبُ الذَّكَورِ عَلَى الْإِنَاثِ.

¹ <http://goo.gl/DgcS8j>

² <http://goo.gl/OA8kCE>

³ <http://goo.gl/CA83yN>

⁴ <http://goo.gl/JcCd7b>

⁵ <http://goo.gl/9ttFpY>

فقرات من التفسير

هـ 33\90: 253

أخرج البخاري وابن جرير وابن مردويه عن أنس قال: قال عمر بن الخطاب: يا رسول الله يدخل عليك البر والفاجر، فلو أمرت أمهات المؤمنين بالحجاب، فأنزل الله آية الحجاب.
وأخرج أحمد وعبد بن حميد والبخاري ومسلم والنسائي وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم وابن مردويه والبيهقي في سننه من طرق عن أنس قال: لما تزوج رسول الله زينب بنت جحشا دعا القوم، فطعموا ثم جلسوا يتحدثون، وإذا هو كأنه يتهيأ للقيام فلم يقوموا، فلما رأى ذلك قام، فلما قام قام من قام، وقعد ثلاثة نفر، فجاء النبي ليدخل، فإذا القوم جلوس، ثم إنهم قاموا، فانطلقت فجئت، فأخبرت النبي أنهم قد انطلقوا، فجاء حتى دخل، فذهبت أدخل، فالتقى الحجاب بيني وبينه، فأنزل الله تعالى يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوت النبي...
النبي...

وأخرج الترمذي وحسنه وابن جرير وابن أبي حاتم وابن مردويه عن أنس قال: كنت مع النبي فأتى باب امرأة عرس بها، فإذا عندها قوم، فانطلق فقضى حاجته، فرجع وقد خرجوا، فدخل وقد أرخى بيني وبينه سترأ، فذكرته لأبي طلحة فقال: لئن كان كما تقول لينزلن في هذا شيء. فنزلت آية الحجاب.
وأخرج ابن سعد وعبد بن حميد وابن مردويه والبيهقي في شعب الإيمان عن أنس قال كنت أدخل على رسول الله بغير إذن، فجئت يوماً لأدخل، فقال علي: مكانك يا بني إنه قد حدث بعدك أمر، لا تدخل علينا إلا بإذن.
وأخرج ابن أبي حاتم والطبراني وابن مردويه عن ابن عباس قال دخل رجل على النبي، فأطال الجلوس، فقام النبي مراراً كي يتبعه ويقوم، فلم يفعل، فدخل عمر فرأى الرجل وعرف الكراهية في وجه رسول الله، فنظر إلى الرجل المقعد فقال: لعلك أذيت النبي، ففطن الرجل فقام، فقال النبي: لقد قمت مراراً كي يتبعني فلم يفعل، فقال عمر: لو اتخذت حجاباً، فإن نساءك لسن كسائر النساء، وهو أظهر لقلوبهن. فأنزل الله تعالى يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوت النبي.... فأرسل إلى عمر فأخبره بذلك.

وأخرج النسائي وابن أبي حاتم والطبراني وابن مردويه بسند صحيح عن عائشة قالت: كنت أكل مع النبي طعاماً في قعب، فمر عمر فدعاه فأكل، فاصابت أصبعه أصبعي فقال عمر: أوه لو أطاع فيكن ما رأتكن عين.

فنزلت آية الحجاب.

وأخرج ابن سعد عن ابن عباس قال: نزل حجاب رسول الله في عمر. أكل مع النبي طعاماً، فاصاب يده بعض أيدي نساء النبي، فأمر بالحجاب.

أخرج ابن سعد وابن جرير وابن مردويه عن أنس قال: ما بقي أحد أعلم بالحجاب مني، ولقد سألتني أبي بن كعب فقلت: نزل في زينب.

وأخرج عبد بن حميد وابن جرير عن قتادة في قوله يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوت النبي إلى قوله غير ناظرين إنه قال: غير متحيين طعامه ولكن إذا دعيت فادخلوا فإذا طعمتم فانتشروا قال: كان هذا في بيت أم سلمة أكلوا ثم أطالوا الحديث، فجعل النبي يخرج ويدخل. ويستحي منهم والله لا يستحي من الحق وإذا سألتهم من متاعاً فاسألوه من وراء حجاب قال: بلغنا أنهم أمروا بالحجاب عند ذلك لا جناح عليهن في آبائهن قال: فرخص لهن أن لا يحتجب من هؤلاء.

وأخرج عبد بن حميد عن الربيع بن أنس قال: كانوا يجيئون، فيدخلون بيت النبي، فيجلسون، فيتحدثون ليدرك الطعام، فأنزل الله تعالى يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوت النبي إلا أن يؤذن لكم إلى طعام غير ناظرين إنه ليدرك الطعام ولا مستأنسين لحديث ولا تجلسوا فتحدثوا.

وأخرج الطستي عن ابن عباس أن نافع بن الأزرق قال له: أخبرني عن قوله غير ناظرين إنه قال: الانا: النصيح. يعني إذا أدرك الطعام قال: وهل تعرف العرب ذلك؟ قال: نعم. أما سمعت قول الشاعر:

¹ <https://goo.gl/wDtXGN>

² <http://goo.gl/pLj3ZM>

ينعم ذاك الانا الغبيط كما
وأخرج ابن جرير عن مجاهد أن رسول الله كان يطعم ومعه بعض أصحابه، فاصابت يد رجل منهم يد عائشة، فكره ذلك النبي، فنزلت آية الحجاب.
وأخرج ابن جرير عن عائشة، أن أزواج النبي كن يخرجن بالليل إذا برزن إلى المناصب! وهو صعيداً فيج. وكان عمر بن الخطاب يقول للنبي: أحجب نساءك، فلم يكن رسول الله يفعل، فخرجت سوداء بنت زمعة ليلة من الليالي عشاء، وكانت امرأة طويلة، فناداها عمر بصوته ألا قد عرفناك يا سوداء حرصاً على أن ينزل الحجاب، فأنزل الله تعالى الحجاب.
قال الله تعالى يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوت النبي...
وأخرج الفريابي وابن أبي شيبة وعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم عن مجاهد في قوله غير ناظرين إنا قال: غير متحينين نضجه ولا مستأنسين لحديث بعد أن تأكلوا.
وأخرج عبد بن حميد وابن أبي حاتم عن الضحاك في قوله إنا قال: نضجه.
وأخرج ابن أبي حاتم عن سليمان بن أرقم في قوله ولا مستأنسين لحديث قال: نزلت في الثقلاء.
وأخرج الخطيب عن أنس قال: كانوا إذا طعموا جلسوا عند النبي رجاء أن يجيء شيء، فنزلت فإذا طعمتم فانتشروا ولا مستأنسين لحديث.
وأخرج عبد بن حميد وابن المنذر وابن أبي حاتم عن مجاهد في قوله وإذا سألتهم عن متاعاً قال: أزواج النبي عليهن الحجاب.
وأخرج ابن أبي حاتم عن السدي في قوله وإذا سألتهم عن متاعاً قال: حاجة.
وأخرج ابن مردويه عن ابن مسعود قال: فضل الناس عمر بن الخطاب بأربع: بذكره الاسارى يوم بدر أمر بقتلهم، فأنزل الله
لولا كتاب من الله سبق... الأنفال: 68. وبذكره الحجاب أمر نساء النبي أن يحتجبن فقالت له زينبا: وانك لتغار علينا يا ابن الخطاب والوحي ينزل في بيوتنا؟ فأنزل الله وإذا سألتهم عن متاعاً. وبدعوة النبي اللهم أيد الإسلام بعمر ويرأيه في أبي بكر كان أول الناس بابعه.
وأخرج ابن سعد عن محمد بن كعب قال: كان رسول الله إذا نهض إلى بيته بادروه، فأخذوا المجالس، فلا يعرف بذلك في وجه رسول الله، ولا يبسط يده إلى الطعام مستحياً منهم، فعوتبوا في ذلك، فأنزل الله يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوت النبي...
وأخرج ابن سعد عن أنس قال: نزل الحجاب مبتنى رسول الله بزينب بنت جحشا، وذلك سنة خمس من الهجرة، وحجب نساؤه من يومئذ وأنا ابن خمس عشرة.
وأخرج ابن سعد عن صالح بن كيسان قال: نزل حجاب رسول الله على نسائه في ذي القعدة، سنة خمس من الهجرة.
وأخرج ابن أبي حاتم وابن مردويه عن ابن عباس في قوله وما كان لكم أن تؤذوا رسول الله... قال: نزلت في رجل هم أن يتزوج بعض نساء النبي بعده قال سفيان: ذكروا أنها عائشة.
وأخرج ابن مردويه عن ابن عباس قال: قال رجل: لئن مات محمد لأتزوجن عائشة. فأنزل الله وما كان لكم أن تؤذوا رسول الله...
وأخرج ابن جرير وابن أبي حاتم عن عبد الرحمن بن زيد بن أسلم قال: بلغ النبي أن رجلاً يقول: إن توفي رسول الله تزوجت فلانة من بعده، فكان ذلك يؤذي النبي، فنزل القرآن وما كان لكم أن تؤذوا رسول الله...
وأخرج ابن أبي حاتم عن السدي قال: بلغنا أن طلحة بن عبيد الله قال: أيجبنا محمد عن بنات عمنا، ويتزوج نساءنا من بعدنا، لئن حدث به حدث لنتزوجن نساءه من بعده. فنزلت هذه الآية.
هــ١٩٠/٣٣: ١٥٩

أخرج ابن سعد والبخاري ومسلم وابن جرير وابن أبي حاتم والبيهقي في سننه عن عائشة قالت: خرجت سوداء بعد ما ضرب الحجاب لحاجتها، وكانت امرأة جسيمة لا تخفى على من يعرفها، فرأها عمر فقال: يا سوداء إنك ما تخفين علينا، فانظري كيف تخرجين، فانكفأت راجعة ورسول الله في بيتي، وإنه ليتعشى، وفي يده عرق فدخلت وقالت: يا رسول الله إني خرجت لبعض حاجتي فقال لي عمر: كذا.. كذا.. فأوحي إليه ثم رفع عنه وإن العرق في يده فقال: إنه قد أذن لكن ان تخرجن لحاجتك.

وأخرج سعيد بن منصور وابن سعد وعبد بن حميد وابن المنذر وابن أبي حاتم عن أبي مالك قال: كان نساء النبي يخرجن بالليل لحاجتهن، وكان ناس من المنافقين يتعرضون لهن فيؤذين، فقيل ذلك للمنافقين فقالوا: إنما نفعله بالإماء. فنزلت هذه الآية يا أيها النبي قل لأزواجك وبناتك ونساء المؤمنين يدنين عليهن من جلابيبهن ذلك أدنى أن يعرفن فلا يؤذين فأمر بذلك حتى عرفوا من الإماء.

وأخرج ابن جرير عن أبي صالح قال: قدم النبي المدينة على غير منزل، فكان نساء النبي وغيرهن إذا كان الليل خرجن يقضين حوائجهن، وكان رجال يجلسون على الطريق للغزل، فأنزل الله يا أيها النبي قل لأزواجك وبناتك.... يعني بالجلباب حتى تعرف الأمة من الحرة.

وأخرج ابن سعد عن محمد بن كعب القرظي قال: كان رجل من المنافقين يتعرض لنساء المؤمنين يؤذين، فإذا قيل له قال: كنت أحسبها أمة، فأمرهن الله تعالى أن يخالفن زي الإماء، ويدنين عليهن من جلابيبهن، تخمر وجهها إلا إحدى عينيها ذلك أدنى أن يعرفن يقول: ذلك أحرى أن يعرفن.

وأخرج ابن جرير وابن أبي حاتم وابن مردويه عن ابن عباس في هذه الآية قال: أمر الله نساء المؤمنين إذا خرجن من بيوتهن في حاجة أن يغطين وجوههن من فوق رؤوسهن بالجلابيب، ويبدين عينا واحدة.

وأخرج عبد الرزاق وعبد بن حميد وأبو داود وابن المنذر وابن أبي حاتم وابن مردويه عن أم سلمة قالت: لما نزلت هذه الآية يدنين عليهن من جلابيبهن خرج نساء الأنصار كان على رؤوسهن الغربان، من أكسبه سود يلبسناها.

وأخرج ابن أبي شيبة عن أبي قلابة قال: كان عمر بن الخطاب لا يدع في خلافته أمة تقنع ويقول: إنما القناع للحرائر لكيلا يؤذين.

وأخرج ابن أبي شيبة وعبد بن حميد عن أنس قال: رأى عمر جارية مقنعة، فصر بها بدرته وقال: القي القناع لا تشبهين بالحرائر.

وأخرج ابن مردويه عن عائشة قالت: رحم الله نساء الأنصار، لما نزلت يا أيها النبي قل لأزواجك وبناتك ونساء المؤمنين.... شققن مروطهن. فاعتجرن بها، فصلين خلف رسول الله، كأنما على رؤوسهن الغربان.

وأخرج عبد بن حميد عن ابن شهاب أنه قيل له: الأمة تزوج فتخمر قال يا أيها النبي قل لأزواجك وبناتك ونساء المؤمنين يدنين عليهن من جلابيبهن فنهى الله الإماء أن يتشبهن بالحرائر.

وأخرج الفريابي وعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم عن محمد بن سيرين قال: سألت عبيدة عن هذه الآية يدنين عليهن من جلابيبهن فرفع ملحفة كانت عليه فقتع بها، وغطى رأسه كله حتى بلغ الحاجبين، وغطى وجهه، وأخرج عينه اليسرى من شق وجهه الأيسر مما يلي العين.

وأخرج عبد بن حميد وابن جرير عن قتادة في قوله يا أيها النبي قل لأزواجك وبناتك ونساء المؤمنين يدنين عليهن من جلابيبهن قال: أخذ الله عليهن إذا خرجن أن يعدنهن على الحواجب ذلك أدنى أن يعرفن فلا يؤذين قال: قد كانت المملوكة يتناولونها، فنهى الله الحرائر أن يتشبهن بالإماء.

وأخرج عبد بن حميد عن الكلبي في الآية قال: كن النساء يخرجن إلى الجبابين لقضاء حوائجهن، فكان الفساق يتعرضون لهن، فيؤذونهن فأمرهن الله أن يدنين عليهن من جلابيبهن، حتى تعلم الحرة من الأمة.

وأخرج عبد بن حميد عن معاوية بن قره أن ذعارا من ذعار أهل المدينة كانوا يخرجون بالليل، فينظرون النساء ويغمزونهن، وكانوا لا يفعلون ذلك بالحرائر إنما يفعلون ذلك بالإماء، فأنزل الله هذه الآية يا أيها النبي قل لأزواجك وبناتك ونساء المؤمنين إلى آخر الآية.

وأخرج ابن جرير وابن مردويه عن ابن عباس في الآية قال: كانت الحرة تلبس لباس الأمة، فأمر الله نساء المؤمنين أن يدنين عليهن من جلابيبهن، وأدنى الجلباب: أن تقنع، وتشده على جبينها.

وأخرج ابن سعد عن الحسن في قوله يا أيها النبي قل لأزواجك وبناتك ونساء المؤمنين يدنين عليهن من جلابيبهن ذلك أدنى أن يُعرفن فلا يُؤذين قال: أماؤكن بالمدينة يتعرض لهن السفهاء فيؤذين، فكانت الحرة تخرج، فيحسب أنها أمة فتؤذى، فأمرهن الله أن يدنين عليهن من جلابيبهن.

وأخرج ابن أبي حاتم عن السدي في الآية قال: كان أناس من فساق أهل المدينة بالليل حين يختلط الظلام، يأتون إلى طرق المدينة فيتعرضون للنساء، وكانت مساكن أهل المدينة ضيقة، فإذا كان الليل خرج النساء إلى الطرق، فيقضين حاجتهن، فكان أولئك الفساق يتبعون ذلك منهن، فإذا رأوا امرأة عليها جلباب قالوا: هذه حرة فكفوا عنها، وإذا رأوا المرأة ليس عليها جلباب قالوا: هذه أمة فوثبوا عليها.

وأخرج ابن أبي حاتم عن سعيد بن جببر في قوله يدين عليهن من جلابيهن قال: يسدلن عليهن من جلابيهن. وهو القناع فوق الخمار، ولا يحل لمسلمة أن يراها غريب إلا أن يكون عليها القناع فوق الخمار وقد شددت به رأسها ونحرها.

وأخرج ابن أبي شيبة وابن المنذر وابن أبي حاتم عن عكرمة في الآية قال: تدني الجلاب حتى لا يرى ثغرة نحرها.

وأخرج ابن المنذر عن عبدالله بن مسعود في قوله يدين عليهن من جلابيهن قال: هو الرداء. وأخرج الفريابي وابن أبي شيبة وعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم عن مجاهد في قوله يدين عليهن من جلابيهن قال: يتجلبن بها فيعلمن أنهن حرائر، فلا يعرض لهن فاسق بأذى من قول ولا ريبه.

وأخرج ابن المنذر وابن أبي حاتم عن محمد بن سيرين قال: سألت عبيداً السلماني عن قول الله يدين عليهن من جلابيهن فتقع بملحفة، فغطى رأسه ووجهه، وأخرج إحدى عينيه.

102\24: 131

أخرج ابن أبي حاتم عن مقاتل قال: بلغنا - والله أعلم - أن جابر بن عبد الله الأنصاري حدث: أن أسماء بنت مرشد كانت في نخل لها في بني حارثة، فجعل النساء يدخلن عليها غير مؤتررات، فيبدو ما في أرجلهن يعني الخلاخل، ويبدو صدورهن وذوائبهن فقالت أسماء: ما أقبح هذا!!! فأنزل الله في ذلك وقل للمؤمنات يغضضن من أبصارهن... الآية.

وأخرج عبد الرزاق والفريابي وسعيد بن منصور وابن أبي شيبة وعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم والطبراني والحاكم وصححه وابن مردويه عن ابن مسعود في قوله ولا يبيدين زينتهن قال: الزينة. السوار، والدملاج، والخلخال، والقرط، والقلادة، إلا ما ظهر منها قال: الثياب والجلباب.

وأخرج ابن أبي شيبة وابن جرير وابن المنذر عن ابن مسعود قال: الزينة زينتان. زينة ظاهرة، وزينة باطنة لا يراها إلا الزوج، فأما الزينة الظاهرة: فالثياب. وأما الزينة الباطنة: فالكل، والسوار، والخاتم. ولفظ ابن جرير فالظاهرة منها: الثياب. وما يخفي: فالخلخالان، والقرطان، والسواران.

وأخرج أحمد والنسائي والحاكم والبيهقي في سننه عن أبي موسى قال: قال رسول الله أيما امرأة استعطرت، فخرجت، فمرت على قوم فيجدوا ريحها، فهي زانية.

وأخرج ابن المنذر عن أنس في قوله ولا يبيدين زينتهن إلا ما ظهر منها قال: الكل، والخاتم. وأخرج سعيد بن منصور وابن جرير وعبد بن حميد وابن المنذر والبيهقي عن ابن عباس ولا يبيدين زينتهن إلا ما ظهر منها قال: الكل، والخاتم، والقرط، والقلادة.

وأخرج عبد الرزاق وعبد بن حميد عن ابن عباس في قوله إلا ما ظهر منها قال: هو خضاب الكف، والخاتم. وأخرج ابن أبي شيبة وعبد بن حميد وابن أبي حاتم عن ابن عباس في قوله إلا ما ظهر منها قال: وجهها، وكفها، والخاتم.

وأخرج ابن أبي شيبة وعبد بن حميد وابن أبي حاتم عن ابن عباس في قوله إلا ما ظهر منها قال: رقعة الوجه، وباطن الكف.

وأخرج ابن أبي شيبة وعبد بن حميد وابن المنذر والبيهقي في سننه عن عائشة أنها سئلت عن الزينة الظاهرة فقالت: القلب، والفتخ، وضمت طرف كمها.

وأخرج ابن أبي شيبة عن عكرمة في قوله إلا ما ظهر منها قال: الوجه، وثغرة النحر.

وأخرج ابن جرير عن سعيد بن جببر في قوله إلا ما ظهر منها قال: الوجه، والكف.

وأخرج ابن جرير عن عطاء في قوله إلا ما ظهر منها قال الكفان، والوجه.

وأخرج عبد الرزاق وابن جرير عن قتادة ولا يبيدين زينتهن إلا ما ظهر منها قال: المسكتان، والخاتم، والكل قال قتادة: وبلغني أن النبي قال لا يحل لامرأة تؤمن بالله واليوم الآخر أن تخرج يدها إلا إلى ههنا ويقبض نصف الذراع.

وأخرج عبد الرزاق وابن جرير عن المسور بن مخرمة في قوله إلا ما ظهر منها قال: القلبين يعني السوار، والخاتم، والكل.

وأخرج سنيد وابن جرير عن ابن جريج قال: قال ابن عباس في قوله ولا يبيدين زينتهن إلا ما ظهر منها قال: الخاتم، والمسكة قال ابن جريج. وقالت عائشة: القلب والفتحة. قالت عائشة: دخلت على ابنة أخي لأمي عبد الله بن الطفيل مزينة، فدخلت على النبي وأعرض فقالت عائشة: إنها ابنة أخي وجارية فقال إذا عركت المرأة لم يحل لها أن تظهر إلا وجهها، وإلا ما دون هذا، وقبض على ذراع نفسه، فترك بين قبضته وبين الكف مثل قبضة أخرى.

وأخرج أبو داود والترمذي وصححه والنسائي والبيهقي في سننه عن أم سلمة أنها كانت عند النبي وميمونة فقالت: بينا نحن عنده أقبل ابن أبي مكتوم، فدخل عليه فقال رسول الله احتجبا عنه فقالت: يا رسول الله أليس هو أعمى لا يبصرنا؟ فقال أفعماوان أنتما ألتما تبصرانه؟ !.

وأخرج أبو داود وابن مردويه والبيهقي عن عائشة: أن أسماء بنت أبي بكر دخلت على النبي وعليها ثياب رقاق، فأعرض عنها وقال يا أسماء إن المرأة إذا بلغت المحيض لم يصلح أن يرى منها إلا هذا، وأشار إلى وجهه وكفه.

وأخرج أبو داود في مراسيله عن قتادة أن النبي قال إن الجارية إذا حاضت لم يصلح أن يرى منها إلا وجهها ويدها إلى المفصل والله أعلم.

وأخرج البخاري وأبو داود والنسائي وابن جرير وابن حاتم وابن مردويه والبيهقي في سننه عن عائشة قالت: رحم الله نساء المهاجرات الأول؛ لما أنزل الله وليضربن بخمرهن على جيوبهن أخذ النساء أرزهن فشقنهن من قبل الحواشي، فاختمن بها.

وأخرج ابن جرير وابن مردويه والحاكم وصححه عن عائشة قالت: لما نزلت هذه الآية وليضربن بخمرهن على جيوبهن شققن أكثف مروطهن، فاختمن به.

وأخرج الحاكم وصححه عن أم سلمة أن النبي دخل عليها وهي تختمر فقال: لية لا ليتين.

وأخرج أبو داود وابن أبي حاتم وابن مردويه عن صفية بنت شيبة قالت: بينا نحن عند عائشة فذكرن نساء قریش وفضلهن فقالت عائشة: ان نساء قریش لفضلي، وإني والله ما رأيت أفضل من نساء الأنصار، أشد تصديقاً لكتاب الله، ولا إيماناً بالتنزيل، لقد أنزلت سورة النور وليضربن بخمرهن على جيوبهن انقلب رجالهن إليهن يتلون عليهن ما أنزل إليهن فيها، ويتلو الرجل على امرأته وبنته وأخته، وعلى ذي قرابته، فما منهن امرأة إلا قامت إلى مرطها فاعتجرت به تصديقاً وإيماناً بما أنزل الله في كتابه، فاصبحن وراء رسول الله للصبح معتجرات كأن على رؤوسهن الغربان.

وأخرج سعيد بن منصور وابن مردويه عن عائشة: أن امرأة دخلت عليها وعليها خمار رقيق يشف جبينها، فأخذته عائشة فشققته ثم قالت: ألا تعلمين ما أنزل الله في سورة النور، فدعت لها بخمار فكسرتها إياه.

وأخرج ابن أبي حاتم عن سعيد بن جبیر وليضربن وليشدن بخمرهن على جيوبهن يعني النحر، والصدر، فلا يرى منه شيء.

وأخرج أبو داود في النسخ عن ابن عباس قال: في سورة النور ولا يبيدين زينتهن إلا ما ظهر منها وليضربن بخمرهن على جيوبهن وقال يدين عليهن من جلابيبن ثم استثنى فقال والقواعد من النساء اللاتي لا يرجون نكاحاً فليس عليهن جناح أن يضعن ثيابهن.... والمتبرجات اللاتي يخرجن غير نحورهن.

وأخرج ابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم والبيهقي في سننه عن ابن عباس في قوله ولا يبيدين زينتهن إلا ما ظهر منها والزينة الظاهرة. الوجه، وكحل العينين، وخضاب الكف، والخاتم، فهذا تظهره في بيتها لمن دخل عليها ثم قال: ولا يبيدين زينتهن إلا لبعولتهن أو آبائهن... والزينة التي تبديها لهؤلاء قرطاهما، وقلائدها، وسوارها، فأما خلخالها، ومعضدها، ونحرها، وشعرها، فإنها لا تبديها إلا لزوجها.

وأخرج ابن أبي حاتم عن سعيد بن جبیر ولا يبيدين زينتهن يعني ولا يضعن الجلاب وهو القناع من فوق الخمار إلا لبعولتهن أو آبائهن.... قال: فهو محرم. وكذلك العم، والخال أو نساكنهن يعني نساء المؤمنات أو ما ملكت أيمانهن يعني عبد المرأة.

وأخرج ابن أبي شيبة وابن المنذر عن الشعبي وعكرمة في هذه الآية ولا يبيدين زينتهن إلا لبعولتهن حتى فرغ منها قال: لم يذكر العم والخال لأنهما يتعتان لأبنائهما، فلا تضع خمارها عند العم والخال.

وأخرج عبد بن حميد وابن المنذر من طريق الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس أو نساكنهن قال: من المسلمات، لا تبديهن لليهودية، ولا لنصرانية، وهو النحر، والقرط، والوشاح، وما حوله.

وأخرج سعيد بن منصور وابن المنذر والبيهقي في سننه عن مجاهد قال: لا تضع المسلمة خمارها أي لا تكون قابلة عند مشركة، ولا تقبلها لأن الله تعالى يقول أو نساكنهن فليس من نساكنهن.

وأخرج سعيد بن منصور والبيهقي في سننه وابن المنذر عن عمر بن الخطاب أنه كتب إلى أبي عبيدة أما بعد؛ فإنه بلغني أن نساء من نساء المسلمين يدخلن الحمامات مع نساء أهل الشرك، فإنه لا يحل لامرأة تؤمن بالله واليوم الآخر أن ينظر إلى عورتها إلا أهل ملتها.

وأخرج ابن أبي حاتم عن سعيد بن جبيرة في قوله أو ما ملكت أيمانهن يعني عبد المرأة لا يحل لها أن تضع جلبابها عند عبد زوجها.

وأخرج ابن أبي شيبة وابن المنذر عن ابن عباس قال: لا بأس أن يرى العبد شعر سيده.

وأخرج ابن أبي حاتم عن مجاهد قال: تضع المرأة الجلباب عند المملوك.

وأخرج أبو داود وابن مردويه والبيهقي عن أنس أن النبي أتى فاطمة بعبد قد وهبه لها، وعلى فاطمة ثوب، إذا قنعت به رأسها لم يبلغ رجلها، وإذا غطت به رجلها لم يبلغ رأسها، فلما رأى النبي ما تلقى قال: إنه ليس عليك بأس إنما هو أبوك وغلماك.

وأخرج عبد الرزاق وأحمد عن أم سلمة أن رسول الله قال: إذا كان لإحداكن مكاتب وكان له ما يؤدي فلتحتجب منه.

وأخرج عبد الرزاق عن مجاهد قال: كان العبيد يدخلون على أزواج النبي.

وأخرج ابن المنذر عن ابن جريج في قوله أو ما ملكت أيمانهن قال: في القراءة الأولى. الذين لم يبلغوا الحلم مما ملكت أيمانكم.

وأخرج عبد الرزاق وابن المنذر عن طاوس ومجاهد قال: لا ينظر المملوك لشعر سيده قالوا: وفي بعض القراءة أو ما ملكت أيمانكم الذين لم يبلغوا الحلم.

وأخرج عبد الرزاق عن عطاء أنه سئل: هل يرى غلام المرأة رأسها وقدمها؟ قال: ما أحب ذلك إلا أن يكون غلاماً يسراً، فأما رجل ذو لحية فلا.

وأخرج ابن أبي شيبة عن سعيد بن المسيب قال: لا تغرنكم هذه الآية أو ما ملكت أيمانهن إنما عني بها الإمام، ولم يعن بها العبيد.

وأخرج ابن أبي شيبة عن إبراهيم قال: تستتر المرأة من غلامها.

وأخرج الفريابي وابن أبي شيبة وعبد بن حميد وابن جرير عن ابن عباس في قوله أو التابعين غير أولي الإربة من الرجال قال: هو الذي لا يستحي منه النساء.

وأخرج ابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم والبيهقي في سننه عن ابن عباس في قوله أو التابعين غير أولي الإربة قال: هذا الرجل يتبع القوم وهو مغفل في عقله، لا يكثرث للنساء، ولا يشتهي النساء.

وأخرج ابن جرير وابن مردويه عن ابن عباس في قوله أو التابعين غير أولي الإربة من الرجال قال: كان الرجل يتبع الرجل في الزمان الأول لا يغار عليه، ولا ترهب المرأة أن تضع خمارها عنده، وهو الأحق الذي لا حاجة له في النساء.

وأخرج عبد الرزاق وعبد بن حميد وابن جرير عن طاوس غير أولي الإربة قال: هو الأحق الذي ليس له في النساء أرب ولا حاجة.

وأخرج ابن أبي شيبة وعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم عن مجاهد غير أولي الإربة قال: هو الأبله الذي لا يعرف أمر النساء.

وأخرج ابن أبي شيبة وعبد بن حميد وابن المنذر وابن أبي حاتم عن ابن عباس غير أولي الإربة قال: هو المخنث الذي لا يقوم زبه.

وأخرج ابن أبي حاتم عن سعيد بن جبيرة غير أولي الإربة من الرجال قال: هو الشيخ الكبير الذي لا يطيق النساء.

وأخرج عبد بن حميد غير أولي الإربة هو العنين.

وأخرج ابن المنذر عن الكلبي غير أولي الإربة قال: هو الخصي والعنين.

وأخرج ابن أبي شيبة وابن جرير عن عكرمة قال هو الذي لا يقوم زبه.

وأخرج ابن أبي شيبة وابن جرير عن سعيد بن جبيرة قال: هو المعتوه.

وأخرج ابن أبي شيبة وابن جرير عن الشعبي قال: هو الذي لم يبلغ أربه أن يطلع على عورات النساء.

وأخرج عبد الرزاق وعبد بن حميد ومسلم وأبو داود والنسائي وابن جرير وابن أبي حاتم وابن مردويه والبيهقي عن عائشة قالت: كان رجل يدخل على أزواج النبي مخنث فكانوا يعدونه من غير أولي الإربة،

فدخل النبي يوماً وهو عند بعض نسائه وهو ينعت امرأة قال: إذا أقبلت أقبلت بأربع، وإذا أدبرت بثمان فقال النبي لا أرى هذا يعرف ما ههنا لا يدخلن عليكم فحجبوه .

وأخرج ابن مردويه عن عائشة قالت: كان يدخل على أزواج النبي هيت وإنما كن يعددنه من غير أولي الإربة من الرجال، فدخل رسول الله ذات يوم وهو ينعت امرأة يقول: إنها إذا أقبلت بأربع، وإذا أدبرت بثمان فقال رسول الله لا أسمع هذا يعلم ما ههنا لا يدخلن عليكم، فأخرجه فكان بالبيداء يدخل كل جمعة يستطعم.

وأخرج ابن أبي شيبة وعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم والبيهقي في سننه عن مجاهد في قوله أو الطفل الذين لم يظهروا على عورات النساء قال: هم الذين لا يدرون ما النساء من الصغر قبل الحلم.

وأخرج ابن أبي حاتم عن سعيد بن جبيرة في قوله أو الطفل الذين لم يظهروا على عورات النساء قال: الغلام الذي لم يحتلم.

وأخرج عبد بن حميد عن قتادة مثله.

وأخرج ابن أبي شيبة عن أبي بكر بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام قال: كل شيء من المرأة عورة حتى ظفرها.

والله أعلم.

وأخرج ابن جرير عن حزمي: أن امرأة اتخذت معرنيين من فضة، واتخذت جزعاً فمرت على القوم، فضربت برجلها فوق الخلال على الجزع فصوت، فأنزل الله ولا يضربن بأرجلهن ليعلم ما يخفين من زينتهن.

وأخرج ابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم عن ابن عباس في قوله ولا يضربن بأرجلهن وهو أن تفرع الخلال بالأخر عند الرجال، أو تكون على رجليها خلاخل فتحركهن عند الرجال. فنهى الله عن ذلك لأنه من عمل الشيطان.

وأخرج عبد بن حميد عن قتادة ولا يضربن بأرجلهن قال: كانت المرأة تضرب برجلها ليعلم فقعة الخلال فيها، فنهى عن ذلك.

وأخرج عبد بن حميد عن مجاهد ولا يضربن بأرجلهن ليعلم ما يخفين من زينتهن قال: الخلال. نهى أن تضرب برجلها ليعلم صوت الخلال.

وأخرج عبد بن حميد عن معاوية بن قررة قال: كن نساء الجاهلية يلبسن الخلاخل الصم، فأنزل الله هذه الآية ولا يضربن بأرجلهن ليعلم ما يخفين من زينتهن.

وأخرج عبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم عن أبي مالك قال: كانت المرأة تمر على المجلس في رجلها الخرز، فإذا جاوزت المجلس ضربت برجلها، فنزلت ولا يضربن بأرجلهن.

وأخرج ابن أبي حاتم عن سعيد بن جبيرة قال: إن المرأة كانت يكون في رجلها الخلال فيه الجلال، فإذا دخل عليها غريب تحرك رجلها عمداً ليعلم صوت الخلال فقال: ولا يضربن يعني لا يحركن أرجلهن ليعلم ما يخفين يعني ليعلم الغريب إذا دخل عليها ما تخفي من زينتها.

وأخرج ابن أبي حاتم عن ابن مسعود ليعلم ما يخفين من زينتهن قال: الخلال.

وأخرج الترمذي عن ميمونة بنت سعد: أن رسول الله قال: الرافلة في الزينة في غير أهلها كمثل ظلمة يوم القيامة لا نور لها.

فقرات من التفسير

هـ 33\90: 353

تنبيه: قال أكثر المفسرين: نزلت هذه الآية في شأن وليمة زينب حين بنى بها رسول الله لما روى ابن شهاب قال: أخبرني أنس بن مالك: أنه كان ابن عشر سنين فقدم رسول الله المدينة قال: فكانت أمهاتي توطينني على خدمة النبي فخدمته عشر سنين وتوفي وأنا ابن عشرين سنة، فكنت أعلم الناس بشأن الحجاب حين أنزل، وكان أول ما أنزل في بناء رسول الله بزينب بنت جحش أصبح النبي بها عروساً فدعا القوم وأصابوا من الطعام ثم خرجوا، وبقي رهط منهم عند النبي فأطالوا المكث فقام النبي فخرج وخرجت معه لكي يخرجوا فمشى النبي ومشيت حتى جاء عتبة حجرة عائشة رضي الله تعالى عنها، ثم ظن أنهم قد خرجوا فرجع ورجعت معه حتى إذا دخل على زينب فإذا هم جلوس لم يخرجوا فرجع النبي ورجعت معه حتى إذا بلغ حجرة عائشة فظن أنهم قد خرجوا، فرجع ورجعت معه فإذا هم قد خرجوا فضرب النبي بيني وبينه الستر ونزلت آية الحجاب، وقال أبو عثمان: واسمه الجعد عن أنس قال: فدخل يعني رسول الله البيت وأرخى الستر وإني لفي الحجرة وهو يقول يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوت النبي إلا أن يؤذن لكم إلى قوله تعالى والله لا يستحيي من الحق.

ولما كان البيت يطلق على المرأة لملازمتها له عادة أعاد الضمير عليه مراداً به النساء استخداماً فقال تعالى: وإذا سألتهم عن أي: الأزواج متاعاً أي: شيئاً من آلات البيت فاسألوهن أي: ذلك المتاع كائنين وكائنات من وراء حجاب أي: ستر يستركم عنهن ويستترهن عنكم، وقرأ ابن كثير والكسائي يفتح السين ولا همزة بعدها والباقون يسكون السين وهمزة مفتوحة بعدها ذلكم أي: الأمر العالي الرتبة أظهر لقلوبكم وقلوبهن أي: من وسواس الشيطان والريب لأن العين وزيرة القلب فإذا لم تر العين لم يشته القلب، فأما إذا رأت العين فقد يشتهي القلب وقد لا يشتهي، فالقلب عند عدم الرؤية أظهر وعدم الفتنة حينئذ أظهر. روى ابن شهاب عن عروة عن عائشة: أن أزواج النبي كن يخرجن بالليل إذا تبرزن إلى المناصع وهو صعيد أفيح فكان عمر رضي الله تعالى عنه يقول للنبي احجب نساءك فلم يكن رسول الله يفعل، فخرجت سودة بنت زمعة زوج النبي ليلة من الليالي عشاء وكانت امرأة طويلة فناداها عمر ألا قد عرفناك يا سودة حرصاً على أن ينزل الحجاب، فأنزل الله عز وجل الحجاب، وعن أنس قال: قال عمر: وافقت ربي في ثلاثة قلت: يا رسول الله لو اتخذت

من مقام إبراهيم مصلی، فأنزل الله تعالى واتخذوا من مقام إبراهيم مصلی البقرة: 125 وقلت: يا رسول الله يدخل عليك البر والفاجر فلو أمرت أمهات المؤمنين بالحجاب فأنزل الله تعالى آية الحجاب، قال: وبلغني ما أدين رسول الله نساؤه قال: فدخلت عليهن فجعلت أستقرهن واحدة واحدة فقلت والله لتنتهين أو ليبدله الله تعالى أزواجاً خيراً منكن، حتى أتيت على زينب فقالت: يا عمر أما كان في رسول الله ما يعظ نساءه حتى تعظهن أنت قال: فخرجت فأنزل الله تعالى عسى ربه إن طلقكن أن يبدله أزواجاً خيراً منكن التحريم: 5 الآية.

ولما بين تعالى للمؤمنين الأدب أكد بما يحملهم على ملاطفة نبيه بقوله تعالى: وما كان أي: وما صح وما استقام لكم في حال من الأحوال أن تؤذوا رسول الله فله إليكم من الإحسان ما يستوجب به منكم غاية الإكرام والإجلال فضلاً عن الكف عن الأذى فلا تؤذوه بالدخول إلى شيء من بيوتهم بغير إذنه أو المكث بعد فراغ الحاجة ولا بغير ذلك.

ولما كان قد قصر عليهن أحل له غيرهن وقصرهن الله عليه بقوله تعالى: ولا أن تتكحوا أي: فيما يستقبل من الزمان أزواجه من بعده أي: فراقه بموت أو طلاق سواء أدخل بها أم لا أبداً زيادة لشرفه وإظهاراً

¹ <http://goo.gl/M9eje0>

² <http://goo.gl/roao0m>

³ <http://goo.gl/roao0m>

لمزيته، ولأنهن أمهات المؤمنين ولأنهن أزواجه في الجنة، ولأن المرأة في الجنة مع آخر أزواجه كما قاله ابن القشيري، روي أن هذه الآية نزلت في رجل من أصحاب النبي قال: لئن قبض رسول الله لأنكحن عائشة قال مقاتل بن سليمان: هو طلحة بن عبيد الله فأخبر الله تعالى أن ذلك محرم، وقال: إن ذلكم أي: الإيذاء بالنكاح وغيره كان عند الله أي: القادر على كل شيء عظيماً أي: ذنباً عظيماً.

فإن قيل: روى معمر عن الزهري أن العالية بنت ظبيان التي طلقها النبي تزوجت رجلاً وولدت له. أجيب: بأن ذلك كان قبل تحريم أزواج النبي على الناس وقيل: لا تحرم غير الموطوءة لما روي أن أشعث بن قيس تزوج المستعينة في أيام عمر فهم برجمهما، فأخبر بأنه فارقتها قبل أن يمسه فترك من غير نكير، فأما إماؤه فيحرم منهن الموطوءات على غيره إكراماً له بخلاف غير الموطوءات وقيل: لا تحرم الموطوءات أيضاً.

ونزل فيمن أضمر نكاح عائشة بعد رسول الله

هــ33\90: 159

يا أيها النبي ذكره بالوصف الذي هو منبع المعرفة والحكمة قل لأزواجك بدأ بهن لما لهن به من الوصلة بالنكاح وبناتك ثنى بهن لما لهن من الوصلة، ولهن من القسمين من الشرف وآخرهن عن الأزواج لأن أزواجه يكفونه أمرهن ونساء المؤمنين يدنين أي: يقربن عليهن أي: على وجوههن وجميع أبدانهن فلا يدعن شيئاً منها مكشوفاً من جلابيهن ولا يتشبهن بالإماء في لباسهن إذا خرجن لحاجتهن بكشف الشعور ونحوها ظناً أن ذلك أخفى لهن وأستر، والجلباب والقميص وثوب واسع دون الملحفة تلبسه المرأة، والملحفة: ما ستر اللباس، والخمار: وهو كل ما غطى الرأس وقال البيهقي: الجلباب الملاعة التي تشتمل بها المرأة فوق الدرع والخمار، وقال حمزة الكرماني، قال الخليل: كل ما يستر به من دثار وشعار وكساء فهو جلباب والكل تصح إرادته هنا، فإن كان المراد القميص فإدناؤه إسباغه حتى يغطي بدنهما ورجليهما، وإن كان يغطي الرأس فإدناؤه ستر وجهها وعنقها، وإن كان المراد ما يغطي الثياب فإدناؤه تطويله وتوسيعه بحيث يستر جميع بدنهما وثيابها، وإن كان المراد ما دون الملحفة فالمراد ستر الوجه واليدين وقال ابن عباس وعبيدة: أمر نساء المؤمنين أن يغطين رؤوسهن ووجوههن بالجلابيب إلا عيناً واحدة ليعلم أنهن حرائر.

ولما أمر تعالى بذلك علله بقوله تعالى: ذلك أي: الستر أدنى أي: أقرب من تركه في أن يعرفن أنهن حرائر بما يميزهن عن الإماء فلا أي: فتسبب عن معرفتهن أن لا يؤذين ممن يتعرضن للإماء فلا يشتغل قلبك عن تلقي ما يرد عليك من الأنباء الإلهية قال ابن عادل: ويمكن أن يقال: المراد يعرفن أنهن لا يزينن لأن من تستر وجهها مع أنه ليس بعورة أي: في الصلاة لا يطمع فيها أنها تكشف عورتها، فبفرض أنهن مستورات لا يمكن طلب الزنا منهن انتهى.

ولما راقهن تعالى لهذا الأمر خفف عاقبة ما كن فيه من التشبيه بالإماء فأخبرهن تعالى بوسع كرمه وجوده بقوله تعالى: وكان الله أي: الذي له الكمال المطلق أزلاً وأبداً غفوراً أي: لما سلف منهن من ترك الستر فهو محاء للذنوب عيناً وأثراً رحيماً بهن إذ سترهن وبمن يمتثل أوامره ويجتنب نواهيه قال البيهقي: قال أنس: مرت بعمر جارية مقنعة فعلاها بالدرة وقال: يا لكاع أنتشبهين بالحرائر ألقى القناع ويظهر أن عمر إنما فعل ذلك خوفاً من أن تلتبس بالإماء بالحرائر فلا

339

يعرف الحرائر فيعود الأمر كما كان.

ولما كان المأذون بما مضى وغيره أهل النفاق ومن داناها حذرهم بقوله تعالى مؤكداً دفعاً لظنهم دوام الحلم عليهم:

هــ24\102: 231

وقل للمؤمنات يغضضن من أبصارهن عما لا يحل لهن نظره ويحفظن فروجهن عما لا يحل لهن فعله بها، روي عن أم سلمة رضي الله تعالى عنها أنها قالت: كنت عند رسول الله وعنده ميمونة بنت الحارث إذ أقبل ابن أم مكتوم، فدخل عليه وذلك بعدما أمرنا بالحجاب فقال احتجبا منه فقلت: يا رسول الله أليس هو أعمى؟

¹ <http://goo.gl/roao0m>

² <http://goo.gl/roao0m>

فقال رسول الله أفعمياوان أنتما ألستما تبصرانه، وقوله تعالى: ولا يبيدين أي: يظهرن زينتهن أي: لغير محرم، والزينة خفية وظاهرة، فالخفية مثل الخلخال والخضاب في الرجل، والسوار في المعصم، والقرط في الأذن والقلاند في العنق، فلا يجوز للمرأة إظهارها، ولا يجوز للأجنبي النظر إليها، والمراد من الزينة مواضعها من البدن، وذكر الزينة للمبالغة في الأمر بالصون والستر؛ لأن هذه الزينة واقعة على مواضع من الجسد لا يحل النظر إليها إلا ما ظهر منها أي: من الزينة الظاهرة، واختلف أهل العلم في هذه الزينة التي استثناهما الله تعالى فقال سعيد بن جبير وجماعة: هي الوجه والكفان،

وقال ابن مسعود رضي الله تعالى عنه: هي الثياب، وقال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما: هي الكحل والخاتم والخضاب في الكف فما كان من الزينة الظاهرة، يجوز للأجنبي النظر إليها إن لم يخف فتنة في أحد وجهين وعليه الأكثر.

وإنما رخص في هذا القدر للمرأة أن تبدي من بدننها لأنه ليس بعورة في الصلاة وسائر بدننها عورة فيها، ولأن سترها فيه حرج، فإن المرأة لا تجد بداً من مزاوله الأشياء بيديها، ومن الحاجة إلى كشف وجهها خصوصاً في الشهادة والمحكمة والنكاح، وتضطر إلى المشي في الطرقات وخاصة الفقيرات، والوجه الثاني يحرم؛ لأنه محل الفتنة ورجح حسماً للباب وليضربن بخمرهن على جيوبهن أي: يسترن الرؤوس والأعناق والصدور بالمقانع، فإن جيوبهن كانت واسعة تبدو منها نحورهن وصدورهن وما حوالها، وكن يسدلن الخمر من ورائهن فتبقى مكشوفة فأمرن بأن يسدلنها من قدامهن حتى تغطيها، ويجوز أن يراد بالجيوب الصدور تسمية لها باسم ما يليها ويلابسها، ومنه قولهم: ناصح الجيب بالنون والصاد أي: سليم الصدر، وقولك: ضربت بخمارها على جيبها كقولك: ضربت بيدي على الحائط إذا وضعتها عليه؛ قالت عائشة رضي الله تعالى عنها: يرحم الله تعالى نساء المهاجرات لما أنزل الله وليضربن بخمرهن على جيوبهن شققن مروطهن فاخترن بها، والمرط كساء من صوف أو خز أو كتان، وقيل: هو الإزار، وقيل: هو الدرع.

وقرأ نافع وأبو عمرو وهشام وعاصم بضم الجيم، والباقون بكسرها، وكرر قوله تعالى: ولا يبيدين زينتهن لبيان من يحل له الإبداء، ومن لا يحل له أي: الزينة الخفية التي لم يبح لهن كشفها في الصلاة ولا للأجانب وهي ما عدا الوجه والكفين إلا لبعولتهن أي: فإنهم المقصودون بالزينة، ولهم أن ينظروا إلى جميع بدنهن حتى الفرج ولو الدبر ولكنه يكره، وقال ابن عباس: لا يضعن الجلباب والخمار عنهن إلا لأزواجهن أو آبائهن أو أبناء بعولتهن أو أبنائهن أو أبناء بعولتهن أو إخوانهن أو بني إخوانهن أو بني أخواتهن فيجوز لهؤلاء أن ينظروا إلى الزينة الخفية ولا ينظروا إلى ما بين السرة والركبة، وإنما سُمح في الزينة الخفية لأولئك المذكورين في الآية للحاجة المضطرة إلى مداخلتهم ومخالطتهم ولقلة الفتنة من جهتهم، ولما في الطباع من النفرة عن مماسة القرائب وتحتاج المرأة إلى صحبتهم في الأسفار للنزول والركوب وغير ذلك أو نساتهن أي: المؤمنات، فإن الكافرات لا يتحرجن عن وصفهن للرجال، فلا يجوز للمسلمة أن تتجرد من ثيابها عند النساء الكافرات؛ لأنهن أجنبيات عن الدين فكن كالرجال الأجانب، لكن يجوز أن ترى الكافرة منها ما يبدو عند المهنة، وقد كتب عمر بن الخطاب إلى أبي عبيدة بن الجراح أن يمنع نساء أهل الكتاب أن يدخلن الحمامات مع المسلمات، وقيل: النساء كلهن، وللعلماء في ذلك خلاف.

تنبيه: العورة على أربعة أقسام؛ عورة الرجل مع الرجل، وعورة المرأة مع المرأة، وعورة المرأة مع الرجل، وعورة الرجل مع المرأة، أما الرجل مع الرجل فيجوز له أن ينظر إلى جميع بدننها ما عدا ما بين السرة والركبة، وكذلك المرأة مع المرأة، وأما المرأة مع الرجل أو الرجل مع المرأة، فلا ينظر أحدهما من الآخر شيئاً، وقيل: يجوز للأجنبي أن ينظر إلى وجهها وكفيها إذا أمن الفتنة ولم تكن شهوة، وقيل: يجوز لها أن تنظر منه ما عدا ما بين السرة والركبة، ويجوز لمن أراد

أن يخطب حرة أن ينظر وجهها وكفيها، وهي تنظر منه إذا أرادت أن تتزوج به ما عدا ما بين السرة والركبة، وإن أراد أن يتزوج بأمة جاز أن ينظر منها ما عدا ما بين السرة والركبة، ويحرم أن ينظر بشهوة، ويحرم النظر بشهوة لكل منظور إليه إلا لمن أرد أن يتزوج بها وإلا حليلته ويباح النظر من الأجنبي لمعاملة وشهادة حتى يجوز النظر إلى الفرج للشهادة على الزنا والولادة، وإلى الثدي للشهادة على الرضاع وتعليم ومداواة بقدر الحاجة.

وكل ما حرم نظره متصلاً حرم نظره منفصلاً كشعر عانة من رجل أو قلامة ظفر من أجنبية، ويحرم اضطجاع رجلين أو امرأتين في ثوب واحد إذا كانا عاريين، وإن كان كل منهما في جانب من الفراش

للخبر المتقدم، ويجب التفريق بين ابن عشر سنين وإخوته وأخواته في المضجع إذا كانا عاريين، وتسن مصافحة الرجلين والمرأتين لخبر: ما من مسلمين يلتقيان ويتصافحان إلا غفر لهما قبل أن يتفرقا. وتكره مصافحة من به عاهة كجذام أو برص، والمعانقة والتقبيل في الرأس للنهي عن ذلك إلا لقادم من سفر أو تباعد عهد، ويسن تقبيل الطفل ولو لغير أبويه شفقة، ولا بأس بتقبيل وجه الميت الصالح، ويسن تقبيل يد الحي لصالح أو علم أو زهد أو نحو ذلك، ويكره لغني أو وجاهة أو نحو ذلك، وقوله تعالى: أو ما ملكت أيمانهم يعم الإماء والعبيد، فيحل نظر العبد العفيف غير المبعوض والمشتري والمكاتب إلى سيدته العفيفة لما روى أبو داود: أنه أتى فاطمة رضي الله تعالى عنها بعبد وهبه لها وعليها ثوب إذا قنعت به رأسها لم يبلغ رجلها، وإذا غطت رجلها لم يبلغ رأسها، فلما رآها النبي وما تلقى قال إنه ليس عليك بأس إنما هو أبوك وغلامك.

وعن عائشة أنها قالت لعبد لها ذكوان: إنك إذا وضعتني في القبر وخرجت فأنت حر، وأما الفاسق والمبعوض والمشتري والمكاتب فكالأجنبي بل قيل: إن المراد بالآية الإماء وعبداء وأمة كالأجنبي وبه قال ابن المسيب آخر، وقال: لا تغرنكم آية النور فإن المراد بها الإماء أو التابعين أي: الذين يتبعون القوم ليصيبوا من فضل طعامهم غير أولي الإربة أي: أصحاب الحاجة إلى النساء من الرجال أي: ليس لهم همة إلى ذلك ولا حاجة لهم في النساء لأنهم بله لا يعرفون شيئاً من أمرهن، وقيل: هم شيوخ صلحاء إذا كانوا معهم غضوا أبصارهم، وقيل: هم الممسوحون سواء كان حراً أم لا وهو ذاهب الذكر والأنثيين، أما ذاهب الذكر فقط أو الأنثيين فقط فكالفحل، وعن أبي حنيفة لا يحل إمساك الخصيان واستخدامهم وبيعهم وشرأؤهم. قال الزمخشري: فإن قلت: روي: أنه أهدى لرسول الله خصي فقبله قلت: لا يقبل فيما تعم به البلوى إلا حديث مكشوف وإن صح فلعله قبله ليعتقه أو لسبب من الأسباب، انتهى. وعندنا يجوز جميع ذلك إذ لا مانع منه، وقيل: المراد بأولي الإربة هو المخنث، وقرأ ابن عامر وشعبة بنصب الرأى على الاستثناء والحال، والباقون بكسرهما على الوصفية، وقوله تعالى: أو الطفل بمعنى الأطفال وضع الواحد موضع الجمع لأنه يفيد الجنس ويبينه ما بعده، وهو قوله تعالى:

الذين لم يظهروا أي: لم يطلعوا على عورات النساء للجماع فيجوز لهن أن يبيدين لهن ما عدا ما بين السرة والركبة؛ قال إمام الحرمين رحمه الله تعالى: إذا لم يبلغ الطفل حداً يحكي ما يراه فكالعدم أو بلغه من غير شهوة فكالمحرم، أو بشهوة فكالبالغ ولا يضرين بأرجلهن ليعلم ما يخفين من زينتهن وذلك أن المرأة كانت تضرب برجلها الأرض ليقع خلخالها فيعلم أنها ذات خلخال، وقيل: كانت تضرب بإحدى رجلها على الأخرى ليعلم أنها ذات خلخالين فنهين عن ذلك لأن ذلك يورث ميلاً في الرجال، وإذا وقع النهي عن إظهار صوت الحلي فمواضع الحلي أبلغ في النهي

فقرات من التفسير

هـ\33\90: 253

وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ لَسَاءَ النَّبِيِّ الْمَدْلُولَ عَلَيْهِنَّ بِذِكْرِ بَيُوتِهِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ مَتَّعًا أَيْ شَيْئاً يُتَمَتَّعُ بِهِ مِنَ الْمَاعُونِ وَغَيْرِهِ فَاسْأَلُوهُنَّ أَيْ الْمَتَاعَ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ أَيْ سِتْرٍ.
رُؤْي أَنَّ عَمَرَ قَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ يَدْخُلُ عَلَيْكَ الْبَرُّ وَالْفَاجِرُ فَلَوْ أَمَرْتُ أَمَهَاتِ الْمُؤْمِنِينَ بِالْحِجَابِ فَنَزَلْتُ. وَقِيلَ: إِنَّهُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ كَانَ يَطْعُمُ وَمَعَهُ بَعْضُ أَصْحَابِهِ فَاصَابَتْ يَدُ رَجُلٍ مِنْهُمْ يَدَ عَانِشَةَ فَكَرَهُ النَّبِيُّ ذَلِكَ فَزَلَّتْ ذَلِكَ أَيْ مَا ذَكَرَ مِنْ عَدَمِ الدُّخُولِ بِغَيْرِ إِذْنٍ وَعَدَمِ الْاسْتِنْسَانِ لِلْحَدِيثِ عِنْدَ الدُّخُولِ وَسُؤَالِ الْمَتَاعِ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ أَطَهَرَ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ أَيْ أَكْثَرَ تَطْهِيراً مِنَ الْخَوَاطِرِ الشَّيْطَانِيَّةِ.

هـ\33\90: 359

يَأْيُهَا الْكَلْبِيُّ بَعْدَ مَا بَيَّنَّ سَوْءَ حَالِ الْمُؤْذِنِ زَجَرًا لَهُمْ عَنِ الْإِيذَاءِ أَمَرَ النَّبِيُّ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ بِأَنْ يَأْمَرَ بَعْضَ الْمَتَادِينَ مِنْهُمْ بِمَا يَدْفَعُ إِيْذَاءَهُمْ فِي الْجُمْلَةِ مِنَ السِّتْرِ وَالتَّمْيِيزِ عَنْ مَوَاقِعِ الْإِيْذَاءِ فَقِيلَ: قُلْ لِأَرْوَجَكَ وَبَيْتَكَ وَنِسَاءَ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِنْ جَلْبِيبِهِنَّ الْجِلْبَابِ ثَوْبٌ أَوْسَعُ مِنَ الْخِمَارِ وَذُوْنَ الرِّدَاءِ تَلْوِيهِ الْمَرَأَةِ عَلَى رَأْسِهَا وَتَبْقَى مِنْهُ مَا تُرْسِلُهُ عَلَى صَدْرِهَا وَقِيلَ: هِيَ الْمُلْحَفَةُ وَكُلُّ مَا يُتَسْتَرُّ بِهِ، أَيْ يَغْطِي بِهَا وَجُوهَهُنَّ وَأَبْدَانَهُنَّ إِذَا بَرَزْنَ لِدَاعِيَةٍ مِنَ الدَّوَاعِي، وَمَنْ لِلتَّبَعِيضِ لَمَّا مَرَّ مَنْ أَنَّ الْمَعْهُودَ التَّلَفُّعُ بِبَعْضِهَا وَإِرْخَاءُ بَعْضِهَا. وَعَنِ السُّدِّيِّ: تَغْطِي إِحْدَى عَيْنَيْهَا وَجَبْهَتَهَا وَالشَّقَّ الْآخَرَ إِلَّا الْعَيْنَ ذَلِكَ أَيْ مَا ذَكَرَ مِنَ التَّغْطِيِ أَذْنَى أَقْرَبُ أَنْ يُعْرَفَنَّ وَيُمَيَّزَنَّ عَنِ الْإِمَاءِ وَالْقَبِيْنَاتِ اللَّاتِي هُنَّ مَوَاقِعُ تَعَرُّضِهِمْ وَإِيْذَانَهُمْ فَلَا يُؤْذِنَنَّ مِنْ جِهَةِ أَهْلِ الرِّبِيَّةِ بِالتَّعَرُّضِ لَهُنَّ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا لِمَا سَلَفَ مِنْهُنَّ مِنَ التَّقْرِيطِ رَحِيماً بِعِبَادِهِ حَيْثُ يُرَاعِي مِنْ مَصَالِحِهِمْ أُمُثَالَ هَاتِيكَ الْجُرْنِيَّاتِ.

هـ\102\24: 431

وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَعْضَضْنَ مَنْ أَنْصَرْنَ فَلَا يَنْظُرْنَ إِلَى مَا لَا يَحِلُّ لَهُنَّ النَّظَرُ إِلَيْهِ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ بِالنَّسْتَرِ أَوْ النَّصُونِ عَنِ الزَّانِ. وَتَقْدِيمُ الْعَضَضِ لِأَنَّ النَّظَرَ بَرِيدُ الزَّانِ وَرَأْدُ الْفَسَادِ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ كَالْخُلِيِّ وَغَيْرِهَا مِمَّا يُتَزَيَّنُ بِهِ وَفِيهِ مِنَ الْمَبَالِغَةِ فِي النَّهْيِ عَنِ إِبْدَاءِ مَوَاضِعِهَا مَا لَا يَخْفَى إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا عِنْدَ مُزَاوَلَةِ الْأُمُورِ الَّتِي لَا بُدَّ مِنْهَا عَادَةً كَالْخَاتَمِ وَالْكَحْلِ وَالْخَضَابِ وَنَحْوِهَا فَإِنَّ فِي سِتْرِهَا حَرَجاً بَيْناً. وَقِيلَ: الْمَرَادُ بِالزَّيْنَةِ مَوَاضِعُهَا عَلَى حَذْفِ الْمِضَافِ أَوْ مَا يَعْمُ الْمَحَاسِنَ الْخَلْقِيَّةَ وَالتَّزْيِينَةَ. وَالمُسْتَنَى هُوَ الْوَجْهُ وَالْكَفَانُ لِأَنَّهَا لَيْسَتْ بِعَوْرَةٍ. وَلَيْضَرَبَنَّ بِخُمُرِهِنَّ عَلَى جُيُوبِهِنَّ إِرْشَاداً إِلَى كَيْفِيَّةِ إِخْفَاءِ بَعْضِ مَوَاضِعِ الزَّيْنَةِ بَعْدَ النَّهْيِ عَنِ إِبْدَائِهَا. وَقَدْ كَانَتْ النِّسَاءُ عَلَى عَادَةِ الْجَاهِلِيَّةِ يَسْدُلْنَ خُمُرَهُنَّ مِنْ خَلْفِهِنَّ فَتَبْدُوْنَ نَحْوَهُنَّ وَقَلَانْدَهُنَّ مِنْ جُيُوبِهِنَّ لَوْ سَعَهَا فَأَمَرْنَ بِإِرْسَالِ خُمُرِهِنَّ إِلَى جُيُوبِهِنَّ سِتْرًا لِمَا يَبْدُو مِنْهَا وَقَدْ ضَمَّنَ الضَّرْبُ مَعْنَى الْإِلْقَاءِ فَغَذِي بَعْلَى. وَفَرَى بِكَسْرِ الْجِيمِ كَمَا تَقَدَّمَ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ كَرَّرَ النَّهْيَ لِاسْتِنْتَاءِ بَعْضِ مَوَادِّ الرُّخْصَةِ عَنْهُ بِاعْتِبَارِ النَّظَرِ بَعْدَ مَا اسْتَنْتَى عَنْهُ بَعْضُ مَوَادِّ الضَّرُورَةِ بِاعْتِبَارِ الْمَنْظُورِ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ فَإِنَّهُمْ الْمَقْصُودُونَ بِالزَّيْنَةِ وَلَهُمْ أَنْ يَنْظُرُوا إِلَى جَمِيعِ بَدَنِهِنَّ حَتَّى الْمَوْضِعَ الْمَعْهُودَ أَوْ أَبَانَهُنَّ أَوْ أَبَاءَ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ أَبْنَاءَهُنَّ أَوْ أَبْنَاءَ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ إِخْوَانَهُنَّ أَوْ بَنِي إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي أَخَوَاتِهِنَّ لِكَثْرَةِ الْمَخَالَطَةِ الضَّرُورِيَّةِ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَهُنَّ وَقَلَّةِ تَوَقُّعِ الْفِتْنَةِ مِنْ قَبْلِهِمْ لِمَا فِي طَبَاعِ الْفَرِيقَيْنِ مِنَ الثَّرَةِ عَنْ مِمَاسَةِ الْقَرَابِ وَلَهُمْ أَنْ يَنْظُرُوا مِنْهُنَّ مَا يَبْدُو عِنْدَ الْمَهْنَةِ وَالْخِدْمَةِ. وَعَدَمُ ذِكْرِ الْأَعْمَامِ وَالْأَخْوَالِ لِمَا أَنَّ الْأَحْوَطَ أَنْ يَتَسْتَرْنَ عَنْهُمْ حَذَاراً مِنْ أَنْ يَصْغُوهُنَّ لِأَبْنَائِهِمْ أَوْ نِسَائِهِنَّ الْمُخْتَصَّاتِ بِهِنَّ بِالصَّحْبَةِ وَالْخِدْمَةِ مِنْ حَرَائِرِ الْمُؤْمِنَاتِ فَإِنَّ الْكُوفَارَ لَا يَتَحَرَّجَنَّ عَنْ وَصْفِهِنَّ لِلرِّجَالِ. أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ أَيْ مِنَ الْإِمَاءِ فَإِنَّ عَبْدَ الْمَرَأَةِ بِمَنْزِلَةِ الْأَجْنَبِيِّ مِنْهَا. وَقِيلَ مِنَ الْإِمَاءِ وَالْعَبِيدِ لِمَا رُوي أَنَّهُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ أَتَى فَاطِمَةَ بَعْدَ وَهَبِ لَهَا وَعَلَيْهَا ثَوْبٌ إِذَا قَعَّتْ بِهِ رَأْسَهَا لَمْ يَبْلُغْ رِجْلَيْهَا وَإِذَا غَطَّتْ

1 <https://goo.gl/7C6zeW>

2 <http://goo.gl/W7r7K4>

3 <http://goo.gl/ZFpUu6>

4 <http://goo.gl/TIIfb5>

رجليها لم يبلغ رأسها فقال عليه الصلّاة والسلام: إنّه ليس عليك بأسٌ إنّما هو أبوك و غلامك أو التّابعين غير أولى الأريّة من الرّجال أي أولى الحاجة إلى النّساء وهم الشّيوخ الهمّ والممسوحون. وفي المحبوب والخصّي خلافت، وقيل هم النّبله الذين يتتبعون النّاس لفضل طعامهم ولا يعرفون شيئاً من أمور النّساء. وقرىء غير بالنّصب على الحاليّة أو الطّفل الذين لم يظهروا على عورت النّساء لعدم تمييزهم. من الظهور بمعنى الاطلاع أو لعدم بلوغهم حدّ الشّهوة، من الظهور بمعنى الغلبة. والطّفل جنسٌ وُضع موضع الجمع اكتفاءً بدلالة الوصف.

ولا يضربن بأرجلهنّ ليُعلم ما يخفين أي ما يخفيه من الرويّة من زينتهنّ أي ولا يضربن بأرجلهنّ الأرض ليتقنع خلخالهنّ فيعلم أنّهنّ ذوات الخلل فإنّ ذلك ممّا يورث الرّجال ميلاً إليهنّ ويوهم أنّ لهنّ ميلاً إليهم. وفي النّهي عن إبداء صوت الخلى بعد النّهي عن إبداء عينها من المبالغة في الرّجر عن إبداء مواضعها ما لا يخفى

فقرات من التفسير

هـ 33\90: 253

53 يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ إِلَّا أَنْ يُؤْذَنَ لَكُمْ إِلَى طَعَامٍ تَدْعُونَ إِلَيْهِ غَيْرَ نَاطِرِينَ إِنَّهُ غَيْرَ مُنْتَظَرِينَ وَقْتَهُ أَوْ ادْرَاكِهِ مِنْ أُنَى الطَّعَامِ إِذَا ادْرَكَ وَلَكِنْ إِذَا دُعِيتُمْ فَادْخُلُوا فَإِذَا طَعِمْتُمْ فَانْتَشِرُوا تَفَرَّقُوا وَلَا تَمَكُّثُوا وَلَا مُسْتَأْنَسِينَ لَحْدِيثٍ إِنَّ ذَلِكَ كَانَ يُؤْذَى النَّبِيُّ لِتَضَيُّقِ الْمَنْزِلِ عَلَيْهِ وَعَلَى أَهْلِهِ وَاشْتَغَالِهِ بِمَا لَا يَعْنيهِ فَيَسْتَحْيِي مِنْكُمْ مِنْ أَخْرَاجِكُمْ وَاللَّهُ لَا يَسْتَحْيِي مَنْ الْحَقِّ فَيَأْمُرُكُمْ بِالْخُرُوجِ وَإِذَا سَلَّمْتُمْهُنَّ مَتَاعًا شَيْئًا يَنْتَفِعُ بِهِ فَاسْتَلُوهُنَّ الْمَتَاعَ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ السُّتْرِ.

القَمِّي لما تَزَوَّجَ رَسُولُ اللَّهِ بِزَيْنَبَ بِنْتِ جَحْشٍ وَكَانَ يَحِبُّهَا فَأَوْلَمَ وَدَعَا أَصْحَابَهُ وَكَانَ أَصْحَابُهُ إِذَا أَكَلُوا يَحْتَبُونَ أَنْ يَتَحَدَّثُوا عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ وَكَانَ يَحِبُّ أَنْ يَخْلُوَ مَعَ زَيْنَبَ فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ إِلَّا أَنْ يُؤْذَنَ لَكُمْ إِلَى قَوْلِهِ مَنْ وَرَاءَ حِجَابٍ وَذَلِكَ أَنَّهُمْ كَانُوا يَدْخُلُونَ بِلَا إِذْنٍ.

هـ 33\90: 359

يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِلزَّوْجِ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ يُذْنِبْنَ عَلَيْهِنَّ مِنْ جَلَابِيبِهِنَّ يَغْطِينَ وَجُوهَهُنَّ وَابْدَانَهُنَّ بِمَلَاحِفِهِنَّ إِذَا بَرَزْنَ لِحَاجَةٍ وَمِنْ اللَّتَعْبِضِ فَإِنَّ الْمَرْأَةَ تَرْخِي بَعْضَ جِلْبَابِهَا وَتَتَلَفَّعُ بِبَعْضِ ذَلِكَ أَدْنَى أَنْ يُعْرِفَنَّ يَمَيِّزْنَ مِنَ الْأَمَاءِ وَالْقَيْنَاتِ فَلَا يُؤْذَنَ فَلَا يُؤْذَنَ أَهْلُ الرِّبَا بِالتَّعَرُّضِ لَهُنَّ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا لِمَا سَلَفَ رَحِيمًا بَعْبَادَهُ حَيْثُ يَرَاعِي مَصَالِحَهُمْ حَتَّى الْجَزَائِثَ مِنْهَا. الْقَمِّي كَانَ سَبَبُ نَزْوِلِهَا أَنَّ النِّسَاءَ كَرَّ يَخْرُجْنَ إِلَى الْمَسْجِدِ وَيَصَلِّينَ خَلْفَ رَسُولِ اللَّهِ إِذَا كَانَ بِاللَّيْلِ وَخَرَجْنَ إِلَى صَلَاةِ الْمَغْرِبِ وَالْعِشَاءِ الْآخِرَةِ وَالْغَدَاةِ يَقْعُدُ الشَّبَابُ لَهُنَّ فِي طَرِيقِهِنَّ فَيُؤْذَنُ لَهُنَّ وَيَتَعَرَّضُونَ لَهُنَّ فَأَنْزَلَ اللَّهُ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ الْآيَةَ.

هـ 102\24: 431

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ الَّتِي تَسْكُنُونَهَا حَتَّى تَسْتَأْذِنُوا تَسْتَأْذِنُوا مِنَ الْاسْتِنْسَانِ بِمَعْنَى الْاسْتِعْلَامِ مِنَ النَّاسِ إِذَا أَبْصَرَهُ فَإِنَّ الْمُسْتَأْذِنَ مُسْتَعْلَمٌ لِلْحَالِ مُسْتَكْشَفٌ هَلْ يَرَادُ دُخُولُهُ أَوْ مِنَ الْاسْتِنْسَانِ الَّذِي هُوَ خِلَافُ الْاسْتِحْشَافِ فَإِنَّ الْمُسْتَأْذِنَ مُسْتَوْحِشٌ خَائِفٌ أَنْ لَا يُؤْذَنَ لَهُ وَتَسَلَّمُوا عَلَى أَهْلِهَا بِأَنْ تَقُولُوا السَّلَامَ عَلَيْكُمْ أَدْخَلُ.

فِي الْمَجْمَعِ عَنِ النَّبِيِّ أَنَّ رَجُلًا اسْتَأْذَنَ عَلَيْهِ فَتَنَحَّنَ فَقَالَ لِمَا رَوْضَةُ قَوْمِي إِلَى هَذَا فَعَلِمِيهِ وَقَوْلِي لَهُ قُلِ السَّلَامَ عَلَيْكُمْ أَدْخَلُ فَسَمِعَهَا الرَّجُلُ فَقَالَ فَقَالَ ادْخُلْ. وَعَنْهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ أَنَّهُ سَلَّمَ مَا الْاسْتِنْسَانُ فَقَالَ يَتَكَلَّمُ الرَّجُلُ بِالتَّسْبِيحَةِ وَالتَّحْمِيدَةِ وَالتَّكْبِيرَةِ وَيَتَنَحَّنُ عَلَى أَهْلِ الْبَيْتِ.

وَفِي الْمَعَانِي وَالْقَمِّي عَنِ الصَّادِقِ عَلَيْهِ السَّلَامُ أَنَّهُ سَلَّمَ عَنْ هَذِهِ الْآيَةِ فَقَالَ الْاسْتِنْسَانُ وَقَعَ النَّعْلُ وَالتَّسْلِيمُ. وَفِي الْكَافِي عَنْهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ يَسْتَأْذِنُ الرَّجُلُ إِذَا دَخَلَ عَلَى أَبِيهِ وَلَا يَسْتَأْذِنُ الْإِبْنُ عَلَى الْإِبْنِ وَيَسْتَأْذِنُ الرَّجُلُ عَلَى ابْنَتِهِ وَاخْتَهُ إِذَا كَانَتْ مَتْرُوجَتَيْنِ.

وَفِي الْمَجْمَعِ أَنَّ رَجُلًا قَالَ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ اسْتَأْذِنَ عَلَى أُمِّي قَالَ نَعَمْ قَالَ أَتَيْتُهَا لَيْسَ لَهَا خَادِمٌ غَيْرِي أَفَاسْتَأْذِنَ عَلَيْهَا كُلَّمَا دَخَلَتْ قَالَ اتَّحَبَّ أَنْ تَرَاهَا عَرِيَانَةً قَالَ الرَّجُلُ لَا قَالَ فَاسْتَأْذِنَ عَلَيْهَا.

وَفِي الْفَقِيهِ عَنْهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ إِنَّمَا الْأَذْنُ عَلَى الْبَيْتِ لَيْسَ عَلَى الدَّارِ إِذْنٌ ذَلِكَ خَيْرٌ لَكُمْ أَيْ الْاسْتِيزَانِ وَالتَّسْلِيمِ خَيْرٌ لَكُمْ مِنْ أَنْ تَدْخُلُوا بَغْتَةً لَعَلَّكُمْ تَذْكَرُونَ قِيلَ لَكُمْ هَذَا أَرَادَ أَنْ تَذْكُرُوا وَتَعْلَمُوا بِمَا هُوَ أَصْلَحُ لَكُمْ.

28 فَإِنْ لَمْ تَجِدُوا فِيهَا أَحَدًا يَأْذَنُ لَكُمْ فَلَا تَدْخُلُوهَا حَتَّى يُؤْذَنَ لَكُمْ وَإِنْ قِيلَ لَكُمْ ارْجِعُوا فَارْجِعُوا وَلَا تَلْحَوْا هُوَ أَرْكَى لَكُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ

¹ <https://goo.gl/hMMGij>

² <http://goo.gl/0rq0hx>

³ <http://goo.gl/kGKpKZ>

⁴ <http://goo.gl/kcBWAH>

29 لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَتَّخِلُوا بُيُوتًا غَيْرَ مَسْكُونَةٍ فِيهَا مَتَاعٌ لَكُمْ كَالِاسْتِكْنَانِ مِنَ الْحَرِّ وَالْبَرْدِ
وإيواء الرجال والجلوس للمعاملة.

القَمِي عن الصادق عليه السلام هي الحمامات والخانات والارحية تدخلها بغير اذن والله يَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا
تَكْتُمُونَ وعيد لمن دخل مدخلًا لفساد او تطلع على عورة.

30 قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ أَيْ مَا يَكُونُ نَحْوَ مُحَرَّمٍ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ أَيْ مِنَ النَّظَرِ الْمُحَرَّمِ ذَلِكَ
أَرْكَى لَهُمْ أَطْهَرَ لِمَا فِيهِ مِنَ الْبَعْدِ عَنِ الرِّبَا إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ

31 وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ.
القَمِي عن الصادق عليه السلام كُلَّ آيَةٍ فِي الْقُرْآنِ فِي ذِكْرِ الْفُرُوجِ فَهِيَ مِنَ الزَّانَا إِلَّا هَذِهِ الْآيَةُ فَإِنَّهَا مِنَ النَّظَرِ
فَلَا يَحِلُّ لِرَجُلٍ مُؤْمِنٍ أَنْ يَنْظُرَ إِلَى فَرْجِ أَخِيهِ وَلَا يَحِلُّ لِلْمَرْأَةِ أَنْ تَنْظُرَ إِلَى فَرْجِ اخْتِهَا.

وفي الكافي عنه عليه السلام في حديث يذكر فيه فرض الايمان على الجوارح وفرض على البصر ان لا
ينظر الى ما حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْ يَعْرِضَ عَمَّا نَهَى اللَّهُ عَنْهُ مِمَّا لَا يَحِلُّ لَهُ وَهُوَ مِنَ الْإِيمَانِ فَقَالَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى
قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ فَتَهَاكُمُ عَنْ أَنْ يَنْظُرُوا إِلَى عَوْرَاتِهِمْ وَأَنْ يَنْظُرَ الْمَرْءُ
إِلَى فَرْجِ أَخِيهِ وَيَحْفَظَ فَرْجَهُ أَنْ يَنْظُرَ إِلَيْهِ وَقَالَ وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ
مَنْ أَنْ تَنْظُرَ أَحَدَهُنَّ إِلَى فَرْجِ اخْتِهَا وَتَحْفَظَ فَرْجَهَا مِنْ أَنْ يَنْظُرَ إِلَيْهَا وَقَالَ كُلُّ شَيْءٍ فِي الْقُرْآنِ مِنْ حِفْظِ
الْفَرْجِ فَهُوَ مِنَ الزَّانَا إِلَّا هَذِهِ الْآيَةُ فَاتَّهَا مِنَ النَّظَرِ.

عن الباقر عليه السلام قال استقبل شاب من الانصار امرأة بالمدينة وكانت النساء يتقنعن خلف آذانهن فنظر
اليها وهي مقبلة فلما جازت نظر اليها ودخل في زقاق قد سَمَاهُ لِبْنِي فَلَانِ فَجَعَلَ يَنْظُرُ خَلْفَهَا وَاعْتَرَضَ وَجْهَهُ
عَظْمٌ فِي الْحَانِطِ أَوْ زَجَاجَةٌ فَشَقَّ وَجْهَهُ فَلَمَّا مَضَتْ الْمَرْأَةُ نَظَرَ فَإِذَا الدَّمَاءُ تَسِيلُ عَلَى ثَوْبِهِ وَصَدْرُهُ فَقَالَ وَاللَّهِ
لَأَتَيْنَ رَسُولَ اللَّهِ وَلَاخْبَرْتُهُ قَالَ فَاتَّهَا فَلَمَّا رَأَى رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ قَالَ لَهُ مَا هَذَا فَاخْبِرْهُ فَهَبَطَ جَبْرِئِيلُ
بِهَذِهِ الْآيَةِ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا

في الكافي عن الصادق عليه السلام في قوله تعالى الْآ مَا ظَهَرَ مِنْهَا قَالَ الزينة الظاهرة الكحل والخاتم وفي
رواية الختم والمسكة وهي القلب.

أقول: القلب بالضم السوار.
في الجوامع عنهم عليهم السلام الكَفَانُ وَالْإِصْبَاعُ.

والقَمِي عن الباقر عليه السلام في هذه الآية قال هي الثياب والكحل والخاتم وخضاب الكف والسوار والزينة
ثلاث زينة للناس وزينة للمحرم وزينة للزوج فأما زينة الناس فقد ذكرناها وأما زينة المحرم فموضع القلادة
فما فوقها والتملج وما دونه والخلخال وما أسفل منه وأما زينة الزوج فالجسد كله.

وفي المجمع عن النبي قال للزوج ما تحت الدرع وللابن والاخ ما فوق الدرع ولغير ذي محرم اربعة اثواب
درع وخمار وجلباب وازار.

وفي الكافي عن الصادق عليه السلام انه سئل ما يحل للرجل ان يرى من المرأة اذا لم يكن محرماً قال الوجه
والكفان والقدمان وعنه عليه السلام لا بأس بالنظر الى رؤوس اهل تهامة والأعراب واهل السواد والعلوج
لأنهم اذا نهوا لا ينتهون قال والمجنونة والمغلوب على عقلها ولا بأس بالنظر الى شعرها وجسدها ما لم
يتعمد ذلك.

وعنه عليه السلام قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله لا حرمة لنساء اهل الذمة ان ينظر الى شعورهن
وايديهن وعنه عليه السلام انه سئل عن الرجل يريد ان يتزوج المرأة يتأملها وينظر الى خلفها والى وجهها
قال لا بأس وفي رواية لا بأس ان ينظر الى وجهها ومعاصمها اذا اراد ان يتزوجها.

أقول: المعصم كمنبر بكسر الميم موضع السوار وفي رواية اخرى ينظر الى شعرها ومحاسنها اذا لم يكن
متلذذاً وفي اخرى انما يشتريها بأعلى الثمن.

وفي الخصال قال النبي لأمير المؤمنين عليه السلام يا علي أَوَّلُ نَظَرَةٍ لَكَ وَالثَّانِيَةِ عَلَيْكَ لَا لَكَ وَفِي رِوَايَةٍ
لَكُمْ أَوَّلُ نَظَرٍ مِنَ الْمَرْأَةِ فَلَا تَسْجُبُوهَا بِنَظَرَةٍ أُخْرَى وَاحْذَرُوا الْفِتْنَةَ وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمْرِهِنَّ عَلَى جُيُوبِهِنَّ سِتْرًا
لَا عِاقِبَةَ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ كَرَّرَهُ لِبَيَانِ مَنْ يَحِلُّ لَهُ الْإِبْدَاءُ وَمَنْ لَا يَحِلُّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ فَإِنَّهُنَّ الْمَقْصُودُونَ بِالزَّيْنَةِ
وَلَهُمْ أَنْ يَنْظُرُوا إِلَى جَمِيعِ جَسَدِهِنَّ كَمَا مَرَّ أَوْ أَبَانَهُنَّ أَوْ أَبَاءَهُنَّ أَوْ أَبْنَاءَهُنَّ أَوْ أَبْنَاءَهُنَّ أَوْ إِخْوَانَهُنَّ
أَوْ بَنِي إِخْوَانَهُنَّ أَوْ بَنِي أَخَوَاتِهِنَّ قَدْ سَبَقَ مَا لَهُمْ أَنْ يَنْظُرُوا إِلَيْهِ مِنْهَا.

وفي الكافي عن الصادق عليه السلام انه سئل عن الذراعين من المرأة هما من الزينة التي قال الله تعالى ولا يُدِينُ زِينَتُهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ قال نعم وما دون الخمار من الزينة وما دون السوارين أو نسانهن يعني النساء المؤمنات.

وفي الكافي والفقهاء عن الصادق عليه السلام قال لا ينبغي للمرأة ان تنكشف بين اليهودية والنصرانية فأنهن يصفن ذلك لأزواجهن أو ما مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ يعني العبيد والأماء كذا.

في المجمع عن الصادق عليه السلام وفي الكافي عنه عليه السلام في هذه الآية قال لا بأس ان يرى المملوك الشعر والساق وفي رواية شعر مولاته وساقها وفي أخرى لا بأس ان ينظر الى شعرها اذا كان مأموماً. وعنه عليه السلام لا يحل للمرأة ان ينظر عبدها الى شيء من جسدها الا الى شعرها غير متعمد لذلك أو التابعين غير أولي الإربة اي اولي الحاجة الى النساء والاربة العقل وجودة الرأي وقرء غير بالنصب من الرجال.

القمتي هو الشيخ الفاني الذي لا حاجة له الى النساء.

وفي الكافي عن الباقر عليه السلام قال هو الاحمق الذي لا يأتي النساء وعن الصادق عليه السلام الاحمق المولى عليه الذي لا يأتي النساء.

وفي المجمع عنه عليه السلام ان التابع الذي يتبعك لينال من طعامك ولا حاجة له في النساء وهو الابله المولى عليه.

وفي الكافي عن الكاظم عليه السلام انه سئل عن الرجل يكون له الخصي يدخل على نسائه فيناولهن الوضوء فيرى شعورهن قال لا أو الطفل الذين لم يظهروا على عورات النساء لعدم تميزهم من الظهور بمعنى الاطلاع او لعدم بلوغهم حد الشهوة من الظهور بمعنى الغلبة ولا يضربن بأرجلهن ليعلن ما يخفين من زينتهن ليتحقق خلخالها فيعلم انها ذات خلخال فان ذلك يورث ميلاً في الرجال وتوابعاً الى الله جميعاً اي المؤمنون اذ لا يكاد يخلوا احد منكم من تفريط سيما في الكفت عن الشهوات وقرء آية بضم الهاء لعلكم تفلحون بسعادة الدارين.

فقرات من التفسير

هـ/33\90: 253

قوله تعالى:

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ إِلَّا أَنْ يُؤْذَنَ لَكُمْ إِلَى طَعَامٍ غَيْرَ نَاطِرٍ إِنَاءُ - إلى قوله تعالى- من وراء حجاب 53 /8681- 1- علي بن إبراهيم، قال: لما تزوج رسول الله صلى الله عليه وآله زينب بنت جحش، وكان يحبها، فأولم، ودعا أصحابه، فكان أصحابه إذا أكلوا يحبون أن يتحدثوا عند رسول الله صلى الله عليه وآله، وكان يحب أن يخلو مع زينب، فأنزل الله: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ إِلَّا أَنْ يُؤْذَنَ لَكُمْ إِلَى طَعَامٍ ذَلِكَ أَنَّهُمْ كَانُوا يَدْخُلُونَ بِلَا إِذْنٍ إِلَى قَوْلِهِ مِنْ وَرَاءَ حِجَابٍ.

هـ/33\90: 359

قوله تعالى:

يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لَأَزْوَاجِكَ - إلى قوله تعالى- ثُمَّ لَا يُجَاوِرُونَكَ فِيهَا إِلَّا قَلِيلًا 59- 60 /8723- 1- علي بن إبراهيم: وأما قوله: يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لَأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاءَ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِنْ جَلَابِيبِهِنَّ كَانَ سَبَبُ نَزُولِهَا: أَنَّ النِّسَاءَ كُنَّ يَخْرُجْنَ إِلَى الْمَسْجِدِ، وَيَصْلِينَ خَلْفَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ، فَإِذَا كَانَ اللَّيْلُ خَرَجْنَ إِلَى صَلَاةِ الْمَغْرِبِ، وَالْعِشَاءِ الْآخِرَةِ، وَالْغَدَاةِ، يَقْعِدُ الشَّبَابُ لِهِنَّ فِي طَرِيقِهِنَّ فَيُؤْذِنُهُنَّ، وَيَتَعَرَّضُونَ لِهِنَّ، فَنَزَلَ اللَّهُ: يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لَأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاءَ الْمُؤْمِنِينَ إِلَى قَوْلِهِ: ذَلِكَ أَذْنَى أَنْ يُعَرَّضْنَ فَلَا يُؤْذِنَنَّ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا.

هـ/102\24: 431

4- 7591/ محمد بن يعقوب: عن محمد بن يحيى، عن أحمد بن محمد، عن علي بن الحكم، عن سيف بن عميرة، عن سعد الإسكاف، عن أبي جعفر عليه السلام، قال: استقبل شاب من الأنصار امرأة بالمدينة، وكان النساء يتقنعن خلف آذانهم، فنظر إليها وهي مقبلة، فلما جازت نظر إليها، ودخل في زقاق قد سماه ببني فلان، فجعل ينظر خلفها، واعترض وجهه عظم في الحائط، أو زجاجة، فشق وجهه، فلما مضت المرأة، نظر فإذا الدماء تسيل على صدره وثوبه، فقال: والله لأتتين رسول الله صلى الله عليه وآله، ولأخبرنه. قال: فأتاه، فلما رآه رسول الله صلى الله عليه وآله، قال له: ما هذا؟ فأخبره، فهبط جبرئيل عليه السلام بهذه الآية: قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَلِكَ أَزْكَى لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ.

2- 7592/ وعنه: عن علي بن إبراهيم، عن أبيه، عن بكر بن صالح، عن القاسم بن بريد، قال: حدثنا أبو عمرو الزبيري، عن أبي عبد الله عليه السلام- في حديث- قال: وفرض الله على البصر أن لا ينظر إلى ما حرم الله عليه، وأن يعرض عما نهى الله عنه مما لا يحل له، وهو عمله، وهو من الإيمان، قال الله تبارك وتعالى: قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ فَتَنَاهُمْ أَنْ يَنْظُرُوا إِلَى عَوْرَاتِهِمْ، وَأَنْ يَنْظُرَ الْمَرْءَ إِلَى فَرْجِ أَخِيهِ، وَيَحْفَظَ فَرْجَهُ أَنْ يَنْظُرَ إِلَيْهِ، وَقَالَ: وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ مَنْ أَنْ تَنْتَظِرَ إِحْدَاهُنَّ إِلَى فَرْجِ أُخْتِهَا، وَتَحْفَظَ فَرْجَهَا مَنْ أَنْ يَنْظُرَ إِلَيْهَا- وقال- كل شيء في القرآن من حفظ الفرج فهو من الزنا، إلا هذه الآية، فإنها من النظر.

3- 7593/ وعنه: عن عدة من أصحابنا، عن أحمد بن محمد بن عيسى، عن ابن محبوب، عن جميل بن دراج، عن الفضيل بن يسار، قال سألت أبا عبد الله عليه السلام عن الذرايع من المرأة، أهما من الزينة التي قال الله تبارك وتعالى: وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ؟ قال: نعم، وما دون الخمار من الزينة، وما دون السوارين.

¹ <http://goo.gl/6nHcOi>

² <http://goo.gl/9p5NNo>

³ <http://goo.gl/U7iqVL>

⁴ <http://goo.gl/eV8U8l>

7594/ 4- وعنه: عن محمد بن يحيى، عن أحمد بن محمد بن عيسى، عن مروك بن عبيد، عن بعض أصحابنا، عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: قلت له: ما يحل للرجل أن يرى من المرأة إذا لم يكن محرماً؟ قال: الوجه، والقدمان، والكفان.

5- 7595/ وعنه: عن محمد بن يحيى، عن أحمد بن محمد بن عيسى، عن محمد بن خالد، والحسين بن سعيد، عن القاسم بن عروة، عن عبد الله بن بكير، عن زرارة، عن أبي عبد الله عليه السلام، في قول الله تبارك وتعالى: إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا، قال: الزينة الظاهرة: الكحل، والخاتم.

6- 7596/ وعنه: عن الحسين بن محمد، عن أحمد بن إسحاق، عن سعدان بن مسلم، عن أبي بصير، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: سألته عن قول الله عز وجل: وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا، قال: الخاتم، والمسكة: وهي القلب.

7- 7597/ علي بن إبراهيم، قال: حدثني أبي، عن محمد بن أبي عمير، عن أبي بصير، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: كل آية في القرآن في ذكر الفرج فهي من الزنا، إلا هذه الآية فإنها من النظر، فلا يحل للرجل المؤمن أن ينظر إلى فرج أخيه، ولا يحل للمرأة أن تنظر إلى فرج أختها.

8- 7598/ وقال علي بن إبراهيم: وفي رواية أبي الجارود، عن أبي جعفر عليه السلام، في قوله: وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا قال: هي الثياب، والكحل، والخاتم، وخضاب الكف، والسوار والزينة ثلاثة: زينة للناس، وزينة للمحرم، وزينة للزوج فأما زينة الناس، فقد ذكرناه، وأما زينة المحرم: فموضع القلادة فما فوقها، والدمالج وما دونه، والخلخال وما أسفل منه، وأما زينة الزوج: فالجسد كله.

قوله تعالى: أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ أَوْ التَّابِعِينَ غَيْرَ أُولِي الْإِرْبَةِ مِنَ الرِّجَالِ 31

7599/ 1- محمد بن يعقوب: عن عدة من أصحابنا، عن أحمد بن محمد، عن محمد بن إسماعيل، عن إبراهيم بن أبي البلاد، ويحيى بن إبراهيم، عن أبيه إبراهيم، عن معاوية بن عمار، قال: كنا عند أبي عبد الله عليه السلام نحو من ثلاثين رجلاً، إذ دخل عليه أبي، فرحب به أبو عبد الله عليه السلام، وأجلسه إلى جنبه، فأقبل عليه طويلاً، ثم قال أبو عبد الله عليه السلام: إن لأبي معاوية حاجة، فلو خففتم. فقمنا جميعاً، فقال لي أبي: ارجع يا معاوية، فرجعت، فقال أبو عبد الله عليه السلام: هذا ابنك؟

فقال: نعم، وهو يزعم أن أهل المدينة يصنعون شيئاً لا يحل لهم. قال: وما هو؟ قلت: إن المرأة القرشية والهاشمية تركب، وتضع يدها على رأس الأسود، وذراعيها على عنقه. فقال أبو عبد الله عليه السلام: يا بني، أما تقرأ القرآن؟ قلت: بلى. قال: اقرأ هذه الآية: لَا جُنَاحَ عَلَيْهِنَّ فِي آبَائِهِنَّ وَلَا أَبْنَائِهِنَّ - حتى بلغ - وَلَا مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ - ثم قال - يا بني، لا بأس أن يرى المملوك الشعر والساق.

وهذه الآية تأتي - إن شاء الله تعالى - في سورة الأحزاب.

2- 7600/ وعنه: عن علي بن إبراهيم، عن أبيه، ومحمد بن إسماعيل، عن الفضل بن شاذان، عن ابن أبي عمير، عن معاوية بن عمار، قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: المملوك يرى شعر مولاته وساقها، قال: لا بأس.

3- 7601/ وعنه: عن محمد بن يحيى، عن أحمد بن محمد، عن ابن محبوب، عن يونس بن عمار ويونس ابن يعقوب، جميعاً، عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: لا يحل للمرأة أن ينظر عبداً إلى شيء من جسدها، إلا إلى شعرها غير متعمد لذلك.

وفي رواية أخرى: لا بأس أن ينظر إلى شعرها، إذا كان مأموناً.

4- 7602/ وعنه: عن محمد بن يحيى، عن عبد الله، وأحمد ابني محمد، عن علي بن الحكم، عن أبان بن عثمان، عن عبد الرحمن بن أبي عبد الله، قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام عن المملوك يرى شعر مولاته، قال: لا بأس.

5- 7603/ وعنه: عن محمد بن إسماعيل، عن الفضل بن شاذان، وأبي علي الأشعري، عن محمد بن عبد الجبار، عن صفوان بن يحيى، عن ابن مسكان، عن زرارة، قال: سألت أبا جعفر عليه السلام عن قول الله عز وجل: أَوْ التَّابِعِينَ غَيْرَ أُولِي الْإِرْبَةِ مِنَ الرِّجَالِ إِلَى آخِرِ الْآيَةِ، قال: الأحق الذي لا يأتي النساء.

6- 7604/ وعنه: عن حميد بن زياد، عن الحسن بن محمد، عن غير واحد، عن أبان بن عثمان، عن عبد الرحمن بن أبي عبد الله، قال: سألت عن أولي الإربة من الرجال، قال: الأحق المولى عليه، الذي لا يأتي النساء.

7- 7605/ وعنه: عن الحسين بن محمد، عن المعلى بن محمد، وعلي بن إبراهيم، عن أبيه، جميعاً، عن جعفر بن محمد الأشعري، عن عبد الله بن ميمون القداح، عن أبي عبد الله، عن أبيه، عن آبائه عليهم السلام،

قال: كان بالمدينة رجلان: يسمى أحدهما هيت، والآخر مانع، فقالا لرجل، ورسول الله صلى الله عليه وآله يسمع: إذا افتتحتم الطائف إن شاء الله- فعليك بابنة غيلان الثقفية، فإنها شموع، نجلاء، مبتلة، هيفاء، شنباء، إذا جلست تنثنت، وإذا تكلمت تغنت، تقبل بأربع، وتدبر بثمان، بين رجلها مثل القدح. فقال النبي صلى الله عليه وآله: لا أراكما من أولي الإربة من الرجال. فأمر بهما رسول الله صلى الله عليه وآله، فعزب بهما إلى مكان يقال له العرايا، وكانا يتسوقان في كل جمعة.

8- 7606/ الشيخ في التهذيب: بإسناده عن السندي، عن صفوان بن يحيى، عن ابن مسكان، عن زرارة، عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: سألته عن أولي الإربة من الرجال، قال: هو الأحمق الذي لا يأتي النساء. 9- 7607/ ابن بابويه: عن أبيه، قال: حدثنا سعد بن عبد الله، عن يعقوب بن يزيد، عن صفوان بن يحيى، عن عبد الله بن مسكان، عن زرارة، قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام عن قول الله عز وجل: أو التَّابِعِينَ غَيْرَ أُولِي الإِزْبَةِ مِنَ الرِّجَالِ إِلَى آخِرِ الآيَةِ، فقال: الأحمق الذي لا يأتي النساء.

10- 7608/ وعنه، قال: حدثنا محمد بن الحسن بن أحمد بن الوليد رحمه الله، قال: حدثنا محمد بن الحسن الصفار، عن أحمد بن محمد، عن الحسن بن علي الوشاء، عن علي بن أبي حمزة، عن أبي بصير، قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام عن التابعين غير أولي الإربة من الرجال، قال: هو الأبله المولى عليه، الذي لا يأتي النساء.

11- 7609/ علي بن إبراهيم، قال: هو الشيخ الكبير الفاني، الذي لا حاجة له في النساء، والطفل الذي لم يظهر على عورات النساء.

قوله تعالى: وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ من زِينَتِهِنَّ 31 / 7610 1- علي بن إبراهيم، قال: ولا تضرب إحدى رجلها بالأخرى، لتعرق الخلخال بالخلخال.

ومن الله التوفيق للأداب الحسنة والافعال المستحسنة واذا سألتموهن متاعا الماعون وغيره فاسألوهن أي المتاع من وراء حجاب من خلف ستر: وبالفارسية ازبس برده ويقال خارج الباب ذلكم أي سؤال المتاع من وراء الحجاب اطهر لقلوبكم وقلوبهن أي اكثر تطهيرا من الخواطر النفسانية والخيالات الشيطانية فان كل واحد من الرجل والمرأة اذا لم ير الآخر لم يقع في قلبه شيء.

قال في كشف الاسرار نقلهم عن مألوف العادة الى معروف الشريعة ومفروض العبادة وبين ان البشر بشر وان كانوا من الصحابة وازواج النبي عليه السلام فلا يأمن احد على نفسه من الرجال والنساء ولهذا شدد الامر في الشريعة بان لا يخلو رجل بامرأة ليس بينهما محرمة كما قال عليه السلام لا يخلون رجل بامرأة فان ثالثهما الشيطان

وكان عمر رضى الله عنه يحب ضرب الحجاب عليهن محبة شديدة وكان يذكره كثيرا ويود ان ينزل فيه وكان يقول لو اطاع فيكن ما أرتكن عين وقال يا رسول الله يدخل عليك البر والفاجر فلو امرت امهات المؤمنين بالحجاب فنزلت - روى - انه مر عليهن وهن مع النساء في المسجد فقال احتجبن فان لكن على النساء فضلا كما ان لزوجكن على الرجال الفضل فقالت زينب انك يا ابن الخطاب لتغار علينا والوحي ينزل في بيوتنا: يعنى اكر مراد الله بود خود فرمايد وحاجت بغيرت تو نباشد تاديرين حديث بودند بروفق قول عمر رضى الله عنه آيت حجاب فرود آمد واذا سألتموهن الخ.

وعن عائشة رضى الله عنها ان ازواج النبي عليه السلام كن يخرجن الليل لحاجتهن وكان عمر يقول للنبي احجب نساءك فلم يكن يفعل فخرجت سودة بنت زمعة ليلة من الليالي عشيا وكانت امرأة طويلة فناداها عمر ألا قد عرفناك يا سودة حرصا على ان تنزل آية الحجاب فانزلها الله تعالى وكانت النساء قبل نزول هذه الآية يبرزن للرجال وبعد از نزولش حكم شد تاهمه زنان برده فروكداشتند ولم يكن لاحد ان ينظر الى امرأة من نساء رسول الله متتعبة كانت او غير متتعبة: يعنى بعد از نزول آيت حجاب هيچ كس را روا نبود كه درزنى از زنان رسول نكر ستند اكر در نقاب بودى يابى نقاب واستدل بعض العلماء باخذ الناس عن ازواج النبي عليه السلام من وراء الحجاب على جواز شهادة الاعمى اذا تيقن الصوت وهو مذهب مالك واحمد ولم يجزها ابو حنيفة سواء كانت فيما يسمع او لا خلافا لأبى يوسف فيما اذا تحملها بصيرا فان العلم حصل له بالنظر وقت الحمل وهو العيان فادأه صحيح اذ لا خلل في لسانه وتعريف المشهود عليه يحصل بذكر نسبه ولا يي حنيفة انه يحتاج في ادائها الى التمييز بين الخصمين وهو لا يفرق بينهما الا بالنعمة وهى لا تعتبر لانها تشبه نعمة اخرى ويخاف عليه التلقين من الخصم والمعرفة بذكر النسب لا تكفى لأنه ربما يشاركه غيره في الاسم والنسب وهذا الخلاف في الدين والعقار لا في المنقول لان شهادة لا تقبل فيه اتفاقا لأنه يحتاج الى الاشارة والدين يعرف ببيان الجنس والوصف والعقار بالتحديد وكذا قال الشافعي تجوز شهادة الاعمى فيما رآه قبل ذهاب بصره او يقر في اذنه فيتعلق به حتى يشهد عند قاض به

يا أيها النبي قل لأزواجك أي نساءك وكانت تسعا حين توفي عليه السلام وهن عائشة وحفصة وام حبيبة وام سلمة وسودة وزينب وميمونة وصفية وجويرية وقد سبق تفصيلهن نسبا ووصافا واحوالا وبناتك وكانت ثمانى اربعا صلبية ولدتها خديجة وهى زينب ورقية وام كلثوم وفاطمة رضى الله عنهن متن في حياته عليه السلام الا فاطمة فانها عاشت بعده ستة اشهر. واربع رباب ولدتها ام سلمة وهى برة وسلمة وعمرة ودره رضى الله عنهن ونساء المؤمنين في المدينة يدنين عليهن من جلابيبهن مقول القول والادناء. نزيدك كردن من الدنو وهو القرب. والجلباب ثوب اوسع من الخمار دون الرداء تلويه المرأة على رأسها وتبقى منه ما

¹ <http://goo.gl/9rEz3v>

² <http://goo.gl/xp9wUH>

³ <http://goo.gl/8LYTMo>

ترسله الى صدرها بالفارسية جار ومن للتبويض لان المرأة ترخي بعض جلبابها وتتلفع ببعض والتلفع: جامه بسر تاباي دركرفتن والمعنى يغطي بها وجوههن وابدانهن وقت خروجهن من بيوتهن لحاجة ولا يخرجن مكشوفات الوجوه والابدان كالاماء حتى لا يتعرض لهن السفهاء ظنا بانهن اماء. وعن السدى تغطي احدى عينيها وشق وجهها والشق الآخر الا العين ذلك أي ما ذكر من التغطي ادنى اقرب ان يعرفن ويميزن من الاماء والقينات اللاتي هن مواقع تعرض الزناة واذا هم كما ذكر في الآية السابقة فلا يؤذين من جهة اهل الفجور بالتعرض لهن.

قال انس رضى الله عنه مرت لعمر بن الخطاب جارية متقنعة فعلاها بالدرة وقال يا لكاع تشبهين بالحرائر القى القناع وكان الله غفورا لما سلف من التفريط وترك الستر رحيماء بعباده حيث يراعى مصالحهم حتى يراعى مصالحهم حتى الجزنيات منها.

وفى الآية تنبيه لهن على حفظ انفسهن ورعاية حقوقهن بالتصاؤون والتعفف. وفيه اثبات زينتهن وعزة قدرهن ذلك التنبيه ادنى ان يعرفن ان لهن قدرا ومنزلة وعزة في الحضرة فلا يؤذين بالاطماع الفاسدة والاقوال الكاذبة وكان الله غفورا لهن بامتثال الاوامر رحيماء بهن باعلاء درجاتهن كما في التاويلات النجمية. واعلم انه فهم من الآية شيان.

الاول ان نساء ذلك الزمان كن لا يخرجن لقضاء حوائجن الا ليلا تسترا وتعففا واذا خرجن نهارا لضرورة يبالغن في التغطي ورعاية الادب والوقار وغض البصر عن الرجال الاخيار والاشرار ولا يخرجن الا في ثياب دنيئة فمن خرجت من بيتها متعطرة متبرجة أي مظهره زينتها ومحاسنها للرجال فان عليها ما على الزانية من الوزر: قال الشيخ سعدى قدس سره

جوزن راه بازار كيرد بزَن وكرنه تودر خانه بنشين جوزن

زبيكانكان چشم زن كورباد جو بيرون شداز خانه در كورباد

وعلاصة المرأة الصالحة عند اهل التحقيق ان يكون حسننها مخافة الله وغناها القناعة وحليها العفة أي التكفف عن الشرور والمفاسد والاجتناب عن مواقع التهم.

يقال ان المرأة مثل الحمامة اذا نبت لها جناح طارت كذلك الرجل اذا زين امراته بالثياب الفاخرة فلا تجلس في البيت

جو بينی که زن بای برجای نیست ثبات از خردمندی وراى نیست

کریز از کفش در دهان نهنگ که مردن به از زند کائی به ننگ

قال الجامی

جومر داز زن بخوش خوبی کشدبار زخوش خویی ببديویی کشد کار

مكن برکار زن جند ان صبورى که افتد رخنه در رسد غيورى

قيل لا خير في بنات الكفرة وقد يؤذى عليهن في الاسواق وتمر عليهن أيدي الفساق يعنى انها في الابتذال بحيث لا يميل اليها اكثر الرجال والغالب عليها النظر الى الاجانب والميل الى كل جانب فأين نساء الزمان من رابعة العدوية رحمها الله فانها مرضت مرة مرضا شديدا فسلت عن سببه فقالت نظرت الى الجنة فأدبني ربي وعاتبني فأخذني المرض من ذلك العتاب فاذا كان الناظر الى الجنة في معرض الخطاب والعتاب لكونها ما دون الله تعالى مع كونها دار كرامته وتجليه فما ظنك بالناظر الى الدنيا وحطامها ورجالها ونسائها. والثاني ان الدنيا لم تخل عن الفسق والفجور حتى في الصدر الاول فرحم الله امرأ غص بصره عن اجنبية فان النظرة تزرع في القلب شهوة وكفى بها فتنة.

قال ابن سيرين رحمه الله انى لأرى المرأة في منامي فاعلم انها لا تحل لي فاصرف بصرى فيجب ان لا يقرب امرأة ذات عطر وطيب ولا يمس يدها ولا يكلمها ولا يمازحها ولا يلاطفها ولا يخلو بها فان الشيطان يهيج شهوته ويوقعه في الفاحشة وفى الحديث من فاكه امرأة لم تحل له ولا يملكها حبس بكل كلمة الف عام في النار ومن التزم امرأة حراما أي اعتنقها قرن مع الشيطان في سلسلة ثم يؤمر به الى النار والعياذ بالله من دار البوار

هـ\102\24: 131

وقل للمؤمنات يغضضن من ابصارهن فلا ينظرن الى ما لا يحل لهن النظر اليه من الرجل وهى العورة عند ابي حنيفة واحمد وعند مالك ماعدا الوجه والاطراف والاصح من مذهب الشافعي انها لا تنتظر اليه كما لا

ينظر هو إليها ويحفظن فروجهن بالتصون عن الزنى او بالتستر ولا خلاف بين الائمة في وجوب ستر العورة عن اعين الناس، واحتلفوا في العورة ما هي فقال ابو حنيفة عورة الرجل ما تحت سترته الى ركبته والركبة عورة، وفي نصاب الاحتساب من لم يستر الركبة ينكر عليه برفق لان في كونها عورة اختلافا مشهورا ومن لم يستر الفخذ يعنف عليه ولا يضرب لان في كونها عورة خلاف بعض اهل الحديث ومن لم يستر السوء يؤدب اذ لاخلاف في كونها عورة عن كراهية الهداية انتهى ومثل الرجل الامة وبالأولى بطنها وظهرها لأنه موضع مشتهى والمكاتبه وام الولد والمديرة كالامة وجميع الحرة عورة الا وجهها وكفيها والصحيح عنده ان قدميها عورة خارج الصلاة لا في الصلاة وقال مالك عورة الرجل فرجاء وفخذه والامة مثله وكذا المديرة والمعتقة الى اجل والحرة كلها عورة الا وجهها ويديها ويستحب عنده لام الولد ان تستر من جسدها ما يجب على الحرة ستره والمكاتبه مثلها وقال الشافعي واحمد عورة الرجل ما بين السرة والركبة وليست الركبة من العورة وكذا الامة والمكاتبه وام الولد والمديرة والمعق بعضها والحرة كلها عورة سوى الوجه والكفين عند الشافعي وعند احمد سوى الوجه فقط على الصحيح واما سرة الرجل فليست من العورة بالاتفاق كذا في فتح الرحمن وتقديم الغض لان النظر يريد الزنى ورائد الفساد يعنى ان الله تعالى قرن النهي عن النظر الى المحارم بذكر حفظ الفرج تنبيها على عظم خطر النظر فانه يدعو الى الاقدام على الفعل وفى الحديث النظر سهم من سهام ابليس قيل من ارسل طرفه اقتنص حنقه: وفى المتنوى

كرزناى چشم حظى مى برى

نى كباب از بهلوى خود مى خورى

عشقت افزون مى شود صبرتوكم

ابن نظر از دور جون تيرست وسم

ولا يبدین زينتهن فضلا عن ابداء مواقعها يقال بدا الشيء بدوا وبدوا أي ظهر ظهورا بينا وابدأ أي اظهر الا ما ظهر منها مكر آنجه ظاهر شود ازان زينت بوقت ساختن كارها جون خاتم واطراف ثياب وكحل در عين وخضاب در كف فان في سترها حرجا بينا، قال ابن الشيخ الزينة ما تزينت به المرأة من حلى او كحل او ثوب او صيغ فما كان منها ظاهرا كالخاتم والفتحة وهى مالا فص فيه من الخاتم والكحل والصيغ فلا بأس بإبدائه للأجانب بشرط الامن من الشهوة وما خفى منها كالسوار والدملج وهى خلقه تحملها المرأة على عضدها والوشاح والقرط فلا يحل لها ابدائها الا للمذكورات فيما بعد بقوله الا لبعولتهن الآية.

وفى التأويلات النجمية يشير الى كتمان ما زين الله به سرانهم من صفاء الاحوال وزكاء الاعمال فانه بالإظهار ينقلب الزين شيئا الا ما ظهر منها وارد حق او يظهر على احد منهم نوع كرامة بلا تعمله وتكلفة فذلك مستثنى لانه غير مواخذ بما لم يكن يتصرفه وتكلفه انتهى، قال في حقائق البقلى فيه استشهاد على انه لا يجوز للعارفين ان يبدوا زينة حقائق معرفتهم وما يكشف الله لهم من عالم الملكوت وانوار الذات والصفات ولا المواجيد الا ما ظهر منها بالغلطات من الشبهات والزعقات والاصفرار والاحمرار وما يجرى على استنهم بغير اختيارهم من كلمات السطح والاشارات المشاكلة وهذه الاحوال اشرف زينة للعارفين، قال بعضهم ازين ما تزين به العبد الطاعة فاذا اظهرها فقد ذهبت زينتها، وقال بعضهم الحكمة في هذه الآية لأهل المعرفة انه من اظهر شيئا من افعاله الا ما ظهر عليه من غير قصد له فيه سقط به عن رؤية الحق لان من وقع عليه رؤية الخلق ساقط عن رؤية الحق: قال الشيخ سعدى قدس سره

همان به كر آبستن كوهرى

كه همجون صدف سربخود دربرى

وفى المتنوى

داند وبوشد بامر ذى الجلال

كه زكفتن لب تواند دوختن

سر غيب آنرا سزد آموختن

وليضربن بخمرهن على جيوبهن ضمن الضرب معنى الالقاء ولذا عدى بعلی. والخمر جمع خمار وهو ما تغطى به المرأة رأسها وتسترها وما ليس بهذه الصفة فليس بخمار، قال في المفردات اصل الخمر ستر الشيء ويقال لما يستر به خمار لكن الخمار صار في التعارف اسما لما تغطى به المرأة رأسها. والجيوب جمع جيب وهو ما جيب من القميص أي قطع لإدخال الرأس. والمعنى وليلقين مقانعهن على جيوبهن ليسترن بذلك شعورهن وقروطهن واعناقهن عن الاجانب: وبالفارسية وبایدكه فرو گذارند مقنعاى خودرا بر كریبانهاى خویش يعنى كردن خودرا بمقنعة بیوشند تاشوى وبنا كوش وكردن وسينه ایشان بوشیده ماند، وفيه دليل على ان صدر المرأة ونحرها عورة لا يجوز للأجنبي النظر إليها ولا يبدین زينتهن أي الزينة الخفية كالسوار والدملج والوشاح والقرط ونحوها فضلا عن ابداء مواقعها كرهه لبيان من يحل له الابداء ومن لا يحل له، وقال ابو الليث لا يظهرن مواضع زينتهن وهو الصدر والساق والساعد والرأس لان الصدر موضع الوشاح والساق موضع الخلخال والساعد موضع السوار والرأس موضع الاكليل فقد ذكر الزانية

وارد بها موضع الزينة انتهى الا لبعولتهن، قال في المفردات البعل هو الذكر من الزوجين وجمعه بعودة كفحل وفحولة انتهى الا لأزواجهن فانهم المقصودون بالزينة ولهم ان ينظروا الى جميع بدنهن حتى الموضع المعهود خصوصا اذا كان النظر لتقوية الشهوة الا انه يكره له النظر الى الفرج بالاتفاق حتى الى فرج نفسه لأنه يروى انه يورث الطمس والعمى وفي كلام عائشة رضي الله عنها ما رأى منى ولا رأيت منه أي العورة، قال في النصاب أي الزينة الباطنة يجوز ابدؤها لزوجها وذلك لاستدعائه اليها ورغبة فيها ولذلك لعن رسول الله عليه السلام السقاء والمرهء فالسقاء التي لا تختضب والمرهء التي لا تكتحل او ابائهن والجد في حكم الاب او آباء بعولتهن يابدران شوهران خویش که ایشان حکم آباء دارند أو ابائهن يابسران خویش وبسر بسر هر چند با شد درین داخلست أو ابناء بعولتهن يابسران شوهران خودجه ایشان در حکم بسرانندمر زنرا أو اخوانهن يابسران برادران خودکه حکم برادران دارند أو بنی اخوانهن يابسران برادران خود أو بنی اخواتهن يابسران خواهران خود واینها جماعتی اندکه نکاح زن با ایشان روا نیست که والعلة كثرة المخالطة الضرورية بينهم وبينهن وقلة توقع الفتنة من قبلهم لما في طباع الفريقين من النفرة عن مماسة القربان ولهم ان ينظروا منهن الى ما يبدو عند الخدمة، قال في فتح الرحمن فيجوز لجميع المذكورين عند الشافعي النظر الى الزينة الباطنة سوى ما بين السرة والركبة الا الزوج فيباح له ما بينهما، وعند مالك ينظرون الى الوجه والاطراف، وعند ابي حنيفة ينظرون الى الوجه والراس والصدر والساقين والعصدين ولا ينظرون الى ظهرها وبطنها وفخذها، وعند احمد ينظرون الى ما يظهر غالبا كوجه ورقبة ويد وقدم ورأس وساق، قال ابو الليث النظر الى النساء على اربع مراتب في وجه يجوز النظر الى جميع اعضائهن وهو النظر الى زوجته وامته وفي وجه يجوز النظر الى الوجه والكفين وهو النظر الى المرأة التي لا تكون محرما له ويأمن كل واحد منهما على نفسه فلا بأس بالنظر عند الحاجة وفي وجه يجوز النظر الى الصدر والراس الساق والساعد هو النظر الى امرأة ذي رحم او ذات رحم محرم مثل الام والاخت والعمة والخالة وامرأة الاب وامرأة الابن وام المرأة سواء كان من قبل الرضاع او من قبل النسب وفي وجه لا يجوز النظر الى شيء وهو ان يخاف ان يقع في الاثم اذا نظر انتهى وعدم ذكر الاعمام والاخوان لما ان الاحوط ان يتسترن عنهم حذرا من ان يصفوهن لأبنائهم فان تصور الابناء لها بالوصف كنظرهم اليها او نساين المختصات بهن بالصحة والخدمة من حرائر المؤمنات فان الكوافر لا يتأتمن عن وصفهن للرجال فيكون تصور الاجانب اياها بمنزلة نظرهم اليها فان وصف مواقع زين المؤمنات للرجال الاجانب معدود من جملة الاثم عند المؤمنات فالمراد بنساين نساء اهل دينهن وهذا قول اكثر السلف، قال الامام قول السلف محمول على الاستحباب والمذهب ان المراد بقوله او نساين جميع النساء.

يقول الفقير اكثر التفاسير المعتبرة مشحون بقول السلف فانه جعلوا المرأة اليهودية والنصرانية والمجوسية والوثنية في حكم الرجل الاجنبي فمنعوا المسلمة من كشف بدنهن عندهن الا ان تكون امة لها كما منعوا من التجرد عند الاجانب والظاهر ان العلة في المنع شيان عدم المجانسة دينا فان الايمان والكفر فرق بينهما وعدم الامن من الوصف المذكور فلزم اجتناب العفاف عن الفواسق وصحبته والتجرد عندها. ولذا منع المناكحة بين اهل السنة وبين اهل الاعتزال كما في مجمع الفتاوى وذلك لان اختلاف العقائد والاصناف كالتباين في الدين والذات واصلاح الله نساء الزمان فان غالب اخلاقهن كاخلاق الكوافر فكيف تجتمع بهن وبالكوافر في الحمام ونحوه من كانت بصدد العفة والتقوى. وكتب عمر رضي الله عنه الى ابي عبيدة ان يمنع الكتابيات من دخول الحمامات مع المسلمات او ما ملكت ايمانهن أي من الاماء فان عبد المرأة بمنزلة الاجنبي منها خصيا كان او فحلا وهو قول ابي حنيفة رحمه الله وعليه عامة العلماء فلا يجوز لها الحج ولا السفر معه وان جاز رؤيته اياها اذا وجد الامن من الشهوة، وقال ابن الشيخ فان قيل ما الفائدة في تخصيص الاماء بالذكر بعد قوله او نساين فالجواب والله اعلم انه تعالى لما قال او نساين دل ذلك على ان المرأة لا يحل لها ان تبدي زينتها للكافرات سواء كن حرائر او اماء لغيرها او لنفسها فلما قال او ما ملكت ايمانهن مطلقا أي مؤمنات كن او مشركات علم انه يحل للامة ان تنظر الى زينة سيدتها مسلمة كانت الامة او كافرة لما في كشف مواضع الزينة الباطنة لامتها الكافرة في احوال استخدامها اياها من الضرورة التي لا تخفى ففارقت الحرة الكافرة بذلك او التابعين غير اولى الاربعة من الرجال الاربعة الحاجة أي الرجال الذين هم اتباع اهل البيت لا حاجة لهم في النساء هم الشيوخ الاهمام والممسوخون بالخاء المعجمة وهم الذين حولت قوتهم واعضاؤهم عن سلامتها الاصلية الى الحالة المنافية لها المانعة من ان تكون لهم حاجة في النساء وان يكون لهن حاجة فيهم ويقال للممسوخ المختث وهو الذي في اعضائه لين وفي لسانه تكسر بأصل الخلقة فلا يشتبه النساء وفي المبوب والخصى خلاف والمبوب من قطع ذكره وخصيته معا من الجب

وهو القطع والخصي من قطع خصيتاه والمختار ان الخصي والمحبوب والعنين في حرمة النظر كغيرهم من الفحولة لانهم يشتهون ويشتهون وان لم تساعد لهم الآلة: يعنى ايشانرا آرزوى مباشرة هست غايتش آنكه توانايى بران نيست، قال بعضهم قوله تعالى
قل للمؤمنين يغضوا من ابصارهم

محكم وقوله والتابعين مجمل والعمل بالمحكم اولى فلا رخصة للمذكورين من الخصي ونحوه في النظر الى محاسن النساء وان لم يكن هناك احتمال الفتنة، وفي الكشف لا يحل امساك الخصيان واستخدامهم وبيعهم وشراؤهم ولم ينقل عن احد من السلف امساكهم انتهى، وفي النصاب قرأت في بعض الكتب ان معاوية دخل على النساء ومعه خصي محبوب فنفرت منه امرأة فقال معاوية انما هو بمنزلة امرأة فقالت أترى ان المثلة به قد احدث ما حرم الله من النظر فتعجب من فطنتها وفقهاها انتهى، وفي البستان انه لا يجوز خصاء بنى آدم لأنه لا منفعة فيه لأنه لا يجوز للخصي ان ينظر الى النساء كما لا يجوز للفحل بخلاف خصاء سائر الحيوانات ألا ترى ان خصي الغنم اطيب لحما واكثر شحما وقس عليه غيره او الطفل الذين لم يظهروا على عورات النساء لعدم تمييزهم من الظهور بمعنى الاطلاع او لعدم بلوغهم حد الشهوة ومن الظهور بمعنى الغلبة والقدرة: وبالفارسية تمييز ندارند وازحال مباشرة بى خبرند با آنكه قادر نيستند براتيان زنان يعنى بالغ نشده ويحد شهوت نرسيده والطفل جنس وضع موضع الجمع اكتفاء بدلالة الوصف كالعدو في قوله تعالى فانهم عدو لى

قال في المفردات الطفل الولد مادام ناعما والطفلي رجل معروف بحضور الدعوات، وفي تفسير الفاتحة للمولى الفنارى حد الطفل من اول ما يولد الى ان يستهل صارخا الى انقضاء ستة اعوام انتهى. والعورة سوء الانسان وذلك كناية اصلها من العار وذلك لما يلحق في ظهورها من العار أي المزمة ولذلك سمي النساء عورة من ذلك العوراء أي الكلمة القبيحة كما في المفردات، قال في فتح القريب العورة كل ما يستحى منه اذا ظهر وفي الحديث المرأة عورة جعلها نفسها عورة لأنها اذا ظهرت يستحى منها كما يستحى من العورة اذا ظهرت، قال اهل اللغة سميت العورة عورة لقيح ظهورها ولغض الابصار عنها مأخوذة من العور وهو النقص والعيب والقيح ومنه عور العين، يقول الفقير يفهم من عبارة الطفل ان التقوى منع الصبيان حضرة النساء بعد سبع سنين فان ابن السبع وان لم يكن في حد الشهوة لكنه في حد التمييز مع ابن بعض من لم يبلغ حد الحلم مشتهى فلا خير في مخالطة النساء، وفي ملتقط الناصري الغلام اذا بلغ مبلغ الرجال ولم يكن صبيحا فحكمه حكم الرجال وان كان صبيحا فحكمه حكم النساء وهو عودة من قرنه الى قدمه يعنى لا يحل النظر اليه عن شهوة. فأما السلام والنظر لا عن شهوة فلا بأس به ولهذا لم يؤمر بالنقاب - حكى - ان واحدا من العلماء مات فرؤى في المنام وقد اسود وجهه فسئل عن ذلك فقال رايت غلاما في موضع كذا فنظر اليه فاحترق وجهي في النار، قال القاضي سمعت الامام يقول ان مع كل امرأة شيطانين ومع غلام ثمانية عشر شيطانا. ويكره مجالسة الاحداث والصبيان والسفهاء لأنه يذهب بالمهابة كما في البستان، قال في انوار المشارق يحرم على الرجل النظر الى وجه الامرء اذا كان حسن الصورة سواء نظر بشهوة ام لا وسواء امن من الفتنة ام خافها ويجب على من في الحمام ان يصون نظره ويده وغيرهما عن عورة غيره وان يصون عورته عن نظر غيره ويجب الانكار على كاشف العورة ولا يضربن بأرجلهن ليعلم ما يخفين أي يخفينه من الرؤية من زينتهن أي لا يضربن بأرجلهن الارض ليتوقع خلخالهن فيعلم انهن ذوات خلخال فان ذلك مما يورث الرجال ميلا اليهن ويوهم ان لهن ميلا اليهم واذا كان اسماع صوت خلخالها للأجانب حراما كان رفع صوتها بحيث يسمع الاجانب كلامها حراما بطريق الاولى لان صوت نفسها اقرب الى الفتنة من صوت خلخالها ولذلك كرهوا اذان النساء لأنه يحتاج فيه الى رفع الصوت، يقول الفقير وبهذا القياس الخفي ينجلي امر النساء في باب الذكر الجهرى في بعض البلاد فان الجمعية والجهر في حقن مما يمنع عنه جدا وهن مرتكبات للإثم العظيم بذلك اذ لو استحب الجمعية والجهر في حقن لاستحب في حق الصلاة والاذان والتلبية، قال في نصاب الاحتساب ومما يحتسب على النساء اتخاذ الجلال في أرجلهن لان اتخاذ الجلال في رجل الصغير مكروه ففي المرأة البالغة اشد كراهة لأنه مبنى حالهن على التستر وتبوا الى الله جميعا ايها المؤمنون اذ لا يكاد يخلوا احدكم من تفريط في امره ونهيه سيما في الكف عن الشهوات.

فقرات من التفسير

هـ\90\33: 253

- 201 في تفسير علي بن ابراهيم واما قوله عز وجل: يا ايها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوت النبي الا ان يؤذن لكم فانه لما ان تزوج رسول الله صلى الله عليه واله بزينب بنت جحش وكان يحبها فأولم ودعا أصحابه فكان أصحابه اذا اكلوا يحبون ان يتحدثوا عند رسول الله صلى الله عليه واله، وكان يحب ان يخلو مع زينب فانزل الله عز وجل: يا ايها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوت النبي الا ان يؤذن لكم وذلك انهم كانوا يدخلون بلا اذن، فقال عز وجل: الا ان يؤذن لكم إلى قوله تعالى من وراء حجاب.

- 202 في جوامع الجامع وعن ام سلمة رضى الله عنها قالت: كنت عند النبي صلى الله عليه واله وعنده ميمونة فاقبل ابن ام مكتوم وذلك بعد ان امرنا بالحجاب فقال: احتجبا فقلنا: يا رسول الله اليس أعمى لا يبصرنا؟ فقال: افعميوا وانتما السمتا تبصرانه؟.

وروى ان بعضهم قال أنتهى ان نكلم بنات عمن الا من وراء حجاب لئن مات محمد لا تزوجن عائشة؟ وعن مقاتل هو طلحة بن عبيد الله فنزلت: وما كان لكم ان تؤذوا رسول الله إلى آخر الآية.

هـ\90\33: 359

واما قوله عز وجل: يا ايها النبي قل لأزواجك وبناتك ونساء المؤمنين يدنين عليهن من جلابيبهن فانه كان سبب نزولها ان النساء كن يخرجن إلى المسجد ويصلين خلف رسول الله صلى الله عليه واله فاذا كان بالليل وخرجن إلى صلاة المغرب والعشاء الآخرة يقعد الشباب لهن في طريقهن فيؤذونهن ويتعرضوا لهن فانزل الله عز وجل: يا ايها النبي قل لأزواجك وبناتك ونساء المؤمنين إلى قوله تعالى ذلك ادنى أن يعرفن فلا يؤذين وكان الله غفورا رحيما.

هـ\102\24: 431

في كتاب معاني الاخبار حدثنا محمد بن الحسن بن أحمد مرفوعا عن عبدالرحمان بن أبي عبدالله قال: سألت أبا عبدالله عليه السلام عن قول الله عز وجل: لا تدخلوا بيوتا غير بيوتكم حتى تستأنسوا وتسلموا على أهلها قال الاستئناس وقع النعل والتسليم.

- 79 في مجمع البيان عن أبي ايوب الأنصاري قال: قلنا: يا رسول الله ما الاستئناس؟ قال: يتكلم الرجل بالتسبيحة والتحميدة والتكبيرية يتنحج على اهل البيت

- 80 وعن سهل بن سعيد قال: اطلع رجل في حجرة من حجر رسول الله صلى الله عليه واله فقال رسول الله ومعه مدري يحك رأسه: لو أعلم انك تنظر لطعنت به في عينيك، انما الاستئذان من النظر.

- 81 وروى ان رجلا قال للنبي صلى الله عليه واله: أستأذن على امي؟ فقال: نعم، قال: انها ليس لها خادم غيري أفأستأذن عليها كما دخلت؟ قال: أتحب أن تراها عريانة؟ قال الرجل: لا، قال: فاستأذن عليها.

- 82 وروى ان رجلا استأذن على رسول الله صلى الله عليه واله فتتنحج فقال صلى الله عليه واله لامرأة يقال لها روضة: قومي إلى هذا فعلميه وقولي له: قل: السلام عليكم أدخل؟ فسمعها الرجل فقالها، فقال: ادخل.

- 83 في تفسير علي بن ابراهيم حدثني علي بن الحسين قال: حدثني احمد بن ابي عبدالله عن ابيه عن ابان عن عبدالرحمان بن ابي عبدالله عن أبي عبدالله عليه السلام قال: الاستئناس وقع النعل والتسليم.

- 84 في الكافي عدة من أصحابنا عن احمد بن ابي عبدالله عن ابيه عن هارون ابن الجهم عن جعفر بن عمر عن أبي عبدالله عليه السلام قال: نهى رسول الله ان يدخل الرجل على النساء الا بإذن اوليائهن.

¹ <http://goo.gl/9sGqAo>

² <http://goo.gl/AdqkwU>

³ <http://goo.gl/AdqkwU>

⁴ <http://goo.gl/oe13nV>

- 85 عدة من أصحابنا عن أحمد بن محمد عن ابن محبوب عن أبي أيوب الخزاز عن أبي عبد الله عليه السلام قال: يستأذن الرجل إذا دخل على أبيه ولا يستأذن الأب على الابن، قال: ويستأذن الرجل على ابنته واخته إذا كانتا متزوجتين.

- 86 أحمد بن محمد عن ابن فضال عن أبي جميلة عن محمد بن علي الحلبي قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: الرجل يستأذن على أبيه؟ فقال: نعم، وقد كنت استأذن على أبي وليست أمي عنده، وأنا هي امرأة أني توفيت أمي وأنا غلام وقد يكون من خلوتهما ما لا أحب أن أفجأهما عليه، ولا يحبان ذلك مني، والسلام أصوب وأحسن- 87 . عدة من أصحابنا عن أحمد بن أبي عبد الله عن اسماعيل بن مهران عن عبيد بن معاوية بن شريح عن سيف بن عميرة عن عمرو بن شمر عن جابر عن أبي جعفر عليه السلام عن جابر بن عبد الله الأنصاري قال: خرج رسول الله صلى الله عليه واله يريد فاطمة عليها السلام وأنا معه: فلما انتهيت إلى الباب وضع يده فدفعه ثم قال: السلام عليكم، فقالت فاطمة عليها السلام: عليك السلام يا رسول الله، قال: أدخل؟ قالت: ادخل يا رسول الله، قال: ادخل ومن معي؟ قالت: يا رسول الله ليس على قناع، فقال: يا فاطمة خذي فضل ملحفتك فقتعي به رأسك ففعلت، ثم قال: السلام عليكم، فقالت: وعليك السلام يا رسول الله، قال: أدخل؟ قالت: نعم يا رسول الله، قال: أنا ومن معي؟ قالت: ومن معك، قال جابر: فدخل رسول الله صلى الله عليه واله ودخلت فاطمة عليها السلام أصفر كأنه وجه جرادة، فقال رسول الله صلى الله عليه واله: ما لي أرى وجهك أصفر؟ قالت: يا رسول الله الجوع فقال صلى الله عليه واله اللهم مشيع الجوعة ودافع الضيعة اشبع فاطمة بنت محمد، قال جابر: فوالله لنظرت إلى الدم ينحدر من قصصها حتى عاد وجهها أحمر، فما جاعت بعد ذلك اليوم.

- 88 في من لا يحضره الفقيه وروى عن جراح المدايني قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام عن دار فيها ثلاثة آيات وليس لهن حجر؟ قال: إنما الأذن على البيوت، ليس على الدار اذن.

- 89 في تفسير علي بن ابراهيم ثم أدب الله عز وجل خلقه فقال: يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوتا غير بيوتكم إلى قوله: لا تدخلوها حتى يؤذن قال: معناه وان لم تجدوا فيها أحدا يأذن لكم فلا تدخلوها حتى يؤذن لكم.

- 90 وفيه ثم رخص الله تعالى فقال: ليس عليكم جناح ان تدخلوا بيوتا غير مسكونة فيها متاع لكم قال الصادق عليه السلام: هي الحمامات والخانات والارحية تدخلها بغير اذن، وقوله: قل للمؤمنين يغضوا من ابصارهم ويحفظوا فروجهم فانه حدثني أبي عن محمد ابن أبي عمير عن أبي بصير عن أبي عبد الله عليه السلام قال: كل آية في القرآن في ذكر الفروج فهي من الزنا إلا هذه الآية فإنها من النظر.

- 91 في اصول الكافي على بن ابراهيم عن أبيه عن بكر بن صالح عن القاسم ابن بريد قال: حدثنا أبو عمرو الزبيري عن أبي عبد الله عليه السلام وذكر حديثا طويلا قال فيه عليه السلام بعد ان قال: ان الله تبارك وتعالى فرض الايمان على جوارح ابن آدم وقسمه عليها وفرقه فيها: وفرض على البصر ان لا ينظر إلى ما حرم الله عليه، وان يعرض عما نهى الله عنه مما لا يحل له، وهو عمله وهو من الايمان، فقال تبارك وتعالى: قل للمؤمنين يغضوا من ابصارهم ويحفظوا فروجهم فنهاهم أن ينظروا إلى عوراتهم، وان ينظر المرء إلى فرج اخيه، ويحفظ فرجه أن ينظر اليه، وقال: وقل للمؤمنات يغضضن من ابصارهن ويحفظن فروجهن من أن ينظر احداهن إلى فرج اختها، ويحفظ فرجها ممن ان ينظر اليها وقال: كل شيء في القرآن من حفظ الفرج فهو من الزنا إلا هذه الآية فإنها من النظر.

- 92 في جوامع الجامع وعن ام سلمة رضى الله عنها قالت: كنت عند النبي صلى الله عليه واله وعنده ميمونة فأقبل ابن ام مكتوم وذلك بعد ان امرنا بالحجاب فقال: احتجبا فقلنا: يا رسول الله أليس أعمى لا يبصرنا؟ فقال: أفعميان أنتما، ألتما تبصرانه؟.

- 93 في الكافي محمد بن يحيى عن أحمد بن محمد عن علي بن الحكم عن سيف بن عميرة عن سعد الاسكاف عن أبي جعفر عليه السلام قال: استقبل شاب من الانصار امرأة بالمدينة وكان النساء يتقنعن خلف آذانهن، فنظر اليها وهي مقبلة، فلما جازت نظر اليها ودخل في زقاق قد سماه يعني فلان، فجعل ينظر خلفها واعترض وجهه عظم في الحائط أو زجاجة فشق وجهه، فلما مضت المرأة نظر فإذا الدماء تسيل على ثوبه وصدره، فقال: والله لا تين رسول الله صلى الله عليه واله ولا خبرنه، قال: فأتاه فلما رآه رسول الله قال له: ما هذا؟ فأخبره، فهبط جبرئيل عليه السلام بهذه الآية: قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم ويحفظوا فروجهم ذلك أركى لهم ان الله خبير بما يصنعون.

- 94 في من لا يحضره الفقيه قال أمير المؤمنين عليه السلام في وصيته لابنه محمد ابن الحنفية: وفرض على البصر ان لا ينظر إلى ما حرم الله عز وجل عليه، فقال عز من قائل: قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم ويحفظوا فروجهم محرم أن ينظر احد إلى فرج غيره.

- 95 في كتاب الخصال عن بعض أصحابنا عن أبي عبدالله عليه السلام قال: قلت له: ما للرجل ان يرى من المرأة اذا لم تكن له بمحرم؟ قال: الوجه والكفين والقدمين.

- 96 وفي قال النبي صلى الله عليه واله لأمر المؤمنين عليه السلام: يا على اول نظرة لك والثانية عليك لا لك.

- 97 وفيه ايضا فيما علم أمير المؤمنين عليه السلام أصحابه: ليس في البدن شيء أقل شكرا من العين، فلا تعطوها سؤلها فتشغلكم عن ذكر الله اذا تعرض الرجل نظر الشيطان وطمع فيه فاستتروا، ليس للرجل ان يكشف ثيابه عن فخذيه ويجلس بين قوم، لكم أول نظرة إلى المرأة فلا تتبعوها بنظرة اخرى واحذروا الفتنة، اذا رأى أحدكم امرأة تعجبه فليأت أهله فان عند أهله مثل ما رأى، ولا يجعلن للشيطان على قلبه سبيلا ليصرف بصره عنها، فاذا لم تكن له زوجة فليصل ركعتين ويحمد الله كثيرا، ويصلى على النبي وآله ثم يسأل الله من فضله فانه يبيح له برحمته ما يغنيه.

- 98 عن جعفر بن محمد عن أبيه قال: قال رسول الله صلى الله عليه واله: كل عين باكية يوم القيامة الا ثلاثة أعين: عين بكت من خشية الله، وعين غضت من محارم الله، وعين باتت ساهرة في سبيل الله.

- 99 عن أبي عبدالله عليه السلام قال: أربعة لا يشبعن من أربعة: الارض من المطر والعين من النظر، الحديث.

على بن الحسين بن علي قال: قال أمير المؤمنين عليهم السلام للشامي الذي سأله عن المسائل في جامع الكوفة: أربعة لا يشبعن من أربعة وذكر كالسابق - 100 . عن أبي عبدالله عليه السلام قال قال رسول الله صلى الله عليه واله: من سلم من نساء امتي من أربع خصال فلها الجنة، اذا حفظت ما بين رجلها، واطاعت زوجها، وصلت خمسها، وصامت شهرها.

- 101 في قرب الاسناد للحميري أحمد بن محمد بن أبي نصر قال: سألت الرضا عليه السلام عن الرجل أبجل له أن ينظر إلى شعر أخت امرأته؟ فقال: لا الا ان تكون من القواعد، قلت له: أخت امرأته والعربية سواء؟ قال: نعم، قلت: فما لي النظر اليه منها فقال: شعرها وذراعها، وقال: ان أبا جعفر مر بامرأة محرمة وقد استترت بمروحة على وجهها فأماط المروحة بقضيبه عن وجهها.

- 102 وبإسناده إلى علي بن جعفر عن أخيه موسى عليه السلام قال: سألته عن الرجل ما يصلح له ان ينظر اليه من المرأة التي لا تحل له؟ قال: الوجه والكف وموضع السوار.

- 103 في الكافي محمد بن يحيى عن أحمد بن محمد عن علي بن الحكم عن علي بن سويد قال: قلت لأبي الحسن عليه السلام: انى مبتلى بالنظر إلى المرأة الجميلة يعجبني النظر إليها؟ فقال لي: يا على لا بأس اذا عرف الله من نيتك الصدق، وإياك والزنا فانه يحق البركة ويهلك الدين.

- 104 علي بن ابراهيم عن أبيه عن النوفلي عن السكوني عن أبي عبدالله عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه واله: لا حرمة لنساء أهل الذمة ان ينظر إلى شعورهن وأيديهن.

- 105 محمد بن يحيى عن أحمد بن محمد بن عيسى عن مروك بن عبيد عن بعض أصحابنا عن أبي عبدالله عليه السلام قال: قلت له: ما يحل للرجل أن يرى من المرأة اذا لم يكن محرما؟ قال: الوجه والكفان والقدمان.

- 106 عدة من أصحابنا عن أحمد بن محمد بن عيسى عن ابن محبوب عن عباد ابن صهيب قال: سمعت أبا عبدالله عليه السلام يقول: لا بأس بالنظر إلى رؤوس أهل تهامة والاعراب وأهل السواد والعلوج، لانهم اذا نهوا لا ينتهون قال: والمجنونة والمغلوبة على عقلها، لا بأس بالنظر إلى شعرها وجسدها ما لم يتعمد ذلك.

- 107 علي بن ابراهيم عن أبيه عن ابن أبي عمير عن أبي ايوب الحزاز عن محمد بن مسلم قال: سألت أبا جعفر عليه السلام عن الرجل يريد أن يتزوج المرأة اينظر إليها؟ قال: نعم يشتريها بأعلى الثمن.

- 108 علي بن ابراهيم عن أبيه عن ابن أبي عمير عن هشام بن سالم وحماد بن عثمان وحفص بن البختري كلهم عن أبي عبدالله عليه السلام قال: لا بأس بأن ينظر الرجل إلى وجهها ومعاصمها اذا أراد أن يتزوجها.

- 109 أبو علي الأشعري عن محمد بن عبد الجبار عن صفوان عن ابن مسكان عن الحسن بن علي السري قال: قلت لأبي عبدالله عليه السلام: الرجل يريد ان يتزوج المرأة يتأملها وينظر إلى خلفها والى وجهها؟ قال: لا بأس بأن ينظر الرجل إلى المرأة اذا أراد أن يتزوجها ينظر إلى خلفها والى وجهها.

- 110 عدة من أصحابنا عن أحمد بن محمد بن خالد عن أبيه عن عبدالله بن الفضل عن أبيه عن رجل عن أبي عبدالله عليه السلام قال: قلت له: أينظر الرجل إلى المرأة يريد تزويجها فينظر إلى شعرها ومحاسنها؟ قال: لا بأس بذلك إذا لم يكن متلذذاً.
- 111 محمد بن يحيى عن أحمد بن محمد وعبدالله ابنى محمد عن علي بن الحكم عن أبان بن عثمان عن عبدالرحمن بن أبي عبدالله قال: سألت أبا عبدالله عليه السلام عن المملوك يرى شعر مولاته: قال: لا بأس.
- 112 علي بن ابراهيم عن أبيه ومحمد بن اسماعيل عن الفضل بن شاذان عن ابن أبي عمير عن معاوية بن عمار قال: قلت لأبي عبدالله عليه السلام المملوك يرى شعر مولاته وساقها؟ قال: لا بأس.
- 113 محمد بن يحيى عن أحمد بن محمد عن ابن محبوب عن يونس بن عمار ويونس بن يعقوب جميعاً عن أبي عبدالله عليه السلام قال: لا يحل للمرأة أن ينظر عبدها إلى شيء من جسدها إلا إلى شعرها غير متعمد لذلك.
- 114 وفي رواية أخرى: لا بأس أن ينظر إلى شعرها إذا كان مأمونا.
- 115 أحمد بن محمد بن عيسى عن محمد بن خالد والحسين بن سعيد عن القاسم ابن عروة عن عبدالله بن بكير عن زرارة عن أبي عبد الله عليه السلام في قول الله تبارك وتعالى: الا ما ظهر منها قال: الزينة الظاهرة الكحل والخاتم.
- 116 الحسين بن محمد عن أحمد بن اسحق عن سعدان بن مسلم عن أبي بصير عن أبي عبدالله عليه السلام قال: سألت عن قول الله تعالى: ولا يبيدين زينتهن الا ما ظهر منها قال: الخاتم والمسكة وهي القلب
- 117 في جوامع الجامع فالظاهرة لا يجب سترها وهي الثياب إلى قوله: وعنهم عليهم السلام الكفان والاصابع.
- 118 في مجمع البيان وفي تفسير علي بن ابراهيم الكفان والاصابع.
- 119 في تفسير علي بن ابراهيم وفي رواية أبي الجارود عن أبي جعفر عليه السلام في قوله: ولا يبيدين زينتهن الا ما ظهر منها فهي الثياب والكحل والخاتم، وخضاب الكف والسوار، والزينة ثلاث: زينة للناس، وزينة للمحرم، وزينة للزوج، فأما زينة الناس فقد ذكرناها، وأما زينة المحرم فوضع القلادة فما فوقها، والدملج وما دونه، والخلخال وما أسفل منه، وما زينة الزوج فالجسد كله.
- 120 في الكافي عدة من أصحابنا عن أحمد بن محمد عن ابن محبوب عن جميل عن الفضيل قال: سألت أبا عبدالله عليه السلام عن الذارعين من المرأة هما من الزينة التي قال الله تعالى: ولا يبيدين زينتهن الا لبعولتهن؟ قال: نعم وما دون الخمار من الزينة، وما دون السوارين.
- 121 في مجمع البيان الا لبعولتهن أي أزواجهن يبيدين مواضع زينتهن لهم، استدعاء لميلهم وتحريكاً لشهوتهم، فقد روى ان رسول الله صلى الله عليه واله لعن السلتاء من النساء والمرهءاء، فالسلتاء التي لا تخضب، والمرهءاء التي لا تكتحل، ولعن عليه السلام المسوفة والمفسلة، فالمسوفة التي اذا دعاها زوجها إلى المباشرة قالت: سوف أفعل، والمفسلة هي التي اذا دعاها قالت: أنا حائض وهي غير حائض.
- 122 في مجمع البيان او نساھن یعنی النساء المؤمنات، ولا يحل لها أن تتجرد ليهودية أو نصرانية أو مجوسية الا اذا كانت امة، وهو معنى قوله: او ما ملكت ايمانھن أي من الاماء عن ابن جريج والمجاهد والحسن وسعيد المسيب قالوا: ولا يحل للعبد أن ينظر إلى شعر مولاته، وقيل معناه العبيد والاماء، وروى ذلك عن أبي عبدالله عليه السلام.
- 123 في من لا يحضره الفقيه وروى حفص بن البختري عن أبي عبدالله عليه السلام قال: لا ينبغي للمرأة أن تتكشف بين يدي اليهودية والنصرانية، فإنھن يصفن ذلك لأزواجهن.
- 124 في الكافي محمد بن اسمعيل عن الفضل بن شاذان وأبو علي الأشعري عن محمد بن عبد الجبار عن صفوان بن يحيى عن ابن مسكان عن زرارة قال: سألت أبا جعفر عليه السلام عن قول الله عز وجل: او التابعين غير اولى الاربة من الرجال إلى آخر الآية قال: الاحمق الذى لا يأتي النساء.
- 125 حميد بن زياد عن الحسن بن محمد عن غير واحد عن أبان بن عثمان عن عبدالرحمان بن أبي عبدالله قال: سألت عن أولى الاربة من الرجال؟ قال: الاحمق المولى عليه الذى لا يأتي النساء.
- 126 الحسين بن محمد عن معلى بن محمد وعلي بن ابراهيم عن أبيه جميعاً عن جعفر بن محمد الأشعري عن عبدالله بن ميمون القداح عن أبي عبد الله عن أبيه عن آبائه عليهم السلام قال: كان بالمدينة رجلان يسمى أحدهما هيت والاخر مانع، فقالا لرجل - ورسول الله صلى الله عليه واله يسمع - : اذا فتحتم الطائف ان شاء الله فعليكم بابنة غيلان الثقفية فإنها شموع بخلاء مبتلة هيفاء شنباء اذا جلست تنتن واذا تكلمت غنت تقبل

باربع وتدبر بثمان بين رجليها مثل القدح، فقال النبي صلى الله عليه واله: لا أراكما من أولى الأربة من الرجال، فأمر بهما رسول الله صلى الله عليه واله فغرب بهما إلى مكان يقال له العرايا، فكانا يتسوفان في كل جمعة.

- 127 في تفسير على بن ابراهيم واما قوله عز وجل: او التابعين غير اولى - الأربة من الرجال فهو الشيخ الفاني الذى لا حاجة له في النساء.

- 128 في مجمع البيان او التابعين غير اولى الأربة من الرجال اختلف في معناه فقل: التابع الذى يتبعك لينال من طعامك شيئا، ولا حاجة له في النساء وهو الابله المولى عليه عن ابن عباس وقتادة وسعيد بن جبير وهو المروى عن ابي عبد الله عليه السلام

فقرات من التفسير

هـ33\90: 253

رُوي أن النبي أُلِّمَ على زينب بتمر وسويق، وذبح شاة، وأمر أنساً أن يدعو الناس، فترادفوا أفواجاً، يأكل كل فوج، فيخرج، ثم يدخل فوج، إلى أن قال: يا رسول الله دعوتُ حتى ما أجد أحداً أدعوه. فقال: أرفعوا طعامكم وتفرق الناس، وبقي ثلاثة نفر يتحدثون، فأطالوا، فقام رسول الله ليخرجوا، فطاف بالحجرات، وسلم عليهن، ودعون له، ورجع، فإذا الثلاثة جلوس يتحدثون. وكان شديد الحياء، فتولّى، فلما رآوه متولياً خرجوا، فنزلت الآية، وهي آية الحجاب. قال أنس: فضرب بيني وبينه الحجاب.

وإذا سألتنوهنّ أي: نساء النبي، بدلالة البيوت عليهن؛ لأن فيها نساءه، متاعاً عارية أو حاجة، فاسألوهنّ من وراء حجاب ستر، ذلكم أظهُرُ لقلوبكم وقلوبهنّ من خواطر الشيطان وعوارض الفتن. وكانت النساء قبل هذه الآية يبرزن للرجال، وكان عمر يُحبّ ضَرْبَ الحجاب عليهن، ويودّ أن ينزلَ فيه، وقال: يا رسول الله: يدخل عليك البرّ والفاجر، فلو أمرت أمهات المؤمنين بالحجاب؟ فنزلت. وقيل: إنه عليه الصلاة والسلام، كان يَطْعَمُ ومعه بعض أصحابه، فأصابته يدُ رجلٍ يدّ عائشة، فكرة النبيّ ذلك فنزلت الآية. والله تعالى أعلم.

هـ33\90: 359

يقول الحق جلّ جلاله: يا أيها النبي قل لأزواجك وبناتك ونساء المؤمنين يُذَنِّبَنَ عليهن من جلابيبهنّ أي: يُرخين على وجوههنّ من جلابيبهنّ فيغطين بها وجوههنّ. والجلباب: كل ما يستر الكل، مثل الملحفة، والمعنى: قل للحرائر يُرخين أرديتهن وملاحفهن ويغطين بها وجوههن ورؤوسهن، ليعلم أنهن حرائر فلا يؤذبن. وذلك أدنى أي: أقرب وأجدر، أن يُعرفن من الإماء فلا يُؤذبن وذلك أن النساء في أول الإسلام كن على زيهنّ في الجاهلية متبدلات، تبرز المرأة في درج وخمار، لا فصل بين الحرّة والأمة. وكان الفتيتان يتعرّضون للإماء، إذا خرجن للليل لقضاء حاجتهنّ في النخيل والغيضات، وكن يخرجن مختلطات مع الحرائر، فربما تعرّضوا للحرّة، يحسبونها أمة، فأمرن أن يخالفن بزيهنّ عن زي الإماء بلباس الجلابيب، وستر الرؤوس والوجوه، فلا يطمع فيهنّ طامع.

قال ابن عباس: أمر الله تعالى نساء المؤمنين أن يغطين رؤوسهن ووجوههن بالجلابيب، ويُبدن عينا واحدة. قلت: وقد مرّ في سورة النور أن الوجه والكفين ليس بعورة، إلا لخوف الفتنة، وأما الإماء فلا تسترن شيئا إلا ما بين السرة والركبة، كالرجل. قال أنس: مرّت جارية متقنعة بعمر بن الخطاب فعلاها بالدرة، وقال: يا لكاع أنت تشبهين بالحرائر، فألق القناع، وكان الله غفورا لما سلف منهن من التفريط، رحيماً بتعليمهن آداب المكارم.

الإشارة: ينبغي لنساء الخواص أن يتميزن من نساء العامة؛ بزيادة الصنّون والتحفظ، وقلة الخروج، فإذا لزمهنّ الخروج، فليخرجن في لباس خشين، بحيث لا يُعرفن، أو يخرجن ليلاً. وثبت أن زوجة الشيخ أبي الحسن الشاذلي لم تخرج من دارها إلا خرجتين؛ خرّجة حين رُفّت إلى زوجها، وخرّجة إلى المقابر. نفّعنا الله ببركاتهم. آمين.

هـ102\24: 431

يقول الحق جلّ جلاله: قل للمؤمنين، ويندرج فيهم المستأذنون بعد دخولهم البيوت اندراجاً أوليّاً، أي: قل لهم: يغضّوا من أبصارهم، و من : للتبغيض، والمراد: غض البصر عما يحرم، والاقتصار على ما يحل. ووجه المرأة وكفاها ليس بعورة، إلا خوف الفتنة، فيحل للرجل الصالح أن يرى وجه الأجنبية بغير شهوة. وفي

¹ <https://goo.gl/zjuckV>

² <http://goo.gl/6QBdlq>

³ <http://goo.gl/Q9fvv2>

⁴ <https://goo.gl/OUnoa>

الموطأ: هل تأكل المرأة مع غير ذي محرم، أو مع غلامها؟ قال مالك: لا بأس بذلك، على وجه ما يُعرف للمرأة أن تأكل معه من الرجال، وقد تأكل المرأة مع زوجها ومع غيره ممن يؤاكله. هـ. وقال ابن القطان: فيه إباحة إبداء المرأة وجهها وبديها للأجنبي، إذ لا يتصور الأكل إلا هكذا، وقد أبقاه الباجي على ظاهره، وقال عياض: ليس بواجب أن تستر المرأة وجهها، وإنما ذلك استحباب أو سنة لها، وعلى الرجل غض بصره. ثم قال في الإكمال: ولا خلاف أن فرض ستر الوجه مما اختص به أزواج النبي. هـ.

وقل لهم أيضاً: يحفظوا قُرُوجَهُمْ، إلا على أزواجهم، أو ما ملكت أيانهم، وتقيد الغض بمن التبعية، دون حفظ الفروج؛ لما في النظر من السعة، فيجوز النظر إلى وجه الأجنبية وكفيها وقدميها، وإلى رأس المحارم والصدور والساقين والعضدين. قاله النسفي. قلت: ومذهب مالك: حرمة نظر الساقين والعضدين من المحرم، فإن تعذر التحرر منه، كشغل البنات في الدار، باديات الأرجل، فليتمسك بقول الحنفي، إن لم يقدر على غض بصره. قاله شيخنا الجنوبي.

ذلك أركى لهم أي: أظهر لهم من دنس الإثم أو الريبة، إن الله خبير بما يصنعون، وفيه ترغيب وترهيب، يعني: أنه خبير بأحوالهم وأفعالهم، فكيف يجيلون أبصارهم، وهو يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور؟! فعليهم، إذا عرفوا ذلك، أن يكونوا منه على حذر.

وقل للمؤمنات يَغُضُّنَّ من أبصارهن؛ بالتستر والتصون عن الزنا، فلا تنظر إلى ما لا يحل لهن النظر إليه من عورات الرجال والنساء، وهي من الرجل: ما عدا الوجه والأطراف، ومن النساء: ما بين السرة والركبة، فلا يحل للمرأة أن تنظر إلى الرجل ما سوى الوجه والأطراف، أو بشهوة. وقيل: إن حصل الأمن من الشهوة جاز، وعليه يحمل نظر عائشة إلى الحبشة.

ويحفظن قُرُوجَهُنَّ من الزنا والمساقاة. وإنما قدم غض البصر على حفظ الفروج؛ لأن النظر بريد الزنا، وراند الفجور، فبذر الهوى طمُوحُ العَيْن. ولا يُبَيِّنُ زِينَتَهُنَّ؛ كالخلي، والكحل، والخصاب، والمراد بالزينة: مَوَاضِعُهَا، فلا يحل للمرأة أن تظهر مواضع الزينة، كانت مَخْلِيَةً بها أم لا، وهي: الرأس، والأذن، والعنق، والصدر، والعضدان، والذراع، والساق. والزينة هي: الإكليل، والقرط، والقلادة، والوشاح، والدملج، والسوار والخلخال.

إلا ما ظهر منها؛ إلا ما جرت العادة باظهارها، وهو الوجه والكفان، إلا لخوف الفتنة، زاد أبو حنيفة: والقدمين، ففي ستر هذه حرج؛ فإن المرأة لا تجد بُدًّا من مزاوله الأشياء ببديها، ومن الحاجة إلى كشف وجهها، خصوصاً في الشهادة والمحكمة والنكاح، وتضطر إلى المشي في الطرقات، وظهور قدميها، ولا سيما الفقيرات منهن. قاله النسفي.

وليضربن بخمرهن على جيوبهن أي: وليضعن خُمُرَهُنَّ، جمع خمار، وهو ما يستر الرأس، على جيوبهن، وهو شق القميص من ناحية الصدر، وكانت النساء على عادة الجاهلية يسدلن خُمُرَهُنَّ من خلفهن، فتبدو نحورهن وقلاندن من جيوبهن، وكانت واسعة، يبدو منها صدورهن وما حواليلها، فامرئ بإسدال خُمُرهن على جيوبهن؛ سترأ لما يبدو منها. وقد ضمن الضرب معنى الإلقاء والوضع، فعُدِّي بعلی.

ولا يُبَيِّنُ زِينَتَهُنَّ أي: مواضع الزينة الباطنة؛ كالصدر، والرأس، ونحوهما، كرره: ليستثني منه ما رخص فيه، وهو قوله: إلا لبُعُولَتَهُنَّ؛ لأزواجهن، فإنهم المقصودون بالزينة. ولهم أن ينظروا إلى جميع بدنهن حتى الفرج، أو أبنائهن، ويدخل فيهم الأجداد، أو آباء بُعُولَتَهُنَّ؛ فقد صاروا محارم، أو أبنائهن، ويدخل فيهم الأحفاد، أو أبناء بُعُولَتَهُنَّ؛ لأنهم صاروا محارم أيضاً، أو إخوانهن الشقائق، أو لأب، أو لأم، أو بني إخوانهن أو بني أخواتهن وإن سفلوا، ويدخل سائر المحارم، كالأعمام، والأخوال، وغيرهم؛ لكثرة المخالطة وقلة توقع الفتنة من قبلهم، فإن تحققت؛ حيل بينهم، وعدم ذكر الأعمام والأخوال، لأن الأحوط أن يستترن عنهم؛ حذراً من أن يصفوهن لأبنائهن، أو نساتهن؛ يعني جميع المؤمنات؛ فكانه قال: أو صنفهن؛ ويخرج من ذلك نساء الكفار؛ لنلا يصفنهن إلى الرجال، أو ما ملكت أيانتهن، يعني: الإماء المؤمنات أو الكتائيات، وأما العبيد ففيهم ثلاثة أقوال: منع رؤيتهم لسيدتهم، وهو قول الشافعي، والجواز، وهو قول ابن عباس وعائشة، والجواز بشرط أن يكون العبد وُغْدًا، وهو قول مالك.

قال البيضاوي: رُوي أنه - عليه الصلاة والسلام - أتى فاطمةً بعد، وَهَبَهُ لَهَا، وعليها ثوب إذا قَتَعَتْ به رأسها لم يبلغ رجليها، وإذا غَطَّت رجليها لم يبلغ رأسها، فقال - عليه الصلاة والسلام - إنه ليس عليك بأس، إنما هو أبوك وغلأمك، فانظر من أخرجه. واختلف: هل يجوز أن يراها عبد زوجها، وعبد الأجنبي، أم لا؟ على قولين.

أو التابعين غير أولي الإربة من الرجال أي: الذين يتبعونكم ليصيبيوا من فضل طعامكم، أو لخدمة، أو لشيء يُعطاه، كالوكيل والمتصرف. وقال بعضهم: هو الذي يتبعك وهمه بطئه، ويشترط ألا تكون له إربة، أي: حاجة وشهوة إلى النساء؛ كالخصي، والمُخَنَّث، والشيخ الهرم، والأحمق، فلا تجوز رؤيتهم إلا باجتماع الشرطين: أن يكونوا تابعين، ولا إربة لهم في النساء. أو الطفل الذين لم يظهروا على عورات النساء، أراد بالطفل: الجنس، ولذلك وصفه بالجمع، ويقال فيه: طفل ما لم يراهق الحلم. ويظهروا معناه: يطلعون بالوطء على عورات النساء، من: ظهر على كذا: إذا قوي عليه، فمعناه: الذين لم يطبقوا وطء النساء، أو: لا يدرون ما عورات النساء؟. ولا يضربن بأرجلهن ليعلم ما يخفين من زينتهن، كانت المرأة تضرب برجلها الأرض ليسمع قعقة خلخالها، فيعلم أنها ذات خلخال، فتهين عن ذلك؛ إذ سماع صوت الزينة كإظهارها، فيورث ميل الرجال إليهن. ويوهم أن لهن ميلاً إليهم. قال الزجاج: سماع صوت الزينة أشد تحريكاً للشهوة من إبدانها. هـ. الإشارة: غض البصر عما تكره رؤيته: من أسباب جمع القلب على الله وتربية الإيمان. وفي الحديث: من غض بصره عن محارم الله، عوضه الله إيماناً يجد حلاوته في قلبه وفي إرسال البصر: من تشتت القلب، وتفريق الهم، ما لا يخفى، وفي ذلك يقول الشاعر:

وإِنَّكَ، إِنْ أَرْسَلْتَ طَرْفَكَ رَانَدًا لِقَلْبِكَ، يَوْمًا، أَتَعْبَتُكَ الْمُنَاطِرُ
تَرَى، مَا لَا كَلَّةَ أَنْتَ قَادِرٌ عَلَيْهِ، وَلَا عَنْ بَعْضِهِ أَنْتَ صَابِرٌ

فالعباد والزهاد يغضون بصرهم عن بهجة الدنيا، والعارفون يغضون بصرهم عن رؤية السوى، فلا يرون إلا تجليات المولى. قال الشبلي: قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ أَي: أبصار الرؤوس عن المحارم، وأبصار القلوب عما سوى الله. هـ.

وقوله تعالى: ولا يبيدين زينتهن إلا ما ظهر منها، قال بعضهم: لا يجوز كل ما يستدعي فتنة للغير؛ من إظهار حال مع الله، مما هو زينة السريرة، فلا يظهر شيئاً من ذلك إلا لأهله، إلا إذا ظهر عليه شيء من غير إظهار منه، ولا قصد غير صالح. هـ. فلا يجوز إظهار العلوم التي يفتتن بها الناس؛ من حقائق أسرار التوحيد، ولا من الأحوال التي تكثرها الشريعة، فيوقع الناس في غيبته. وأما قضية لص الحمام؛ فحال غالبية لا يقتدى بها. والله تعالى أعلم.

فقرات من التفسير

هـ33\90: 253

أن أسباب النزول في هذه الآيات تعددت، منها: أن قوماً كانوا يدخلون بيوت النبي بغير دعوى وينتظرون نضج الطعام، ومنها: أن قوماً كانوا يدخلون بإذن ويتخلفون بعدها طعموا مستأنسين لحديث، ومنها: مؤاكلة الأجانب مع رسول الله بحضور زوجاته، فنزلت آية الحجاب، ونهى عن ذلك كله، وهذه آيات الحجاب الخصوص أمهات المؤمنين، وأما لعموم الأمة، فقد تقدم في سورة النور تأمل. قوله: مصدر أنى يأنى أي من باب رمى، وقياس مصدر أنى، لكن لم يسمع، وإنما المسموع إنى بالكسر والقصر.

قوله: فَاسْأَلُوهُنَّ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ روي أن عمر قال: يا رسول الله، يدخل عليك البر والفاجر، فلو أمرت أمهات المؤمنين بالحجاب، فنزلت، وروي أن رسول الله كان يأكل بعض أصحابه، فأصابته يد رجل منهم عائشة، وهي تأكل معهم، فكره النبي ذلك، فنزلت هذه الآية. قوله: ذَلِكَ أي ما ذكر من عدم الدخول بغير إذن، وعدم الاستئناس للحديث، وسؤال المتاع من وراء الحجاب. قوله: من الخواطر المريبة أي أنفى وأبعد لدفع الريبة والتهمة، وهو يدل على أنه لا ينبغي لأحد أن يثق بنفسه في الخلوة، مع من لا تحل له، فإنه مجانبة ذلك أحسن لحاله وأحسن لنفسه.

هـ33\90: 359

قوله: يَأْتِيهَا اللَّيْلُ قُلْ لَأَزْوَاجُكُمُ الْخ، سبب نزولها: أن المنافقين كانوا يتعرضون للنساء بالأذية، يريدون منهم الزنا، ولم يكونوا يطلبون إلا الإماء، ولكن كانوا لا يعرفون الحرة من الأمة، لأن زي الكل واحد، تخرج الحرة والأمة في درع مخمار، فتكون ذلك لأزواجهن، فذكروا ذلك لرسول الله فنزلت. قوله: يُذْنِبُ أي يرخين ويغطين. قوله: التي تشمل بها أي تغطي وتتستر بها المرأة من فوق الدرع والخمار. قوله: فلا يغطين وجوههن أي فكن لا يغطين وجوههن، وهذا فيما مضى، وأما الآن فالواجب على الحرة والأمة الستر بثياب غير مزينة خوف الفتنة. قوله: لما سلف منهن من ترك الستر وورد أن عمر بن الخطاب مر بجارية متفتحة، فعلاها بالدرة وقال لها أنتشبهين بالحائر يا لكاع، ألقى القناع.

هـ102\24: 431

قوله: وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ هذا أمر من الله سبحانه وتعالى للمؤمنات، بغض الأبصار وحفظ الفروج، وبسط الكلام في شأنهن، لأن النساء شأنهن التبرج والخيلاء والعجب لما روي: إذا أقبلت المرأة، جلس إبليس على رأسها فزينها لمن ينظر، وإذا أدبرت جلس على عجزتها فزينها لمن ينظر، وقد اشتملت هذه الآية على خمس وعشرين ضميراً للإناث، ما بين مرفوع ومجرور، ولم يوجد لها نظير في القرآن في هذا الشأن. قوله: عما لا يحل فعله بها أي عن الأمر الذي لا يحل فعله بالفروج، كأن تمكن المرأة من فرجها غير زوجها نظراً أو فعلاً. قوله: زِينَتُهُنَّ أي موضع زينتهن. قوله: فيجوز نظره لأجنبي الخ، هذا مذهب مالك، وأحد قولين عند الشافعي. قوله: حسماً للباب أي سداً للذريعة.

قوله: وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ أي يلقين خمرهن على موضع جيوبهن، وهو العنق، والجيب في الأصل طوق القميص، وكانت النساء على عادة الجاهلية، يسدلن خمرهن من خلفهن، فتبدو نحورهن وقلاندهن من جيوبهن لسعتهن، فأمرن بإرسال خمرهن على جيوبهن سترأ لما يبدو منها. قوله: زِينَتُهُنَّ، أي موضع زينتهن. قوله: إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ حاصل هذه المستثنيات اثنا عشر نوعاً آخرها أو الطفل.

قوله: أَوْ أَبْنَائِهِنَّ أي ولو من الرضاع وإن سفلوا. قوله: أَوْ إِخْوَانَهُنَّ جمع آخر كان من نسب أو رضاع. قوله: أَوْ نَسَائِهِنَّ أي نساء جنسهن اللاتي اشتركن معهن في الايمان، فيخرج

1 <http://goo.gl/bPBqur>

2 <http://goo.gl/w5vCsc>

3 <http://goo.gl/WICSKv>

4 <http://goo.gl/4rQiJ3>

الكافرات. قوله: فيجوز لهم نظره أي يجوز للرجال المحارم رؤية ما عدا ما بين السرة والركبة من محارمهم النساء. ويجوز لهن نظر ذلك منهم، وهذا مذهب الشافعي، وعند مالك لا يحل للرجال المحارم إلا نظر الوجه والأطراف من النساء المحارم، وأما النساء فيحل لها نظر ما عدا ما بين السرة والركبة من الرجال المحارم. قوله: فلا يجوز للمسلمات الكشف لهن أي باتفاق مالك والشافعي، لئلا تصفها الكافرة لأهل دينها فتحصل المفساد. قوله: العبيد أي فيجوز أن يكشفن لهم، ما عدا ما بين السرة والركبة، ولكن بشرط العفة وعدم الشهوة من الجانبين، وهذا مذهب الشافعي، وعند مالك يفرق بين الوغد وغيره، فالوغد يرى من سيدته الوجه والأطراف، وغيره كالحر الأجنبي يرى منها الوجه والكفين.

قوله: أو التَّابِعِينَ الحق أن المراد بالتابع الشيخ الهرم الذي لا يشتبهى النساء، أو الأبله الذي لا يعرف الأرض من السماء، ولا الرجل من المرأة. قوله: غَيْرَ أُولِي الْإِرْبَةِ بالكسر الحاجة. قوله: مَنْ الرِّجَالِ حال من التابعين، أي فيجوز لمن ذكر نظر ما عدا ما بين السرة والركبة عند الشافعي، وعند مالك يحل نظر الوجه والأطراف فقط.

قوله: الَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا عَلَى عَوَازَاتِ النِّسَاءِ اعلم أن الصبي إما لا يبلغ أن يحكي ما رأى، وهذا غيبته كحضوره، أو أن يبلغه وليس فيه ثوران شهوة وهذا كالمحرم، أو يعرف أمر الجماع والشهوة، وهذا كالبالغ باتفاق مالك والشافعي.

قوله: لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ من زِينَتِهِنَّ أي فإن ذلك يورث الرجال ميلاً إليهن، وهذا من باب سد الباب وتعليم الأحوط، وإلا فصوت الخلخال مثلاً ليس بعورة. قوله: وَتَوَبُّوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعاً هذا حسن اختتام لهذه الآية، كأن الله يقول: لا تقنطوا من رحمتي، فمن كان قد وقع منه شيء مما نهيته عنه فليتب، فإن التوبة فيها الفلاح والظفر بالمقصود. قوله: تغليب الذكور أي في قوله: وَتَوَبُّوا إلخ.

فقرات من التفسير

هـ 33\90: 253

ثم ذكر سبحانه أدياً آخر متعلقاً بنساء النبي فقال: وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعاً أَي شَيْئاً يَتَمَتَّعُ بِهِ، من الماعون وغيره فَاسْأَلُوهُنَّ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ أَيْ مِنْ وَرَاءِ سِتْرٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُنَّ. والمتاع يطلق على كل ما يتمتع به، فلا وجه لما قيل من أن المراد به العارية أو الفتوى أو المصحف.

والإشارة بقوله: ذَلِكُمْ إِلَى سِوَالِ الْمَتَاعِ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ، وقيل: الإشارة إلى جميع ما ذكر من عدم الدخول بغير إذن، وعدم الاستئناس للحديث عند الدخول وسؤال المتاع، والأول أولى، واسم الإشارة مبتدأ وخبره أَطَهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبَهُنَّ أَي أَكْثَرَ تَطْهِيراً لَهَا مِنَ الرِّيبَةِ، وخاطر السوء التي تعرض للرجال في أمر النساء، وللنساء في أمر الرجال. وفي هذا أدب لكل مؤمن وتحذير له من أن يثق بنفسه في الخلوة مع من لا تحل له، والمكالمة من دون حجاب لمن تحرم عليه

ثم بين سبحانه من لا يلزم الحجاب منه، فقال: لَا جُنَاحَ عَلَيْهِنَّ فِي عَابَاتِهِنَّ وَلَا أَبْنَانِهِنَّ وَلَا إِخْوَنَهُنَّ وَلَا أَبْنَاءَ إِخْوَنَهُنَّ وَلَا أَبْنَاءَ أَخَوَاتِهِنَّ فَهَؤُلَاءِ لَا يَجِبُ عَلَى نِسَاءِ رَسُولِ اللَّهِ وَلَا غَيْرِهِنَّ مِنَ النِّسَاءِ الْإِحْتِجَابُ مِنْهُمْ، ولم يذكر العم والخال؛ لأنهما يجريان مجرى الوالدين. وقال الزجاج: العم والخال ربما يصفان المرأة لولديهما، فإن المرأة تحل لابن العم وابن الخال فكره لهما الروية، وهذا ضعيف جداً، فإن تجويز وصف المرأة لمن حل له ممكن من غيرهما ممن يجوز له النظر إليها، لا سيما أبناء الإخوة، وأبناء الأخوات. واللازم باطل، فالملزوم مثله، وهكذا يستلزم أن لا يجوز للنساء الأجنيات أن ينظرن إليها؛ لأنهن يصفنها، واللازم باطل فالملزوم مثله. وهكذا لا وجه لما قاله الشعبي وعكرمة من أنه يكره للمرأة أن تضع خمارها عند عمها أو خالها، والأولى أن يقال: إنه سبحانه اقتصر هاهنا على بعض ما ذكره من المحارم في سورة النور اكتفاء بما تقدم ولا نسايناهن هذه الإضافة تقتضي أن يكون المراد بالنساء المؤمنات؛ لأن الكافرات غير مأمونات على العورات، والنساء كلهن عورة وَلَا مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ مِنَ الْعَبِيدِ وَالْإِمَاءِ، وقيل: الإماء خاصة، ومن لم يبلغ من العبيد، والخلاف في ذلك معروف.

وقد تقدم في سورة النور ما فيه كفاية. ثم أمرهن سبحانه بالنقوى التي هي ملاك الأمر كله، والمعنى: اتقين الله في كل الأمور التي من جملتها ما هو مذكور هنا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيداً لم يغيب عنه شيء من الأشياء كأننا ما كان، فهو مجاز للمحسن بإحسانه وللمسيء بإساءته.

وقد أخرج البخاري ومسلم عن أنس قال: قال عمر بن الخطاب: يا رسول الله إن نساءك يدخل عليهن البر والفاجر فلو حجبتهن، فأنزل الله آية الحجاب. وفي لفظ أنه قال عمر: يا رسول الله، يدخل عليك البر والفاجر، فلو أمرت أمهات المؤمنين بالحجاب، فأنزل الله آية الحجاب. وأخرج البخاري ومسلم وغيرهما عن أنس قال: لما تزوج رسول الله زينب بنت جحش دعا القوم فطعموا، ثم جلسوا يتحدثون وإذا هو كأنه يتهيأ للقيام فلم يقوموا، فلما رأى ذلك قام، فلما قام قام من قام وقعد ثلاثة نفر، فجاء النبي ليدخل، فإذا القوم جلوس، ثم إنهم قاموا، فانطلقت فجئت، فأخبرت النبي أنهم قد انطلقوا، فجاء حتى دخل، فذهبت أدخل فألقى الحجاب بيني وبينه، فأنزل الله يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ إِلَّا بِإِذْنِهَا. وأخرج ابن جرير عن عائشة: أن أزواج النبي كن يخرجن بالليل إذا تبرزن إلى المناصع، وهو صعيد أفيع، وكان عمر بن الخطاب يقول لرسول الله: احجب نساءك، فلم يكن رسول الله يفعل، فخرجت سودة بنت زمعة ليلة من الليالي عشاء، وكانت امرأة طويلة، فناداها عمر بصوته الأعلى: قد عرفناك يا سودة حرصاً على أن ينزل الحجاب، فأنزل الله الحجاب قال: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ إِلَّا بِإِذْنِهَا. وأخرج ابن سعد عن أنس قال: نزل الحجاب مبتتلى رسول الله بزينب بنت جحش، وذلك سنة خمس من الهجرة، وحجب نساءه من يومئذ، وأنا ابن خمس عشرة سنة.

¹ <https://goo.gl/ak3scK>

² <https://goo.gl/rRe8OZ>

وكذا أخرج ابن سعد عن صالح بن كيسان، وقال: نزل الحجاب على نساءه في ذي القعدة سنة خمس من الهجرة، وبه قال قتادة والواقدي. وزعم أبو عبيدة وخليفة بن خياط: أن ذلك كان في سنة ثلاث. هـ 90\33: 159

لما فرغ سبحانه من الزجر لمن يؤذي رسوله والمؤمنين والمؤمنات من عباده أمر رسوله: بأن يأمر بعض من ناله الأذى ببعض ما يدفع ما يقع عليه منه، فقال: يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لَأَزُوجَكُمْ وَنِسَاءَ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِنْ جَلَابِيبِهِنَّ مِنَ التَّبَعِيزِ، والجلابيب جمع جلباب، وهو: ثوب أكبر من الخمار. قال الجوهرى: الجلباب الملحفة، وقيل: القناع، وقيل: هو ثوب يستر جميع بدن المرأة، كما ثبت في الصحيح من حديث أم عطية أنها قالت: يا رسول الله، إحدانا لا يكون لها جلباب، فقال: لتلبسها أختها من جلبابها، قال الواحدى: قال المفسرون: يغطين وجوههن ورؤوسهن إلا عيناً واحدة، فيعلم: أنهن حرائر فلا يعرض لهن بأذى. وقال الحسن: تغطي نصف وجهها. وقال قتادة: تلويه فوق الجبين وتشده ثم تعطفه على الأنف، وإن ظهرت عيناها لكنه يستر الصدر ومعظم الوجه، والإشارة بقوله: ذلك إلى إنداء الجلابيب، وهو مبتدأ وخبره أدنى أن يُعْرِفْنَ أي أقرب أن يعرفن، فيتميزن عن الإماء، ويظهر للناس أنهن حرائر فلا يُؤْذِينَ من جهة أهل الريبة بالتعرض لهن مراقبة لهن، ولأهلهن وليس المراد بقوله: ذلك أدنى أن يُعْرِفْنَ أن تعرف الواحدة منهن من هي، بل المراد: أن يعرفن أنهن حرائر لا إماء؛ لأنهن قد لبسن لبسة تختص بالحرائر وكان الله غفوراً لما سلف منهن من ترك إنداء الجلابيب رحيماً بهن، أو غفوراً لذنوب المذنبين رحيماً بهم، فيدخلن في ذلك دخولاً أولياً.

هـ 102\24: 231

لما ذكر سبحانه حكم الاستئذان، أتبعه بذكر حكم النظر على العموم، فيندرج تحته غضّ البصر من المستأذن، كما قال: إنما جعل الإذن من أجل البصر وخص المؤمنين مع تحريمه على غيرهم، لكون قطع ذرائع الزنا التي منها النظر هم أحق من غيرهم بها، وأولى بذلك ممن سواهم. وقيل: إن في الآية دليلاً على أن الكفار غير مخاطبين بالشرعيات كما يقوله بعض أهل العلم، وفي الكلام حذف، والتقدير قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ غُضُوا يَغُضُّوا، ومعنى غضّ البصر: إطباق الجفن على العين بحيث تمتنع الرؤية، ومنه قول جرير: فغضّ الطرف إنك من نمير

وقول عنتره:

وأغضّ طرفي ما بدت لي جارتي حتى يوارى جارتي ما واهي

ومن في قوله من أبصّرهم هي: التبعية، وإليه ذهب الأكثرون، وبينوه بأن المعنى: غضّ البصر عما يحرم والاقتصار به على ما يحل. وقيل: وجه التبعية: أنه يعفى للنظر أول نظرة تقع من غير قصد. وقال الأخفش: إنها زائدة، وأنكر ذلك سيبويه. وقيل: إنها لبيان الجنس قاله أبو البقاء. واعترض عليه: بأنه لم يتقدّم مبهم يكون مفسراً بمن، وقيل: إنها لابتداء الغاية قاله ابن عطية، وقيل: الغضّ النقصان، يقال: غضّ فلان من فلان أي: وضع منه، فالبصر إذا لم يمكن من عمله، فهو: مغضوض منه، ومنقوص، فتكون من صلة للغضّ، وليست لمعنى من تلك المعاني الأربعة. وفي هذه الآية دليل على تحريم النظر إلى غير من يحلّ النظر إليه، ومعنى وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ: أنه يجب عليهم حفظها عما يحرم عليهم. وقيل: المراد ستر فروجهم عن أن يراها من لا تحلّ له رؤيتها، ولا مانع من إرادة المعنيين، فالكل يدخل تحت حفظ الفرج. قيل: ووجه المجيء بمن في الأبصار دون الفروج أنه موسع في النظر فإنه لا يحرم منه إلا ما استثنى، بخلاف حفظ الفرج فإنه مضيق فيه، فإنه لا يحلّ منه إلا ما استثنى. وقيل: الوجه أن غضّ البصر كله كالمعتذر، بخلاف حفظ الفرج فإنه ممكن على الإطلاق، والإشارة بقوله: ذلك إلى ما ذكر من الغضّ، والحفظ، وهو مبتدأ، وخبره: أرَكِي لَهُمْ أي: أظهر لهم من دنس الريبة، وأطيب من التلبس بهذه الدنينة إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ لا يخفى عليه شيء من صنعهم، وفي ذلك وعيد لمن لم يغضّ بصره، ويحفظ فرجه.

وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ خَصَّ سبحانه الإناث بهذا الخطاب على طريق التأكيد لدخولهن تحت خطاب المؤمنين تغليباً كما في سائر الخطابات القرآنية، وظهر التضعيف في يغضضن، ولم يظهر في يغضوا، لأن لام الفعل من الأول متحركة، ومن الثاني ساكنة، وهما في موضع جزم جواباً للأمر، وبدأ سبحانه بالغضّ في الموضعين قبل حفظ الفرج؛ لأن النظر وسيلة إلى عدم حفظ الفرج، والوسيلة مقامة على المتوسل إليه، ومعنى: يغضضن من أبصارهن كمعنى: يغضوا من أبصارهم، فيستدل به على تحريم نظر النساء إلى ما يحرم عليهن، وكذلك يجب عليهن حفظ فروجهن على الوجه الذي تقدّم في حفظ الرجال

¹ <http://goo.gl/dtwvpH>

² <http://goo.gl/gzpfu8>

ثم استثنى سبحانه من هذا النهي، فقال: إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا.

ثم استثنى سبحانه من هذا النهي، فقال: إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا.

سعيد بن جبير الوجه. وقال عطاء، والأوزاعي: الوجه والكفان. وقال ابن عباس، وقتادة والمسور بن مخرمة:

ابن عطية: إن المرأة لا تبدي شيئاً من الزينة، وتخفي كل شيء من زينتها، ووقع الاستثناء فيما يظهر منها

والخمار، ونحوهما مما على الكف، والقدمين من الحلية، ونحوها، وإن كان المراد بالزينة: مواضعها كان

الزينة يستلزم النهي عن إظهار مواضعها بفحوى الخطاب، فإنه يحمل الاستثناء على ما ذكرناه في

من الجميع. قال الفرطبي في تفسيره: الريه على قسمين: حافية، ومكسبة؛ فالحافية: وجهها قائم أصل الريه،

خَذُوْهُ اِنْ يَّتَكَبَّرُ الْاَعْمٰىفِ ۝٣١، وَقَوْلُ الشَّاعِرِ .

بأخذ

وَلْيَضْحَكُوا زَكَاةً عَلَىٰ حُبِّهِمْ قُرْءَ الْحَمْدِ

لأن أصل لام الأمر الكسر، ورويت هذه القراءة عن ابن عباس. والخ

والقميص، مأخوذ من الجوب، وهو القطع. قال المفسرون: إن نساء الجاهلية كنَّ يسدّدن خمرهنَّ من خلفهنَّ،

لنستتر بذلك ما كان يبدو، وفي لفظ الضرب مبالغة في الإلقاء الذي هو: الإلصاق. قرأ الجمهور بخمرهنّ

وقرأ الجمهور: حيوبهنّ بضم الجيم، وقرأ ابن كثير، وبعض الكوفيين بكسر ها، وكثير من متقدمي النحويين

بين الضم والكسر فمحال لا يفدر احد ان ينطق به إلا على الإيماء، وقد فسّر الجمهور الجيوب بما قدمنا،

أي: على مواضع جيوبهم.

الْبُحْلُ مُؤَى: الرُّوحُ وَالسَّيِّدُ فِي حَرَمِ الْعَرَبِ، وَكُذِّمَ الْبُحْلُ لِأَنَّهُمُ الْمُتَصَدِّقُونَ بَابِئِيَّةٍ، وَلَمْ يَكُنْ عَلَى بَيْتِ الرُّوحِ
وَالسَّيِّدَةِ حِلَالٌ، إِيَّاهُ، وَمِثْلُهُ قَوْلُهُ سَبَّحَانَهُ:

لما استثنى سبحانه الزوج أعتبه باستثناء ذوي المحارم، فقال أو أبائهم أو آباء يعولتهم إلى قوله: أو نساء

عن القرائب. وقد روى عن الحسن والحسين: أنهما كانا لا ينظران إلى أمهات المؤمنين ذهاباً منهما إلى أن

لَا جُنَاحَ عَلَيْهِمْ فِي آبَائِهِمْ الْأَحْزَابِ: 55 والمراد بأبناء بعولتهن ذكور أولاد الأزواج، ويدخل في قوله أو

وإن علواً، وكذلك أبناء البعولة، وإن سفلاً، وكذلك أبناء الإخوة، والأخوات. وذهب الجمهور إلى أن العم

الشعبي، وعكرمه: ليس العمّ والخال من المحارم، ومعنى أو نسائهن هن: المختصات بهن الملابس لهن

لَهُنَّ أَنْ يَبْدِينَ رِيثَهُنَّ لَهُنَّ لِأَنَّهُنَّ لَا يَخْرُجْنَ عَنْ وَصْفِهِنَّ لِلرِّجَالِ. وَفِي هَذِهِ الْمَسْأَلَةِ خِلَافٌ بَيْنَ أَهْلِ الْعِلْمِ،

والإمام من غير فرق بين أن يكونوا مسلمين أو كافرين، وبه قال جماعة من أهل العلم، وإليه ذهب عائشة، وأم سلمة، وابن عباس، ومالك، وقال سعيد بن المسيب: لا تغرنكم هذه الآية أو ما ملكت أيمنهن إنما عني بها الإمام، ولم يعن بها العبيد. وكان الشعبي يكره أن ينظر المملوك إلى شعر مولاته، وهو قول عطاء، ومجاهد، والحسن، وابن سيرين، وروي عن ابن مسعود، وبه قال أبو حنيفة، وابن جريج أو الثلبعين غير أولى الآية من الرجال قرأ الجمهور غير بالجر.

وقرأ أبو بكر، وابن عامر بالنصب على الاستثناء، وقيل: على القطع، والمراد بالتابعين: هم الذين يتبعون القوم فيصيبون من طعامهم لا همة لهم إلا ذلك، ولا حاجة لهم في النساء، قاله مجاهد، وعكرمة، والشعبي، ومن الرجال في محل نصب على الحال. وأصل الإربة والإرب والماربة: الحاجة، والجمع: مآرب، أي: حوائج، ومنه قوله سبحانه:

ولي فيها مآرب أخرى طه: 18 ومنه قول طرفة:

إذا المرء قال الجهل والحب والخنا تقدم يوماً ثم ضاعت مآربه

وقيل: المراد بغير أولى الإربة من الرجال: الحمقى الذين لا حاجة لهم في النساء، وقيل: البله، وقيل: العنين، وقيل: الخصي، وقيل: المخت، وقيل: الشيخ الكبير، ولا وجه لهذا التخصيص، بل المراد بالآية ظاهرها، وهم: من يتبع أهل البيت، ولا حاجة له في النساء، ولا يحصل منه ذلك في حال من الأحوال، فيدخل في هؤلاء من هو بهذه الصفة ويخرج من عاده أو الطفل الذين لم يظهروا على عورت النساء الطفل: يطلق على المفرد والمثنى، أو المراد به هنا: الجنس الموضوع موضع الجمع بدلالة وصفه بوصف الجمع، وفي مصحف أبي أو الأطفال على الجمع، يقال للإنسان طفل: ما لم يراهق الحلم، ومعنى لم يظهروا لم يطلعوا، من الظهور بمعنى الاطلاع، قاله ابن قتيبة. وقيل: معناه: لم يبلغوا حد الشهوة، قاله الفراء، والزجاج، يقال: ظهرت على كذا: إذا غلبته، وقهرته. والمعنى: لم يطلعوا على عورات النساء ويكشفوا عنها للجماع، أو لم يبلغوا حد الشهوة للجماع. قراءة الجمهور: عورات بسكون الواو تخفيفاً، وهي لغة جمهور العرب. وقرأ ابن عامر في رواية بفتحها. وقرأ بذلك ابن أبي إسحاق، والأعمش. ورويت هذه القراءة عن ابن عباس، وهي لغة هذيل بن مدركة، ومنه قول الشاعر الذي أنشده الفراء:

أخو بيضات رائح متأوب رفيق لمسح المنكبين سبوخ

واختلف العلماء في وجوب ستر ما عدا الوجه والكفين من الأطفال، فقيل: لا يلزم لأنه لا تكليف عليه، وهو الصحيح؛ وقيل: يلزم لأنها قد تشتهي المرأة. وهكذا اختلف في عورة الشيخ الكبير الذي قد سقطت شهوته، والأولى بقاء الحرمة كما كانت، فلا يحل النظر إلى عورته، ولا يحل له أن يكشفها.

وقد اختلف العلماء في حد العورة، قال القرطبي: أجمع المسلمون على أن السواتين عورة من الرجل، والمرأة، وأن المرأة كلها عورة إلا وجهها، ويديها على خلاف في ذلك. وقال الأكثر: إن عورة الرجل من سرتة إلى ركبته ولا يضرب بأرجلهن ليعلم ما يخفين من زينتهن أي: لا تضرب المرأة برجلها إذا مشت ليسمع صوت خلخالها من يسمعه من الرجال، فيعلمون أنها ذات خلخال.

قال الزجاج: وسماع هذه الزينة أشد تحريكاً للشهوة من إبدانها. ثم أرشد عبادته إلى التوبة عن المعاصي، فقال سبحانه وتوياً إلى الله جميعاً أيه المؤمنون فيه الأمر بالتوبة، ولا خلاف بين المسلمين في وجوبها، وأنها فرض من فرائض الدين، وقد تقدم الكلام على التوبة في سورة النساء. ثم ذكر ما يرغبهم في التوبة، فقال لعلكم تفلحون أي: تفوزون بسعادة الدنيا والآخرة، وقيل: إن المراد بالتوبة هنا: هي عما كانوا يعملونه في الجاهلية، والأول أولى لما تقرر في السنة أن الإسلام يجب ما قبله.

وقد أخرج ابن مردويه عن علي بن أبي طالب قال: مر رجل على عهد رسول الله في طريق من طرقات المدينة، فنظر إلى امرأة، ونظرت إليه، فوسوس لهما الشيطان: أنه لم ينظر أحدهما إلى الآخر إلا إعجاباً به، فبينما الرجل يمشي إلى جنب حائط، وهو ينظر إليها، إذ استقبله الحائط، فشق أنفه، فقال: والله لا أغسل الدم حتى أتى رسول الله، فأعلمه أمري، فأتاه، فقص عليه قصته، فقال النبي: هذا عقوبة ذنبك، وأنزل الله: قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم الآية. وأخرج ابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، عن ابن عباس: قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم قال: يعني من شهواتهم مما يكره الله. وأخرج ابن أبي شيبة، وأبو داود، والترمذي، والبيهقي في سننه عن بريدة قال: قال رسول الله: لا تتبع النظرة النظرة، فإن الأولى لك، وليست لك الأخرى وفي مسلم، وأبي داود، والترمذي، والنسائي، عن جرير البجلي قال: سألت رسول الله عن نظرة الفجأة، فأمرني أن أصرف بصري، وفي الصحيحين، وغيرهما من حديث أبي سعيد قال: قال رسول الله: إياكم والجلوس على الطرقات، قالوا: يا رسول الله ما لنا بد من مجالسنا نتحدث فيها، فقال: إن أبيتم فأعطوا

الطريق حقه، قالوا: وما حقه يا رسول الله؟ قال: غَضَ البصر، وكف الأذى، ورَدَ السلام، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر. وأخرج البخاري، وأهل السنن، وغيرهم عن بهز بن حكيم، عن أبيه، عن جده قال: قلت: يا رسول الله عوراتنا ما نأتي منها، وما نذر؟ قال: احفظ عورتك إلا من زوجتك، أو ما ملكت يمينك، قلت: يا نبي الله إذا كان القوم بعضهم في بعض، قال: إن استطعت أن لا يراها أحد فلا يرينها، قلت: إذا كان أحدنا خالياً، قال:

فالله أحق أن يستحيا منه من الناس وفي الصحيحين، وغيرهما من حديث أبي هريرة قال: قال رسول الله: كتب الله على ابن آدم حظه من الزنا أدرك ذلك لا محالة، فزنا العين النظر، وزنا اللسان النطق، وزنا الأذنين السماع، وزنا اليدين البطش، وزنا الرجلين الخطو، والنفس تتمنى، والفرج يصدق ذلك أو يكذبه وأخرج الحاكم وصححه عن حذيفة قال: قال رسول الله: النظرة سهم من سهام إبليس مسمومة، فمن تركها من خوف الله أثابه الله إيماناً يجد حلاوته في قلبه، والأحاديث في هذا الباب كثيرة. وأخرج ابن أبي حاتم عن مقاتل قال: بلغنا، والله أعلم: أن جابر بن عبد الله الأنصاري حدث أن أسماء بنت يزيد كانت في نخل لها لبني حارثة، فجعل النساء يدخلن عليها غير متزرات فيبدو ما في أرجلهن، يعني: الخلاخل، وتبدو صدورهن وذوائهن، فقالت أسماء: ما أقبح هذا، فأنزل الله ذلك: وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَرِهِنَّ الْآيَةَ، وفيه - مع كونه مراسلاً - مقاتل.

وأخرج عبد الرزاق، والفرابي، وسعيد بن منصور، وابن أبي شيبة، وعبد بن حميد، وابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، والطبراني، والحاكم وصححه، وابن مردويه عن ابن مسعود في قوله وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ قال: الزينة: السوار، والدملج، والخلخال، والقرط، والقلادة، إلا ما ظهرَ منها قال: الثياب والجلباب. وأخرج ابن أبي شيبة، وابن جرير، وابن المنذر عنه قال: الزينة زينتان ظاهرة، وزينة باطنة لا يراها إلا الزوج، فأما الزينة الظاهرة، فالثياب، وأما الزينة الباطنة، فالكحل، والسوار، والخاتم. ولفظ ابن جرير: فالظاهرة منها الثياب، وما خفي الخلخالان، والقرطان، والسواران. وأخرج ابن المنذر عن أنس في قوله: إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا قال: الكحل والخاتم. وأخرج سعيد بن منصور، وعبد بن حميد، وابن جرير، وابن المنذر، والبيهقي في سننه عن ابن عباس وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا قال: الكحل، والخاتم، والقرط، والقلادة. وأخرج عبد الرزاق، وعبد بن حميد عنه قال: هو خضاب الكف، والخاتم. وأخرج ابن أبي شيبة، وعبد بن حميد عن ابن عمر قال: الزينة الظاهرة الوجه والكفان. وأخرج ابن عباس قال: إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا وجهها، وكفها، والخاتم، وأخرج أيضاً عنه قال: رقعة الوجه وباطن الكف. وأخرج ابن أبي شيبة، وعبد بن حميد، وابن المنذر، والبيهقي في سننه عن عائشة: أنها سئلت عن الزينة الظاهرة قالت: القلب، والفتخ، وضمت طرف كمها. وأخرج أبو داود، وابن مردويه، والبيهقي عن عائشة: أن أسماء بنت أبي بكر دخلت على النبي وعليها ثياب رقاق، فأعرض عنها وقال:

يا أسماء إن المرأة إذا بلغت المحيض لم تصلح أن يرى منها إلا هذا، وأشار إلى وجهه وكفه. قال أبو داود، وأبو حاتم الرازي: هذا مرسل لأنه من طريق خالد بن دريك عن عائشة، ولم يسمع منها. وأخرج البخاري، وأبو داود، والنسائي، وابن جرير، وابن المنذر، وابن مردويه، والبيهقي في سننه عن عائشة: قالت: رحم الله نساء المهاجرات الأوالات لما أنزل الله وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَى جُيُوبِهِنَّ شَقْنَ أَكْثَفَ مَرُوطِهِنَّ، فاختمرن به. وأخرج ابن جرير، والحاكم وصححه، وابن مردويه عنها بلفظ: أخذ النساء أزهرن، فشققنها من قبل الحواشي، فاختمرن بها. وأخرج ابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، والبيهقي في سننه عن ابن عباس في قوله: وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا، والزينة الظاهرة: الوجه، وكحل العينين، وخضاب الكف، والخاتم، فهذا تظاهرة في بيتها لمن دخل عليها، ثم قال وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ آبَائِهِنَّ الْآيَةَ، والزينة التي تبديها لهؤلاء: قرطها، وقلادتها، وسوارها، فأما خلخالها، ومعصدها، ونحرها، وشعرها، فإنها لا تبديه إلا لزوجها.

وأخرج عبد بن حميد، وابن المنذر من طريق الكلبي، عن أبي صالح، عن ابن عباس: أَوْ نَسَائِهِنَّ قال: هنّ المسلمات لا تبديه لليهودية ولا نصرانية، وهو النحر، والقرط، والوشاح، وما يحرم أن يراه إلا محرم. وأخرج سعيد بن منصور، وابن المنذر، والبيهقي في سننه، عن عمر بن الخطاب: أنه كتب إلى أبي عبيدة: أما بعد، فإنه بلغني أن نساء من نساء المسلمين يدخلن الحمامات مع نساء أهل الشرك، فإنه من قبلك عن ذلك، فإنه لا يحل لامرأة تؤمن بالله واليوم الآخر أن ينظر إلى عورتها إلا أهل ملتها. وأخرج ابن أبي شيبة، وابن المنذر، عن ابن عباس قال: لا بأس أن يرى العبد شعر سيده. وأخرج أبو داود وابن مردويه، والبيهقي عن أنس: أن النبي أتى فاطمة بعيد قد وهب لها، وعلى فاطمة ثوب إذا قنع به رأسها لم يبلغ رجليها، وإذا غطت

به رجليها لم يبلغ رأسها، فلما رأى النبي ما تلقى قال: إنه ليس عليك بأس إنما هو أبوك و غلامك وإسناده في سنن أبي داود هكذا، حدثنا محمد بن عيسى، حدثنا أبو جميع سالم بن دينار، عن ثابت، عن أنس فذكره. وأخرج عبد الرزاق، وأحمد عن أم سلمة: أن رسول الله قال: إذا كان لإحداكن مكاتب، وكان له ما يؤدي، فلتحتجب منه، وإسناده أحمد هكذا: حدثنا سفيان بن عيينة، عن الزهري، عن نبهان: أن أم سلمة... فذكره. وأخرج الفريابي، وابن أبي شيبه، وعبد بن حميد، وابن جرير عن ابن عباس في قوله: أَوِ التَّبَعِينَ غَيْرَ أُولَى الْإِزْبَةِ مِنَ الرِّجَالِ قال: هذا الذي لا تستحي منه النساء.

وأخرج ابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، والبيهقي في سننه عن ابن عباس في الآية قال: هذا الرجل يتبع القوم، وهو مغفل في عقله، لا يكثرث للنساء، ولا يشتهي النساء. وأخرج ابن جرير، وابن المنذر عنه في الآية قال: كان الرجل يتبع الرجل في الزمان الأول لا يغار عليه، ولا ترهب المرأة أن تضع خمارها عنده، وهو الأحمق الذي لا حاجة له في النساء. وأخرج ابن أبي شيبه، وعبد بن حميد، وابن المنذر، وابن أبي حاتم عنه أيضاً في الآية قال: هو المخنث الذي لا يقوم زبه. وأخرج عبد الرزاق وعبد بن حميد ومسلم وأبو داود والنسائي وابن جرير وابن أبي حاتم وابن مردويه، والبيهقي، عن عائشة قالت: كان رجل يدخل على أزواج النبي مخنث، فكانوا يدعونه من غير أولي الإربة، فدخل النبي يوماً وهو عند بعض نسائه، وهو ينعت امرأة قال: إذا أقبلت أقبلت بأربع، وإذا أدبرت أدبرت بثمان، قال النبي: ألا أرى هذا يعرف ما ها هنا لا يدخلن عليكم، فحجبه وأخرج ابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، عن ابن عباس في قوله: وَلَا يَضْرِبْنَ بَأَرْجُلَهُنَّ وَهُوَ: أن تفرع الخلخال بالآخر عند الرجال، أو يكون في رجلها خلخال فتحركهن عند الرجال، فنهى الله عن ذلك، لأنه من عمل الشيطان.

فقرات من التفسير

هـ\90: 33: 253

وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ الضمير لنساء النبي المدلول عليهن بذكر بيوته عليه الصلاة والسلام أي وإذا طلبتم منهن مَتَّعًا أي شيئاً يتمتع به من الماعون وغيره فَاسْأَلُوهُنَّ فاطلبوا منهن ذلك مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ أي ستر. / أخرج البخاري وابن جرير وابن مردويه عن أنس رضي الله تعالى عنه قال: قال عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه يا رسول الله يدخل عليك البر والفاجر فلو أمرت أمهات المؤمنين بالحجاب فأنزل الله تعالى آية الحجاب وكان رضي الله تعالى عنه حريصاً على حجابهن وما ذاك إلا حباً لرسول الله. أخرج ابن جرير عن عائشة أن أزواج النبي عليه الصلاة والسلام كن يخرجن بالليل إذ برزن إلى المناصع وهو صعيد أفيح وكان عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه يقول للنبي: احجب نساءك فلم يكن رسول الله يفعل فخرجت سودة بنت زمعة رضي الله تعالى عنها ليلة من الليالي عشاء وكانت امرأة طويلة فناداها عمر رضي الله تعالى عنه بصوته الأعلى قد عرفناك يا سودة حرصاً على أن ينزل الحجاب فأنزل الله تعالى الحجاب وذلك أحد موافقات عمر رضي الله تعالى عنه وهي مشهورة.

وعد الشيعة ما وقع منه رضي الله تعالى عنه في خبر ابن جرير من المثالب قالوا: لما فيه من سوء الأدب وتخجيل سودة حرم رسول الله وإيذائها بذلك. وأجاب أهل السنة بعد تسليم صحة الخبر أنه رضي الله تعالى عنه رأى أن لا بأس بذلك لما غلب على ظنه من ترتب الخير العظيم عليه، ورسول الله وإن كان أعلم منه وأغير لم يفعل ذلك انتظاراً للوحي وهو اللائق بكمال شأنه مع ربه عز وجل. وأخرج البخاري في الأدب والنسائي من حديث عائشة أنها كانت تأكل معه عليه الصلاة والسلام وكان يأكل معهما بعض أصحابه فأصابته يد رجل يدها فكره النبي ذلك فنزلت، ولا يبعد أن يكون مجموع ما ذكر سبباً للنزول، ونزل الحجاب على ما أخرج ابن سعد عن أنس سنة خمس من الهجرة. وأخرج عن صالح بن كيسان أن ذلك في ذي القعدة منها.

ذَلِكَ الظاهر أنه إشارة إلى السؤال من وراء حجاب، وقيل: هو إشارة إلى ما ذكر من عدم الدخول بغير إذن وعدم الاستئناس للحديث عند الدخول وسؤال المتاع من وراء حجاب أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ أي أكثر تطهراً من الخواطر الشيطانية التي تخطر للرجال في أمر النساء وللنساء في أمر الرجال فإن الرواية سبب التعلق والفتنه، وفي بعض الآثار النظر سهم مسموم من سهام إبليس، وقال الشاعر:
والمرء ما دام ذا عين يقلبها في أعين العين موقوف على الخطر
يسر مقلته ما ساء مهجته لا مرحباً بانتفاع جاء بالضرر

هـ\90: 33: 359

يَأْيَاهَا النَّبِيُّ بعد ما بين سبحانه سوء حال المؤذين زجراً لهم عن الإيذاء أمر النبي بأن يأمر بعض المتأذين منهم بما يدفع إيذاءهم في الجملة من التستر والتميز عن مواقع الإيذاء فقال عز وجل:
قُلْ لَا أَرْوِجُكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاءَ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِنْ جَلِيبِهِنَّ روي عن غير واحد أنه كانت الحرة والأمة تخرجان ليلاً لقضاء الحاجة في الغيطان وبين النخيل من غير امتياز بين الحرائر والإماء وكان في المدينة فساق يتعرضون للإماء وربما تعرضوا للحرائر فإذا قيل لهم يقولون حسبناهن إماء فأمرت الحرائر أن يخالفن الإماء بالزي والتستر ليحتشمن ويهبن فلا يطمع فيهن، والجلابيب جمع جلباب وهو على ما روي عن ابن عباس الذي يستر من فوق إلى أسفل، وقال ابن جبير: المقنعة، وقيل: الملحفة، وقيل: كل ثوب تلبسه المرأة فوق ثيابها، وقيل: كل ما تستتر به من كساء أو غيره، وأنشدوا
تجلببت من سواد الليل جلباباً

¹ <https://goo.gl/Q5ITFF>

² <http://goo.gl/qZumvS>

³ <http://goo.gl/Wtb7OK>

وقيل هو ثوب أوسع من الخمار ودون الرداء، والإدناء التقريب يقال أدناني أي قربني وضمن معنى الإرخاء أو السدل / ولذا عدي بعلی على ما يظهر لي، ولعل نكتة التضمنين الإشارة إلى أن المطلوب تستر يتأتى معه رؤية الطريق إذا مشين فتأمل. ونقل أبو حيان عن الكسائي أنه قال: أي يتقنعن بملاحفهن منضمة عليهن ثم قال: أراد بالانضمام معنى الإدناء، وفي الكشف معنى يُدْنِيْنَ عَلَيَّهِنَّ يرخين عليهن يقال إذا زل الثوب عن وجه المرأة أدنى ثوبك على وجهك. وفسر ذلك سعيد بن جببر ببسذلن عليهن، وعندي أن كل ذلك بيان لحاصل المعنى، والظاهر أن المراد بعليهن على جميع أجسادهن، وقيل: على رؤوسهن أو على وجوههن لأن الذي كان يبدو منهن في الجاهلية هو الوجه.

واختلف في كيفية هذا التستر، فأخرج ابن جرير وابن المنذر وغيرهما عن محمد بن سيرين قال: سألت عبيدة السلماني عن هذه الآية يُدْنِيْنَ عَلَيَّهِنَّ من جَلْبِيْهِنَّ فرفع ملحفة كانت عليه ففقتع بها وغطى رأسه كله حتى بلغ الحاجبين وغطى وجهه وأخرج عينة اليسرى من شق وجهه الأيسر، وقال السدي: تغطي إحدى عينيها وجهيتها والشق الآخر إلا العين، وقال ابن عباس وقتادة: تلوي الجلباب فوق الجبين وتشده ثم تعطفه على الألف وإن ظهرت عيناها لكن تستر الصدر ومعظم الوجه، وفي رواية أخرى عن الحبر رواها ابن جرير وابن أبي حاتم وابن مردويه تغطي وجهها من فوق رأسها بالجلباب وتبدي عينا واحدة. وأخرج عبد الرزاق وجماعة عن أم سلمة قالت: لما نزلت هذه الآية يُدْنِيْنَ عَلَيَّهِنَّ من جَلْبِيْهِنَّ خرج نساء الأنصار كأن على رؤوسهن الغربان من السكينة وعليهن أكسية سود يلبسهن.

وأخرج ابن مردويه عن عائشة قالت: رحم الله تعالى نساء الأنصار لما نزلت بِأَلْبَاسِهِنَّ أَلْبَسِيْ قُلُ لَأَرْوَجَكُ وَبَنَاتُكَ الآية شققن مروطهن فاعتجرن بها فصلين خلف رسول الله كأنما على رؤوسهن الغربان.

ومن للتبعيض ويحتمل ذلك على ما في الكشف وجهين، أحدهما أن يكون المراد بالبعض واحداً من الجلابيب وإدناء ذلك عليهن أن يلبسنه على البدن كله، وثانيهما أن يكون المراد بالبعض جزءاً منه وإدناء ذلك عليهن أن يتقنعن فيسترن الرأس والوجه بجزء من الجلباب مع إرخاء الباقي على بقية البدن، والنساء مختصات بحكم العرف بالحرائر وسبب النزول يقتضيه وما بعد ظاهر فيه فإماء المؤمنين غير داخلات في حكم الآية. وعن عمر رضي الله تعالى عنه أن غير الحرة لا تتقنع. أخرج ابن أبي شيبة عن قلاية قال: كان عمر بن الخطاب لا يدع في خلافته أمة تتقنع ويقول: القناع للحرائر لكيلا يؤذين؛ وأخرج هو وعبد بن حميد عن أنس رضي الله تعالى عنه قال: رأى عمر رضي الله تعالى عنه جارية مقنعة فضربها بدرته وقال: ألقى القناع لا تتشبهي بالحرائر، وجاء في بعض الروايات أنه رضي الله تعالى عنه قال لأمة رأها مقنعة: يا لكعاء أتشبهين بالحرائر؟ وقال أبو حيان: نساء المؤمنين يشمل الحرائر والإماء والفتنة بالإماء أكثر لكثرة تصرفهن بخلاف الحرائر فيحتاج إخراجهن من عموم النساء إلى دليل واضح انتهى.

وأنت تعلم أن وجه الحرة عندنا ليس بعورة فلا يجب ستره ويجوز النظر من الأجنبي إليه إن أمن الشهوة مطلقاً وإلا فيحرم، وقال القهستاني: منع النظر من الشابة في زماننا ولو بلا شهوة وأما حكم أمة الغير ولو مدبرة أو أم ولد فكحكم المحرم فيحل النظر إلى رأسها ووجهها وساقها وصدرها وعضدها إن أمن شهوته وشهوتها. وظاهر الآية لا يساعد على ما ذكر في الحرائر فلعلها محمولة على طلب تستر تمتاز به الحرائر عن الإماء أو العفاف مطلقاً عن غيرهن فتأمل؛ ويُدْنِيْنَ / يحتمل أن يكون مقول القول وهو خبر بمعنى الأمر وأن يكون جواب الأمر على حد

قُلْ لِّلْعَبَادِ الَّذِينَ ءَامَنُوا يُقِيمُوا الصَّلَاةَ إِبراهيم: 31 وفي الآية رد على من زعم من الشيعة أنه عليه الصلاة والسلام لم يكن له من البنات إلا فاطمة على أبيها وعليها وسلم وأما رقية. وأما كلثوم فربيبناه عليه الصلاة والسلام.

ذلك أي ما ذكر من الإدناء والتستر أدنى أي أقرب أي يُعْرَفُنَ أي يميزن عن الإماء اللاتي هن مواقع تعرضهم وإدائهم. ويجوز إبقاء المعرفة على معناها أي أدنى أن يعرفن أنهن حرائر فلا يُدْنِيْنَ من جهة أهل الريبة بالتعرض لهن بناء عن أنهن إماء.

وقال أبو حيان: أي ذلك أولى أن يعرفن لتسترهن بالعفة فلا يتعرض لهن ولا يلقين بما يكرهن لأن المرأة إذا كانت في غاية التستر والانضمام لم يقدم عليها بخلاف المتبرجة فإنها مطموح فيها، وهو تفسير مبني على رأيه في النساء، وأياً ما كان فقد قال السبكي في طبقاته: إن أحمد بن عيسى من فقهاء الشافعية استنبط من هذه الآية أن ما يفعله العلماء والسادات من تغيير لباسهم وعماهم أمر حسن وإن لم يفعله السلف لأن فيه تمييزاً لهم حتى يعرفوا فيعمل بأقوالهم وهو استنباط لطيف.

وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ فَلَا يَنْظُرْنَ إِلَى مَا لَا يَحِلُّ لهنَّ النَّظَرُ إِلَيْهِ، كَالْعَوْرَاتِ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَهِيَ مَا بَيْنَ السَّرَّةِ وَالرَّكْبَةِ، وَفِي الزَّوْجَرِ لَابِنِ حَجَرِ الْمَكِيِّ كَمَا يَحْرَمُ نَظَرَ الرَّجُلِ لِلْمَرْأَةِ يَحْرَمُ نَظَرُهَا إِلَيْهِ وَلَوْ بِلَا شَهْوَةٍ وَلَا خَوْفِ فِتْنَةٍ، نَعَمْ إِنْ كَانَ بَيْنَهُمَا مُحَرَّمَةٌ نَسَبٍ أَوْ رِضَاعٍ أَوْ مُصَاهَرَةٍ نَظَرَ كُلِّ إِلَى مَا عَدَا مَا بَيْنَ سَرَّةِ الْآخَرِ وَرَكْبَتِهِ. وَالْمَذْكُورُ فِي بَعْضِ كُتُبِ الْأَصْحَابِ إِنْ كَانَ نَظَرُهَا إِلَى مَا عَدَا مَا بَيْنَ السَّرَّةِ وَالرَّكْبَةِ بِشَهْوَةٍ حَرَّمَ وَإِنْ بَدُونَهَا لَا يَحْرَمُ. نَعَمْ غَضُّهَا بِبَصَرِهَا مِنَ الْأَجَانِبِ أَصْلًا أَوَّلَى بِهَا وَأَحْسَنُ، فَقَدْ أَخْرَجَ أَبُو دَاوُدَ وَالتِّرْمِذِيُّ وَصَحَّحَهُ وَالنَّسَائِيُّ وَابِيهَقِي فِي سَنَنِهِ عَنْ أُمِّ سَلَمَةَ أَنَّهَا كَانَتْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ وَمِمْوْنَةَ قَالَتْ: فَبَيْنَمَا نَحْنُ عِنْدَهُ أَقْبَلَ ابْنُ أُمِّ مَكْتُومٍ فَدَخَلَ عَلَيْهِ الصَّلَاةَ وَالسَّلَامَ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ: احْتَجِبَا مِنْهُ فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ هُوَ أَعْمَى لَا يَبْصُرُ قَالَ: أَفَعَمِيَاوَانِ أَنْتُمَا أَلَسْتُمَا تَبْصِرَانِهِ؟، وَاسْتَدَلَّ بِهِ مَنْ قَالَ بِحَرَمَةِ نَظَرِ الْمَرْأَةِ إِلَى شَيْءٍ مِنَ الرَّجُلِ الْأَجْنَبِيِّ مُطْلَقًا، وَلَا يَبْعُدُ الْقَوْلُ بِحَرَمَةِ نَظَرِ الْمَرْأَةِ إِلَى الْمَرْأَةِ مَا عَدَا مَا بَيْنَ السَّرَّةِ وَالرَّكْبَةِ إِذَا كَانَ بِشَهْوَةٍ وَلَا تَسْتَبْعِدُ وَقَوْعُ هَذَا النَّظَرِ فَإِنَّهُ كَثِيرٌ مِمَّنْ يَسْتَعْمِلُنَ السَّحَاقَ مِنَ النِّسَاءِ وَالْعِيَاذُ بِاللَّهِ تَعَالَى.

وَيَحْفَظُنَّ فُرُوجَهُنَّ أَيُّ عَمَّا لَا يَحِلُّ لهنَّ مِنَ الزَّنا وَالسَّحَاقِ أَوْ مِنَ الْإِبْدَاءِ أَوْ مِمَّا يَحِلُّ ذَلِكَ وَالْإِبْدَاءُ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ أَيُّ مَا يَتَرْتَبِئُ بِهِ مِنَ الْحُلِيِّ وَنَحْوِهِ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا أَيُّ إِلَّا مَا جَرَتْ الْعَادَةُ وَالْجَبَلَةُ عَلَى ظَهْرِهِ وَالْأَصْلُ فِيهِ الظُّهُورُ كَالْخَاتَمِ وَالْفَتْحَةُ وَالْكَحْلُ وَالْخَضَابُ فَلَا مُوَاخَذَةَ فِي إِبْدَانِهِ لِلْأَجَانِبِ وَإِنَّمَا الْمَوَاخَذَةُ فِي إِبْدَاءِ مَا خَفِيَ مِنَ الزَّيْنَةِ كَالسَّوَارِ وَالْخُلْخُلِ وَالْمَلْجِ وَالْقَلَادَةِ وَالْإِكْلِيلِ وَالْوَشَاحِ وَالْقُرْطِ. وَذَكَرَ الزَّيْنَةُ دُونَ مَوَاقِعِهَا لِلْمُبَالَغَةِ فِي الْأَمْرِ بِالتَّسْتَرِ لِأَنَّ هَذِهِ الزَّيْنَ وَاقِعَةٌ عَلَى مَوَاضِعَ مِنَ الْجَسَدِ لَا يَحِلُّ النَّظَرُ إِلَيْهَا إِلَّا لِمَنْ اسْتَنْتَبَى فِي الْآيَةِ بَعْدَ وَهِيَ الزَّرَاعُ وَالسَّاقُ وَالْعَضُدُ وَالْعَنْقُ وَالرَّأْسُ وَالصَّدْرُ وَالْأُذُنُ فَنَهَى عَنِ إِبْدَاءِ الزَّيْنِ نَفْسَهَا لِيَعْلَمَ أَنَّ النَّظَرَ إِذَا لَمْ يَحِلَّ إِلَيْهَا لِمَلَابِسَتِهَا تِلْكَ الْمَوَاقِعَ - بِدَلِيلِ أَنَّ النَّظَرَ إِلَيْهَا غَيْرُ مَلَابِسَةٍ لَهَا كَالنَّظَرِ إِلَى سَوَارِ امْرَأَةٍ يَبَاعُ فِي السُّوقِ لَا مَقَالَ فِي حُلِّهِ - كَانَ النَّظَرُ إِلَى الْمَوَاقِعِ أَنْفُسَهَا مَتَمَكِّنًا فِي الْحُظَرِ ثَابِتًا الْقَدَمِ فِي الْحَرَمَةِ شَاهِدًا عَلَى أَنَّ النِّسَاءَ حَقَّقْنَ أَنَّ يَحْتَضِرْنَ فِي سِتْرِهَا وَيَتَّقِينَ اللَّهَ تَعَالَى فِي الْكُتُفِ عَنْهَا كَذَا فِي الْكُتُفِ، وَهُوَ عَلَى مَا قَالَ الطَّبِيبِيُّ مُشْعِرٌ بِأَنَّ مَا ذَكَرَ مِنْ بَابِ الْكِنَايَةِ عَلَى نَحْوِ قَوْلِهِمْ: فَلَانَ طَاهِرُ الْجَيْبِ طَاهِرُ الذَّيْلِ.

وَقَالَ صَاحِبُ الْفَرَائِدِ: هُوَ مِنْ بَابِ إِطْلَاقِ اسْمِ الْحَالِ عَلَى الْمَحَلِّ فَالْمُرَادُ بِالزَّيْنَةِ مَوَاقِعُهَا فَيَكُونُ حَرَمَةُ النَّظَرِ إِلَى الْمَوَاقِعِ بِعِبَارَةِ النَّصِّ بِدَلَالَتِهِ وَهِيَ أَقْوَى، وَفِيهِ بَحْثٌ. وَقِيلَ: الْكَلَامُ عَلَى تَقْدِيرِ مُضَافِ أَيُّ لَا يَبْدِينَ مَوَاقِعَ زِينَتِهِنَّ. وَقَالَ ابْنُ الْمُنِيرِ: الزَّيْنَةُ عَلَى حَقِيقَتِهَا وَمَا يَأْتِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى مِنْ قَوْلِهِ عَزَّ وَجَلَّ: وَلَا يَضْرِبْنَ بَأَرْجُلِهِنَّ الْآيَةَ يَحْقُقُ أَنَّ إِبْدَاءَ الزَّيْنَةِ مَقْصُودٌ بِالنَّهْيِ، وَأَيْضًا لَوْ كَانَ الْمُرَادُ مِنَ الزَّيْنَةِ مَوْقِعُهَا لَلَزِمَ أَنَّ يَحِلَّ لِلْأَجَانِبِ النَّظَرَ إِلَى مَا ظَهَرَ مِنْ مَوَاقِعِ الزَّيْنِ الظَّاهِرَةِ وَهَذَا بَاطِلٌ لِأَنَّ كُلَّ بَدَنِ الْحُرَّةِ عَوْرَةٌ لَا يَحِلُّ لغيرِ الزَّوْجِ وَالْمَحْرَمِ النَّظَرَ إِلَى شَيْءٍ مِنْهَا إِلَّا لِحُضُورِ كَالْمُعَالَجَةِ وَتَحْمِلِ الشَّهَادَةِ، وَأَنْتَ تَعْلَمُ أَنَّ ابْنَ الْمُنِيرِ مَالِكِيٌّ وَمَا ذَكَرَهُ مَبْنِيٌّ عَلَى مَذْهَبِهِ وَمَا ذَكَرَهُ الزَّمَخْشَرِيُّ مَبْنِيٌّ عَلَى الْمَشْهُورِ مِنْ مَذْهَبِ الْإِمَامِ أَبِي حَنِيفَةَ مِنْ أَنَّ مَوَاقِعَ الزَّيْنِ الظَّاهِرَةِ مِنَ الْوَجْهِ وَالْكَفَيْنِ وَالْقَدَمَيْنِ لَيْسَتْ بِعَوْرَةٍ / مُطْلَقًا فَلَا يَحْرَمُ النَّظَرَ إِلَيْهَا، وَقَدْ أَخْرَجَ أَبُو دَاوُدَ وَابْنُ مَرْدُوَيْهِ وَابِيهَقِي عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهَا أَنَّ أَسْمَاءَ بِنْتَ أَبِي بَكْرٍ دَخَلَتْ عَلَى النَّبِيِّ وَعَلَيْهَا ثِيَابٌ رَقَاقٌ فَأَعْرَضَ عَنْهَا، وَقَالَ يَا أَسْمَاءُ إِنَّ الْمَرْأَةَ إِذَا بَلَغَتْ الْمَحِيضَ لَمْ يَصْلَحْ أَنْ يَرَى مِنْهَا إِلَّا هَذَا وَأَشَارَ إِلَى وَجْهِهِ وَكَفِّهِ، وَأَخْرَجَ ابْنُ أَبِي شَيْبَةَ وَعَبْدُ بْنُ حَمِيدٍ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ أَنَّهُ قَالَ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا رَقْعَةُ الْوَجْهِ وَبَاطِنُ الْكَفِّ، وَأَخْرَجَا عَنْ ابْنِ عَمْرِو بْنِ قَالٍ: الْوَجْهُ وَالْكَفَّانِ وَلَعَلَّ الْقَدَمَيْنِ عِنْدَهُمَا كَالْكَفَيْنِ إِلَّا أَنَّهُمَا لَمْ يَذْكُرَاهُمَا بِالْعِلْمِ بِالْمُقَايَسَةِ فَإِنَّ الْحَرَجَ فِي سِتْرِهِمَا أَشَدَّ مِنَ الْحَرَجِ فِي سِتْرِ الْكَفَيْنِ لَا سَبِيحًا بِالنِّسْبَةِ إِلَى أَكْثَرِ نِسَاءِ الْعَرَبِ الْفَقِيرَاتِ اللَّاتِي يَمْشِينَ لِقَضَاءِ مَصَالِحِهِنَّ فِي الطَّرِيقَاتِ.

وَمَذْهَبُ الشَّافِعِيِّ عَلَيْهِ الرَّحْمَةُ كَمَا فِي الزَّوْجَرِ أَنَّ الْوَجْهَ وَالْكَفَيْنِ ظَهْرُهُمَا وَبَطْنُهُمَا إِلَى الْكُوعَيْنِ عَوْرَةٌ فِي النَّظَرِ مِنَ الْمَرْأَةِ وَلَوْ أُمَةٌ عَلَى الْأَصَحِّ وَإِنْ كَانَا لَيْسَا عَوْرَةً مِنَ الْحُرَّةِ فِي الصَّلَاةِ، وَفِي الْمَنَاهِجِ وَشَرَحَهُ لَابِنُ حَجَرٍ فِي بَابِ شُرُوطِ الصَّلَاةِ: عَوْرَةُ الْأُمَةِ وَلَوْ مَبْعُضَةٌ وَمَكَاتِبَةٌ وَأَمَّ وَلَدٌ كَعَوْرَةِ الرَّجُلِ مَا بَيْنَ السَّرَّةِ وَالرَّكْبَةِ فِي الْأَصَحِّ وَعَوْرَةُ الْحُرَّةِ وَلَوْ غَيْرُ مُمِيزَةٍ وَالْخُنْثَى الْحَرُّ مَا سَوَى الْوَجْهِ وَالْكَفَيْنِ وَإِنَّمَا حَرَّمَ نَظَرُهُمَا كَالزَّائِدِ عَلَى عَوْرَةِ الْأُمَةِ لِأَنَّ ذَلِكَ مِثْلَةُ الْفِتْنَةِ، وَيَجِبُ فِي الْخُلُوةِ سِتْرُ سَوَاءِ الْأُمَةِ كَالرَّجُلِ وَمَا بَيْنَ سَرَّةِ وَرَكْبَةِ الْحُرَّةِ فَقَطُّ إِلَّا لِأَدْنَى غَرَضٍ كَتَبْرِيدٍ وَخَشْيَةِ غِبَارٍ عَلَى ثَوْبٍ يَجْمَلُهُ انْتَهَى.

وذكر في الزواجر حرمة نظر سائر ما انفصل من المرأة لأن رؤية البعض ربما جر إلى رؤية الكل فكان اللائق حرمة نظره أيضاً بل قال: حرم أئمتنا النظر لقلامة ظفر المرأة المنفصلة ولو من يدها، وذهب بعض الشافعية إلى حل النظر إلى الوجه والكف إن أمنت الفتنة وليس بمعول عليه عندهم، وفسر بعض أئمتهم ما ظهر بالوجه والكفين بعد أن ساق الآية دليلاً على أن عورة الحرة ما سواهما، وعلل حرمة نظرهما بمظنة الفتنة فدل ذلك على أنه ليس كل ما يحرم نظره عورة، وأنت تعلم أن إباحة إبداء الوجه والكفين حسبما تقتضيه الآية عندهم مع القول بحرمة النظر إليهما مطلقاً في غاية البعد فتأمل.

واعلم أنه إذا كان المراد النهي عن إبداء مواقع الزينة، وقيل: بعمومها الوجه والكفين والتزم القول بكونهما عورة وحرمة إبدائهما لغير من استثنى بعد يجوز أن يكون الاستثناء في قوله تعالى: إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا من الحكم الثابت بطريق الإشارة وهو المواخضة في دار الجزاء، ويكون المعنى أن ما ظهر منها من غير إظهار كأن كشفتته الريح مثلاً فهن غير مواخظات به في دار الجزاء، وفي حكم ذلك ما لزم إظهاره لنحو تحمل شهادة ومعالجة طبيب، وروى الطبراني والحاكم وصححه وابن المنذر وجمع آخرون عن ابن مسعود أن ما ظهر الثياب والجلباب، وفي رواية الإقتصار على الثياب وعليها اقتصر أيضاً الإمام أحمد. وقد جاء إطلاق الزينة عليها في قوله تعالى:

خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ الْأَعْرَافِ: 31 على ما في البحر، وجاء في بعض الروايات عن ابن عباس أن ما ظهر الكحل والخاتم والقرط والقلادة. وأخرج ابن أبي شيبة عن عكرمة أنه الكف وثغرة النحر، وعن الحسن أنه الخاتم والسوار، وروي غير ذلك، ولا يخفى أن بعض الأخبار ظاهر في حمل الزينة على المعنى المتبادر منها وبعضها ظاهر في حملها على مواقعها، وقال ابن بحر: الزينة تقع على محاسن الخلق التي فعلها الله تعالى وعلى ما يتزين به من فضل لباس، والمراد في الآية النهي عن إبداء ذلك لمن ليس بمحرم واستثنى ما لا يمكن إخفاؤه في بعض الأوقات كالوجه والأطراف، وأنكر بعضهم إطلاق الزينة على الخلفة، قال في البحر: والأقرب دخولها / في الزينة وأي زينة أحسن من الخلفة المعتدلة.

وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَى جُيُوبِهِنَّ إرشاد إلى كيفية إخفاء بعض مواقع الزينة بعد النهي عن إبدائها، والخمر جمع خمار ويجمع في القلة على أخمرة وكلا الجمع مقيس وهو المقنعة التي تلقى المرأة على رأسها من الخمر وهو الستر، والجوب جمع جيب وهو فتح في أعلى القميص يبدو منه بعض الجسد، وأصله على ما قيل من الجيب بمعنى القطع، وفي الصحاح تقول: جبت القميص أجوبه وأجيبه إذا قورت جيبه، قال الراجز:

جيب البيطر مدرع الهمام

باتت تجيب أدعج الظلام
وإطلاقه على ما ذكر هو المعروف لغة، وأما إطلاقه على ما يكون في الجنب لوضع الدراهم ونحوها كما هو الشائع بيننا اليوم فليس من كلام العرب كما ذكره ابن تيمية لكنه ليس بخطأ بحسب المعنى.

والمراد من الآية كما روي ابن أبي حاتم عن ابن جبير أمرهن بستر نحورهن وصدورهن بخمرهن لنلا يرى منها شيء وكان النساء يغطين رؤوسهن بالخمر ويسدلن كعادة الجاهلية من وراء الظهر فيبدو نحورهن وبعض صدورهن، وصح أنه لما نزلت هذه الآية سارع نساء المهاجرين إلى امتثال ما فيها فشققن مروطهن فاخترن بها تصديقاً وإيماناً بما أنزل الله تعالى من كتابه، وعدى بضرب بعلى على ما قال أبو حيان لتضمينه معنى الوضع والإلقاء، وقيل معنى الشد، وظاهر كلام الراغب أنه يتعدى بعلى بدون تضمين. وقرأ عباس عن أبي عمرو وليضربن بكسر اللام وطلحة بخمرهن بسكون الميم، وقرأ غير واحد من السبعة جيوبهن بكسر الجيم والضم هو الأصل لأن فعلاً يجمع على فعول في الصحيح والمعتل كفلس وبيوت والكسر لمناسبة الباء، وزعم الزجاج أنها لغة رديئة.

وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ كرر النهي لاستثناء بعض مواد الرخصة عنه باعتبار الناظر بعد ما استثنى عنه بعض مواد الضرورة باعتبار المنظور إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أي أزواجهن فإنهم المقصودون بالزينة والمأمورات نسأوهم بها لهم حتى أن لهم ضربهن على تركها ولهم النظر إلى جميع بدنهن حتى المحل المعهود كما في إرشاد العقل السليم. وكره النظر إلى ذلك أكثر الشافعية وحرمه بعضهم، وقيل: إنه خلاف الأولى وهو على ما قال الخفاجي: مذهب الحنفية وتفصيله في الهداية وفيما ذكرنا إشارة إلى وجه تقديم بعولتهن.

أَوْ عَابَاتِهِنَّ أَوْ عَابَاءَ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ أَبْنَاءَ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ إِخْوَانَهُنَّ أَوْ بَنَى إِخْوَانَهُنَّ أَوْ بَنَى أَخَوَاتِهِنَّ لكثرة المخالطة الضرورية بينهم وبينهن وقلة توقع الفتنة من قبلهم ولهم أن ينظروا منهن ما يبدو عند المهنة والخدمة وهذا الحكم ليس خالصاً بالأباء الأقربين بل آباء الأبناء وبني البنين وإن سفلوا، والمراد بالإخوان ما ليس خاصاً بالأبناء والبنين الصليبين بل يعمهم وأبناء الأبناء وبني البنين وإن سفلوا، والمراد بالإخوان ما يشمل الأعيان وهم الأخوة لأب واحد وأم واحدة وبني العلات وهم أولاد الرجل من نسوة شتى والأخفاف

وهم أولاد المرأة من آباء شتى ونظير ذلك يقال في الأخوات، واستعمل بتي معهم دون أبناء لأنه أوفق بالعموم وأكثر استعمالاً في الجماعة ينتمون إلى شخص مع عدم اتحاد صنف قرابته فيما بينهم إلا ترى أنك كثيراً ما تسمع بني آدم وبني تميم وقلمما تسمع أبناء آدم وأبناء تميم وفيما نحن فيه قد يجتمع للمرأة ابن أخ شقيق وابن أخ لأب وابن أخ لأم بل قد يجتمع لها أبناء أخ شقيق أو إخوة أشقاء أعيان وبنو علات وأبناء أخ / أو إخوة لأب وأبناء أخ أو إخوة لأم كذلك ويتأتى مثل ذلك في ابن الأخت لكن لا يتصور هنا بنو العلات كما لا يتصور في أبناء الأخ الأخياض والاجتماع في أبنائهم وأبناء بعولتهم وإن اتفق لكنه ليس بتلك المثابة. وقبل اختير في الأخيرين بتي لأنه لو جئ بأبناء تلاقى همزتان إحداهما همزة أبناء والثانية همزة إخوان أو أخوات وهو على ما فيه لا يحسم مادة السؤال إذ للسائل أن يقول بعد: لم اختير في الأولين أبناء دون بني ويحتاج إلى نحو أن يقال اختير ذلك لأنه أوفق بآباء، وقبل اختير أبناء في الأولين لهذا، واختير بني في بني أخوتهم ليكون المضاف والمضاف إليه من نوع واحد، وفي بني إخوانهم للمشاكلة وفيه ما فيه.

ولم يذكر سبحانه الأعمام والأخوال مع أنهم كما قال الحسن وابن جبير كسائر المحارم في جواز إبداء الزينة لهم قيل لأنهم في معنى الإخوان من حيث كون الجد سواء كان أب الأب أو أب الأم في معنى الأب فيكون ابنه في معنى الأخ، وقيل لم يذكرهم سبحانه لما أن الأحوط أن يستتر عنهم حداراً من أن يصفوه لأبنائهم فيؤدي ذلك إلى نظر الأبناء إليهم. وأخرج ذلك ابن المنذر وابن أبي شيبة عن الشعبي. وفيه من الدلالة على وجوب التستر من الأجانب ما فيه. وضعف بأنه يجري في آباء البعولة إذ لو رأوا زينت لربما يصفوه لأبنائهم وهم ليسوا محارم فيؤدي إلى نظرهم إليهم لا سيما إذا كن خليات، وقيل لم يذكروا اكتفاء بذكر الآباء فإنهم عند الناس بمنزلةهم لا سيما الأعمام وكثيراً ما يطلق الأب على العم، ومنه قوله تعالى:

وَأَذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ عَازَرَ الْأَنْعَامِ: 74 ثم أن المحرمية المبيحة للإبداء كما تكون من جهة النسب تكون من جهة الرضاع فيجوز أن يبين زينت لأبنائهم وأبنائهم مثلاً من الرضاع.

أو نساءهن المختصات بهن بالصحة والخدمة من حرائر المومنات فإن الكوافر لا يترجن أن يصفههن للرجال فهن في إبداء الزينة لهن كالرجال الأجانب، ولا فرق في ذلك بين الذمية وغيرها وإلى هذا ذهب أكثر السلف. وأخرج سعيد بن منصور وابن المنذر والبيهقي في سننه عن عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه أنه كتب إلى أبي عبيدة رضي الله تعالى عنه أما بعد فإنه بلغني أن نساء من نساء المسلمين يدخلن الحمامات مع نساء أهل الشرك فإنه من قبلك عن ذلك فإنه لا يحل لامرأة تؤمن بالله واليوم الآخر أن تنظر إلى عورتها إلا من كانت من أهل ملتها. وفي روضة النووي في نظر الذمية إلى المسلمة وجهان أحدهما عند الغزالي أنها كالمسلمة وأصحهما عند البغوي المنع، وفي المنهاج له الأصح تحريم نظر ذمية إلى مسلمة، ومقتضاه أنها معها كالأجنبي واعتمده جمع من الشافعية، وقال ابن حجر: الأصح تحريم نظرها إلى ما لا يبدو في المهنة من مسلمة غير سيدتها ومحرمها ودخول الذميات على أمهات المؤمنين الوارد في الأحاديث الصحيحة دليل لحل نظرها منها ما يبدو في المهنة.

وقال الإمام الرازي: المذهب أنها كالمسلمة، والمراد بنسائهن جميع النساء، وقول السلف محمول على الاستحباب وهذا القول أرفق بالناس اليوم فإنه لا يكاد يمكن احتجاب المسلمات عن الذميات.

أو ما ملكت أيمتهن أي من الإماء ولو كوافر وأما العبيد فهم كالأجانب، وهذا مذهب أبي حنيفة رضي الله تعالى عنه، وأحد قولين في مذهب الشافعي عليه الرحمة وصححه كثير من الشافعية والقول الآخر أنهم كالمحارم وصح أيضاً، ففي المنهاج وشرحه لابن حجر: والأصح أن نظر العبد العدل - ولا يكفي العفة عن / الزنا فقط غير المشترك والمبعض وغير المكاتب كما في الروضة عن القاضي وأقره وإن أطلوا في رده - إلى سيدته المتصفة بالعدالة كالنظر إلى محرم فينظر منها ما عدا ما بين السرة والركبة وتنتظر منه ذلك ويلحق بالمحرم أيضاً في الخلوة والسفر اهـ بتلخيص، وإلى كون العبد كالأمة ذهب ابن المسيب ثم رجع عنه وقال: لا يغرنكم آية النور فإنها في الإناث دون الذكور، وعلل بأنهم فحول ليسوا أزواجاً ولا محارم والشهوة متحققة فيهم لجواز النكاح في الجملة كما في الهداية.

وروي عن ابن مسعود والحسن وابن سيرين أنهم قالوا: لا ينظر العبد إلى شعر مولاته، وأخرج عبد الرزاق وابن المنذر عن طاوس أنه سئل هل يرى غلام المرأة رأسها وقدمها؟ قال: ما أحب ذلك إلا أن يكون غلاماً يسيراً فأما رجل ذو لحية فلا، ومذهب عائشة وأم سلمة رضي الله تعالى عنهما، وروي عن بعض أئمة أهل البيت رضي الله تعالى عنهم أنه يجوز للعبد أن ينظر من سيدته ما ينظر أولئك المستثنون. وروي عن عائشة أنها كانت تمتشط وعبدها ينظر إليها وإنها قالت لذكوان: إذا وضعتني في القبر وخرجت فانت حر، وعن مجاهد كانت أمهات المؤمنين لا يحتجن عن مكاتبهن ما بقي عليه درهم.

وأخرج أحمد في مسنده وأبو داود وابن مردويه والبيهقي عن أنس رضي الله تعالى عنه أن النبي أتى فاطمة رضي الله تعالى عنها بعدد قد وهبه لها وعلى فاطمة رضي الله تعالى عنها ثوب إذا قنعت به رأسها لم يبلغ رجليها وإذا غطت به رجليها لم يبلغ رأسها فلما رأى النبي ما تلقى قال: إنه ليس عليك بأس إنما هو أبوك وغلأمك.

والذي يقتضيه ظاهر الآية عدم الفرق بين الذكر والأنثى لعموم ما ولأنه لو كان المراد الإناث خاصة لقليل أو إمائهن فإنه أخصر ونص في المقصود، وإذا ضم الخبر المذكور إلى ذلك قوي القول بعدم الفرق والتقصي عن ذلك صعب، وأحسن ما قيل في الجواب عن الخبر أن الغلام فيه كان صبياً إذ الغلام يختص حقيقة به فتأمل، وخرج بإضافة الملك إليهن عبد الزوج فهو والأجنبي سواء قيل: وجعله بعضهم كالمحرم لقراءة أو ما ملكت أيمانكم.

أو اللَّتَبَعِينَ غَيْرَ أُولَى الْإِرْبَةِ مَنْ الرِّجَالِ أَي الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ لِيَصْبِيُوا مِنْ فَضْلِ الطَّعَامِ غَيْرِ أَصْحَابِ الْحَاجَةِ إِلَى النِّسَاءِ وَهُمْ الشُّيُوخُ الطَّاعِنُونَ فِي السِّنِّ الَّذِينَ فَتَنَتْ شَهْوَاتُهُمْ وَالْمَمْسُوحُونَ الَّذِينَ قَطَعَتْ ذَكَورُهُمْ وَخَصَاهُمْ، وَفِي الْمَجْبُوبِ وَهُوَ الَّذِي قَطَعَ ذَكَرُهُ وَالْخَصِي وَهُوَ مَنْ قَطَعَ خَصَاهُ خِلَافَ وَاجْتِبَاءِ أَنْتَاهُ فِي حُرْمَةِ النَّظَرِ كَغَيْرِهِمَا مِنَ الْأَجَانِبِ وَكَانَ مُعَاوِيَةُ يَرَى جَوَازَ نَظَرِ الْخَصِيِّ وَلَا يَعْتَدُ بِرَأْيِهِ وَهُوَ عَلَى مَا قِيلَ أَوَّلُ مَنْ اتَّخَذَ الْخَصِيَّانَ، وَعَنْ مَيْسُونَ الْكَلَابِيَّةِ أَنَّ مُعَاوِيَةَ دَخَلَ عَلَيْهَا وَمَعَهُ خَصِيٌّ فَتَقَنَعَتْ مِنْهُ فَقَالَ: هُوَ خَصِيٌّ فَقَالَتْ: يَا مُعَاوِيَةُ أَتَرَى أَنَّ الْمَثَلَةَ بِهِ تَحِلُّ مَا حَرَّمَ اللَّهُ تَعَالَى، وَلَيْسَ لَهُ أَنْ يَسْتَدِلَّ بِمَا رَوَى أَنَّ الْمُقَوْسَ أَهْدَى لِلنَّبِيِّ خَصِيّاً فَقِيلَ لَهُ لَا دَلَالَةَ فِيهِ عَلَى جَوَازِ إِدْخَالِهِ عَلَى النِّسَاءِ.

وأخرج ابن جرير وجماعة عن مجاهد أن غير أولي الإربة الأبله الذي لا يعرف أمر النساء وروي ذلك عن أبي عبد الله رضي الله تعالى عنه، وعن ابن جبير أنه المعتوه ومثله المجنون كما قال ابن عطية. وأخرج ابن المنذر وغيره عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما أنه المخنث الذي لا يقوم زبه لكن أخرج مسلم وأبو داود والنسائي وغيرهم عن عائشة رضي الله تعالى عنها قالت: كان رجل يدخل على أزواج النبي مخنث فكانوا يعدونه من غير أولي الإربة فدخل النبي عليه الصلاة والسلام يوماً وهو عند بعض نسائه وهو ينعت امرأة قال: إذا أقبلت أقبلت بأربع وإذا أدبرت أدبرت بثمان فقال النبي: ألا أرى هذا يعرف ما ههنا لا يدخل عليكن فحجبوه، وجاء أنه عليه الصلاة والسلام أخرجه فكان بالبدياء يدخل كل جمعة يستطعم، ولعل الأولى حمل غير أولي الإربة على الذين لا حاجة لهم بالنساء ولا يعرفون شيئاً من أمورهن بحيث لا تحدثهم أنفسهم بفاحشة ولا يصفوهن للأجانب ولا أرى الاكتفاء في غير أولي الإربة بعدم الحاجة إلى النساء إذ لا تنتفي به مفسدة الإبداء بالكلية كما لا يخفى. ولعل في الخبر نوع إيماء إلى هذا؛ وفي المنهاج وشرحه لابن حجر عليه الرحمة، والأصح أن نظر الممسوح ذكره كله وانتياء بشرط أن لا يبقى فيه ميل للنساء أصلاً وإسلامه في المسلمة ولو أجنبيّاً لأجنبية متصفة بالعدالة كالنظر إلى محرم فينظر منها ما عدا ما بين السرة والركبة وتنتظر منه ذلك ويلحق بالمحرم أيضاً في الخلوة والسفر ويعلم منه أن التمثيل بالممسوح فيما سبق ليس على إطلاقه، وأما الشيخ الهم والمخنث فهما عند الشافعية في النظر إلى الأجنيبات ليسا كالممسوح، وصحوا أيضاً أن المجنون يجب الاحتجاب منه فلا تغفل.

وجر غير قيل على البدلية لا الوصفية لاحتياجها إلى تكلف جعل التابعين لعدم تعيينهم كالنكرة كما قاله الزجاج أو جعل غير متعرفاً بالإضافة هنا مثلها في الفاتحة 7 وفيه نظر. وقرأ ابن عامر وأبو بكر غير بالنصب على الحال والاستثناء.

أَوِ الْطُّفْلَ الَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا عَلَى عَوْرَتِ النِّسَاءِ أَيِ الْأَطْفَالِ الَّذِينَ لَمْ يَعْرِفُوا مَا الْعَوْرَةُ وَلَمْ يَمَيِّزُوا بَيْنَهَا وَبَيْنَ غَيْرِهَا عَلَى أَنَّ لَمْ يَظْهَرُوا الْخ مِنْ قَوْلِهِمْ ظَهَرَ عَلَى الشَّيْءِ إِذَا اطَّلَعَ عَلَيْهِ فَجَعَلَ كُنْيَةً عَنْ ذَلِكَ أَوِ الَّذِينَ لَمْ يَبْلُغُوا حَدَّ الشَّهْوَةِ وَالْقُدْرَةِ عَلَى الْجَمَاعِ عَلَى أَنَّهُ مِنْ ظَهَرَ عَلَى فَلَانٍ إِذَا قَوِيَ عَلَيْهِ وَمِنْهُ قَوْلُهُ تَعَالَى:

فَأَصْبَحُوا ظَاهِرِينَ الصَّف: 14 ويشمل الطفل الموصوف بالصفة المذكورة بهذا المعنى المراهق الذي لم يظهر منه تشوق للنساء، وقد ذكر بعض أئمة الشافعية أنه كالبالغ فيلزم الاحتجاب منه على الأصح كالمراهق الذي ظهر منه ذلك، ويشمل أيضاً من دون المراهق لكنه بحيث يحكي ما يراه على وجهه. وذكروا في غير المراهق أنه إن كان بهذه الحيثية فكالمرحوم وإلا فكالعدم فيباح بحضوره ما يباح في الخلوة فلا تغفل.

وَالظَّاهِرُ أَنَّ الْطُّفْلَ عُطِفَ عَلَى قَوْلِهِ تَعَالَى: لُبَّغُولَتَهُنَّ أَوْ عَلَى مَا بَعْدَهُ مِنْ نَظَائِرِهِ لَا عَلَى الرِّجَالِ وَكَلَامِ أَبِي حَيَّانٍ ظَاهِرٌ فِي أَنَّهُ عُطِفَ عَلَيْهِ وَلَيْسَ بِشَيْءٍ، ثُمَّ هُوَ مُفْرَدٌ مَحَلٌّ بِالْجَنَسِيَّةِ فَيَعْمُ وَلِهَذَا كَمَا قَالَ فِي الْبَحْرِ: وَصَفَ بِالْجَمْعِ فَكَانَهُ قِيلَ: أَوِ الْأَطْفَالُ كَمَا هُوَ الْمُرُوي عَنْ مَصْحَفِ حَفْصَةَ، وَمِثْلُ ذَلِكَ قَوْلُهُمْ: أَهْلَكَ النَّاسَ الدِّينَارَ الصَّفَرُ وَالدَّرْهَمَ الْبَيْضُ، وَقِيلَ هُوَ مُفْرَدٌ وَضَعُ مَوْضِعَ الْجَمْعِ، وَنَحْوُهُ قَوْلُهُ تَعَالَى:

ثُمَّ يُخْرِجُكُمْ طِفْلاً غَافِرٌ: 67. وتعقب بأن وضع المفرد موضع الجمع لا ينقاس عند سيبويه وما هنا عنده من باب المفرد المعروف بلام الجنس وهو يعم بدليل صحة الاستثناء منه، والآية المذكورة يحتمل أن تكون عنده على معنى ثم يخرج كل واحد منكم طفلاً كما قيل في قوله تعالى:

وَأَعْتَدْتُ لَهُنَّ مَتَكاً يُوَسِّفُ: 31 أنه على معنى واعتدت لكل واحدة منهن متكاً فلا يتعين كون طفلاً فيها مما لا ينقاس عنده، وقال الراغب: إن طفلاً يقع على الجمع كما يقع على المفرد ونص على / ذلك الجوهرى، وكذا قال بعض النحاة: إنه في الأصل مصدر فيقع على القليل والكثير والأمر على هذا ظاهر جداً. والعورات جمع عورة وهي في الأصل ما يحترز من الاطلاع عليه وغلبت في سواة الرجل والمرأة؛ ولغة أكثر العرب تسكين الواو في الجمع وهي قراءة الجمهور.

وروي عن ابن عامر أنه قرأ عورات بفتح الواو، والمشهور أن تحريك الواو وكذا الياء في مثل هذا الجمع لغة هذيل بن مدركة. ونقل ابن خالويه في كتاب شواذ القراءات أن ابن أبي إسحق والأعمش قرأ عورات بالفتح ثم قال: وسمعا ابن مجاهد يقول: هو لحن، وإنما جعله لحناً وخطأ من قبل الرواية وإلا فله مذهب في العربية فإن بني تميم يقولون: روضات وجوزات وعورات بالفتح فيها وسائر العرب بالإسكان، وقال الفراء: العرب على تخفيف ذلك إلا هذيلاً فتنقل ما كان من هذا النوع من ذوات الياء والواو؛ وأنشدني بعضهم:

أبو ببيضات رائح متأوب رفیق بمسح المنكبين سبوح
وَلَا يَضْرِبُنَّ بَارِجُلَهُنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ أَي ما يستترنه عن الرؤية من زينتهن أي لا يضربن بأرجلهن الأرض ليتقنع خلاخلهن فيعلم أنهن ذوات خلاخل فإن ذلك مما يورث الرجال ميلاً إليهن ويوهم أن لهن ميلاً إليهم. أخرج ابن جرير عن حضرمي أن امرأة اتخذت خلخالاً من فضة واتخذت جزعاً فمرت على قوم فضربت برجلها فوق الخلخال على الجزع فصوت فأنزل الله تعالى وَلَا يَضْرِبْنَ الْخَ، والنساء اليوم على جعل الخرز ونحوها في جوف الخلخال فإذا مشين به ولو هوناً صوت، ولهن من أنواع الحللي غير الخلخال ما يصوت عند المشي أيضاً لا سيما إذا كان مع ضرب الرجل وشدة الوطء، ومن الناس من يحرك شهوته وسوسة الحللي أكثر من رؤيته. وفي النهي عن إبداء صوت الحللي بعد النهي عن إبداء عينه من النهي عن إبداء مواضعه ما لا يخفى. وربما يستدل بهذا النهي على النهي عن استماع صوتهن. والمذكور في معتبرات كتب الشافعية وإليه أميل أن صوتهن ليس بعورة فلا يحرم سماعه إلا إن خشي منه فتنة، وكذا إن التذ به كما بحثه الزركشي. وأما عند الحنفية فقال الإمام ابن الهمام: صرح في النوازل أن نغمة المرأة عورة ولذا قال النبي: التكبير للرجال والتصفيق للنساء فلا يحسن أن يسمعه الرجل اهـ.

ثم اعلم أن عندي مما يلحق بالزينة المنهي عن إبدائها ما يلبسه أكثر مترفات النساء في زماننا فوق ثيابهن ويتسترن به إذا خرجن من بيوتهن وهو غطاء منسوج من حرير ذي عدة ألوان وفيه من النقوش الذهبية أو الفضية ما يبهر العيون، وأرى أن تمكين أزواجهن ونحوهم لهن من الخروج بذلك ومشيهن به بين الأجانب من قلة الغيرة وقد عمت البلوى بذلك، ومثله ما عمت به البلوى أيضاً من عدم احتجاب أكثر النساء من إخوان بعولتهن وعدم مبالاة بعولتهن بذلك وكثيراً ما يأمرونهن به. وقد تحتجب المرأة منهم بعد الدخول أياماً إلى أن يعطوها شيئاً من الحللي ونحوه فتبدو لهم ولا تحتجب منهم بعد وكل ذلك مما لم يأذن به الله تعالى ورسوله وأمثال ذلك كثير ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

فقرات من التفسير

هـ\33\253

وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعًا أَيْ نِسَاءَ النَّبِيِّ ص فَاسْأَلُوهُنَّ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ عَنِ الْقَتَمِيِّ أَنَّهُ لَمَّا تَزَوَّجَ رَسُولُ اللَّهِ ص بَزِينَةَ بِنْتِ جَحْشٍ وَكَانَ يَحْتَبِهَا فَاولم ودعا اصحابه وكان اصحابه اذا اكلوا يَحْتَبُونَ ان يتحدثوا عند رسول الله ص وكان يحب ان يخلو مع زينب فانزل الله عز وجل: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ إِلَى قَوْلِهِ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ ذَلِكَ أَنَّهُمْ كَانُوا يَدْخُلُونَ بِلَا إِذْنٍ، وَعَنِ الصَّادِقِ ع: كَانَ جِبْرِئِيلُ إِذَا أَتَى النَّبِيَّ ص قَعْدَ بَيْنِ يَدَيْهِ قَعْدَةَ الْعَبْدِ وَكَانَ لَا يَدْخُلُ حَتَّى يَسْتَأْذِنَهُ وَكَانَتِ النِّسَاءُ قَبْلَ ذَلِكَ يَبْرَزْنَ لِلرِّجَالِ الْإِجَانِبِ مِنْ غَيْرِ حِجَابٍ كَمَا كَانَتِ النِّسَاءُ يَبْرَزْنَ فِي الْمَلَلِ الْبَاطِلَةِ لِلرِّجَالِ مِنْ غَيْرِ حِجَابٍ وَلَا شَكَّ أَنَّ دَوَاعِيَ الرِّيْبَةِ تَكُونُ أَكْثَرَ إِذَا كُنَّ بِلَا حِجَابٍ ذَلِكَ أَنَّهُنَّ لَقُلُوبُكُمْ مِنَ الرِّيْبَةِ وَقُلُوبُهُنَّ

هـ\33\359

يَأْتِيهَا الْكُتُبِيُّ ادْبَ أَخْرَ لِنِسَاءِ النَّبِيِّ ص وَسَائِرِ الْأَمَةِ قُلْ لَأَزْوَاجُكُمْ وَبَنَاتُكُمْ وَنِسَاءُ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِنْ جَلَابِيبِهِنَّ كَنْ لَا يَغْطِيْنَ وَجُوهَهُنَّ وَسَائِرَ مَوَاضِعَ زِينَتِهِنَّ بِجَلَابِيبِهِنَّ فَأَمَرَ هُنَّ اللَّهُ تَعَالَى بِسِتْرِ الْوُجُوهِ وَالصُّدُورِ بِالْجَلَابِيبِ حَتَّى يَتَمَيَّزْنَ عَنْ سَائِرِ النِّسَاءِ بِذَلِكَ، وَالْجَلَابِيبُ لِلنِّسَاءِ ثَوْبٌ وَسِعَ يَلْبِسُهُ فَوْقَ الثِّيَابِ دُونَ الْمَلْحَفَةِ أَوْ هُوَ الْمَلْحَفَةُ ذَلِكَ أَذْنَى أَنْ يُعْرَفْنَ بِتَمَيَّزِهِنَّ مِنَ الْأَمَاءِ وَالْقِيَانِ وَسَائِرِ النِّسَاءِ فَلَا يُؤَدِّيْنَ قِيلَ: كَانَ سَبَبُ نَزْوِلِهَا أَنَّ النِّسَاءَ كُنَّ يَخْرُجْنَ إِلَى الْمَسْجِدِ وَيَصَلِّيْنَ خَلْفَ رَسُولِ اللَّهِ ص فَإِذَا كَانَ بِاللَّيْلِ وَخَرَجْنَ إِلَى صَلَاةِ الْمَغْرِبِ وَالْعِشَاءِ الْآخِرَةِ وَالْغَدَاةِ يَقَعْدُ الشَّبَابُ لَهُنَّ فِي طَرِيقِهِنَّ فَيُؤْذَنُوهِنَّ وَيَتَعَرَّضُونَ لَهُنَّ وَكَانَ اللَّهُ غُفُورًا رَحِيمًا فَيَغْفِرُ تَقْصِيرَهُنَّ فِيمَا سَلَفَ وَيَرْحَمُهُنَّ بِتَعْلِيمِ آدَابِ الْمَعَاشِرَةِ لَهُنَّ.

هـ\102\431

وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَنْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ هَذَا أَيْضًا مَجْمَلٌ مُحْتَمَلٌ لَوْجُوهِهُنَّ وَمَرَادٌ بِكُلِّ وَجْهِهِ فَاتَّهَ يَجُوزُ أَنْ يَفْسَرَ ابْدَاءَ الزَّيْنَةِ بِإِبْدَاءِ نَفْسِ الزَّيْنَةِ لِمَنْ لَا يَجُوزُ لَهُ النَّظَرُ إِلَى جَسَدِهِنَّ مِنْ غَيْرِ الْمَحَارِمِ، وَأَنْ يَفْسَرَ ابْدَاءَ مَوَاضِعِ الزَّيْنَةِ لِأَنَّ الزَّيْنَةَ مِمَّا يَجُوزُ لِلْإِجَانِبِ النَّظَرَ إِلَيْهَا، وَأَنْ يَفْسَرَ بِمَطْلَقِ ابْدَاءِ الزَّيْنَةِ أَوْ مَطْلَقِ ابْدَاءِ مَوَاضِعِ الزَّيْنَةِ مِنْ غَيْرِ النَّظَرِ إِلَى نَاضِرٍ وَنَظَرَةٍ مُحَرَّمٍ أَوْ غَيْرِ مُحَرَّمٍ بَانَ يَكُونُ نَفْسُ ابْدَاءِ الزَّيْنَةِ بِحَيْثُ لَوْ نَظَرَ نَاضِرٌ لِرَأْيَا حَرَامًا نَظَرَ نَاضِرٍ أَمْ لَمْ يَنْظُرْ، وَهَذَا عَلَى أَنْ يَجْعَلَ النَّهْيَ لِلْبَايَعَاتِ الْبَيْعَةِ الْخَاصَّةِ الْوَلَوِيَّةِ وَيَكُونُ حُكْمُ السَّالِكَاتِ عَدَمُ الْإِلْتِفَاتِ إِلَى مَا سِوَى اللَّهِ مَا لَمْ يَحْلُلْنَ مِنْ سُلُوكِهِنَّ وَأَحْرَامِهِنَّ فَيَكُونُ التَّفَاتَهُنَّ إِلَى الزَّيْنَةِ وَابْدَاؤَهَا حَرَامًا عَلَيْهِنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا مِنَ الثِّيَابِ الظَّاهِرَةِ وَزِينَةِ الْمَوَاضِعِ الْمُسْتَثْنَاةِ وَنَفْسُ تِلْكَ الْمَوَاضِعِ الَّتِي لَيْسَتْ بِعَوْرَةٍ فِي النِّسَاءِ كَالْخَاتَمِ وَالسَّوَارِ وَالْكَحْلِ وَالْخَدَّيْنِ وَالْكَفَّيْنِ وَالْقَدَمَيْنِ.

اعلم، ان نهى النساء عن ابداء زينتهن ونهى الرجال عن النظر الى زينتهن انما هو لكون الزينة وابدائها والنظر اليها مقدمة للفساد وموروثا للرغبة وموجباً للافتتان وقد ورد عن النبي ص خطاباً لعلي ع: يا علي اول نظرة لك والثانية عليك لا لك يعني ان افتتنت بالنظرة وعدت الى الثانية كانت وبالها عليك، وفي رواية لكم اول نظرة الى المرأة فلا تتسحبوها بنظرة اخرى واحذروا الفتنة فعلى هذا لو خيف من الريبة والافتتان بالنظر الى الوجه والكفين والقدمين وزينتهن لم يجز للمرأة ابدائها ولا للمرأة النظر اليها، ولو لم يخف من الريبة جاز ابداء الزينة الظاهرة والمواضع المستثناة وجاز للأجنبي النظر اليها ولو لم يخف من الريبة جاز النظر الى غير الزينة الظاهرة من الزينة الباطنة وغير المواضع المستثناة مثل الرأس والشعر والساق والذراع اذا لم تكن من المسلمات اللواتي لهن الحرمة والرفعة كالاماء واهل البدو اللاتي لا يمكنهن التحفظ عن الاجانب ولا يمكن لمعاصريهن الاحتراز عن النظر اليهن، واختلاف الاخبار ناظر الى اختلاف الاحوال

¹ <http://goo.gl/3qcFwS>

² <http://goo.gl/5U8tI8>

³ <http://goo.gl/auHICN>

⁴ <http://goo.gl/mo2RtU>

والاشخاص في الزينة وعدمها والحرمة وعدمها وامكان التَّحَقُّظ وعدمه وَلَيُضَرَّبَنَّ بِخُمْرِهِنَّ جَمْع الخمار بالكسر كالخمر بالسكون، والخمار المقنعة التي هي غطاء رأس المرأة المتستل على جنبها، كانت النساء يلقين مقانعهن على ظهورهن وتبدو صدورهن فقال تعالى: وليلقين خمرهن على جُيُوبِهِنَّ حتى لا تبدو صدورهن فإن الصدور اشد شيء في الافتتان بها ولا يُؤَيِّدُ زِينَتَهُنَّ تكرار هذه الكلمة لتفصيل الاجمال السابق إلا لِيُغُولَتِهِنَّ فإن الزينة لم تكن إلا لهم بل النساء مأمورات بالزينة وابدانها للأزواج ليتحرك ميلهم اليهن أو أبائهن فإنه لا يتصور الزينة والفتنة منهم أو آباء يُغُولَتِهِنَّ أو أَبْنَاءَهُنَّ أو أَبْنَاءُ يُغُولَتِهِنَّ أو إِخْوَانِهِنَّ أو بَنِي إِخْوَانِهِنَّ أو بَنِي أَخَوَاتِهِنَّ نسب الى الباقى ع انه قال: الزينة الظاهرة الثياب والكحل والخاتم وخضاب الكف والسوار، والزينة ثلاث: زينة للناس وزينة للمحرم وزينة للزوج، فأما زينة الناس فقد ذكرناها، وأما زينة المحرم فموضع القلادة فما فوقها، والتملج وما دونه، والخلخال وما اسفل منه، وأما زينة الزوج فالجسد كله، وعن النبي ص انه قال: للزوج ما تحت الدرع، وللابن والاخ ما فوق الدرع، ولغير ذي محرم اربعة اثواب، درع وخمار وجلباب وازار أو نسائهن يعنى النساء المؤمنات فإن الاضافة الى ضمير المؤمنات تفيد تخصيصاً للنساء وبعد اعتبار حيثية الايمان في الاضافة يعلم ان المراد بهن المخصوصات بالمؤمنات بوصف الايمان لا بالقرابة لعدم اعتبار حيثية الايمان في القرابة ولا بالملوكية لهن لعدم اعتبار تل الحيثية في الملوكية ولذكر المملوكة بعد ذلك، روى عن الصادق ع انه لا ينبغي للمرأة ان تتكشف بين اليهودية والنصرانية فإنهم يصفن ذلك لأزواجهن أو ما مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ من الاماء الغير المسلمة او من العبيد والاماء فإنه لا بأس ان يرى المملوك شعر مولاته وساقها اذا كان مأموناً كما في الخبر، وفي خبر: لا يحل للمرأة ان ينظر عبدها الى شيء من جسدها الا الى شعرها غير متعمد لذلك أو التابعين الذين من شأنهم ان يكونوا تابعين كالخادم والخدمة، والسقاء والسقاءة، والاجير والاجيرة، والشيخ والشيخة، والابله والبلهاء، والمولى عليهما، والمجنون والمجنونة غير أولي الإرادة أي غير ذوى الحاجة الى النساء يعنى ان لم يكن لهم شهوة النساء والا فلا يجوز لهم النظر ولا لهن ابداء الزينة لهم من الرجال أو الأطفال الذين لم يظهروا على عورات النساء أي لم يطلعوا على عوراتهن من حيث انها عورات بان لم يكن فيهم شهوة النساء حتى يتميز العورة منهم عندهم من غيرها، والطفل جنس في معنى الجمع ولذلك وصف بالجمع ولا يضرر لما كان المتبادر من ابداء الزينة ابداءها على الابصار دون ابدانها على الأذان قال: ولا يضررن بأرجلهن ليعلم بسماع صوت الزينة من الخلخال وغيره ما يُخْفَيْن من زينتهن فإن صوت الخلخال واللباس مما يهيج ميل الرجال

فقرات من التفسير

هـ\33\90: 253

قال انس: قدم النبي المدينة وأنا بن عشر سنين وخدمته عشر سنين ومات وكانت امي تحضني على خدمته وكنت اعلم الناس بشأن الحجاب اذ نزل واول ما نزل في حين بنى بها اصبح عروسا بها فدعي القوم فأصابوا من الطعام ثم خرجوا وبقي رهط واطالوا المكث فقام ليقوموا فخرج وخرجت معه حتى وصل الى عتبة بيت عائشة وظن انهم خرجوا فرجع ورجعت معه فدخل فاذا هم جلوس فرجع حتى وصل عتبة بيت عائشة ايضا فاذا هم قد خرجوا فضرب بيبي وبينه الستر وانزل آية الحجاب واني لفي الحجرة خلف الستر سمعته يقول يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوت الخ وروي انه خرج ولما رجع ظنوا انه يريد الدخول فخرجوا والمصدر من يؤذن منصوب على الاستثناء المنقطع او على الظرفية نيابة عن اسم الزمان اي إلا وقت الاذن لكم وزعم القاضي انه يجوز كونه حالا والمشهور ان المصدر المعبر عنه بالفعل مثلا وحرف المصدر لا يكون حالا وتقدم الكلام في تلك القصة.

وقيل: كان يحل ذهاب المراقبين المخصوصين الدخول في دار النبي بغير اذن فكانوا يدخلون بغير اذن ويراقبون الطعام وان اراد الجمهور ان ذلك نزل في دخولهم وليمة زينب فأذن في الدخول لكن لم يؤذن لهم الى طعام اي لم يدعو اليه بأن يأتوا فيستأذنوا وهم يريدون الطعام ولم يدعمهم انس ولا غيره صح قولهم فالآية نهى عن المجيء للطعام من غير دعاء اليه ثم رأيت القاضي قال: ما قلته من ان النهي عن المجيء للطعام بلا دعاء اليه ولو اذن في الدخول للجاني، والحمد لله اذ وافقت عالما وما ذلك إلا من الله وقول عائشة وجماعة ان سبب نزول آية الحجاب كلام عمر للنبي مارا في ان يحجب نساءه يحتمل قول الجمهور وقول غيرهم.

من وراء حجاب ستر ذكر بعض ان سبب نزول واذا سألتهمون الخ ذكر عمر للنبي امر للحجاب لنسائه مرارا وكان يقول لو اطاع فيكن ما رأتهن عينا وتقدم ما يخالف هذا وقيل سبب نزوله ما مر من ملاقة يد بعض الصحابة ليد عائشة حين الأكل معها ومعه وعن ثوبان وابي هريرة عن رسول الله: ثلاثة لا يحل لأحد أن يفعلهن لا يوم الرجل قوما فيخص نفسه بالدعاء دونهم فإن فعل ذلك فقد خانهم ولا ينظر في قعر بيت قبل أن يستأذن فإن فعل فقد خان ولا يصلي وهو حقن حتى يتخفف وبعد آية الحجاب لم يكن لاحد ان ينظر الى نسائه ولو من ثقب باب.

ذلكم اي السؤال من وراء حجاب او هو وترك الاستئناس لحديث والمكث في البيت. أظهر لقلوبكم وقلوبهن من الخواطر الشيطانية والفسانية وروي ان طلحة بن عبيد الله قال: أنهي أن نكلم بنات عمنا الا من وراء حجاب لئن مات محمد لاتزوجن عائشة فأنزل الله تعالى.

هـ\33\90: 359

كانت المدينة ضيقة ولا كنيف فيها وانما يخرجون للفضاء وذكر بعضهم انهم اذا رأوا على المرأة قناعا تركوها وقالوا حرة وان لم يكن عليها قالوا امة فتبعوها فقد تكون حرة وقد تكون امة وقيل نزلت في شأن عائشة وقد مر في النور وقيل نزلت في منافقين يؤذون عليا وعليه فمعنى كونه مؤمنا انه غير مشرك وان افعاله افعال الموفي وسيندل وعن الفضل: لا يحل ان تؤذي كلبا او خنزيرا بغير حق فكيف مؤمنا. وكان ابن عون لا يكره حوائثه الا لأهل الذمة للروع عند تمام الحول.

يدنين يقرين.

عليهن اي على انفسهن.

من جلابيبيهن نعت لمفعول محذوف اي شيئا من جلابيبيهن ومن أجاز زيادة من في الاجاب ومع المعرفة اجاز ان يكون جلابيبيهن مفعولا ومن قال بإسمية من التبعية جعلها مفعولا مضافا لما بعدها والجلابيب

¹ <http://goo.gl/xAuX38>

² <http://goo.gl/AWckLv>

³ <http://goo.gl/YG1qPo>

جمع جلباب وهو ثوب أوسع من الخمار ودون الرداء تلوي منه المرأة على رأسها وتبقي منه ما ترسله على صدرها.

وعن ابن عباس: الجلباب الذي يستر من فوق الى اسفل. وعنه عن ابن مسعود انه الخمار وقيل الملحفة وكل ما يستر به من كساء او غير وقيل هو ثوب يكون فوق الدرع والخمار.

قال ابن عباس: أمر الله نساء المؤمنين ان يغطين رؤوسهن ووجوههن بالجلابيب الا عينا واحدة ليعلم انهن حرائر وهو خلاف ما رأيته لبعضهم لباس المؤمنة ان تكشف وجهها كله او تغطية كله وان لباس المنافقة ان تكشف عينا واحدة وقيل تستر شق وجهها الايمن وتستتر عينها اليمنى وأنفها.

وقال قتادة ذلك ان تلويه على الجبين وتشده ثم تعطفه على الانف وان ظهرت عيناها لكنه يستر الصدر ومعظم الوجه وهو رواية عن عبدالله بن عباس اخي الفضل بن عباس وفي معناه قول عبيدة السلماني ان تضع رداها فوق الحجاب وتديره حتى تضعه على انفها وقال السدي: ان تغطي احدى عينيها وجبهتها والشق الآخر على العين. ذلك الادناء.

أدنى اقرب. أن يعرفن الى ان يعرفن انهن حرائر.

فلا يؤذنين يتعرض الفساق لهن كانوا في اول الاسلام تخرج نساءهم ليلا لقضاء الحاجة في النخيل والغيطان وكانت النساء على عادتهن في الجاهلية يتبرزن في خمار وردع كالاماء فربما تعرض الفساق للحرمة بعة الأمة يقولون حسيبتها امة فأمرن ان يخالفهن بزيهن عن زي الاماء بلبس الأردية والملحف وستر الرؤوس والوجه ليحتشمن ويهين فلا يسكن لتعرض الفساق لو تعرضوا لهن ولا يتعرضوا لهن وليس ذلك مبيحا للزنا بالاماء كيف وقد نزل الله تحريم الزنا بالاماء والحرثات تصريحاً ولكن منع وحسن وازالة لبعض المنكر من الفساق وكان عمر يضرب الاماء على لباس الحرائر محافظة على زي الحرائر ورأى أمة منتقبة فعلاها بالدرة فقال: يا لكاع اي يا خسيصة انتشبهين بالحرائر.

وكان الله غفورا لما سلف منهن من التفريط مع التوبة لأن هذا مما يعرفه العقل ويفهمه من أمور الاسلام المنزلة ويأخذ منها ولو لم يصرح به.

رحيما بهن اذ سترهن وراعى مصالحهن كلها او المراد غفورا رحيماً بعباده.

هـ-102:24:131

وَقُلْ لِّلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَصْصَارِهِنَّ عَمَّا لَا يَحِلُّ لِهِنَّ نَظَرُهُ وَلَا يَنْظُرْنَ سِرَةَ الرَّجُلِ وَالْأُمَّةَ وَرَكْبَتَهَا وَمَا بَيْنَهُمَا وَيجوز النظر لهن إلى ما سوى ذلك لا لشهوة ولا بجوز لذكر أو انثى النظر بشهوة ولو إلى صخرة. وعن ابن العربي كما لا يحل للرجل ان ينظر إلى المرأة. لا يحل للمرأة ان تنظر إلى الرجل فان علاقتها بها كعلاقتها به وقصدها منه كقصده منها لا تنظر المرأة إلى شيء من جسد الرجل واستدل على ذلك بحديث ام سليم قالت: كنت انا وعائشة عند النبي فدخل ابن ام مكتوم فقال النبي:: احتجبا منه فقلنا انه اعمى فقال افعميا وانما لا تنظر المرأة سر المرأة وركبتها وما بينهما وتنظر ما سوى ذلك لغير شهوة.

وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ عَنِ الْكُشْفِ وَالزَّانِي * وَلَا يُبْدِينَ لَا يَظْهَرْنَ وَالْفِعْلُ الْمَاضِي ابدى كاعطى ولا ناهية ويبدى مبني على السكون لاتصال نون الاناث به ومحلها الجزم زَيَّنَتْهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا قال ابن مسعود ما ظهر منها الثوب واما بدنهن فعورة كله حتى الوجه والكفان واختاره بعض سدا للذريعة.

وقال ابن جبير والضحاك والاوزاعي: ما ظهر هو الثوب والوجه والكفان.

وقيل: ما ظهر منها هو ظهر بحكم ضرورة تحرك فيما لا بد منه أو اصلاح شأن.

وعن ابي هريرة السوار والخاتم.

قال القاضي: هي كلها عورة الا ما ظهر عند مناولة الاشياء كالثوب والخاتم حتى الوجه والكفان الا في الصلاة ويظهر الوجه والكفان ولا يظهر إلى شيء منها الا لضرورة كمعالجة وتحمل شهادة.

وعن ابن عباس ما ظهر الكحل والخاتم وخضاب اليدين والوشمة في الوجه واليد لكن لا يحل عملها.

وعن عائشة السوار والكوع وهو مفصل اليد والخاتم.

وقيل: يجوز النظر إلى وجهها وكفها لضرورة كتحمل الشهادة وان خيف قتله لم ينظر لذلك وان نغين النظر ولا بد فليجتنب الفتنة ولا بد.

وفي التاج وجاز النظر كف امرأة وظاهره ووجهها وظاهر قدمها إلى الكعب وقيل يمتنع إلى ظاهرهما والنظر جوز.

قال ابن النير: ادناء الجلابيب على النساء ورفع الخمر فوق الاذنين وستر النواصي وسائر الزينة واجب الا الوجه والبنان وما وراء ذلك حرام على المرأة إذا بدته وعلى الرجل ان نظره لشهوته وعليه النطاق من تحت الدرع ان قدرت على سابعه والا فلتتزر فوقها.

وتنتهى النساء عن الجلوس في السكك والخروج يوم مطر أو ريح والرجال ان يظهروا ما فوق الركبة وتحت السرة وعليهم الغض ما استطاعوا ولو عن تهاجمات.

عزان يكره للمرأة ان تتطيب أو تتلحف باجود فتخرج من بيتها.

أبو سعيد ان لم يكن خروجها فيما لا بد لها منه وان امكن تركه حتى يزول منها الطيب فهو احسن ولا بأس قيل ان يشم الطيب من امرأة ان لم يخف فتنة لإباحة الطيب وان عف فهو ازكى ومن تعمد مس حرة أو شعرها من فوق الثوب لشهوة أتى كبيرة وله تقبيل ابنته واخته وامه وعمته وخالته ومن يحرم عليه نكاحه ولهن ايضا ذلك لكرامة ورافة لا لشهوة.

ومن تعمد نظر المتبرجة ابدل وضوءه ولا امرأة ان تبرز لأجنبي إذا سترت عنه محارمها ولا يبرز هو فحذيه عمن لا يتجرد معه لانهما من العورة والركبة قيل منها.

وقيل: لا ولا تبدي زينتها من سوار في ساعة أو دملوج أو خلخال أو قرط وهي الظاهرة الا لمن في قوله تعالى إلا لُيُغُولْتُهُنَّ إلى أو الطفل الخ والتابع هو الابله الذي لا عقل له ولو كان من ذكر من جهة الرضاع ولا يظهر لغيرهم الا ما ظهر وهي الخاتم في الاصبع والحكل في العين ولا تضع القواعد جلابيها عند من يتهم بريئة.

وقال بعض اصحابنا المغاربة إذا كانت الزينة في الوجه والكف زينة حلي أو غيره لم يجز اظهارهما.

وقيل: جائزة.

في التاج ايضا وللرجل قيل ان يقعد مع غير محرمة من جيرانه وراحمه ما لم ينظر منها ما لا يحل له نظره ولا يلزمه ان يأمرها ان تكون من وراء باب أو جدار ان خاف ان يدخلها مكروه فان فعلت هي فحسن. قيل: ويرحب بالمرأة من فوق الثوب فان صافحها من تحته جاز له ان لم يخف فتنة لان له كما مر ان ينظر كفها وخارجها إلى الرصغ وباطن قدمها وان يتعمد مس ذلك لا لشهوة ان لم يخفها وينكر عليها ان اظهرت ما فوق الرصغ والكعب وان عند رحمها ولا يسع حاضرا له ترك الانكار عليه ان قدر لكن بمعروف ورفق من القول وبره انه محسن له وداع له بخير وذلك في الرحم والجار والصاحب والصديق وهو من مكارم الاخلاق ومذاهب أهل الاسلام.

ومن دخل: قيل: على اجنبية فعليه ان ينكر عليها ان اظهرت له ما لا يحل له منها لا ان علم منها انه عندها محرما من الرضاع وعليه الغض حتى يعلمها محرمة ولا يحل لامرأة مفاكهة طفل بتلذذ تمنع منها ويكره له ايضا إذا فعل ولا بأس على من دخل على متتعبة وتؤمر الاماء بكشف الرؤوس لان عمر مرت عليه امة متجلبة فعلاها بالدرة ونهاها عن ذلك وقال تشبهين بالحرائر يا لكاع ولان كسوتها على سيدها قميص.

قال ابن محبوب: من نظر إلى رأس امة أو فحذها لم يفسد وضوءه وعورتها قيل كالرجل والمس قيل كالنظر. وان سافرت اجنبية مع رجل فلتضع رجلها على رقبته فوق الثوب إذا ارادت ان تركب ولا بأس بمعانقة ام واخت ونحوها عند قدوم من سفر ان امننت فتنة وتنتهى المرأة عن الحمام.

وقيل: الركبة والسرة عورة ولا بأس على الرجل ان ابرزهما ولو لغير علة ولا على من ابصرهما نقض اللوضوء.

وعن بعض امرنا ان غضن عمن استتر عنا أو استحيى منا.

وقيل: المستحيية وغيرها سواء في الحرمة وسرة الرجل عند الاكثر ليست بعورة عكس الركبة منه ويكره لها ان ترفع ذيلها على عاتقها أو عن عقيبها وان تعصب جلابيها وان تبعها عدو فلتستر منه ما قدرت.

ولا لوم عليها ان امتنعت ولا لوم لامرأة ان نجعل جلابيا رقيقا يرى منه نحرها وصدرها ولا لأجنبي نظر ذلك منها وكفرت ان فعلت ونظر منها ولها ان تنظر من امرأة من سرتها إلى ما فوقها ومن الركبة فما تحتها لا لشهوة وكره لها ان تبدي محاسنها لفحلة تشتهي نظر محاسن النساء.

ومن صافح من يحل له نكاحها من فوق الثوب فلا يقبض يدها بيده وله ان يبسط اصابعه وتشد فيه ولشاب قيل مصافحة شابة ان وثقا بانفسهما ولا يحل لامرأة ان تصافح محرما لها ان عرف بفسق واجازه أبو عبد الله ان لم تخفه وله ان يرحب بغير الشابة من فوق الثوب ولها ان تسكن مع اعمى ولو اجنبيا وان لم تخف والعبيد بعد العتق كالأحرار ومعتق امة كغيره في المس والنظر.

وقد مد قيل ابو عبيدة يده إلى ذات فضل يريد ان يرحب بها فقالت نحن نساء لا نرحب بالرجال ولا يرحبون بنا.

وان تعمدت نظر العين السرة والركبة وما بينهما من اجنبي لشهوة لم نقل ركبت حراما وكره لها ان تملأ عينها من غير زوجها ومحرمها وان لغير شهوة الا ان كان لما لا بد منه من مباح. ابن محبوب لا شيء على داخل على امرأة المايعة أو كلام ولا على من ينظر اليها مستتره لا لشهوة ولا يريد منها قبيحا ويكره لها ان تنزع الشعر من وجهها أو جبهتها ولها ان تنزع لحيتها وان حلفت رأسها بلا اذن زوجها اثمت.

ولزوجة الابن ان تغمز لأبيه ان اخرج الريبة من القلب وتركه عندي حسن ويرى ان ما تعدى الكفين من المرأة في النار أي ما ابرزت منها فصاعدا وهذا موجب لبراءتها ان فعلت ذلك عند من يحل له النظر اليها عمدا وتستتاب منه.

وفي بعض الآثار انه لا يجوز للمرأة ان تكشف احدى عينيها وتستتر الاخرى بل تكشفهما أو تسترهما بان ذلك تشبيهه بالفاسقة.

وقال البيهقي عن ابن عباس امر نساء المؤمنين ان يغطين رؤوسهن ووجوههن بالجلابيب الا عينا واحدة ليعلم انهن حرائر ولها ان تنظر لها موحدة رسها ان تعمد.

ومن نظر ما لا يحل له اجزته التوبة منه دون استحلال المنظور اليه وليستر من نفسه ما ستر الله عليه ولا يحل لها ان تتعري عند خادمها.

واختلف في النظر إلى متبرجة فقيل: يغض عنها جهده.

وقيل: ليس لها من الحرمة ما لمستتره ولا باس على من نظر منها غير الفرج واختير ترك التعمد بالنظر إليها.

وسئل ابو الحواري عن مغتسلة في فلج أو نهر متجردة ايحل لمحرمتها ان تنزل معها فيه نهارا متجردة ايضا أو موضع اخيها أو ابنها البالغ فقال لا يحل لاحد ان ينظر عورة احد ولو في الماء الا ان كان لا ينظر احدهم الآخر.

هاشم لا خمار على الاماء ولا رداء.

أبو علي ولا على النساء نقاب ولا على امرأة ان وضعت جلبابها في ظلمة عند اجنبي حرج ان لم تحدث بينهما ريبة ويكره لها ان تلبس الطيلسان وان تخرج في مطر وترفع ازارها ونعليها الا ان لبست خفين ولا مريد شراء جارية ان يجرداها ويضع يده على عجزها من فوق الثوب ويكشف ذراعيها ويمس بدننها وينظر صدرها لا لشهوة ولا أمة.

قيل: ان تغمز لغير مولاتها ومولاها مثل الرأس والرجلين ما وثقا بأنفسهما.

ونهي ان يصغي الرجل لحدث امرأة لا يملكها ولو من وراء جدار وحولوا بين نسائك ومحادثة الرجال وبين اطفالكم منهن وبين محادثهن فان القلوب تحيا وتموت ولو بعد حين وهذا في محل الريب من المراهقين والمسترايات وامرت المرأة ان ترخي الثوب على قدميها والا تخمر وجهها وان لا تاذن لاحد في دخول بيت زوجها الا بإذنه ولو والديها أو اخاها ونهيت ان تزين لغير زوجها وان تنزى بزي الرجل ولو في الكلام وان قصت شعرها قيل هلكت وتحلق شعرا يشينها حيث كان الأ شعر رأسها وحاجبيها وتحلق من فضل رأسها.

لا يجوز لأعمى دخول على اجنبية ولا مساكنتها ولا الدخول بلا اذن واجيز له الخلوة ان امن فتنة.

ويلف الاجنبي يده فيخرج بها حليا من امرأة ماتت معه ولا امرأة أو ولي معه وان لم يجد الا بالمس مس وللأمرأة تنظر فرج امرأة لمد امرأة أو قياس حرج أو غيرهما.

ويكره لرجل وامرأة ان يبيتا بمنزل وحدهما ولو وثقا بأنفسهما الا ان لم يجدا احدا ونهيت ان تسافر الا مع محرمها أو جماعة ومن اضطر إلى مساكنة اجنبية جازت له والمؤمن في وسع ما وجد له عذر وجاز لها قيل: سفر مع اثنين ولو غير ثقتين وقيل: مع ثلاثة فاكثر حيث لا اولى لها معهم وينهى. قيل: ان يكشف الرجل ركبته بلا ضرورة فلا يكشفها عند الخدمة وطلوع النخلة ولا يختن امرأة جهلا بإذنه لم يلزمه صداقتها ويكره له تزوجها وان تزوجها لم يبعد ان يفرق بينهما.

وللرجل قيل: التجرد عند من لا يراه قبيحا كمجنون وصبي ونهي تأديبا التعري ليلا ولا يصب عليه غلامه الماء على الصحيح متجردا الا ليلا وتحري امرأة واحدة فيما يفرج امرأة وحواليه.

وقيل: اثنتان.

237

وقيل: النساء كلهن سواء فيجوز لموحدة تجرد عند مشركة.

والمشهور الاول والشرك صيرها بعد من الاجنبي ولا يجوز ايضا على المشهور ان تتكشف للموحدة الفاسقة والتي تلاقي الرجال والتي تقود لهم النساء فهؤلاء كالرجال * أو ما ملكت أيمانهم اي عبيدهن وكذا عبد للمرأة فيه فهم سهم ولو قليلا وقد مر انها تقوم بين يديه في درع صفيق وخمار جديد بلا جلباب.

قال بعضهم: ويجوز النظر إلى شعرها وعن بعضهم يجوز له ما فوق السرة وما تحت الركبة وان هذا هو ظاهر القرآن وانه مروى عن عائشة وام سلمة.

وعن انس وهب عيدا لفاطمة وعليها ثوب إذا قنعت به رأسها لم يبلغ رجلها وان غطت رجلها لم يبلغ رأسها.

وقال: ليس عليك باس انما هو ابوك و غلامك.

وقال سعيد بن المسيب: عبد المرأة كالأجنبي وان ما ملكت اليمين المراد به في الآية الاماء دون العبيد فلا يرى عبدها شعرها ونحوه الا ان لم تكن له همة وكان سعيد يقول كقول عائشة وام سلمة.

قالت عائشة: لعبدها ذكوان إذا وضعتني في القبر وخرجت انت حر ثم رجع سعيد عن ذلك وقال لا تغرنكم آية النور فالمراد الاماء.

قال جار الله: وهو الصحيح لان عبد المرأة بمنزلة الاجنبي ولو خصيا.

قال: وعن ميسون الكلابية زوج معاوية ان معاوية دخل عليها ومعه خصي فتقنعت منه فقال هو خصي قالت يا معاوية اترى ان المثلة به تحلل ما حرم الله.

وعن ابي حنيفة لا يحل امساك الخصيان واستخدامهم وبيعهم وشراؤهم ولم ينقل عن احد من السلف امساكهم. وروي عنه اهدي إليه خصي فقبله فان صح فعله ليعتقه أو لسبب ما. والصحيح جواز بيعه وشراؤه وامساكه لأنه لا مانع من ذلك وقد فعله النبي فادعاء انه يحتمل انه قبله ليعتقه أو لسبب تكلف وبعد فانه تكلف لا يمنع من ذلك فانه إذا قبله وامسكه ولو قليلا فالقليل والكثير في هذا سواء.

وايضا الاصل ان يبقى على الاصل من جواز بيعه وشراؤه وامساكه واما عبد الرجل رجل المرأة فكالأجنبي لا ينظر منها الا الوجه والكفين والقدمين على ما مر في الاجنبي الا ان ملكها بعضا منه.

أو التابعين في فضول الطعام البله الذين لا يعرفون شيئا عن أمور النساء كما قال.

غير أولي الإربة من الرجال بجر غير بدلا من التابعين لا نعتا الا ان قلنا ان اضافة غير تفيد التعريف أو اجزنا نعت المعرفة بالنكرة أو اجزنا نعت المعرف بالجنسية بالنكرة وبسط ذلك في النحو.

وقرى بنصب غير على الاستثناء أو الحالية وهو قراءة ابن عامر وابي بكر.

والاربة الحاجة اي البله الذين يتبعون الرجل إلى بيته بطعام ولا حاجة لهم بالنساء ولا ينتشر لهم ذكر.

قال الثعالبي: والذي لا اربة له من الرجال قليل.

وقيل: يحتمل ان يريد الشيوخ الصلحاء يتبعون الرجل إلى بيته ويغضون ابصارهم عنهن وينفون عن قلوبهم امر النساء والاول قول الحسن

وقيل: الرجال الاحمقون الذين لا تشتهيهم النساء ولا يشتهونهن ولا يغار عليهم الزوج.

وقيل: الذين لا يشتهونهن ولا يستطيعون غشيانهن.

وقيل: قوم كانوا في المدينة طبعوا على غير شهوة النساء والظاهر ان مثلهم يقاس عليهم عند اصحاب هذا القول.

وقال ابن عباس: التابع الاحمق العنين.

وقيل: الشيخ الهرم الذي بلغ به الهرم إلى ان لا يشتهي.

وقيل: المجبوب والخصي.

وقيل: لا يجوز لهما النظر.

وقيل: الممسوح.

وقيل: المعتوه الذي لا ارب له.

وقيل: جميع ذلك داخل في الآية.

وقيل: المراد المخنث.

وكان مخنث يدخل على ازواج النبي معدودا من جملة من لا اربة له فدخل يوما وهو عند بعض نسائه ينعت امرأة يقول إذا قبلت اقبلت باربع وإذا ادبرت ادبرت بثمان فقال لا ارى هذا يعرف ما هاهنا لا يدخلن عليكم وارد بالاربع اربع عليكن تقبل بهن وبالثمان اطراف الاربعة من الجانبين وصفها بالسمن.

أو الطفل الذين لم يظهروا على عورات النساء اراد بالطفل الجنس ولذا وصف باسم الجمع.

وقيل: انه موضوع للواحد والجماعة وعلى الاول فهو كقولهم الدينار والصر و الدرهم البيض جمعي اصفر اصفر وابيض.

وقد قاس بعضهم مثل هذا ومعنى عدم ظهورهم على عوراتهن عدم بلوغهم بحد الشهوة. وقيل: إذا كان يشتهي استترن عنه ولا يكفرن بعدم الاستتار ما لم يلزمه الفرض من قولك: ظهر زيد على عمر اي قوي عليه وغلبه اي لم يبلغوا أو ان القدرة على الوصي أو المراد عدم تعبرهم بين العورة وغيرها من ظهر على الشيء اي اطلع عليه اي لا يعرفون ما العورة واحكام المراهق احكام الطفل ما لم يبلغ وقيل احكام الرجل.

وقرى عورات بفتح الواو وهو لغة هذيل.

قال ابن هشام قرأ بها بعضهم ثلاث عورات وذلك لانهم لم يستنقلوا الحركة على الواو لعروضها. ولا يَضْرِبْنَ بَأَرْجُلَهُنَّ لِيَعْلَمَ مَا يَخْفَيْنَ مِنْ زِينَتِهِنَّ من خلخال يتنقعع ويقاس على ذلك ما تعلق بأيديهن وغيرها وكن إذا مررن على قوم ضربن الارض بأرجلهن بصوت الخلخال. وسماع صوته قيل اشد تحركا للشهوة من ابدانها وهو قول الزجاج أو تضرب رجلا بأخرى فيسمع الصوت وسبب ذلك الضرب الرياء للزينة أو بان لها خلخالاً.

وقيل: اذا كان لها خلخال ضربت برجلها التي هو فيه الارض ليعلم انها ذات خلخال وإذا كان لها خلخالان ضرب رجلا بأخرى ليعلم ان لها خلخالين وقيل انه ينهى عن المشي بعنف أو بسرعة لتتنقعع ما تعلق بها فائدة شأن المسلمة ان تكشف وجهها كله أو تستره كله الا العينين أو تسترها ايضا وتتنظر من تحت الستر إلى جهة الارض واما ستره الا عينا واحدة فلباس المناقفة كذا في بعض الاثار ورأيت في بعض الاثار ان لها ان تكشف عينا فما فوقها وما تحتها وانفها وتستتر الاخرى وما فوقها وما تحتها.

فقرات من التفسير

هــ33\90: 253

وإذا سألتموهنَّ طلبتم نساء النبي ورضى عنهن، المدلول عليهن بذكر البيوت وبالمقام متاعاً شيئاً يتمتع به، ككوز وإبريق وقصعة، والمراد إذا أردتم سؤالهن متاعاً فسألوهن من وراء حجابٍ ستر بلا نظر لأشخاصهن، ولو من فوق ثيابهن ذلك ما ذكر من السؤال من وراء حجاب، أو مع الدخول بإذن، وترك الاستئناس أظهر لقلوبكم وقلوبهنَّ عما يخطر للرجال في أمر النساء، ولهن في أمرهم من الطبع والشيطان بواسطة الرؤية والسمع، وقد وصفهم وإياهن الله بحصول الطهر عن ذلك، ولكن أمر الكل بالازدياد فيه لأن أظهر اسم تفضيل، والنظر سهم مسموم من سهام إبليس.

قال عمر رضى الله عنه: يا رسول الله يدخل عليك البر والفاجر، فلو أمرت أمهات المؤمنين بالحجاب، فنزلت آية الحجاب، رواه البخاري والطبري، عن أنس، وروى الطبري: أن أزواج النبي يخرجن لقضاء حاجة الإنسان ليلاً قبل أن تتخذ الكنف في البيوت، وكان عمر رضى الله عنه يقول: يا رسول الله احجب نساءك ولا يفعل انتظاراً للوحى، وخرجت سودة ليلاً، وكانت طويلة فناداها عمر بأعلى صوته: قد عرفناك يا سودة، فنزلت آية الحجاب، وقد أحسن رضى الله عنه في ذلك، ولو خجلت سودة لأن ذلك سعى في صلاحها، ولو كان ظلماً لنهاه النبي.

قال عمر: وافقت ربي في ثلاث: قلت: يا رسول الله لو اتخذت من مقام إبراهيم مصلًى فنزل: واتخذوا من مقام إبراهيم مصلًى البقرة: 125 وقلت: يا رسول الله يدخل على نساءك البر والفاجر فلو أمرتهن بالحجاب، فنزلت آية الحجاب، واجتمعت نساء النبي في الغيرة فقلت:

عسى ربه إن طلقكن أن يبدله أزواجاً خيراً منكن التحريم: 5 فنزلت كذلك، وفي البخاري والنسائي، عن عائشة رضى الله عنها أنها كانت تأكل معه، وكان يأكل معهما بعض أصحابه، فأصاب يد رجل يدها، فكره النبي ذلك، فنزلت آية الحجاب، ولعل الرجل عمر، لما روى مجاهد، عن عائشة: أنها كانت تأكل مع رسول الله حيساً في قعب، فمر عمر فأمره النبي أن يأكل معهما، فأصابته أصبعه أصبعها، فقال: يا رسول الله لو حجبت نساءك، فنزلت آية الحجاب، ولعل الآية نزلت لذلك كله.

هــ33\90: 359

وقد قيل: نزلت في من يتبع الإمام للزنى إذا خرجن ليلاً لقضاء حاجة الإنسان، وربما وافقوا الحرائر فيمتنعن ويشكون إلى أزواجهن، فنهى الله الناس عن التطلع والإيذاء، وأمر النساء بالستر فقال:

يا أيها النبي قل لأزواجك وبناتك ونساء المؤمنين يُدنين عليهن من جلابيبهنَّ معنى إدناء الجلابيب تقريبه من رأسها وجسدها، بحث بسترهن بحيث لا يبقى هواء ينكشفن عنه، وعدى يعلى لتضمن معنى الإرخاء، والجلابيب ثوب يسترها من فوق لأسفل، ويسمى الملحفة، وقيل: المقنعة وهي لباس الرأس وما يليه، وقيل: ثوب أوسع من الخمار، ودون الرداء، والحاصل الأمر بستر ما يبدو من أبدانهن، أو من ثياب زينتهن.

قال ابن سيرين، عن عبيدة السلماني في هذه الآية: تستر رأسها ووجهها كله إلا عينها اليسرى، قال السدى: أو عينها اليمنى، وهو رواية عن ابن عباس، وفي أخرى عنه أو عينيها، وذلك رد على ما في بعض الكتب، من أن ذلك فعل الفاسقات، وأن غيرهن تستر الوجه كله، ولعله أريد أن الفاسقات في بلدة من البلدان، يفعلن ذلك، ولم يرد التحريم.

وعن سعيد بن جبير: يرخين الثوب على الوجه كله، وينظرن أسفل، وما يبدو من نساء الجاهلية إلا الوجه، فأمر الله بستره أيضاً، وأنت خبير بأن الوجه ليس عورة، قيل: مطلقاً، وقيل: إن لم تكن فيه زينة فليس مراداً بالآية، إلا أن السنة ستره، ويجوز النظر إليه بلا شهوة، والفعل في يدنين مجزوم المحل في جواب الأمر، ومفعول قل محذوف، ومعناه أذكر أي لهن وجوب الستر يدنين، أو يدنين اخبار ومعناه الأمر أي قل أدنين،

¹ <http://goo.gl/xAuX38>

² <http://goo.gl/mm0Pd6>

³ <http://goo.gl/DfHJUy>

وجلابيب مفعول به ليدنى، ومن صلة في الإيجاب والمعرفة عند مجيز ذلك، أو المفعول محذوف منعوت بمن جلابيبهن، أي شينا من جلابيبهن وهو بعض من كل جلابيب. ذلك الإنداء أدنى أقرب أن يعرفن إلى أن يعرفن فلا يقربهن أحد، كما يقرب أجل الربية الإمام كما قال: فلا يُؤذِنُ وذلك إزالة لبعض الشر، وبعض الشر أهون من بعض، ولا عذر لهم في الإمام، ونهوا عن الزنى ومقدماته مطلقاً بالحرائر والإماء، ويجوز بلا ترفع ولا رناء أن يلبس العالم ما يميزه بدرته إذا تشبهت بالحررة، ورأى أمة مقنعة فضربها فقال: ألقى القناع لا تتشبهي بالحرائر.

هـ-102\24: 131

وقل للمؤمنات يَغُضُّضْنَ من أبصارهن مثل ما مرَّ ويحل لهنَّ ما رد الركبة أسفل، والسرة فوق من الأجانب والمحارم، والنساء بلا شهوة ويحفظن فروجهنَّ مثل ما مر، وسحاق النساء زنى ولا يُؤدِّين زينتَهُنَّ ما يتزين به من الحلى إذا كان في المحل الذي لا يرى، فلا يحل النظر إلى ما يعلق بالأذن أو يلبسه الذراع، أو الرجل أو العنق، أو الشعر، لا يرى نفس تلك الجوارح، فلا يبدین هؤلاء للأجانب، وإن نزع عن الجسد جاز إبداءه والنظر إليه بلا شهوة.

إلا ما ظهر منها جرت العادة بظهور كالكل في العين، والنقط في الوجه بالأسود أو الأحمر، أو غيرهما، والتحمير والبيض، والخاتم في الأصبع، والخضاب في الكفين، وفي رواية الذراعان ليسا بعورة، ولا تثبت عندنا، ولا عند جمهور قومنا، وتقدم أن الوجه والكفين عورات إذا كان فيهن زينة، وعليه فمما ظهر منها الثوب الحسن الدائر، والجلابيب، كما روى عن ابن مسعود، وعنه: الثياب كما هو الزينة في قوله عز وجل: خذوا زينتكم الأعراف: 31 وعن ابن عباس الكحل والخاتم والقرط والقلادة، أي إذا كان لا يظهر موضع القرط والقلادة، وكذا في قول الحسن: إنه الخاتم والسوار وسر الوجه مطلقاً هو السنة.

وليضربن يغطين بخمرهن جمع خمار، وهو ما يستر الرأس من المرأة من الخمر، وهو الستر على جُيوبهنَّ مخارج الرؤوس والأعناق من الجبة والقميص من الجيب، بمعنى القطع، وذلك لأنه يبدوا من ذلك أعلى الصدر، فأمرن بستره، وكن يغطين رؤوسهن بالخمر مسدلات من خلفهن، فيبدو العنق وأعلى الصدر، وسارعت نساء المهاجرين إلى ضرب الخمر حين نزلت الآية.

وأما تسمية ما يخاط في أعلى الجبة أو القميص لحفظ الدراهم مثلاً جيباً فمجاز مرسل في الأصل، علاقته الجوارح أو الحلول في الأصل، ثم صارت حقيقة عرفية عامة، وهؤلاء الآيات دالات على خطر البصر، فإن الاستئذان من النظر وستر الفرج، لنلا يرى، وإبداء الزينة محرم لنلا ترى، وأمر الرجال والنساء بالغض، وأمرن بضرب الخمر على الجيوب، والناس يستصغرن النظر، ويتهاونون به.

كل الحوادث مبدؤها من النظر	ومعظم النار من مستصغر الشرر
والمرء ما دام ذا عين يقلبها	في أعين العين موقوف على الخطر
كم نظرة فعلت في قلب فاعلها	فعل السهام بلا قوس ولا وتر
يستر ناظره ماضر خاطره	لا مرحباً بسرور عاد بالضرر

وليس في ذلك تضيق على عليهن وعليكم، لأن لكم ولهن فسحة بغير ذلك للضرورة، وعدم وجود المانع في قوله تعالى: ولا يُبدِين زينتَهُنَّ إلا لبُعُولتهنَّ إلى قوله: أو الطفل الذين لم يظهروا على عورات النساء والبعولة جمع جمع لبعل أو جمع وهم أزواجهن، وقدموا لأنه لم يحجر عليهم شيء منها، ولو نظر من زوجه داخل فرجها، وكره بعضهم النظر إلى فرجها، حتى إن للزوج ضربها على ترك الزينة ولأزواجهن خلقن للتمتع والولادة.

أو أبنائهنَّ شامل للأجداد من جهة الأب أو الأم ما علو، قدموا لأنهم لا يفتنون بيناتهم اشتهاً، وما وقع نادر شاذ خارج عن المروة المعتادة أو آباء بعولتهنَّ وأجدادهن من جهة الأب أو الأم وإن علوا، قدموا لأن لهم غيرة على أزواج أبنائهم أن يشاركوهم في نسائهم بنظر الشهوة أو المس بها، وما فوق ذلك.

أو أبنائهنَّ شامل لبنى الأبناء وإن سفلوا، ولبنى البنات وإن سفلوا، وأخروا مع أنهم أشد بعداً عن اشتهاهن، وما يترتب عليه مثل الأب ليتصل الكلام على البعولة، ولآباء وآباء البعولة، لا يفصل بالبنوة أو أبناء بعولتهنَّ من غيرهن من النساء شامل لبنى أبناء البعولة، وبنى بنات البعولة وإن سفلوا وسفلن.

أو إخوانهنَّ من الأب والأم، أو من أحدهما، أخرت جهة الأخوة لأنها دون البنوة في البعد عن الاشتها والعمل به أو بنى إخوانهنَّ وإن سفلوا الشامل لبنى بنات إخوانهن، وإن سفلوا وسفلن، أو بنى أخواتهنَّ وإن

سفلوا شامل لبنى بنات أخواتهن وإن سفلوا وسفلن، واستعمل بنى في الإخوة دون أبناء لأنه أوفق في العموم، وكثرة الاستعمال مع عدم اتحاد صنف القرابة فيما بينهم، ألا ترى أنه يقال بنو آدم، وبنو تميم لا أبناء إلا ما شذف فقد يجتمع لها ابن أخ شقيق، وابن أخ للأب، وابن أخ للأم، وأبناء أخ شقيق، وأبناء إخوة أشقاء، وأبناء أخ أو أخت، وأبناء أخ أو إخوة لأب أو لأم.

والرضاع في ذلك كله كالنسب، ودخلت الأعمام والأخوال بالسنة، ولأنهم في معنى الإخوان، لأن الجد في معنى الأب، فابنه في معنى الأخ، ولأن الأعمام آباء، والأخوال كالأمهات كما في الحديث، والاستعمال كقوله تعالى:

وإذ قال إبراهيم لأبيه أزر الأنعام: 74 لنلا يتوهم أن أبناءهم مثلهم كما في سائر الآية، وهذا مما وفقت لاستخراجه، وكثر ذلك والحمد لله، إلا أنى لا أذكر أن كذا من مستخرجاتي إلا قليلا ما شاء الله، لا قوة إلا بالله.

أو نساتهن أي المؤمنات غير الفواسق التي يصفن فلا يبيدين لهن، ولا للمشركات إلا ما يبيدين للأجانب، كما روى عن عمر في المشركة، إذ لا تتخرج عن الوصف، وقيل: إن المراد جميع النساء، واستثناء السلف الفواسق، والمشركات استعجاب، وقول عمر رضى الله عنه: لا يحل لامرأة تؤمن بالله واليوم الآخر أن تبدي للمشركة ما تبدي للمؤمنة غير هذا، ولكن ورد دخول الذميات على أمهات المؤمنين، قلت: لكن لم يرد أنهن رأين منهن ما لا يراه الأجانب.

أو ما ملكت أيمانهن من الاماء ولو كوافر، ومن العبيد، ولو ملكت جزء منهن أو منهم فقط، وقيل: لا حتى تملك العبد كله أو الأمة المشركة كلها، وقال سعيد بن المسيب: ما ملكت أيمانهن هن الاماء، وأما عبدها فلا يحل لها ابداء الزينة له، ويرده أنه تخصيص بلا دليل، وأنه لو أريد الاماء فقط لقل أو إماءهن فيكون نصا، وكذا ما قاله أئمة اهل البيت أنه يجوز لها أن تبدي لعبدها ما تبدي للنساء، وكانت عائشة رضى الله عنها تمتشط، وعبدها ذكوان يراها، وقالت: إذا وضعتني في القبر، وخرجت فأنت حر، والمكاتب عندنا حر من حينه وعليه دين فلا تبدي له، وأتى فاطمة رضى الله عنها بعبد وهبه لها، وعليها ثوب إذا غطت به رجليها انكشف رأسها أو رأسها انكشف رجليها، فتخرجت فقال لا بأس أنا أبوك، وهذا مملوكك، وجعل بعض عبد الزوج كحرم لما لقوله تعالى: أو ما ملكت أيمانكم والمذهب أنه أجنب إلا أن ملكت جزء منه.

أو التابعين للناس يصيبوا من فضل طعامهم الذين لا يصفون للرجال غير نعت أولى الإربة الحاجة الى التمتع بالنساء من الرجال وهم البله الذين لا يشتهون النساء، وغير البله الذين لا يشتهون ولا المجنون والشيخ الفاني والخصى، إذ قد يبقى فيهم بعض اشتها، أو يحضر تارة منهم اشتها، ولو تحقق أنهم لا يشتهون لحل الإبداء لهم، ولا يبيدين لمن يصف، ولو ظهر أنه لا يشتهى، لأن الوصف محذور شرعاً، بل قد يكون وصفه لبعض اشتها فيه، وجد مختئاً عند بعض نساته يصف امرأة بأنها تقبل بأربع، وتدبر بثمان فقال: قد عرف ما هناك، فلا يدخل عليكن، وأخرجه من المدنية، فكان يدخلها كل جمعة يستطع.

أو الطفل الذين لم يظهروا على عورات النساء لم تطلع قلوبهم على عوراتهن بالاشتها، أو لم يقولوا على الجماع، لعدم تعلق قلوبهم به، يقال قوى على الشيء اطلع عليه، أو قدر عليه، وفي المراهق في المذهب قولان: بعض يحكم عليه بحكم البالغ، وبعض لا يحكم عليه به، وهو الصحيح، وكذا قولان عند الشافعية، والمنع أحوط، فإن كان يصف لم يبيدين له ولو تحقق أنه لا اشتها له، ولا يصف، جاز الإبداء له، والطفل يطلق على ما فوق الواحد، كالواحد كما في الصحاح، فتحمل عليه الآية، وقوله عز وجل:

ثم يخرجكم طفلا غافر: 67 فلا حاجة الى كون النعت بالجمع لآل الجنسية، ولا الى تقدير يخرج كل واحد طفلا على حد ما قلنا في:

واعدت لهن منكأ يوسف: 31 اعتدت لكل واحدة.

ونقول معنى قول بعض: أنه مفرد وضع موضع الجمع أنه موضوع لغة بمعنى الجمع تارة لا مفرد، استعمل بمعنى الجمع، وذلك كما قيل: إنه مصدر في الأصل، فجاز استعماله في القليل والكثير، ومعنى العورات ما يستقيح انكشافه منهن لا خصوص الفرجين ولا يضربن بأرجلهن الأرض ليعلم ما يخفين من زينتهن بصوت الخلال بما تعلق به من نحو جزع، أو بما في جوفه من ذلك، أو لا يضربن رجلا برجل، وفيهما خلخالان يصوتان بالتقائهما، وكن يفعلن ذلك ليعلم الرجال أنهن ذوات رجال حرائر، فيخلى لهن الطريق، ولا يتكلم لهن، والسامع يتعلق قلبه بذلك، ويوهم أن لهن ميلا إليهم، والمدار على الميل حتى إنه لا يجوز الاستماع لكلامهن، إذا كان مشهياً.

وقد قال في سهو الامام: التصفيق للنساء والتكبير للرجال وكيف يحل للرجل النظر الى زوج أخيه، وكيف يأمر أبوهما أو أمهما بذلك، وكيف يرضى أحد الزوجين بذلك، وفي ذكر الزينة في مواضع من هذه الآية اشارة الى أنها مباحة للنساء، وأنها من شأنهن كما قال الله عز وجل: أو من ينشأ في الحلية الزخرف: 18 وسواء أكان لهن أزواج أم لم يكنوا، ولا تقصد الرناء، ولا يحل لهن الحرير والذهب في الاحرام بحج أو عمرة، وأجيز الحرير للرجل في الحرب، وكذا يسن للرجل التزيين بلا اسراف قيل:

تجمل بالثياب ولا تبال فإن العين قبل الاختبار
فلو جعل الثياب على حمار لقال الناس يا لك من حمار
ولا يجوز لباس الحرير بأنواعه للرجل، وكذا ما صور بصورة الحرير من حلفاء وغيرها، لأن فيه التخنث كالحرير، وكان ابن عمر يقطع علم الحرير من العمامة، وكذا قال جابر بن عبد الله: كنا نقطع أعلام الحرير، وذلك أنه نهى عن الحرير، فاستوى فيه القليل والكثير.
وعن أبي أمامة: أنه أجاز ثلاثة أصابع، وعن عمر إجازة الأصبع والأصبعين، والثلاث، لأن القليل في حد العفو، وأجيز تفريشه، ولا يجوز ما فيه صورة من ثياب، لأنه خرق سترأ على باب عائشة رضى الله عنها عليه طيور وقال: إن الملائكة لا تدخل بيتاً فيه كلب أو تمثال ولعل ذلك ندب، وأجاز بعض ما كان كذلك رقماً ويجوز الاتكاء على ما فيه ذلك.

فقرات من التفسير

هـ\90:33:253

وسؤال المتاع من وراء حجاب أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبُهُنَّ أَي: من الخواطر الشيطانية، في الميل إليهن وإلكن. يعني ويجب التطهر عنه، لما فيه من إيذاء رسول الله.

هـ\90:33:359

يَبَاطُهَا النَّبِيُّ قُلْ لَأَزْوَاجَكُمْ وَبَنَاتُكُمْ وَنِسَاءَ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِنْ جَلَابِيبِهِنَّ جمع جلباب كسرداب، وهو الرداء فوق الخمار، تتغطى به المرأة. وهو معنى قول بعضهم: جلبابها ملاعتها تشتمل بها. وقيل هو الخمار. قالت جنوب أخت عمرو ذي الكلب ترثيه:

تمشي النسور إليه وهي لاهية

مشي العذاري، عليهن الجلابيب

وقال آخر يصف الشيب:

حَتَّى اكْتَسَى الرَّاسُ قَنَاعاً أَشْهَبَا أَكْرَةَ جِلْبَابٍ لِمَنْ تَجَلَّبَا

وقال الزمخشري: الجلباب ثوب واسع، أوسع من الخمار، ودون الرداء، تلويه المرأة على رأسها ويبقى منه ما ترسله على صدرها. وعن ابن عباس: الرداء الذي يستر من فوق إلى أسفل. ثم قال: ومعنى يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ من جَلَابِيبِهِنَّ يرخينها عليهن ويغطين بها وجوههن وأعطافهن. يقال إذا زَلَّ عن وجه المرأة: أدنى ثوبك على وجهك. وذلك أن النساء كن في أول الإسلام على هجيراتهن في الجاهلية متبذلات، تبرز المرأة في درع وخمار، لا فصل بين الحرة والأمة. وكان الفتيان وأهل الشطارة يتعرضون للإماء إذا خرجن بالليل، إلى مقاضي حوائجهن في النخيل والغيظان. وربما تعرضوا للحرة بعلّة الأمة، يقولون حسبناها أمة، فأمرن أن يخالفن بزيهن عن زي الإماء، لبس الأريدة والملحف وستر الرؤوس والوجوه ليحتشمن ويهبن، فلا يطمع فيهن طامع، وذلك قوله: ذَلِكَ أَدْنَى أَنْ يُعْرِفَنَّ فَلَا يُؤْذَنَنَّ أَي: أولى وأجدر بأن يعرفن أنهم حرائر، فلا يتعرض لهن ولا يلتقن ما يكرهن. ثم قال الزمخشري: فإن قلت: ما معنى من في من جَلَابِيبِهِنَّ قلت: هو للتبعض. إلا أن معنى التبعض محتمل وجهين: أحدهما - أن يتجلبن ببعض ما لهن من الجلابيب، والمراد أن لا تكون الحرة متبذلة في درع وخمار كالأمة والمأهنة، ولها جلبابان فصاعداً في بيتها. والثاني - أن ترخي المرأة بعض جلبابها وفضله على وجهها، لتتقنع حتى تتميز من الأمة. انتهى.

ومن الآثار في الآية، ما رواه الطبري عن ابن عباس قال: أمر الله نساء المؤمنين إذا خرجن من بيوتهن في حاجة، أن يغطين وجوههن من فوق رؤوسهن بالجلابيب، ويبدن عينا واحدة. وأخرج ابن أبي حاتم عن أم سلمة قالت: لما نزلت هذه الآية: يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ من جَلَابِيبِهِنَّ خرج نساء الأنصار كان على رؤوسهن الغريان، من السكنية. وعليهن أكيسة سود يلبسنها. وأخرج عن يونس بن يزيد أنه سأل الزهري: هل على الوليدة خمار، متزوجة أو غير متزوجة؟ قال: عليها الخمار إن كانت متزوجة، وتنهى عن الجلباب. لأنه يكره لهن أن يتشبهن بالحرائر المحصنات.

تنبيهات

الأول: قال ابن كثير: روي عن سفيان الثوري أنه قال: لا بأس بالنظر إلى زينة نساء أهل الذمة. وإنما نهى عن ذلك لخوف الفتنة، لا لحرمتهن، واستدل بقوله تعالى: وَنِسَاءَ الْمُؤْمِنِينَ انتهى.

الثاني: قال السبكي في طبقاته: استنبط أحمد بن عيسى، من فقهاء الشافعية، من هذه الآية أن ما يفعله العلماء والسادات، من تغيير لباسهم وعمامهم، أمر حسن. وإن لم يفعله السلف. لأن فيه تمييزاً لهم حتى يُعرفوا، فيعمل بأقوالهم. انتهى.

الثالث: قال الشهاب: قوله تعالى: يُدْنِينَ يحتمل أن يكون مقول القول. وهو خبر بمعنى الأمر، أو جواب الأمر، على حدّ

¹ <http://goo.gl/0y8oIr>

² <http://goo.gl/v2kSYn>

³ <http://goo.gl/pdXmoC>

قُلْ لِعِبَادِيَ الَّذِينَ آمَنُوا يُقِيمُوا الصَّلَاةَ إِبراهيم: 31 انتهى وَكَانَ اللَّهُ غَفُوراً أَيْ: لما سلف منهم من التفریط رَحِيماً أَيْ: بعباده، حيث يراعي مصالحهم حتى الجزئيات منها.

هـ102\24: 131

وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ أَيْ: بالستر والتصون عن الزنا كما تقدم. قال الزمخشري: النساء مأمورات أيضاً بغض الأبصار. ولا يحل للمرأة أن تنتظر من الأجنبي إلى ما تحت ستره إلى ركبته. وإن اشتهت غضت بصرها رأساً. ولا تنتظر من المرأة إلا إلى مثل ذلك. وغض بصرها من الأجانب أصلاً، أولى بها وأحسن. ومنه حديث ابن أم مكتوم عن أم سلمة قالت: كنت عند النبي وعنده ميمونة. فأقبل ابن أم مكتوم. وذلك بعد أن أمزنا بالحجاب: فدخل علينا. فقال: احتجبا. فقلنا: يا رسول الله! أليس أعمى لا يبصرنا! قال: أفعميأوان أنتما؟ ألستما تبصرانه؟ وهذا الحديث رواه أبو داود والترمذي وصححه.

وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا قال الزمخشري: الزينة ما تزينت به المرأة من حلي أو خضاب: فما كان ظاهراً منها، كالخاتم والفتحة والكحل والخضاب، فلا بأس بإبدائه للأجانب. وما خفي منها كالسوار والخلخال، والدمالج والقلادة والإكليل والشاح والقرط، فلا تبديه إلا لهؤلاء المذكورين. وذكر الزينة دون مواقعها، للمبالغة في الأمر بالتصون والستر. لأن هذه الزين واقعة على مواضع من الجسد، لا يحل النظر إليها لغير هؤلاء. وهي الذراع والساق والعضد والعنق والرأس والصدر والأذن. فنهى عن إبداء الزين نفسها ليعلم أن النظر إذا لم يحل لها لملايستها تلك المواقع، بدليل أن النظر لها غير ملايسة لها، لا مقال في حله - كان النظر إلى المواقع أنفسها متمكناً في الحظر ثابت القدم في الحرمة، شاهداً على أن النساء حقن أن يحتطن في سترها ويتقين الله في الكشف عنها.

فإن قلت: لم سومح مطلقاً في الزينة الظاهرة؟ قلت: لأن سترها فيه حرج. فإن المرأة لا تجد بداً من مزاولة الأشياء بيديها، ومن الحاجة إلى كشف وجهها، خصوصاً في الشهادة والمحكمة والنكاح. وتضطر إلى المشي في الطرقات وظهور قديمها. وخاصة الفقيرات منهن. وهذا معنى قوله تعالى: إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا يعني: إلا ما جرت العادة والجملة على ظهوره، والأصل فيه الظهور. انتهى.

وقال السيوطي في الإكليل: فسر ابن عباس قوله تعالى: إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا بالوجه والكفين، كما أخرجه ابن أبي حاتم. فاستدل به من أباح النظر إلى وجه المرأة وكفيها، حيث لا فتنة. ومن قال: إن عورتها ما عداهما. وفسره ابن مسعود بالثياب، وفسر الزينة بالخاتم والسوار والقرط والقلادة والخلخال. أخرجه ابن أبي حاتم أيضاً. فهو دليل لمن لم يجز النظر إلى شيء من بدننها، وجعلها كلها عورة وَلْيُضْرِبْنَ بَخْمَرٍ عَلَى جُيُوبِهِنَّ أَيْ: وليسترن بمقانعهن، شعورهن وأعناقهن وقرطهن وصدورهن، بالقائنها على جيوبهن أَيْ: مواضعها، وهي النحر والصدر.

قال الزمخشري: كانت جيوبهن واسعة تبدو منها نحورهن وصدورهن وما حوالها. وكن يسدلن الخمر من ورائهن، فتبقى مكشوفة فأمرن بأن يسدلنهن من قدامهن حتى يغطيها. ويجوز أن يراد بالجيوب الصدور، تسمية بما يليها ويلابسها، ومنه قولهم: ناصح الجيب.

لطيفة

قال أبو حيان: عدي يَضْرِبُ بعلی لتضمنه معنى الوضع. وجعله الراغب مما يتعدى بها دون تضمين. والخمر جمع خمار يقال لغة لما يستر به. وخصصه العرف بما تغطي به المرأة رأسها. ومنه اختمرت المرأة وتخمرت. والجيب ما جيب، أي قطع من أعلى القميص. وهو ما يسميه العامة طوقاً. وأما إطلاقه على ما يكون في الجنب لوضع الدراهم ونحوها، فليس من كلام العرب. كما ذكره ابن تيمية. كذا في العناية ثم كرر النهي عن إبداء الزينة لاستثناء بعض مواد الرخصة عنه، باعتبار الناظر بعد ما استثنى عنه بعض مواد الضرورة باعتبار المنظور، بقوله تعالى: وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَيْ: فإنهم المقصودون بالزينة. ولهم أن ينظروا إلى جميع بدنهن حتى الفرج، لكن بكراهة على المشهور.

وقال الإمام أبو الحسن بن القطان في كتاب إحكام النظر: عن أصبغ، لا بأس به، وليس بمكروه. وروي عن مالك لا بأس أن ينظر إلى الفرج في الجماع. ثم ذكرنا أن ما روي من أن ذلك يورث العمى، فحديث لا يصح. لأن فيه بقية وقد قالوا: بقية أحاديثه غير نقية ولم يؤثر عن العرب كراهة ذلك. وللنابغة والأعشى وأبي عبيدة وابن ميادة وعبد بني الحساس والفرزدق، في ذلك ما هو معروف.

246

لَا جُنَاحَ عَلَيْهِمْ فِي آبَائِهِمْ... الأحزاب: 55 الآية ولم يذكر فيها البعولة ولا أبناءهم. وقد ذكروا هاهنا. وقد يذكر البعض لينبه على الجملة.

ثم قال: في قول الشعبي من الدلالات البليغة على وجوب الاحتياط عليهن في التستر. ثم أشار تعالى إلى أن الزينة، كما يجب إخفائها عن البصر، يجب عن السمع، إن كانت مما تؤثر فيه ميلاً، بقوله سبحانه: وَلَا يَضُرُّنَّ بِأَرْجُلِهِنَّ أَي: الأرض لِيُعْلَمَ مَا يُخْفَيْنَ أَي: عن الأبصار من زينتِهِنَّ كالخلخال. وهذا نهى عما كان يفعله بعضهن. وذلك من ضرب أرجلهن الأرض ليتحرك خلخالهن فيعلم أنهن متحليين به. فإن ذلك مما يورث الرجال ميلاً إليهن، ويوهم أن لهن ميلاً إليهم.

قال الزمخشري: وإذا نهين عن إظهار صوت الحلي بعد ما نهين عن إظهار الحلي، علم بذلك أن النهي عن إظهار مواضع الحلي أبلغ وأبلغ. قيل: وإذ نهى عن استماع صوت حليهن، فعن استماع صوتهن بالطريق الأولى. وهذا سد لباب المحرمات، وتعليم للأحوط الأحسن، لا سيما في مظان الريب وما يكون ذريعة إليها. تنبيه

قال ابن كثير: يدخل في هذا النهي كل شيء من زينتها كان مستوراً، فتحركت بحركة، لتظهر ما خفي منها. ومن ذلك ما ورد من نهيتها عن التعطر والتطيب عند خروجها من بيتها ليشم الرجال طيبها. فروى الترمذي عن أبي موسى عن النبي أنه قال: كل عين زانية. والمرأة إذا استعطرت فمرت بالمجلس فهي كذا وكذا يعني: زانية.

قال: ومن الباب عن أبي هريرة. وهذا حديث حسن صحيح. ورواه أبو داود والنسائي. وروى الترمذي أيضاً عن ميمونة بنت سعد؛ أن رسول الله قال: الرافلة في الزينة في غير أهلها، كمثل ظلمة يوم القيامة، لا نور لها ومن ذلك أيضاً، نهيهن من المشي في وسط الطريق لما فيه من التبرج. فروى أبو داود عن أبي أسيد الأنصاري أنه سمع النبي وهو خارج من المسجد، وقد اختلط الرجال مع النساء في الطريق. فقال رسول الله للنساء: استأخرن، فإنه ليس لكن أن تحقّقن الطريق. عليكن بحافات الطريق فكانت المرأة تلتصق بالجدار، حتى أن ثوبها ليتعلق بالجدار من لصوقها به. وقوله تعالى: وَثُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعاً أَيُّهُ الْمُؤْمِنُونَ أَي: ارجعوا إليه بالعمل بأوامره واجتناب نواهيه، فإن مقتضى إيمانكم ذلك لَعَلَّكُمْ تَفْلَحُونَ أَي: لكي تفوزوا بسعادة الدارين.

فقرات من التفسير

هـ\33\90: 253

وأما أدبهم معه في خطاب زوجاته، فإنه، إما أن يحتاج إلى ذلك، أو لا يحتاج إليه، فإن لم يحتج إليه، فلا حاجة إليه، والأدب تركه، وإن احتيج إليه، كان يسألن متاعاً، أو غيره من أواني البيت أو نحوها، فإنهن يسألن من وراء حجاب أي: يكون بينكم وبينهن ستر، يستر عن النظر، لعدم الحاجة إليه. فصار النظر إليهن ممنوعاً بكل حال، وكلامهن فيه التفصيل، الذي ذكره الله، ثم ذكر حكمة ذلك بقوله: ذَلِكُمْ أَطْهَرُ لِقَوْلِكُمْ وَقُلُوبُهُنَّ لِأَنَّهُ أَبْعَدُ عَنِ الرِّيبَةِ، وكلما بعد الإنسان عن الأسباب الداعية إلى الشر، فإنه أسلم له، وأطهر لقلبه.

هـ\33\90: 359

هذه الآية، التي تسمى آية الحجاب، فأمر الله نبيه، أن يأمر النساء عموماً، ويبدأ بزوجاته وبناته، لأنهن أكد من غيرهن، ولأن الأمر لغيره 1 ينبغي أن يبدأ بأهله، قبل غيرهم كما قال تعالى: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا أن يُذْنِبْنَ عَلَيْهِمْ مِنْ جَلَابِيهِمْ وَهِنَّ اللَّاتِي يَكُنْ فَوْقَ الثِّيَابِ مِنْ مَلْحَفَةٍ وَخِمَارٍ وَرِءَاءَ وَنَحْوِهِ، أي: يغطين بها، وجوههن وصدورهن.

ثم ذكر حكمة ذلك، فقال: ذَلِكَ أَذْنَى أَنْ يُعْرِفْنَ فَلَا يُؤْذِينَ دَلَّ عَلَى وجود أدنية، إن لم يحتجب، وذلك، لأنهن إذا لم يحتجب، ربما ظن أنهن غير عفيفات، فيتعرض لهن من في قلبه مرض، فيؤذيهن، وربما استهين بهن، وظن أنهن إماء، فتهاون بهن من يريد الشر. فالاحتجاب حاسم لمطامع الطامعين فيهن.

هـ\102\24: 431

لما أمر المؤمنين بغض الأبصار وحفظ الفروج، أمر المؤمنات بذلك، فقال: وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَنْصَارِهِنَّ عَنِ النَّظَرِ إِلَى الْعَوْرَاتِ وَالرِّجَالِ، بشهوة ونحو ذلك من النظر الممنوع، وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ مِنَ التَّمَكُّنِ مِنْ جَمَاعِهِنَّ، أو مسها، أو النظر المحرم إليها. وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ كَالثِّيَابِ الْجَمِيلَةِ وَالْحُلِيِّ، وجميع البدن كله من الزينة، ولما كانت الثياب الظاهرة، لا بد لها منها، قال: إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا أي: الثياب الظاهرة، التي جرت العادة بلبسها إذا لم يكن في ذلك ما يدعو إلى الفتنة بها، وَلْيَضْرِبْنَ بخُرْمِهِنَّ عَلَى جُيُوبِهِنَّ وهذا لكمال الاستتار، ويدل ذلك على أن الزينة التي يحرم إبدائها، يدخل فيها جميع البدن، كما ذكرنا. ثم كرر النهي عن إبداء زينتهن، ليستثني منه قوله: إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أي: أزواجهن أو آبائهن أو آباء بُعُولَتِهِنَّ يشمل الأب بنفسه، والجد وإن علا أو أبنائهن أو أبناء بُعُولَتِهِنَّ ويدخل فيه الأبناء وأبناء البعولة مهما نزلوا أو إخوانهن أو بني إخوانهن أشقاء، أو لأب، أو لأم. أو بني أَخَوَاتِهِنَّ أو نسائهن أي: يجوز للنساء أن ينظر بعضهن إلى بعض مطلقاً، ويحتمل أن الإضافة تقتضي الجنسية، أي: النساء المسلمات، اللاتي من جنسكم، ففيه دليل لمن قال: إن المسلمة لا يجوز أن تنظر إليها الذمية.

أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ فيجوز للمملوك إذا كان كله للأنثى، أن ينظر لسيدته، ما دامت مالكة له كله، فإن زال الملك أو بعضه، لم يجز النظر. أو التَّابِعِينَ غَيْرَ أُولِي الإِزْبَةِ مِنَ الرِّجَالِ أي: أو الذين يتبعونكم، ويتعلقون بكم، من الرجال الذين لا إربة لهم في هذه الشهوة، كالمعتوه الذي لا يدري ما هنالك، وكالعنين الذي لم يبق له شهوة، لا في فرجه، ولا في قلبه، فإن هذا لا محذور من نظره.

أَوْ الطِّفْلَ الَّذِينَ لَمْ يَطْهَرُوا عَلَى عَوْرَاتِ النِّسَاءِ أي: الأطفال الذين دون التمييز، فإنه يجوز نظرهم للنساء ص: 567 الأجانب، وعلل تعالى ذلك، بأنهم لم يظهروا على عورات النساء، أي: ليس لهم علم بذلك، ولا وجدت فيهم الشهوة بعد ودل هذا، أن المميز تستتر منه المرأة، لأنه يظهر على عورات النساء.

¹ <https://goo.gl/Tq7HWu>

² <http://goo.gl/HhoHs1>

³ <http://goo.gl/aX3Obw>

⁴ <http://goo.gl/fh519H>

وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مَنْ زَيَّنْتَهُنَّ أَي: لا يضربن الأرض بأرجلهن، ليصوت ما عليهن من حلي، كخلاخل وغيرها، فتعلم زينتها بسببه، فيكون وسيلة إلى الفتنة.
ويؤخذ من هذا ونحوه، قاعدة سد الوسائل، وأن الأمر إذا كان مباحا، ولكنه يفضي إلى محرم، أو يخاف من وقوعه، فإنه يمنع منه، فالضرب بالرجل في الأرض، الأصل أنه مباح، ولكن لما كان وسيلة لعلم الزينة، منع منه.

فقرات من التفسير

هـ 33\90: 253

روى البخاري- بإسناده- عن أنس بن مالك قال: بنى النبي-- بزينب بنت جحش خبز ولحم. فأرسلت على الطعام داعيا. فيجيء قوم فيأكلون ويخرجون. ثم يجيء قوم فيأكلون ويخرجون. فدعوت حتى ما أجد أحدا أدعوه. فقلت: يا رسول الله ما أجد أحدا أدعوه. قال: ارفعوا طعامكم. وبقي ثلاثة رهط يتحدثون في البيت. فخرج رسول الله-- فانطلق إلى حجرة عائشة-ا. فقال: السلام عليكم- أهل البيت- ورحمة الله وبركاته. قالت: وعليك السلام ورحمة الله. كيف وجدت أهلك يا رسول الله؟ بارك الله لك. فتقرى حجر نسائه، كلهن يقول لهن كما يقول لعائشة، ويقلن كما قالت عائشة. ثم رجع النبي-- فإذا ثلاثة رهط في البيت يتحدثون. وكان النبي-- شديد الحياء. فخرج منطلقا نحو حجرة عائشة. فما أدري أخبرته أم أخبر أن القوم خرجوا. فرجع حتى إذا وضع رجله في أسكفة الباب داخله والأخرى خارجه. أرخى الستر بيني وبينه، وأنزلت آية الحجاب.

ومما يذكر أن عمر-- بحساسيته المرفهة كان يقترح على النبي-- الحجاب وكان يتمناه على ربه. حتى نزل القرآن الكريم مصدقا لاقتراحه محببا لحساسيته! من رواية للبخاري- بإسناده- عن أنس بن مالك. قال: قال عمر بن الخطاب: يا رسول الله. يدخل عليك البر والفاجر. فلو أمرت أمهات المؤمنين بالحجاب. فأنزل الله آية الحجاب.

وإذا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعاً فَسَلُّوهُنَّ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ.
وتقرر أن هذا الحجاب أظهر للقلوب الجميع:
ذَلِكُمْ أَظْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ.

فلا يقل أحد غير ما قال الله. لا يقل أحد إن الاختلاط، وإزالة الحجب، والترخص في الحديث واللقاء والجلوس والمشاركة بين الجنسين أظهر للقلوب، وأغف للضمائر، وأعون على تصريف الغريزة المكبوتة، وعلى إشعار الجنسين بالأدب وترقيق المشاعر والسلوك.. إلى آخر ما يقوله نفر من خلق الله الضعاف المهازيل الجهال المحجوبين. لا يقل أحد شيئا من هذا والله يقول: وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعاً فَسَلُّوهُنَّ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ ذَلِكُمْ أَظْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ.. يقول هذا عن نساء النبي الطاهرات. أمهات المؤمنين. وعن رجال الصدر الأول من صحابة رسول الله-- ممن لا تتطاول إليهن وإليه الأعناق! وحين يقول الله قولا ويقول خلق من خلقه قولا. فالقول لله- سبحانه- وكل قول آخر هراء، لا يردده إلا من يجرؤ على القول بأن العبيد الفانين أعلم بالنفس البشرية من الخالق الباقي الذي خلق هؤلاء العبيد! والواقع العملي الملموس يهتف بصدق الله، وكذب المدعين غير ما يقول الله. والتجارب المعروضة اليوم في العالم مصدقة لما نقول. وهي في البلاد التي بلغ الاختلاط الحر فيها أقصاه أظهر في هذا وأقطع من كل دليل. وأمريكا أول هذه البلاد التي أتى الاختلاط فيها أبشع الثمار

هـ 33\90: 359

ثم أمر الله نبيه-- أن يأمر نساءه وبناته ونساء المؤمنين عامة- إذا خرجن لاحتجتهن أن يغطين أجسامهن ورؤوسهن وجيوبهن- وهي فتحة الصدر من الثوب- بجلباب كاس. فيميزهن هذا الزي، ويجعلهن في مأمن من معاينة الفساق. فإن معرفتهن وحشمتهن معا تلقيان الخجل والتحرج في نفوس الذين كانوا ينتبهون للنساء لمعايشتهم:

1 <https://goo.gl/jYkWAM>

2 <http://goo.gl/C7XEnq>

3 <http://goo.gl/C7XEnq>

يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لَأَزْوَاجَكُمْ وَبَنَاتُكُمْ وَنِسَاءَ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِنْ جَلَابِيبِهِنَّ. ذَلِكَ أَذْنَى أَنْ يُعْرِقْنَ فَلَا يُؤْذِينَ. وَكَانَ اللَّهُ غَفُوراً رَحِيماً.

قال السدي في هذه الآية: كان ناس من فساق أهل المدينة يخرجون بالليل حين يختلط الظلام إلى طريق المدينة فيعرضون للنساء. وكانت مساكن أهل المدينة ضيقة، فإذا كان الليل خرج النساء إلى الطريق يقضين حاجتهن، فكان أولئك الفساق يبتغون ذلك منهن. فإذا رأوا المرأة عليها جلباب. قالوا: هذه حرة. فكفوا عنها. وإذا رأوا المرأة ليس عليها جلباب قالوا: هذه أمة فوثبوا عليها.

وقال مجاهد: يتجلببن فيعلم أنهن حرائر، فلا يتعرض لهن فاسق بأذى ولا ريبة. وقوله تعالى: وَكَانَ اللَّهُ غَفُوراً رَحِيماً أي لما سلف في أيام الجاهلية حيث لم يكن عندهن علم بذلك. ومن ذلك نرى الجهد المستمر في تطهير البيئة العربية، والتوجيه المطر لإزالة كل أسباب الفتنة والفوضى، وحصرها في أضيق نطاق، ريثما تسيطر التقاليد الإسلامية على الجماعة كلها وتحكمها.

هـ\102\24: 31

وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ: يَخْضَعْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ.

فلا يرسلن بنظراتهن الجائعة المتلصصة، أو الهاتفة المثيرة، تستثير كوامن الفتنة في صدور الرجال. ولا يبحن فروجهن إلا في حلال طيب، يلي داعي الفطرة في جو نظيف، لا يخجل الأطفال الذين يجبنون عن طريقه عن مواجهة المجتمع والحياة! وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا.

والزينة حلال للمرأة، تلبية لفطرتها. فكل أنثى مولعة بأن تكون جميلة، وأن تبدو جميلة. والزينة تختلف من عصر إلى عصر ولكن أساسها في الفطرة واحد، هو الرغبة في تحصيل الجمال أو استكمالها، وتجلبته للرجال.

والإسلام لا يقاوم هذه الرغبة الفطرية ولكنه ينظمها ويضبطها، ويجعلها تتبلور في الاتجاه بها إلى رجل واحد- هو شريك الحياة- يطلع منها على ما لا يطلع أحد سواه. ويشارك معه في الاطلاع على بعضها، المحارم والمذكورون في الآية بعد، ممن لا يثير شهواتهم ذلك الاطلاع.

فأما ما ظهر من الزينة في الوجه واليدين، فيجوز كشفه. لأن كشف الوجه واليدين مباح لقوله-- لأسماء بنت أبي بكر: يا أسماء إن المرأة إذا بلغت المحيض، لم يصلح أن يرى منها إلا هذا. وأشار إلى وجهه وكفيه وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَى جُيُوبِهِنَّ.

والجيب فتحة الصدر في الثوب. والخمار غطاء الرأس والنحر والصدر. ليداري مفاتنتهن، فلا يعرضها للعيون الجائعة ولا حتى لنظرة الفجاءة، التي يتقي المتقون أن يطيلوها أو يعاودوها، ولكنها قد تترك كمينا في أطوائهم بعد وقوعها على تلك المفاتن لو تركت مكشوفة! إن الله لا يريد أن يعرض القلوب للتجربة والابتلاء في هذا النوع من البلاء! والمؤمنات اللواتي تلقين هذا النهي. وقلوبهن مشرقة بنور الله، لم يتلكن في الطاعة، على الرغم من رغبتهن الفطرية في الظهور بالزينة والجمال. وقد كانت المرأة في الجاهلية- كما هي اليوم في الجاهلية الحديثة! - تمر بين الرجال مسفحة بصدورها لا يواريه شيء. وربما أظهرت عنقها وذوائب شعرها، وأقرطة أذنيها.

فلما أمر الله النساء أن يضررن بخمرهن على جيوبهن، ولا يبدين زينتهن إلا ما ظهر منها، كن كما قالت عائشة-: يرحم الله نساء المهاجرات الأول. لما أنزل الله: وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَى جُيُوبِهِنَّ شققن مروطهن فاختمرن بها 1.. وعن صفية- بنت شيبه قالت: بينما نحن عند عائشة. قالت: فذكرن نساء قريش وفضلهن. فقالت عائشة- إن لنساء قريش لفضلا. وإني والله ما رأيت أفضل من نساء الأنصار، أشد تصديقا لكتاب الله، ولا إيمانا بالتنزِيل. لما نزلت في سورة النور: وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَى جُيُوبِهِنَّ انقلب رجالهن إليهن يتلون عليهن ما أنزل الله إليهم فيها ويتلو الرجل على امرأته وابنته وأخته، وعلى كل ذي قرابته. فما منهن امرأة إلا قامت إلى مرطها المرحل، فاعتجرت به تصديقا وإيمانا بما أنزل الله من كتابه. فأصبح وراء رسول الله-- معتجرات كأن على رؤوسهن الغربان 2.

لقد رفع الإسلام ذوق المجتمع الإسلامي، وطهر إحساسه بالجمال فلم يعد الطابع الحيواني للجمال هو المستحب، بل الطابع الإنساني المذهب.. وجمال الكشف الجسدي جمال حيواني يهفو إليه الإنسان بحس الحيوان مهما يكن من التناسق والاكتمال. فأما جمال الحشمة فهو الجمال النظيف، الذي يرفع الذوق الجمالي، ويجعله لائقا بالإنسان، ويحيطه بالنظافة والطهارة في الحس والخيال.

وكذلك يصنع الإسلام اليوم في صفوف المؤمنات. على الرغم من هبوط الذوق العام، وغلبة الطابع الحيواني عليه والجنوح به إلى التكشف والعري والتنزى كما تنتزى البهيمة! فإذا هن يحجبن مفاتن أجسامهن طائعات، في مجتمع يتكشف ويتبرج، وتهتف الأنثى فيه للذكور حيثما كانت هتاف الحيوان للحيوان! هذا التحشم وسيلة من الوسائل الوقائية للفرد والجماعة.. ومن ثم يبيح القرآن تركه عند ما يأمن الفتنة.

فيسنتني المحارم الذين لا تتوجه ميولهم عادة ولا تتور شهواتهم وهم:

الأباء والأبناء، وآباء الأزواج وأبنائهم، والإخوة وأبناء الإخوة، وأبناء الأخوات.. كما يستنتني النساء المؤمنات: أو نساكنهن فأمّا غير المسلمات فلا. لأنهن قد يصفن لأزواجهن وإخوتهن، وأبناء ملتهن مفاتن نساء المسلمين وعوراتهن لو اطلعن عليها. وفي الصحيحين: لا تباشر المرأة المرأة تتعتها لزوجها كأنه يراها.. أما المسلمات فهن أمينات، يمنعهن دينهن أن يصفن لرجالهن جسم امرأة مسلمة وزينتها.. ويستنتني كذلك ما مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ قِيلَ مِنَ الْإِنَاثِ فَقَطْ، وقيل: ومن الذكور كذلك. لأن الرقيق لا تمتد شهوته إلى سيدته. والأول أولى، لأن الرقيق إنسان تهيج فيه شهوة الإنسان، مهما يكن له من وضع خاص في فترة من الزمان.. ويستنتني التَّابِعِينَ غَيْرَ أُولَى الْإِزْمَةِ مِنَ الرِّجَالِ.. وهم الذين لا يشتهون النساء لسبب من الأسباب كالجب والعنة والبلاهة والجنون.. وسائر ما يمنع الرجل أن تشتهي نفسه المرأة. لأنه لا فتنة هنا ولا إغراء.. ويستنتني الطُّفْلَ الَّذِي لَمْ يَطْهَرُوا عَلَى عَوْرَاتِ النِّسَاءِ.. وهم الأطفال الذين لا يثير جسم المرأة فيهم الشعور بالجنس. فإذا ميزوا، وثار فيهم هذا الشعور- ولو كانوا دون البلوغ- فهم غير داخلين في هذا الاستثناء.

وهؤلاء كلهم- عدا الأزواج- ليس عليهم ولا على المرأة جناح أن يروا منها، إلا ما تحت السرة إلى تحت الركبة. لانتفاء الفتنة التي من أجلها كان السر والغطاء. فأما الزوج فله رؤية كل جسدها بلا استثناء. ولما كانت الوقاية هي المقصودة بهذا الإجراء. فقد مضت الآية تنهى المؤمنات عن الحركات التي تعلن عن الزينة المستورة، وتهيج الشهوات الكامنة، وتوقظ المشاعر النائمة. ولو لم يكشفن فعلا عن الزينة: وَلَا يَضْرِبْنَ بَأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِنْ زِينَتِهِنَّ.

وإنها لمعرفة عميقة بتركيب النفس البشرية وانفعالاتها واستجاباتها. فإن الخيال ليكون أحياناً أقوى في إثارة الشهوات من العيان. وكثيرون تثير شهواتهم رؤية حذاء المرأة أو ثوبها، أو حليها، أكثر مما تثيرها رؤية جسد المرأة ذاته. كما أن كثيرين يثيرهم طيف المرأة يخطر في خيالهم، أكثر مما يثيرهم شخص المرأة بين أيديهم- وهي حالات معروفة عند علماء الأمراض النفسية اليوم- وسماع وسوسة الحلي أو شمام شذى العطر من بعيد، قد يثير حواس رجال كثيرين، ويهيج أعصابهم، ويفتنهم فتنة جارية لا يملكون لها رداً.

والقرآن يأخذ الطريق على هذا كله. لأن منزله هو الذي خلق، وهو الذي يعلم من خلق. وهو اللطيف الخبير. وفي النهاية يرد القلوب كلها إلى الله ويفتح لها باب التوبة مما أَلَمَتْ بِهِ قَبْلَ نَزُولِ هَذَا الْقُرْآنِ: وَتَوْبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعاً أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ.

بذلك يثير الحساسية برقابة الله، وعطفه ورعايته، وعونه للبشر في ضعفهم أمام ذلك الميل الفطري العميق، الذي لا يضبطه مثل الشعور بالله، وبتقواه.

فقرات من التفسير

هـ 33\90: 253

لما بين الله في الآيات السابقة آداب النبي مع أزواجه فقاه في هذه الآية بآداب الأمة معهن، وصدره بالإشارة إلى قصة هي سبب نزول هذه الآية. وهي ما في صحيح البخاري وغيره عن أنس بن مالك قال: لما تزوج رسول الله زينب ابنة جحش صنع طعاماً بخبز ولحم ودعا القوم فطعموا ثم جلسوا يتحدثون وإذا هو كأنه يتهيأ للقيام فلم يقوموا، فلما رأى ذلك قام فلما قام قام من قام وقعد ثلاثة نفر، فجاء النبي ليدخل فإذا القوم جلوس، فجعل النبي يخرج ثم يرجع فانطلق إلى حجرة عائشة... فتقرى حُجَرَ نساءه كلهن يسلم عليهن ويسلمن عليه ويدعون له، ثم إنهم قاموا فانطلق فجنّت فأخبرته النبي أنهم قد انطلقوا فجاء حتى دخل فذهبت أدخل فالتقى الحجاب بيني وبينه فأنزل الله: يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوت النبي إلى قوله: من وراء حجاب. وفي حديث آخر في الصحيح عن أنس أيضاً أن عمر بن الخطاب قال له: يا رسول الله يدخل عليك البُرّ والفاجر فلو أمرت أمهات المؤمنين بالحجاب فأنزل الله آية الحجاب. وليس بين الخبرين تعارض لجواز أن يكون قول عمر كان قبل البناء بزينب بقليل ثم عقبته قصة وليمة زينب فنزلت الآية بآثارها. وابتدئ شرع الحجاب بالنهي عن دخول بيوت النبي إلا لطعام دعاهم إليه، لأن النبي عليه الصلاة والسلام له مجلس يجلس في المسجد فمن كان له مهمّ عنده يأتية هناك.

وإذا سألتموهن متعاً فأنسئوهن من وراء حجاب ذلكم أطهر لقلوبكم وقلوبهن. عطف على جملة لا تدخلوا بيوت النبي فهي زيادة بيان للنهي عن دخول البيوت النبوية وتحديد لمقدار الضرورة التي تدعو إلى دخولها أو الوقوف بأبوابها. وهذه الآية هي شارة حكم حجاب أمهات المؤمنين، وقد قيل: إنها نزلت في ذي القعدة سنة خمس. وضمير سألتموهن عائد إلى الأزواج المفهوم من ذكر البيوت في قوله: بيوت النبي فإن للبيوت ربّاتهن وزوج الرجل هي ربة البيت، قال مرة بن مخكان التميمي:

يا ربة البيت فومي غير صاغرة
ضمي إليك رجال الحي والغربا
وقد كانوا لا يبني الرجل بيتاً إلا إذا أراد التزوج. وفي حديث ابن عمر: كنت عزباً أبيت في المسجد. ومن أجل ذلك سَمُوا الزفاف بناء. فلا جرم كانت المرأة والبيت متلازمين فدلّت البيوت على الأزواج بالالتزام. ونظير هذا قوله تعالى:

وفرش مرفوعة إنا أنشأنهن إنشاء فجعلناهن أكاراً عرباً أتراباً لأصحاب اليمين الواقعة: 34 — 38 فإن ذكر الفرش يستلزم أن للفراش امرأة، فلما ذكر البيوت هنا تبادر أن للبيوت ربّات. والمتاع: ما يحتاج إلى الانتفاع به مثل عارية الأواني ونحوها، ومثل سؤال العفاة ويلحق بذلك ما هو أولى بالحكم من سؤال عن الدين أو عن القرآن، وقد كانوا يسألون عائشة عن مسائل الدين. والحجاب: السّتر المُرخّى على باب البيت.

وكانت الستور مرخاة على أبواب بيوت النبي الشارعة إلى المسجد. وقد ورد ما يبين ذلك في حديث الوفاة حين خرج النبي على الناس وهم في الصلاة فكشف الستر ثم أرخى الستر. ومن وراء حجاب متعلق بفاسالوهم فهو قيد في السائل والمسؤول المتعلق ضميرهما بالفعل الذي تعلق به المجرور. ومن ابتدائية. والوراء: مكان الخلف وهو مكان نسبي باعتبار المتجه إلى جهة، فوراء الحجاب بالنسبة للمتجهين إليه فالمسؤولة مستقبلة حجابها والسائل من وراء حجابها وبالعكس. والإشارة بذلك إلى المذكور، أي السؤال المقيد بكونه من وراء حجاب. واسم التفضيل في قوله: أظهر مستعمل للزيادة دون التفضيل.

¹ <https://goo.gl/gcDQB2>

² <http://goo.gl/lpj3bz>

والمعنى: ذلك أقوى طهارة لقلوبكم وقلوبهن فإن قلوب الفريقين طاهرة بالنقوى وتعظيم حرمت الله وحرمة النبي ولكن لما كانت النقوى لا تصل بهم إلى درجة العصمة أراد الله أن يزيدهم منها بما يكسب المؤمنين مراتب من الحفظ الإلهي من الخواطر الشيطانية بقطع أسبابها وما يقرب أمهات المؤمنين من مرتبة العصمة الثابتة لزوجهن فإن الطيبات للطيبين بقطع الخواطر الشيطانية عنهن بقطع دابرها ولو بالفرض. وأيضاً فإن للناس أو هاماً وظنوناً سوءاً تتفاوت مراتب نفوس الناس فيها صرامة ووهناً، وثقافاً وضعفاً، كما وقع في قضية الإفك المتقدمة في سورة النور فكان شرع حجاب أمهات المؤمنين قاطعاً لكل نقول وإرجاف بعمد أو بغير عمد.

ووراء هذه الحكم كلها حكمة أخرى سامية وهي زيادة تقرير معنى أومتهن للمؤمنين في قلوب المؤمنين التي هي أوممة جعلية شرعية بحيث إن ذلك المعنى الجعلي الروحي وهو كونهن أمهات يرتد وينعكس إلى باطن النفس وتنقطع عنه الصور الذاتية وهي كونهن فلانة أو فلانة فيصبخن غير متصورات إلا بعنوان الأوممة فلا يزال ذلك المعنى الروحي ينمى في النفوس، ولا تزال الصور الحسية تتضاءل من القوة المدركة حتى يصبح معنى أمهات المؤمنين معنى قريباً في النفوس من حقائق المجرّدات كالملائكة، وهذه حكمة من حكم الحجاب الذي سنه الناس لمولودهم في القدم ليكون ذلك أدخل لطاعتهم في نفوس الرعية.

وبهذه الآية مع الآية التي تقدمتها من قوله: يا نساء النبي لستن كأحد من النساء الأحزاب: 32 تحقق معنى الحجاب لأمهات المؤمنين المركب من ملازمتين بيوتن وعدم ظهور شيء من ذواتهن حتى الوجه والكفين، وهو حجاب خاص بهن لا يجب على غيرهن، وكان المسلمون يقتدون بأمهات المؤمنين ورعاً وهم متفاوتون في ذلك على حسب العادات، ولما أنشد النميري عند الحجاج قوله:

يُخمرن أطراف البنان من التقى
ويُخرجن جَنح الليل مُعْتَجرات

قال الحجاج: وهكذا المرأة الحرة المسلمة.

ودل قوله: لقلوبكم وقلوبهن أن الأمر متوجه لرجال الأمة ولنساء النبي على السواء. وقد ألحق بأزواج النبي عليه السلام بنته فاطمة فذلك لما خرجوا بجنازتها جعلوا عليها قبة حتى دُفنت، وكذلك جعلت قبة على زينب بنت جَحش في خلافة عمر بن الخطاب.

هـ\90: 33\159

أتبع النهي عن أذى المؤمنات بأن أمرن باتقاء أسباب الأذى لأن من شأن المطالب السعي في تذليل وسائلها كما قال تعالى:

ومن أراد الأخرة وسعى لها سعيها الإسراء: 19 وقال أبو الأسود:

ترجو النجاة ولم تسلك مسالكها
إن السفينة لا تجري على اليبس

وهذا يرجع إلى قاعدة التعاون على إقامة المصالح وإماتة المفاصل. وفي الحديث: رحم الله والداً أعان ولده على بره. وهذا الحديث ضعيف السند لكنه صحيح المعنى لأن بر الوالدين مطلوب، فالإعانة عليه إعانة على وجود المعروف والخير.

وابتدى أزواج النبي وبناته لأنهن أكمل النساء، فذكرهن من ذكر بعض أفراد العام للاهتمام به.

والنساء: اسم جمع للمرأة لا مفرد له من لفظه، وقد تقدم أنفاً عند قوله تعالى:

ولا نسائهن الأحزاب: 55. فليس المراد بالنساء هنا أزواج المؤمنين بل المراد الإناث المؤمنات، وإضافته إلى المؤمنين على معنى من أي النساء من المؤمنين.

والجلايب: جمع جلباب وهو ثوب أصغر من الرداء وأكبر من الخمار والقناع، تضعه المرأة على رأسها فيتدلى جانباه على عذاريتها وينسد سائرته على كتفها وظهرها، تلبسه عند الخروج والسفر.

وهيئات لبس الجلايب مختلفة باختلاف أحوال النساء تبينها العادات. والمقصود هو ما دل عليه قوله تعالى: ذلك أدنى أن يعرفن فلا يؤذين.

والإدناء: التقريب، وهو كناية عن اللبس والوضع، أي يضعن عليهن جلابيبهن، قال بشار:

ليلة تلبس البياض من الشهر
وأخرى تُدني جلابيب سودا

فقابل بُدُنِي تلبس فالإدناء هنا اللبس.

وكان لبس الجلاب من شعار الحرائر فكانت الإماء لا يلبسن الجلابيب. وكانت الحرائر يلبسن الجلابيب عند الخروج إلى الزيارات ونحوها فكُن لا يلبسُنّها في الليل وعند الخروج إلى المناصب، وما كُن يخرجن إليها

إلا ليلاً فأمرن بلبس الجلابيب في كل خروج ليعرف أنهن حرائر فلا يتعرض إليهن شباب الدُّعَار يحسبهن إماء أو يتعرض إليهن المنافقون استخفافاً بهن بالأقوال التي تخجلهن فيتأدَّين من ذلك وربما يسببن الذين يؤذونهن فيحصل أذى من الجانبين. فهذا من سدِّ الذريعة.

والإشارة بذلك إلى الإدناء المفهوم من يدين، أي ذلك اللباس أقرب إلى أن يُعرف أنهن حرائر بشعار الحرائر فيتجنب الرجال إيذاءهن فيسلموا وتسلمن. وكان عمر بن الخطاب مدة خلافته يمنع الإماء من التفتُّع كي لا يلتبس بالحرائر ويضرب من تتفتَّع منهن بالدِّرة ثم زال ذلك بعده، فذلك قول كثير:

هَـ الحرائر لا ربات أخمرة
سود المحاجر لا يقرآن بالسور
والتذليل بقوله: وكان الله غفوراً رحيماً صفح عما سبق من أذى الحرائر قبل تنبيه الناس إلى هذا الأدب الإسلامي، والتذليل يقتضي انتهاء الغرض.

هـ 102\24: 131

أعقب حكم الاستئذان ببيان آداب ما تقتضيه المجالسة بعد الدخول وهو أن لا يكون الداخل إلى البيت محدقاً بصره إلى امرأة فيه بل إذا جالسته المرأة غض بصره واقتصر على الكلام ولا ينظر إليها إلا النظر الذي يعسر صرفه.

ولما كان الغض التام لا يمكن جيء في الآية بحرف من الذي هو للتبعض إيماء إلى ذلك إذ من المفهوم أن الأمور بالغض فيه هو ما لا يليق تحديق النظر إليه وذلك يتذكره المسلم من استحضاره أحكام الحلال والحرام في هذا الشأن فيعلم أن غض البصر مراتب: منه واجب ومنه دون ذلك، فيشمل غض البصر عما اعتاد الناس كراهية التحقق فيه كالنظر إلى خبايا المنازل، بخلاف ما ليس كذلك فقد جاء في حديث عمر بن الخطاب حين دخل مشربة النبي فرفعت بصري إلى السقف فرأيت أهبةً معلقة وقال النبي لعلي: لا تتبع النظرة النظرة فإنما لك الأولى وليست لك الثانية.

وفي هذا الأمر بالغض أدب شرعي عظيم في مباحة النفس عن التطلع إلى ما عسى أن يوقعها في الحرام أو ما عسى أن يكلفها صبراً شديداً عليها.

والغض: صرف المرء بصره عن التحديق وتثبيت النظر. ويكون من الحياء كما قال عنترة:

حتى يوارى جارتي ماواها

وأغض طرفي حين تبدو جارتي

ويكون من مذلة كما قال جرير:

فغض الطرف إنك من نمير

ومادة الغض تفيد معنى الخفض والنقص.

والأمر بحفظ الفروج عقب الأمر بالغض من الأبصار لأن النظر راند الزنى. فلما كان ذريعة له قصد المتدرع إليه بالحفظ تنبيهاً على المبالغة في غض الأبصار في محاسن النساء. فالمراد بحفظ الفروج حفظها من أن تباشر غير ما أباحه الدين.

واسم الإشارة إلى المذكور، أي ذلك المذكور من غض الأبصار وحفظ الفروج.

واسم التفصيل بقوله: أزكى مسلوب المفاضلة. والمراد تقوية تلك التزكية لأن ذلك جنة من ارتكاب ذنوب عظيمة.

وذيل بجملة: إن الله خبير بما يصنعون لأنه كناية عن جزاء ما يتضمنه الأمر من الغض والحفظ لأن المقصد من الأمر الامتنال.

31 وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ آبَائِهِنَّ أَوْ أَبْنَائِهِنَّ أَوْ أَخَوَاتِهِنَّ أَوْ بَنَىٰ أَخَوَاتِهِنَّ أَوْ نِسَائِهِنَّ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ أَوِ التَّابِعِينَ غَيْرَ أُولَىٰ إِلَازِمَةٍ مِنَ الرِّجَالِ أَوْ أَطْفَالِ الَّذِينَ لَمْ يَضَرُّوا عَلَىٰ عَوْرَتِ النِّسَاءِ وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِنْ زِينَتِهِنَّ وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعاً أَيُّهُ الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ.

وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ آبَائِهِنَّ أَوْ أَبْنَائِهِنَّ أَوْ أَخَوَاتِهِنَّ أَوْ بَنَىٰ أَخَوَاتِهِنَّ أَوْ نِسَائِهِنَّ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ أَوِ التَّابِعِينَ غَيْرَ أُولَىٰ إِلَازِمَةٍ مِنَ الرِّجَالِ أَوْ أَطْفَالِ الَّذِينَ لَمْ يَضَرُّوا عَلَىٰ عَوْرَتِ النِّسَاءِ.

أردف أمر المؤمنين بأمر المؤمنات لأن الحكمة في الأمرين واحدة، وتصريحاً بما تقرر في أوامر الشريعة المخاطب بها الرجال من أنها تشمل النساء أيضاً. ولكنه لما كان هذا الأمر قد يظن أنه خاص بالرجال لأنهم أكثر ارتكاباً لصدده وقع النص على هذا الشمول بأمر النساء بذلك أيضاً.

وانتقل من ذلك إلى نهى النساء عن أشياء عرف منهن التساهل فيها ونهيهن عن إظهار أشياء تعودن أن يحبين ظهورها وجمعها القرآن في لفظ الزينة بقوله: ولا يبيدين زينتهن إلا ما ظهر منها.

والزينة: ما يحصل به الزين. والزين: الحسن، مصدر زانه. قال عمر بن أبي ربيعة:

جلل الله ذلك الوجه زِيناً

يقال: زين بمعنى حسن، قال تعالى:

زين للناس حب الشهوات

في سورة آل عمران 14 وقال:

وزينها للنظرين

في سورة الحجر 16.

والزينة قسمان خلقية ومكتسبة. فالخلقية: الوجه والكفان أو نصف الذراعين، والمكتسبة: سبب التزين من اللباس الفاخر والحلي والكحل والخضاب بالحناء. وقد أطلق اسم الزينة على اللباس في قوله تعالى:

يا بني آدم خذوا زينتك عند كل مسجد الأعراف: 31 وقوله:

قل من حرم زينة الله التي أخرج لعباده

في سورة الأعراف 32، وعلى اللباس الحسن في قوله

قال مودكم يوم الزينة طه: 59. والتزين يزيد المرأة حسناً ويلفت إليها الأنظار لأنها من الأحوال التي لا تقصد إلا لأجل التظاهر بالحسن فكانت لافتة أنظار الرجال، فلذلك نهى النساء عن إظهار زينتهن إلا للرجال الذين ليس من شأنهم أن تتحرك منهم شهوة نحوها لحرمة قرابة أو صهر.

واستثنى ما ظهر من الزينة وهو ما في ستره مشقة على المرأة أو في تركه حرج على النساء وهو ما كان من الزينة في مواضع العمل التي لا يجب سترها مثل الكحل والخضاب والخواتيم.

وقال ابن العربي: إن الزينة نوعان: خلقية ومصطنعة. فأما الخلقية: فمعظم جسد المرأة وخاصة: الوجه والمعصمين والعضدين والتدين والساقين والشعر. وأما المصطنعة: فهي ما لا يخلو عنه النساء عرفاً مثل:

الحلي وتطريز الثياب وتلوينها ومثل الكحل والخضاب بالحناء والسواك. والظاهر من الزينة الخلقية ما في إخفائه مشقة كالوجه والكفين والقدمين، وضدها الخفية مثل أعالي الساقين والمعصمين والعضدين والنحر والأذنين. والظاهر من الزينة المصطنعة ما في تركه حرج على المرأة من جانب زوجها وجانب صورتها

بين أترابها ولا تسهل إزالته عند البدو أمام الرجال وإرجاعه عند الخلو في البيت، وكذلك ما كان محل وضعه غير مأمور بستره كالخواتيم بخلاف القرط والدمالج.

واختلف في السوار والخلخال والصحيح أنهما من الزينة الظاهرة وقد أقر القرآن الخلخال بقوله: ولا يضربن بأرجلهن ليعلم ما يخفين من زينتهن كما سيأتي. قال ابن العربي: روى ابن القاسم عن مالك: ليس الخضاب من الزينة اهـ ولم يقيد بخضاب اليدين. وقال ابن العربي: والخضاب من الزينة الباطنة إذا كان في القدمين.

فمعنى ما ظهر منها ما كان موضعه مما لا تستره المرأة وهو الوجه والكفان والقدمان.

وفسر جمع من المفسرين الزينة بالجسد كله وفسر ما ظهر بالوجه والكفين قيل والقدمين والشعر. وعلى هذا التفسير فالزينة الظاهرة هي التي جعلها الله بحكم الفطرة بادية يكون سترها معطلاً الانتفاع بها أو مدخلاً

حرجاً على صاحبته وذلك الوجه والكفان، وأما القدمان فحالهما في الستر لا يعطل الانتفاع ولكنه يعسرهما لأن الحفاء غالب حال نساء البادية. فمن أجل ذلك اختلف في سترهما الفقهاء؛ ففي مذهب مالك قولان:

أشهرهما أنها يجب ستر قدميها، وقيل: لا يجب، وقال أبو حنيفة: لا يجب ستر قدميها، أما ما كان من محاسن المرأة ولم يكن عليها مشقة في ستره فليس مما ظهر من الزينة مثل النحر والثدي والعضد والمعصم وأعلى الساقين، وكذلك ما له صورة حسنة في المرأة وإن كان غير معرى كالعجيزة والأعكان والفخذين ولم يكن

مما في إرخاء الثوب عليه حرج عليها. وروى مالك في الموطأ عن النبي قال: نساء كاسيات عاريات مائلات

ميميلات لا يدخلن الجنة قال ابن عبد البر: أراد اللواتي يلبسن من الثياب الخفيف الذي يصف ولا يستر، أي هن كاسيات بالاسم عاريات في الحقيقة اهـ. وفي نسخة ابن بشكوال من الموطأ عن القزاز عي قال فسر

مالك: إنهن يلبسن الثياب الرقاق التي لا تسترهن اهـ. وفي سماع ابن القاسم من جامع العنبيبة قال مالك:

بلغني أن عمر بن الخطاب نهى النساء عن لبس القباطي. قال ابن رشد في شرحه: هي ثياب ضيقة تلتصق

بالجسم لصيقها فتبدو ثخانة لابستها من نحافتها، وتبدي ما يستحسن منها، امتثالاً لقوله تعالى: ولا يبدین زینتهن إلا ما ظهر منها اهـ. وفي روايات ابن وهب من جامع العتبية قال مالك في الإماء يلبس الأقبية: ما يعجبني فإذا شدته عليها كان إخراجاً لعجزتها.

وجمهور الأئمة على أن استثناء إبداء الوجه والكفين من عموم منع إبداء زينتھن يقتضي إباحة إبداء الوجه والكفين في جميع الأحوال لأن الشأن أن يكون للمستثنى جميع أحوال المستثنى منه. وتأوله الشافعي بأنه استثناء في حالة الصلاة خاصة دون غيرها وهو تخصيص لا دليل عليه.

ونُهي عن التساهل في الخمرة. والخمار: ثوب تضعه المرأة على رأسها لستر شعرها وجيدها وأذنيها وكان النساء ربما يسدن الخمار إلى ظهورهن كما تفعل نساء الأنباط فيبقى العنق والنحر والأذنان غير مستورة فلذلك أمرن بقوله تعالى: وليضربن بخمرهن على جيوبهن.

والضرب: تمكين الوضع وتقدم في قوله تعالى:

إن الله لا يستحي أن يضرب مثلاً

في سورة البقرة 26.

والمعنى: ليشددن وضع الخمر على الجيوب، أي بحيث لا يظهر شيء من بشرة الجيد.

والباء في قوله بخمرهن لتأكيد اللصوق بمبالغة في إحكام وضع الخمار على الجيب زيادة على المبالغة المستفادة من فعل يضربن.

والجيوب: جمع جيب بفتح الجيم وهو طوق القميص مما يلي الرقبة. والمعنى: وليضعن خمرهن على جيوب الأقمصة بحيث لا يبقى بين منتهى الخمار ومبدأ الجيب ما يظهر منه الجيد.

وقوله: ولا يبدین زینتهن إلا لبعولتهن أعيد لفظ ولا يبدین زینتهن تأكيداً لقوله ولا يبدین زینتهن المتقدم وليبني عليه الاستثناء في قوله: إلا لبعولتهن إلخ الذي مقتضي ظاهره أن يعطف على إلا لبعولتهن لبع ما بين الأول والثاني، أي ولا يبدین زینتهن غير الظاهرة إلا لمن ذكروا بعد حرف الاستثناء لشدة الحرج في إخفاء الزينة غير الظاهرة في أوقات كثيرة، فإن الملابس بين المرأة وبين أقربائها وأصحابها المستثنى من ملابس متكررة فلو وجب عليها ستر زينتھا في أوقاتها كان ذلك حرجاً عليها.

وذكرت الآية اثني عشر مستثنى كلهم ممن يكثر دخولهم. وسكتت الآية عن غيرهم ممن هو في حكمهم بحسب المعنى. وسنذكر ذلك عند الفراغ من ذكر المصرح بهم في الآية.

والبعولة: جمع بعل. وهو الزوج، وسيد الأمة. وأصل البعل الرب والمالك وسمي الصنم الأكبر عند أهل العراق القدماء بعلًا وجاء ذكره في القرآن في قصة أهل نينوى ورسولهم إلياس، فأطلق على الزوج لأن أصل الزواج ملك وقد بقي من آثار الملك فيه الصداق لأنه كالثمن. ووزن فعولة في الجموع قليل وغير مطرد وهو مزيد التاء في زنة فعول من جموع التكسير.

وكل من عد من الرجال الذين استثنوا من النهي هم من الذين لهم بالمرأة صلة شديدة هي وازع من أن يهوما بها. وفي سماع ابن القاسم من كتاب الجامع من العتبية: سئل مالك عن الرجل تضع أم امرأته عنده جلبابها قال: لا بأس بذلك. قال ابن رشد في شرحه: لأن الله تعالى قال: وليضربن بخمرهن على جيوبهن ولا يبدین زینتهن إلا لبعولتهن الآية، فأباح الله تعالى أن تضع خمارها عن جيبها وتبدي زينتھا عند ذوي محارمها من النسب أو الصهر اهـ. أي قاس مالك زوج بنت المرأة على ابن زوج المرأة لاشتراكهما في حرمة الصهر. والإضافة في قوله: نسانهن إلى ضمير المؤمنات: إن حملت على ظاهر الإضافة كانت دالة على أنهن النساء اللاتي لهن بهن مزيد اختصاص فقيل المراد نساء أمتهن، أي المؤمنات، مثل الإضافة في قوله تعالى: واستشهدوا شهيدين من رجالكم البقرة: 282، أي من رجال دينكم. ويجوز أن يكون المراد أو النساء. وإنما أضافهن إلى ضمير النسوة إتياعاً لبقية المعداد.

قال ابن العربي: إن في هذه الآية خمسة وعشرين ضميراً فجاء هذا للإتياع اهـ. أي فتكون الإضافة لغير داع معنوي بل لداع لفظي تقتضيه الفصاحة مثل الضميرين المضاف إليهما في قوله تعالى:

فألهمها فجورها وتقواها الشمس: 8 أي ألهمها الفجور والتقوى. فإضافتهما إلى الضمير إتياع للضمائر التي من أول السورة:

والشمس وضحاها الشمس: 1 وكذلك قوله فيها:

كذبت ثمود بطغواها الشمس: 11 أي بالطغوى وهي الطغيان فذكر ضمير ثمود مستغنى عنه لكنه جيء به لمحسن المزاج.

ومن هذين الاحتمالين اختلف الفقهاء في جواز نظر النساء المشركات والكتابات إلى ما يجوز للمرأة المسلمة إظهاره للأجنبي من جسدها. وكلام المفسرين من المالكية وكلام فقهاءهم في هذا غير مضبوط. والذي يستخلص من كلامهم قول خليل في التوضيح عند قول ابن الحاجب: وعورة الحرة ما عدا الوجه والكفين. ومقتضى كلام سيدي أبي عبد الله بن الحاج: أما الكافرة فكالأجنبية مع الرجال اتفاقاً اهـ.

وفي مذهب الشافعي قولان: أحدهما: أن غير المسلمة لا ترى من المرأة المسلمة إلا الوجه والكفين ورجحه البيهقي وصاحب المنهاج البيضاوي واختاره الفخر في التفسير. ونقل مثل هذا عن عمر بن الخطاب وابن عباس، وعلله ابن عباس بأن غير المسلمة لا تتورع عن أن تصف لزوجها المسلمة. وكتب عمر بن الخطاب إلى أبي عبيدة بن الجراح: أنه بلغني أن نساء أهل الذمة يدخلن الحمامات مع نساء المسلمين فامنع من ذلك وخُلْ دونه فإنه لا يجوز أن ترى الذمية عُرْيَةَ المسلمة.

القول الثاني: أن المرأة غير المسلمة كالمسلمة ورجحه الغزالي. ومذهب أبي حنيفة كذلك فيه قولان: أحدهما أن المرأة غير المسلمة كالرجل الأجنبي فلا ترى من المرأة المسلمة إلا الوجه والكفين والقدمين، وقيل: هي كالمرأة المسلمة.

وأما ما ملكت أيمانهم فهو رخصة لأن في ستر المرأة زينتها عنهم مشقة عليها. لكثرة تردددهم عليها. ولأن كونه مملوكاً لها وازع له ولها عن حدوث ما يحرم بينهما، والإسلام وازع له من أن يصف المرأة للرجال. وأما التابعون غير أولي الإربة من الرجال فهم صنف من الرجال الأحرار تشتبك أفرادهم في الوصفين وهما التبعية وعدم الإربة.

فأما التبعية فهي كونهم من أتباع بيت المرأة وليسوا ملك يمينها ولكنهم يترددون على بيتها لأخذ الصدقة أو للخدمة.

والإربة: الحاجة. والمراد بها الحاجة إلى قربان النساء. وانتفاء هذه الحاجة تظهر في الم محبوب والعين والشيخ الهرم فرخص الله في إبداء الزينة لنظر هؤلاء لرفع المشقة عن النساء مع السلامة الغالبة من تطرق الشهوة وأثارها من الجانبين.

واختلف في الخصي غير التابع هل يلحق بهؤلاء على قولين مرويين عن السلف. وقد روي القولان عن مالك. وذكر ابن الفرس: أن الصحيح جواز دخوله على المرأة إذا اجتمع فيه الشرطان التبعية وعدم الإربة. وروي ذلك عن معاوية بن أبي سفيان.

وأما قضية هيبة المخنث أو المخصي ونهى النبي نساءه أن يدخلن عليهن فتلك قضية عين تعلقت بحالة خاصة فيه. وهي وصفه النساء للرجال فتقصى على أمثاله. ألا ترى أنه لم ينه عن دخوله على النساء قبل أن يسمع منه ما سمع.

وقرأ الجمهور: غير أولي الإربة بخفض غير. وقرأه ابن عامر وأبو بكر عن عاصم وأبو جعفر بنصب غير على الحال.

والطفل مفرد مراد به الجنس فلذلك أجري عليه الجمع في قوله: الذين لم يظهروا وذلك مثل قوله:

ثم نخرجكم طفلاً الحج: 5 أي أطفالاً.

ومعنى: لم يظهروا على عورات النساء لم يطلعوا عليها. وهذا كناية عن خلو بالهم من شهوة النساء وذلك ما قبل سن المراهقة.

ولم يذكر في عداد المستثنيات العم والخال فاختلف العلماء في مساواتهما في ذلك: فقال الحسن والجمهور: هما مساويان لمن ذكر من المحارم وهو ظاهر مذهب مالك إذ لم يذكر المفسرون من المالكية مثل ابن الفرس وابن جزي عنه المنع. وقال الشعبي بالمنع وعلل التفرقة بأن العم والخال قد يصفان المرأة لأبنائهما وأبنائهما غير محارم. وهذا تعليل وإيه لأن وازع الإسلام يمنع من وصف المرأة.

والظاهر أن سكوت الآية عن العم والخال ليس لمخالفة حكمهما حكم بقية المحارم ولكنه اقتضار على الذين تكثروا ولتتم بيت المرأة، فالتعداد جرى على الغالب. ويلحق بهؤلاء القرابة من كان في مراتبهم من الرضاة لقول النبي يحرم من الرضاة ما يحرم من النسب. وجزم بذلك الحسن، ولم أر فيه قولاً للمالكية.

وظاهر الحديث أن فيهم من الرخصة ما في محارم النسب والصهر.

ولا يَضْرِبْنَ بَأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ من زينتهن.

الضرب بالأرجل إيقاع المشي بشدة كقوله: يضرب في الأرض.

روى الطبري عن حضرمي: أن امرأة اتخذت بُرتين تشبّه برة بضم الباء وتخفيف الراء المفتوحة ضرب من الخُلخال من فضة واتخذت جَزْعاً في رجليها فمرت بقوم فضربت برجلها فوق الخلال على الجزع فصوت فنزلت هذه الآية.

والتحقيق أن من النساء من كن إذا لبسن الخلال ضربين بأرجلهن في المشي بشدة لتسمع قعقة الخلال غنجاً وتباهياً بالحسن فنهين عن ذلك مع النهي عن إبداء الزينة.

قال الزجاج: سماع هذه الزينة أشد تحريكاً للشهوة من النظر للزينة فأما صوت الخلال المعتاد فلا ضير فيه.

وفي أحاديث ابن وهب من جامع العتبية: سئل مالك عن الذي يكون في أرجل النساء من الخلال قال: ما هذا الذي جاء فيه الحديث وتركه أحب إليّ من غير تحريم.

قال ابن رشد في شرحه: أراد أن الذي يحرّم إنما هو أن يقصّدن في مشيهن إلى إسماع قعقة الخلال إظهاراً بهن من زينتهن.

وهذا يقتضي النهي عن كل ما من شأنه أن يُدَكَّرَ الرجل بلهو النساء ويثير منه إلهين من كل ما يرى أو يسمع من زينة أو حركة كالتثني والغناء وكلم العزل. ومن ذلك رقص النساء في مجالس الرجال ومن ذلك التلطخ بالطيب الذي يغلب عبقه. وقد أوماً إلى علة ذلك قوله تعالى: ليعلم ما يخفين من زينتهن ولعن النبي المستوشمات والمتفلجات للحسن.

قال مكي بن أبي طالب ليس في كتاب الله آية أكثر ضماناً من هذه الآية جمعت خمسة وعشرين ضميراً للمؤمنات من مخفوض ومرفوع وسماها أبو بكر ابن العربي: آية الضمان.

فقرات من التفسير

هـ33\90: 253

﴿وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعًا﴾: إن يك لأحد حاجة في بيت النبي فليسال عنها ويتناولها ﴿فَاسْأَلُوهُنَّ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ﴾: ولا يختص هذا ببيت النبي وحده، بل يعم ويشمل كل البيوت، وإنما ذكر بيت النبي، لأنه السبب الموجب لنزول الآية، والدليل على الشمول قوله تعالى في بيان علة الحكم: ﴿ذَلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ﴾: وأبعد عن الفساد والفتنة والأفكار السوداء عند الرجال

هـ33\90: 359

﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لَأَزْوَاجَكُمْ وَبَنَاتُكُمُ نِسَاءُ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِنْ جَلَابِيبِهِنَّ﴾: جمع جلباب يغطي رأس المرأة ووجهها، ويدنين: يرسلن، وهذه الآية أوضح في الدلالة على وجوب الحجاب، من قوله تعالى: ولا يبدن زينتهن إلا لبعولتهن- 31 النور وقوله: وإذا سألتموهن متاعاً فاسألوهن من وراء حجاب- 53 الأحزاب ويؤيد قوة هذه الدلالة ورسوخها قوله سبحانه في علة الحكم: ﴿ذَلِكَ أَتَى أَنْ يُعْرِفَنَّ﴾: بالعفة والصون، فإن الحجاب حاجز بين المتحجبة وطمع المعاكس المشاكس، وفي بعض التفاسير القديمة: إذا احتجب عن عرفن أنهن حرائر، ولسن بإماء ولا عواهر ﴿فَلَا يُؤْذِينَ﴾: بالنظرات المريبة والكلمات البذيئة.

هـ24\102: 431

﴿وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَخْضَصْنَ مَنْ أَبْصَارَهُنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ﴾: وفي هذه المساواة بين الرجال والنساء من غير تفاوت - دلالة واضحة على أنه يحرم على المرأة أن تنظر من الرجل ما يحرم عليه أن ينظر منها، ويحل لها أن تنظر منه ما يحل له أن ينظر منها أي الوجه والكفين فقط دون سواهما ﴿وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا﴾: المراد بالزينة هنا موضعها، والمراد من موضع الزينة الوجه والكفان، وعليه يكون المعنى أن جميع بدن المرأة عورة يحرم النظر إليه إلا الوجه والكفين ﴿وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَى جُيُوبِهِنَّ﴾: يضربن: يلقين، والخمار: غطاء الرأس، والجيب: فتحة القميص، والمراد بها هنا الصدر، وهذا أمر من الله تعالى للمؤمنات أن يسترن الشعور بدلالة خمرهن والصدور والنحو بدلالة جيوبهن وكل اجتهاد يخالف هذه الدلالة الواضحة فهو أشبه بمضغ الهواء، لأنه في قبال النص وضده لا في تفسيره وقصده على أصول اللغة وقواعدهما ﴿وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ﴾: لكل من الزوجين أن يرى للآخر ما يشاء ﴿أَوْ آبَاتِهِنَّ﴾: ومنهم الأجداد للأب والأم ﴿أَوْ أَبَاءَ بُعُولَتِهِنَّ﴾: وإن علوا ﴿أَوْ أَبْنَاءَهُنَّ﴾: وابن الابن ومثله ابن البنت ﴿أَوْ أَبْنَاءَ بُعُولَتِهِنَّ﴾: وإن نزلوا ﴿أَوْ إِخْوَانَهُنَّ﴾: من الأب والأم أو من أحدهما ﴿أَوْ بَنِي إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي أَخَوَاتِهِنَّ﴾: وإن نزلوا ﴿أَوْ نَسَائِهِنَّ﴾: يحرم على المسلمة أن تكشف عن سواتها أمام مثلها حتى ولو كانت أمها أو بنتها، ويحل لها أن تتجرد أمام مسلمة ما عدا السواة، ولا يحل ذلك أمام غير المسلمة ﴿أَوْ التَّابِعِينَ غَيْرَ أُولِي الْإِرْبَةِ مِنَ الرِّجَالِ﴾: وهم الذين يخالطون الأسرة، ويتبعونها في أكثر الأحيان، ولا يشتهون النساء والجنس لهنم أو عنن وما يشبهه ﴿أَوْ الطِّفْلِ﴾: أي جنس الطفل ﴿الَّذِينَ لَمْ يَطْهَرُوا عَلَى عَوْرَاتِ النِّسَاءِ﴾: أي لا يعرفون بأن هذا العضو لذلك الآخر الحساس ﴿وَلَا يَضْرِبْنَ بَأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِنْ زِينَتِهِنَّ﴾: كانت المرأة في الجاهلية تلبس الخلخال، وكانت بعض النسوة تضرب الأرض برجلها إذا رأت رجلاً كي يسمع طنينه، فهي سبحانه عن ذلك

1 <http://goo.gl/rvBWcl>

2 <http://goo.gl/JuuWnp>

3 <http://goo.gl/JuuWnp>

4 <http://goo.gl/bPz9qy>

فقرات من التفسير

هـ33\90: 253

قوله تعالى: وإذا سألتهم من متاعا فاسألوهن من وراء حجاب ذلكم أطهر لقلوبكم وقلوبهن، ضمير هن لأزواج النبي صلى الله عليه وآله وسلم وسؤالهن متاعا كناية عن تكليمهن لحاجة أي إذا مست الحاجة إلى تكليمكم أزواج النبي صلى الله عليه وآله وسلم فكلموهن من وراء حجاب، وقوله: ذلكم أطهر لقلوبكم وقلوبهن بيان لمصلحة الحكم.

هـ33\90: 359

قوله تعالى: يا أيها النبي قل لأزواجك وبناتك ونساء المؤمنين يدنين عليهن من جلابيبهن إلخ، الجلابيب جمع جلباب وهو ثوب تشتمل به المرأة فيغطي جميع بدنها أو الخمار الذي تغطي به رأسها ووجهها. وقوله: يدنين عليهن من جلابيبهن أي يتسترن بها فلا تظهر جيوههن وصدورهن للناظرين. وقوله: ذلك أدنى أن يعرفن فلا يؤذين أي ستر جميع البدن أقرب إلى أن يعرفن أنهن أهل الستر والصلاح فلا يؤذين أي لا يؤذين أهل الفسق بالتعرض لهن. وقيل: المعنى ذلك أقرب من أن يعرفن أنهن مسلمات حرائر فلا يتعرض لهن بحسبان أنهن إماء أو من غير المسلمات من الكتابيات أو غيرهن والأول أقرب.

هـ102\24: 431

قوله تعالى: قل للمؤمنات يغضضن إلخ، الكلام في قوله: قل للمؤمنات يغضضن من أبصارهن ويحفظن فروجهن نظير ما مر في قوله: قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم ويحفظوا فروجهم فلا يجوز لهن النظر إلى ما لا يجوز النظر إليه ويجب عليهن ستر العورة عن الأجنبي والأجنبية. وأما قوله: ولا يبدین زینتهن إلا ما ظهر منها فالإبداء الإظهار، والمراد بزینتهن مواضع الزينة لأن نفس ما يتزين به كالقرط والسوار لا يحرم إبداءها فالمراد بإبداء الزينة إبداء مواضعها من البدن. وقد استثنى الله سبحانه منها ما ظهر، وقد وردت الرواية أن المراد بما ظهر منها الوجه والكفان والقدمان كما سيجيء إن شاء الله.

وقوله: وليضربن بخمرهن على جيوبهن الخمر بضمتين جمع خمار وهو ما تغطي به المرأة رأسها وينسدل على صدرها، والجيوب جمع حيب بالفتح فالسكون وهو معروف والمراد بالجيوب الصدور، والمعنى وليلقين بأطراف مقانعهن على صدورهن ليسترنها بها.

وقوله: ولا يبدین زینتهن إلا لبعولتهن - إلى قوله - أو بني أخواتهن البعولة هم أزواجهن، والطوائف السبع الآخر محارمهن من جهة النسب والسبب، وأجداد البعولة حكمهم حكم آبائهم وأبناء أبناء البعولة حكمهم حكم الأبناء.

وقوله: أو نساتهن في الإضافة إشارة إلى أن المراد بهن المؤمنات من النساء فلا يجوز لهن التجرد لغيرهن من النساء وقد وردت به الروايات عن أئمة أهل البيت عليهم السلام.

وقوله: أو ما ملكت أيمانهم إطلاقه يشمل العبيد والإماء، وقد وردت به الرواية كما سيأتي إن شاء الله، وهذا من موارد استعمال ما في أولي العقل.

وقوله: أو التابعين غير أولي الإربة من الرجال الإربة هي الحاجة، والمراد به الشهوة التي تحوج إلى الأزواج، ومن الرجال بيان للتابعين، والمراد بهم كما تفسره الروايات البله المولى عليهم من الرجال ولا شهوة لهم.

¹ <https://goo.gl/gvJsqr>

² <http://goo.gl/zr9zrV>

³ <http://goo.gl/zr9zrV>

⁴ <http://goo.gl/rUZ6ZO>

وقوله: أو الطفل الذين لم يظهروا على عورات النساء أي جماعة الأطفال - واللام للاستغراق - الذين لم يفقوا ولم يظهروا - من الظهور بمعنى الغلبة - على أمور يسوء التصريح بها من النساء، وهو - كما قيل - كناية عن البلوغ.
وقوله: ولا يضربن بأرجلهن ليعلم ما يخفين من زينتهن ذلك بتصوت أسباب الزينة كالخلخال والعقد والقرط والسوار.

فقرات من التفسير

هـ\33\253

ثم علمهم كيف يسألون نساء النبي ويتأدبون معهن فقال: وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعًا فَاسْأَلُوهُنَّ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ. وذلك اعظم طهارة لقلوبكم وقلوبهن من وساوس الشيطان.

..

ثم بين بعد ذلك الاقارب الذين يمكن ان يدخلوا على نساء النبي ولا يحتجب منهن وهم: الآباء والابناء واخوانهن، وابناء اخوانهن، وابناء اخواتهم، والنساء المسلمات، وما ملكت ايمانهن من العبيد، وعليهن ان يتقين الله، ان الله كان على كل شيء شهيدا.

هـ\33\359

الجلاب: ثوب واسع واسع من الخمار دون الرداء تغطي به المرأة رأسها وصدرها. وقيل هو الملحفة. يُدْنين: يُسدلن. أدنى ان يُعرفن: اقرب ان يميّزن من الإماء والفتيات. المرجفون: اليهود، كانوا يلفقون اخبار السوء وينشرونها. لنغريئك بهم: لنسلطنك عليهم. اينما تقفوا: اينما وجدوا. خلوا: مضوا. لم يكن في منازل المدينة مراحيض، فكان النساء يخرجن ليلا لقضاء الحاجة في البساتين وبين النخيل، وكان الاماء والحرائر يخرجن في زي واحد، وكان فستاق المدينة من المنافقين وغيرهم يتعرضون للاماء، وربما تعرضوا للحرائر، فأمر الله نبيه ان يأمر نساءه وبناته ونساء المؤمنين عامة اذا خرجن لحاجتهن ان يتسترن بلبس الجلابيب ويستترن اجسامهن ما عدا الوجه والكفين. ذَلِكَ أدنى أن يُعرفن فلا يُؤدّين فعلى المسلمة اذا خرجت من بيتها حاجة ان تسدل عليها ملابسها ولا تبدي شيئا من مواضع الفتنة. وَكَانَ اللَّهُ غَفُوراً رَحِيماً لما سلف في أيام الجاهلية.

هـ\102\24\431

يغضوا من أبصارهم: يَكْفُونَهَا عن المحرمات ويخفونها. الخُمُر: جمع خمار وهو ما تغطي به المرأة رأسها. الجيوب: واحدها جيب، وهو فتحة في أعلى القميص. البعولة: الأزواج، واحدها بعل. الإرية: الحاجة إلى النساء، يقال أرب الرجل الى الشيء اذا احتاج اليه، والاربة والأرب بفتح الهمزة والراء، والماربة بفتح الراء بمعنى واحد. الطفل: يطلق على الواحد والجمع والمذكر والمؤنث، ويجوز ان يقال طفل وطفلة واطفال وطفلات، ويقال له طفل حتى يبلغ. لم يظهروا على عورات النساء: لم يبلغوا حد الشهوة ولا يدرون ما هي. قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ...

في هاتين الآيتين تعليم لنا وتهذيب لأخلاقنا، لأن الإسلام يهدف الى إقامة مجتمع سليم نظيف، وذلك بالحيلولة دون استتارة المشاعر، وابقاء الدافع الفطري العميق بين الجنسين سليماً. ذلك أن الميل الفطري بين الرجل والمرأة مائل عميق في التكوين الحيوي، لأن الله قد أناط به امتداد الحياة على هذه الارض. والله سبحانه يرشدنا الى أرقى الاخلاق وأسماها لتعيش في أمن وسلام.

قُلْ أَيُّهَا الرُّسُلُ لِلْمُؤْمِنِينَ: كَفُّوا أَبْصَارَكُمْ عما حرّم الله عليكم من عورات النساء ومواطن الزينة منهن، واحفظوا أنفسكم من عمل الفاحشة. ان ذلك الأدب أكرم بكم واطهر وأبعد عن الوقوع في المعصية. إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَصْنَعُونَ فلا يخفى عليه شيء مما يصدر منهم من الافعال.

وبعد ان أمر المؤمنين بغض أبصارهم - أمر المؤمنات كذلك. فقل يا أيها النبي للمؤمنات: عليهن ان يحفظن أبصارهن فلا ينظرن الى المحرّم من الرجال. ويحفظن أنفسهن من الوقوع في الزنا وفتنة الغير. وذلك بستر أجسامهن ما عدا الوجه والكفين. وهذا معنى قوله تعالى: وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا. ولما نهى عن إبداء الزينة أرشد الى إخفاء بعض مواضعها فقال:

¹ <http://goo.gl/TW6xN1>

² <http://goo.gl/rcAQwA>

³ <http://goo.gl/zr9zrV>

⁴ <http://goo.gl/3ig3LI>

وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ
وَلْيَضَعْنَ الْخُمَارَ عَلَىٰ رُءُوسِهِنَّ لِيَسْتَوْنَّ بِذَلِكَ شَعُورَهُنَّ وَأَعْنَاقَهُنَّ وَصُدُورَهُنَّ.
وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ...
لَا يَحِلُّ لَهُنَّ أَنْ يُظْهِرْنَ شَيْئًا مِنْ أَجْسَامِهِنَّ إِلَّا لِأَزْوَاجِهِنَّ وَالْأَقْرَابِ الَّذِينَ يَحُرِّمُ عَلَيْهِنَّ التَّزْوُجَ مِنْهُنَّ تَحْرِيمًا
مُؤَبَّدًا مِثْلَ آبَائِهِنَّ أَوْ أَبَاءِ أَزْوَاجِهِنَّ، أَوْ أَبْنَائِهِنَّ، أَوْ أَبْنَاءِ أَزْوَاجِهِنَّ مِنْ زَوَاجَاتٍ سَابِقَاتٍ، أَوْ إِخْوَانِهِنَّ أَوْ أَبْنَاءِ
إِخْوَانِهِنَّ أَوْ مَا مَلَكَتْ إِيْمَانُهُنَّ مِنَ الْأَرْقَاءِ، أَوْ مَنْ يَشْتَغِلُّ عَنْدهُنَّ مِنَ الْمُسْتَنِينَ الَّذِي مَاتَتْ شَهَوَاتُهُمُ وَالْأَطْفَالُ
الَّذِينَ لَمْ يَبْلُغُوا سِنَ الْبُلُوغِ.
ثُمَّ نَهَى اللَّهُ عَنْ إِظْهَارِ وَسُوسَةِ الْحَلِيِّ وَمَا يَثِيرُ الشَّهْوَةَ فَقَالَ:
وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِنْ زِينَتِهِنَّ
اطْلُبْ مِنْهُنَّ أَيُّهَا الرَّسُولُ أَنْ لَا يَفْعَلْنَ شَيْئًا يَجْلِبُ أَنْظَارَ الرِّجَالِ إِلَى مَا خَفِيَ مِنَ الزَّيْنَةِ، وَكُلِّ مَا يَثِيرُ الْفِتْنَةَ
مِنَ الْمَشِيِّ غَيْرِ الْمَعْتَادِ.

فقرات من التفسير

هـ33\90: 253

يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوت النبي إلا في حال إذنه لكم لتناول الطعام غير منتظرين وقت إدراكه، ولكن إذا دعاكم الرسول فادخلوا، فإذا طعتم فانصرفوا، ولا تمكثوا بعد ذلك مستأنسين لحديث بعضكم بعضاً. لأن الدخول بدون إذنه وإطالة المكث بعد الطعام كان يؤذي النبي فيستحي أن يطلب إليكم الخروج، ولكن الله - تعالى - لا يمنع من الجهر بالحق ما يمنع المخلوقين، وإذا سألتهم إحدى زوجات النبي - - حاجة فاسألوهن من وراء حجاب، ذلك أعظم طهارة لقلوبكم وقلوبهن من وساوس الشيطان، وما صح لكم أن تؤذوا رسول الله ولا أن تتزوجوا نساءه من بعده أبداً. احتراماً له ولهن. إن ذلكم كان عند الله ذنباً عظيماً.

هـ33\90: 359

يا أيها النبي قل لأزواجك وبناتك ونساء المؤمنين: يسدّلن على أجسامهن من جلابيبهن، وذلك اللباس على هذا الحال أولى وأحق بأن يعرفن فلا يُتعرض لهن بأذى، وكان الله غفوراً رحيماً لمن أقفل عن ذنوبه.

هـ102\24: 431

قل أيضاً - يا أيها النبي - للمؤمنات: إنهن مأمورات بكف نظرهن عما يحرم النظر إليه، وأن يَصْنُ فروعهن بالستر وعدم الاتصال غير المشروع، وألا يُظهرن للرجال ما يغريهم من المحاسن الخلقية والزينة كالصدر والعضد والقلادة، إلا ما يظهر من غير إظهار كالوجه واليد، واطلب منهن - يا أيها النبي - أن يسترن المواضع التي تبدو من فتحات الملابس، كالعنق والصدر، وذلك بأن يسترن عليها أغطية رؤوسهن، وألا يسمحن بظهور محاسنهن، إلا لأزواجهن والأقارب الذين يحرم عليهم التزوج منهن تحريماً مؤبداً كآبائهن أو آباء أزواجهن، أو أبنائهن أو أبناء أزواجهن من غيرهن، أو إخوانهن أو أبناء إخوانهن، ومثل هؤلاء صواحبهن، وسواء منهن الحرائر والمملوكات، والرجال الذين يعيشون معهن، ولا يوجد عندهم الحاجة والميل للنساء كالطاعنين في السن، وكذلك الأطفال الذين لم يبلغوا حد الشهوة، واطلب منهن أيضاً ألا يفعلن شيئاً يلفت أنظار الرجال إلى ما خفى من الزينة، وذلك كالضرب في الأرض بأرجلهن، ليسمع صوت خلاخلهن المستترة بالثياب، وتوبوا إلى الله جميعاً - أيها المؤمنون - فيما خالفتكم فيه أمر الله، والتزموا آداب الدين لتسعدوا في دنياكم وأخراكم.

¹ <https://goo.gl/yT8EVV>

² <http://goo.gl/KDom5z>

³ <http://goo.gl/xWVNyc>

⁴ <http://goo.gl/PFh6Fg>

فقرات من التفسير

هـ90\33: 253

وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعًا فَاسْأَلُوهُنَّ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ ذَلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ.. الأحزاب: 53.
المتاع: أواني البيت التي لا تنيسر للجميع، فعادة ما يكون في الشارع أو الحارة بيت أو بيتان مستوران، عندهم مثل هذه الأشياء: ماجور العجين، أو المنخل، أو الغريال، أو الهون.. الخ.
ومثل هذه الأشياء عادة لا تتوفر للفقير، فيذهب إلى جاره فيستعيرها منه، وهذا ما قال الله فيه:
أَرَأَيْتَ الَّذِي يَكْذِبُ بِالَّذِينَ * فَذَلِكَ الَّذِي يَدْعُ الْيَتِيمَ * وَلَا يُخْضُ عَلَى طَعَامِ الْمَسْكِينِ * فَوَيْلٌ لِلْمُصَلِّينَ * الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ * الَّذِينَ هُمْ يُرَآؤُونَ * وَيَمْنَعُونَ الْمَاعُونَ الماعون: 1-7.
فالمتاع هو الماعون، وهو أدوات البيت التي يستعيرها منك جارك غير القادر على توفيرها في بيته.
إذن: الحق سبحانه في حين جعل للمؤمنين أدباً خاصاً مع رسول الله في الدخول عليه أو الأكل في بيته والجلوس عنده، لم يمنع الانتفاع بما عنده من متاع البيت، ومتاع البيت يُطلب بأن تطرق الباب على أهله تقول: أعطونا كذا وكذا، وعادة ما تسأل المرأة لأنها ربة البيت والمسئولة عن هذا المتاع، فإذا طلبتم شيئاً من زوجات النبي فاطلبوه من وراء حجاب ذلكم أطهر لقلوبكم وقلوبهن.

الأحزاب: 53.

سبق أن قلنا: إن المشاعر والإدراكات والمواجيد والعقائد التي تستقر في النفس، هذه المظاهر الشعورية تتكون على مراحل ثلاث: آلة تدرك، ووجدان يستقبل، إما بالمحبة، وأما بالكراهية، ثم نفس تنزع، ومثلنا لذلك بالوردة تراها في البستان جميلة نصرّة، وتشم رائحتها زكية عطرة، فهذا إدراك بحاسة البصر وحاسة الشم، نتج عنه إعجاب ومواجيد، يترتب عليها أن تمدّ يدك لتقطفها، وهذا هو النزوع.
والشرع لا يتدخل، لا في الإدراك، ولا في الوجدان، إنما يتدخل في النزوع، فلك أن ترى جمال الوردية كما تشاء، ولك أن تشم عبيرها، لكن إن امتدّت يدك إليها قلنا لك: قف: أهي حق لك؟ إن كانت حقك فخذها، وإلا فهي محرمة عليك لأنها ليست ملكك، وليس في هذا حرجاً على حريتك؛ لأن الذي قيد حريتك في الاعتداء على مال الغير قيد حرية الآخرين في الاعتداء عليك، فأعطاك قبل أن يأخذ منك إذن: فالشرع في صالحك أنت.

نقول: الشرع لا يتدخل إلا عند مرحلة النزوع، إلا في علاقة الرجل بالمرأة والنظر إلى جمالها، فإنه يتدخل فيها من بدايتها، فيحظر عليك مجرد الإدراك، لأنك حين ترى جمال المرأة، وربما كانت أجمل من امرأتك أو لم يسبق لك الزواج، فإنك تُعجب بها.

وهذا الإعجاب لا بُدَّ أن يدعوك إلى النزوع، فكيف تنزع في هذه الحالة؟ والنزوع في هذه المسألة له شروط: أولها أن تأتيه من باب الحلال، فإن لم تكن قادراً على باب الحلال، فيما أن تعف نفسك، وإما أن تعربد في أعراض الآخرين، لذلك تدخل الشرع في هذه المسألة من أولها، ولم يتركك حتى تقع في المحذور وتنزع فيما لا يحل لك؛ لأن المرأة الجميلة لا شك تهيج في الرجل معاني خاصة.

وفي ذلك يقول الشاعر:

سُبْحَانَ مَنْ خَلَقَ الْجَمَا
وَلَذَلِكَ يَأْمُرُنَا بَعْضُ
مَنْ شَاءَ يَطْلُبُهُ فَلَا
وَبَدَا يَدُومُ لَهُ التَّمَتُّعُ
لِوَالِئِهَازِمَ لِسَطُوتِهِ
الطَّرْفُ عَنْهُ لِرَحْمَتِهِ
إِلَّا بِطَهَرِ شَرِيعَتِهِ
هَاهُنَا وَبَجَنَّتِهِ

أما الذي يدعي أن نظره إلى جمال المرأة لا يترك فيه هذا الأثر فهو مخالف للطبيعة، حتى وإن كان متزوجاً، وإياك أن تظن أن امرأة تُغني بجمالها عن جمال في سواها؛ لذلك يقولون: النساء كالخمر، كل مليحة بمذاق،

¹ <https://goo.gl/8iOpKP>

² <http://goo.gl/ssbTCx>

فمهما كانت زوجتك جميلة، وفيها كل الموصفات التي تعجبك فسوف تجد في غيرها الجديد مما ليس فيها. إذن: من رحمة الله بك أن لا تدخل في هذه المسألة من أول مراحلها، فحرّم مجرد النظر. وإذا كان هذا في المعنى العام للناس، فكيف يكون مع زوجات النبي، وقد قال تعالى مخاطباً المؤمنين وما كان لكم أن تؤذوا رسول الله.

الأحزاب: 53 أي بالنظر إلى زوجاته؛ لأن النظر إدراك يتبعه أن تجد في نفسك شيئاً، صحيح أنت لا تستطيع أن تقدم؛ لأنهن أمهات المؤمنين، إنما سينشغل قلبك، ومجرد خواطر القلب هنا إيذاء لسيدنا رسول الله، بدليل أنه قال بعدها: وَلَا أَنْ تَنْكَحُوا أَرْوَاجَهُ مِنْ بَعْدِهِ.. الأحزاب: 53. وزوي أن رجلاً رأى السيدة عائشة قبل الحجاب فانبهر بها، فقال: والله إن مات رسول الله لأتزوجن هذه الحميراء، وإن كان كفر عن هذه القولة وحجّ ماشياً، وأعتق الرقاب، ليغفر الله له هذه الجراءة على رسول الله. فمعني ذلكم.. الأحزاب: 53 أي: أمرنا بأن تسألوهن من وراء حجاب، وهذا الأمر احتياط للطرفين أطهر لقلوبكم وقلوبهن.. الأحزاب: 53 لقلوبكم أولاً، ولقلوبهن ثانياً.

هــ١٩٠: ٣٣: ١٥٩

نلاحظ أن الأمر توجه أولاً لأزواج النبي، ثم لبناته، وهذا يعني أن رسول الله لا يأمر أمته بشيء هو عنه بنجوى، إنما يأمرهم بشيء بدا فيه بأهل بيته، وهذا أدعى لقبول الأمر وتنفيذه، فقبل أن أكرمك أمرت نفسي فلم أتميز عنكم بشيء.

..

بعد أن أمر الحق سبحانه أزواج النبي وبناته أولاً بهذا الأدب تنى بنساء المؤمنين، فقال يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لَأَرْوَاجُكُمْ وَبَنَاتُكُمْ وَنِسَاءُ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِنْ جَلَابِيهِنَّ ذَلِكَ أَدْنَى أَنْ يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذِينَ وَكَانَ اللَّهُ غَفُوراً رَحِيماً الأحزاب: 59 لأن أسرة رسول الله ليست أزواجه وبناته فحسب، إنما العالم كله، وكلمة نساء جمع، لا واحد له من لفظه، فمفرد أزواج زوج، ومفرد بنات بنت، أما نساء مفردها من معناها، لا من لفظها، فتقول: امرأة، واستثقل جمع امرأة على امرأت فقالوا: نساء وأصلها في اللغة من النسيء، قالوا: لأن المرأة أجَلْ خَلْقُهَا بعد خلق الرجل

...

ومعنى: الإدناء: تقريب شيء من شيء، ومن ذلك قوله تعالى في وصف ثمار الجنة قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ الحاقة: 23 أي: قريبة التناول سَهْلَةُ الْجَنَى، والمراد: يُدْنِينَ جلابيهن أي: من الأرض لتستر الجسم. وقوله: عَلَيْهِنَّ.. الأحزاب: 59 يدل على أنها تشمل الجسم كله، وأنها ملفوفة حوله مسدولة حتى الأرض.

وكلمة جَلَابِيهِنَّ.. الأحزاب: 59 مفردها جلباب، وقد اختلفوا في تعريفه فقالوا: هو الثوب الذي يُلبس فوق الثوب الداخلي، فتحت الجلباب مثلاً فائلة أو قميص وسروال، ويجوز أن تكون الملابس الداخلية قصيرة، أما الجلباب فيجب أن يكون سابغاً طويلاً قريباً من الأرض.

وقالوا: الجلباب هو الخمار الذي يغطي الرأس، ويُضرب على الجيوب - أي فتحة الرقبة - لكن هذا غير كافٍ، فلا بد أن يُسدل إلى الأرض ليستر المرأة كلها؛ لأن جسم المرأة عورة، ومن اللباس ما يكشف، ومنه ما يصف، ومنه ما يلتفت النظر.

وشرط في لباس المرأة الشرعي ألا يكون كاشفاً، ولا واصفاً، ولا مُلَفَّتاً للنظر؛ لأن من النساء من ترتدي الجلباب الطويل السابغ الذي لا يكشف شيئاً من جسمها، إلا أنه ضيق يصف الصدر، ويصف الأرداف، ويُجسم المفاصل، حتى تبدو وكأنها عارية.

لذلك من التعبيرات الأدبية في هذه المسألة قول أحدهم - وهو على حق - إن مبالغة المرأة في تبرجها إلحاح منها في عرض نفسها على الرجل. يعني: تريد أن تُلفت نظره، تريد أن تُنبّه الغافل وكأنها تقول: نحن هنا. وإن تساهلنا في ذلك مع البنت التي لم تتزوج، ربما كان لها عُذر، لكن ما عذر التي تزوجت؟

ثم يُبين الحق - تبارك وتعالى - الحكمة من هذا الأدب في مسألة اللباس، فيقول: ذَلِكَ.. الأحزاب: 59 أي: إدناء الجلباب إلى الأرض، وستر الجسم، وعدم إبداء الزينة أدنى.. الأحزاب: 59 أي: أقرب أن يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذِينَ.. الأحزاب: 59.

فالمراة المسلمة تُعرف بزِيَّها وحشمتها، فلا يجرو أحد على التعرض لها بسوء أو مضايقتها، فلباسها ووقارها يقول لك: إنها ليست من هذا النوع الرخيص الذي ينتظر إشارة منك، وليست ممن يُعرض نفسه عُرضاً مُهيناً مستمِلاً مُلفتاً.

وقوله تعالى بعد ذلك وفي ختام الآية وَكَانَ اللَّهُ غَفُوراً رَحِيماً الأحزاب: 59 جاء وَصَفُ المغفرة والرحمة هنا ليشير إلى أن عقوبة الله ليست بأثر رجعي، فما سبق هذا الأمر من تجاوزات مغفور معفو عنه برحمة الله، والعبرة بسلوك المؤمنة بعد أن تسمع هذا الأمر بإدناء الجلاب والالتسُّر.

والحق سبحانه بمثل هذا الأدب إنما يؤمن حياة المرأة المسلمة، كيف؟ نقول: معنى التأمين أن نأخذ منك حال يُسرِّك، وحين تكون واجداً، لنعطيك حينما تكون غير واجد.

كذلك الإسلام حين يستر جمال المرأة ومفاتنتها حال شبابها ونضارتها يسترها حين تكبر، وحين يتلاشى الجمال، ويحلُّ محلُّه أمور تحرص المرأة على سترها، فالإسلام في هذه الحالة يحمي المرأة ويحفظ لها عزَّتها.

هــ102\24: 131

ذكر هنا المقابل، فأمر النساء بما أمر به الرجال، ثم زاد هنا مسألة الزينة. والزينة: هي الأمر الزائد عن الحد في الفطرية؛ لذلك يقولون للمرأة الجميلة بطبيعتها والتي لا تحتاج إلى أن تتزين: غانية يعني: غنيت بجمالها عن التزيُّن فلا تحتاج إلى كحل في عينيها، ولا أحمر في خديها، لا تحتاج أن تستر قلبيها بأسورة، ولا صدرها بعقد.. إلخ.

فإن كانت المرأة دون هذا المستوى احتاجت لشيء من الزينة، لكن العجيب أنهم يُبالغون في هذه الزينة حتى تصبح كاللافتة النيون على كشك خشبي مائل، فتري مُسنَّات يضعن هذا الألوان وهذه المساحيق، فيظهرن في صورة لا تليق؛ لأنه جمال مُصطنع وزينة متكلفة يسمونها تطرية، وفيها قال المتنبي، وهو يصف جمال المرأة البدوية وجمال الحضرية:

حُسن الحضارة مَجْلُوبٌ بِطَريَّةٍ وفي البِداوة حُسْنٌ غير مَجْلُوب

ومن رحمة الله بالنساء أن قال بعد وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ.. النور: 31 قال: إلا ما ظَهَرَ مِنْهَا.. النور: 31 يعني: الأشياء الضرورية، فالمرأة تحتاج لأن تمشي في الشارع، فتظهر عينيها وربما فيها كحل مثلاً، وتظهر يدها وفيها خاتم أو حناء، فلا مانع أن تظهر مثل هذه الزينة الضرورية.

لكن لا يظهر منها القُرْط مثلاً؛ لأن الخمار يستره ولا الديكولتيه أو العقد أو الأسورة أو الدُمْلُك ولا الخلخال، فهذه زينة لا ينبغي أن تظهر. إذن: فالشارع أباح الزينة الطبيعية شريطة أن تكون في حدود، وأن تقصر على مَنْ جُعِلَتْ من أجله.

ونلاحظ في قوله تعالى: وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إلا ما ظَهَرَ مِنْهَا.. النور: 31 المراد تغطية الزينة، فالجارية التي تحتها من باب أولى، فالزينة تُغطى الجارية، وقد أمر الله بستر الزينة، فالجارية من باب أولى. وقوله تعالى: وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَى جُيُوبِهِنَّ.. النور: 31.

الخُمُر: جمع خُمَر، وهو غطاء الرأس الذي يُسدل ليستر الرقبة والصدر. الجيوب: جميع جيب، وهو الفتحة العليا للثوب ويسمونها القَبَّة والمراد أن يستر الخُمَر فتحة الثوب ومنطقة الصدر، فلا يظهر منها شيء.

والعجيب أن النساء تركن هذا الواجب، بل ومن المفارقات أنهم يلبسون القلادة ويُعلقن بها المصحف الشريف، إنه تناقض عجيب يدل على عدم الوعي وعدم الدراية بشرع الله مُنزل هذا المصحف.

وتأمل دقة التعبير القرآني في قوله تعالى وَلْيَضْرِبْنَ.. النور: 31 والضرب هو: الوقع بشدة، فليس المراد أن تضع المرأة الطرحة على رأسها وتتركها هكذا للهواء، إنما عليها أن تُحكمها على رأسها وصدرها وتربطها بإحكام.

لذلك لما نزلت هذه الآية قالت السيدة عائشة: رحم الله نساء المهاجرات، لما نزلت الآية لم يكن عندهم خُمَر، فعمدوا إلى المروط فشقوقها وصنعوا منها الخُمَر.

إذن: راعى الشارع الحكيم زِيَّ المرأة من أعلى، فقال: وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَى جُيُوبِهِنَّ.

. النور: 31 ومن الأدنى فقال:

يُذْنِبْنَ عَلَيْهِنَّ مِنْ جَلَيبِهِنَّ.. الأحزاب: 59.

ثم يقول تعالى: وَلَا يُبْدِي زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ.. النور: 31 أي: أزواجهن؛ لأن الزينة جُعِلَتْ من أجلهم أو آبائهن أو آباء بُعُولَتِهِنَّ.. النور: 31 أبو الزوج، إلا أن يخاف منه الفتنة، فلا تبدي الزوجة زينتها أمامه. ومعنى أو نسائهن.. النور: 31 أي: النساء اللاتي يعملن معها في البيت كالوصيفات والخادmates أو ما مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ.. النور: 31 والمراد هنا أيضاً ملك اليمين من النساء دون الرجال.

ويشترط في هؤلاء النساء أن يكنَّ مسلمات، فإن كنَّ كافرات كهؤلاء اللاتي يستقدمونهن من دول أخرى، فلا يجوز للمرأة أن تبدي زينتها أمامهن، وأن تعتبرهن في هذه المسألة كالرجال، لأنهن غير مسلمات وغير مؤتمنات على المسلمة، وربما ذهبت فوصفت ما رأت من سيدتها للرجل الكافر فينشغل بها.

ومن العلماء من يرى أن ملك اليمين لا يخص النساء فقط، إنما الرجال أيضاً، فللمرأة أن تبدي زينتها أمامهم، قالوا: لأن هناك استقبالاً عاطفياً وامتتاعاً عاطفياً في النفس البشرية، فالخادم في القصر لا ينظر إلى سيدته ولا إلى بناتها؛ لأنه لا يتسامى إلى هذه المرتبة، إلا إذا شجَّعته، وفتحن له الباب، وهذه مسألة أخرى.

وقوله تعالى: أو الكتَّابِينْ غير أولي الإربة من الرجال.. النور: 31 أي: التابعين للبيت، والذين يعيشون على فضلاته، فتكون حياة التابع من حياة متبوعه، فليس عنده بيت يأويه؛ لذلك ينام في أي مكان، وليس عنده طعام؛ لذلك يُطعمه الناس وهكذا، فهو ضائع لا هدف له ولا استقلالية لحياته، وترى مثل هؤلاء يأكلون فضلات الموائد ويلبسون الخرق وينامون ولو على الأرض.

مثل الأهل أو المعتوه الذي يعطف الناس عليه، وليس له مطعم في النساء، ولا يفهم هذه المسألة، فلا يخاف منه على النساء؛ لأنه لا حاجة له فيهن؛ ولا يتسامى لأن ينظر إلى أهل البيت.

ومعنى: غير أولي الإربة من الرجال.. النور: 31 يعني: كان يكون كبير السن واهن القوى، لا قدرة له على هذه المسائل، أو يكون مجبوباً، مقطوع المتاع، ولا خطر من مثل هؤلاء على النساء.

وقوله تعالى: أو أطفال الذين لم يظهروا على عورات النساء.. النور: 31.

نلاحظ هنا أن الطفل مفرد، لكن وُصف بالجمع الذين لم يظهروا على عورات النساء.. النور: 31 لماذا؟ قالوا: هذه سمة من سمات اللغة، وهي الدقة في التعبير، حيث تستخدم اللفظ المفرد للدلالة على المثني وعلى الجمع. كما نقول: هذا قاض عدل، وهذان قاضيان عدل، وهؤلاء قضاة عدل، ولم نقل: عدلان وعدول، فإذا وُحد الوصف في الجميع بدون هوى كان الوصف كالشيء الواحد، فالقاضي لا يحكم بمزاجه وهواه، والآخر بمزاجه وهواه، إنما الجميع يصدرون عن قانون واحد وميزان واحد.

إذن: فالعدل واحد لا يُقال بالتشكيك، وليس لكل واحد منهم عدل خاص به، العدل واحد.

كذلك الحال في الأطفال.. النور: 31 مع أن المراد الأطفال، لكن قال الطفل لأن غرائزه مشتركة مع الكل، وليس له هوى، فكل الأطفال - إذن - كأنهم طفل واحد حيث لم يتكوّن لكل منهم فكره الخاص به، الجميع يحب اللهو واللعب، ولا شيء وراء ذلك، فالجمعية هنا غير واضحة لوجود التوحيد في الغرائز وفي الميول. بدليل أنه إذا كبر الأطفال وانتقلوا إلى مرحلة البلوغ وتكوّن لديهم هوى وفكر وميل يقول القرآن عنهم: وإذا بلغ الأطفال منكم الحلم.. النور: 59 فنظر هنا إلى الجمع لعدم وجود التوحد في مرحلة الطفولة المبكرة. ومن ذلك أيضاً قوله تعالى:

هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ الْمُكْرَمِينَ الذاريات: 24 فوصف ضيف وهي مفرد بالجمع مكرمين؛ ذلك لأن ضيف تدل أيضاً على الجمع، فالضيف من انضاف على البيت وله حقّ والتزامات لا بدّ أن يقدمها المضيف، مما يزيد على حاجة البيت، والضيف في هذه الالتزامات واحد، سواء كان مفرداً أو جماعة؛ لذلك دلّ بالمفرد على الجمع.

وقوله تعالى: الذين لم يظهروا على عورات النساء.. النور: 31 يظهر على كذا: لها معنيان في اللغة: الأول: بمعنى يعلم كما في قوله تعالى:

إِنَّهُمْ إِنْ يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ يَرْجُمُوكُمْ.. الكهف: 20 يعني: إن علموا بكم وعرفوا مكانكم.

والثاني: بمعنى يعلو ويغلب ويقهر، كما في قوله تعالى:

فَمَا اسْطَاعُوا أَنْ يَظْهَرُوهُ الكهف: 97 أي: السد الذي بناه ذو القرنين، فالمعنى: ما استطاعوا أن يعلوه ويرتفعوا عليه.

وهنا لم يظهروا على عورات النساء.. النور: 31 يعني: يعرفونها ويستبينونها، أو يقدرّون على مطلوباتها، فليس لهم علم أو دراية بهذه المسائل.

ثم يقول سبحانه: وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ من زينتهن.. النور: 31.

الحق - تبارك وتعالى - يكشف ألاعيب النساء وحيلهنّ في جَدْب الأنظار، فإذا لم يلفتك إليها النظر لفتاك الصوت الذي تحدثه بمشييتها كأنها تقول لك: يا بجم اسمع، يا للي ما نتاش شايف اسمع، وفي الماضي كُنَّ يلبسنّ الخلخال الذي يُحدث صوتاً أثناء المشي، والآن يجعلنّ في أسفل الحذاء ما يُحدث مثل هذا الصوت أثناء المشي، وأول من استخدم هذه الحيل الراقصات لجذبنّ إليهنّ الأنظار. ومعلوم أن طريقة مَنّي المرأة تُبدي الكثير من زينتها التي لا يراها الناس، وتُسبب كثيراً من الفتنة

فقرات من التفسير

هـ-33\90: 253

وإذا طلبتم - أيها المؤمنون - من أزواج النبي شيئا يتمتع به سواء أكان هذا الشيء حسيا كالطعام أم معنويا كمعرفة بعض الأحكام الشرعية.. إذا سألتموهن شيئا من ذلك فليكن سؤالكم لهن من وراء حجاب ساتر بينكم وبينهن.

لأن سؤالكم إياهن بهذه الطريقة، أظهر لقلوبكم وقلوبهن، وأبعد عن الوقوع في الهواجس الشيطانية التي قد تتولد عن مشاهدتكم لهن، ومشاهدتهن لكم.

هذا وقد أخذ العلماء من هذه الآية الكريمة التي تسمى بآية الحجاب، جملة من الأحكام والآداب منها:

1- وجوب الاستئذان عند دخول البيوت لتناول طعام، ووجوب الخروج بعد تناوله إلا إذا كانت هناك ضرورة تدعو للبقاء، كما أن من الواجب الحضور إلى الطعام في الوقت المناسب له، وليس قبله انتظارا لنضجه وتقديمه.

2- حرمة الاختلاط بين الرجال والنساء سواء أكان ذلك في الطعام أم في غيره، فقد أمر - سبحانه - المؤمنين، إذا سألوا أزواج النبي شيئا أن يسألوهن من وراء حجاب، وعلل ذلك بأن سؤالهن بهذه الطريقة، يؤدي إلى طهارة القلوب، وعفة النفوس، والبعد عن الريبة وخواطر السوء.

وحكم نساء المؤمنين في ذلك كحكم أمهات المؤمنين، لأن قوله - سبحانه - ذَلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ علة عامة تدل على تعميم الحكم، إذ جميع الرجال والنساء في كل زمان ومكان في حاجة إلى ما هو أظهر للقلوب، وأعف للنفوس.

قال بعض العلماء ما ملخصه: وقوله: ذَلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ قرينة واضحة على إرادة تعميم الحكم، إذ لم يقل أحد من العقلاء، إن غير أزواج النبي لا حاجة بهن إلى طهارة قلوبهن، وقلوب الرجال من الريبة منهن.

فالجملة الكريمة فيها الدليل الواضح على أن وجوب الحجاب حكم عام في جميع النساء. لا خاص بأمهات المؤمنين، وإن كان أصل اللفظ خاصا بهن، لأن عموم علته دليل على عموم الحكم فيه.

3- كذلك أخذ العلماء من هذه الآية أنه لا يجوز للرجل الأجنبي أن يصافح امرأة أجنبية عنه. ولا يجوز له أن يمس شيء من بدنه شيئا من بدنها.

والدليل على ذلك أن النبي صلى الله عليه ولم تثب عنه أن قال: إني لا أصافح النساء.

والله - تعالى - يقول:

لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ

فيلزمنا أن لا نصافح النساء الأجنبية اقتداء به.

4- تكريم الله - تعالى - لنبية ودفاعه عنه، وإلزام المؤمنين بالعمل على كل ما يرضيه ولا يؤذيه، وبعدد نكاح أزواجه من بعده أبدا..

ثم استنتجت السورة الكريمة بعض الأصناف الذين يجوز للمرأة أن تظهر أمامهم بدون حجاب، وبينت سمو منزلة رسول الله، وأكدت التحذير من إيذائه، ومن إيذاء المؤمنين والمؤمنات، وأمرت النبي أن يرشد أزواجه وبناته ونساء المؤمنين إلى وجوب الاحتشام في ملابسهن.. فقال - تعالى -: لَا جُنَاحَ عَلَيْهِنَّ فِي آبَائِهِنَّ... اللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ.

هـ-33\90: 359

¹ <https://goo.gl/45N7XS>

² <http://goo.gl/8Zi194>

³ <http://goo.gl/VJ7O2H>

ثم أمر الله - تعالى - رسوله أن يأمر أزواجه وبناته ونساء المؤمنين عامة، بالاحتشام والتستر في ملابسهن فقال - تعالى - **يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لَأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاءَ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِنْ جَلَابِيبِهِنَّ...** قال الألوسي: روى عن غير واحد أنه كانت الحرة والأمة، تخرجان ليلاً لقضاء الحاجة في الغيطان وبين الخيل، من غير تمييز بين الحرائر والإماء، وكان في المدينة فساق يتعرضون للإماء، وربما تعرضوا للحرائر، فإذا قيل لهم قالوا: حسبناهن إماء، فأمرت الحرائر أن يخالفن الإماء في الزى والتستر فلا يطمع فيهن.

وقوله: يُدْنِينَ من الإنداء بمعنى التقريب، ولتضمنه معنى السدل والإرخاء عُدَى بعلی. وهو جواب للأمر، كما في قوله - تعالى - **قُلْ لِعِبَادِيَ الَّذِينَ آمَنُوا يُقِيمُوا الصَّلَاةَ...**

والجلابيب: جمع جلباب، وهو ثوب يستر جميع البدن، تلبسه المرأة، فوق ثيابها. والمعنى: بأيتها النبي قل لأزواجك اللاني في عصمتك، وقل لبناتك اللاني هن من نسلك، وقل لنساء المؤمنين كافة، قل لهن: إذا ما خرجن لقضاء حاجتهن، فعليهن أن يسدلن الجلابيب عليهن، حتى يسترن أجسامهن سترا تاما، من رؤوسهن إلى أقدامهن، زيادة في التستر والاحتشام، وبعدا عن مكان التهمة والريبة. قالت أم سلمة - رضي الله عنها - لما نزلت هذه الآية، خرج نساء الأنصار كأن على رؤوسهن الغربان من السكينة وعليهن أكسية سود يلبسها.

وقوله: **ذَلِكَ أَذْنَى أَنْ يُعْرِفَنَّ فَلَا يُؤْذِينَ** بيان للحكمة من الأمر بالتستر والاحتشام. أي: ذلك التستر والاحتشام والإنداء عليهن من جلابيبهن يجعلهن أدنى وأقرب إلى أن يعرفن ويميزن عن غيرهن من الإماء، فلا يؤذين من جهة من في قلوبهم مرض.

قال بعض العلماء: وقد يقال إن تأويل الآية على هذا الوجه، وصرها على الحرائر، قد يفهم منه أن الشارع قد أهمل أمر الإماء، ولم يبال بما ينالهن من الإيذاء من ضعف إيمانهم، مع أن في ذلك من الفتنة ما فيه، فهلا كان التصون والتستر عاما في جميع النساء؟

والجواب، أن الإماء بطبيعة عملهن يكثر خروجهن وترددهن في الأسواق، فإذا كلفن أن يتقنعن ويلبسن الجلباب السابغ كلما خرجن، كان في ذلك حرج ومشقة عليهن، وليس كذلك الحرائر فإنهن مأمورات بعدم الخروج من البيوت إلا لضرورة ومع ذلك فإن القرآن الكريم قد نهى عن إيذاء المؤمنين والمؤمنات جميعا - سواء الحرائر والإماء، وتوعد المؤذنين بالعذاب المهيئ.

. والشارع - أيضا - لم يخطر على الإمام التستر والتقنع، ولكنه لم يكلفهن بذلك دفعا للحرج والعسر، فلأمة أن تلبس الجلباب السابغ متى تيسر لها ذلك..

هذا، ويرى الإمام أبو حيان أن الأرجح أن المراد بنساء المؤمنين، ما يشمل الحرائر والإماء وأن الأمر بالتستر يشمل الجميع، وأن الحكمة من وراء هذا الأمر باسداد الجلابيب عليهن، درء التعرض لهن بسوء من ضعاف الإيمان.

فقد قال - رحمه الله - : والظاهر أن قوله: **وَنِسَاءَ الْمُؤْمِنِينَ** يشمل الحرائر والإماء، والفتنة بالإماء أكثر لكثرة تصرفهن، بخلاف الحرائر، فيحتاج إخراجهن من عموم النساء إلى دليل واضح.. **ذَلِكَ أَذْنَى أَنْ يُعْرِفَنَّ** لتسترهن بالعفة فلا يتعرض لهن، ولا يلقين بما يكرهن، لأن المرأة إذا كانت في غاية التستر والانضمام لم يقدم عليها بخلاف المتبرجة فإنها مطموع فيها.

ويبدو لنا أن هذا الرأي الذي اتجه أبو حيان - رحمه الله - أولى بالقبول من غيره، لتمشيه مع شريعة الإسلام التي تدعو جميع النساء إلى التستر والعفاف.

هــ102\24: 131

ثم أرشد - سبحانه - النساء إلى ما أرشد إليه الرجال فقال: **وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا.**

أي: وقل - أيها الرسول الكريم - للمؤمنات - أيضا - بأن الواجب عليهن أن يكفنن أبصارهن عن النظر إلى ما لا يحل لهن، وأن يحفظن فروجهن عن كل ما نهى الله - تعالى - عنه، ولا يظهرن شيئا مما يتزين به، إلا ما جرت العادة بإظهاره، كالخاتم في الإصبع، والكحل في العين.. وما يشبه ذلك من الأمور التي لا غنى للمرأة عن إظهارها.

ومع أن النساء يدخلن في خطاب الرجال على سبيل التغليب، إلا أن الله - تعالى - خصهن بالخطاب هنا بعد الرجال، لتأكيد الأمر بغض البصر، وحفظ الفرج، وليبين أنه كما لا يحل للرجل أن ينظر إلى المرأة - إلا في حدود ما شرعه الله - فإنه لا يحل للمرأة كذلك أن تنتظر إلى الرجل، لأن علاقتها به، ومقصده منها كمقصدها منه، ونظرة أحدهما للآخر - على سبيل الفتنة وسوء القصد - يؤدي إلى مالا تحمد عقباها. وقوله - تعالى -: وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ بيان لكيفية إخفاء بعض مواضع الزينة بعد النهي عن إبدائها.

والخُمُر - بضم الخاء والميم - جمع خمار. وهو ما تغطي به المرأة رأسها وعنقها وصدرها، والجيوب جمع جيب، وهو فتحة في أعلى الثياب يبدو منها بعض صدر المرأة وعنقها. والمراد به هنا: محله وهو أعلى الصدر، وأصله: من الجَب بمعنى القطع. أي: وعلى النساء المؤمنات أن يسترن رؤوسهن وأعناقهن وصدرهن بخمرهن، حتى لا يطلع أحد من الأجانب على شيء من ذلك.

قالوا: وكان النساء في الجاهلية يسدن خمرهن من خلف رؤوسهن، فتتكشف نحورهن وأعناقهن وقلاندنهن، فنهى الله - تعالى - المؤمنات عن ذلك. ولقد ساق الإمام ابن كثير عند تفسيره لهذه الآية جملة من الأحاديث، منها: ما رواه البخاري عن عائشة - رضى الله عنها - قالت: يرحم الله نساء المهاجرات الأول - لما أنزل الله - تعالى -: وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ أخذن أزهرن فشققنها فاخترن بها.

وفي رواية أنها قالت: إن لنساء قريش لفضلا، وإني - والله ما رأيت أفضل من نساء الأنصار أشد تصديقا بكتاب الله، ولا إيمانا بالتزويل، لما نزلت هذه الآية. انقلب إليهن رجالهن يتلون عليهن ما أنزل الله إليهم فيها، ويتلو الرجل على امرأته وابنته وأخته، وعلى كل ذي قرابة، فما منهن امرأة إلا قامت إلى مرطها - وهو كساء من صوف - فاعتجرت به تصديقا وإيمانا بما أنزل الله من كتابه، فأصبح وراء رسول الله في صلاة الصبح معتجرات كأن رؤوسهن الغربان.

والمقصود بزيتنهن في قوله - تعالى -: وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ الزينة الخفية وهي ما عدا الوجه والكفين، كشعر الرأس والذراعين والساقين. فقد نهى الله - تعالى - النساء المؤمنات عن إبداء مواضع الزينة الخفية لكل أحد، إلا من استثناهن - سبحانه - بعد ذلك، وهم اثنا عشر نوعا، بدأهم بالبعول وهم الأزواج لأنهم هم المقصودون بالزينة، ولأن كل بدن الزوجة حلال لزوجها.

أي: وعلى النساء المؤمنات أن يلتزم الاحتشام في مظهرهن، ولا يبدين مواضع زينتهن الخفية إلا لبعولتهن أو آبائهن أو آباء بعولتهن أو أبنائهن أو أبناء بعولتهن أو إخوانهن أو بنى إخوانهن أو بنى أخواتهن فهؤلاء الأصناف السبعة الذين ذكرهم الله - تعالى - بعد الأزواج، كلهم من المحارم الذين لا يحل للمرأة الزواج بواحد منهم، وقد جرت العادة باحتياج النساء إلى مخالطتهم، كما جرت العادة بأن الفتنة مأمونة بالنسبة لهم، فمن طبيعة النفوس الكريمة أنها تأنف من التطلع إلى المحارم بالنسبة لها. ويلحق بهؤلاء المحارم الأعمام والأخوال والمحامرم من الرضاع. والأصول وإن علوا، والفروع وإن سفلا.

وقوله - تعالى -: أَوْ نِسَائِهِنَّ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ أَوْ التَّابِعِينَ غَيْرَ أُولِي الْإِرْبَةِ أَوْ الرِّجَالُ أَوْ الطِّفْلُ الَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا عَلَىٰ عَوْرَاتِ النِّسَاءِ بيان لبقية الأفراد الذين يجوز للمرأة أن تبدي زينتها الخفية أمامهم. أي: ويجوز للنساء المؤمنات أن يبدين زينتهن - أيضا - أمام نسائهم المختصات بهن بالصحبة والخدمة، وأمام ما مَلَكَتْ أَيْمَانَهُنَّ من الإمام لا من العبيد البالغين، وأمام الرجال التابعين لهن طلبا للإحسان والانتفاع، والذين في الوقت نفسه قد تقدمت بهم السن، ولا حاجة لهم في النساء، ولا يعرفون شيئا من أمورهن، ولا تحدثهم أنفسهم بفاحشة، ولا يصفونهن للأجانب.

فقوله - سبحانه -: غَيْرَ أُولِي الْإِرْبَةِ مِنَ الرِّجَالِ أي: غير ذوى الحاجة من الرجال في النساء يقال: أرب الرجل إلى الشيء يأرب أربا - من باب تعب إذا احتاج إليه.

ويجوز لهن كذلك إظهار زينتهن أمام الأطفال الذين لم يظهروا على عورات النساء، أي: الذين لم يعرفوا ما العورة، ولم يستطيعوا بعد التمييز بينها وبين غيرها، ولم يبلغوا السن التي يشتبهون فيها النساء. يقال: ظهر على الشيء إذا طلع عليه وعرفه، ويقال: فلان ظهر على فلان إذا قوى عليه وغلبه.

فهؤلاء اثنا عشر نوعاً من الناس، ليس عليهم ولا على المرأة حرج، في أن يروا منها موضع الزينة الخفية، كالرأس والذراعين، والساقين، لانتفاء الفتنة التي من أجلها كان الستر والغطاء. فأما الزوج فله رؤية جميع جسدها.

ثم نهى - سبحانه - النساء المؤمنات عن ابداء حركات تعلن عن زينتهن المستورة، بل عليهن أن يلتزمن من خلال خروجهن من بيوتهن الأدب والاحتشام والمشي الذي يصاحب الوقار والاتزان، فقال - تعالى -: وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِنْ زِينَتِهِنَّ.

أي: ولا يصح للنساء المؤمنات أن يضرين بأرجلهن في الأرض، ليسمعن غيرهن من الرجال أصوات حليهن الداخلية، بقصد التطلع إليهن، والميل نحوهن بالمحادثة أو ما يشبهها. فالمقصود من الجملة الكريمة نهى المرأة المسلمة، عن استعمال أي حركة أو فعل من شأنه إثارة الشهوة والفتنة كالمشية المتكلفة، والتعطر الملفت للنظر، وما إلى ذلك من ألوان التصنع الذي من شأنه تهيج الغرائز الجنسية.

هذا، ومن الأحكام والآداب التي اشتملت عليها هاتان الآيتان ما يأتي:

1 - وجوب غض البصر وحفظ الفرج، لأن الإسلام يهدف إلى مجتمع طاهر من الدنس، نظيف من الخنا، مجتمع لا تمنع فيه الشهوات الحلال وإنما تمنع منه الشهوات الحرام، مجتمع لا تختلس فيه العيون النظرات السيئة ولا تتطلع فيه الأبصار إلى ما لا يحل لها التطلع إليه، فالله - تعالى - يقول:

إِنَّ أَلْسَمَعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولاً

ويقول:

يَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ

وقد وردت أحاديث متعددة في الأمر بغض البصر، وحفظ الفرج، ومن ذلك ما أخرجه الشيخان عن أبي هريرة أن رسول الله قال: كتب على ابن آدم نصيبه من الزنا مدرك ذلك لا محالة، العينان زناهما النظر، والأذنان زناهما الاستماع، واللسان زناه الكلام، واليد زناها البطش، والرجل زناها الخطأ، والقلب يهوى ويتمنى، ويصدق ذلك الفرج أو يكذبه.

وروى الإمام مسلم في صحيحه عن جرير بن عبد الله قال: سألت رسول الله عن نظر الفجأة - أي البغطة من غير قصد - فقال: اصرف بصرك؟

2 - أنه لا يحل للمرأة أن تبدى زينتها لأجانب، إلا ما ظهر منها، لأن الله - تعالى - يقول: وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا.

قال الإمام القرطبي ما ملخصه: أمر الله - تعالى - النساء بالا يبدن زينتهن للناظرين، إلا ما استثناءه من الناظرين في باقي الآية، حذاراً من الافتتان، ثم استثنى ما يظهر من الزينة، واختلف الناس في قدر ذلك. فقال ابن مسعود: طاهر الزينة هو الثياب... وقال سعيد بن جبيرة والأوزاعي: الوجه والكفان والثياب... وقال ابن عباس وقتادة: طاهر الزينة هو الكحل والسوار والخضاب.. ونحو هذا، فمباح أن تبدى لكل من ظهر عليها من الناس.

وقال ابن عطية: ويظهر لي بحكم ألفاظ الآية، بأن المرأة مأمورة بأن لا تبدى، وأن لا تجتهد في الإخفاء لكل ما هو زينة، ووقع الاستثناء فيما يظهر، بحكم ضرورة حركة فيما لا بد منه، أو إصلاح شأن ونحو ذلك، فما ظهر على هذا الوجه مما تؤدي إليه الضرورة في النساء فهو المعفو عنه.

قلت: أي القرطبي -: وهذا قول حسن، إلا أنه لما كان الغالب من الوجه والكفين ظهورهما، عادة وعبادة، صح أن يكون الاستثناء راجعاً إليهما.

يدل على ذلك ما رواه أبو داود عن عائشة، أن أسماء بنت أبي بكر، دخلت على رسول الله وعليها ثياب رقاق، فأعرض عنها وقال: يا أسماء إن المرأة إذا بلغت المحيض لم يصلح أن يرى منها إلا هذا وهذا، وأشار إلى وجهه وكفيه .

وقال بعض علمائنا: إن المرأة إذا كانت جميلة وخيف من وجهها وكفيها الفتنة فعليها ستر ذلك.

هذا، وفي هذه المسألة كلام كثير للعلماء فارجع إليه إن شئت.

وإلى هنا ترى السورة الكريمة قد نهت عن الزنا، ووضعت في طريقه السدود الوقائية والنفسية. حيث حرمت الاختلاط، وأمرت بالاستئذان، وبغض البصر، وبحفظ الفرج، وبعدم التبرج، وبالإكثار من التوبة إلى الله - تعالى - .

فقرات من التفسير

هـ\90\33: 253

سَبَبُ النَّزُولِ: أ - روي عن أنس أن النبي لما تزوّج زينب بنت جحش أولم عليها، فدعا الناس فلما طعموا جلس طوائف منهم يتحدثون في بيت رسول الله وزوجته مولية وجهها إلى الحائط، فثقلوا على رسول الله قال أنس: فما أدري أنا أخبرت النبي أن القوم قد خرجوا أو أخبرني، قال: فانطلق حتى دخل البيت فذهبت أدخل معه فألقى الستر بيني وبينه ونزل الحجاب، ووعظ الناس بما وعظوا به وأنزل الله يأيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوت النبي إلا أن يؤذن لكم..

ب - وقال ابن عباس: كان ناس من المؤمنين يتحيتون طعام النبي فيدخلون قبل أن يدرك الطعام، ويقعدون إلى أن يدرك، ثم يأكلون ولا يخرجون فنزلت.

ج - وعن عائشة أن عمر قال يا رسول الله: إن نساءك يدخلن عليهن البر والفاجر، فلو أمرتهن أن يحتجبن فنزلت آية الحجاب وإذا سألنهم متاعاً فأسألوهن من وراء حجاب ذلكم أطهر لقلوبكم وقلوبهن الآية.

د - عن السدي أن الفساق كانوا يؤذون النساء إذا خرجن بالليل، فإذا رأوا المرأة عليها قناع تركوها وقالوا: هذه حرة، وإذا رأوها بغير قناع قالوا: أمة فآذوها فانزل الله: يأيها النبي قل لأزواجك وبناتك ونساء المؤمنين يدنين عليهن من جلابيبهن.. الآية.

التفسير: ... وإذا سألنهم متاعاً فأسألوهن من وراء حجاب أي وإذا أردتم حاجة من أزواجه الطاهرات فاطلبوه من وراء حاجز وحجاب ذلكم أطهر لقلوبكم وقلوبهن أي سواكم ياهن المتاع من وراء حجاب أزكى لقلوبكم وقلوبهن وأطهر، وأنفى للريبة وسوء الظن وما كان لكم أن تؤذوا رسول الله أي وما ينبغي لكم ولا يليق بكم أن تؤذوا رسولكم الذي هداكم الله به في حياته

هـ\90\33: 359

يأيها النبي قل لأزواجك وبناتك ونساء المؤمنين يدنين عليهن من جلابيبهن أي قل يا محمد لزوجاتك الطاهرات - أمهات المؤمنين - وبناتك الفضليات الكريمات، وسائر نساء المؤمنين، قل لهن بلبس الجلابب الواسع، الذي يستر محاسنهن وزينتهن، ويدفع عنهم السنة السوء، ويميزهن عن صفات نساء الجاهلية، روى الطبري: عن ابن عباس أنه قال في هذه الآية: أمر الله نساء المؤمنين إذا خرجن من بيوتهن في حاجة أن يغطين وجوههن من فوق رؤوسهن بالجلابيب ويبدين عينا واحدة، وروى ابن كثير عن محمد بن سيرين قال: سألت عبيدة السلماني عن قول الله عز وجل يدنين عليهن من جلابيبهن فغطى وجهه ورأسه وأبرز عينه اليسرى ذلك أدنى أن يعرف فلا يؤذين أي ذلك التستر أقرب بأن يعرفن بالعفة والتستر والصيانة، فلا يطمع فيهن أهل السوء والفساد، وقيل: أقرب بأن يعرفن أنهم حرائر، ويتميزن عن الإماء، وكان الله غفورا رحيما أي إنه تعالى غفور لما سلف منهن من تفریط، رحيم بالعباد حيث راعى مصالحهم وشئونهم تلك الجزينات

هـ\102\24: 431

وقل للمؤمنات يغضضن من أبصارهن ويحفظن فروجهن أي وقل أيضاً للمؤمنات يكفنن أبصارهن عن النظر إلى ما لا يحل لهن النظر إليه، ويحفظن فروجهن عن الزنى وعن كشف العورات، قال المفسرون: أكد تعالى الأمر للمؤمنات بغض البصر وحفظ الفروج، وزادهن في التكليف على الرجال بالنهي عن إبداء الزينة إلا للمحارم والأقرباء فقال ولا يبدین زینتهن إلا ما ظهر منها أي ولا يكشفن زينتهن للأجانب إلا ما ظهر منها بدون قصد ولا نية سينة قال ابن كثير: أي لا يظهرن شيئا من الزينة للأجانب إلا ما لا يمكن إخفاؤه، كما قال ابن مسعود: الزينة زينتتان: فزينة لا يراها إلا الزوج: الخاتم والسوار، وزينة يراها الأجانب وهي الظاهر من الثياب، وقيل: المراد به الوجه والكفان فإنهما ليسا بعورة قال البيضاوي: والأظهر أن هذا

¹ <https://goo.gl/PnbLwU>

² <http://goo.gl/C22ehf>

³ <http://goo.gl/AJDPzY>

⁴ <http://goo.gl/kVoyd4>

في الصلاة لا في النظر، فإن كل بدن الحرة عورة لا يحل لغير الزوج والمحرم النظر إلى شيء منها إلا لضرورة كالمعالجة وتحمل الشهادة ولْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَى جُيُوبِهِنَّ أي وليلقين الخمار وهو غطاء الرأس على صدورهن لنلا يبدو شيء من النحر والصدر، وفي لفظ الضرب مبالغة في الصيانة والتستر، عن عائشة أنها قالت: يرحم الله النساء المهاجرات الأول لما أنزل الله ولْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَى جُيُوبِهِنَّ شققن مروطهن فاختمرن بها قال المفسرون: كانت المرأة في الجاهلية - كما هي اليوم في الجاهلية الحديثة - تمر بين الرجال مكشوفة الصدر، بادية النحر، حاسرة الذراعين، وربما أظهرت مفاتن جسمها وذوائب شعرها لتغري الرجال، وكُنَّ يسدن الخُمُر من ورائهن فتبقى صدورهن مكشوفة عارية، فأمرت المؤمنات بأن يلقينها من قدامهن حتى يغطيها ويدفعن عنهن شر الأشرار وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أي ولا يظهرن زينتهن الخفية التي حرم الله كشفها إلا لأزواجهن أو آبائهن أو أبناء بُعُولَتِهِنَّ أي أو لأبائهن أو أبناء أزواجهن وهو العم أبو الزوج فإنهما من المحارم، فإن الأب يصون عرض ابنته، ووالد الزوج يحفظ على ابنه ما يسوءه، ثم عدد بقية المحارم فقال أو أَبْنَانَهُنَّ أو أَبْنَاءَ بُعُولَتِهِنَّ أو إِخْوَانَهُنَّ أو بَنِي إِخْوَانَهُنَّ فذكر تعالى الأبناء، وأبناء الأزواج، والإخوة، وأبناء الإخوة، وأبناء الأخوات وكلهم من المحارم الذين يحرم الزواج بهم لما جبل الله في الطباع من النفرة من مماسة القريبات ونكاحهن أو نساتهن أي المسلمات وخرج بذلك النساء الكافرات قال مجاهد: المراد نساؤهن المسلمات، ليس المشركات من نساتهن، وليس يحل للمرأة المسلمة أن تنكشف بين يدي مشركة وقال ابن عباس: هن المسلمات ولا تبدي زينتها أمام يهودية أو نصرانية أو ما مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ أي من الإماء المشركات قال ابن جرير: يعني من نساء المشركين فيجوز لها أن تظهر زينتها لها وإن كانت مشركة لأنها أمتها أو التَّابِعِينَ غَيْرَ أُولِي الْإِزْبَةِ مِنْ أَلْرَجَالِ أي الخدام غير أولي الميل والشهوة والحاجة إلى النساء كالبله والحمقى والمغفلين الذين لا يدركون من أمور الجنس شيئاً قال مجاهد: هو الأبله الذي يريد الطعام ولا يريد النساء ولا يهमे إلا بطنه أو الطُّفْلَ الَّذِي لَمْ يَطْهَرُوا عَلَى عَوْرَاتِ النِّسَاءِ أي الأطفال الصغار الذين لم يبلغوا حدَّ الشهوة، ولا يعرفون أمور الجماع لصغرهم فلا حرج أن تظهر المرأة زينتها أمامهم وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ من زينتهن أي ولا يضربن بأرجلهن الأرض لنلا يسمع الرجال صوت الخلخال فيطمع الذي في قلبه مرض قال ابن عباس: كانت المرأة تمر بالناس وتضرب برجلها ليسمع صوت خلخالها، فنهى الله تعالى عن ذلك لأنه من عمل الشيطان وتَوَبَّوْا إِلَى اللَّهِ جَمِيعاً أَيُّهُ الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ أي ارجعوا أيها المؤمنون إلى ربكم بامتثال الطاعات، والكف عن الشهوات، لتتألفوا رضاه وتفوزوا بسعادة الدارين.

فقرات من التفسير

هـ-33\90: 253

من آداب الوليمة

التحليل اللفظي

حَجَاب: أي ساتر يستتره عن النظر، قال في اللسان: حجب الشيء يحجبه أي ستره، وقد احتجب واحتجّب إذا اكتنّ من وراء حجاب، وامرأة محجوبة قد سترت بستر، والحجاب: اسم ما احتجب به، وكل ما حال بين شيئين فهو حجاب. قال تعالى:

وَمَنْ يَبْتَئِنَّا وَيَبْتَئِنَّا حَجَابٌ فَصَلت: 5.

ومعنى الآية: إذا سألتموهن شيئاً مما يستمتع به وينتفع فاسألوهن من وراء ستر وحجاب. أَطْهَرُ: أي أسلم وأنقى، أفعل تفضيل من الطهارة بمعنى النزاهة والنقاء، والمعنى: سؤالكم للنساء من وراء حجاب أكثر نقاءً وتنزيهاً لقلوبكم وقلوبهن من الهواجس والخواطر التي تتولد فيها عند اختلاط الرجال بالنساء، وأبعد عن الريبة وسوء الظن.

المعنى الإجمالي

أمر الله سبحانه عباده المؤمنين أن يتأدبوا بالآداب الإسلامية الكريمة، ويتمسكوا بما شرعه لهم من التوجيهات والإرشادات الحكيمة، التي بها صلاح دينهم ودنياهم، وخاصة مع النبي، فمقام النبوة لا يعادله مقام، وإيذاء النبي - سواء كان بالقول أو الفعل - من أعظم الكبائر عند الله، وقد ألزمتنا سبحانه بتلك الآداب الفاضلة، وأمرنا بالتمسك بها، حتى يتحقق المجتمع الفاضل الذي ينشده الإسلام، وقد تضمنت هذه الآيات الكريمة أمرين هامين:

الأول: الأدب في أمر الطعام والاستئذان ودخول البيوت أدب الوليمة.

الثاني: الأدب في مخاطبة النساء، وعدم الاختلاط بهن أو الخلوة أدب الحجاب الشرعي.

يقول الله جل ثناؤه ما معناه: يا أيها المؤمنون لا تدخلوا بيوت النبي إلا بعد الإذن، ولا تترقبوا أوقات الطعام فتدخلوا عليه فيها، أو تنتظروا أن يحين وقت نضج الطعام فتستأذنوا عليه في الدخول، إلا إذا كنتم مدعوين إلى وليمة قد أعدّها لكم رسول الله، ومع ذلك إذا دعيتم وطعمتم فاخرجوا وتفرقوا ولا تنقلوا على الرسول الكريم بالجلوس بعد الطعام، فإن حيائه يمنعه أن يأمركم بالانصراف، أو يظهر لكم الامتعاض من جلوسكم في بيته، فهو ذو الخلق الرفيع، والقلب الرحيم، لا يصدر منه إلا ما يسركم، فلا يليق بكم أن تنقلوا عليه، أو تؤذوه في نفسه أو أهله، وإذا أردتم حاجة من أزواجه الطاهرات، فاسألوهن من وراء حاجز وحجاب، لأن ذلك أزكى لقلوبكم وقلوبهن، وأنفى للريبة، وأبعد عن التهمة، وأظهر لبيت النبوة.

سبب النزول

... بالنسبة لمشروعية الحجاب فقد كان سبب النزول ما روي في الصحيح عن عمر بن الخطاب أنه قال: قلت يا رسول الله إن نساءك يدخل عليهن البر والفاجر، فلو أمرت أمهات المؤمنين أن يحتجبن فنزلت آية الحجاب: وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعًا فَاسْأَلُوهُنَّ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ آية. وهذه إحدى الموافقات الثلاثة التي نزل القرآن الكريم فيها موافقاً لرأي عمر.

وقد روي عن عمر أنه قال: وافقت ربي في ثلاث: قلت يا رسول الله لو اتخذت من مقام إبراهيم مصلى؟ فنزل:

وَأَتَّخِذُوا مِنْ مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى الْبَقرة: 125 وفي الحجاب فنزلت آية الحجاب واجتمع نساء النبي في الغيرة فقلت: عسى ربه إن طلقكن أن يبدله أزواجاً خيراً منكن فنزلت كذلك.

وقد ذكرت روايات أخرى في أسباب النزول ولكنها كما قال ابن العربي كلها ضعيفة واهية ما عدا الذي ذكرنا.

¹ <https://goo.gl/PnbLwU>

² <http://goo.gl/qB78hh>

الحكم الثالث: هل الأمر بالحجاب خاص بأزواج النبي أم هو عام؟
الآيات الكريمة وردت في شأن بيوت النبي خاصة، تعظيماً لرسول الله، وتكريماً لشأنه، ولكن الأحكام التي فيها عامة تعم جميع المؤمنين، لأنها آداب اجتماعية، وإرشادات إلهية، يستوي فيها جميع الناس، فالأمر بعدم الاختلاط بالنساء، وبسؤالهن من وراء حجاب، ليس قاصراً على أزواج الرسول، ولكنه عام يشمل جميع نساء المؤمنين، فإذا كان نساء الرسول لا يجوز الاختلاط بهن، ولا النظر إليهن، مع أنهن أمهات المؤمنين يحرم الزواج بهن، ولا يجوز سؤالهن إلا من وراء حجاب، فلا شك أن الاختلاط بغيرهن من النساء، أو التحدث إليهن بدون حجاب، يكون حراماً من باب أولى، لأن الفتنة بالنساء متحققة.
ثم إن أمر الحجاب ليس خاصاً بأزواج الرسول، بل هو عام لجميع نساء المؤمنين، بدليل قوله تعالى في آخر السورة

يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِّأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِنْ جَلَابِيبِهِنَّ الْأَحْزَاب: 59.
فهل خرجت مؤمنة من هذا الخطاب؟ وهل أمر الحجاب خاص بنساء الرسول حتى يزعم بعض المضللين، أن الحجاب مفروض على نساء الرسول خاصة دون سائر النساء؟!
وستنحدث بالتفصيل إن شاء الله عن هذا الموضوع عند بحث الحجاب الشرعي ونبين تلك المزاعم الواهية التي احتج بها بعض المتحليلين، ونبطلها بالحجج الدامغة، فارجع إليها هناك والله يتولأك.

ما ترشد إليه الآيات الكريمة

- 1- النهي عن دخول بيوت الرسول بغير إذن، وبدون سابق دعوة.
- 2- لا ينبغي الحضور قبل نضج الطعام، ولا المكث بعد تناول طعام الوليمة.
- 3- وجوب احترام الرسول وتعظيمه، وأمثال أو امره وتقديم طاعته على كل شيء.
- 4- حرمة إيذاء الرسول بالأقوال أو الأفعال، والتأدب معه في جميع الأحوال.
- 5- حرمة نكاح أمهات المؤمنين من بعد وفاته لأنهن أزواج رسول الله.
- 6- خلق الرسول الرفيع يمنعه من أمر الناس بالخروج من منزله فينبغي عدم الانتقال عليه.
- 7- نساء الرسول هن القدوة والأسوة الحسنة لسائر النساء فينبغي مخاطبتهن من وراء حجاب.
- 8- في عدم الاختلاط بالنساء صفاء النفس، وسلامة القلب، ونقاء السريرة، والبعد عن مظان التهم.
- 9- الآداب التي أرشد إليها القرآن ينبغي التمسك بها وتطبيقها تطبيقاً كاملاً.

هــ 90\33: 159

7 حجاب المرأة المسلمة

التحليل اللفظي

لأَزْوَاجِكَ: المراد بكلمة الأزواج أمهات المؤمنين الطاهرات رضوان الله عليهن، ولفظ الزوج في اللغة يطلق على الذكر والأنثى، قال تعالى:

أَسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ الْبَقْرَة: 35،

وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا الْأَعْرَاف: 189.

وإطلاق لفظ الزوجة صحيح ولكنه خلاف الأفصح. وأنكر الأصمعي لفظ زوجة بالهاء، وقال: هي زوج لا غير، واحتج بأنه لم يرد في القرآن إلا بدون هاء

أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ الْأَحْزَاب: 37 والصحيح أنه خلاف الأفصح وليس بخطأ قال الفرزدق:

وإن الذي يسعى يحرس زوجتي

وفي حديث عمار بن ياسر قوله عن السيدة عائشة والله إني لأعلم أنها زوجة نبيكم في الدنيا والآخرة، ولكن الله ابتلاكم بها ليعلم تطيعونه أو تطيعونها.

يُذَنَّبِينَ: أي يسدلن ويرخين. وأصل الإنداء التقريب، يقال للمرأة إذا زلَّ الثوب عن وجهها: أدني ثوبك على وجهك، والمراد في الآية الكريمة: يغطين وجوههن وأبدانهن ليميزن عن الإماء والقينات، ولما كان متضمناً معنى الإرخاء والسدل عدّي يذَنَّبُ عليهنَّ.

جَلْبِيهِنَّ: جمع جلباب، وهو الثوب الذي يستر جميع البدن، قال الشهاب: هو إزار يلتحف به، وقيل: هو الملحفة وكل ما يغطي سائر البدن.

قال في لسان العرب: الجلباب ثوب أوسع من الخمار، دون الرداء، تغطي به المرأة رأسها وصدرها، وقيل: هو الملحفة، قالت امرأة من هذيل ترثي قتيلاً لها:

تمشي السُّور إليه وهي لاهية مشي العذارى عليهنَّ الجلابيبُ

وقيل جلباب المرأة: ملاعتها التي تشتمل بها، واحدها جلباب، والجماعة جلابيب، وأنشدوا:

مُجَلَّبٌ من سواد الليل جلباباً

وفي الجلايين: الجلابيب جمع جلباب، وهي الملاعة التي تشتمل بها المرأة.

قال ابن عباس: أمر نساء المؤمنين أن يغطين رؤوسهن وجوههن بالجلابيب، إلا عيناً واحدة ليُعْلَمَ أنهنَّ حرائر.

والخلاصة: فإن الجلباب هو الذي يستر جميع بدن المرأة، وهو يشبه الملاعة الملحفة المعروفة في زماننا، نسأله تعالى السر والسلامة.

أَدْنَى: أفعّل تفضيل بمعنى أقرب، من الدَنَوِ بمعنى القرب، يقال: أدناني منه أي قَرَّبني منه، وقوله تعالى: فُطِّمَتْ ذَاتِيهَا ذَاتِيهَا الحاقة: 23 أي قريبة المنال، وتأتي كلمة أدنى بمعنى أقل، وقد جُمع المعنيان في قول الشاعر:

لولا العقول لكان أدنى ضيغم أدنى إلى شرف من الإنسان

غُفُوراً: أي سائراً للذنوب، ماحياً للآثام، يغفر لمن تاب وأناب ما فرط منه

وإني لغَفَّارٌ لِمَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحاً ثُمَّ اهْتَدَى طه: 82.

رَحِيماً: يرحم عباده، ويلطف بهم، ومن رحمته تعالى أنه لم يكلفهم ما لا يطيقون.

المعنى الإجمالي

يأمر الله تعالى نبيه الكريم، أن يوجه النداء إلى الأمة الإسلامية جمعاء، بأن تعمل على التمسك بأداب الإسلام، وإرشاداته الفاضلة، ونظمه الحكيم، التي بها صلاح الفرد وسعادة المجتمع، وخاصة في أمر اجتماعي هام، يتعلق بالأسرة المسلمة، ألا وهو الحجاب الشرعي الذي فرضه الله على المرأة المسلمة، ليصون لها كرامتها، ويحفظ عليها عفافها، ويحميها من النظرات الجارحة، والكلمات اللاذعة، والنفوس المريضة، والنوايا الخبيثة، التي يَكْنُها الفساق من الرجال للنساء غير المحتشمت، فيقول الله تعالى ما معناه.

يا أيها النبي بلغ أوامر الله إلى عباده المؤمنين، وابدأ بنفسك فمر زوجاتك أمهات المؤمنين الطاهرات، وبناتك الفضليات الكريمات أن يرتدين الجلباب الشرعي، وأن يحتجبين عن أنظار الرجال، ليكن قدوة لسائر النساء، في التعفف، والتستر، والاحتشام، حتى لا يطمع فيهن فاسق، أو ينال من كرامتهن فاجر، وأمر سائر نساء المؤمنين، أن يلبسن الجلباب السايغ، الذي يستر محاسنهن وزينتهن، ويدفع عنهن السنة السوء، وأمرهن كذلك أن يغطين وجوههن وأجسامهن بجلابيبهن، ليميزن عن الإماء والقينات، فلا يكن هدفاً للمغرضين، وليكن بعيدات عن التشبه بالفواجر، فلا يتعرض لهن إنسان بسوء، فذلك أقرب إلى أن يعرفن بالعفة والتصون، فلا يطمع فيهن من في قلبه مرض، وَكَانَ اللَّهُ غُفُوراً يَغْفِرُ لِمَن ائْتَمَلَ أمره، رَحِيماً بعباده حيث لا يشرع لهم إلا ما فيه خيرهم وسعادتهم في الدنيا والآخرة.

سبب النزول

روى المفسرون في سبب نزول هذه الآية الكريمة، أنَّ الحرة والأمة كانتا تخرجان ليلاً لقضاء الحاجة في الغيطان، وبين النخيل، من غير تمييز بين الحرائر والإماء، وكان في المدينة فساق، لا يزالون على عادتهم في الجاهلية يتعرضون للإماء، وربما تعرضوا للحرائر، فإذا قيل لهن يقولون: حسبناهنَّ إماءً. فأمرت الحرائر أن يخالفن الإماء في الزي فيتسترن ليحتشمن ويُهَيَّنَّ فلا يطمع فيهن ذوو القلوب المريضة، فأنزل الله يَأْيُهَا النَّبِيُّ قُلْ لَأَرْوُجَك... الآية.

وقال ابن الجوزي: سبب نزولها أن الفساق كانوا يوذون النساء إذا خرجن بالليل، فإذا رَأوا المرأة عليها قناع تركوها وقالوا: هذه حرة، وإذا رَأوها بغير قناع قالوا: أمة، فأذوها، فنزلت هذه الآية: قاله السدي.

وجوه الإعراب

1 - قوله تعالى: يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ... أَي: منادى، والهاء للتنبيه، وَالنَّبِيُّ صفة لـ أَي قال ابن مالك: وأَيُّها مصحوب آل بعد صفة.

2 - قوله تعالى: قُلْ لَأَزُوجُكُمْ... قُلْ: أمر، وَيُذْنِبْنَ مضارع مبني على السكون لاتصاله بنون النسوة، وجملة يُذْنِبْنَ عَلَيْهِمْ مقول القول في محل جزم جواب الطلب.

3 - قوله تعالى: ذَلِكَ أَذْنَى أَنْ يُعْرِفَنَّ أَي بَأْنَ يُعْرِفَنَّ مجرور بحرف جر محذوف، واسم الإشارة مبتدأ، وما بعده خبر، والتقدير: ذلك أقرب بمعرفتهنَّ أَنَّهُنَّ حرائر، والله أعلم.

لطائف التفسير

اللطيفة الأولى: بدأ الله تعالى بنساء الرسول وبناته في الأمر بالحجاب الشرعي وذلك للإشارة إلى أَنَّهُنَّ قدوة لبقية النساء فعليهن التمسك بالأداب الشرعية ليقتدي بهنَّ سائر النساء، والدعوة لا تثمر إلا إذا بدأ الداعي بها في نفسه وأهله، ومن أحقَّ من بيت النبوة بالتمسك بالأداب والفضائل؟ وهذا هو السرُّ في تقديمهنَّ في الخطاب في قوله تعالى: قُلْ لَأَزُوجُكُمْ وَبَنَاتُكُمْ.

اللطيفة الثانية: الأمر بالحجاب إنما جاء بعد أن استقرَّ أمر الشريعة على وجوب ستر العورة، فلا بدَّ أن يكون الستر المأمور به هنا زائداً على ما يجب من ستر العورة، ولهذا اتفقت عبارات المفسرين على - اختلاف ألفاظها - على أن المراد بالجلباب: الرداء الذي تستر به المرأة جميع بدنها فوق الثياب، وهو ما يسمَّى في زماننا بالملاءة أي الملحفة، وليس المراد ستر العورة كما ظنَّ بعض الناس.

اللطيفة الثالثة: في هذا التفصيل والتوضيح أزواجك، بناتك، نساء المؤمنين ردَّ صريح على الذين يزعمون أن الحجاب إنما فرض على أزواج النبي خاصة، فإنَّ قوله تعالى وَنِسَاءَ الْمُؤْمِنِينَ يدل دلالة قاطعة على أنَّ جميع نساء المؤمنين مكلفات بالحجاب، وأنهن داخلات في هذا الخطاب العام الشامل، فكيف يزعمون أن الحجاب لم يفرض على المرأة المسلمة؟!

اللطيفة الرابعة: أمر الحرائر بالتستر لِيُمَيَّزْنَ عن الإماء، قد يفهم منه أنَّ الشارع أهمل أمر الإماء، ولم يبال بما ينالهن من الإيذاء، وتعرَّضَ الفساق لهن، فكيف يتفق هذا مع حرص الإسلام على طهارة المجتمع؟ والجواب: أنَّ الإماء بطبيعة عملهن، يكثر خروجهنَّ وتردَّدهن في الأسواق، لقضاء الحاجات وخدمة سادتهن، فإذا كُلفن بلبس الجلباب السابغ كلاً خرجن، كان في ذلك حرج ومشقة عليهن، وليس كذلك الحرائر لأنهن مأمورات بالاستقرار في البيوت

وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ الأحزاب: 33 وعدم الخروج إلا عند الحاجة، فلم يكن عليهن من الحرج والمشقة في التستر ما على الإماء، وقد وردت الآية السابقة

وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ الْأَحْزَاب: 58 وهي تتوعد المؤذنين بالعذاب الأليم، وهذا يشمل الحرائر والإماء.

اللطيفة الخامسة: قوله تعالى: ذَلِكَ أَذْنَى أَنْ يُعْرِفَنَّ فَلَا يُؤْذِنَنَّ فيه ذكر لليلة أي الحكمة التي فُرض من أجلها الحجاب، والأحكام الشرعية كلها مشروعة لحكمة وجمهور المفسرين على أن المراد من قوله تعالى: أَنْ يُعْرِفَنَّ أي يعرفنَّ أَنَّهُنَّ حرائر ويميزن عن الإماء.

وقد اختار أبو حيان وجهاً آخر غير الوجه الذي سلكه الجمهور، فجعل الأمر بالحجاب موجهاً إلى جميع النساء، سواء منهن الحرائر والإماء وفسر قوله تعالى: أَذْنَى أَنْ يُعْرِفَنَّ أي يعرفنَّ بالعفة والتستر والصيانة، فلا يطمع فيهنَّ أهل السوء والفساد، وإليك نص كلامه كما في البحر المحيط :

والظاهر أن قوله تعالى: وَنِسَاءَ الْمُؤْمِنِينَ يشمل الحرائر والإماء، والفتنة بالإماء أكثر لكثرة تصرفهنَّ بخلاف الحرائر، فيحتاج إخراجهن من عموم النساء إلى دليل واضح. وقوله: أَذْنَى أَنْ يُعْرِفَنَّ أي يعرفنَّ لتسترهنَّ بالعفة فلا يُتعرض لهن، ولا يلقين بما يكرهن، لأنَّ المرأة إذا كانت في غاية التستر والانضمام لم يقدم عليها، بخلاف المتبرجة فإنها مطموع فيها.

وهو رأي تبدو عليه مخايل الجودة، والدقة في الاستنباط.

وما اختاره أبو حيان هو الذي نختاره لأنه يحقق غرض الإسلام في التستر والصيانة والله أعلم.

الأحكام الشرعية

الحكم الأول: هل يجب الحجاب على جميع النساء؟

يدل ظاهر الآية الكريمة على أنَّ الحجاب مفروض على جميع المؤمنات المكلفات شرعاً وهنَّ: المسلمات، الحرائر، البالغات لقوله تعالى: يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لَأَزُوجُكُمْ وَبَنَاتُكُمْ وَنِسَاءَ الْمُؤْمِنِينَ... الآية.

فلا يجب الحجاب على الكافرة لأنها لا تكلف بفروع الإسلام، وقد أمرنا أن نتركهم وما يدينون، ولأن الحجاب عبادة لما فيه من امتثال أمر الله عز وجل، فهو بالنسبة للمسلمة كفر بوضحة الصلاة والصيام، فإذا تركته المسلمة جحوداً فهي كافرة مرتدة عن الإسلام، وإذا تركته - تقليداً للمجتمع الفاسد - مع اعتقادها بفرضيته فهي عاصية مخالفة لتعاليم القرآن

وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى الْأَحْزَاب: 33.

وغير المسلمة - وإن لم تؤمر بالحجاب - لكنّها لا تُترك تفسد في المجتمع، وتتعرّى أمام الرجل، وتخرج بهذه الميوعة والانحلال الذي نراه في زماننا، فإنّ هناك آداباً اجتماعية يجب أن تُراعى، وتطبّق على الجميع، وتستوي فيها المسلمة وغير المسلمة حماية للمجتمع، وذلك من السياسات الشرعية التي تجب على الحاكم المسلم.

وأما الإماء فقد عرفت ما فيه من أقوال للعلماء، وقد ترجّح لديك رأي العلامة أبي حيّان: في أنّ الأمر بالستر عام يشمل الحرائر والإماء، وهذا ما يتفق مع روح الشريعة في صيانة الأعراض، وحماية المجتمع، من التفسخ والانحلال الخلقي، وأما البلوغ فهو شرط التكليف كما تقدم.

أقول: يطلب من المسلم أن يعود بناته منذ سنّ العاشرة على ارتداء الحجاب الشرعي حتى لا يصعب عليهن بعد ارتدّاه، وإن لم يكن الأمر على وجه التكليف وإنما هو على وجه التأديب قياساً على أمر الصلاة مروا أولادكم بالصلاة وهم أبناء سبع، واضربوهم عليها وهم أبناء عشر، وفرقوا بينهم في المضاجع.

الحكم الثاني: ما هي كيفية الحجاب؟

أمر الله المؤمنات بالحجاب وارتداء الجلباب صيانة لهنّ وحفظاً، وقد اختلف أهل التأويل في كيفية هذا التستر على أقوال:

أ - فأخرج ابن جرير الطبري عن ابن سيرين أنه قال: سألت عبيدة السلماني عن هذه الآية يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِنْ جَلْبِيهِنَّ فرفع ملحفة كانت عليه فتقّعت بها، وغطّى رأسه كلّها حتى بلغ الحاجبين، وغطّى وجهه وأخرج عينه اليسرى من شقّ وجهه الأيسر.

ب - وروى ابن جرير وأبو حيّان عن ابن عباس أنه قال: تلوي الجلباب فوق الجبين، وتشده ثم تعطفه على الأنف، وإن ظهرت عيناها، لكنّه يستر الصدر ومعظم الوجه.

ج - وروى عن السدي في كفيته أنه قال: تغطّي إحدى عينيها وجهتها، والشقّ الآخر إلا العين. قال أبو حيّان: وكذا عادة بلاد الأندلس لا يظهر من المرأة إلا عيناها الواحدة.

د - وأخرج عبد الرزاق وجماعة عن أم سلمة أنها قالت: لما نزلت هذه الآية يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِنْ جَلْبِيهِنَّ خرج نساء الأنصار كأنّ على رؤوسهنّ الغربان من أكسية سود يلبسها.

الحكم الثالث: هل يجب على المرأة ستر وجهها؟

تقدّم معنا في سورة النور أنّ المرأة منهيّة عن إبداء زينتها إلا للمحارم ولا يُدْنِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ آبَائِهِنَّ.. النور: 31 الآية ولما كان الوجه أصل الزينة، ومصدر الجمال والفتنة، لذلك كان ستره ضرورياً عن الأجانب، والذين قالوا إن الوجه ليس بعورة اشترطوا ألا يكون عليه شيء من الزينة كالأصباغ والمساحيق التي توضع عادة للتجمل، وبشرط أمن الفتنة، فإذا لم تؤمن الفتنة فيحرم كشفه.

ومما لا شك فيه أن الفتنة في هذا الزمان غير مأمونة، لذا نرى وجوب ستر الوجه حفاظاً على كرامة المسلمة، وقد ذكرنا بعض الحجج الشرعية على وجوب ستره في بحث بدعة كشف الوجه من سورة النور، ونزيد هنا بعض أقوال المفسرين في وجوب ستر الوجه.

طائفة من أقوال المفسرين في وجوب ستر الوجه

أولاً: قال ابن الجوزي في قوله تعالى: يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِنْ جَلْبِيهِنَّ أي يغطّين رؤوسهنّ ووجوههنّ ليعلم أنهن حرائر، والمراد بالجلابيب: الأردية قاله ابن قتيبة.

ثانياً: وقال أبو حيّان في البحر المحيط: وقوله تعالى: يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِنْ جَلْبِيهِنَّ شامل لجميع أجسادهن، أو المراد بقوله عَلَيْهِنَّ أي على وجوههنّ، لأنّ الذي كان يبدو منهنّ في الجاهلية هو الوجه.

ثالثاً: وقال أبو السعود: الجلباب: ثوب أوسع من الخمار ودون الرداء، تلويه المرأة على رأسها وتبقي منه ما ترسله على صدرها، ومعنى الآية: أي يغطّين بها وجوههنّ وأبدانهنّ إذا برزن لداعية من الدواعي.

وعن السدي: تغطّي إحدى عينيها وجهتها والشقّ الآخر إلا العين.

رابعاً: وقال أبو بكر الرازي: وفي هذه الآية يُدْنِيَنَّ عَلَيَّهِنَّ من جَلْبِيهِنَّ دلالة على أَنَّ المرأة الشابة مأمورة بستر وجهها عن الأجانبين. وإظهار الستر والعفاف عند الخروج لنلا يطمع فيهن أهل الرب.

خامساً: وفي تفسير الجلالين: الجلابيب جمع جلباب، وهي الملاعة التي تشتمل بها المرأة، قال ابن عباس: أمر نساء المؤمنين أن يغطين رؤوسهن ووجوههن بالجلابيب إلا عيناً واحدة ليعلم أنهن حرائر.

سادساً: وفي تفسير الطبري: عن ابن سيرين أنه قال: سألت عبيدة السلماني عن قوله تعالى: يُدْنِيَنَّ عَلَيَّهِنَّ من جَلْبِيهِنَّ فرفع ملحفة كانت عليه فتقّعت بها وغطّى رأسه كله حتى بلغ الحاجبين، وغطّى وجهه وأخرج عينه اليسرى من شق وجهه الأيسر، وروي مثل ذلك عن ابن عباس وقد تقدّم الحديث سابقاً.

فهذا وأمثاله كثير من أقوال مشاهير المفسرين، يدل دلالة واضحة على وجوب ستر الوجه وعدم كشفه أمام الأجانب، اللهم إلا إذا كان الرجل خاطباً، أو كانت المرأة في حالة إحرام بالحج، فإنه وقت عبادة والفتنة مأمونة، فلا يماس على هذه الحالة كما يفعل بعض الجهلة اليوم، حيث يقولون: إذا جاز لها أن تكشف عن وجهها في حالة الإحرام فمعناه أنه يجوز لها أن تكشف في غيره من الأوقات لأن الوجه ليس بعورة، فهذا كلام من لم يفقه شريعة الإسلام.

ومن درس حياة السلف الصالح، وما كان عليه النساء الفضليات - نساء الصحابة والتابعين - وما كان عليه المجتمع الإسلامي في عصره الذهبي من التستر، والتحفظ، والصيانة عرف خطأ هذا الفريق من الناس، الذين يزعمون أن الوجه لا يجب ستره بل يجب كشفه، ويدعون المرأة المسلمة أن تسفر عن وجهها بحجة أنه ليس بعورة، لأجل أن يتخلصوا من الإثم - بزعمهم - في كتم العلم، وما دروا أنها مكيدة دبّرها لهم أعداء الدين، وفتنة من أجل التدرج بالمرأة المسلمة إلى التخلص من الحجاب الشرعي، الذي عمل له الأعداء زمناً طويلاً، وإنا لله وإنا إليه راجعون.

الحكم الرابع: ما هي شروط الحجاب الشرعي؟

يشترط في الحجاب الشرعي بعض الشروط الضرورية وهي كالآتي:

أولاً: أن يكون الحجاب ساتراً لجميع البدن لقوله تعالى: يُدْنِيَنَّ عَلَيَّهِنَّ من جَلْبِيهِنَّ. وقد عرفت معنى الجلابيب وهو الثوب السابغ الذي يستر البدن كله، ومعنى الإدناء وهو الإرخاء والسدل فيكون الحجاب الشرعي ما ستر جميع البدن.

ثانياً: أن يكون كثيفاً غير رقيق، لأن الغرض من الحجاب الستّر، فإذا لم يكن ساتراً لا يسمّى حجاباً لأنه لا يمنع الرؤية ولا يحجب النظر، وفي حديث عائشة أنّ أسماء بنت أبي بكر دخلت على رسول الله وعليها ثياب رقاق، فأعرض عنها رسول الله... الحديث.

ثالثاً: ألا يكون زينة في نفسه، أو مبهرجاً ذا ألوان جذابة يلفت الأنظار لقوله تعالى:

وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا... النور: 31 الآية ومعنى ما ظَهَرَ مِنْهَا أي بدون قصد ولا تعمّد، فإذا كان في ذاته زينة فلا يجوز ارتداؤه، ولا يسمى حجاباً لأن الحجاب هو الذي يمنع ظهور الزينة للأجانب.

رابعاً: أن يكون فضفاضاً غير ضيق، لا يشف عن البدن، ولا يجسّم العورة، ولا يظهر أماكن الفتنة في الجسم، وفي صحيح مسلم عن رسول الله أنه قال: صنفان من أهل النار لم أرهما: قومٌ معهم سياط كأذناب البقر يضربون بها الناس، ونساءٌ كاسيات عاريات، مميلات مائلات، رؤوسهن كأسنمة البخت المائلة، لا يدخلن الجنة ولا يجدن ريحها وإن ريحها ليوجد من مسيرة كذا وكذا.

وفي رواية أخرى: وإن ريحها ليوجد من مسيرة خمسمائة عام. رواه مسلم.

ومعنى قوله عليه السلام: كاسيات عاريات أي كاسيات في الصورة عاريات في الحقيقة، لأنهن يلبسن ملابس لا تستر جسداً، ولا تخفي عورة، والغرض من اللباس الستّر، فإذا لم يستر اللباس كان صاحبه عارياً.

ومعنى قوله: مميلات مائلات أي مميلات لقلوب الرجال مائلات في مشيتهن، يتبخترن بقصد الفتنة والإغراء، ومعنى قوله: كاسنمة البخت المائلة، رؤوسهن كأسنمة البخت المائلة، لا وهذا من معجزاته عليه السلام.

خامساً: ألا يكون الثوب معطراً فيه إثارة للرجال لقوله عليه الصلاة والسلام: كلّ عيني نظرت زانية، وإن المرأة إذا استعطرت فمرت بالمجلس فهي كذا وكذا يعني زانية.

وفي رواية إن المرأة استعطرت فمرت على القوم ليجدوا ريحها فهي زانية.

وعن موسى بن يسار قال: مرت بأبي هريرة امرأة وريحها تعصف فقال لها: أين تريد يا أمة الجبار؟ قالت: إلى المسجد، قال: وتطيبت؟ قالت: نعم، قال: فارجعي فاغتسلي فإني سمعت رسول الله يقول: لا يقبل الله من امرأة صلاة، خرجت إلى المسجد وريحها تعصف حتى ترجع وتغتسل.

سادساً: ألا يكون الثوب فيه تشبه بالرجال، أو ممّا يلبسه الرجال لحديث أبي هريرة: لعن النبي الرجل يلبس لبسة المرأة، والمرأة تلبس لبسة الرجل. وفي الحديث لعن الله المخنثين من الرجال، والمترجلات من النساء أي المتشبهات بالرجال في أزيائهن وأشكالهن كبعض نساء هذا الزمان نسأله تعالى السلامة والحفظ. ما ترشد إليه الآيات الكريمة

- 1 الحجاب مفروض على جميع نساء المؤمنين وهو واجب شرعي محتم.
- 2 بنات الرسول ونساؤه الطاهرات هنّ الأسوة والقوة لسائر النساء.
- 3 الجلباب الشرعي يجب أن يكون ساتراً للزينة والثياب ولجميع البدن.
- 4 الحجاب لم يفرض على المسلمة تضيقاً عليها، وإنما تشريعاً لها وتكريماً.
- 5 في ارتداء الحجاب الشرعي صيانة للمرأة، وحماية للمجتمع من ظهور الفساد، وانتشار الفاحشة.
- 6 على المسلمة أن تتمسك بأوامر الله، وتتأدب بالآداب الاجتماعية التي فرضها الإسلام.
- 7 الله رحيم بعباده يشرع لهم من الأحكام ما فيه خيرهم وسعادتهم في الدارين.

حكمة التشريع

قد يظن بعض الجهلة أن الحجاب لم يفرضه الإسلام على المرأة المسلمة وأنه من العادات والتقاليد التي ظهرت في العصر العباسي، وهذا الظن ليس له نصيب من الصحة وهو إن دل فإنما يدل على أحد أمرين:

أ - أما الجهل الفاضح بالإسلام وبكتاب الله المبين.

ب - وإما الغرض الدفين في قلوب أولئك المتحللين.

وأحب أن أكشف الستار لتوضيح الحقيقة حتى لا يلتبس الحق بالباطل ولا يختلط الخبيث بالطيب، وحتى يظهر الصبح لذي عينين.

فما أكثر هؤلاء المضللين في هذا الزمان الذين يزعمون أنهم أرباب المدنية ودعاة التقدمية!! وما أشد خطرهم على الأخلاق والمجتمع لأنهم يفسدون باسم الإصلاح ويهدمون باسم البناء، ويدجلون باسم الثقافة والعلم،

ويزعمون أنهم مصلحون.

النصوص الواردة في الحجاب

- 1 يقول الله سبحانه:

وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى الْأَحْزَاب: 33 الآية.

- 2 ويقول جلّ شأنه:

وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعًا فَاسْأَلُوهُنَّ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ الْأَحْزَاب: 53 الآية.

- 3 ويقول سبحانه مخاطباً نبيه العظيم: يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لَأَرْوِّجُكَ وَنِسَاءَ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِنْ

جَلْبَابِهِنَّ ذَلِكَ أَدْنَى أَنْ يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَ وَكَانَ اللَّهُ غَفُوراً رَحِيماً الآية.

- 4 ويقول سبحانه أيضاً:

وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَحْضُرْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُؤْدِنَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَلْيَضْرِبْنَ

بُخُمُرَهُنَّ عَلَى جُنُوبِهِنَّ وَلَا يُؤْدِنَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ النور: 31 الآية.

فمن هذه النصوص الكريمة نعلم أن الحجاب مفروض على المرأة المسلمة بنصوص في كتاب الله قطعية الدلالة، وليس كما يزعم المتحللون أنه من العادات والتقاليد التي أوجبها العصر العباسي... الخ فإن حبل

الكذب قصير.

ومن خلال هذه الآيات الكريمة نلمح أن الإسلام إنما قصد من وراء فرض الحجاب أن يقطع طرق الشبهات

ونزغات الشيطان أن تطوف بقلوب الرجال والنساء وفي ذلك يقول الله سبحانه:

ذَلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ الْأَحْزَاب: 53 وهدفه الأول إنما هو صون الشرف والمحافظة على العفة والكرامة ولا ننسى أن هناك كثيراً من ضعفاء القلوب ومرضى الضمائر يتربصون بالمرأة السوء ليهتكوا

عنها ستر الفضيلة والعفاف.

ولا يشك عاقل أن تهتك النساء وخلاعتهم هو الذي أحدث ما يسمونه أزمة الزواج ذلك لأن كثيراً من الشباب

قد أحجموا عن الزواج لأنهم أصبحوا يجدون الطريق معبداً لإشباع غرائزهم من غير تعب ولا نصب، فهم

في غنى عن الزواج، وهذا بلا شك يعرض البلاد إلى الخراب والدمار، وينذر بكارثة لا تبقي ولا تذر، وليس

انتشار الخيانات الزوجية وخراب البيوت إلا أثراً من آثار هذا التبرج الذميمة.

يقول سيد سابق في كتابه فقه السنة :

إن أهم ما يميّز به الإنسان عن الحيوان اتخاذ الملابس، وأدوات الزينة، يقول الله تعالى:

يُنَبِّئُ عَادَمَ قَدْ أَنْزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا يُؤَارِي سَوَاءَكُمْ وَرِيشًا وَلِبَاسُ التَّقْوَى ذَلِكَ خَيْرٌ الْأَعْرَاف: 26.

والملايس والزينة هما مظهران من مظاهر المدنية والحضارة، والتجردُ عنهما إنما هو ردة إلى الحيوانية، وعودة إلى الحياة البدائية، وإن أعز ما تملكه المرأة الشرف، والحياء، والعفاف، والمحافظة على هذه الفضائل محافظة على إنسانية المرأة في أسوأ صورها، وليس من صالح المرأة، ولا من صالح المجتمع أن تتخلى المرأة عن الصيانة والاحتشام، ولا سيما وأن الغريزة الجنسية هي أعنف الغرائز، وأشدّها على الإطلاق. امنعوا الاختلاط... وقيدوا حرية المرأة

وتحت هذا العنوان نشرت صحيفة الجمهورية بالقاهرة مقالاً لصحفية أمريكية تدعى هيلسيان ستانسيري قالت هذه الكاتبة الأمريكية بعد أن مكثت شهراً في الجمهورية العربية ما نصه: إن المجتمع العربي مجتمع كامل وسليم، ومن الخلق بهذا المجتمع أن يتمسك بتقاليدته التي تقيّد الفتاة والشباب في حدود المعقول، وهذا المجتمع يختلف عن المجتمع الأوروبي والأمريكي، فعندكم تقاليد موروثة تحتمّ تقييد المرأة وتحتمّ احترام الأب والأم، وتحتمّ أكثر من ذلك عدم الإباحية الغربية التي تهدّد اليوم المجتمع والأسرة في أوروبا وأمريكا. إن القيود التي يفرضها المجتمع العربي على الفتاة صالحة ونافعة، لهذا أنصح بأن تتمسكوا بتقاليدكم وأخلاقكم، وامنعوا الاختلاط، وقيدوا حرية الفتاة، بل ارجعوا إلى عصر الحجاب، فهذا خير لكم من إباحية وانطلاق ومجون أوروبا وأمريكا.

امنعوا الاختلاط فقد عانينا منه في أمريكا الكثير، لقد أصبح المجتمع الأمريكي مجتمعاً معقداً، مليئاً بكل صور الإباحية والخلاعة، وإن ضحايا الاختلاط والحرية قبل سن العشرين، يملأون السجون والأرصفة، والبارات والبيوت السرية؛ إن الحرية التي أعطيناها لفتياتنا وأبنائنا الصغار، قد جعلت منهم عصابات أحداث، وعصابات جميس دين وعصابات للمخدرات والرفيق.

إن الاختلاط، والإباحية، والحرية في المجتمع الأوروبي والأمريكي هدّد الأسر، وزلزل القيم والأخلاق، فالفتاة الصغيرة - تحت سن العشرين - في المجتمع الحديث، تخالط الشبان، وترقص، وتشرب الخمر، وتتعاوى المخدرات باسم المدنية والحرية والإباحية... وهي تلهو وتعاشر من تشاء تحت سمع عائلتها وبصرها، بل وتتحدى والديها، ومدّرسيها، والمشرفين عليها.. تتحداهم باسم الحرية والاختلاط، تتحداهم باسم الإباحية والانطلاق، تتروّج في دقائق، وتطلق بعد ساعات، ولا يكلفها أكثر من إمضاء وعشرين قرشاً وعريّس ليلة.

أقول: هذا رأي الكاتبة الأمريكية والفضل ما شهدت به الأعداء...! وصدق الله: وَلَا تَبْرَحْ جَنَّتَبْرَجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى... الأحزاب: 33.

هـ102\24: 131

6 آيات الحجاب والنظر

التحليل اللفظي

يَعْصُوا: غَضَّ بصره بمعنى خفضه ونكسه قال جرير:

فغَضَّ الطرف إنك من نمير فلا كعباً بلغت ولا كلابا

وأصل الغض: إطباق الجفن على الجفن بحيث تمنع الرؤية، والمراد به في الآية: كف النظر عما لا يحل إليه بخفضه إلى الأرض، أو بصره إلى جهة أخرى وعدم النظر بملء العين، قال عنتره:

وأغضّ طرفي إن بدت لي جارتني حتى يوارى جارتني ماواها

ويحفظوا فُروجهُم: قال بعض المفسرين: المراد سترها من النظر إليها أي النظر إلى العورات.. وقال آخرون: المراد حفظها من الزنى، والصحيح ما ذكره القرطبي أن الجميع مراد لأن اللفظ عام، فيطلب سترها عن الأبصار، وحفظها من الزنى، قال تعالى:

وَالَّذِينَ هُمْ لِأُزُوجِهِمْ حَافِظُونَ * إِلَّا عَلَى أَزْوَاجِهِمُ الْمُؤْمِنُونَ: 5-6 وفي الحديث: إحمض عورتك إلا من زوجتك أو ما ملكت يمينك قال: الرجل يكون مع الرجل؟ قال: إن استطعت ألا يراها فافعل: قلت: فالرجل يكون خالياً؟ فقال: والله أحق أن يستحيا منه.

أزكى لهم: أي أظهر لقلوبهم وأنتى لدينهم، مأخوذ من الزكاة بمعنى الطهارة والنقاء النفسي، قال تعالى: وَمَنْ تَرَكَّى فَأَيْنَمَا يَتَرَكَّى لِنَفْسِهِ فَاطِر: 18 وفي الحديث: النظرة سهم من سهام إبليس مسموم من تركها مخافتي أبدلته إيماناً يجد حلاوته في قلبه.

خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ: الخبرة العلم القوي الذي يصل إلى بواطن الأشياء، ويكشف دخائلها فالله خبير بما يصنعون، عليم علماً تاماً بظواهر الأعمال وبواطنها لا تخفى عليه خافية وهو وعيد شديد لمن يخالف أمر الله أو يعصيه في ارتكاب المحرمات.

زِينَتُهُنَّ: الزينة: ما تنزين به المرأة عادة من الثياب والحلي وغيرها مما يعبر عنه في زماننا بلفظ التجميل: قال الشاعر:

يأخذ زينتهن أحسن ما ترى وإذا عطلنَ فهنَّ خير عواطف
قال العلامة القرطبي: الزينة على قسمين: خلقية، ومكتسبة... فالخلقية: وجهها فإنه أصل الزينة وجمال الخلقة ومعنى الحيوانية لما فيه من المنافع، وأما الزينة المكتسبة: فهي ما تحاوله المرأة في تحسين خلقتها كالثياب، والحلي، والكحل، والخضاب، ومنه قوله تعالى:

خُذُوا زِينَتَكُمْ الأعراف: 31.

إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا: قال بعضهم: المراد بقوله مَا ظَهَرَ مِنْهَا أي ما دعت الحاجة إلى ظهوره كالثياب والخضاب والكحل والخاتم مما لا يمكن إخفاؤه وقيل: بل المراد ما ظهر منها بدون قصد ولا تعمد، وقيل: المراد به الوجه والكفان وسنين ذلك بالتفصيل عند ذكر الأحكام.

بُخْمَرُهُنَّ: قال ابن كثير: الخُمُرُ: جمع خمار، وهو ما يخمر به أي يغطي به الرأس وهي التي تسميها الناس المقانع وفي لسان العرب: الخمر جمع خمار وهو ما تغطي به المرأة رأسها وكل مغطى مخمر ومنه حديث خمرُوا أنفسكم أي غطوها وخمرت المرأة رأسها غطته.

ويسمى الخمار النصيف.

قال الشاعر:

سقط النصيف ولم ترد إسقاطه فتناولته واتقنتا باليد
ويجمع الخمار على خُمُر جمع كثرة مثل: كتاب، وكُتُب قال الشاعر:
كرووس قطعت فيها الخُمُر

ويجمع على أخمرة جمع قلة أفاده أبو حيان.

جُبُوبُهُنَّ: يعني النحور والصدور، فالمراد بضرب النساء بخمرهن على جيوبهن أن يغطين رؤوسهن وأعناقهن وصدورهن بكل ما فيها من زينة وحلي. والجيوب جمع جيب وهو الصدر وأصله الفتحة التي تكون في طوق القميص، قال القرطبي: والجيب هو موضع القطع من الدرع والقميص وهو من الجُوب بمعنى القطع وقد ترجم البخاري رحمه الله باب جيب القميص من عند الصدر وغيره.

قال الألوسي: وأما إطلاق الجيب على ما يكون في الجنب لوضع الدراهم ونحوها كما هو الشائع بيننا اليوم فليس من كلام العرب كما ذكره ابن تيمية ولكنه ليس بخطأ بحسب المعنى، والمراد بالآية كما رواه ابن أبي حاتم: أمرهن الله بستر نحورهن وصدورهن بخمرهن لنلا يرى منها شيء.

بُعُولَتُهُنَّ: قال ابن عباس: لا يضرعن الجلباب والخمار إلا لأزواجهن.

والبعولة جمع بعل بمعنى الزوج، قال تعالى:

وهَذَا بَعْلِي شَيْخًا هود: 72. وفي القرطبي: البعل هو الزوج والسيد في كلام العرب، ومنه قول النبي في حديث جبريل إذا ولدت الأمة بعلمها يعني سيدها إشارة إلى كثرة السراري بكثرة الفتوحات.

مَلَكْتُ أَيْمَنُهُنَّ: يعني الإمام والجواري، وقال بعضهم المراد: العبيد والإماء ذكوراً وإناثاً وروى عن سعيد بن المسيب أنه قال: لا تغرنكم هذه الآية أو ما مَلَكْتُ أَيْمَنُهُنَّ إنما عنى بها الإمام ولم يعن بها العبيد وهو الصحيح. الأُرْبَةُ: الحاجة، والأُرْبُ، والإرْبَةُ والإرْبُ ومعناه الحاجة والجمع مَأْرَب قال تعالى:

وَلِي فِيهَا مَأْرَبٌ أُخْرَى طه: 18 وقال طرفة:

إذا المرء قال الجهل والحب والخنا تقدّم يوماً ثم ضاعت مَأْرَبه

والمراد بقوله تعالى: غَيْرَ أُولِي الأُرْبَةِ مِنْ أَلْرَجَالِ أي غير أولي الميل والشهوة أو الحاجة إلى النساء كالبُله والحمقى والمغفلين الذين لا يدركون من أمور الجنس شيئاً.

أَلْطَفُلُ: الصغير الذي لم يبلغ الحلم قال الشاعر:

والنفس كالطفل إن تهمله شب على حب الرضاع وإن تطفمه ينطفم
قال الراغب: كلمة طفل تقع على الجمع كما تقع على المفرد فهي مثل كلمة ضيف والدليل أن المراد به الجمع أو أَلْطَفُلُ الَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا حيث جاء بواو الجماعة.

لَمْ يَظْهَرُوا: أي لم يطلعوا يقال: ظهر على الشيء أي أطلع عليه ومنه قوله تعالى:

إِنَّهُمْ إِنْ يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ يَرْجُمُوكُمْ الكهف: 20 ومعنى الآية أن الأطفال الذين لا يعرفون الشهوة ولا يدركون معاني الجنس لصغرهم لا حرج من إبداء الزينة أمامهم.
المعنى الإجمالي

قل يا محمد لا تتابعك المؤمنين يغضوا من أبصارهم، ويكفوها عن النظر إلى الأجنبيةات من غير المحارم، ولا ينظروا إلا إلى ما أبيح لهم النظر إليه، وأن يحفظوا فروجهم عن الزنى ويستروا عوراتهم حتى لا يراها أحد، فإن ذلك أظهر لقلوبهم من دنس الريبة، وأنقى لها وأحفظ من الوقوع في الفجور، فالنظرة تزرع في القلب الشهوة، ورب شهوة أورثت حزناً طويلاً، فإن وقع البصر على شيء من المحرمات من غير قصد، فليصرفوا أبصارهم عنه سريعاً ولا يديموا النظر، ولا يرددوه إلى النساء، ولا ينظروا بملء أعينهم فإن الله رقيب عليهم مطلع على أعمالهم، لا تخفى عليه خافية
يَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ غافر: 19.

ثم أكد تعالى الأمر للمؤمنات بغض البصر وحفظ الفرج وزادهن في التكليف على الرجال بالنهي عن إبداء الزينة إلا للمحارم والأقرباء فإن ذلك أولى بهن وأجمل إلا إذا ظهرت هذه الزينة بدون قصد ولا نية سينة فلا إثم عليهن فإله غفور رحيم.

وقد كانت المرأة في الجاهلية كما هي اليوم - في الجاهلية الحديثة - تمر بين الرجال مكشوفة الصدر، بادية النحر، حاسرة الذراعين، وربما أظهرت مفاتيح جسمها وذوائب شعرها لتغري الرجال، وكُنَّ يسدن الخمر من ورائهن فتبقى صدورهن مكشوفة عارية فأمرت المؤمنات بأن يسدن لهن من قدامهن حتى يغطيها ويدفعن عنهن شر الأشرار، وأمرن بالأبصار بآرجلهن الأرض لئلا يسمع الرجال صوت الخلخال فيقطع الذي في قلبه مرض.

ثم ختم تعالى تلك الأوامر والنواهي بالأمر للرجال والنساء جميعاً بالإتابة والرجوع إلى الله لينالوا درجة السعادة، ويكونوا عند الله من الفائزين الأبرار.
سبب النزول

أولاً: أخرج ابن مردويه عن علي بن أبي طالب قال: مر رجل على عهد رسول الله في طريق من طرقات المدينة، فنظر إلى امرأة ونظرت إليه، فوسوس لهما الشيطان أنه لم ينظر أحدهما إلى الآخر إلا إعجاباً به، فبينما الرجل يمشي إلى جانب حائط ينظر إليها إذ استقبله الحائط صدم به فشق أنفه، فقال: والله لا أغسل الدم حتى آتي رسول الله فأعلمه أمري؟ فاتاه فقص عليه قصته، فقال النبي هذا عقوبة ذنبك وأنزل الله: قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ... الآية.

ثانياً: وروى ابن كثير رحمه الله، عن مقاتل بن حيان، عن جابر بن عبد الله الأنصاري قال: بلغنا - والله أعلم - أن جابر بن عبد الله الأنصاري حدث أن أسماء بنت مرثد كانت في نخل لها في بني حارثة، فجعل النساء يدخلن عليها غير مؤتزرات فيبدو ما في أرجلهن يعني الخلخال، ويبدو صدورهن وذوائبهن، فقالت أسماء: ما أقبح هذا؟ فأنزل الله في ذلك وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ... الآية.

لطائف التفسير
اللطيفة الأولى: السر في تقديم غض البصر على حفظ الفروج هو أن النظر بريد الزنى ورائد الفجور وهو مقدمة للوقوع في المخاطر كما قال الحماسي:

ولأنّ البلوى فيه أشد وأكثَر، ولا يكاد يقدر على الاحتباس منه وهو الباب الأكبر الذي يوصل إلى القلب، وأعمر طرق الحواس إليه ويكثر السقوط من جهته. والله در شوقي:

نظرة فابتسامة فسلام
فكلام فموعد فلقاء

وقد قال أحد الأدباء:

تزيد نمواً إن تزده لجأجا

وما الحب إلا نظرة إثر نظرة

اللطيفة الثانية: قوله تعالى: يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ المراد غض البصر عما حرم الله، لا غض البصر عن كل شيء فحذف ذلك اكتفاء بفهم المخاطبين وهو من باب الإيجاز بالحذف.

اللطيفة الثالثة: قال العلامة الزمخشري: فإن قلت كيف دخلت من التي هي للتبويض في غض البصر دون حفظ الفرج؟ قلت: لأن أمر النظر أوسع، ألا ترى أن المحارم لا بأس بالنظر إلى شعورهن وصدورهن وتديهن، وأما أمر الفرج فمضيق وكفاك فرقاً أن أبيح النظر إلا ما استثنى فيه، وحظر الجماع إلا ما استثنى منه.

اللطيفة الرابعة: قوله تعالى: أَرْكَى لَهُمْ أَفْعَلَ التفضيل هنا ليس على بابه وإنما هو للمبالغة أي أن غض البصر وحفظ الفرج طهرة للمؤمن من دنس الرذائل أو نقول المفاضلة على سبيل الفرض والتقدير. اللطيفة الخامسة: قوله تعالى: وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ المراد بالزينة مواقعها من باب اطلاق اسم الحال على المحل كقوله تعالى:

فَفِي رَحْمَةِ اللَّهِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ آل عمران: 107 المراد بها الجنة لأنها مكان الرحمة وإذا نهي عن إبداء الزينة فالنهي عن إبداء أماكنها من الجسم يكون من باب أولى. قال الزمخشري: وذكر الزينة دون مواقعها للمبالغة في الأمر بالتصون والتستر فإنه ما نهي عن الزينة إلا لملاستها تلك المواقع فكان إبداء المواقع نفسها متمكناً في الحظر ثابت القدم في الحرمة. اللطيفة السادسة: قوله تعالى: وَلْيُضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ فِي لَفْظ الضرب مبالغة في الصيانة والتستر وقد عدى اللفظ بعلی لأنه ضَمَّنْ معنى الإلقاء ويكون المراد أن تسدل وتلقي بالخمار على صدرها لنلا يبدو شيء من النحر والصدر.

اللطيفة السابعة: قوله تعالى: قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا قَالَ أَبُو السَّعُودِ: مفعول الأمر أمر آخر قد حذف تعويلاً على دلالة جوابه عليه أي قل لهم غضوا يغضوا من أبصارهم وفي هذا التعبير إشارة إلى أن المؤمن يسارع إلى تنفيذ أمر الله فهو لا يحتاج إلا إلى تذكير. اللطيفة الثامنة: قال بعض العلماء: كما يكون التلذُّدُ بالنظر يكون بالسمع أيضاً وقد قيل والأذن تعشق قبل العين أحياناً وهذا هو السر في نهي المرأة عن الضرب برجلها على الأرض حتى لا يسمع صوت الخلخال فتتحرك شهوة الرجال.

وقد دل على أن إظهار مواضع الحلي أبلغ وأبلغ في الزجر. وعلى أن كل ما يحرك الشهوة أو يثيرها منهني عنه، كالعطر، والتطيب، والتبختر في المشية. والتلاين في الكلام فَلَا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ الْأَحْزَاب: 32 وقيل: إذا نهي عن استماع صوت حليهن، فعن استماع صوتهن بالطريق الأولى. وهو استدلال لطيف.

اللطيفة التاسعة: قوله تعالى: وَثَوْبُوا إِلَى اللَّهِ هُوَ مِنْ بَابِ الْإِتْفَاتِ وتلوين الخطاب فقد كان الكلام في صدر الآية موجهاً للرسول ثم صرف عن الرسول إلى الجميع بطريق الالتفات. اللطيفة العاشرة: قال الإمام ابن القيم رحمه الله: في غض البصر فوائد عديدة أحدها: امتثال أمر الله الذي هو غاية السعادة. ثانيها: أنه يمنع وصول أثر السهم المسموم. ثالثها: أنه يقوي القلب ويفرحه. رابعها: أنه يورث في القلب أنساً في الله واجتماعاً عليه. خامسها: أنه يكسب القلب نوراً. سادسها: أنه يورث الفراسة الصادقة. سابعها: أنه يسد على الشيطان مداخله ثامنها: أن بين العين والقلب منفذاً يوجب انفعال أحدهما بالآخر. وقد أحسن من قال:

قالوا: جُنُنتُ بَمَنْ تَهَوَّى فَقُلْتُ لَهُمُ
العشيق لا يستفيق الدهرُ صاحبه
العشيقُ أعظمُ ممَّا بالمجانين
وإنما يُصرعُ المجنون في الحين
الأحكام الشرعية

الحكم الأول: ما هو حكم النظر إلى الأجنبية؟

حَرَّمَ الشريعة الإسلامية النظر إلى الأجنبية فلا يحل لرجل أن ينظر إلى امرأة غير زوجته أو محارمه من النساء. أما نظرة الفجأة فلا إثم فيها ولا مؤاخذه لأنها خارجة عن إرادة الإنسان، فلم يكلفنا الله جل ثناؤه ما لا نطيع ولم يأمرنا أن نعصب أعيننا إذا مشينا في الطريق، فالنظرة إذا لم تكن بقصد لا مؤاخذه فيها وقد قال النبي لعلی: يا علي لا تتبع النظرة النظرة فإنما لك الأولى وليست لك الثانية وعن جرير بن عبد الله البجلي قال: سألت رسول الله عن نظرة الفجأة فأمرني أن أصرف بصري. والنظرة المفاجئة إنما تكون في أول وهلة ولا يحل لأحد إذا نظر إلى امرأة نظرة مفاجئة وأحس منها اللذة والاجتلاب أن يعود إلى النظرة مرة ثانية فإن ذلك مدعاة إلى الفتنة وطريق إلى الفاحشة وقد عبر عنه النبي بزنى العين؛ فقد ورد في الصحيحين: كُتِبَ عَلَى ابْنِ آدَمَ حَظُّهُ مِنَ الزَّنى أَدْرَكَ ذَلِكَ لَا مَحَالَةَ، فزنى العين النظر وزنى اللسان النطق، وزنى الأذنين الاستماع، وزنى اليدين البطش، وزنى الرجلين الخطى، والنفس تَمَنَّى وتشتهي، والفرج يصدق ذلك ويكذبه.

والمؤمن يؤجر على غض البصر لأنه كف عن المحارم وقد قال: ما من مسلم ينظر إلى محاسن امرأة ثم يغض بصره إلا أخلف الله له عبادة يجد حلاوته

. وعده من حقوق الطريق ففي حديث أبي سعيد الخدري أن النبي قال: إياكم والجلوس على الطرقات. فقالوا يا رسول الله: ما لنا من مجالسنا بد نتحدث فيها، قال: فإذا أبيتم إلا المجلس فأعطوا الطريق حقه، قالوا: وما حق الطريق يا رسول الله؟ قال: غصن البصر، وكف الأذى ورد السلام، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

الحكم الثاني: ما هو حد العورة بالنسبة للرجل والمرأة؟
أشارة الآية الكريمة وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ إلى وجوب ستر العورة فإن حفظ الفرج كما يشمل حفظه عن الزنى، يشمل ستره عن النظر، كما بيناه فيما سبق وقد اتفق الفقهاء على حرمة كشف العورة ولكنهم اختلفوا في حدودها وسوضح ذلك بالتفصيل إن شاء الله مع أدلة كل فريق فنقول ومن الله نستمد العون:

1 - عورة الرجل مع الرجل.

2 - عورة المرأة مع المرأة.

3 - عورة الرجل مع المرأة وبالعكس.

أما عورة الرجل مع الرجل: فهي من السرة إلى الركبة فلا يحل للرجل أن ينظر إلى عورة الرجل فيما بين السرة والركبة وما عدا ذلك فيجوز له النظر إليه. وقد قال النبي لا ينظر الرجل إلى عورة الرجل ولا تنظر المرأة إلى عورة المرأة. وجمهور الفقهاء على أن عورة الرجل ما بين السرة إلى الركبة كما صح في الأحاديث الكثيرة، وقال مالك رحمه الله: الفخذ ليس بعورة: ومما يدل لقول الجمهور ما روي عن جرهد الأسلمي وهو من أصحاب الصفة أنه قال: جلس رسول الله عندنا وفخذي منكشفة فقال: أما علمت أن الفخذ عورة.

وقال علي: لا تبرز فخذك وفي رواية لا تبرز فخذك ولا تنظر إلى فخذ حي ولا ميت بل إنه نهى أن يتعري المرء ويكشف عورته حتى إذا لم يكن معه غيره فقال: إياكم والتعري فإن معكم من لا يفارحكم إلا عند الغائط وحين يفضي الرجل إلى أهله.

وأما عورة المرأة مع المرأة: فهي كعورة الرجل مع الرجل أي من السرة إلى الركبة ويجوز النظر إلى ما سوى ذلك ما عدا المرأة الذمية أو الكافرة فلها حكم خاص سنبينه فيما بعد إن شاء الله تعالى.
وأما عورة الرجل بالنسبة للمرأة: ففيه تفصيل فإن كان من المحارم كالأب والأخ والعم والخال فعورته من السرة إلى الركبة. وإن كان أجنبياً فكذلك عورته من السرة إلى الركبة. وقيل جميع بدن الرجل عورة فلا يجوز أن تنظر إليه المرأة وكما يحرم نظره إليها يحرم نظرها إليه والأول أصح، وأما إذا كان زوجاً فليس هناك عورة مطلقاً لقوله تعالى:

إِلَّا عَلَىٰ أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ الْمُؤْمِنُونَ: 6.

وأما عورة المرأة بالنسبة للرجل: فجميع بدنها عورة على الصحيح وهو مذهب الشافعية والحنابلة وقد نص الإمام أحمد رحمه الله على ذلك فقال: وكل شيء من المرأة عورة حتى الظفر.
وذهب مالك وأبو حنيفة إلى أن بدن المرأة كله عورة ما عدا الوجه والكفين ولكل أدلة سنوضحها بإيجاز إن شاء الله تعالى.

أدلة المالكية والأحناف:

استدل المالكية والأحناف على أن الوجه والكفين ليسا بعورة بما يلي:

أولاً: قوله تعالى: وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا فقد استثنت الآية ما ظهر منها أي ما دعت الحاجة إلى كشفه وإظهاره وهو الوجه والكفان وقد نقل هذا عن بعض الصحابة والتابعين، فقد قال سعيد بن جبير في قوله تعالى: إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا قال: الوجه والكف، وقال عطاء: الكفان والوجه وروي مثله عن الضحاك.
ثانياً: واستدلوا بحديث عائشة ونصه: أن أسماء بنت أبي بكر دخلت على رسول الله وعليها ثياب رقاق فأعرض عنها رسول الله وقال لها: يا أسماء إن المرأة إذا بلغت المحيض لم يصلح أن يرى منها إلا هذا وهذا وأشار إلى وجهه وكفيه.

ثالثاً: وقالوا: مما يدل على أن الوجه والكفين ليسا بعورة أن المرأة تكشف وجهها وكفيها في صلاتها وتكشفهما أيضاً في الإحرام فلو كانا من العورة لما أبيح لها كشفهما لأن ستر العورة واجب لا تصح صلاة الإنسان إذا كان مكشوف العورة.

أدلة الشافعية والحنابلة:

استدل الشافعية والحنابلة على أن الوجه والكفين عورة بالكتاب والسنة والمعقول:

أولاً: أما الكتاب فقوله تعالى: وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ فقد حرمت الآية الكريمة إبداء الزينة، والزينة على قسمين: خلقية، ومكتسبة، والوجه من الزينة الخلقية بل هو أصل الجمال ومصدر الفتنة والإغراء وأما الزينة المكتسبة فهي ما تحاوله المرأة في تحسين خلقها كالثياب والحلي والكحل والخضاب.. والآية الكريمة منعت المرأة من إبداء الزينة مطلقاً، وحرمت عليها أن تكشف شيئاً من أعضائها أمام الرجال أو تظهر زينتها أمامهم وتناولوا قوله تعالى: إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا أن المراد ما ظهر بدون قصد ولا عمد مثل أن يكشف الريح عن نحرها أو ساقها أو شيء من جسدها، ويصبح معنى الآية على هذا التأويل ولا يبدين زينتهن أبداً وهنّ مؤاخذاتٍ على إبداء زينتهن إلا ما ظهر منها بنفسه وانكشف بغير قصد ولا عمد، فلسن مؤاخذاتٍ عليه فيكون الوجه والكف من الزينة التي يحرم إبداءها.

ثانياً: وأما السنة فما ورد من الأحاديث الصحيحة الكثيرة التي تدل على حرمة النظر منها: أ- حديث جرير بن عبد الله

سألت رسول الله عن نظر الفجأة فقال: اصرف نظرك.

ب- حديث علي بن أبي طالب لا تتبع النظرة النظرة، فإنما لك الأولى وليست لك الآخرة.

ج- حديث الخثعمية الذي رواه ابن عباس وفيه: أن النبي أردف الفضل بن العباس يوم النحر خلفه وكان رجلاً حسن الشعر أبيض وسيماً فجاءته امرأة من خثعم تستفتيه فجعل الفضل ينظر إليها وتنتظر إليه فجعل رسول الله يصرف وجه الفضل إلى الشق الآخر... الحديث في حجة الوداع. فجميع هذه النصوص تفيد حرمة النظر إلى الأجنبية، ولا شك أن الوجه مما لا يجوز النظر إليه فهو إذاً عورة.

د- واستدلوا بقوله تعالى:

وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعاً فَاسْأَلُوهُنَّ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ الْأَحْزَابِ: 53 فإن الآية صريحة في عدم جواز النظر. والآية وإن كانت قد نزلت في أزواج النبي فإن الحكم يتناول غيرهن بطريق القياس عليهن، والعلة هي أن المرأة كلها عورة.

وأما المعقول: فهو أن المرأة لا يجوز النظر إليها خشية الفتنة، والفتنة في الوجه تكون أعظم من الفتنة بالساق والشعر والساق.

فإذا كانت حرمة النظر إلى الشعر والساق بالاتفاق فحرمة النظر إلى الوجه تكون من باب أولى باعتبار أنه أصل الجمال، ومصدر الفتنة، ومكمن الخطر وقد قال الشاعر:

كلُّ الحوادث مبداها من النظر ومعظم النار من مستصغر الشرر

أقول: الآية الكريمة قد عرفت تأويلها على رأي الشافعية والحنابلة فلم يعد فيها دليل على أن الوجه ليس بعورة. وأما حديث أسماء إن المرأة إذا بلغت المحيض... فهو حديث منقطع الإسناد وفي بعض رواياته ضعف وفيه كلام وهو في سنن أبي داود، قال أبو داود: هذا مرسل خالد بن دُرَيْك لم يدرك عائشة وفي إسناده سعيد بن بشير أبو عبد الرحمن البصري، نزيل دمشق مولى ابن نصر وقد تكلم فيه غير واحد انتهى. فإذا كان هذا كلام أبي داود فيه ولم يروه غيره فكيف يصلح للاحتجاج وعلى فرض صحته فإنه يحتمل أنه كان قبل نزول آية الحجاب ثم نسخ بآية الحجاب، أو أنه محمول على ما إذا كان النظر إلى الوجه والكفين لعذر كالخاطب، والشاهد، والقاضي.

قال ابن الجوزي رحمه الله: ويفيد هذا تحريم النظر إلى شيء من الأجنبية لغير عذر، فإن كان لعذر مثل أن يريد أن يتزوجها أو يشهد عليها فإنه ينظر في الحالتين إلى وجهها خاصة، فأما النظر إليها لغير عذر فلا يجوز لا لشهوة ولا لغيرها، وسواء في ذلك الوجه والكفان وغيرهما من البدن.

فإن قيل: فلم لا تبطل الصلاة بكشف وجهها؟ فالجواب: أن في تغطيته مشقة فعفى عنه.

أقول: الأئمة الذين قالوا بأن الوجه والكفين ليسا بعورة اشترطوا ألا يكون عليهما شيء من الزينة وألا يكون هناك فتنة أما ما يضعه النساء في زماننا من الأصباغ والمساحيق على وجوههن وأكفهن بقصد التجميل ويظهرن به أمام الرجال في الطرقات فلا شك في تحريمه عند جميع الأئمة، ثم إن قول بعضهم: أن الوجه والكفين ليسا بعورة ليس معناه أنه يجب كشفهما أو أنه سنة وسترهما بدعة فإن ذلك ما لا يقول به مسلم وإنما معناه أنه لا حرج في كشفهما عند الضرورة، وبشرط أمن الفتنة. أما في مثل هذا الزمان الذي كثر فيه أعوان الشيطان، وانتشر فيه الفسق والفجور، فلا يقول أحد بجواز كشفه، لا من العلماء، ولا من العقلاء، إذ من يرى هذا الداء والوباء الذي فشى في الأمة وخاصة بين النساء بتقليدهن لنساء الأجانب، فإنه يقطع بحرمة كشف الوجه لأن الفتنة مؤكدة والفساد محقق ودعاء السوء منتشر، ولا نجد المجتمع الراقي المهذب الذي

يتمسك بالأدب الفاضلة ويستمتع لمثل قوله تعالى: قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَعْصُوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَلَا لِقَوْلِ رَسُولِ اللَّهِ إِصْرٌ بِبَصَرِكُمْ فإلا احتياط في مثل هذا العصر والزمان واجب والله يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم.

الحكم الثالث: ما هي الزينة التي يحرم إبدؤها:

دلت الآية الكريمة وهي قوله تعالى: وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ على حرمة إبداء المرأة زينتها أمام الأجانب خشية الافتتان، والزينة في الأصل اسم لكل ما تتزين به المرأة وتتجمل من أنواع الثياب والحلي والخضاب وغيرها ثم قد تطلق على ما هو أعم وأشمل من أعضاء البدن.. والزينة على أربعة أنواع: خلقية، ومكتسبة، وظاهرة، وباطنة فمن الزينة ما يقع على محاسن الخلقة التي خلقها الله تعالى كجمال البشرة، واعتدال القامة، وسعة العيون كما قال الشاعر:

إن العيون التي في طرفها حور قتلنا ثم لم يحيين قتلنا

وأنكر بعضهم وقوع اسم الزينة على الخلقة لأنه لا يقال في الخلقة إنها من زينتها وإنما يقال فيما تكتسبه من كحل وخضاب وغيره، والأقرب أن الخلقة داخلة في الزينة فإن الوجه أصل الزينة وجمال الخلقة وبه تعرف الملية من القبيحة وقد قال الله تعالى: وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَى جُيُوبِهِنَّ فَإِنْ ضَرَبَ الْخَمَارُ وَسَدَلَ عَلَى الْوَجْهِ وَالصَّدْرِ إِنَّمَا هُوَ لَمَعٌ هَذِهِ الْأَعْضَاءُ فَدَلَّ عَلَى أَنَّ الْمُرَادَ بِالزَّيْنَةِ مَا يَمَعَ الْخَلْقَةُ... فكانه تعالى منعهن من إظهار محاسن خلقتهم بأن أوجب سترها بالخمار... وأما الذين حملوا الزينة على ما عدا الخلقة فقالوا: إنه سبحانه ذكر الزينة، ومن المعلوم أنه لا يراد بها الزينة نفسها المنفصلة عن أعضاء المرأة فإن الحلي والثياب والقرط والقلادة لا يحرم النظر إليها إذا كانت المرأة غير مترينة فلما حرم الله سبحانه النظر إليها حال اتصالها ببدن المرأة كان ذلك مبالغة في حرمة النظر إلى أعضاء المرأة.

.. فهو لا وإن لم يقرأوا بالزينة الخلقية إلا أنهم متفقون على حرمة النظر إلى بدن المرأة وأعضائها فكان إبداء مواقع الزينة ومواضعها من الجسم منهيًا عنه من باب أولى.

وأما الزينة الظاهرة فقد قال ابن مسعود: ظاهر الزينة الثياب.

وقال مجاهد: الكحل والخاتم والخضاب. وقال سعيد بن جببر: الوجه والكفان وقد عرفت ما فيه من الأقوال للفقهاء. قال ابن عطية: ويظهر لي بحكم ألفاظ الآية، أن المرأة مأمورة ألا تبدي شيئاً وأن تجتهد في الإخفاء لكل ما هو زينة ووقع الاستثناء - فيما يظهر - بحكم ضرورة حركة فيما لا بد منه أو إصلاح شأن ونحو ذلك فما ظهر منها على هذا الوجه مما تؤدي إليه الضرورة في النساء فهو المعفو عنه.

وأما الزينة الباطنة فلا يحل إبدؤها إلا لمن سمَّاهم الله تعالى في هذه الآية وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ الآية وهم الزوج والمحارم من الرجال كما سنذكره قريباً.. وقد كان نساء الجاهلية يشددن خمرهن من خلفهن فتكشف نحورهن وصدورهن فأمرت المسلمات أن يشددنهن من الأمام ليتغطى بذلك أعناقهن ونحورهن وما يحيط بالرأس من شعر وزينة من الحلي في الأذن والقلادة في الأعناق وذلك قوله تعالى: وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَى جُيُوبِهِنَّ الآية.

الحكم الرابع: من هم المحارم الذين تبدي المرأة أمامهم زينتها؟

استثنى القرآن الكريم من الرجال الذين منعت أن تكشف المرأة أمامهم زينتها الخفية أصنافاً هم جميعاً من المحارم ما عدا الأزواج.

والعلة في ذلك هي الضرورة الداعية إلى المداخلة والمخالطة والمعاشرة حيث يكثر الدخول عليهن والنظر إليهن بسبب القرابة، والفتنة مأمونة من جهتهم وهم كالآتي:

أولاً: البعولة الأزواج فهو لا يباح لهم النظر إلى جميع البدن والاستمتاع بالزوجة بكل أنواعه الحلال. قال القرطبي: فالزوج والسيد يرى الزينة من المرأة وأكثر من الزينة إذ كل محلٍ من بدنها حلالٌ له لذة ونظرٌ ولهذا المعنى بدأ بالبعولة.

ثانياً: الآباء وكذا الأجداد سواء كانوا من جهة الأب أو الأم لقوله تعالى: أَوْ آبَائِهِنَّ.

ثالثاً: آباء الأزواج لقوله تعالى: أَوْ آبَاءُ بُعُولَتِهِنَّ.

رابعاً: أبناءهن وأبناء أزواجهن، ويدخل فيه أولاد الأولاد وإن نزلوا لقوله تعالى: أَوْ أَبْنَاءَهُنَّ أَوْ أَبْنَاءُ بُعُولَتِهِنَّ.

خامساً: الإخوة مطلقاً سواء كانوا أشقاء أو لأب أو لأم لقوله تعالى: أَوْ إِخْوَانَهُنَّ.

سادساً: أبناء الإخوة والأخوات كذلك لأنهم في حكم الإخوة لقوله تعالى: أَوْ بَنِي إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي أَخَوَاتِهِنَّ وهؤلاء كلهم من المحارم.

تنبيه: لم تذكر الآية الأعمام، والأخوال وهم من المحارم كما لم تذكر المحارم من الرضاع، والفقهاء مجمعون على أن حكم هؤلاء كحكم سائر المحارم المذكورين في الآية.

.. أما عدم ذكر الأعمام والأخوال فالسر في ذلك أنهم بمنزلة الآباء فأغنى ذكرهم عن ذكر الأعمام والأخوال وكثيراً ما يطلق الأب على العم قال تعالى:

قَالُوا نَعْبُدُ إِلَهَكَ وَإِلَهَ آبَائِكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ الْبَقَرَةَ: 133 وإسماعيل عم يعقوب.. وأما المحارم من الرضاع فعدم ذكرها للاكتفاء ببيان السنة المطهرة يحرم من الرضاع ما يحرم من النسب. وأما الأنواع الباقية التي استثنيتهم الآية الكريمة فهم النساء، المماليك، التابعين غير أولي الأربية، الأطفال وسنوضح كل نوع من هذه الأنواع مع بيان ما يتعلق بها من أحكام.

الحكم الخامس: هل يجوز للمسلمة أن تظهر أمام الكافرة؟
اختلف الفقهاء في المراد من قوله تعالى: أَوْ نَسَائَهُنَّ فقال بعضهم: المراد بهن المسلمات اللاتي هنَّ على دينهن وهذا قول أكثر السلف.

قال القرطبي في تفسيره: قوله تعالى: أَوْ نَسَائَهُنَّ يعني المسلمات ويخرج منه نساء المشركين من أهل الذمة وغيرهم فلا يحل لامرأة مؤمنة أن تكشف شيئاً من بدنهما بين يدي امرأة مشركة إلا أن تكون أمةً لها.. وكره بعضهم أن تقبل النصرانية المسلمة أو ترى عورتها وكتب عمر إلى أبي عبيدة بن الجراح يقول: إنه بلغني أن نساء أهل الذمة يدخلن الحمامات مع نساء المسلمين فامنع من ذلك وحل دونه فإنه لا يجوز أن ترى الذميمة عُرْيَةَ المسلمة فقام عند ذلك أبو عبيدة وابتهل وقال: أيما امرأة تدخل الحمام من غير عذر، لا تريد إلا أن تبييض وجهها فسودَّ الله وجهها يوم تبيض الوجوه.

وقال ابن عباس: لا يحل للمسلمة أن تراها يهودية أو نصرانية لئلا تصفها لزوجها.. وقال بعضهم المراد بقوله تعالى: أَوْ نَسَائَهُنَّ جميع النساء فيدخل في ذلك المسلمة والكافرة.

قال الألوسي: وذهب الفخر الرازي إلى أنها كالمسلمة فقال: والمذهب أنها كالمسلمة والمراد بنسائهن جميع النساء، وقول السلف محمول على الاستحباب ثم قال: وهذا القول أرفق بالناس اليوم فإنه لا يكاد يمكن احتجاب المسلمات عن الذميات.

وقال ابن العربي: والصحيح عندي أن ذلك جائز لجميع النساء. وإنما جاء بالضمير للإتباع فإنها آية الضمان إذ فيها خمسة وعشرون ضميراً لم يَرَوْا في القرآن لها نظيراً فجاء هذا للإتباع.

وقال الأستاذ المودودي: والذي يجدر بالذكر في هذا المقام أن الله تعالى لم يقل أو النساء ولو أنه قال كذلك لحل للمرأة المسلمة أن تكشف عورتها وتظهر زينتها لكل نوع من النساء من المسلمات، والكافرات، والصالحات والفاسقات ولكنه تعالى جاء بكلمة نَسَائَهُنَّ فمعناها أنه حدَّ حرية المرأة المسلمة في إظهار زينتها إلى دائرة خاصة، وأما ما هو المراد بهذه الدائرة الخاصة؟ ففيه خلاف بين الفقهاء والمفسرين؟

تقول طائفة: إن المراد بها النساء المسلمات فقط، وهذا ما رآه ابن عباس ومجاهد وابن جريج في هذه الآية واستدلوا بما كتبه عمر لأبي عبيدة بن الجراح.

وتقول طائفة أخرى: إن المراد بنسائهن جميع النساء وهذا هو أصح المذاهب عند الفخر الرازي. إلا أننا لا نكاد نفهم لماذا خص النساء بالإضافة وقال نسائهن.

وتقول طائفة ثالثة: إن المراد بنسائهن النساء المختصات بهن بالصحة والخدمة والتعارف سواء أكن مسلمات أو غير مسلمات وأن الغرض من الآية أن تخرج من دائرة النساء الأجنبية اللاتي لا يعرف شيء عن أخلاقهن وآدابهن وعاداتهن فليست العبرة بالاختلاف الديني، بل هي بالاختلاف الخلقي فللنساء المسلمات أن يظهرن زينتهن بدون حجاب ولا تخرج للنساء الكريزمات الفاضلات ولو من غير المسلمات. وأما الفاسقات اللاتي لا حياء عندهن ولا يعتمد على أخلاقهن وآدابهن فيجب أن تحتجب عنهن كل امرأة مؤمنة صالحة ولو كنَّ مسلمات لأن صحبتهن لا تقل عن صحبة الرجال ضرراً على أخلاقها.

أقول: هذا الرأي وجيه وسديد وجباً لو تمسكت به المسلمات في عصرنا الحاضر إذاً لحافظن على أخلاقهن وآدابهن، وكفين شر هذا التقليد الأعمى للفاسقات الفاجرات في الأزياء والعادات الضارة الذميمة، التي غزت بها الحضارة المزيفة حضارة الغرب التي يسميها البعض حضارة القرن العشرين، وما هي بحضارة وإنما هي قذارة وفجارة ولقد أحسن من قال:

إيه عصر العشرين ظنوك عصراً
لست نوراً بل أنت نارٌ وظلم

الحكم السادس: هل يباح للحرّة أن تتكشف أمام عبدها؟

ظاهر قوله تعالى: أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ أنه يشمل العبيد والإماء وبهذا قال بعض العلماء وهو مذهب الشافعية؛ فقد نصّ ابن حجر في المنهاج على أن نظر العبد العدل إلى سيده كالنظر إلى محرم فينظر منها ما عدا ما

بين السرة والركبة. وذهب الإمام أحمد وأبو حنيفة وهو قول للشافعي أيضاً إلى أن العبد كالأجنبي فلا يحل نظره إلى سيدته لأنه ليس بمحرم. وتأولوا الآية بأنها في حق الإمام فقط، واستدلوا بما روي عن سعيد بن المسيب أنه قال: لا تغرنكم آية النور فإنها في الإناث دون الذكور يعني قوله تعالى: أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ فَإِنِهَا فِي الْإِمَاءِ دُونَ الْعَبِيدِ. وعللوا ذلك بأنهم فحول ليسوا أزواجاً ولا محارم، والشهوة متحققة فيهم فلا يجوز التكشف وإبداء الزينة أمامهم.

وقالوا إنما ذكر الإمام في الآية، لأنه قد يظن الظان أنه لا يجوز أن تبدي زينتها للإمام لأن الذين تقدم ذكرهم أحرار فلما ذكر الإمام زال الإشكال.

قال ابن عباس: لا بأس أن يرى العبد شعر سيدته وهذا مذهب مالك. ومما استدلل به الإمام الشافعي رحمه الله ما روي عن أنس أن النبي أتى فاطمة بعبد قد وهب لها وعلى فاطمة ثوب إذا قُتعت به رأسها لم يبلغ رجلها، وإذا غُطت به رجلها لم يبلغ رأسها، فلما رأى النبي ما تلقى قال: إنه ليس عليك بأس إنما هو أبوك و غلامك.

الحكم السابع: من هم أولو الإربة من الرجال؟ استنتجت الآية الكريمة التابعين غير أولي الإربة فسمحت للمرأة أن تبدي زينتها أمامهم وهم الرجال البله المغفلون. الذين لا يعرفون من أمور النساء شيئاً وليس لهم ميل نحو النساء أو اشتهاه لهن، بحيث يكون عجزهم الجسدي، أو ضعفهم العقلي، أو فقرهم ومسكنتهم، تجعلهم لا ينظرون إلى المرأة بنظر غير طاهر أو يخطر ببالهم شيء من سوء الدخيلة نحوه.

ونحن ننقل هنا بعض أقوال المفسرين من الصحابة والتابعين ليتوضح لنا المعنى الصحيح للآية الكريمة، ونذكر المراد من قوله تعالى: أَوْ التَّابِعِينَ غَيْرَ أُولِي الْإِربَةِ مِنَ الرِّجَالِ...

قال ابن عباس: هو المغفل الذي لا حاجة له في النساء. وقال قتادة: هو التابع يتبعك ليصيب من طعامك.

وقال مجاهد: هو الأبله الذي لا يهيمه إلا بطنه ولا يعرف شيئاً من النساء. وهناك أقوال أخرى: تشير كلها إلى أن أولي الإربة المراد به غير أولي الحاجة إلى النساء وليس له شهوة أو ميل نحوه إنما لأنه أبله مغفل لا يعرف من أمور الجنس شيئاً أو لأنه لا شهوة فيه أصلاً. قصة المختنث:

روى البخاري وغيره عن عائشة وأم سلمة: أن مختثاً كان يدخل على أهل رسول الله وكانوا يعدونه من غير أولي الإربة، فدخل النبي على أم سلمة وعندها هذا المختنث وعندها أخوها عبد الله بن أبي أمية والمختنث يقول: يا عبد الله إن فتح الله عليك الطائف فعليك بابتنة غيلان فإنها تقبل بأربع، وتدبر بثمان فسمعه فقال: يا عدو الله لقد غلغلت النظر فيها، ثم قال لأم سلمة: لا يدخلن هذا عليك.

يقول الأستاذ المودودي: ولعمر الحق إن كل من يقرأ هذا الحكم بنية الطاعة لا بنية أن ينال لنفسه سبيلاً إلى الفرار من الطاعة لا يلبث أن يعرف لأول وهلة أن هؤلاء الخدام والغلمان المكتملين شباباً في البيوت، أو المطاعم والمقاهي، والفنادق، لا يشملهم هذا التعريف للتابعين غير أولي الإربة بحال من الأحوال.

الحكم الثامن: من هو الطفل الذي لا تحتجب منه المرأة؟

اختلف العلماء في قوله تعالى: أَوْ الطِّفْلُ الَّذِينَ لَمْ يُطْهَرُوا عَلَى عَوْرَاتِ النِّسَاءِ فقال بعضهم: المراد الذين لم يبلغوا حد الشهوة للجماع وقال آخرون: بل المراد الذين لم يعرفوا العورة من غيرها من الصغر. ولعل هذا الأخير أقرب للصواب، وأن المراد بهم الأطفال الذين لا يثير فيهم جسم المرأة أو حركاتها وسكناتها شعوراً بالجنس، لأنهم لصغرهم لا يعرفون معاني الجنس، وهذا لا يصدق إلا على من كان سنه دون العاشرة أما الطفل المراهق فإن الشعور بالجنس يبدأ يثور فيه ولو كان لم يبلغ بعد سن الحلم فينبغي أن تحتجب منه المرأة.

الحكم التاسع: هل صوت المرأة عورة؟ حرم الإسلام كل ما يدعو إلى الفتنة والإغراء. فنهى المرأة أن تضرب برجلها الأرض حتى لا يسمع صوت الخلال فتتحرك الشهوة في قلوب بعض الرجال وَلَا يَصْرُخُنَّ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِنْ زِينَتِهِنَّ. وقد استدلل الأحناف بهذا النهي على أن صوت المرأة عورة فإذا منعت عن صوت الخلال فإن المنع عن رفع صوتها أبلغ في النهي.

قال الجصاص في تفسيره: وفي الآية دلالة على أن المرأة منهية عن رفع صوتها بالكلام بحيث يسمع ذلك الأجانب إذا كان صوتها أقرب إلى الفتنة من صوت خلخالها. ولذلك كره أصحابنا أذان النساء لأنه يحتاج

فيه إلى رفع الصوت، والمرأة منهية عن ذلك، وهو يدل على حظر النظر إلى وجهها للشهوة إذا كان ذلك أقرب إلى الريبة وأولى بالفتنة.. ونقل بعض الأحناف أن نغمة المرأة عورة واستدلوا بحديث التكبير للرجال والتصفيق للنساء فلا يحسن أن يسمعها الرجل.

وذهب الشافعية وغيرهم إلى أن صوت المرأة ليس بعورة لأن المرأة لها أن تبيع وتشترى وتُدلي بشهادتها أمام الحكام، ولا بد في مثل هذه الأمور من رفع الصوت بالكلام.

قال الألوسي: والمذكور في معتبرات كتب الشافعية - وإليه أميل - أن صوتهن ليس بعورة فلا يحرم سماعه إلا إن خشي منه فتنة.

والظاهر أنه إذا أمنت الفتنة لم يكن صوتهن عورة فإن نساء النبي كُنَّ يروين الأخبار، ويحدثن الرجال، وفيهم الأجانب من غير تكبر ولا تأثم.

وذهب ابن كثير رحمه الله إلى أن المرأة منهية عن كل شيء يلفت النظر إليها، أو يحرك شهوة الرجال نحوها، ومن ذلك أنها تنهى عن التعطر والتطيب عند خروجها من بيتها فيشم الرجال طيبها لقوله عليه السلام كل عين زانية، والمرأة إذا استعطرت فمرت بالمجلس فهي كذا وكذا يعني زانية ومثل ذلك أن تحرك يديها لإظهار أساورها وحليها.

أقول: ينبغي على الرجال أن يمنعوا النساء من كل ما يؤدي إلى الفتنة والإغراء، كخروجهن بملابس ضيقة، أو ذات ألوان جذابة، ورفع أصواتهن وتعطرهن إذا خرجن للأسواق وتبخترهن في المشية وتكسرنهن في الكلام وقد قال الله تعالى:

فَلَا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ الْأَحْزَاب: 32 وأمثال ذلك مما لا يتفق مع الآداب الإسلامية، ولا يليق بشهامة الرجل المسلم، فإن الفساد ما انتشر إلا بتهاون الرجال، والتحلل ما ظهر إلا بسبب فقدان الغيرة والحماية على العرض والشرف، والذي لا يغار على أهله لا يكون مسلماً وقد سماه الرسول ديوثاً فقال:

ثلاثة لا يدخلون الجنة ولا يجدون ريحها: الرجل من النساء أي المتشبهة بالرجال ومُذْمَنُ الخمر والديوث، قالوا: من هو الديوث يا رسول الله؟ قال الذي يُقَرُّ الخبث في أهله وفي رواية الذي لا يغار على أهله.

وقديماً قال شاعرنا العربي:

جرد السيف لرأس طارت النخوة منه

نسأل الله أن يحفظ علينا ديننا وشرفنا وأن يجنبنا الفتن ما ظهر منها وما بطن إنه سميع مجيب الدعاء.

ما ترشد إليه الآيات الكريمة

أولاً - النظر بريد الزنى ورائد الفجور فلا ينبغي للمؤمن أن يسلك هذا الطريق.

ثانياً - في غض البصر وحفظ الفرج طهارة للإنسان من الرذائل والفواحش.

ثالثاً - لا يجوز للمسلمة أن تبدي زينتها إلا أمام الزوج أو المحارم من أقاربها.

رابعاً - على المسلمة أن تستر رأسها ونحرها وصدرها بخمارها لئلا يطلع عليها الأجانب.

خامساً - الأطفال والخدام والغلمان الذين لا يعرفون أمور الجنس لصغرهم لا مانع من دخولهم على النساء.

سادساً - يحرم على المسلمة أن تفعل ما يلفت أنظار الرجال إليها أو يثير بواعث الفتنة.

سابعاً - على جميع المؤمنين والمؤمنات أن يرجعوا إلى الله بالتوبة والإنابة ويتمسكوا بأداب الإسلام.

ثامناً - الآداب الاجتماعية التي أرشد إليها الإسلام، فيها صيانة لكرامة الأسرة، وحفظ للمجتمع المسلم.

حكمة التشريع

أمر الله تعالى المؤمنين بغض الأبصار، وحفظ الفروج كما أمر المؤمنين بمثل ما أمر به المؤمنين تركية للنفس وتطهيراً للمجتمع من أدران الفاحشة والتردي في بؤرة الفساد والتحلل الخلقي، وتجنباً للنفس من أسباب الإغراء والغواية.

وقد زاد الإسلام المرأة تركية وطهراً، أن كلفها زيادة على الرجل بعدم إبداء الزينة لغير المحارم من الأقرباء وفرض عليها الحجاب الشرعي ليصون لها كرامتها، ويحفظها من النظرات الجارحة، والعيون الخائنة، ويدفع عنها مطامع المغرضين الفجار. ولما كان إبداء الزينة والتعرض بالفتنة من أهم أسباب التحلل الخلقي والفساد الاجتماعي لذلك فقد أكد الباري جل وعلا ذلك الأمر للمؤمنات بتجنب إظهار الزينة أمام الأجانب ليسد نوافذ الفتنة ويغلق أبواب الفاحشة ويحول دون وصول ذلك السهم المسموم فالنظرة بريد الشهوة ورائد الفجور ولقد أحسن من قال:

ومعظم النار من مستصغر الشرر

كلُّ الحوادث مبداها من النظر

والمراء ما دام ذا عين يقلبها
يسر مقلته ما ضر مهجته
كم نظرة فتكت في قلب صاحبها
يقول شهيد الإسلام سيد قطب عليه رحمة الله في تفسيره ظلال القرآن ما نصه:
إن الإسلام يهدف إلى إقامة مجتمع نظيف لا تهاج فيه الشهوات في كل لحظة ولا تستثار، فعمليات الاستتارة المستمرة تنتهي إلى سعار شهواني لا ينطفئ ولا يرتوي.
والنظرة الخائنة والحركة المثيرة، والزينة المتبرجة، والجسم العاري، كلها لا تصنع شيئاً إلا أن تهيج ذلك السعار الحيواني المجنون.

وإحدى وسائل الإسلام إلى إنشاء مجتمع نظيف هي الحيلولة دون هذه الاستتارة وإبقاء الدافع الفطري العميق بين الجنسين سليماً. دون استتارة مصطنعة، وتصريفه في موضعه المأمون النظيف.
ولقد شاع في وقت من الأوقات أن النظرة المباحة، والحديث الطليق، والاختلاط الميسور، والدعابة المرحية بين الجنسين، والإطلاع على مواطن الفتنة المخبوءة.. شاع أن كل هذا تنقيس وترويح ووقاية من الكبت ومن العقد النفسية... شاع هذا على أثر انتشار بعض النظريات المادية القائمة على تجريد الإنسان من خصائصه التي تفرقه عن الحيوان والرجوع إلى القاعدة الحيوانية الغارقة في الطين - وبخاصة نظرية فرويد - ولكن هذا لم يكن سوى فروض نظرية.

رأيت بعيني في أشد البلاد إباحية وتفلتاً من جميع القيود الاجتماعية والأخلاقية، والدينية، والإنسانية، ما يكذبها وينقضها من الأساس.

نعم شاهدت في البلاد التي ليس فيها قيد واحد على الكشف الجسدي والاختلاط الجنسي، بكل صوره وأشكاله، أن هذا كله لم ينته بهتذيب الدوافع الجنسية وترويضها إنما انتهى إلى سعار مجنون، لا يرتوي ولا يهدأ إلا ريثما يعود إلى الظما والاندفاع.

وشاهدت من الأمراض النفسية والعقد التي كان مفهوماً أنها لا تنشأ إلا من الحرمان، شهادتها بوفرة ومعها الشذوذ الجنسي بكل أنواعه ثمرة مباشرة للاختلاط الذي لا يقيد قيد ولا يقف عنده حد.
إن الميل الفطري بين الرجل والمرأة ميل عميق، وإثارته في كل حين تزيد من عرامته فالنظرة تنثير، والحركة تنثير، والضحكة تنثير، والدعابة تنثير، والطريق المأمون هو تقليل هذه المثيرات. وذلك هو المنهج الذي يختاره الإسلام مع تهذيب الطبع وتشغيل الطاقة البشرية بهوموم أخرى في الحياة غير تلبية دافع اللحم والدم.

خاتمة البحث:

بدعة كشف الوجه

ظهرت في هذه الأيام الحديثة، دعوة تطويرية جديدة، تدعو المرأة إلى أن تسفر عن وجهها، وتترك النقاب الذي اعتادت أن تضعه عند الخروج من المنزل، بحجة أن النقاب ليس من الحجاب الشرعي، وأن الوجه ليس بعورة. دعوة تجدديّة من أناس يريدون أن يظهروا بمظهر الأئمة المصلحين الذين يبعثهم الله على رأس كل مائة سنة ليجددوا للأمة أمر دينها، ويبعثوا فيها روح التضحية، والإيمان، والكفاح.

دعوة جديدة، وبدعة حديثة من أناس يدعون العلم، ويزعمون الاجتهاد ويريدون أن يثبتوا بأرائهم العصرية الحديثة أنهم أهل لأن يُنافسوا الأئمة المجتهدين وأن يجتهدوا في الدين كما اجتهد أئمة المذاهب ويكون لهم أنصار وأتباع.

لقد لاقت هذه الدعوة بدعة كشف الوجه رواجاً بين صفوف كثير من الشباب وخاصة منهم العصريين، لا لأنها دعوة حق ولكن لأنها تلبّي داعي الهوى، والهوى محبّب إلى النفس وتسير مع الشهوة، والشهوة كامنّة في كل إنسان، فلا عجب إذاً أن نرى أو نسمع من يستجيب لهذه الدعوة الأثيمة ويسارع إلى تطبيقها بحجة أنها حكم الإسلام وشرع الله المنير.

يقولون: إنها تطبيق لنصوص الكتاب والسنة وعمل بالحجاب الشرعي الذي أمر الله عز وجل به المسلمات

في كتابه العزيز، وأنهم يريدون أن يتخلصوا من الإثم بكتهم العلم

إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنزَلْنَا مِنَ الْآيَاتِ وَالْهُدَى الْبَقَرَةَ: 159 إلى آخر دعاوهم الطويلة العريضة.

ولست أدري أي إثم يتخلصون منه، وهم يدعون المرأة إلى أن تطرح هذا النقاب عن وجهها وتسفر عن محاسنها في مجتمع يتأجج بالشهوة ويصطلي بنيران الهوى ويتجج بالدعارة، والفسق، والفجور؟! ولقد سبقهم بهذه البدعة المنكرة بعض أهل الهوى من الشعراء حين قال:

قل للمليحة في الخمار المذهب أذهبت دين أخ النقي المتعبد

نور الخمار ونور وجهك ساطع عجباً لوجهك كيف لم يتوقد

ولو أن هؤلاء المجذدين اقتصرت دعوتهم على النساء العاريات، المتبرجات تبرج الجاهلية الأولى، اللواتي خالفن تعاليم الإسلام بخلعن للحجاب فدعوهن إلى التستر والاحتشام وارتداء الجلباب الذي أمرهن به الله عز وجل وقالوا لهن: إن أمر الوجه والكفين فيهما سعة وإن بإمكانهن أن يسترن أجسادهن ويكشفن وجوههن لهن الخطب، وسهل الأمر، وكانت دعوتهم مقبولة لأنها تدرج بالتشريع بطريق الحكمة، ولكنهم يدعون المرأة المؤمنة المحتشمة الساترة لما أمر الله عز وجل ستره، فيزينون لها أن تكشف عن وجهها وتخرج عن حيائها ووقارها فتطرح النقاب تطبيقاً للكتاب والسنة بحجة أن الوجه ليس من العورة؟

وإنه لتحضرنى قصة تلك المرأة المؤمنة الطاهرة التي استشهد ولدها في إحدى الغزوات مع رسول الله فجاءت تبحث عن ولدها بين القتلى وهي متنبقة فقيل لها: تبحثين عنه وأنت متنبقة؟ فأجابت بقولها: لأن أرزأ ولدي فلن أرزأ حياتي؟.. عجباً والله لهؤلاء وأمثالهم أن يدعوا المرأة المسلمة إلى كشف الوجه باسم الدين، وأن يزينوا لها طرح النقاب في مثل هذا العصر الذي فسد رجاله، وفسق شبابه، إلا من رحم الله وكثر فيه الفسق والفجور والمجون.

ونحن نقول لهؤلاء المجذدين من أئمة العصر المجتهدين: رويدكم فقد أخطأتم الجادة وتكنبتم الفهم السليم الصحيح للإسلام وأحكامه التشريعية، ونخاطبهم بمنطق العقل والشرع، وكفى بهما حجة وبرهاناً. لقد شرط الفقهاء - الذين قالوا بأن الوجه ليس بعورة - أمن الفتنة فقالوا: الوجه ليس بعورة، ولكن يحرم كشفه خشية الفتنة، فهل الفتنة مأمونة في مثل هذا الزمان؟

والإسلام قد حرم على المرأة أن تكشف شيئاً من عورتها أمام الأجانب خشية الفتنة، فهل يعقل أن يأمرها الإسلام أن تستر شعرها وقدميها وأن يسمح لها أن تكشف وجهها ويديها؟ وأيهما تكون فيه الفتنة أكبر الوجه أم القدم؟ يا هؤلاء كونوا عقلاء ولا تلبسوا على الناس أمر الدين فإذا كان الإسلام لا يبيح للمرأة أن تدق برجلها الأرض لنلا يسمع صوت الخلخال وتتحرك قلوب الرجال أو يبدو شيء من زينتها، فهل يسمح لها أن تكشف عن الوجه الذي هو أصل الجمال ومنبع الفتنة ومكمن الخطر؟

كلمة العلامة المودودي

وأختم هذه الكلمة بما ذكره العلامة المودودي في تفسيره لسورة النور حيث قال أمد الله في عمره: وهذه الجملة في الآية الكريمة إلا ما ظهر منها تدل على أن النساء لا يجوز لهن أن يتعمدن إظهار هذه الزينة غير أن ما ظهر منها بدون قصد منهن، أو ما كان ظاهراً بنفسه لا يمكن إخفاؤه كالرداء الذي تجلب به النساء ملابسهن يعني الملاء لأنه لا يمكن إخفاؤه وهو مما يستجلب النظر لكونه على بدن المرأة على كل حال فلا مؤاخذه عليه من الله تعالى وهذا هو المعنى الذي بينه عبد الله بن مسعود والحسن البصري. أما ما يقوله غيرهم إن معنى ما ظهر منها ما يظهره الإنسان على العادة الجارية. ثم هم يدخلون فيه وجه المرأة وكفيها بكل ما عليها من الزينة، أي أنه يصح عندهم أن تزين المرأة وجهها بالكحل والمساحيق والصبغ، ويديها بالحناء والخاتم والأسورة، ثم تمشي في الناس كاشفة وجهها وكفيها... أما نحن فنكاد نعجز عن أن نفهم قاعدة من قواعد اللغة يجوز أن يكون معنى ما ظهر منها ما يظهره الإنسان فإن الفرق بين أن يظهر الشيء بنفسه، أو أن يظهره الإنسان بقصده واضح لا يكاد يخفى على أحد، والظاهر من الآية أن القرآن ينهى عن إبداء الزينة ويرخص فيما إذا ظهرت من غير قصد، فالتوسع في حد هذه الرخصة إلى حد إظهارها عمداً مخالف للقرآن ومخالف للروايات التي يثبت بها أن النساء في عهد النبي ما كن يبرزن إلى الأجانب سافرات الوجوه، وأن الأمر بالحجاب كان شاملاً للوجه، وكان النقاب قد جعل جزءاً من لباس النساء إلا في الإحرام.

وأدعى إلى العجب أن هؤلاء الذين يبيحون للمرأة أن تكشف وجهها وكفيها للأجانب، يستدلون على ذلك بأن الوجه والكفين من المرأة ليسا بعورة مع أن الفرق كبير جداً بين الحجاب وستر العورة فالعورة ما لا يجوز كشفه حتى للمحارم من الرجال، وأما الحجاب فهو شيء فوق ستر العورة. انتهى.

ناصر مكارم الشيرازي¹
ما زال حيا - شيعي
الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل

فقرات من التفسير

هـ\33\253

سبب النزول

ويستفاد من بعض الروايات أيضاً أنّ الجيران وسائر الناس كانوا يأتون إلى بعض نساء النبي ويستعيرون أشياء حسب المتعارف والمعتاد، وبالرغم من أنهم لم يكونوا يرتكبون معصية وذنباً طبقاً لبساطة الحياة آنذاك، إلا أنّ الآية أعلاه نزلت لحفظ حيّثية زوجات النبي وأمرت المؤمنين أنهم إن أرادوا أن يأخذوا من نساء النبي شيئاً فليأخذوه من وراء حجاب.

ثمّ تبين الآية الحكم الرابع في باب الحجاب، فقول: وإذا سألتموهنّ متاعاً فاسألوهنّ من وراء حجاب. قلنا: إنّ هذا الأمر كان ولا يزال متعارفاً بين العرب وكثير من الناس أنهم إذا احتاجوا شيئاً من لوازم الحياة ووسائلها فإنهم يستعيرونها من جيرانهم مؤقتاً، ولم يكن بيت النبي مستثنى من هذا القانون، بل كانوا يأتون إليه سواء كان الوقت مناسباً أم غير مناسب، ويستعيرون من نساء النبي شيئاً، ومن الواضح أن جعل نساء النبي عرضة لأنظار الناس - وإن كن يرتدين الحجاب الإسلامي - لم يكن بالأمر الحسن، ولذلك صدر الأمر إلى الناس أن يأخذوا الأشياء من خلف حجاب أو من خلف الباب.

والمسألة التي ينبغي الانتباه إليها هنا هي أنّه ليس المراد من الحجاب في هذه الآية لباس النساء، بل هو حكم يضاف إلى ما كان خاصاً بنساء النبي، وهو: أنّ الناس مكلفون إذا أرادوا شيئاً من نساء النبي أن يأخذوه من وراء حجاب لظروف نساء النبي الخاصة، ويجب عليهنّ أن لا يخرجن إلى الناس ويظهرن لهنّ في مثل هذه الموارد حتّى وإن كن محجّبات، وهذا الحكم لم يرد طبعاً في شأن النساء الأخريات، بل يكفيهنّ أن يراعين الحجاب الإسلامي.

والشاهد على ذلك أنّ كلمة الحجاب، وإن كانت تستعمل في المحادثات اليومية بمعنى حجاب المرأة، إلا أنّها ليس لها مثل هذا المعنى لا في كتب اللغة، ولا في تعبيرات فقهاءنا. الحجاب في اللغة هو الشيء الذي يحول بين شيئين، ولذلك أطلق على الغشاء الموجود بين الأمعاء والقلب والرئة اسم الحجاب الحاجز.

وقد استعمل القرآن الكريم هذه الكلمة بمعنى الحائل أو الساتر في عدّة مواضع، كالأية رقم 45 من سورة الإسراء حيث تقول: جعلنا بينك وبين الذين لا يؤمنون بالآخرة حجاباً مستوراً.

ونقرأ في الآية رقم 32 من سورة ص: حتّى توارت بالحجاب.

وجاء في الآية رقم 51 من سورة الشورى: وما كان لبيشر أن يكلمه الله إلاّ وحياً أو من وراء حجاب.

أمّا في كلمات الفقهاء فقد استعملت كلمة الستر فيما يتعلّق بلباس النساء منذ قديم الأيّام وإلى يومنا هذا، وورد أيضاً في الروايات الإسلامية هذا التعبير أو ما يشبهه، واستعمال كلمة الحجاب في شأن لباس المرأة اصطلاح ظهر في عصرنا على الأكثر، وإذا وجد في التواريخ والروايات فقليل جداً.

والشاهد الآخر هو ما نقرؤه في الحديث المروي عن أنس بن مالك خادم النبي الخاص، حيث يقول: أنا أعلم الناس بهذه الآية - آية الحجاب - لما أهديت زينب إلى رسول الله كانت معه في البيت - صنع طعاماً، ودعا القوم ففقدوا يتحدثون، فجعل النبي يخرج ثم يرجع وهم قعود يتحدثون، فأنزل الله: يا أيّها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوت النبي - إلى قوله - من وراء حجاب فضرب الحجاب وقام القوم.

وفي رواية أخرى عن أنس أنّه قال: أرخى الستر بيني وبينه، فلمّا رأى القوم ذلك تفرّقوا.

بناءً على هذا فإنّ الإسلام لم يأمر النساء المسلمات بأن يجلسن خلف الستور، ولا يبرحن دورهن، وليس لكلمة المستورات أو المحجّبات وأمثال ذلك من التعبيرات صفة إسلامية أو بعد إسلامي بالنسبة للنساء، بل إنّ ما يلزم المرأة المسلمة هو محافظتها على الحجاب الإسلامي، إلا أنّ نساء النبي قد أمرن بهذا الأمر

¹ <https://goo.gl/Zpk2R6>

² <http://goo.gl/ycVke4>

الخاص بسبب وجود أعداء كثيرين، ومتتبعين للعيوب والمغرضين، وكان من الممكن أن يصبح عرضة للتهمة، وحرية تقع بيد الإنتهازيين.
وبتعبير آخر: إنَّ الناس قد أمروا أن يسألوا نساء النَّبي ما يبتغونه من وراء حجاب. خاصة وأنَّ التعبير بوراء يشهد لهذا المعنى.
ولذلك بيّن القرآن فلسفة هذا الحكم فقال: ذلكم أظهر لقلوبكم وقلوبهنَّ.
وبالرغم من أنَّ مثل هذا التعليل لا ينافي الحكم الإستجابي، إلا أنَّ ظهور الأمر في جملة فاسألوهنَّ لا يتزلزل في دلالته على الوجوب، لأنَّ مثل هذا التعليل قد ورد أحياناً في موارد أحكام واجبة أخرى.
هــ 90\33: 159

سبب النزول

جاء في تفسير علي بن إبراهيم في سبب نزول الآية الأولى: فإنَّه كان سبب نزولها أنَّ النساء كن يخرجن إلى المسجد ويصلين خلف رسول الله ص وإذا كان بالليل خرجن إلى صلاة المغرب والعشاء الآخرة والغداة، يقعد الشبان لهنَّ في طريقهنَّ فيؤذونهن ويتعرضون لهنَّ فأنزل الله: يا أيُّها النَّبي قل لأزواجك وبناتك ونساء المؤمنات - إلى قوله - ذلك أدنى أن يعرفن فلا يؤذين وكان الله غفوراً رحيماً.
وجاء في نفس الكتاب في شأن نزول الآية الثانية، أنَّها نزلت في قوم منافقين كانوا في المدينة يرجفون برسول الله ص إذا خرج في بعض غزواته يقولون قتل وأسروا فيغتم المسلمون لذلك ويشكون إلى رسول الله ص فأنزل الله في ذلك: لئن لم ينته المنافقون - إلى قوله - ثمَّ لا يجاورونك إلا قليلاً فبذلك هدت مختلفي الشايعات بشدة.

التفسير

تحذير شديد للمؤمنين ومختلقي الإشاعات!

بعد النهي عن إيذاء رسول الله ص والمؤمنين الذي ورد في الآية السابقة، أكدت الآية هنا على أحد موارد الأذى، ومن أجل الوقوف أمامه سلكت طريقين: فأمرت المؤمنات أولاً أن لا يدعن في يد المفسدين والعابثين حجةً يتشبثون بها في سبيل تحقيق أذاهم، ثمَّ هاجمت المنافقين ومختلقي الإشاعات وهددتهن بتهديد قلَّ نظيره في آيات القرآن.

فتقول الآية في الجزء الأول: يا أيُّها النَّبي قل لأزواجك وبناتك ونساء المؤمنات يدنين عليهنَّ من جلابيهنَّ ذلك أدنى أن يعرفن فلا يؤذين.

هناك رأيان لدى المفسرين في المراد من المعرفة لا يتناقضان:

الأول: أنَّه كان من المتعارف ذلك اليوم أن تخرج الجوازي من المنازل مكشوفات الرأس والرقبة، ولما لم يكن مقبولات من الناحية الأخلاقية، فقد كان بعض الشباب المتهوِّر يضايقهنَّ، فأمرت المسلمات الحرائر أن يلتزمن الحجاب التام لتمييزهن عن الجوازي، وبالتالي لا يقدر أن يؤذيهنَّ أولئك الشباب.
ومن البديهي أنَّ هذا الكلام لا يعني أنَّه كان لأولئك الطائشين حقَّ أذى الجوازي، بل المراد سلب الحجة من الأفراد الفاسدين.

والآخر: أنَّ الهدف هو أن لا تتساهل المسلمات في أمر الحجاب كي بعض النساء المتحللات والمتبرجات المسلوبات الحياء رغم التظاهر بالحجاب، هذا التبرج يغري السفلة والأراذل ويلفت انتباههم.

أمَّا المراد من الجلابب فقد ذكر المفسرون وأرباب اللغة عدة معانٍ له:

1- أنَّه الملحفة، وهي قماش أطول من الخمار يغطّي الرأس والرقبة والصدر.

2- أنَّه المقنعة والخمار.

3- أنَّه القميص الفضفاض الواسع.

ومع أنَّ هذه المعاني تختلف عن بعضها، إلا أنَّ العامل المشترك فيها أنَّها تستر البدن.

وتجدر الإشارة إلى أنَّ الجلابب يقرأ بكسر الجيم وفتحها.

إلا أنَّ الأظهر أنَّ المراد هو الحجاب الذي يكون أكبر من الخمار وأقصر من العباءة، كما ذكر ذلك صاحب لسان العرب.

والمراد من يُدنين أن يقربن الجلابب إلى أبدانهن ليكون أستر لهنَّ، لا أن يدعنه كيف ما كان بحيث يقع من هنا وهناك فيكتشف البدن، وبتعبير أبسط أن يلاحظن ثيابهنَّ ويحافظن على حجابهنَّ.

أما ما إستفاده البعض من أنّ الآية تدلّ على وجوب ستر الوجه أيضاً، فلا دليل عليه، والنادر من المفسّرين من إعتبر ستر الوجه داخلاً في الآية.
وعلى كلّ حال، فيستفاد من هذه الآية أنّ حكم الحجاب بالنسبة للحرائر كان قد نزل من قبل، إلّا أنّ بعض النسوة كنّ يتساهلن في تطبيقه، فنزلت الآية المذكورة للتأكيد على الدقّة في التطبيق.
ولما كان نزول هذا الحكم قد أقلق بعض المؤمنات ممّا كان منهن قبل ذلك، فقد أضافت الآية في نهايتها وكان الله غفوراً رحيماً فكلّ ما بدر منكّن إلى الآن كان نتيجة الجهل فإنّ الله سيغفره لكنّ، فتبن إلى الله وارجعن إليه، ونفذن واجب العفة والحجاب جيداً.

هـ-102\24: 131

سبب التّزول

جاء في كتاب الكافي حول سبب نزول أول آية من الآيات السابقة، عن الإمام الباقر قال: استقبل شاب من الأنصار امرأة بالمدينة وكان النساء يقتعن خلف أذانهن، فنظر إليها وهي مقبلة، فلما جازت نظر إليها ودخل زقاق قد سمّاه يعني فلان، فجعل ينظر خلفها واعترض وجهه عظم في الحائط أو زجاجة فشقّ وجهه، فلما مضت المرأة نظر فإذا الدماء تسيل على ثوبه وصدره، فقال: والله لاتين رسول الله ولأخبرته، قال: فاتاه فلما رآه رسول الله قال له: ما هذا فأخبره، مهبط جبرئيل بهذه الآية: قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم ويحفظوا فروجهم ذلك أزكى لهم أن الله خبير بما يصنعون.

التفسير

مكافحة السفور وخاتنة الاعين:

قلنا في البداية: إنّ هذه السورة - في الحقيقة - اختصت بالعفة والطهارة وتطهير الناس من جميع الانحرافات الجنسية، وبحوثها منسجمة، وهي تدور حول الأحكام الخاصة بالنظر إلى الأجنبية والحجاب، ولا يخفى على أحد ارتباط هذا البحث بالبحوث الخاصة بالقذف.

تقول الآية أولاً: قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم ويحفظوا فروجهم.

وكلمة يغضوا مشتقة من غَضَّ من باب ردّ وتعني في الأصل التّقيص، وتطلق غالباً على تخفيض الصوت وتقليل النظر. لهذا لم تأمر الآية أن يغمض المؤمنون عيونهم. بل أمرت أن يغضوا من نظرهم. وهذا التعبير الرائع جاء لينفي غلق العيون بشكل تام بحيث لا يعرف الإنسان طريقه بمجرد مشاهدته امرأة ليست من محارمه، فالواجب عليه أن لا يتخجّر فيها، بل أن يرمي ببصره إلى الأرض، ويصدق فيه القول أنه غَضَّ من نظره وأبعد ذلك المنظر من مخيلته.

ومما يلفت النظر أنّ القرآن الكريم لم يحدد الشيء الذي يستوجب غَضَّ النظر عنه. أي أنه حذف متعلّق الفعل ليكون دليلاً على عموميته. أي غَضَّ النظر عن جميع الأشياء التي حرم الله النظر إليها.

ولكن سياق الكلام في هذه الآيات، وخاصة في الآية التالية التي تتحدث عن قضية الحجاب، يوضح لنا جيداً أنها تقصد النظر إلى النساء غير المحارم، ويؤكد هذا المعنى سبب التّزول الذي ذكرناه سابقاً.

ويُضح لنا ممّا سبق أن مفهوم الآية السابقة ليس هو حرمة النظر الحاد إلى النساء غير المحارم، ليتصور البعض أنّ النظر الطبيعي إلى غير المحارم مسموح به، بل إن نظر الإنسان يمتدّ إلى حيّز واسع ويشمل دائرة واسعة، فإذا وجد امرأة من غير المحارم عليه أن يخرجها عن دائرة نظره. ولأ ينظر إليها، ويواصل السير بعين مفتوحة، وهذا هو مفهوم غَضَّ النظر. فتأملوا جيداً.

الحكم الثّاني في الآية السابقة: هو حفظ الفروج. والفرج - كما قلنا سابقاً - يعني الفتحة والفصلة بين شيتين، إلّا أنّها هنا ورد كناية عن العورة.

والقصد من حفظ الفرج - كما ورد في الأحاديث - هو تغطيته عن الأنظار، وقد جاء في حديث عن الإمام الصادق قوله: كلّ آية في القرآن فيها ذكر الفروج فهي من الزنا، إلّا هذه الآية فإنّها من النظر.

إن الإسلام نهى عن هذا العمل المندفع مع الأهواء النفسية والشهوات، لأنّ ذلك أزكى لكم كما نصّت عليه الآية - موضع البحث - في ختامها.

ثم تحذر الآية أولئك الذين ينظرون بشهوة إلى غير محارمهم، ويبررون عملهم هذا بأنّه غير متعمّد فتقول: إنّ الله خبير بما تصنعون.

وتناولت الآية التالية شرح واجبات النساء في هذا المجال، فأشارت أولاً إلى الواجبات التي تشابه ما على الرجال، فتقول: **وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ**. وبهذا حرم الله النظر بريبة على النساء أيضاً مثلما حرّمه على الرجال، وفرض تغطيته فروجهن عن أنظار الرجال والنساء مثلما جعل ذلك واجباً على الرجال. ثم أشارت الآية إلى مسألة الحجاب في ثلاث جمل:

1- **وَلَا يَبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا**.
اختلف المفسرون في تفسير الزينة التي تجب تغطيتها، والزينة الظاهرة التي يسمح بإظهارها. فقال البعض: إنَّ الزينة المخفية هي الزينة الطبيعية في المرأة جمال جسم المرأة في حين أن استخدام هذه الكلمة بهذا المعنى قليل.

وقال آخرون: إنها تعني موضع الزينة: لأن الكشف عن أداة الزينة ذاتها كالعضد والقلادة مسموح به، فالمنع يخص موضعها، أي اليدين والصدر مثلاً.
وقال آخرون: خص المنع أدوات الزينة عندما تكون على الجسم، وبالطبع يكون الكشف عن هذه الزينة مرادفاً للكشف عن ذلك الجزء من الجسم. وهذين التفسيرين الأخيرين لهما نتيجة واحدة على الرغم من متابعة القضية عن طريقين مختلفين.

والحق أننا يجب أن نفسر الآية على حسب ظاهرها ودون حكم مسبق، وظاهرها هو التفسير الثالث.
وعلى هذا، فلا يحق للنساء الكشف عن زينتهن المخفية، وإن كانت لا تظهر أجسامهن، أي لا يجوز لهن الكشف عن لباس يتزيّن به تحت اللباس العادي أو العباءة، بنص القرآن الذي نهاهن عن ذلك.
وذكرت الأحاديث التي رويت عن أهل البيت هذا المعنى، فقد فسروا الزينة المخفية بالقلادة والدمالج حلي يشدُّ أعلى الساعد والخلخال⁴.

وقد فسرت أحاديث عديدة أخرى الزينة الظاهرة بالخاتم والكحل وأمثاله، لهذا نفهم بأن المراد من الزينة المخفية الزينة التي تحت الحجاب فتأملوا جيداً.

2 - وثاني حكم ذكرته الآية هو: **وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَى جَبْهِهِنَّ** وكلمة **خُمُر** جمع خمار على وزن حجاب في الأصل تعني الغطاء، إلا أنه يطلق بصورة اعتيادية على الشيء الذي تستخدمه النسوة لتغطية رؤوسهن. والجيوب جمع جيب على وزن غيب بمعنى ياقة القميص، وأحياناً يطلق على الجزء الذي يحيط بأعلى الصدر لمجاورته الياقة.

ويستنتج من هذه الآية أن النساء كنَّ قبل نزولها، يرمين أطراف الخمار على أكتافهن أو خلف الرأس بشكل يكشفن فيه عن الرقبة وجانباً من الصدر، فأمرهن القرآن برمي أطراف الخمار حول أعناقهن أي فوق ياقة القميص ليسترن بذلك الرقبة والجزء المكشوف من الصدر. ويستنتج هذا المعنى أيضاً عن سبب نزول الآية الذي ذكرناه آنفاً.

- وتشرح الآية في حكمها الثالث الحالات التي يجوز للنساء فيها الكشف عن حجابهن وإظهار زينتهن، فتقول **وَلَا يَبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا**.

- 1- لبعولتهن.
- 2- أو آبائهن.
- 3- أو آباء بعولتهن.
- 4- أو أبنائهن.
- 5- أو أبناء بعولتهن.
- 6- أو إخوانهن.
- 7- أو بني إخوانهن.
- 8- أو بني أخواتهن.
- 9- أو نساءهن.
- 10- أو ما ملكت أيمنهن.
- 11- أو التابعين غير أولي الإربة من الرجال أي الرجال الذين لا رغبة جنسية عندهم أصلاً بالعنن أو بمرض غيره.
- 12- أو الطفل الذين لم يظهروا على عورات النساء.

4- وتبيّن الآية رابع الأحكام فتقول ولا يضربن بأرجلهن ليعلم ما يخفين من زينتهن أي على النساء أن يحتفظن كثيراً، ويحفظن عقتهن، ويبتعدن عن كل شيء يثير نار الشهوة في قلوب الرجال، حتى لا يتهمن بالانحراف عن طريق العفة.
ويجب أن يراقبن تصرفهن بشدة بحيث لا يصل صوت خلخالهن إلى أذان غير المحارم، وهذا كله يؤكد دقة نظر الإسلام إلى هذه الأمور.

...
بحوث

1- فلسفة الحجاب

مما لا شك فيه أنّ الحديث عن الحجاب للمتغربين في عصرنا الذي سمّوه بعصر التعري والحرية الجنسية، ليس حديثاً ساراً حيث يتصوّرونه أسطورة يعود لعصور خلت.
إلا أنّ الفساد الذي لا حدّ له، والمشاكل المتزايدة والناجمة عن هذه الحريات التي لا قيد لها ولا حدود، أدى بالتدريج إلى ايجاد الأذن الصاغية لهذا الحديث.
وقد تمّ حلّ كثير من القضايا في بيئات إسلامية ودينية أخرى، خاصة في أجواء إيران بعد الثورة الإسلامية، وأجيب عن الكثير من هذه الأسئلة بشكل مقنع.
ومع كل هذا تستوجب أهمية الموضوع بحث هذه القضية بحثاً واسعاً وعميقاً.
والقضية المطروحة نقولها مع الاعتذار: هل من الصحيح أن تستغل النساء للتلذذ من جانب الرجال عن طريق السمع والنظر واللمس باستثناء المجامعة وأن يكُنّ تحت تصرف جميع الرجال، أو أن تكون هذه الأمور خاصة لأزواجهن؟
إنّ النقاش يدور حول هذا السؤال: هل يجب بقاء النساء في سباق لا نهاية له في عرض أجسامهنّ، وتحريك شهوات وأهواء الرجال؟ أو يجب تصفية هذه الأمور من أجواء المجتمع، وتخصيصها بالأسرة والحياة الزوجية؟!

الإسلام يساند الأسلوب الثاني. ويعتبر الحجاب جزءاً من هذا الأسلوب، في الوقت الذي يساند فيه الغربيون والمتغربون الشهبانين الأسلوب الأول!
يقول الإسلام: إنّ الأمور الجنسية سواء كانت مجامعة أو استلذاً عن طريق السمع أو البصر أو اللمس خاصّ بالأزواج، ومحرم على غيرهم، لأنّ ذلك يؤدّي إلى تلوّث المجتمع وانحطاطه، وعبرة ذلك أركى لكم التي جاءت في الآية السابقة تشير إلى هذه المسألة.
إنّ فلسفة الحجاب ليست خافية على أحد للأسباب التالية:

1- إنّ تعري النساء وما يرافقه من تجميل وتدلّل - وما شاكل ذلك - يحرك الرجال - خاصة الشباب - ويحطّم أعصابهم، وتراهم قد غلب عليهم الهياج العصبي، وأحياناً يكون ذلك مصدراً للأمراض النفسية، فأعصاب الإنسان محدودة التحمّل، ولا تتمكن من الاستمرار في حالة الهيجان؟
ألم يقل أطباء علم النفس بأنّ هذه الحالة من الهيجان المستمر سبب للأمراض النفسية؟
خاصّة إذا لاحظنا أنّ الغريزة الجنسية، أقوى الغرائز في الإنسان وأكثرها عمقاً، وكانت عبر التاريخ السبب في أحداث دامية وإجرامية مرعبة، حتى قيل: إنّ وراء كلّ حادثة مهمّة امرأة!
أليس إثارة الغرائز الجنسية لعباً بالنار؟
وهل هذا العمل عقلاني؟

الإسلام يريد للرجال والنساء المسلمين نفساً مطمئنة وأعصاباً سليمة ونظراً وسماعاً طاهرين، وهذه واحدة من فلسفات الحجاب.

2- تبيّن إحصاءات موقّعة ارتفاع نسب الطلاق وتفكك الأسرة في العالم، بسبب زيادة التعري، لأنّ الناس أتباع الهوى غالباً، وهكذا يتحوّل حبّ الرجل من امرأة إلى أخرى، كلّ يوم، بل كلّ ساعة.
أما في البيئة التي يسودها الحجاب والتعاليم الإسلامية الأخرى فالعلاقة وثيقة بين الزوج وزوجته، ومشاعرهما وحبهما مشترك.

وأما في سوق التعري والحرية الجنسية، حيث المرأة سلعة تباع وتشترى، أو في أقلّ تقدير موضع نظر وسمع الرجال، عندها يفقد عقد الزواج حرمة، وتنهار أسس الأسر بسرعة كانهيار بيت العنكبوت، ويحتمل هذه المصيبة الأبناء بعد أن يفقدوا أولياءهم ويفقدوا حنان الأسرة.

3- انتشار الفحشاء وازدياد الأبناء غير الشرعيين يعتبران من أنكى نتائج إلغاء الحجاب، ولا حاجة إلى إحصائية بهذا الصدد، فشواهدنا ظاهرة في المجتمع الغربي، واضحة بدرجة لا تحتاج إلى بيان. لا نقول: إنَّ السبب الرئيسي في ازدياد الفحشاء والأبناء غير الشرعيين ينحصر في إلغاء الحجاب وعدم الستر، ولا نقول: إنَّ الاستعمار المشؤوم والقضايا السياسية المخربة ليس لها دور قوي فيه، بل نقول: إنَّ التعري من الأسباب القوية لذلك. وكما نعلم فإن انتشار الفحشاء وازدياد الأبناء غير الشرعيين مصدر أنواع الجرائم في المجتمعات البشرية قديماً وحديثاً.

وبهذا تتضح الأبعاد الخطرة لهذه القضية. وعندما نسمع أنَّ الولادات غير الشرعية في بريطانيا بلغت بحسب إحصائياتهم خمسمائة ألف طفل كلَّ عام، وأنَّ علماءها حذروا المسؤولين من مغبة هذا الوضع، ليس لأنَّه - كما يقولون - بسبب مخالفته للقضايا الأخلاقية والدينية، وإنما بسبب الخطر الذي أوجده هؤلاء الأبناء لأمن المجتمع، فقد وجدوا أنَّهم يمثلون القسم الأعظم من ملفات القضايا الخاصة بالجرائم.

ومن هنا ندرك أهمية هذه القضية، وأنها كارثة حتى للذين لا يؤمنون بدين ولا يهتمون بأخلاق. وكلما انتشر الفساد الجنسي في المجتمعات البشرية اتَّسع التهديد لهذه المجتمعات وتعاضم الخطر عليها، وقد برهنت دراسات العلماء في التربية على ظهور الأعمال المنافية للعفة، وتفشِّي الإهمال في العمل والتأخر، وعدم الشعور بالمسؤولية، في المدارس المختلطة والمنشآت التي يعمل فيها الرجال والنساء بشكل مختلط. 4 - قضية ابتذال المرأة وسقوط شخصيتها في المجتمع الغربي ذات أهمية كبيرة لا تحتاج إلى أرقام، فعندما يرغب المجتمع في تعري المرأة، فمن الطبيعي أن يتبعه طلبها لأدوات التجميل والتظاهر الفاضح والانحدار السلوكي، وتسقط شخصية المرأة في مجتمع يركز على جاذبيتها الجنسية، ليجعلها وسيلة إعلامية يُروَّج بها لبيع سلعة أو لكسب سانح.

وهذا السقوط يفقدها كلَّ قيمتها الإنسانية، إذ يصبح شبابها وجمالها وكأنَّه المصدر الوحيد لفخرها وشرفها، حتى لا يبقى لها من إنسانيتها سوى أنَّها أداة لإتباع شهوات الآخرين، الوحوش الكاسرة في صور البشر! كيف يمكن للمرأة في هذا المجتمع أن تبرز علمياً وتسمو أخلاقياً؟!

ومن المؤسف أن تلعب المرأة باسم الفن، وتشتهر وتكسب المال الوفير، وتنحطَّ إلى حد الابتذال في المجتمع، ليرحب بها مسيرو هذا المجتمع المنحط خلقياً، في المهرجانات والحفلات الساخرة؟!

هكذا حال المرأة في المجتمع الغربي، وقد كان مجتمعنا قبل انتصار الثورة الإسلامية كذلك، ونشكر الله على إنهاء تلك المظاهر المنحطة في بلادنا بعد تأسيس الجمهورية الإسلامية، فقد عادت المرأة إلى مكانتها السامية التي أرادها الله لها، وما هي ذي تمارس دوراً إيجابياً في المجتمع مع محافظتها على حجابها الإسلامي، حتى أنها ساهمت بشكل فعال خلف جبهات الحرب بمختلف الأعمال لدعم الجبهة والجهاد في سبيل الله.

وكان هذا جانباً من الفلسفة الحيوية لموضوع الحجاب في الإسلام. وهو ينسجم مع تفسيرنا.

الإشكال الذي يورده معارضو الحجاب:

نصل هنا إلى الانتقادات التي يطرحها معارضو الحجاب، فنبحثها بشكل مضغوط:

1- أهم الانتقادات التي يذكرها معارضو الحجاب أنَّ النساء يشكلن نصف المجتمع، والحجاب يجعلهنَّ في معزل عن المجتمع، ويكون ذلك سبباً في تأخرهنَّ الثقافي، وانعدام الاستفادة من هذه الطاقات العظيمة في ازدهار الاقتصاد. وإذا شغل مكانهنَّ في المنشآت الثقافية والاجتماعية أصبحن موادَّ استهلاكية ليست بذات جدوى للمجتمع.

إلا أنَّ هؤلاء المتمسكين بهذا المنطق غفلوا عن عدَّة أمور، أو تغافلوا عنها، للأسباب التالية: -

أولاً: من الذي قال: إنَّ الحجاب الإسلامي يعزل المرأة عن المجتمع؟

لنن صعب علينا الجواب عن هذا السؤال في السابق، فما نزن أننا بعد قيام الجمهورية الإسلامية المباركة بحاجة إلى دليل على نهضة المرأة نهضة كريمة ومشاركتها في تشييد المجتمع الإسلامي المنشود مشاركة تحقق النفع للمرأة والأسرة والحكومة والأمة، فهي مسؤولة في الدوائر والمصانع والمتاجر، وفي النشاط السياسي في المسيرات والمظاهرات، في الإذاعة والتلفزيون، وفي المراكز الصحية - خاصة في معالجة جرحي الحرب - وفي المدارس والجامعات، حتَّى في ساحة الحرب ومجاهدة العدو.

وباختصار: إنَّ الواقع الاجتماعي في بلدنا خير جواب عن هذا السؤال: وإذ كنَّا نتحدث في السابق عن إمكانية حدوث ذلك، فإننا اليوم نراه ماثلاً بين أعيننا. وكما يقول الفلاسفة: خير دليل على إمكان وجود الشيء حدوثه، ولا حاجة للبرهنة على وجود الواقع.

ثانياً: إضافة إلى ذلك، ألا تُعتبر إدارة المنزل وتربية الأبناء الأصحاء رجال المستقبل - الذين يديرون عجلة الاقتصاد والسياسة في البلاد - عملاً؟

إن الذين لا يعدّون هذه المسؤولية للمرأة أمراً إيجابياً جاهلون بحقيقة دور المرأة في الأسرة وفي التربية، وفي بناء مجتمع سليم فعال، بل لا يعترفون إلا بمغادرة الرجال والنساء المنازل صباحاً - كالغربيين - ليلتحقوا بالدوائر والمصانع. ويجعلون أبناءهم تحت رعاية الآخرين، في دور الحضانة، أو يغلقوا عليهم المنازل ليعيشوا في معتقل دون رعاية، حتى يعود الوالدان من العمل وقد أرهقهما التعب! هؤلاء غافلون عن أنَّ افتقاد الأطفال للرعاية والعطف، يؤدي إلى تحطّم شخصيتهم ويعرض المجتمع إلى الخطر.

2 - كما يتذرع معارضو الحجاب بادعائهم بأنّه يعوق المرأة عن نشاطها الاجتماعي ولا ينسجم مع العصر الحديث، ويقولون: كيف تحفظ المرأة حجابها وطفلها وعملها في آن واحد؟!

إنّهم غافلون عن أنَّ الحجاب ليس العباءة ونحوها، بل هو غطاء الجسم، فإن تسنى للمرأة الاحتجاب بالعباءة فذلك حسن، وإلاّ كفاها غطاء الرأس واللباس المحتشم حجاباً. وقد لَبِث نساؤنا الريفيات وخاصة العاملات - في مزارع الرز المملوكة لعوائلهن - هذا اللباس، حيث يمارسن الحرارة والبدار والاهتمام بالزرع ثمّ حصاده، وبرهن عملن على إمكانية محافظة المرأة على حجابها دون أن يمنع ذلك ممارستها لا شقّ الأعمال.

3- يعترض المخالفون للحجاب قائلين: إنّ الحجاب يفصل بين الرجال والنساء، ويزيد في حرص الرجال بدلاً من إخماد هذا الحرص، لأنّ المرء حريص على ما منع.

وهذه سفسطة واضحة، فلو قارن المرء بين مجتمعنا على عهد الطاغوت واليوم لتجلّى له الحقّ صريحاً، فبالأمس كان نزاع الحجاب إجبارياً، واليوم يسود الحجاب الإسلامي مجتمعنا كله، والفساد كان ينتشر بالأمس في كل أنحاء البلاد، ويسيطر التسبب على معظم الأسر، ويزداد الطلاق بنسبة عالية، وترتفع نسبة المواليد غير الشرعية، وآلاف المصائب الأخرى. ونحن لا نجزم بأنّ كل الفساد قد زال في بلادنا واقتلعت جذوره، إلاّ أنّه ممّا لا شك فيه أنّه قد انخفض بدرجة كبيرة، واستعاد مجتمعنا سلامته بدرجة كبيرة.

وإذا استمر الوضع على هذا المنوال بعون من الله، فإننا سنتمكن من حلّ جميع المشاكل. ويبلغ مجتمعنا مرتبة الطهارة الكاملة، ويحفظ للمرأة مكانتها الرفيعة.

2- استثناء الوجه والكفين

هناك اختلاف في الرأي بين الفقهاء حول شمول حكم حجاب الوجه والكفين من الرسغ إلى أطراف الأصابع، أم لا؟

الكثير من الفقهاء يرى أنّ تغطية الوجه والكفين مستثنى من حكم الحجاب، في الوقت الذي أفتى آخرون بوجوب تغطيتها، أو في الأقل احتاطوا في وجوب تغطيتها، وطبيعي أنّ القول باستثناء وجوب الحجاب على الوجه والكفين هو في حالة عدم نشوب فساد، وإلاّ فيجب تغطيتها.

وهناك قرآن في الآية الشريفة تؤيد هذا الاستثناء ويؤيد الرأي الأول:

أ - استثناء الزينة الظاهر في الآية السابقة، سواء دلت على أنّها تقصد موضع الزينة أو الزينة ذاتها، تكشف عن عدم وجوب تغطية الوجه والكفين.

ب - إن حكم الآية السابقة بوجوب رمي أطراف خمار المرأة على طرفي الياقة يفهم منه تغطية جميع أجزاء الرأس والرقبة والصدر. ولم يتحدث هذا الحكم عن تغطية الوجه، وهذا دليل آخر على هذا الرأي.

ولإيضاح ذلك نقول: كانت بعض نساء العرب يلبسن الخمار ويرمين طرفية على الكتفين بشكل تبقى الرقبة وجزء من الصدر مكشوفين، وقد أصلح الإسلام هذه الحالة، فأمر بتغطية الرقبة والصدر برمي طرفي الخمار على جانبي ياقة

الثوب، لتبقى دائرة الوجه وحدها مكشوفة.

ج - كما جاءت أحاديث إسلامية عديدة في هذا المجال تؤكّد ما ذهبنا إليه مع وجود أحاديث معارضة لها، ولكنّها ليست بتلك الدرجة من الصراحة، والجمع بينهما بالقول باستحباب تغطية الوجه والكفين - عند خشية الفساد والانحراف - أمر ممكن. كما تدلّ شواهد تاريخية على أنّ تغطية الوجه بقناع لم تكن عامّة في صدر الإسلام ذكر شرح مفصل فقهي وروائي عن هذه القضية في البحوث الفقهية عن النكاح.

إلا أننا نؤكد ثانية أن هذا الحكم في وقت لا يؤدي إلى استغلال أو انحراف.
كما يجب القول: إن استثناء الوجه والكفين من حكم الحجاب لا يعني جواز النظر بشكل عمومي من قبل الرجال، وإنما هو نوع من التسهيلات التي مُنحت للمرأة في الحياة.
- 3 ما المقصود من نساتهن؟

ذكرنا في تفسير الآية السابقة أن تاسع مجموعة مستثناة بالاطلاع على زينة النساء هن النساء الأخريات، وبملاحظة عبارة نساتهن ندرك أنها تقصد النساء المسلمات، ولا يكشف عن زينتتهن لغير المسلمات، وفلسفة ذلك، أنه من المحتمل أن يصفن - غير المسلمات - لأزواجهن ما شاهدنه من زينة النساء المسلمات. وهذا ليس عملاً صائباً من قبل المسلمات.

وروي عن الإمام الصادق في كتاب من لا يحضره الفقيه: لا ينبغي للمرأة أن تكشف بين يدي اليهودية والنصرانية فإتتهن يصفن ذلك لأزواجهن⁶.

- 4 تفسير عبارة أو ما ملكت إيمانهن
لظاهر هذه العبارة مفهوم واسع، ويدل على أنه بإمكان المرأة الظهور دون حجاب بحضور عبدها، إلا أن بعض الأحاديث صرحت بأن ذلك يعني فقط الظهور بين الجوّاري حتى لو كنّ غير مسلمات، ولا يشمل هذا الحكم العبيد. ففي حديث للإمام أمير المؤمنين علي: لا ينظر العبد إلى شعر سيّدته⁷. ويستفاد من أحاديث أخرى تعميم هذا الحكم على الجوّاري والعبيد، إلا أن ذلك خلافاً للاحتياط.

- 5 تفسير أولي الإربة من الرجال
الإربة في الأصل مشتقة من أرب على وزن عرب وكما يقول الراغب الأصفهاني في مفرداته، شدة الحاجة التي تدفع بالإنسان إلى إيجاد حلّ لها.

كما استعملت بمعنى الحاجة بشكل عام. والقصد هنا من أولي الإربة من الرجال الذين لهم رغبة جنسية وهم بحاجة إلى زوجة، وعلى هذا، فإن غير أولي الإربة هم الرجال الذين لا رغبة جنسية لديهم أصلاً. ولكن من المقصود بذلك؟

هنالك اختلاف بين المفسرين.
قال البعض منهم: إنهم كبار السنّ الذين خمد لديهم دافع الشهوة الجنسية، كالقواعد من النساء والنسوة اللاتي تجاوزت أعمارهن حدّ الزواج وهنّ كالمقاعدات في هذا المجال.

وقال آخرون: إن المقصود هو الخصي من الرجال.
وقال بعض المفسرين: إنّه الرجل الخنثى، أي: الذي لا يمتلك آلة الرجولة.

إلا أن التفسير الذي يمكن الاعتماد عليه هو الذي جاء في أحاديث مؤكدة عن الإمامين الباقر والصادق: هو الأحق الذي لا يأتي النساء من أن القصد هنا هو الأبلّة من الرجال الذي لا يحسن برغبة جنسية أبداً، ويستفاد منهم في الأعمال البسيطة وخدمة الأفراد، وعبارة التابعين تؤكد هذا المعنى⁸.

وبما أن هذا الوصف - أي عدم الشعور بالرغبة الجنسية - فئة خاصة من المسنين يصدق على. فلا نستبعد إمكانية توسعة مفهوم الآية ليشمل هذه الفئة، وقد روي حديث عن الإمام الكاظم يؤكد ذلك، بيد أن ذلك لا يعني أنهم يصبحون من المحارم، غاية الأمر هو عدم وجوب تغطية الرأس أو جزء من اليدين بحضور هذه المجموعة.

- 6 أي طفل مستثنى من هذا الحكم؟
ذكرنا أن المجموعة الثانية عشرة - أي الأطفال الذين لم يبلغوا الحلم - مستثنون من حكم الحجاب. وعبارة لم يظهروا تعني أحياناً لم يطلعوا وأحياناً أخرى لم يعتدوا لأنها جاءت بهذين المعنيين، حيث استعملها القرآن مرّة بهذا المعنى، وأخرى بالمعنى الثاني، ومثال ذلك ما جاء في الآية 20 من سورة الكهف وأن يظهروا عليكم يرجوكم.

ونقرأ في الآية الثانية من سورة التوبة كيف وأن يظهروا عليكم لا يرقبوا فيكم إلا ولا ذمّة.
إلا أن هذا الفرق ليس له أثر كبير بالنسبة للآية موضع البحث. حيث المقصود فيها الأطفال الذين ليس لهم ميول جنسية، بسبب عدم قدرتهم وعدم اطلاعهم وعلى هذا يجب على النساء المسلمات أن يتحجبن بحضور الأطفال الذين بلغوا مرحلة برزت فيها رغبتهم الجنسية وقدرتهم على ذلك.

7- لماذا لم يذكر العم والخال ضمن المحارم؟
يطرح هذا السؤال بعد دراسة الآيات السابقة: لماذا لم يذكر العم والخال ضمن المحارم - قط - وهم من المحارم؟

ربّما كان القرآن قد استهدف البلاغة في تعابيره بعدم ذكر آية كلمة إضافية، فقد دلّ استثناء ابن الأخ وابن الأخت على أنّ العمّة والخالة تعتبران من محارم الرجل، ويتّضح بذلك أن العم والخال لإحدى النساء هما من محارمها.

وبعبارة أخرى: إنّ الحرمة ذات جانبين، فمن جهة بنات الأخت وبنات الأخ من محارم الرجال، وإنه من الطبيعي سيكون من الجهة الثانية العم والخال من المحارم فتدبر.

8- تحريم سبل الإثارة!

آخر كلام في هذا المجال هو أنّ الآية السابقة نصّت على حرمة المشي بقوة من قبل النساء ليسمعن صوت الخلخال.

وهذا يدل على دقّة الأحكام الإسلامية ومبلغ اهتمامها بالقضايا الخاصة بعقّة الناس وشرفهم، بحيث لا يسمح معها بالقيام بمثل هذه الأعمال.

ومن البدهة أن لا يسمح الإسلام بإثارة شهوات الشباب، عن طريق نشر الصور الخلاعية، والأفلام المثيرة للشهوات، والقصص والروايات الجنسية، ولا ريب في أنّ البيئة الإسلامية يجب أن تكون طاهرة سليمة من هذه الأمور التي تجرّ أفرادها إلى مهاوي الفساد وظلماته، وتدفع بالشباب والشابات نحو الانحطاط الخلقي والرديلة.

وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعاً أَيْ طَلَبْتُمْ شَيْئاً مِنَ الْأَمْتَعَةِ الَّتِي تَوْجَدُ فِي الْبَيْتِ كِبَاءً وَنَحْوَهُ فَاسْأَلُوهُنَّ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ أَيْ بَابٍ وَسْتَرٍ وَنَحْوَهُمَا لَا مُوَاجَهَةَ لِحَرَمَةِ النَّظَرِ إِلَيْهِنَّ. وَقَوْلُهُ ذَلِكَ أَطَهَرَ لِقُلُوبِكُمْ أَنْتُمْ أَيُّهَا الرِّجَالُ وَقُلُوبُهُنَّ أَيْتِهِنَّ الْأَمَهَاتُ أَطَهَرَ أَيَّ مِنْ خَوَاطِرِ السُّوءِ الْفَاسِدَةِ الَّتِي لَا يَخْلُو مِنْهَا قَلْبُ الْإِنْسَانِ إِذَا خَاطَبَ فَحَلَّ أَنْثَى أَوْ خَاطَبَتْ امْرَأَةً فَحَلَّ مِنَ الرِّجَالِ..

هدى الآيات:

من هداية الآيات:

- 1- بيان ما ينبغي للمؤمنين أن يلتزموه من الآداب في الاستئذان والدخول على البيوت لحاجة الطعام ونحوه.
- 2- بيان كمال الرسول في خلقه في أنه ليستحي أن يقول لضيفه أخرج من البيت فقد انتهى الطعام.
- 3- وصف الله تعالى نفسه بأنه لا يستحي من الحق أن يقوله ويأمر به عباده.
- 4- مشروعية مخاطبة الأجنبية من وراء حجاب ستر ونحوه.
- 5- حرمة أذية رسول الله وأنها جريمة كبرى لا تعادل بأخرى.
- 6- بيان أن الإنسان لا يخلو من خواطر السوء إذا كلم المرأة ونظر إليها.
- 7- حرمة نكاح أزواج الرسول بعد موته وحرمة الخاطر يخطر بذلك.
- 8- بيان المحارم الذين للمسلمة أن تكشف وجهها أمامهم وتخطبهم بدون حجاب.
- 9- الأمر بالتقوى ووعيد الله لمن لا يتقه في محارمه.

فإنه لما كان المؤمنات يخرجن بالليل لقضاء الحاجة البشرية إذ لم يكن لهن مراحيض في البيوت وكان بعض سفهاء المنافقين يتعرضون لهن بالغمز والكلمة السفهية وهم يقصدون على عادتهم الإماء لا الحرائر فتأذى بذلك المؤمنات وشكون إلى أزواجهن ما يلقيهن من تعرض بعض المنافقين لهن فأنزل الله تعالى هذه الآية لِيَأْخُذَ الْكُتُبِيُّ قَوْلَ لَأَرْوَاكِ وَيَتَأَتِكَ وَنِسَاءَ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِنْ جَلَابِيبِهِنَّ وَالْجَلَابِيبُ هُوَ الْمَلَاءَةُ أَوْ الْعِبَاءَةُ تكون فوق الدرع السابغ الطويل، أي مُرْهُنٌ بَأَن يَدْنِينَ مِنْ طَرَفِ الْمَلَاءَةِ عَلَى الْوَجْهِ حَتَّى لَا يَبْقَى إِلَّا عَيْنٌ وَاحِدَةٌ تَرَى بِهَا الطَّرِيقَ، وبذلك يعرفن أنهم حرائر عفيفات فلا يؤذيهن بالتعرض لهن أولئك المنافقون والسفهاء عليهم لعائن الله.

وقوله تعالى وَكَانَ اللَّهُ غَفُوراً رَحِيماً أَخْبَرَ عِبَادَهُ أَنَّهُ تَعَالَى كَانَ وَمَا زَالَ غَفُوراً لِمَن تَابَ مِنْ عِبَادِهِ رَحِيماً بِهِ فَلَا يَعْذِبُهُ بَعْدَ تَوْبَتِهِ.

هداية الآيات:

من هداية الآيات:

- 1- بيان شرف الرسول محمد ووجوب الصلاة والسلام عليه في التشهد الأخير في الصلاة.
- 2- بيان ما يتعرض له من يؤذي الله ورسوله من غضب وعذاب.
- 3- بيان مقدار ما يتحملة من يؤذي المؤمنين والمؤمنات بالقول فينسب إليهم ما لم يقولوا أو لم يفعلوا أو يؤذيهم بالفعل بضرب جسم أو أخذ مال أو انتهاك عرض.
- 4- وجوب تغطية المؤمنة وجهها إذا خرجت لحاجتها إلا ما كان من عين ترى بها الطريق، واليوم بوجود الأقمشة الرقيقة لا حاجة إلى إبداء العين إذ تسبل قماشاً على وجهها فيستر وجهها وترى معه الطريق واضحاً والحمد لله.

¹ <http://goo.gl/ga0l5Z>

² <http://goo.gl/xmN1mZ>

³ <http://goo.gl/OITAZs>

⁴ <http://goo.gl/MwXd05>

شرح الكلمات:

يغضوا من أبصارهم: أي يخفصوا من أبصارهم حتى لا ينظروا إلى نساء لا يحل لهم أن ينظروا إليهن. ويحفظوا فروجهم: أي يصونونها من النظر إليها ومن إثيان الفاحشة الزنى والواط. أزكى لهم: أي أكثر تزكية لنفوسهم من فعل المندوبات والمستحبات. ولا يبدن زينتهن: أي مواضع الزينة الساقين حيث يوضع الخلال، وكالكفين والذراعين حيث الأساور والخواتم والحناء والرأس حيث الشعر والأقراط في الأذنين والتزجيج في الحاجبين والكحل في العينين والعنق والصدر حيث السخاب والقلاند. إلا ما ظهر منها: أي بالضرورة دون اختيار وذلك كالكفين لتناول شيئاً والعين الواحدة أو الاثنتين للنظر بهما، والثياب الظاهرة كالخمار والعجار والعباءة. بخمرهن على جيوبهن: أي ولتضرب المرأة المسلمة الحرة بخمارها على جيوب أي فتحات الثياب في الصدر وغيره حتى لا يبدو شيء من جسمها. إلا لبعولتهن: البعل الزوج والجمع بعول. أو نسانهن: أي المسلمات فيخرج الذميات فلا تتكشف المسلمة أمامهن. أو ما ملكت أيمانهن: أي العبيد والجواري فللمسلمة أن تكشف وجهها لخادمها المملوك. أو التابعين غير أولي الإربة: أي التابعين لأهل البيت يطعمونهم ويسكنونهم ممن لا حاجة لهم إلى النساء. أو الطفل: أي الأطفال الصغار قبل التمييز والبلوغ. لم يظهروا على عورات النساء: أي لم يبلغوا سناً تدعوهم إلى الاطلاع على عورات النساء للتلذذ بهن. ليعلم ما يخفين من زينتهن: أي الخلاخل في الرجلين. تفلحون: أي تفوزون بالنجاة من العار والنار، وبالظفر بالطهر والشرف وعالي الغرف في دار النعيم. معنى الآيات:

سبق أن ذكرنا أنه لقبح وفساد الزنى وسوء أثره على النفس والحياة البشرية وضع الشارع عدة أسباب واقية من الوقوع فيه ومنها الأمر بغض البصر للرجال والنساء فقله تعالى: قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ أَي مُرِّ يَا رَسُولَنَا الْمُؤْمِنِينَ بَانَ يَغْضُوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ أَي بَانَ يَخْفِضُوا أَجْفَانَهُمْ عَلَى أَعْيُنِهِمْ حَتَّى لَا يَنْظُرُوا إِلَى الْأَجْنِبَاتِ عَنْهُمْ مِنَ النِّسَاءِ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ عَنِ النَّظَرِ إِلَيْهَا فَلَا يَكْشِفُوهَا لِأَحَدٍ إِلَّا مَا كَانَ مِنَ الزَّوْجِ لِزَوْجِهِ فَلَا حَرَجَ وَعَدَمَ النَّظَرِ أَوْلَى وَأَطْيَبَ، وَقَوْلُهُ: ذَلِكَ أَزْكَى لَهُمْ أَي أَطْهَرَ لِنَفْسِهِمْ مِنْ نَوَافِلِ الْعِبَادَاتِ، وَقَوْلُهُ: إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ فَلْيَر_اقِبْهُ تَعَالَى فِي ذَلِكَ الْمَأْمُورَ بِهِ مِنْ غَضِّ الْبَصَرِ وَحِفْظِ الْفَرْجِ إِنَّهُ يَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورَ.

وقوله تعالى: وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ إِذْ شَأْنُهُنَّ شَأْنَ الرِّجَالِ فِي كُلِّ مَا أَمَرَ بِهِ الرِّجَالُ مِنْ غَضِّ الْبَصَرِ وَحِفْظِ الْفَرْجِ وَقَوْلُهُ تَعَالَى: وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ أَي مُرُّهُنَّ يَغْضُ الْبَصَرِ وَحِفْظِ الْفَرْجِ وَعَدَمَ إِظْهَارِ الزَّيْنَةِ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا مِمَّا لَا يُمْكِنُ سِتْرُهُ وَإِخْفَاؤُهُ كَالْكُفَيْنِ عِنْدَ تَنَاوُلِ شَيْءٍ أَوْ إِعْطَانِهِ أَوْ الْعَيْنَيْنِ تَنْتَظِرُ بِهِمَا وَإِنْ كَانَ فِي الْيَدِ خَاتَمٌ وَحَنَاءٌ وَفِي الْعَيْنَيْنِ كَحْلٌ وَكَالثِّيَابِ الظَّاهِرَةِ مِنْ خِمَارٍ عَلَى الرَّأْسِ وَعِبَاءَةٍ تَسْتُرُ الْجِسْمَ فَهَذَا مَعْفُوعُهُ إِذْ لَا يُمْكِنُ سِتْرُهُ.

وقوله تعالى: وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَى جُيُوبِهِنَّ كَانَتِ الْمَرْأَةُ تَضَعُ خِمَارَهَا عَلَى رَأْسِهَا مَسْبِلًا عَلَى كَتِفَيْهَا فَأَمَرَتْ أَنْ تَضْرِبَ بِهِ عَلَى فَتَحَاتِ دَرْعِهَا حَتَّى تَسْتُرَ الْعُنُقَ وَالصَّدْرَ سِتْرًا كَامِلًا وَقَوْلُهُ: وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ أَعَادَ اللَّفْظَ لِيَرْتَبَ عَلَيْهِ مَا بَعْدَهُ مِنَ الْمَحَارِمِ الَّذِي يَبَاحُ لِلْمُؤْمِنَةِ أَنْ تَبْدِيَ زِينَتَهَا إِلَيْهِمْ وَهُمْ الزَّوْجُ، وَالْأَبُ وَالْجَدُّ وَإِنْ عَلَا وَأَبُ الزَّوْجِ وَإِنْ عَلَا وَابْنُهَا وَإِنْ سَفَلَ وَابْنُ الزَّوْجِ وَإِنْ نَزَلُوا، وَالْأَخُ لِأَبٍ أَوْ الشَّقِيقُ أَوْ لَأُمٍّ وَابْنُهَا وَأَنْ نَزَلُوا، وَابْنُ الْأَخِ وَإِنْ نَزَلَ وَسَوَاءٌ كَانَ لِأَبٍ أَوْ لَأُمٍّ أَوْ شَّقِيقٍ، وَابْنُ الْأَخْتِ شَقِيقَةٌ أَوْ لِأَبٍ أَوْ أُمٍّ. وَالْمَرْأَةُ الْمُسْلِمَةُ مِنْ نِسَاءِ الْمُؤْمِنَاتِ، وَعَبْدُهَا الْمَمْلُوكُ لَهَا دُونَ شَرِيكِهَا فِيهِ وَالتَّابِعُ لِأَهْلِ بَيْتِهَا مِنْ شَيْخِ هَرَمٍ أَسَابِهِ الْخُرْفِ، وَعَيْنٌ وَمَعْتَوَةٌ وَطِفْلٌ صَغِيرٌ لَمْ يَمِيزْ دُونَ الْبُلُوغِ مِمَّنْ لَا حَاجَةَ لَهُمْ فِي النِّسَاءِ لِعَدَمِ الشَّهْوَةِ عَنْهُمْ لِكِبَرٍ وَمَرَضٍ وَصِغَرٍ.

وقوله تعالى: وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِنْ زِينَتِهِنَّ نَهَى تَعَالَى الْمُؤْمِنَاتِ أَنْ يَضْرِبْنَ الْأَرْضَ بِأَرْجُلِهِنَّ الَّتِي فِيهَا الْخَلَاحِلُ لِكَيْ يَعْلَمَ أَنَّهَا ذَاتُ زِينَةٍ فِي رِجْلَيْهَا، فَلَا يَحِلُّ لَهَا ذَلِكَ وَلَوْ لَمْ تَقْصِدْ إِظْهَارَ زِينَتِهَا. وَقَوْلُهُ تَعَالَى: وَتَوَبُّوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهُ الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ أَمَرَ تَعَالَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بِالتَّوْبَةِ وَهِيَ تَرَكُ مَا مِنْ شَأْنِهِ أَنْ يَغْضَبَ اللَّهُ تَعَالَى، وَفَعَلَ مَا وَجِبَ فَعَلَهُ وَمِنْ ذَلِكَ غَضُّ الْبَصَرِ وَحِفْظُ الْفَرْجِ وَالْإِلْتِزَامُ

بالعفة والستر والتنزّه عن الإثم صغيره وكبيره وبذلك يتأهل المؤمنون للفلاح الذي هو الفوز بالنجاة من المرهوب والظفر بالمحبوب المرغوب.
هداية الآيات:

من هداية الآيات:

- 1- وجوب غض البصر وحفظ الفرج.
- 2- وجوب ستر المرأة زينتها ومواضع ذلك ما عدا ما يتعذر ستره للضرورة.
- 3- بيان المحارم الذين للمرأة المؤمنة أن تبدي زينتها عندهم بلا حرج.
- 4- الرخصة في إظهار الزينة للهرم المخرف من الرجال والمعتوه والطفل الصغير الذي لم يعرف عن عورات النساء شيئاً.
- 5- حرمة ضرب ذات الخلاخل الأرض برجلها حتى لا يعلم ما تخفي من زينتها.
- 6- وجوب التوبة من كل ذنب وعلى الفور للحصول على الفلاح العاجل والأجل.

فقرات من التفسير

هـ\33\153

وَسُؤَالُ نِسَاءِ النَّبِيِّ الْمَتَاعَ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ.. كُلُّ ذَلِكَ أَطْهَرُ لِقُلُوبِ الرِّجَالِ وَقُلُوبِ النِّسَاءِ مِنْ وَسَاوَسِ الشَّيْطَانِ، وَأَبْعَدُ عَنِ الرِّيبِ وَالشُّكُوكِ، وَلَا يَنْبَغِي لِلْمُؤْمِنِينَ أَنْ يَفْعَلُوا فِعْلاً فِي حَيَاةِ النَّبِيِّ يُؤْذِيهِ وَيُرْجِعُهُ،

هـ\33\259

يَأْيُهَا لَأَرْوَاجُكَ جَلَابِيهً

- 59 يَأْمُرُ اللَّهُ تَعَالَى رَسُولَهُ بِأَنْ يَأْمَرَ نِسَاءَهُ وَبَنَاتَهُ وَالنِّسَاءَ الْمُؤْمِنَاتِ، بِأَنْ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِنْ جَلَابِيهِنَّ، وَأَنْ يُعْطِينَ وَجُوهَهُنَّ مِنْ فَوْقِ رُؤُوسِهِنَّ، وَأَنْ يُعْطِينَ ثَغْرَةَ نُحُورِهِنَّ بِالْجَلَابِيِبِ الَّتِي يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ. وَالْغَايَةُ مِنْ ذَلِكَ التَّسْتُرُ، وَأَنْ يُعْرِفَنَّ بَأَنَّهُنَّ حَزَانُ فُلَا يُؤْذِيهِنَّ أَحَدٌ، وَلَا يَتَعَرَّضُ لَهُنَّ فَاسِقٌ بَادِي وَلَا رِبِيَّةٌ. وَرَبُّكُمْ غَفَّارٌ لِمَا عَسَى أَنْ يَكُونَ قَدْ صَدَرَ مِنَ الْإِخْلَالِ بِالتَّسْتُرِ، كَثِيرُ الرَّحْمَةِ لِمَنْ امْتَثَلَ أَمْرَهُ، وَاسْتَغْفَرَ رَبَّهُ عَمَّا يُعْكَرُ أَنْ يَكُونَ قَدْ قَصَرَ فِي مَرَاتِبَتِهِ فِي أُمُورِ التَّسْتُرِ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ - يُرْخِينَ وَيُسَدِّلُنَّ عَلَيْهِنَّ. جَلَابِيهِنَّ - مَا يَسْتَتِرْنَ بِهِ كَالْمَلَاءَةِ.

هـ\102\24\31

لِلْمُؤْمِنَاتِ أَبْصَارُهُنَّ أَبَائَهُنَّ أَبْنَاءَهُنَّ أَخَوَاتُهُنَّ إِخْوَانَهُنَّ نِسَائَهُنَّ أَيْمَانَهُنَّ أَلْتَابِعِينَ عَوْرَاتِ أَيُّهَا
- 31 وَقُلْ يَا مُحَمَّدٌ لِلْمُؤْمِنَاتِ أَنْ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ عَنِ النَّظَرِ إِلَى مَا لَا يَحِلُّ لَهُنَّ النَّظَرُ إِلَيْهِ مِنْ عَوْرَاتِ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ، وَأَنْ يَغْضُضْنَ بَصَرَهُنَّ عَنِ النَّظَرِ إِلَى الرِّجَالِ الْأَجَانِبِ عَنْهُنَّ، لِأَنَّهُ أَوَّلَى بِهِنَّ وَأَلْيَقُ، وَأَنْ يَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ عَنِ الْفَوَاحِشِ، وَعَمَّا لَا يَحِلُّ لَهُنَّ، وَعَنْ أَنْ يَرَاهُنَّ، أَحَدٌ، وَأَنْ لَا يَطْهَرْنَ شَيْئاً مِنَ الرِّبَاةِ لِلْأَجَانِبِ إِلَّا مَا لَا يُعْكَرُ إِخْفَاؤُهُ كَالرِّدَاءِ وَالتَّيَّابِ وَالْخُلْخُلِ وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: الْوَجْهَ وَالْكَفَّيْنِ وَالْخَاتَمَ، وَأَنْ يَلْقَيْنَ بَخْمَرَهُنَّ عَلَى فَتَحَاتِ ثِيَابِهِنَّ عِنْدَ الصُّدُورِ جُبُوبِهِنَّ لِيَسْتَتِرْنَ بِذَلِكَ شُعُورَهُنَّ وَأَعْنَاقَهُنَّ وَصُدُورَهُنَّ حَتَّى لَا يَرَى مِنْهَا شَيْءٌ، وَأَنْ لَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ كَالسَّوَارِ وَالْخَاتَمِ وَالْكَخْلِ وَالْخَصَابِ... إِلَّا لِلزَّوْجِ وَأَبَاءِ الزَّوْجِ وَالْإِخْوَةِ وَأَبْنَائِهِمْ، وَأَبْنَاءِ الْأَخَوَاتِ، وَأَبْنَاءِ الزَّوْجِ، وَبَقِيَّةِ الْمَحَارِمِ الَّذِينَ عَدَّاهُمُ اللَّهُ تَعَالَى فِي هَذِهِ الْآيَةِ، أَوْ لِلنِّسَاءِ الْمُسْلِمَاتِ نِسَائَهُنَّ - وَقِيلَ إِنَّ نِسَاءَهُنَّ تَعْنِي النِّسَاءَ الْمُخْتَصَّاتِ بِصُحْبَتِهِنَّ وَخِدْمَتِهِنَّ، أَوْ لِمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ مِنْ عِبِيدٍ مُسْلِمِينَ وَقَبِيلٍ حَتَّى لَغَيْرِ الْمُسْلِمِينَ، أَوْ الْأَتْبَاعِ الْمُعْقَلِينَ وَفِي عَقُولِهِمْ وَلَهُ، وَلَا يَسْتَهْوُونَ النِّسَاءَ وَهُمْ التَّابِعُونَ غَيْرَ أَوَّلَى الْإِزْبَةِ مِنَ الرِّجَالِ، أَوْ لِلأَطْفَالِ الصِّغَارِ الَّذِينَ لَا يَفْهَمُونَ أَحْوَالَ النِّسَاءِ وَعَوْرَاتِهِنَّ، أَمَّا إِذَا كَانَ الطِّفْلُ مُرَاقِظاً أَوْ قَرِيباً مِنْهُ، يَعْرِفُ ذَلِكَ وَيَنْدَرِيهِ، وَيَفَرِّقُ بَيْنَ الشَّوْهَاءِ وَالْحَسَنَاءِ فَلَا يُسْمَحُ لَهُ بِالنُّحُولِ عَلَى النِّسَاءِ.

كَمَا أَمَرَ هُنَّ اللَّهُ بِأَنْ لَا يَمْشِينَ فِي الطَّرِيقَاتِ وَفِي أَرْجُلِهِنَّ الْخَلَاخِيلَ فَيُضْرِبْنَ بَأَرْجُلِهِنَّ الْأَرْضَ لِيَسْمَعَ صَوْتُ مَشْيِهِنَّ، وَلِتَلْتَفِتَ الْأَنْظَارُ إِلَيْهِنَّ، كَمَا كَانَتْ تَفْعَلُ نِسَاءُ الْجَاهِلِيَّةِ.

وَفِي الْحَدِيثِ الرَّافِلَةُ فِي الرِّبَاةِ فِي غَيْرِ أَهْلِهَا كَمَثَلِ ظِلْمَةِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ. أَخْرَجَهُ التِّرْمِذِيُّ. وَارْجِعُوا تَائِبِينَ إِلَى طَاعَةِ اللَّهِ يَا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ، وَافْعَلُوا مَا أَمَرَكُمْ بِهِ رَبُّكُمْ مِنَ التَّخَلُّقِ بِهَذِهِ الصِّفَاتِ الْحَمِيدَةِ وَالْأَخْلَاقِ الْحَمِيدَةِ، وَاتْرُكُوا مَا كَانَ عَلَيْهِ أَهْلُ الْجَاهِلِيَّةِ مِنَ الصِّفَاتِ وَالْأَخْلَاقِ الدَّمِيمَةِ، فَإِنَّ الْفَلَاحَ فِي فِعْلِ مَا أَمَرَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ بِهِ، وَتَرْكِ مَا نَهَى عَنْهُ.

زِينَتُهُنَّ - مَوَاضِعُ زِينَتِهِنَّ مِنَ الْجَسَدِ.

ظَهَرُ مِنْهَا - الْوَجْهَ وَالْكَفَّانَ وَالْقَدَمَانِ.

وَلِيُضْرِبْنَ - وَلِيَلْقَيْنَ وَيُسَدِّلْنَ.

بَخْمَرَهُنَّ - أَغْطِيَةُ رُؤُوسِهِنَّ وَالْمَقَانِعِ.

جُبُوبِهِنَّ - فَتَحَاتِ ثِيَابِهِنَّ عِنْدَ الصُّدُورِ.

1 <http://goo.gl/ZvLp48>

2 <http://goo.gl/92tsGz>

3 <http://goo.gl/IVLuCQ>

نِسَائِهِنَّ - الْمُخْتَصَّاتُ بِخِدْمَتِهِنَّ وَصُحْبَتِهِنَّ.
أُولَى الْإِرْبَةِ - أَصْحَابُ الْحَاجَةِ إِلَى النِّسَاءِ.
لَمْ يَظْهَرُوا عَلَى عَوْرَاتِ النِّسَاءِ - لَمْ يَبْلُغُوا حَدَّ الشَّهْوَةِ.

عبد الله بن عبد المحسن التركي¹
ما زال حيا - سنّي
التفسير الميسر² (معتمد من مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف)

فقرات من التفسير

هـ\33\90: 353

يا أيها الذين صدّقوا الله ورسوله وعملوا بشرعه لا تدخلوا بيوت النبي إلا بإذنه لتناول طعام غير منتظرين نضجه، ولكن إذا دعيتم فادخلوا، فإذا أكلتم فانصرفوا غير مستأنسين لحديث بينكم؛ فإن انتظاركم واستئناسكم يؤذي النبي، فيستحيي من إخراجكم من البيوت مع أن ذلك حق له، والله لا يستحيي من بيان الحق وإظهاره. وإذا سألتن نساء رسول الله حاجة من أواني البيت ونحوها فاسألوهن من وراء ستر؛ ذلكم أظهر لقلوبكم وقلوبهن من الخواطر التي تعرض للرجال في أمر النساء، وللنساء في أمر الرجال؛ فالرؤية سبب الفتنة، وما ينبغي لكم أن تؤذوا رسول الله، ولا أن تتزوجوا أزواجه من بعد موته أبداً؛ لأنهن أمهاتكم، ولا يحل للرجل أن يتزوج أمه، إن أذاكم رسول الله ونكاحكم أزواجه من بعده إثم عظيم عند الله. (وقد امتثلت هذه الأمة هذا الأمر، واجتنبت ما نهى الله عنه منه).

هـ\33\90: 459

يا أيها النبي قل لأزواجك وبناتك ونساء المؤمنين يرخين على رؤوسهن وجوههن من أرديتهن وملاحقهن؛ لستر وجوههن وصدورهن ورؤوسهن؛ ذلك أقرب أن يميّزن بالستر والصيانة، فلا يُتعرّض لهن بمكروه أو أذى. وكان الله غفوراً رحيمًا حيث غفر لكم ما سلف، ورحمكم بما أوضح لكم من الحلال والحرام.

هـ\102\24: 531

وقل للمؤمنات يغضضن من أبصارهن عما لا يحل لهن من العورات، ويحفظن فروجهن عما حرم الله، ولا يُظهرن زينتهن للرجال، بل يجتهدن في إخفائها إلا الثياب الظاهرة التي جرت العادة بلبسها، إذا لم يكن في ذلك ما يدعو إلى الفتنة بها، وليلقين بأغطية رؤوسهن على فتحات صدورهن مغطيات وجوههن؛ ليكمل سترهن، ولا يُظهرن الزينة الخفية إلا لأزواجهن؛ إذ يرون منهن ما لا يرى غيرهن. وبعضها، كالوجه، والعنق، واليدين، والساعدين يباح رؤيتهن لأبائهن أو أبناء أزواجهن أو أبنائهن أو أبناء أزواجهن أو إخوانهن أو أبناء إخوانهن أو أبناء أخواتهن أو نساتهن المسلمات دون الكافرات، أو ما ملكن من العبيد، أو التابعين من الرجال الذين لا غرض ولا حاجة لهم في النساء، مثل البُله الذين يتبعون غيرهم للطعام والشراب فحسب، أو الأطفال الصغار الذين ليس لهم علم بأمور عورات النساء، ولم توجد فيهم الشهوة بعد، ولا يضرب النساء عند سترهن بأرجلهن ليُسْمَعن صوت ما خفي من زينتهن كالخلخال ونحوه، وارجعوا- أيها المؤمنون- إلى طاعة الله فيما أمركم به من هذه الصفات الجميلة والأخلاق الحميدة، واتركوا ما كان عليه أهل الجاهلية من الأخلاق والصفات الرذيلة؛ رجاء أن تفوزوا بخيري الدنيا والآخرة.

¹ <https://goo.gl/Y7ed2r>

² <http://goo.gl/mMEK8x>

³ <http://goo.gl/rO64bJ>

⁴ <http://goo.gl/bG9F1L>

⁵ <http://goo.gl/pi1Rgv>

ملحق

آيات الحجاب وفقاً للتسلسل التاريخي

- م38\38: 32 - فَقَالَ: إِنِّي أَحْبَبْتُ حُبَّ الْخَيْرِ عَنْ ذِكْرِ رَبِّي، حَتَّى تَوَارَتْ بِالْحِجَابِ.
- م39\7: 19 - وَيُنَادِمُ! أَسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ، فَكُلَا مِنْ حَيْثُ شِئْتُمَا. وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ، فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ.
- م39\7: 20 - فَوَسَّسَ لَهُمَا الشَّيْطَانُ لِيُبْدِيَ لَهُمَا مَا وُورِيَ عَنْهُمَا مِنْ سَوْءَاتِهِمَا. وَقَالَ: مَا نَهَاكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَذِهِ الشَّجَرَةِ إِلَّا أَنْ تَكُونَا مَلَكَتَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ الْخَالِدِينَ.
- م39\7: 21 - وَقَاسَمَهُمَا: إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ الصَّحِيحِينَ.
- م39\7: 22 - فَدَلَّلَهُمَا بِغُرُورٍ. فَلَمَّا ذَاقَا الشَّجَرَةَ، بَدَتْ لَهُمَا سَوْءَاتُهُمَا. وَطَفَقَا يَخْصَفَانِ عَلَيْهِمَا مِنْ وَرَقِ الْجَنَّةِ. وَنَادَاهُمَا رَبُّهُمَا: أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَنْ تِلْكَ الشَّجَرَةِ، وَأَقُلْتُ لَكُمَا إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُبِينٌ؟
- م39\7: 23 - قَالَا: رَبَّنَا! ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا. وَإِنْ لَمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا، لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ.
- م39\7: 24 - قَالَ: اهْبِطُوا، بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ. وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ.
- م39\7: 25 - قَالَ: فِيهَا تَحْيَوْنَ، وَفِيهَا تَمُوتُونَ، وَمِنْهَا تُخْرَجُونَ.
- م39\7: 26 - يُبْنِي عَادَمُ! قَدْ أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ لِبَاسًا يُورِي سَوْءَاتَكَمْ وَرِيشًا. وَلِبَاسٌ الْقَفْوَى ذَلِكَ خَيْرٌ. ذَلِكَ مِنْ عَائِثِ اللَّهِ. لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ!
- م39\7: 27 - يُبْنِي عَادَمُ! لَا يَفْسَنْتُكُمُ الشَّيْطَانُ، كَمَا أَخْرَجَ أَبَوَيْكُمُ مِنَ الْجَنَّةِ، يَنْزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوْءَاتِهِمَا. إِنَّهُ يَرْكُمُ هُوَ وَقَبِيلُهُ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ. إِنَّا جَعَلْنَا الشَّيْطَانَ أَوْلِيَاءَ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ.
- م39\7: 46 - وَبَيَّنَّهُمَا حِجَابَ. وَعَلَى الْأَعْرَافِ رِجَالٌ يَعْرِفُونَ كُلًّا بِسِيمَاهُمْ. وَنَادَوْا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ أَنْ: سَلِّمُوا عَلَيْنَا. سَلَّمَ عَلَيْهِمْ لَمْ يَدْخُلُوهَا، وَهُمْ يَطْمَعُونَ.
- م44\19: 17 - فَاتَّخَذَتْ مِنْ دُونِهِمْ حِجَابًا. فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا، فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا.
- م50\17: 45 - وَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ، جَعَلْنَا، بَيْنَكَ وَبَيْنَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ، حِجَابًا مَسْتُورًا.
- م61\41: 5 - وَقَالُوا: قُلُوبُنَا فِي أَكْثَرِ مَا نَدْعُونَ إِلَيْهِ، وَفِي عَادَانَا وَفَرٍ، وَمَنْ بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ حِجَابٌ. فَأَعْمَلْنَا إِنَّنَا عَمَلُونَ.
- م62\42: 51 - وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا، أَوْ مِنْ وَرَآئِ حِجَابٍ، أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بإِذْنِهِ مَا يَشَاءُ. إِنَّهُ عَلِيٌّ حَكِيمٌ.
- م86\83: 15 - كَلَّا! إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ، يَوْمِنَظٍ، لَمَحْجُوبُونَ.
- م90\33: 32 - يُنْسَاءُ النَّبِيُّ! لَسْتُ أَنْتَ كَأَخَدٍ مِنَ النِّسَاءِ، إِنْ أَتَقَيْتُ. فَلَا تَخْصَعْنَ بِالْقَوْلِ، فَيُدْمَعُ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ. وَقُلْنَ قَوْلًا مَعْرُوفًا.
- م90\33: 33 - وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ، وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى. وَأَقِمْنَ الصَّلَاةَ، وَآتِينَ الزَّكَاةَ، وَأَطِعْنَ اللَّهَ، وَرَسُولَهُ. إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ، أَهْلَ الْبَيْتِ! وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا.
- م90\33: 53 - يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا! لَا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ، إِلَّا أَنْ يُؤْذَنَ لَكُمْ إِلَى طَعَامٍ، غَيْرَ نَظَرٍ فِيهِ. وَلَكِنْ، إِذَا دُعِيتُمْ، فَأَدْخُلُوا. فَإِذَا طَعِمْتُمْ، فَانْتَشِرُوا وَلَا مُسْتَسِينٍ لِحَدِيثٍ. إِنَّ ذَلِكَ كَانَ يُؤْذِي النَّبِيَّ فَيَسْتَحْيِي مِنْكُمْ، وَاللَّهُ لَا يَسْتَحْيِي مِنَ الْحَقِّ. وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعًا، فَسْأَلُوهُنَّ مِنْ وَرَآئِ حِجَابٍ. ذَلِكَ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ. وَمَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُؤْذُوا رَسُولَ اللَّهِ، وَلَا أَنْ تَنْكُحُوا أَزْوَاجَهُ مَنْ بَعْدَهُ أَبْدًا. إِنَّ ذَلِكَ كَانَ، عِنْدَ اللَّهِ، عَظِيمًا.
- م90\33: 54 - [إِنْ تَبْذُؤْا شَيْئًا أَوْ تَخْفَوْهُ، فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا.]

هـ90\33: 55 - لَا جُنَاحَ عَلَيْهِمْ فِيءَابَانِهِمْ، وَلَا أُنْبَآئِهِمْ، وَلَا إِخْوَانِهِمْ، وَلَا أُنْبَآءَ إِخْوَانِهِمْ، وَلَا أُنْبَآءَ أَخَوْتِهِمْ، وَلَا نِسَآئِهِمْ، وَلَا مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ. وَآتَقِينَ اللَّهَ. إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدًا.

هـ90\33: 59 - يَٰٓأَيُّهَا النَّبِيُّ! قُلْ لَا زُجُجَكَ، وَبَنَاتَكَ، وَنِسَاءَ الْمُؤْمِنِينَ، يُدْنِينَ عَلَيْهِمْ مِنْ جَلْبِيبِهِمْ. ذَلِكَ أَذْنَىٰ أَنْ يُعْرِقْنَ، فَلَا يُؤْذِينَ. وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا، رَحِيمًا.

هـ102\24: 30 - قُلْ لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوْا مِنْ أَبْصَرِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ. ذَلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ. إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ.

هـ102\24: 31 - وَقُلْ لِّلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَرِهِنَّ، وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ، وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ، إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا. وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ. وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ، أَوْ ءَابَائِهِنَّ، أَوْ بُعُولَتِهِنَّ، أَوْ أَبْنَائِهِنَّ، أَوْ إِخْوَانِهِنَّ، أَوْ بَنِي إِخْوَانِهِنَّ، أَوْ نِسَائِهِنَّ، أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ، أَوِ التَّبِيعِينَ غَيْرَ أُولِي إِلَٰرٍبَةٍ مِنَ الرِّجَالِ، أَوْ الطِّفْلَ الَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا عَلَىٰ عَوْرَتِ النِّسَاءِ. وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ، لِيُعْلَمَ مَا يَخْفَيْنَ مِنْ زِينَتِهِنَّ. وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا، أَيُّهُ الْمُؤْمِنُونَ! لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ!

هـ102\24: 58 - يَٰٓأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا! لَيْسَ تَدْنِكُمُ الَّذِينَ مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ وَالَّذِينَ لَمْ يَبْلُغُوا الْحُلُمَ مِنْكُمْ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ: مِنْ قَبْلِ صَلَوةِ الْفَجْرِ، وَحِينَ تَضَعُونَ ثِيَابَكُمْ مِنَ الظَّهِيرَةِ، وَمِنْ بَعْدِ صَلَوةِ الْعِشَاءِ. ثَلَاثُ عَوْرَاتٍ لَّكُمْ. لَيْسَ عَلَيْكُمْ وَلَا عَلَيْهِمْ جُنَاحٌ، بَعْدَھُنَّ، طَوْفُورٌ عَلَيْكُمْ بَعْضُكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ. كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ ءَالَآئِهِ، وَاللَّهُ عَلِيمٌ، حَكِيمٌ.

هـ102\24: 59 - وَإِذَا بَلَغَ الْإِطْفُلُ مِنْكُمْ الْحُلُمَ، فَلْيَسْتَدْنُوا كَمَا اسْتَدَنَّ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ. كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ ءَالَآئِهِ، وَاللَّهُ عَلِيمٌ، حَكِيمٌ.

هـ102\24: 60 - وَاللَّوْعُدُ مِنَ النِّسَاءِ الَّتِي لَا يَرْجُونَ نِكَاحًا، فَلَيْسَ عَلَيْهِمْ جُنَاحٌ أَنْ يَضَعْنَ ثِيَابَهُنَّ، غَيْرَ مُتَبَرِّجَاتٍ بِزِينَةٍ. وَأَنْ يَسْتَغْفِنَ خَيْرٌ لَّهُنَّ. وَاللَّهُ سَمِيعٌ، عَلِيمٌ.